

تعريف التقديس

المدخل

تعريف التقديس

أولاً : معاني التقديس في معاجم اللغة : –

بالبحث في معاجم اللغة العربية عن مادة : (ق ، د، س) الأصل اللُّغوي لكلمة التقديس ، نرى أنها تدور حول عدة معان ؛ من أهمها :–

التطهير : فالقدُّوس : الطاهر المنزَّه عن العيوب والنقائص ، ونقدس لك أي : نطهر أنفسنا لك ، وكذلك نفعل بمن أطاعك نقدسه : أي نطهره ، ومنه قيل : للجنة حظيرة القدس[1] ، و القدوس : الذي طهر من الأولاد ، والشركاء ، والصاحبة [2] ، ومنه : قالت الشيعة : بقداسة أجسام الأئمة ، وأخلاقهم ، ومراقدهم ؛ لأن التقديس التطهير الإلهي المذكور في قوله – ﷻ – :" وَيُطَهِّرَكُمْ [3] تَطْهِيرًا " [4] ، دون إزالة النجاسة المحسوسة [5].

---

(١) انظر الجوهري : الصحاح ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط دار العلم للملايين – بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٠م ، مادة قدس جـ ٣ صـ ٩٦٠ . السيد محمد مرتضي الحسيني الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، ط حكومة الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، مادة قدس جـ ١٦ صـ ٣٥٤ – ٣٦٠ . أبو منصور الأزهري : تهذيب اللغة ، تحقيق : عبد العظيم محمود ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة ، دت ، مادة قدس جـ ٨ صـ ٣٩٦. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ط دار الفكر– بيروت ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، مادة قدس جـ ٥ صـ ٦٣.

(٢) أبو بكر الأنباري : الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق : د حاتم صالح الضامن ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م مادة قدس جـ ١ صـ ٥٣ .

(٣) من أهم عقائد الشيعة الاثني عشرية : عدم دخول أزواج النبي – ﷺ – في هذا التطهير ، ما خلا خديجة – رضي الله عنه – ، وهذا مردود عليهم من عدة وجوه ؛ من أهمها : أن قرينة السياق صريحة في دخولهن ؛ لأن سباق النظم ؛ قوله تعالى : " يا أيها النبي قل لأزواجك" ، ولحاق النظم قوله تعالى : " واذكرن ما يتلى في بيوتكن " ، وقد أجمع علماء الأصول : على أن سبب النزول قطعي الدخول في معنى الآية ، فلا يصح إخراجه إلا بمخصص ، مع أننا لا ننكر دخول علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وبقية أهل البيت – عليهم السلام – ، وقد رُوِيَ دخولهن فيه عن النبي – ﷺ – كثير من الصحابة منهم : أمّ المؤمنين عائشة ، أم سلمة ، وأنس ، وأبو سعيد الخدري – رضي الله عن الجميع – ، وإنما جاء الخطاب للمذكر ، من باب التغليب للذكر على الأنثى ، كما هي عادة القرآن ، وكذلك من أساليب اللغة العربية : إطلاق لفظ الأهل على الزوجة ، ومخاطبته مخاطبة المذكر ، مثل قوله تعالى :" فقال لأهله امكثوا " طه : ١٠، وقوله تعالى حكاية عن موسى : " سآتيكم ". محمد أمين الشنقيطي : تفسير أضواء البيان ، ط عالم الفوائد – جدة ، ط١١٤٠٠،١هـ/١٩٨٠م جـ ٦ صـ٦٣٥– ٦٣٨ بتصرف.

(٤) سورة الأحزاب : آية رقم ٣٣.

(٥) محمد المناوي : كتاب التعاريف ، ط دار الفكر– بيروت ، ١٤١٠هـ ، فصل القاف صـ ١٩٨.

فالإمام عند الشيعة الاثني عشرية : " معدن القدس ، والطهارة "[1].

١- التنزيه ، والتبرئة من العيوب ، والبعد عن النقص :- فالله – ﷻ- : القدوس ؛ لأنه منزه عن الأضداد ، والأنداد ، والصاحبة ، والولد ، والنقائص [2].

٢- البركة :- فالقدوس : المبارك ؛ والمقدس: المبارك ؛ وأرض مقدسة : مباركة [3] ؛ للبركة التي فيها [4] ، والقداسة : الطهر ، والبركة [5] ، ونقدس لك : نُبَرِّك لك ، أي نقول : تباركت يا ربنا [6] .

٣- التعظيم والتكبير والتمجيد والتشريف : قدس اللهَ تقديساً : عظَّمَهُ ، وكبَّرَهُ [7] ، والقُدَاس : المنيع الضخم من الشرف [8] ، وعند الشيعة :" عليّ [9] خير البشر ، فمن أبى فقد كفر" [10].

٤- السفينة العظيمة : القادس : السفينة [11] ، وقيل : صنف من المراكب معروف ، وقيل : لوح من ألواحها [12] .

---

(١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي ، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م جـ ٥ صـ ٢١٣.

(٢) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة جـ ٥ صـ ٦٤.

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير ، وآخرون ، ط دار المعارف المصرية – القاهرة ، دت ، مادة قدس جـ ٤٠ صـ ٣٥٥٠ . ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ، مادة قدس جـ ٦ صـ ٢٢٥ .

(٤) الزبيدي : تاج العروس ، مادة قدس جـ ١٦ صـ٣٥٥ – ٣٥٩ .انظر الأزهري : تهذيب اللغة ، مادة قدس جـ ٨ صـ ٣٩٦.

(٥) المعجم الوجيز ، ط وزارة التربية والتعليم المصرية ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م مادة قدس صـ ٤٩٢-٤٩٣بتصرف .

(٦) انظر أبو بكر الأنباري : الزاهر في معاني كلمات الناس ، مادة قدس جـ ١ صـ ٥٠ .

(٧) المعجم الوجيز : مادة قدس صـ ٤٩٢ .

(٨) الزبيدي : تاج العروس ، مادة قدس جـ ١٦ صـ ٣٥٦.

(٩) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف : ابن عم رسول الله – ﷺ – أمير المؤمنين ، ورابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . أول هاشمي ولد في الإسلام من هاشميين ، تربى في حجر النبي – ﷺ – ، كنيته أبو الحسن ، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ، وقُبِضَ –عليه السلام– قتيلا بالكوفة ليلة الجمعة : ٢١ رمضان سنة ٤٠هـ، قتله عبد الرحمن بن ملجم – لعنه الله – وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وقيل ابن ثلاث وستين سنة ؛ وقبره بالغري من نجف الكوفة ، وقيل : بقصر الإمارة بالكوفة ، وقيل : برحبة الكوفة ، وقيل : وضع في صندوق على بعير يريدون أن يدفنوه في المدينة ، فلما وصلوا إلى بلاد طئ نحر بنو طئ البعير ودفنوه عندهم . انظر الأشعري القمي : المقالات والفرق ، ط حيدري ، نشر مؤسسة مطبوعاتي عطالي – طهران ، ١٣٩١هـ صـ ١٢٤-١٢٥ . أبو إسحاق الشيرازي : طبقات الفقهاء : تحقيق : إحسان عباس ، ط دار الرائد العربي – بيروت ، ط١ ، ١٩٧٠م جـ ١صـ ٤٣. العلامة الحلي : تحرير الأحكام ، تحقيق : الشيخ إبراهيم البهادري ، ط اعتماد – قم ، ط١، ١٤٢٠هـ جـ ٢ صـ١٢٠ – ١٢١.

(١٠) الشيخ الصدوق : الأمالي ، ط وتحقيق : قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة – قم ، ط١ ، ١٤١٧هـ صـ ١٣٦.

(١١) أبو عمرو الشيباني : الجيم ، ط المطابع الأميرية – القاهرة ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ، مادة قدس جـ٣ صـ٩٠.

(١٢) ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ، مادة قدس جـ ٦ صـ ٢٢٥ .

وخصها بعضهم : بالسفينة العظيمة [1] . وعند الشيعة : أهل البيت هم : سفينة النجاة ؛ من ركبها نجا في الدنيا والآخرة ، ومن تركها غرق [2] .

٥- التسبيح : قدسوا الله : سبحوه [3] ، والتسبيح : يكون بالطاعات ، والعبادات ، والتقديس : يكون بالمعارف ، والاعتقادات . والتسبيح : نفي ما لا يليق ، والتقديس : إثبات ما يليق [4] ، وهو أخص من التسبيح ، كيفيةً ، وكميةً ، أي : أشدَّ تنزيهاً منه ، وأكثر ؛ ولذلك يؤخَّر عنه في قولهم : سبوح قدوس ، ويقال : التسبيح : تنزيه بحسب مقام الجمع فقط ، والتقديس : تنزيه بحسب الجمع ، والتفصيل ؛ فيكون أكثر كمية [5].

٦- العصمة : قال رسول الله – ﷺ – لحسان بن ثابت [6] – رضي الله عنه – : " أُهْجُ المشركين فإن روح القدس معك " [7] ، أي : ومعينك جبريل– عليه السلام – ، وقيل : عصمة الله ، وتوفيقه معك [8] ، وعند الشيعة التطهير: العصمة [9] ؛ لأن تطهير الماء : العصمة عن الانفعال [10]؛ فإن الاستعداد الذي يوضع في النَّفس لترك المعاصي ، يوجد في قلب كل مؤمن ؛ فإن اشتد ذلك الاستعداد ، بحيث لا تغلب النَّفس صاحبَها على خلاف ما

---

(١) الزبيدي : تاج العروس جـ ١٦صـ ٣٥٦. الأزهري : تهذيب اللغة جـ ٨صـ ٣٩٦. ابن منظور : لسان العرب جـ ٤٠ صـ ٣٥٥٠.

(٢) الشيخ علي الأحمدي : السجود على الأرض ، ط مركز جواد – بيروت ، ط٤ ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م صـ ١٢٢. السيد جعفر مرتضى : زواج المتعة ، ط دار السيرة – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م جـ ١ صـ ٢٥٨.

(٣) أبو القاسم الزمخشري : أساس البلاغة ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، ط منشورات محمد علي بيضون ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، مادة قدس جـ ٢ صـ ٥٧ .ابن سيده : المحكم الأعظم ، مادة قدس جـ ٣ صـ ٢١١ .

(٤) أبو البقاء الكفوي : الكليات ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، معنى التقديس صـ ٢٩٧ .

(٥) علي الجرجاني : التعريفات تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١، ١٤٠٥هـ ، باب التاء صـ ٨٩ .

(٦) حَسَّانُ بنُ ثَابِتِ بنِ المُنْذِرِ بنِ حَرَامٍ الأَنْصَارِيُّ : سَيِّدُ الشُّعَرَاءِ المُؤْمِنِيْنَ، المُؤَيَّدُ بِرُوْحِ القُدُسِ ، عَاشَ سِتِّيْنَ سَنَةً فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَسِتِّيْنَ فِي الإِسْلاَمِ ، لَمْ يَشْهَدْ مَعَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَشْهَداً، كَانَ يَجْبُنُ، تُوُفِّيَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِيْنَ . شمس الدين الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناءوط ، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م جـ ٣ صـ ٤٤٧– ٤٥٥ .

(٧) الإمام النسائي : السنن الكبرى ، ط مطابع قطر الوطنية – قطر ، ط١ ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م جـ ٨ صـ ٤٢٣ .

(٨) أبو القاسم الزمخشري : أساس البلاغة ، مادة قدس جـ ٢ صـ ٥٨ .

(٩) علي الموسوي القزويني : ينابيع الأحكام في معرفة الحلال والحرام ، تحقيق : السيد علي العلوي القزويني ، ط مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤٢٤هـ جـ١صـ ٤٤٠.

(١٠) الشيخ الأنصاري : كتاب الطهارة ، تحقيق : لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم ، ط مؤسسة الهادي – قم ، ط١، ١٤١٥هـ جـ ١ صـ ١٠٤.

وقع الاستعداد له ، فذلك هو : التأييد بروح القدس ، وهي : العصمة [1] ؛ لأن التطهير التنزه عن الآثام ، والقبائح [2] .

٧- <u>وصف الشخص بالعلم الغزير؛ مع الطهارة والفضل</u> : فالمقَدَّسُ : الحَبْر ، والعالم ،والراهب[3] [4]، والقديس عند النصارى[5]: المؤمن الذي يُتَوَفَّى طاهراً فاضلاً، وكذلك القديسة [6].

٨- <u>ما علا وارتفع من الأرض، وانتفع به</u> : فالقُدس: الموضع المرتفع ، الصالح للزراعة [7].

٩- <u>ما غلا ثمنه من الدرر</u> : فالقداس : جمان الفضة [8] ، والقديس : الدر ، لغة يمانية [9].

١٠-<u>الشيء الذي يقدر به الماء ويقسم بين الناس بالسوية</u> : القداس ، والقادس : حصاة توضع في وسط الحوض ، إذا غمره الماء رويت الإبل[10].

---

(١) بدر الدين العاملي : الحاشية على أصول الكافي ، تحقيق علي الفاضلي ، ط دار الحديث – قم ، ط١ ، ١٤٢٥هـ / ١٣٨٣ش ص ٢٨٦.

(٢) أبو الفضل حافظيان البابلي : رسائل في دراية الحديث ، نشر دار الحديث – قم ، ط١ ، ١٤٢٤هـ / ١٣٨٢ش جـ ١ ص ٣٥٢.

(٣) الراهب : هو العالم في الدين المسيحي من الرهبانية هو الانقطاع من الخلق ، والتوجه إلى الحق . القاضي عبد رب النبي الأحمدي نكري : دستور العلماء ، عرب عباراته الفارسية : حسن هاني فحص ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م جـ ٢ ص ٩٢.

(٤) ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم جـ ٦ص ٢٢٥ . الزبيدي : تاج العروس جـ ١٦ص ٣٥٨. ابن منظور : لسان العرب جـ ٤ ص ٣٥٥٠ .

(٥) النصارى : نسبة إلى قرية الناصرة بفلسطين ، والصحيح : سموا بذلك لتسمية الله لهم به ، فرقة من أهل الكتاب ، وجماهيرهم لا يقرون بالتوحيد المجرد ؛ ويعتقدون بالتثليث ، وأثبتوا لله أقانيم ثلاثة – الوجود والعلم والحياة – وسموها : { الأب – الابن – روح القدوس } ، وزعموا أن أقنوم العلم انتقل إلى بدن عيسى – عليه السلام – ، وأنت تعلم أن التغاير لازم بين للانتقال ، والانفكاك ؛ فلزمهم إثبات الذوات القديمة المتغايرة المعلوم ، وكتابهم الأنجيل يصرح ببنوة عيسى لربه – سبحانه – وأشهر فرقهم اليعقوبية ، والنسطورية ، والملكانية . وفرقهم اليوم :{ الأرثوزوكس – الكاثوليك – البروتستانت – الإنجيليين } . أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل تحقيق : د أحمد حجازي السقا – محمد رضوان مهنا ، ط مكتبة جزيرة الورد – المنصورة ، ط١، ١٤٢٧هـ /. ٢٠٠٦م ص ١٨٢– ١٩٠. ابن العطار : الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ، تحقيق : د سعد الزويهري ، نشر وزارة الأوقاف القطرية ، ط١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م ص ٢١٨.

(٦) المعجم الوجيز : مادة قدس ص ٤٩٢ – ٤٩٣ . الزمخشري : أساس البلاغة ، مادة قدس جـ ٢ ص ٥٨ .

(٧) الزبيدي : تاج العروس جـ ١٦ ص٣٥٤ – ٣٥٩. الأزهري : تهذيب اللغة جـ ٨ ص ٣٩٧ . ابن منظور : لسان العرب جـ ٤٠ ص ٣٥٤٩.

(٨) علي بن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ، مادة قدس جـ ٦ ص ٢٢٥. الخليل بن أحمد الفراهيدي : العين ، مادة قدس جـ ٥ ص ٧٣ .

(٩) ابن منظور : لسان العرب ، مادة قدس جـ ٤٠ ص ٣٥٥٠ . علي بن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ، مادة قدس جـ ٦ ص ٢٢٥.

(١٠) ابن منظور : لسان العرب ، مادة قدس جـ ٤٠ ص ٣٥٥٠ . علي بن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ، مادة قدس جـ ٦ ص ٢٢٥. الزبيدي : تاج العروس ، مادة قدس جـ ١٦ ص ٣٥٥ – ٣٥٦ . الأزهري : تهذيب اللغة ، مادة قدس جـ ٨ص ٣٩٥ – ٣٩٦.

١٠- الوعاء الذي بتسلسل أفراده ينتظم سقي الماء للزرع ، وينتظم عمل الطاحونة :

القادوس : وعاء من الفخار ، واسع الفوهة ، تنتظم منه ومن أمثاله سلسلة ، تديرها الناعورة ؛ فتغرف الماء من البئر إلى المزرعة ، وقادوس الطاحونة : وعاء يشبه القمع ، يلقى فيه الحب فينزل منه متتابعاً إلى الطاحونة [١]؛ فالإمام والخليفة وأمير المؤمنين : " نظام الدين ؛ ينتظم به إلى المسائل الدينية ، والعلوم العقلية ، والنقلية "[٢].

ثانيا : معنى تقديس آل البيت : التطهير الإلهي ، المذكور في قوله تعالى : " ويطهركم تطهيراً "[٣]، دون إزالة النجاسة المحسوسة [٤] ، فهو : تطهير من القبائح ، والآثام .

مع العلم : بأنه لم يكن التقديس – بلا غلو – لآل البيت يوماً حجراً على الشيعة وحدهم ، فهي عقيدة كل مسلم ؛ حتى اعترفوا هم بذلك فقالوا : " ومَنْ أَحْسَنَ القولَ في أصحاب [٥] رسول الله – ﷺ – ، وأزواجه الطاهرات ، وذرياته المقدسين من كل رجس ؛ فقد برئ من النفاق " [٦] .

ثالثا : معاني التقديس في التفاسير : -

---

(١) المعجم الوجيز ، مادة قدس صـ ٤٩٢ . الزبيدي : تاج العروس ، مادة قدس جـ ١٦ صـ ٣٥٩ .

(٢) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٥ صـ ٢١٥.

(٣) سورة الأحزاب : آية رقم ٣٣ .

(٤) انظر محمد عبد الرءوف المناوي : كتاب التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق : د محمد رضوان الداية ، ط ط دار الفكر المعاصر ، دار الفكر– بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ ، فصل القاف صـ ١٩٨. علي بن محمد بن علي الجرجاني : التعريفات ، ط دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، باب التاء صـ ٨٩ . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١ صـ ٢٣٢.

(٥) الصحابي عند أهل السنة : من لقي رسول الله – ﷺ – مسلماً ، وإن لم تَطُلْ صُحْبَتَهُ له ، وإن لم يرو عنه شيئاً ، ومات على الإسلام ، وإن تخللت بينهما ردة على الصحيح ، وكلهم عدول . وعند الشيعة : من طالت صحبته للرسول – ﷺ – وحسنت ؛ فأكثرهم ارتد . انظر ابن كثير : الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، تحقيق : الشيخ أحمد شاكر ، نشر دار الكتاب والسنة ، دار الشريعة – القاهرة ، ط١ ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م صـ ١٥٦– ١٥٨ بتصرف . د إيمان العلواني : مصادر التلقي عند الشيعة الإمامية ، رسالة ماجستير ، قسم الحديث ، كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، ، نشر دار التدمرية – الرياض ، ١٤٢٩هـ صـ ٤٨٩ .

(٦) أبو جعفر الطحاوي : العقيدة الطحاوية ، نشر دار الكوثر – القاهرة ، ط١ ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م صـ ٢٨.

جاء التقديس في القرآن الكريم في قوله [1] – ﷻ– :" وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ" [2] ، فالتقديس : التطهير، والتعظيم ، فمعنى قول الملائكة إذًا : "ونحن نسبِّح بحمدك" ، ننزهك ، ونبرئك مما يضيفه إليك أهلُ الشرك بك ، ونصلي لك [3] ، وقيل : نُعَظِّمُكَ ، وَنُمَجِّدُكَ ، وَنُطَهِّرُ ذِكْرَكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَ ، وقيل : الْمَعْنَى نُطَهِّرُ أَنْفُسَنَا لَكَ ، ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ، وَالتَّقْدِيسُ : الصَّلَاةُ ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ تَشْتَمِلُ عَلَى : التَّعْظِيمِ ، وَالتَّقْدِيسِ ، وَالتَّسْبِيحِ، وَمِنْهُ قوله تعالى:" ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ "[4] أي : المطهرة .

وقال تعالى :" الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ" [5] يعني : الطاهر، ومثله :" بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ "[6] ، وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ سُمِّيَ بِهِ : لِأَنَّهُ الْمَكَانُ الَّذِي يُتَقَدَّسُ فِيهِ مِنَ الذُّنُوبِ ، أَيْ : يُتَطَهَّرُ، فَالصَّلَاةُ طُهْرَةٌ لِلْعَبْدِ مِنَ الذُّنُوبِ [7].

وقدس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد[8].

والتقديس: أي نقدس أنفسنا لك من الأدناس ، وأفعالنا من المعاصي ، ونطهر قلوبنا عن الالتفات لغيرك [9]؛ لعصمتنا بك ، بالأخلاق الجميلة [10] ، فهي طهارة دائمة ، لا يلحقها رجس ظاهر ، ولا باطن [11] .

---

(١) القرآن الكريم عند الاثني عشرية : كتاب الله الذي أنزله على محمد – ﷺ – ألفاظاً ، ومعاني ، وأسلوباً ، واعتبره قرآناً ، دون أن يكون للنبي – ﷺ – دخلٌ في انتقاء ألفاظه ، أو صياغته . وعند أهل السنة : كلام الله المعجز ، ووحيه المنزل على محمد – ﷺ – المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه بالتواتر ، المتعبد بتلاوته . انظر محمد تقي الحكيم : الأصول العامة للفقه المقارن ، نشر مؤسسة آل البيت – النجف ، ط٢، ١٣٩٠هـ ص ٩٩. محمد لطفي الصباغ : لمحات في علوم القرآن ، نشر المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٣ ، ١٤١٠هـ ص ٢٥ – ٢٦ بتصرف .

(٢) سورة البقرة : آية رقم ٣٠.

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تفسير الطبري ، تحقيق : هاني الحاج ، عماد زكي البارودي ، خيري سعيد ، ط المكتبة التوفيقية – القاهرة ، ٢٠٠٤م جـ ١ ص ٢٧٩ . محمد علي الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير ، ط دار القران الكريم – بيروت ، د ت جـ ١ ص ٥٠.

(٤) سورة المائدة: آية رقم ٢١ .

(٥) سورة الحشر: آية رقم ٣٠.

(٦) سورة طه : آية رقم ١٢ .

(٧) أبو عبد الله القرطبي : الجامع لأحكام القران ، ط دار ابن حزم – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م جـ ١ ص ١٣٨ .

(٨) أبو حيان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ، ط دار الفكر – بيروت ، دت جـ ١ ص ١٣٧.

(٩) المرجع السابق : جـ ١ ص ١٤٣ .

(١٠) عبد الرحمن السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م ص ٤٨–٤٩.

(١١) أبو الحسن البقاعي : نظم الدرر ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م جـ ١ص ٨٨.

رابعا : معنى التقديس في الحديث : – قال رسول الله – ﷺ – :" إن روح القدس نفث في رُوعي " [١] ، يعني جبريل – عليه السلام – ؛ لأنه خلق من طهارة ، وفي الحديث : " كَيْفَ تُقَدَّسُ أُمَّةٌ لاَ تَأْخُذُ لِضَعِيفِهَا مِنْ شَدِيدِهَا حَقَّهُ ، وَهُوَ غَيْرُ مُتَعْتَعٍ ؟ " [٢] ، أي لا طَهُرت [٣] ، وتقديس الله : تنزيهه عن السوء [٤] ، وسمي بيت المقدس ؛ لأنه يتقدس فيه من الذنوب ، وقيل لبعض الآنية قدس : لأنه يتطهر منه ، ويتوضأ فيه ، والقدوس : الله – تعالى– المقدس مما يوصف به من أنواع الشرك ، مطهر من الصاحبة والأولاد[٥] ، ونقدس لك : أي نطهر أنفسنا لك ، وقيل : نقدسك ونطهرك من كل ما لا يليق بك[٦] . ومعنى سبوح قدوس : المبارك ، المُبَرَّأ من النقائص ، والشريك ، وكل ما لا يليق بالإلهية [٧].

خامسا : التقديس اصطلاحاً : تنزيه الحق عن كل ما لا يليق بجنابه ، وعن النقائص الكونية ، وعن جميع ما يعد كمالاً بالنسبة إلى غيره من الموجودات – مجردة كانت ، أو غير مجردة – [٨] .

تقديس الشخص : وقَبْلَ أَنَّ نُعَرِّفَ تقديسَ الشخصِ ، لابد أن نبين أن من منهج أهل السنة والجماعة وضعُ الشخصِ في المكان اللائق به ، واحترامه ، وتقديره ، وعدم إهانته ؛ كما روت عائشة – رضي الله عنها – :" أَمَرَنَا رسول الله – ﷺ – أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ ، مَعَ مَا نَطَقَ بِهِ

---

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ، ط دار الكتاب العربي– بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٥ هـ جـ ١٠ صـ ٢٧ . أبو عبد الله القضاعي : مسند الشهاب ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م جـ ٢ صـ ١٨٥. عبد الرزاق الصنعاني : المصنف ، ط المكتب الإسلامي– بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ جـ ١١ صـ ١٢٥ .

(٢) الطبراني : المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط مكتبة العلوم والحكم – الموصل ، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م جـ١٩صـ ٣٨٥. البيهقي : السنن الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م جـ ٦صـ ١٥٧ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، مادة قدس جـ ٤٠ صـ ٣٥٤٩ – ٣٥٥١. المعجم الوجيز ، مادة قدس صـ ٤٩٢. أبو بكر الأنباري : الزاهر في معاني كلمات الناس ، مادة قدس جـ ١ صـ ٥٣ . الشيخ الطوسي : التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق : أحمد حبيب العاملي ، ط مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي – قم ، نشر دار إحياء التراث العربي– بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩هـ جـ ١ صـ ١٣٥ . الشيخ الطبرسي : تفسير مجمع البيان ، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات –بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م جـ ١ صـ ١٤٩ .

(٤) محمد بن أبي نصر الأزدي الحميدي : تفسير غريب ما في الصحيحين ، ط مكتبة السنة – القاهرة ، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م صـ ٣١ .

(٥) المرجع السابق : صـ ١٢٦ .

(٦) المرجع السابق: صـ ٢٦٢ .

(٧) الإمام بدر الدين العيني : شرح سنن أبي داود ، ط مكتبة الرشد – الرياض ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ /١٩٩٩ م جـ ٤ صـ ٧٩.

(٨) القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري : دستور العلماء جـ ١ صـ ٢٣٢.

الْقُرْآنُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ – تَعَالَى– : " وَفَوْقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَلِيمٌ"[1]"[2] ، وقوله – ﷺ – :" إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ : إِكْرَامَ ذي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الغالي فِيهِ ، والجافي عَنْهُ ، وَإِكْرَامَ ذي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ " [3] .

<u>أما التقديس المذموم للشخص :</u> " رفْعُ الشخص فوق منزلته التي أنزله الله إياها ، معتقداً أن له من القداسة الذاتية ، أو المكتسبة ، ما يستوجب الخضوع له ، والإذعان لأوامره ، دون عرضها على ميزان الكتاب والسنة [4] ؛ مع التَوجُّهِ إليه حياً ، أو ميتاً بأنواع العبادات التي يُتَوجَّه بها لغير الله [5] .

ويظهر للباحث مما سبق أن الضابط عند أهل السنة والجماعة في إطلاق التقديس على شيء : هو الوقوف على ما ورد فيه من الدليل السمعي ؛ كما جاء في وصف الوادي المقدس ، والأرض المقدسة ، ونحو ذلك ؛ " لأن الوصف بالتقديس حكمٌ ، وذلك لا يعلم إلا من جهة الشرع " [6] ، والله أعلم .

وكذلك يتبين : أن التقديس لله – عز وجل – وحده ذاتياً ، فهو المطهر من كل نقص ، والمنزه عن كل عيب ، والبعيد عن كل منقصة ، في أسماءه ، وصفاته ، وأفعاله ، وهو وحده – سبحانه

---

(١) سورة يوسف: آية رقم ٧٦.

(٢) الإمام مسلم : صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت ، دت جـ ١ صـ ٢ . أبو داود : سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، دت جـ ٤ صـ ٢٦١.

(٣) ابن أبي شيبة : المصنف ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، نشر مكتبة الرشد – الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩هـ جـ ٤ صـ ٤٤٠ . أبو داود : سنن أبي داود جـ ٤ صـ ٤١١.

(٤) السنة عند الشيعة : قول المعصوم ، أو فعله ، أو تقريره ، سواء كان نبياً ، أو إماماً . وعند أهل السنة : أقوال النبي ، وأفعاله ، وتقريراته وصفاته الخَلْقِية ، والخُلُقِية ، وسيره ، ومغازيه . انظر د علي جمعة : المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية ، نشر دار السلام – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م صـ ٢٤. البهسودي : مصباح الأصول ، المطبعة العلمية ، نشر مكتبة الدواري – قم ، ط٥ ، ١٤١٧هـ جـ ٣ صـ ٤١٣. عبد الحق البخاري الدهلوي : مقدمة في أصول الحديث ، تحقيق : سلمان الحسيني الندوي ، نشر دار البشائر الإسلامية – بيروت ، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م صـ ٣٣. د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ، نشر دار الحديث – القاهرة ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م صـ٤٠. د عمر الفرماوي: أصول الرواية عند الشيعة الإمامية ، ط مكتبة جزيرة الورد،نشر مكتبة الإيمان – المنصورة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م صـ ٥٤.

(٥) محمد أحمد لوح : تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ، ط دار ابن القيم– الدمام – السعودية ، دار ابن عفان – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م ، وأصل الكتاب رسالة ماجستير للمؤلف جـ ١ صـ ٤٥ . الشهيد الثاني " زين الدين العاملي " : البداية في علم الدراية ، تحقيق : محمد رضا الحسيني الجلالي ، ط النهضة ، منشورات الفيروز آبادي – قم ، ط١ ، دت صـ ٦ – ٧.

(٦) موسى بن عقيلي بن أحمد الشيخي : تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره ، رسالة ماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، بكلية الدعوة أصول الدين ، جامعة أم القرى – السعودية ، ١٤٢٩هـ صـ ٧٩ .

– الذي يقدس من يشاء ، وما شاء بفضله ، كما قدس الأرض المقدسة ، والوادي المقدس ، والأمم التي يؤخذ لضعيفها الحقَّ من قويها ، ويصل العبد إلى درجة القداسة بعد فضل الله وتوفيقه ، بعمله الصالح ، " فإن الأرض لا تقدس أحداً ، وإنما يقدس الإنسان عمله [1]، أي : لا تطهره من ذنوبه [2] ، بل الذي يرفعه عمله .

<u>**سادسا : نظرة في واقع التقديس عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية**</u> : حين ننظر للعقيدة الشيعية الاثني عشرية ، نجد أنها تقوم على أمرين مهمين يعدان في غاية الخطورة : أولهما : درجة القداسة التي يخلعونها على الإمام علي – رضي الله عنه – ونسله من بعده . ثانيهما : أنهم يعتمدون فقط على الأحاديث التي رويت عن الإمام علي ، والسيدة فاطمة الزهراء[3] – رضي الله عنهما – ونسلهما ، ويرفضون رواية رواة الحديث من غيرهم [4] .

فمن العقائد التي خالف فيها الشيعة أهل السنة [5] : الغلو في الأشخاص ، وتقديسهم ، والقول بعصمتهم ، أو علمهم الغيب ، وتقديس الأشياء ، والموروثات ، والآثار ، والأحجار ، ونحوها [6] . فالإمام ناحيته مقدسة [1]، وأقواله ، وأفعاله ، وتوقيعاته مقدسة ، ورسائله مقدسة[2]، ومدينته مقدسة ، ومكان دفن أئمتهم روضة كروضة النبي – ﷺ – مقدسة [3]، والمشاهد المبنية على قبورهم

---

(١) روي عن سلمان الفارسي – رضي الله عنه – في رسالة جاءته من أبي الدرداء – رضي الله عنه – يدعوه لزيارة الأرض المقدسة فأجابه بهذه الإجابة . انظر الإمام مالك : الموطأ ، ط دار الحديث – القاهرة ، ط٤ ، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م جـ ٢ صـ ٥٨٩ .

(٢) نص تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي : على موطأ مالك . انظر الإمام مالك : الموطأ جـ ٢ صـ ٥٨٩.

(٣) فَاطِمَةُ : بِنْتُ رَسُوْلِ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– سَيِّدَةُ نِسَاءِ العَالَمِيْنَ فِي زَمَانِهَا ، البَضْعَةُ النَّبَوِيَّةُ ، وَالجِهَةُ المِصْطَفَوِيَّةُ ، أُمُّ أَبِيْهَا ، مَوْلِدُهَا قَبْلَ المَبْعَثِ بِقَلِيْلٍ ، وَتَزَوَّجَهَا الإِمَامُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ ، بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ فَوَلَدَتْ لَهُ الحَسَنَ ، وَالحُسَيْنَ ، وَمُحْسِناً ، وَأُمَّ كُلْثُوْمٍ ، وَزَيْنَبَ. وَمَنَاقِبُهَا غَزِيْرَةٌ ، ماتت بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – بستة أشهر تقريباً . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢صـ ١١٩–١٣٤.

(٤) د ناصر العقل : دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ، ط مركز الدراسات والإعلام دار أشبيليا – الرياض ، ط١ ، ١٤١٨ هـ /١٩٩٧م صـ ١٥١–١٥٢ بتصرف .

(٥) أهل السنة : قال ابن حزم : هم الصحابة ، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين ، وأصحاب الحديث ، ومن تبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا ، ومن اقتدى بهم ، وقال ابن تيمية : من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة ؛ فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة ، وقد يراد به : أهل الحديث والسنة المحضة ؛ فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ، ويقول : إن القرآن غير مخلوق ، وإن الله يُرى في الآخرة ، ويثبت القدر ، وغيرها من الأصول ، ومن ألقابهم : أصحاب الحديث والأثر ، السلف الصالح ، الفرقة الناجية المنصورة . انظر محمد ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، نشر مكتبة الخانجي – القاهرة ، دت جـ ٢ صـ ١١٣. ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ، ، تحقيق : د محمد رشاد سالم ، ط مؤسسة قرطبة – القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٦هـ جـ ٢ صـ ٢٢٠. د علي الصلابي : عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين ، نشر مؤسسة اقرأ – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م صـ ١٦ – ١٨ بتصرف .

(٦) د ناصر العقل : دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها صـ ١٧٤.

مقدسة[٤]، وتربة قبورهم تربة مقدسة [٥]، ومكان إقامة أئمتهم وفقهائهم زاوية مقدسة [٦]، وعتباتهم مقدسة [٧]، وحضرتهم حضرة مقدسة [٨]، وأضرحتهم مقدسة [٩]، وشريعتهم مقدسة [١٠] ، وعقيدتهم مقدسة [١١] ، ونفس النبي – ﷺ – والأئمة – عليهم السلام – مقدسة [١٢] ، وأرواحهم وأرواح شيعتهم مقدسة [١٣] ، وذواتهم مقدسة [١٤] ، ولو تتبعنا التقديس لطال المقام بنا ولكن نترك التفصيل لفصول البحث .

واعلم أن هذا التقديس بدأ من زمن الإمام علي – رضي الله عنه – حيث صح في الحديث أنه جَاءَ نَاسٌ مِنَ الشِّيعَةِ إِلَى عَلِيٍّ ، فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ هُوَ ؟ قَالَ : مَنْ أَنَا ؟ قَالُوا : أَنْتَ هُوَ؟ قَالَ : وَيْلَكُمْ مَنْ أَنَا ؟ قَالُوا : أَنْتَ رَبُّنَا ، قَالَ : ارْجِعُوا ، فَأَبَوْا ؛ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ ، ثُمَّ خَدَّ لَهُمْ

---

(١) علي بن بابويه القمي : فقه الرضا ، نشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا – مشهد – إيران ، ط١، ١٤٠٦هـ صـ ٣٢. الشيخ الصدوق : الهداية صـ ٣٧. الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٣ . الشيخ الطوسي : الرسائل العشر صـ ١٨.

(٢) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ١١ .

(٣) الشريف المرتضى : الانتصار صـ ١١. المحقق الأردبيلي : رسالتان في الخراج ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١، ١٤١٣هـ صـ ٤.

(٤) الشيخ حمزة بن عبد العزيز الديلمي : المراسم العلوية في الأحكام النبوية ، تحقيق : السيد محسن الحسيني الأميني ، ط أمير ، نشر المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت – قم ، ط١ ، ١٤١٤هـ صـ ٦٥. أبو جعفر محمد ابن إدريس الحلي : السرائر جـ ١ صـ ٣٩٠.

(٥) الشيخ حمزة بن عبد العزيز الديلمي : المراسم العلوية في الأحكام النبوية صـ ٦٦. الشهيد الأول " محمد بن مكي العاملي " : الألفية والنفلية ، تحقيق : علي الفاضل القائيني النجفي ، نشر مكتب الإعلام الإسلامي – قم ، ط١ ، ١٤٠٨هـ صـ ١٢٠.

(٦) الشيخ الطوسي : الرسائل العشر صـ ٣٩.

(٧) الشيخ الطوسي : النهاية في مجرد الفقه والفتاوى ، انشارات قدس محمدي – قم ، دت صـ ٥. المحقق نجم الدين جعفر بن الحسن الهذلي الحلي : النهاية ونكتها ، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بالحوزة العلمية – قم ، ط١ ، ١٤١٢هـ صـ ٧.

(٨) المحقق الحلي : المعتبر جـ ١ صـ ٩. الفاضل الآبي : كشف الرموز جـ ١ صـ ١٩. المحقق الكركي : رسائل الكركي جـ ٢ صـ ٢٨٩.

(٩) المحقق الحلي : شرائع الإسلام جـ ١ صـ ٤٢. الشهيد الأول : الدروس الشرعية في فقه الإمامية ، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بالحوزة العلمية – قم ، ط٢،١٤١٧هـ جـ ١ صـ ١٢٤.

(١٠) العلامة الحلي : الرسالة السعدية ، تحقيق : عبد الحسين محمد بقال ، ط بهمن – قم ، ط١ ، ١٤١٠هـ صـ ٢٨.

(١١) العلامة الحلي : تلخيص المرام في معرفة الأحكام صـ ٩ .

(١٢) المحقق الكركي : جامع المقاصد ، ط مهر ، نشر مؤسسة آل البيت إحياء التراث – قم ، ط١ ، ١٤١١هـ جـ ١٢ شرح صـ ٦١.

(١٣) الشهيد الثاني " زين الدين بن علي العاملي " : الفوائد الملية لشرح الرسالة النفلية ، تحقيق : محمد حسين مولوي ، وآخرون ، نشر مكتب الإعلام الإسلامي – قم ، ط١ ، ١٤٢٠هـ / ١٣٨٧ش صـ ٤ .

(١٤) الشهيد الثاني : روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان ، نشر مكتب الإعلام الإسلامي – قم ،ط١، ١٤٢٢هـ/١٣٩٠ش جـ ١ صـ ٢١.

فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ أَحْرَقَهُمْ بِالنَّارِ [1] ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ ؛ فَقَالَ : لَمْ أَكُنْ لِأُحْرِقَهُمْ بِالنَّارِ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ : لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ ، وَكُنْتُ قَاتِلَهُمْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – : مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا – عَلَيْهِ السَّلَام – ؛ فَقَالَ : وَيْحَ ابْنِ عَبَّاسٍ " [2] ، وأمر بجلد الذين فضلوه على أبي بكر[3] وعمر[4] [5] .

وبقيت هذه النزعةُ في الفكر الشيعي ، حتى نمت وترعرعت في حنايا عقائدهم ، وعقول علمائهم ، وعوامِّهم ، حتى صارت في أهل البدع ، والمقابرية ، فيما بعد ، ثم صارت سمة لأهل الأهواء غالباً[6] .

ونعتذر للشيعة في تقديس آل البيت – عليهم السلام – [7] ، كما نعتذر عن عموم المسلمين ، لأن هذه النزعة إنما هي نابعة من النصوص التي جعلت لهم خصوصية وميزة ترفعهم فوق جميع

---

(١) أبو سعيد بن الأعرابي : معجم ابن الأعرابي ، تحقيق وتخريج : عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني ، نشر دار ابن الجوزي – السعودية ، ط١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م جـ ٢ صـ ٧٦٧ .

(٢) أبو داود السجستاني : السنن جـ ٤ صـ ١٢٦. البيهقي : السنن الكبرى جـ ٨ صـ ٣٣٨. وصححه الدارقطني : سنن الدارقطني ، تحقيق : شعيب الارنؤوط ، وآخرون ، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م جـ ٤ صـ ١٠٨ – ١٠٩ .

(٣) أبو بكر الصديق : هو عبد الله ، أو عتيق بن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشي التيمي ، سمي عتيقاً ؛ لجمال وجهه ، ولد ٥١ قبل البعثة ، وهو أول من آمن من الرجال ، أول مبشر بالجنة من العشرة ، أحب الناس لرسول الله ، ولولا خلة الله لنبيه لكان خليل النبي دون أمته كلها ، بطل حروب الردة ، ووائد فتنتها ، أول خليفة للمسلمين توفي ١٣هـ . انظر الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ١١٩– ١٢٠.

(٤) عمر بن الخطاب : بن نفيل القرشي العدوي الفاروق ،كنيته : أبو حفص ، أسلم ٦من البعثة ، وله ٢٧ سنة ،كان محدثاً ملهماً من الله ، ثاني الخلفاء ، وثاني العشرة المبشرين بالجنة ، لم يزل الإسلام مختفياً حتى أسلم ،كان إسلامه فتحاً ، ونصراً ،كان عدلا يضرب بعدله المثل ، فتح الفتوح ، ومصر الأمصار ، ودون الدواوين ، قتل شهيداً سنة ٢٣هـ . الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ١٢١.

(٥) رجب البنا : كتاب الشيعة والسنة واختلافات الفقه والفكر والتاريخ ، ط دار المعارف المصرية ، ط٢ ، ٢٠٠٥م صـ ١٠٦.

(٦) د ناصر العقل : دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها صـ ٢٢٤ بتصرف .

(٧) عليه السلام : قال النووي في الروضة : الصحيح الأشهر أن الصلاة على غير الأنبياء والملائكة بالاستقلال مكروه كراهة تنزيه ؛ لأنه شعار أهل البدع ، وقد نهينا عن شعارهم ، ولا خلاف أنه يجوز أن يجعل غير الانبياء تبعاً لهم ، فيقال : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، وأصحابه ، وأزواجه ، وأتباعه ؛ لأن السلف لم يمتنعوا منه . وقال المتولي : لا تجوز الصلاة على غير الأنبياء ابتداءً . قلت : ومجمل آراء الشافعية أربعة أوجه ١– (أصحها) مكروه ٢– حرام ٣– خلاف الاولي ٤– مستحب عند أخذ الصدقة ، وأما السلام قال : الجويني : أنه في معنى الصلاة ، فلا يستعمل في الغائب ، ولا يفرد به غير الانبياء ، فلا يقال : علي – عليه السلام – وسواء في هذا الاحياء والاموات ، إلا في الحاضر ؛ فيقال : السلام أو سلام عليك أو عليكم ، وهذا مجمع عليه ا هـ . وقال أبو حنيفة – رحمه الله – : " لا يصلي على غير الأنبياء والملائكة " .

الناس ، التي دفعت بجماهير أهل السنة إلى تخطي حواجز السياسة ، وقيود الفقهاء ، والاتجاه بعواطفها ، ومشاعرها نحوهم ، فعلى الرغم من محاولات التأويل [1] ، والتحريف [2] للنصوص الواردة فيهم ، غزت حقيقتهم القلوب ، وشع نورهم بين الدروب ، وبرزت مكانتهم ساطعة كالشمس ؛ لتتلاشى أمامها كل خيوط الظلام ، فظهرت الطرق الصوفية ؛ لتعبر عن هذا الحب الجارف لآل البيت ، الذي يعكس قداستهم ، ولكن الشيعة زادت : أنهم معصومون ، لا يقاس بهم أحد ، وأنهم اثنا عشر إماماً [3].

من مظاهر التقديس : تقديس الأشخاص : فالشيعة أقاموا مذهبهم على أشخاص محددة هم : الإمام علي بن أبي طالب ، والسيدة فاطمة الزهراء- رضي الله عنهما- ونسلهما ، وأحاطوهم بقداسة كبرى [4] ، وفي عقائد الشيعة : مكانة قدسية خاصة للسيدة فاطمة الزهراء ، ويعتبرونها

وذَهَب غَيْرُهُم إِلَى أَنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ وَهُوَ الْأَكْثَرُ مِنْ مَذَاهِبِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، إِلَّا أَنْ يَمْنَعَ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قوله تعالى : " هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ " الأحزاب : ٤٣ ، وَقَوْلُهُ – صلى الله عليه وسلم -:" اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ " ، وَفِي الْجُمْلَةِ إِنَّ اسْتِعْمَالَ هَذِهِ اللَّفْظَةِ إِنْ خِيفَ مِنْهُ الْإِبْهَامُ امْتُنِعَ مِنْهُ ، وَإِنْ أُمِنَ ذَلِكَ فَلَا بَأْسَ بِهِ مَا لَمْ يُمْنَعْ بِتَوْقِيفٍ أَوْ اتِّفَاقٍ .

قلت : الصلاة بمعنى الدعاء : يجوز على كل أحد ، أما بمعنى : التعظيم والتكريم ، فيختص به الأنبياء – عليهم السلام – ، وأمَّا مبالغة الفقهاء في منع الصلاة على غير الأنبياء أكثر منها في منع السلام . انظر الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٢ صـ ١٢٩. محي الدين النووي : روضة الطالبين وعمدة المفتين ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود – على محمد معوض ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، د ت جـ ٢ صـ ٦٩. زكريا الأنصاري : أسنى المطالب في شرح روض الطالب ، تحقيق : د محمد محمد تامر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٠م جـ ١ صـ ٣٦١. النووي : المجموع ، نشر دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٧م جـ ٦ صـ ١٧١ – ١٧٢. علاء الدين بن عابدين : حاشية قرة عيون الاخيار تكملة رد المحتار على الدر المختار ، دار الفكر – بيروت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م جـ ١ صـ ٣٤٤.

(١) التأويل : لغة التفسير ، ورجوع الشيء إلى أصله ، وله ثلاث معان في الاصطلاح : الأول : بمعنى الحقيقة التي يؤل إليها الشيء ، فتأويل صفات الله : حقيقة الله ، الثاني : بمعنى التفسير ، والبيان ، الثالث : بمعنى صرف الكلام عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح ؛ لدليل يقترن به ، فإذا كان الدليل الصارف عن المعنى الراجح صحيحاً ؛ كان التأويل صحيحاً ، وإلا ففاسد . ابن العطار : الاعتقاد الخالص ، هامش صـ ١٢٩-١٣٠. الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١صـ ١٨٠.

(٢) التحريف : العدول بالكلام عن وجهه ، وصوابه إلى غيره ، وهو نوعان : لفظي ، مثل نصب لفظ الجلالة ، في قوله تعالى :" وَكَلَّمَ اللَّهَ مُوسَى تَكْلِيمًا " الأعراف : ١٦٤، وتحريف معنى : مثل تفسير استوى باستولى . علاء الدين بن العطار : الاعتقاد الخالص صـ ١٣١ بتصرف .

(٣) صالح الورداني : عقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب والتباعد ، ط عربية ، نشر مكتبة مدبولي الصغير- القاهرة ، ط١ ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م صـ ٢١٣ – ٢١٧ بتصرف .

(٤) رجب البنا : الشيعة والسنة واختلافات الفقه والفكر والتاريخ صـ ٤٦ – ٤٨ .

البرهان على الحق الإلهي للإمام علي ، وأنها الشهادة الكبرى من الرسول – ﷺ – على أحقيته في الخلافة في الدين والدنيا [1].

ومنها : تقديس الأئمة والفقهاء : فإن من يدرس تاريخ الشيعة ؛ يجد نفسه أمام أقوال كثيرة ؛ تُظْهِر تقديس الأئمة [2]، بل إن الشيعة لم تكتف بتقديس الأئمة من آل البيت – عليهم السلام– ، بل لقد رُبَّوا على تقديس العلماء ، أو من تشبه بهم من الفقهاء ، والرهبةِ منهم ، حتى صاروا يعاملونهم معاملة المعصومين ، ويعتبرون كل رد عليهم عداوة لآل البيت–عليهم السلام– ، وانتقاماً من الأئمة المعصومين ، ويصفون الهجوم على قداسة المراجع ، وعلماء الدين بأنه : تشكيك في مقامات الأئمة المعصومين وقداستهم – صلوات الله عليهم – ، وما هي إلا حلقات من برنامج الانتقام من آل البيت [3].

ولكن لم يدر عوامٌّ الشيعة أن هؤلاء المراجع قد بثوا فيهم فتنة عبادة أناسٍ ؛ لأجل أنسابهم ، وتقديس أناس لأحسابهم ، وجعْلِ سعادة الدراين بوساطتهم عند الله ؛ لاعتقادهم تأثير الأئمة في علمه وإرادته [4].

ومنها: تقديس الكذب : ولما كان عليهم أن يثبتوا ما سبق من أقوال أئمتهم المعصومين ، ولما لم يجدوا لذلك سبيلا ، بالغوا في تقديس الكذب الذي : " أعطوه صبغة التقديس ، والتعظيم ، وسموه بغير اسمه : التقية ، وبالغو في التمسك بها ، حتى جعلوها أساساً لدينهم ، وأصلاً من أصولهم [5] ، ثم تطور أمرهم ، حتى كثرت دعاوى النبوة فيهم ، ولعل من أسباب ذلك : كثرة الجهل فيهم ، وفساد عقائدهم ، وتقديسهم لآل البيت ، ونحو ذلك من عقائدهم الفاسدة التي تهيئ للدجل والكذب [6] .

ويرجع ذلك أيضا إلى :" ما يضفيه القِدَمُ عادة من الغلو في تقديس البشر لكل ما هو عريق فيه ، وإعطاء أصحابه قيمة لا يحلم بها الأحياء من الناس ، مما يُزَّهِد الأحياء في إعمال أفكارهم [7] .

---

(١) المصدر السابق : صـ ٤٦ – ٤٨ بتصرف .

(٢) المصدر السابق : صـ ٢١ – ٢٢ بتصرف .

(٣) الحر العاملي : نظرات إلى المرجعية ، نشر دار السيرة – بيروت – ط١ ، دت صـ ٦ بتصرف .

(٤) إحسان إلهي ظهير : بين الشيعة والسنة ، ط دار ابن حزم – القاهرة ، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م صـ ٤٠ ، نقلا عن تاريخ الصحافة الإسلامية لأنور الجندي بتصرف.

(٥) إحسان إلهي ظهير : الشيعة والسنة ، نشر دار ابن حزم – القاهرة ، ط١ ، ١٤٣٠هـ /. ٢٠٠٩م صـ ١٣٧ بتصرف .

(٦) د ناصر العقل : دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها صـ ٢٤٦ بتصرف .

(٧) السيد محمد تقي الحكيم : الأصول العامة للفقه المقارن ، نشر مؤسسة آل البيت – النجف ، ط٢ ، ١٩٧٩م صـ ٦٥٦ .

ونظموا في ذلك الأشعارَ، والمنظوماتِ ، مثل قصيدة : " تقديس الأنبياء ، وتمجيد الأوصياء " ، وهي قصيدة شعرية طويلة ، باللغة الفارسية ، تقرب من اثني عَشَرَ ألفَ بيتٍ ، مرتبة على فاتحة ، وتقديسات ، كل تقديس مرتب على تمجيدات في تنزيه الأنبياء ، والأوصياء- عليهم السلام- وإثبات عصمتهم [١] .

ويستميتون في الدفاع عن تقديسهم لأئمتهم ، دفاعا ويبحثون عن أدلة عقلية ونقلية ، كأن أهل السنة لا يقرون بهذه الفضائل لآل البيت – عليهم السلام- .

ولم يكتفوا بذلك ؛ بل ادَّعواْ على أهل السنة تقديسهم لأشخاص من الصحابة ، أكثر من آل البيت – عليهم السلام – ، بل وادَّعوا على كتب السنة الحطَّ من شأن آل البيت – عليهم السلام – [٢].

ويدعون : أن أهل السنة يقدسون علماءهم ، ويقلدونهم تقليداً أعمي ، ويصورون أهل السنة كأنهم عبيد لهؤلاء الأعلام ، يأخذون أقوالهم بنوع من العصمة ، مثلما يتعاملون مع نصوص أئمتهم[٣] ؛ – فكأنما رمتهم بدائها وانسلت – ، ويدعون : أن أهل السنة ضلوا وأضلوا في تقديسهم للبغاة ، والطلقاء [٤] – كما يدعون – [٥] ، يعنون بذلك مسلمة الفتح .

بينما من غريب اعترافهم : أنهم يثْبِتُون : إجماع المسلمين على تقديس الحسين – رضي الله عنه – كلٌّ على طريقته ؛ فيقولون : " فلن تجد بين المسلمين من ينكر عليه شيئاً من هذه المآثر ، وإن كان ممن لا يدين بخلافته ، فما كانت الأمة تتفوه بشيء حول نهضته القدسية قبل التنقيب والنظر، وقد نقبوا ، وترووا فيها ، فوجدوها طبقاً لصالح المجتمع ، فلم يسمع من أحدهم غيرُ تقديسٍ ، أو إكبارٍ [٦] .

ومن غير تعليق يعترفون : بأن الجو العام على عهد الصحابة – رضي الله عنهم – كان يتعطر هواؤه بتقديس آل البيت –عليهم السلام – " لأن الفكرة العامة التي أجمعت على تقديس أهل البيت

---

(١) آقا بزرك الطهراني : الذريعة ، نشر دار الأضواء – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م جـ ٢٦ صـ ٢٢٣ .

(٢) الشيخ باقر شريف القرشي: حياة الإمام الحسين ، ط مطبعة الآداب — النجف — العراق ، ط١ ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م جـ ٢ صـ ١٥٩ .

(٣) الشيخ العاملي : الانتصار ، نشر دار السيرة — بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م جـ ٢ صـ ٣٨٦ – ٣٨٩ بتصرف.

(٤) الطلقاء : همُ الَّذين خَلَّى عنهم يوم فَتْح مكة وأطْلَقهم فلم يَسْتَرِقَّهم . أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري : النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، نشر المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م جـ ٣صـ ٢٩٩.

(٥) المرجع السابق : جـ ٦ صـ ١٥٣

(٦) الشيخ الأميني : الغدير ، نشر دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٤ ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م جـ ٣ صـ ٢٦٤.

، والاعتراف لهم بالامتياز العظيم ، بقربهم من رسول الله – ﷺ – كانت سنداً قوياً للمعارضة "[١] ، يعني : معارضة خلافةِ أبي بكرٍ – رضي الله عنه – .

ومنها: تقديس الأضرحة والمشاهد : أنهم يفتخرون بتقديس المصريين لمشهد الإمام الحسين[٢] في القاهرة ، وويدعون أن المصريين بلغوا في ذلك أشد ألوان التقديس ، رغم كون وجود رأسه فيه مختلف فيه [٣] ، ثم يطلبون ممن يخطئونهم ألا يلومهم " في تقديس منازل أئمتهم وبيوتهم التي أذن الله تعالى أن ترفع ، ويذكر فيها اسمه "[٤].

ومنها: تقديس التنقص من غيرهم : فإنهم يعيبون على أهل السنة حين يقولون : إن تقديس البشر ينقص من تقديس رب البشر ، فيقولون : " لن نقاومَ تقديسَ الأولياءِ ، والأئمةِ ، والأنبياءِ ، بحجة أنه يتنافى مع تقديس الله – تعالى – وتوحيدهِ ، فهم ليسوا حفنة من رسل الصحراء فقط [٥] ، فإن على من تحجبه الشجرة عن رؤية الغابة ، أن يعذر من يرى الشجرة والغابة معاً ، والجبال والسماء ، وعلى من يرى أن تقديس العلماء والأولياء والأئمة والأنبياء والعيش في عوالمهم ، مانعاً[٦] من تقديس الله تعالى وتوحيده ، أن يعذر من يرى ذلك درجات من التعظيم شرعها الإسلام ؛ لتنتظم بها الحياة ، وتفتح الطريق إلى تعظيم ، وتقديس ، وتسبيح الذي ليس كمثله شيء تبارك

---

(١) السيد محمد باقر الصدر: فدك في التاريخ ، نشر مركز الغدير للدراسات الإسلامية – النجف ، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م صـ ٨٨.

(٢) الحسين بن علي : بن أبي طالب – عليه السلام – الإمام الشهيد ، سيد شباب أهل الجنة ، كنيته : أبو عبد الله ، ولد بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة ، وقيل : أربع ، ولا نحفظ له حديثا عن رسول الله – ﷺ – ، أشبه الناس بالنبي – ﷺ – ، وقبض بكربلاء قتيلاً ، عاشر المحرم ، سنة إحدى وستين من الهجرة ، وله ثمان وخمسون سنة ، وقيل : عن ست وخمسين سنة ، قبره بالطف بكربلاء ، قال الفيلسوف الألماني ماربين :" لم يذكر لنا التاريخ رجلاً ألقى بنفسه ، وأبنائه ، وأحب الناس إليه في مهاوي الهلاك إحياء لدولة سلبت منه إلا الحسين ؛ ليكون مقتله ذكرى دموية لشيعته ينتقمون بها من بني أمية ". انظر ابن خياط : الطبقات ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، ط دار طيبة – الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م صـ ٥. العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢صـ ١٢١ – ١٢٢. أبو الفرج الجوزي : صفة الصفوة ، تحقيق : محمود فاخوري ، د محمد رواس قلعجي ، نشر دار المعرفة – بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م جـ ١ صـ ٧٦٢. الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ١٦٠.

(٣) الشيخ العاملي : الانتصار جـ ٩ صـ ٢٦.

(٤) الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ، نشر دار الأضواء – بيروت ، ط١، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م صـ ٥٤ بتصرف .

(٥) نعوذ بالله من هذا الوصف للأنبياء الله – عز وجل – ورسله ! .

(٦) المانع : هو ما يلزم من وجوده عدم الحكم ، أو بطلان السبب ، فرتب الشارع على وجوده العدم ، ولا يلزم من عدمه وجود ، ولا عدم لذاته . انظر د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه صـ ١٤١. أيمن بن علي موسى : غاية المأمول في شرح البداية في الأصول ، نشر دار بن رجب ، دار الفؤاد – القاهرة ، ط١ ، ١٤٣٣هـ /. ٢٠١٢م صـ ١٦٤ بتصرف .

وتعالى" [١] ، و" لئن بقي بعض الناس يصر على موقفهم من تقديسنا لفاطمة الزهراء – عليها السلام –، وعصمتها ؛ فإنا ندعوا لهم بالهداية – إذا كان عندهم قابلية لذلك – وإلا فحسابهم على الله ، ولنا معهم موقف يوم القيامة [٢] .

واتهموا الصحابة ، ومن تبعهم من العلماء : بمحاولة النيل ، والتنقيص من قداسة الإمام علي – رضي الله عنه– في نفوس الناس ، والوجدان الشعبي ؛ وذلك لأنهم لن يستطيعوا أن يواجهوا الإمام علياً – عليه السلام– إلا بتهديم تلك القداسة في الأذهان ، والنيل من هالته في الوجدان الشعبي ، عبر عمل دَعَائِيّ مُكَثَّفٍ [٣] .

ومنها: تقديس التربة المتخذة من القبور : أن ادعوا أن التقديس عادة الصحابة والتابعين [٤]؛ لأن " تقديس تربة الشهداء ، وتربة قبر النبي – ﷺ – ، وتربة قبور بعض الصحابة أيضاً ، والاستشفاء بها ، عادة مألوفة عند المسلمين الأولين ، فلما استشهد حمزة [٥] ، صاروا يأخذون من تربته للاستشفاء ، ومعالجة الصداع ، ويتبركون ، ويتداوون بتراب حرم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وقبور بعض الصحابة مثل صهيب الرومي [٦] وغيره ، وأول من صلى على تربة كربلاء هو : الإمام زين العابدين علي بن الحسين – عليه السلام – [٧] ، وهو : أول من حملها معه ؛

---

(١) الشيخ على الكوراني العاملي : عصر الظهور ، نشر مكتب الإعلام الإسلامي – قم ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ ص ٣٣٨ – ٣٣٩ بتصرف.

(٢) السيد جعفر مرتضى : خلفيات كتاب مأساة الزهراء ، نشر دار السيرة – بيروت ، ط٥ ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م جـ ١ ص ٤٩٢ بتصرف.

(٣) السيد محمد الريشهري : موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ ، نشر دار الحديث للطبع والنشر – قم – إيران ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م جـ ٦ ص ٣٩-٤٠ بتصرف .

(٤) التابعي : من صحب الصحابي ، أو لقيه وروى عنه ، وإن لم يصحبه ، ولا تكفي الرؤية بالبصر ،كما تكفي رؤية الصحابي للنبي ؛ لشرف وعظم رؤيته – ﷺ – بخلاف غيره . انظر الحافظ ابن كثير : الباعث الحثيث ص ١٦٦ – ١٦٧ بتصرف .

(٥) حمزة بن عبد المطلب : بن هاشم بن عبد مناف ، الإمام البطل ، أسد الله البدري ، عم الرسول – ﷺ – ، وأخوه في الرضاعة ، لما أسلم أعز الله الإسلام ، وسماه النبي ﷺ : سيد الشهداء ، وأسد الله ، قتل يوم أحد ٣هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ص ١٠٤-١١٠بتصرف.

(٦) صهيب الرومي : أبو يحيى صهيب بن سنان النمري ، يعرف بالرومي ؛ لأنه سبي وهو صغير في نينوى ، فبقي مدة في بلاد الروم ، ثم جلب إلى مكة ، فاشتراه عبد الله بن جدعان ، وكان ممن اعتزل الفتنة ، ولما طعن عمر استخلفه على الصلاة لحين انتهاء الشورى ، توفي بالمدينة ٣٨هـ وله ٧٣سنة . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ ص ٣٥٢-٣٥٨ بتصرف .

(٧) علي بن الحسين زين العابدين – عليه السلام – كنيته : أبو محمد ، وأَبو الحُسَيْنِ ، وأَبُو الحَسَنِ ، وأَبُو عَبْدِ اللهِ . وَأُمُّهُ : أُمُّ وَلَدٍ ، اسْمُهَا : سَلاَّمَةُ ، أو سُلاَفَةُ بِنْتُ مَلِكِ الفُرْسِ يَزْدَجِرْدَ بن كسرى ، وَقِيْلَ : غَزَالَةُ ، وقيل : شاه زنان ، وُلِدَ ٣٨هـ ، وقيل : ٣٣هـ،كَانَ مع أَبِيْهِ يَوْمَ كَرْبَلاَءَ ، وَلَهُ ثَلاَثٌ وَعِشْرُوْنَ سَنَةً ، وَلَمْ يُقَاتِلْ ، وهُوَ عَلِيٌّ الأَصْغَرُ ، وَأَمَّا أَخُوْهُ عَلِيٌّ الأَكْبَرُ ، فَقُتِلَ مَعَ أَبِيْهِ بِكَرْبَلاَءَ ، وَكَانَ عَلِيٌّ

ليصلي عليها في المدينة ، وصنع منها سبحة يسبح بها ، وسجادة يسجد عليها ، ويعالج بعض مرضى عائلته بها ، ثم تلاه ولده الباقر [1] – عليه السلام – ، فبالغ في حث أصحابه عليها ، ونشر فضلها ، وبركتها ، ثم زاد على ذلك ولده جعفر الصادق [2] – عليه السلام – ، فإنه نوه بها لشيعته ، وكان إذا حضرته الصلاة نصب سجادته ، ووضع قطعة من تربة الحسين –عليه السلام– عليها ، وسجد عليها ، ثم يقول إن السجود على تربة أبي عبد الله – عليه السلام – يخرق الحجب ، ولم تزل الأئمة تحرك العواطف ، وتحفز الهمم ، وتوفر الدواعي إلى السجود

بنُ الحُسَيْنِ ثِقَةً ، مَأْمُوْناً ، كَثِيْرَ الحَدِيْثِ ، عَنِ الزُهْرِيِّ ، قَالَ : مَا رَأَيْتُ قُرَشِياً أَفْضَلَ مِنْ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ ، كَانَ يَخْرُجُ عَلَى رَاحِلَتِهِ إِلَى مَكَّةَ ، وَيَرْجِعُ لاَ يَقْرَعُهَا ، وَكَانَ يُجَالِسُ أَسْلَمَ مَوْلَى عُمَرَ، فَقِيْلَ لَهُ : تَدَعُ قُرَيْشاً ، وَتُجَالِسُ عَبْدَ بَنِي عَدِيٍّ! فَقَالَ : إِنَّمَا يَجْلِسُ الرَّجُلُ حَيْثُ يَنْتَفِعُ ، عَنْ يَحْيَى بنِ سَعِيْدٍ سَمِعْتُ عَلِيَّ بنَ الحُسَيْنِ يَقُوْلُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَحِبُّونَا حُبَّ الإِسْلاَمِ ، وَلاَ تُحِبُّوْنَا حُبَّ الأَصْنَامِ ، فَمَا زَالَ بِنَا حُبُّكُم حَتَّى صَارَ عَلَيْنَا شَيْناً ، وعاراً ، وقبض بالمدينة سنة خمس وتسعين ، وله سبع وخمسون سنة ، وقبره مع عمه الحسن – عليه السلام– بالبقيع . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤ صـ٣٨٦– ٣٩١ . العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢ صـ ١٢٢. الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ١٩٩.

(١) محمد بن علي : بن الحسين – عليه السلام – ، باقر علم الأولين والآخرين ، وقيل له الباقر لأنه توسع في العلم ، كنيته أبو جعفر ، ولد بالمدينة ٥٧هـ ، وقيل : ٥٦هـ ، جَمَعَ بَيْنَ العِلْمِ وَالعَمَلِ ، وَالسُّؤْدُدِ ، وَالشَّرَفِ ، وَكَانَ أَهْلاً لِلْخِلاَفَةِ ، نُحِبُّهُ فِي اللهِ ؛ لِمَا تَجَمَّعَ فِيْهِ مِنْ صِفَاتِ الكَمَالِ ، عَنْ سَالِمِ بنِ أَبِي حَفْصَةَ : سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ وَابْنَهُ جَعْفَراً عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَقَالاَ لِي : يَا سَالِمُ ، تَوَلَّهُمَا ، وَابْرَأْ مِنْ عَدُوِّهِمَا ، فَإِنَّهُمَا كَانَا إِمَامَيْ هُدَىً ، عَنْ بَسَّامٍ الصَّيْرَفِيِّ فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لأَتَوَلاَّهُمَا، وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمَا، وَمَا أَدْرَكْتُ أَحَداً مِنْ أَهْلِ بَيْتِي إِلاَّ وَهُوَ يَتَوَلاَّهُمَا . زوجته : أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – ، عن جابر قال لي محمد بن علي : يا جابر بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون : أنهم يحبونا ، وينالون من أبي بكرٍ وعمر ، ويزعمون : أني أمرتهم بذلك ، فأبلغهم : أني إلى الله منهم بريء ، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم ، لا نالتني شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر لهما ، وأترحم عليهما ، إن أعداء الله لغافلون عنهما ، مات في سنة ١١٧هـ ، وقيل : ١١٨هـ ، وقيل: ١١٤هـ ، وهو ابن ٧٣سنة ، وقيل : ٨٥، وقبره بالبقيع . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤ صـ٤٠١– ٤٠٣. أبو الفرج الجوزي : صفة الصفوة جـ ٢صـ ١٠٨– ١١٢ . العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢صـ ١٢٣. الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ١٧٦.

(٢) جعفر بن محمد الصادق – عليه السلام – : سمي بالصادق ؛ لأنه لم يؤثر عليه كذبةً قطُ ، من عباد أتباع التابعين ، وعلماء أهل المدينة ، صدوق ، فقيه ،كنيته : أبو عبد الله ، ولد بالمدينة ٨٣هـ ، أمه : أم فروة بنت القاسم بن محمد النجيب بن أبي بكر ، وأمها : أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ؛ فكان يقول : ولدني أبو بكر مرتين ، كان يقول : ما أرجو من شفاعة على شيئاً ، إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله ، كان مشغولا بالعبادة عن الرياسة ، وعن عمرو بن أبي المقدام قال : كنت إذا نظرت إلى جعفر علمت أنه من سلالة النبيين ، كان يطعم حتى لا يُبْقِي لعياله شيئاً ، قال الشافعي ، وابن معين : ثقة ، وقبض بالمدينة ١٤٨هـ ، وله خمس وستون سنة ، وقبره مع أبيه وجده وعمه الحسن بن علي . انظر ابن الجوزي : صفة الصفوة جـ ٢صـ ١٦٨–١٧٤. السيوطي : إسعاف المبطئ برجال الموطأ ، المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م صـ ٧. العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢صـ١٢٤. الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ٢١١–٢١٢.

عليها ، والالتزام بها ، وبيان تضاعف الأجر في التبرك بها ، حتى التزمت بها الشيعة إلى اليوم[1]
.

كما ندب[2] إلى ذلك الأئمة – عليهم السلام – ولذلك خص الشفاء في تربة الحسين – عليه السلام– ، وإجابة الدعاء تحت قبته ، وجعل الأئمة من ذريته [3] .
ويدعون أن عقيدة التقديس ما هي إلا نِتَاجٌ طبيعيٌ ، ومنشأُهَا إسلامي لم تكن يوماً متسربة للعقيدة الشيعية من العقيدة الفارسية [4] ، التي تقدس الحاكم ، ولا من اليهودية [5] كما يقول بعض الباحثين [6].

<u>ومنها تقديس الأماكن :</u> حتى لا تخلوا الأرض من موضع مقدس ، قدست مكة ؛ لأنها موضع مولد النبي – ﷺ – وقدست المدينة ؛ لأنها موضع هجرته ، والمسجد الأقصى ؛ لأنه معراجه [7].
فجعلوا تقديس مكة ليس لتقديس الله لها فحسب ، ولكن : قداسة مكة والداعي إلى الحلف بها هو احتضانها للنبي – ﷺ –؛ لأن الله حين أقسم في القرآن الكريم فقال: " وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ " [8] ، أي مقيم فيه ، وفي هذا تشريف لمكة ، بحلوله فيها ، وكونها : مولده ، ومقامه[9].

---

(١) السيد تحسين آل شبيب : مرقد الإمام الحسين ، ط مطبعة شريعت / دار الفقه – قم ، ط١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ص ٨٤-٨٧ .
(٢) الندب : هو طلب الشارع الفعل من المكلف طلباً غير حتم ، فلا يلحق بتركه ذم من غير بدل ، وهو ما في فعله ثواب امتثالاً ، ولا عقاب في تركه . انظر د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ص ١٢٩. أيمن موسى : غاية المأمول ص ٧٨. المحقق النراقي : عوائد الأيام ، ط مكتب الإعلام الإسلامي – قم ، ط١ ، ١٤١٧هـ / ١٣٧٥ش ص ٣٧٠.
(٣) أبو هاشم البحراني : الحدائق الناضرة ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، دت جـ ٧ص ٢٦١ بتصرف .
(٤) العقيدة الفارسية : المجوسية تسمى : لها الدين الأكبر ، والملة العظمى ، وهي عبادة النار ، والكواكب ، والنار عندهم جوهر شريف ؛ لأنها لم تحرق إبراهيم – عليه السلام – ؛ ويقال : إن لهم شبهة كتاب ، يقولون : للعالم أصلين مدبرين قديمين : النور إله الخير أزلي ، والظلمة إله الشر حادثة ، من فرقهم { الكيومرثية ، والزروانية ، والمسخية ، الزردشتية ، الثنوية ، والمزدكية ، والديصانية ، والمرقيونية ، والكينونية ، والصِّمامية ، والتناسخية } . ابن العطار : الاعتقاد الخالص ص ٣٤٧. الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٩٢- ٢١٥.
(٥) اليهودية : من هاد الرجل : تاب ، ورجع ، أمة يزعمون أنهم أتباع موسى ، ووصيه يوشع بن نون ،– عليهما السلام – كتابهم التوراة ، من فرقهم { الصدوقيون ، والفريسيون ، والربانيون ، القرائيون ، والسامرة ، والضانية ، والعنانية ، والعيسوية ، والمقاربة ، واليوذعانية ، والموشكانية ، والدوستانية ، والكوستانية } . ابن العطار : الاعتقاد الخالص ص ٢١٧. الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٧٣ – ١٨١.
(٦) الشيخ جعفر السبحاني : أضواء على عقائد الشيعة الإمامية ، نشر مكتب الإعلام الإسلامي – قم ، ط١، ١٤٠٨ هـ ص ٣٣٨ – ٣٣٩ . د أحمد الوائلي : هوية التشيع ، نشر دار الصفوة – بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ص ١٥٥.
(٧) الصالحي الشامي : سبيل الهدى والرشاد ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١، ١٤١٤هـ /. ١٩٩٣م جـ ٣ص ١٨ بتصرف.
(٨) سورة البلد : آية رقم ٢ .
(٩) الشيخ جعفر السبحاني : الأقسام في القرآن الكريم ، ط اعتماد – قم ، ط١ ،١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م ص ٥٦ .

وكربلاء [1] ، والكوفة [2] ، وقم[3] ، أماكن مقدسة لا تقل قداسة عن بيت الله الحرام ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – [4] قال :" إن لله حرماً ؛ وهو مكة ، وإن للرسول – ﷺ – حرماً ؛ وهو المدينة ، وإن لأمير المؤمنين حرماً ؛ وهو الكوفة ، وإن لنا حرما ، وهو بلدة قم " [5].

وقدسوا الأرض التي دفن فيها الأئمة ؛ لبركتها ، وينشدون في زياراتهم لمرقد الرضا – عليه السلام – شعراً : يا سائرا زائرا إلى طوس[6] * مشهد طهر وأرض تقديس[7] .

ومنها : تقديس مقام الأئمة : فالأئمة مقامات علوية فوق الملائكة ، والرسل ، دونما دليل ، وبغض النظر عن أي اعتبارات موضوعية ، بل إنه حتى لو تصورنا أن سبب [8]تقديس فاطمة هو أمومتها للأئمة – يعني من باب التكريم – ؛ فإن ذلك لا يكفي لفهم ذلك الاعتقاد ، لأن الأولى

---

(١) كربلاء : موضع بالعراق ، شمالي غربي الكوفة ، فيه قتل الحسين بن علي – رضي الله عنهما – . انظر محمد بن عبد المنعم الحِميري : الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق : إحسان عباس ، ط دار السراج ، نشر مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م ص ٤٩٠ .

(٢) الكوفة : ويقال لها : كوفان ، المدينة الكبرى بالعراق على معظم الفرات ، أول مدينة اختطها المسلمون بالعراق ١٤هـ ، ومن بغداد إلى الكوفة ثلاثون فرسخاً ، سميت بجبل صغير في وسطها ، يقال له : كوفان ، وعليه اختطت ، ونزلها جماعة من أصحاب رسول الله – ﷺ – ، وأهلها من صرح العرب . انظر محمد بن عبد المنعم الحِميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٥٠١ بتصرف.

(٣) قم : مدينة من كور الجبل ، من همذان إليها خمس مراحل ، وهي مدينة كبيرة كثيرة الأهل ، وبها فواكه وأشجار ، الغالب على أهلها التشيع ، وأكثر أهلها عرب ، وحُكي : أن مدينة قُمّ الكبرى يقال لها : منيجان ، وهي جليلة المقدار . المصدر السابق ص ٤٧٢ بتصرف.

(٤) تطلق الشيعة على الحسين بن علي : لقب أبي عبد الله الأول ، أما أبو عبد الله الثاني هو : الإمام جعفر الصادق – رحمه الله – ، فإذا وجدت الكنية مطلقة بلا تحديد فهو : جعفر الصادق – عليه السلام – فتنبه .

(٥) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ، نشر مؤسسة آل البيت لأحياء التراث – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م جـ ١٠ صـ ٢٠٦ .

(٦) مدينة طوس : من نيسابور على مرحلتين ، وقيل : ستة عشر فرسخاً ، وطوس العظمى يقال لها نوقان ، بها قبر الرشيد أمير المؤمنين ، وفيها توفي الرضا علي بن موسى – رحمه الله – . انظر محمد بن عبد المنعم الحِميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٣٩٨ – ٤٠٠ بتصرف.

(٧) الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا ، تحقيق : الشيخ حسين الأعلمي ، نشر مؤسسة الأعلمي – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م جـ ٢ صـ ١٢ . السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة ، نشر دار التعارف للمطبوعات – بيروت ، دت جـ ٣ صـ ٣٣٨ .

(٨) السبب : ما جعله الشارع علامة على مسببه ، وربط وجود المسبب بوجوده ، وعدمه بعدمه ؛ فيلزم من وجوده الوجود ، ومن عدمه العدم ، خارج عن ماهية المسبب ، فهو ليس مقصوداً لذاته ، مثل الحدث سبب للوضوء . انظر د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ص ١٣٦ بتصرف . أيمن موسى : غاية المأمول ص ١٤٩ بتصرف .

بعدم الحرمان من مثل ذلك التقديس : هي خديجة – رضي الله عنها – ؛ لأنها أم فاطمة ، وبالتالي أول جدة للأئمة على دين الإسلام ، وهي إلى ذلك كله أيضاً : زوج رسول الله –ﷺ – وهي جدة الحسن ، والحسين – رضي الله عنهما – فلماذا لم يوسعوا قاعدة المعصومين الأربعة عشر ؛ الذين يضمون الأئمة الاثنى عشر ، ومعهم النبي –ﷺ – وفاطمة ؛ ليضموا معهم خديجة – رضوان الله عليها –؟ ، ودورها في الإسلام ، وفي حياة نبي الإسلام –ﷺ – أكبر بكثير من دور فاطمة ، فلماذا لم يَدُرْ بخلدهم أن يضموا خديجة إلى دائرة التقديس ، ولأنهم لم يفعلواْ ، فنرى أنهم قد جعلوا دينهم عائلياً ضيقاً ؛ يقتصر التقديس فيه على عليٍّ وأسرته ، بل يسمون مذهبهم الاثني عشري ، فلماذا لم يدخلوا النبي –ﷺ – ، وفاطمة في العدد ؟ هل سيقولون : إن النبي – ﷺ – ليس خليفة ؟ [1] .

نقول : إنكم تدعون أن كل نبي إمام وليس كل إمام نبي ، فكيف يقدمون المفضول على الفاضل في تسمية فرقتهم مع أنه يتناقض مع أهم قواعد عقيدتهم " لا يجوز ولاية المفضول في وجود الفاضل!.

<u>ومنها : تقديس كل شيء يتصل بالأئمة :</u> لتعلقه بأهم مقدس عندهم وهم : الأئمة – عليهم السلام – فركب الحسين – حين خرج لكربلاء– هو : الركبُ المقدسُ [2] ، وقبورُ الأئمةِ : قُبورٌ مقدسةٌ ، ويقدِّسون مشاهدَ ، وقبورَ أئمتهم ، تعظيماً يكاد يصل إلى حد العبادة والتأله .

وهم في ذلك التقديس لقبور ، ومشاهد أئمتهم ، ورفعهم فوق القدر الذي ينبغي لهم ، بلا إفراط ، ولا تفريط ؛ يتشبهون باليهود ، كما قال رسول الله – ﷺ – قبل أن يموت بخمس ليالٍ : " إِنِّى أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لي مِنْكُمْ خَلِيلٌ ، فَإِنَّ اللَّهَ – تَعَالَى – قَدِ اتخذني خَلِيلاً ، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أمتي خَلِيلاً ؛ لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً ، أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ " [3] .

---

(١) معتز شكري : ردود سريعة على عقيدة الشيعة ، نشر دار الإبداع – الإسكندرية ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ص ٦٣-٦٤ بتصرف .

(٢) السيد عبد المنعم حسن : بنور فاطمة اهتديت ، نشر دار الخليج العربي – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ص ٢١٨ .

(٣) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ١ ص ٣٧٧.

ولقد نهانا رسول الله – ﷺ – : عن بناء المساجد على القبور ، وقد اتفق الناس ، سابقهم ولاحقهم : على أن رفع القبور ، والبناء عليها بدعة من البدع ، التي ثبت النهي عنها ، واشتد وعيد رسول الله – ﷺ – لفاعلها، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين [1].

ولكن الشيعة لم تكتف بذلك ، بل أقاموا على هذه الأضرحة ، والمقابر ، المساجد الفاخرة ، والمشاهد المتلألئة ، ويعظمون هذه المشاهد المبنية على القبور ، مع أن الرسول – ﷺ – توعد على ذلك أشد الوعيد ، فقَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ كما روت عائشة – رضي الله عنها – : لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا ، قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ "[2].

وقال عن اليهود والنصارى :" إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [3] .

أهم أسباب تقديس الأئمة لدى الشيعة الاثني عشرية :

السبب الأول : تكفير الإمام علي – رضي الله عنه – من قبل بعض فرق المسلمين ، الأمر الذي لم يفعله ألدُّ أعدائه ممن قاتله من الصحابة – على حد قوله – فكان ولابد أن يقابل ذلك تقديس علي – عليه السلام – ، ورفع مقامه إلى مرتبة وصي النبي – ﷺ – وخليفته بالنص الإلهي [4].

السبب الثاني : حكمة الله ؛ لأن من وجوه الحكمة والصلاح في خلق آدم –عليه السلام– وبنيه ، ما سيظهر منه من قداسة الأنبياء ، والأولياء ، وحسن عبادتهم ، وإخلاصهم [5] .

السبب الثالث : فكرة الوصية ؛ ذلك : أن الدارس لتطور الفكر السياسي الإسلامي ، يلحظ : أن دعاة كثيرين اتخذوا لهم على مدى التاريخ وصية النبي – ﷺ – لعلي – رضي الله عنه – ،

---

(١) الشوكاني : شرح الصدور بتحريم رفع القبور ، نشر الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء – الرياض ، ط١ ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م صـ ١٥ بتصرف.

(٢) البخاري : صحيح البخاري ، تحقيق : د مصطفى البغا ، نشر دار ابن كثير – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م جـ ١صـ ٦١٣ .

(٣) المرجع السابق : جـ ٢ صـ ٢٢٩ .

(٤) د محمد بيومي مهران : الإمامة وأهل البيت ، ط نهضت ، نشر مع مركز الغدير– قم ، ط٢ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م جـ ١صـ ٣٩٥ بتصرف.

(٥) محمد جواد البلاغي : الهدى إلى دين المصطفى ، نشر مؤسسة الأعلمي– بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م جـ ٢ صـ ١٣٠ بتصرف .

مطية لتركيز نفوذ قادتهم السياسيين ، وصبغ هذه القيادة بالصبغة الدينية المقدسة ، بحيث لا ينقضي حكمهم ، ففكرة الوصيةِ ساعدت على تمكين التقديس ، وتقوية جذوره داخل المعتقد الشيعي [1] .

السبب الرابع : تأثُّرُ العقيدةِ الشيعيةِ بالعقيدةِ اليهوديةِ [2] ، وبعضِ العقائدِ الفارسيةِ ، والهنديةِ ، مثل : فكرة تأليه الأئمة ، بدعوى حلولِ قوةٍ إلهيةٍ فيهم [3]، حيث قال الخميني مبيناً اتحاد ذوات الأنبياء والأئمة بالذات العلية فترى :" ظهور الحقائق الإلهية في الهياكل المقدسة الطيبة من الأنبياء والأولياء، وتفنى ذواتهم ، وصفاتهم ، وأفعالهم في ذات الحق ، وصفاته ، وأفعاله ، فتكون الوحدة التامة ، فتكون الأحدية المحضة ، فتكون لهم النبوة الأولية الأبدية ، والخلافة الظاهرية والباطنية ، وهذا حصل لمولانا أمير المؤمنين ، وأولاده المعصومين [4] .

السبب الخامس : ظهورُ من أزكى هذه النزعة ، فكان أول مَنْ دَوَّنَ في مسألة تقديس الأئمة ، وألَّفَ فيها بمنهج علم الكلام " علي بن إسماعيل بن ميثم النمار [5] ، وبعده " هشام بن الحكم "[6] ،

(١) رجب البنا : الشيعة والسنة واختلافات الفقه والفكر والتاريخ صـ ١٣٧ بتصرف.

(٢) المرجع السابق : صـ ١٣٧ نقلا عن كتاب للدكتور : علي الشابي بتصرف.

(٣) عبده فراج : معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى ، ط مكتبة الأنجلو– القاهرة ، ط١ ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م صـ ٦٧ بتصرف .

(٤) الخميني : مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية ، نشر مؤسسة الأعلمي – بيروت ، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م صـ ١٥٧- ١٦٣ بتصرف.

(٥) علي بن إسماعيل : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن ميثم النمار ، الرافضي ،كوفي ، سكن البصرة ، من وجوه المتكلمين عند الإمامية ، أول من تكلم عن مذهب الإمامية ، له مناظرات ، وكتب منها الكامل في الإمامة ، من أجل أصحاب الإمام علي ، وكان يقول أقوالا ، ويدعي أنه سمعها من الأئمة ، فإذا روجع فيها قال بخلافها ، ولا يخجل ، من تلاميذه : هشام بن الحكم ، قال الطوسي : " مجهول". انظر الطوسي : الفهرست ، تحقيق : جواد القيومي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، ط١، ١٤١٧هـ صـ ١٥٠ ، صـ ٣١١. الطوسي : الخلاف ، تحقيق : السيد علي الخراساني ، وآخرون ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، ط١ ، ١٤١٧هـ جـ ١ هامش صـ ٣٩٥ . ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان ، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م جـ ٤ صـ ٢٦٥.

(٦) هشام بن الحكم : أبو محمد البغدادي الكندي ، مولى بني شيبان ، أصله من الكوفة ، وانتقل إلى بغداد ، أول من فتق الكلام في الإمامة ، ويعد أول متكلمي الشيعة بل الإسلام ، وأول من هذب المذهب الاثني عشري ، وكان حاذقاً بصناعة الكلام ، حاضر الجواب ، وعده تقي التستري : أستاذا لعلي بن إسماعيل النمار ، توفي مستترا ١٩٠هـ / ٨٠٥ م . انظر أبو عمر الكشي : رجال الكشي ، نشر المطبعة المصطفوية – بمبئ بائي دهوتي – إيران ، دت جـ ٣صـ ١٦٥. الشيخ محمد تقي التستري : قاموس الرجال ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤٢٥هـ جـ ١٢ صـ ٣٩٥. ابن حجر : لسان الميزان جـ ٦ صـ ١٩٤.

الذي فتق الكلام في الإمامة ، وهذب المذهب ، وسهل طريق الحجاج فيه ، وكان حاذقا بصناعة الكلام " [١].

وهنا ينبغي الإشارة إلى : أن هشام بن الحكم من تلامذة الإمام جعفر الصادق – عليه السلام – ، وله مؤلفات عديدة ؛ لذلك يمكن القول : بأن الكلام عن عقيدة العصمة بدأ منه ، باعتباره أول من قرر عقائد الإمامية في صورة علمية ، مع كونه كان يجيز على الأنبياء العصيان ، ولا يجيزه على الأئمة ؛ وعلل ذلك : بأن النبي إذا عصى أتاه الوحي بالتنبيه على خطاياه ، والإمام لا ينزل عليه الوحي [٢].

ومن هنا يمكن القول : بأن بداية التقديس المذموم ظهر من هؤلاء السابقين ، إذ يلاحظ الباحث أنهم أكثر فرق الشيعة تمسكا بمبدأ العصمة حتى كاد يكون مبدأ العصمة خاصاً بهم [٣].

السبب السادس : توافق المعنى اللغوي مع مظاهر التقديس عند الاثني عشرية : فإذا ما تتبعنا بعض معاني التقديس ، التي تعرضنا لها في أول المدخل ، نجدها : تتطابق مع فهمهم لتقديس الأئمة ، فمن أهم معاني التقديس : الطهارة والتطهير ، وهذه الصفة متحققة في أهل البيت بنص القرآن – باعتراف السنة والشيعة معاً – قال تعالى : " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا " [٤] ، ويدل على شمول الآية لهم ؛ ما جاء عَنْ عَائِشَةَ – رضي اللَّهُ عَنْهَا –[٥] ، – والغريب أن الشيعة يكفرونها وهي تروي فضائلهم – ، قَالَتْ : خَرَجَ النبي – ﷺ – ذَاتَ غَدَاةٍ وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ [٦] مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ ، فَجَاءَ الْحَسَنُ [١] فَأَدْخَلَهُ مَعَهُ ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُ ، ثُمَّ

---

(١) ابن النديم : الفهرست ، تحقيق : محمد أحمد أحمد ، ط المكتبة التوفيقية – القاهرة ، دت صـ ٢٤٥.

(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٧م صـ ٨٦.

(٣) د أبو الفتوح الأنور : شيعة إيران ، ط الجندي – فاقوس – الشرقية – مصر ، ط١، ٢٠٠٧م صـ ١٠١-١٠٢بتصرف .

(٤) سورة الأحزاب : آية رقم ٣٣ .

(٥) أُمُّ المؤْمِنِيْنَ عائشَة : بِنْتُ الصِّدِّيْقِ أَبِي بَكْرٍ التَّيْمِيَّةُ ، أَفْقَهُ نِسَاءِ الأُمَّةِ ، وَأُمُّهَا : أُمُّ رُوْمَانَ بِنْتُ عَامِرٍ ، وَتَزَوَّجَهَا نَبِيُّ اللهِ – ﷺ – قَبْلَ مُهَاجَرِهِ بَعْدَ وَفَاةِ الصِّدِّيْقَةِ خَدِيْجَةَ بِضْعَةَ عَشَرَ شَهْراً ، وَدَخَلَ بِهَا فِي شَوَّالٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ ، بعد بَدْرٍ، وَهِيَ ابْنَةُ تِسْعٍ ، فَرَوَتْ عَنْهُ : عِلْماً كَثِيْراً ، مُبَارَكاً فِيْهِ وَمُدَّةُ عُمُرِهَا : ثَلاَثٌ وَسِتُّوْنَ سَنَةً ، تُوُفِّيَتْ ٥٧هـ ، وقيل : ٥٨هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ١٣٥ – ٢٠١.

(٦) المرط : بكسر الميم ، وإسكان الراء ، كساء يكون تارة من صوف ، وتارة من شعر ، أو كتان ، أو خز ، يؤتزر به ، وقيل : يُتخذ درعاً، ولا يلبسه إلا النساء ، وقوله : مرحل بفتح الراء والحاء عليه صورة رحال الإبل ، أو بالجيم عليه صور الرجال ، والصواب الأول ، ، ولا بأس بهذه الصور . انظر النووي : شرح النووي على مسلم ، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٢، ١٣٩٢هـ جـ ١٤ صـ ٥٧ .

جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا مَعَهُ ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ ، فَأَدْخَلَهُ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا " [٢] ؛ وبذلك يتحقق فيهم أهم شروط [٣] التقديس ، وهي الطهارة من الرجس الذي جاء في عشرة مواضع من القرآن الكريم [٤] ، ويتلخص معناه في : الشيء المستقذر، الذي يشمل منابع القذارة المتعددة ، الذي ينبعث منه التلوث الروحي أيضا [٥]، أو من الشيطانِ ، والشركِ ، والشكِ ، والبخلِ ، والطمعِ ، والأهواءِ ، والبدعِ ، والإثمِ ، والعذابِ ، والنجاسةِ ، والنقائصِ ، والمعنى : إنما يريد – سبحانه– ليذهب عنكم الرجس ، ويصونكم من المعاصي ، صوناً بليغاً فيما أمر ونهى [٦].

ولا تقتصر الطهارة والزكاة على جسد المعصوم ؛ بل طهرت وزكت روحه ، فالنبي – ﷺ – معصوم ، ولا يشك أحد في قداسة وطهر روحه الزكية ، وبدنه الشريف ؛ كذلك حال من ورث العصمة من بنيه ، والتي ثبتت لهم بنص آية التطهير دون غيرهم [٧] .

والمرأة الطاهرة : لقب يختص بالمرأة التي تكون أفضل نساء زمانها ، وأعلاهن شأناً ، والتي تنقطع عنهن قداسةً ، وزهداً ، وعلماً ، وفضلاً ، وحسباً ، ونسباً ، وأصالةً ، ونبلاً ، وعصمةً ، وعفةً ،

---

(١) الحسن بن علي بن أبي طالب – عليه السلام – : الإمام الزكي ، كنيته : أبو محمد ، سيد شباب أهل الجنة ، وأمه : الزهراء – رضي الله عنها – ، ولد بالمدينة ٢هـ ، بويع له بالخلافة يوم مات أبوه ، أشبه الناس برسول الله – ﷺ – ، قتل عبد الرحمن بن ملجم ، ثم سار إلى معاوية فالتقيا ، فاصطلحا ، وسلم إليه الأمر ، وبايعه ، ورجع إلى المدينة ، وسمي عام الجماعة ، ولم يزل بالمدينة إلى أن مات بها ٤٩هـ ، وله سبع وأربعون سنة ، وقيل : ٥٠هـ ، وصلى عليه سعيد بن العاص ، ودفن بالبقيع ، ويقال : دفن مع أمه . يقال إن امرأته جعدة بنت الأشعث ، سمته . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق : إحسان عباس ، نشر دار صادر – بيروت ، ١٩٩٤م جـ ٢ صـ ٦٨. العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢ صـ ١٢١. الزركلي : الأعلام جـ ٢ صـ ٢٠٠. الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ١٥٩.

(٢) الإمام البيهقي : السنن الكبرى جـ ٢ صـ ٢١٢ .

(٣) الشرط : ما يلزم من عدمه العدم ، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم ، فيتوقف وجود الحكم على وجوده ، ويلزم من عدمه عدم الحكم ، وهو خارج عن حقيقة الشيء ، مثل شرط الصلاة . د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه صـ ١٣٨. أيمن موسى : غاية المأمول صـ ١٥٦.

(٤) ورد لفظ الرجس في القرآن : في سورة المائدة : آية ٩٠ ، والأنعام : آية ١٢٥، ١٤٥ والأعراف : آية ٧١ ، التوبة : آية ٩٥ ، ١٢٥ مرتين في نفس الآية ، يونس : آية ١٠٠ ، الحج : آية ٣٠ ، الأحزاب : آية ٣٣.

(٥) آية الله محمد الفاضل اللنكراني والشيخ شهاب الدين الإشراقي : آية التطهير رؤية مبتكرة ، ط اعتماد – قم ، ط٣ ، ١٤٢٤هـ صـ ١١٧.

(٦) الإمام الآلوسي : تفسير روح المعني ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ، دت جـ ٢٢ صـ ١٢ .

(٧) الحاج حسين الشاكري : موسوعة المصطفى والعترة ، ط ستارة – قم ، ط١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م جـ ١٣ صـ ٥٤ .

كما عرفت خديجة – المكرمة– بهذا اللقب في زمانها ، واشتهرت بهذا اللقب [1] ، ومن بعدها فاطمةَ ، وغيرها من نساء أهل البيت – عليهن السلام – .

ومن أدعيتهم التي تثبت الإفراط في التقديس ، عند زيارة قبر الإمام علي – عليه السلام – :" أشهد أنك طهر طاهر مطهر ...وأشهد أنك جنب الله ، وأنك وجه الله الذي يؤتى منه ، وأنك سبيل الله ، وأنك عبد الله ... أتيتك انقطاعا إليك ... فقلبي لك مسلم ، ... وأنا عبد الله ومولاك في طاعتك" [2].

التقديس من أجل البركة ، فنفي تقديس الأنبياء ، لا ينافي مباركتهم ، فإن التقديس : الحكم بالطهارة والتنزه ، أو الدعاء له بالطهارة ، وهذا معنى أرفع من البركة ، والنفع [3] .

ومن معاني التقديس : الوعاء الذي بتسلسل أفراده ينتظم أمر الماء ، ومن هذا الفهم قدسوا الأصلاب التي انتقل فيها علي – عليه السلام– وأبناؤه ؛ لأن الله خصهم بكونهم أبناء له ، فجعل لهم مقام قداسة ، وكلما اقترب الأب منهم من نور علي، كان النور فيه أظهر ، فلم يودع في صلب إلا جللته نورا تأنس به الأبصار، وتطمئن إليه القلوب [4].

ومن معاني التقديس : القدح الذي يتطهر به ، وينطبق هذا المعنى على بعض أدعيتهم عند زيارتهم لمراقد أئمتهم فيقولون : " السلام عليكم يا مساكن بركة الله ، السلام عليكم يا أوعية تقديس الله ، السلام عليكم يا حفظة سر الله [5].

ومن معاني التقديس : سلسلة القواديس المتصلة ؛ فلإمام له صلة روحية بالله كصلة الأنبياء ، والإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله ، وأن من أنكر أحدهم مات على الكفر [6].

التقديس عند أهل السنة :

---

(١) محمد باقر الكاجوري : الخصائص الفاطمية ، ترجمة : سيد علي جمال أشرف ، ط شريعت – قم ، ط١،١٣٨٠ش جـ ١ صـ ١٦٤ بتصرف.

(٢) الشيخ الطوسي : مصباح المتهجد ، نشر مؤسسة فقه الشيعة – بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م صـ ٧٤٣–٧٤٤ بتصرف .

(٣) أحمد بن محمد بن خالد البرقي : المحاسن ، تحقيق : السيد جلال الدين الحسيني ط جاب رنگين – طهران ، ط١ ، ١٣٧٠هـ / ١٣٣٠ ش جـ ٢ هامش صـ ٥٠٥. المجلسي: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٣ المصححة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م جـ ٦٣ صـ ٢٥٩ .

(٤) الشيخ المحمودي : نهج السعادة ، نشر دار التعارف – بيروت ، ط١ ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م جـ ٣صـ ٧٢ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٢٩ بتصرف .

(٥) الشيخ المحمودي : نهج السعادة جـ ٩٩ صـ ٢٠٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٢٩ .

(٦) د محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ، نشر دار الحديث – القاهرة ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م جـ ٢ صـ ٨ – ٩ .

من الظاهر للعيان أن أهلُ السُّنةِ يفتخرون بتقديرهم لعليّ – رضي الله عنه– باعتباره : حلقة أصيلة في تقديسٍ أكبر لا ينفصل عنه هذا الإمام الجليل ، وهو : تقديس القرآن ، والسنة ، واجتماع الأمة ، والاعتصام بحبل الله ، درء التفرق ؛ هذا التقديس مستمد من : الوحيين – المتلو والمروي– ، وهذا التقديس الذي نادى به عليٌ – رضي الله عنه – ، ووطنه في نفوس المسلمين ، فَهْمَاً من القرآن الكريم ، في قوله تعالى :" وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا " [(١)] ، وجعلها الله – ﷻ – : من أجل النعم التي امتن الله بها على نبيه – ﷺ – فقال :" وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ " [(٢)] .

وهذه القداسة : هي التي كان يؤمن بها علي – رضي الله عنه– ولم يخرجْ لقتال معاويةَ بنِ أبي سفيان [(٣)] - رضي الله عنهما – إلا من أجلها ، ولم يوافق على إزهاق أرواح الصحابة الكرام ، ومحبيه من بعدهم ، إلا من أجل رأْب صدعِها ، ولم يفرح أهل الإسلام بعده – رضي الله عنهم – إلا لما أعاد هذه القداسة إلى مكانتها في نفوس المسلمين ابنه وسبط نبيه إمامُنَا الحسنُ بن عليٍ – رضي الله عنه – حين تحققت نبوءةُ جدِّهِ – ﷺ – حين قال في حديثه الذي رواه البخاري[(٤)] وغيره في بَاب : قَوْلِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – إن ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ ، وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : " فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا" ، قال البخاري – رحمه الله – : اسْتَقْبَلَ وَاللَّهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الْجِبَالِ ، فَقَالَ

---

(١) سورة آل عمران : آية رقم ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال : آية رقم ٦٣ .

(٣) معاوية بن أبي سفيان : أبو عبد الرحمن بن حرب الأموي القرشي المكي ، أمير المؤمنين ، ملك الإسلام ، خال المؤمنين ، أخته : أم حبيبة بنت أبي سفيان وأمه هند بنت عتبة – رضي الله عنهم – أسلم أيام عمرة القضاء ، وأعلنه يوم الفتح ، كتب للنبي – **صلى الله عليه وسلم** – الوحي ، والرسائل ، أول غزواته حنين ، دعا له النبي– ﷺ – فقال :"اللهم علمه الكتاب ، ومكن له في البلاد ، وقه العذاب " ، و "اللهم اجعله هادياً مهدياً ، واهد به" ، وَرُوِيَ في فضله أحاديث ظاهرُها الوضع ، مات ٦٠ هـ ، وعاش ٧٧ سنة . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤ صـ٢٦٣– ٢٩٢ بتصرف . الترمذي : سنن الترمذي ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض ، ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ، ط٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م جـ ٥ صـ ٦٨٧. الشيخ الألباني : صحيح الجامع الصغير ، ط المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م جـ ١ صـ ٧٠ .

(٤) البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، ولد ببخارى ١٩٤هـ/٨١٠ م ، حبر الإسلام ، صاحب الجامع الصحيح ، والتاريخ ، والضعفاء ، نشأ يتيماً ، ورحل في طلب الحديث لخراسان ، والعراق ، ومصر ، له أكثر من ١٠٠٠ شيخ ، وحفظ أكثر من ٦٠٠٠٠ حديث ، أول من ألف كتاباً على نحو الصحيح . مات بسمرقند سنة ٢٥٦هـ / ٨٧٠ م . انظر د شوقي أبو خليل : أطلس السيرة النبوية ، نشر دار الفكر "المطبعة الهاشمية" – دمشق ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ /. ٢٠٠٣م صـ ٢٣٥ .

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ [١] – رضي الله عنه – : إِنِّي لَأَرَى كَتَائِبَ لَا تُوَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ – وَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ – : أَيْ عَمْرُو إِنْ قَتَلَ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ ، وَهَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ ، مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ ، مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ ، مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ [٢] ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ [٣] ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ [٤] فَقَالَ : اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ ، فَاعْرِضَا عَلَيْهِ ، وَقُولَا لَهُ ، وَاطْلُبَا إِلَيْهِ ، فَأَتَيَاهُ فَدَخَلَا عَلَيْهِ ، فَتَكَلَّمَا ، وَقَالَا لَهُ ، فَطَلَبَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ – رضي الله عنه – : إِنَّا بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا الْمَالِ ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ عَاثَتْ [٥] فِي دِمَائِهَا ، قَالَا : فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا ، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ ، وَيَسْأَلُكَ قَالَ : فَمَنْ لِي بِهَذَا ، قَالَا : نَحْنُ لَكَ بِهِ ، فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئًا ، إِلَّا قَالَا : نَحْنُ لَكَ بِهِ ، فَصَالَحَهُ ، فَقَالَ الْحَسَنُ : وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ [٦] يَقُولُ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى الْمِنْبَرِ ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً ، وَعَلَيْهِ أُخْرَى ، وَيَقُولُ: إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ [٧].

---

(١) عَمْرُو بنُ العَاصِ : بنِ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللهِ وأَبُو مُحَمَّدٍ الإِمَامُ دَاهِيَةُ قُرَيْشٍ ، وَرَجُلُ العَالَمِ ، وَمَنْ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي الفِطْنَةِ ، وَالدَّهَاءِ ، وَالحَزْمِ ، أَسْلَمَ قَبْلَ الفَتْحِ ، وهَاجَرَ أَوَائِلَ سَنَةِ ثَمَانٍ ، فَفَرِحَ النَّبِيُّ – ﷺ – بِقُدُوْمِهِ ، سَكَنَ مِصْرَ ، وَبِهَا مَاتَ ، قَالَ النَّبِيُّ – ﷺ – : (ابْنَا العَاصِ مُؤْمِنَانِ ، عَمْرٌو وَهِشَامٌ) مات : ٤٣هـ ، وقيل : ٤٢هـ ، وله مائة سنة أو أقل. انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ ص ٥٤ – ٧٧.

(٢) قال ابن حجر : يشير معاوية – رضي الله عنه – : إلى أن رجال العسكرين معظم من في الإقليمين ، فإذا قتلوا ضاع أمر الناس ، وفسد حالهم بعدهم ، وذراريهم ، والمراد بقوله : ضيعتهم : الأطفال ، والضعفاء ، وما يؤول إليه أمرهم ؛ لأنهم إذا تركوا ضاعوا ؛ لعدم استقلالهم بأمر المعاش . د علي الصلابي : الحسن بن علي ، نشر مؤسسة اقرأ – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م هامش ص ٣١٦.

(٣) عبد الرحمن بن سمرة : أبو سعيد القرشي العبشمي الأمير ، أسلم يوم الفتح ، وكان أحد الأشراف ، وغزا سجستان أميراً على الجيش ، أوصاه النبي – ﷺ – : "بعدم طلب الإمارة " ، مات بالبصرة ٥٠هـ . الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء جـ ٤ ص ١٥٤ بتصرف.

(٤) عبد الله بن عامر : أبو عبد الرحمن القرشي العبشمي ، فتح خراسان ، أبوه ابن عمة النبي – ﷺ – ولي البصرة لعثمان ، قال عنه ابن مسعود : كريم الأمهات ، والعمات ، والخالات ، وكان من كبار ملوك العرب ، وشجعانهم ، وأجوادهم ، وكان فيه رفق وحلم ، لما مات ٥٩هـ قال عنه معاوية : بمن نفاخر ، وبمن نباهي بعده . الإمام الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤ ص ١٩٧–١٩٩ بتصرف.

(٥) عاثت : أفسدت وآذت ولا تستعمل إلا في الشر . انظر د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٢ ص ١٥٨٢ .

(٦) أبو بكرة : نفيع بن الحارث ، أو نفيع بن مسروح الثقفي الطائفي ، مولى النبي – ﷺ – ، سمي بأبي بكرة ؛ لأنه تدلى من حصن الطائف ببكرة ، ففر للنبي – ﷺ – وأسلم على يديه ، فأعتقه ، سكن البصرة ، وكان من فقهاء الصحابة ، وهو ممن اعتزل القتال بين علي ومعاوية ، ومات بالبصرة : ٥١هـ أو ٥٢هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤ ص ١٩٠–١٩٢ .

(٧) البخاري : صحيح البخاري جـ ٢ص ٩٦٢. الإمام أحمد : المسند ، تحقيق : شعيب الأرناءوط وآخرون ، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م جـ ٣٤ ص ١٣٨ .

وألقى على – رضي الله عنه – هذه الحقيقة في وجوه شيعته فقال :" وأيم الله لولا مخافة الفرقة ، وأن يعود الكفر ، ويبور الدين ؛ لغيرنا ذلك ، فصبرنا على بعض الألم " [1] وهو يريد أن يقول : أن وحدة الأمة أقدس في نفس من عقد الخلافة لي ؛ ولهذا صبر رضي الله عنه .

الاتجاه النقدي للتقديس من كتب الشيعة الاثني عشرية :

من الصدق ، والموضوعية في العرض : أن ننقل عن بعض علماء الاثنى عشرية ، نصوصاً تنتقد تقديسهم للأئمة ، وما يتعلق بهم ، فمنهم : من ينكر هذا تماماً هذا التقديس ؛ فيقول : " وكان من جراء جهل كثير من المسلمين حقيقة الشيعة الإمامية ، أن ينسبوا إليهم ما هم منه براء ، من تقديس لعليٍ ، ومن تكفيرٍ لشيوخ الصحابة ، ولم يفرقوا بين الإمامية ، والرافضة "[2] .

ومنهم مَنْ يرفض تقديس علمائهم ؛ فيقولون عن علمائهم :" ومع كل هذا فهم ليسوا في مأمن من الخطأ ، مهما بلغوا من الشأو، وإن العصمة لأهل البيت – عليهم السلام – ، الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً ؛ ومن هنا فقد حطم الشيعة عقدة القداسة .. قداسة الرجال غير المعصومين ، والجمود على رأي عالم معين مهما بلغ شأنه " [3] .

ومنهم : من ينتقد تقديس الأقوال ، والشخصيات ، التي تؤثر على إصدار الأحكام الاجتهادية[4] ، حيث ذكر أن من شروط المجتهد :" حالة تنبع من عناصر ذاتية في المجتهد ، والعالم ، كالاحتياط في مقام الفتوى ، والابتعاد عن الشبهات ، أو الاستظهار[5] ، أو الفهم الخاطئ للنصوص ، والتأثر بالأوضاع الاجتماعية ، التي كان يعيشها المسلمون في العصور السابقة ، أو فكرة تقديس آراء المحدثين الأوائل ، والفقهاء السابقين ، أو من العناصر ذات القيمة الذاتية ، لا الموضوعية [6].

---

(١) الشيخ المحمودي : نهج السعادة جـ ١ صـ ٢٤٨ .

(٢) حامد حفني داود : نظرات في الكتب الخالدة ، نشر مؤسسة الإمام الصادق – قم ، ط١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م صـ ٣٨٩ بتصرف .

(٣) السيد الخميني : الاجتهاد والتقليد ، نشر مؤسسة العروج – قم ، ط١ ، ١٤١٨هـ / ١٣٧٦ش صـ ٧ .

(٤) الاجتهاد : بذل العالم المؤهل الوسع في النظر في الأدلة الشرعية ؛ لاستنباط الأحكام . انظر أيمن موسى : غاية المأمول صـ ٥٠٦ بتصرف. والمجتهد : يطلق في إيران على رئيس المذهب الشيعي . رينهارت بيتر : تكملة المعاجم العربية جـ ٢ صـ ٣١٩.

(٥) الاستظهار : الاجتهاد في الطلب والأخذ بالأحوط . د أحمد مختار عبد الحميد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٢ صـ ١٤٤٣.

(٦) السيد محسن الطباطبائي الحكيم : دليل الناسك ، ط جاويد – النجف – العراق ، ط٣ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م صـ ٦٦ .

بل إنهم يعيبون على أهل السنة : تقديس الشيخين ، حيث يدعون على الصحابة توجيه الأمة إلى تقديس مقام الخلافة ، وخاصة خلافتهما ، ويعيبون : أن يستمدوا من سيرتهما دستوراً لحياتهم (١).

ومنهم من ينتقد ترك أسباب التقديس بلا طمس ، فقد جاءفي تفسير قوله تعالى : "وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا " (٢) : أن موسى – عليه السلام – لو أبقى الذهب الذي استُعْمِلَ في صناعة العجل ، أو قسمه بين الناس ؛ فربما نظر إليه الجاهلون يوماً ما نظرة تقديس ، وتحيا فيهم من جديد فكرة عبادة العجل ، فيجب أن تتلف هذه المادة الغالية الثمن ، فداء لحفظ عقيدة الناس (٣).

ومما يؤكد حقيقة رفضهم للتقديس المذموم : إنكارُهم على العرب تقديسَ الأحجار في عبادتهم للأصنام ، التي كانت حول الكعبة مستنكرين : وصول " الأمر بالعرب إلى تقديس الأحجار بصورة عامة ، وإسباغ الطابع الإلهي عليها " (٤) .

ويستنكر أحدهم تقديس الكذب على الأئمة ؛ فيقول : " وقام بمثل هذا الدور في صفوف الشيعة – يعني وضع الأحاديث المكذوبة – من عرفوا بالغلاة ، فاستغلوا تقديس الشيعة لأهل البيت – عليهم السلام – فوضعوا أحاديثَ في رفعهم فوق منزلتهم ، ومن أشهر من قام ببث أحاديث الغلو بين الشيعة ، وفي كتب الحديث الشيعية : المغيرة بن سعد (٥)، ومحمد بن مقلاص (٦) ، وكان المسلمون

---

(١) السيد مرتضى العسكري : معالم المدرستين ، نشر مؤسسة النعمان – بيروت ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م جـ ٢ صـ ٣٥٨ ، جـ ٣ صـ ١١ .

(٢) سورة طه : آية رقم ٩٧.

(٣) ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ،ط مكتبة القرآن ، نشر مدرسة الإمام أمير المؤمنين – النجف، دت جـ١٠صـ٦٩.

(٤) السيد محمد باقر الحكيم : علوم القران ، نشر مؤسسة الهادي ، قم ، ط٣ ، ١٤١٧هـ صـ ٦٣ .

(٥) المغيرة بن سعد : الأبتر بن أحرم الطائي ، تنسب له البترية من الزيدية ، عاصر الباقر ، وكان يكذب عليه ، وصرح أبو جعفر بلعنه ؛ وذلك أنه أفشى سر أبيه الباقر ، روى له المجلسي في بحاره ، وقال : وهو من المذمومين ، المطعونين ، الكذابين ، ومتهم بالكفر والزندقة . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٦ صـ ١٦. العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٤ هامش صـ ٥٨٧ . الميرزا النوري: مستدرك الوسائل جـ ١٢ صـ ٢٩٠.

(٦) محمد بن مقلاص : الأسدي الكوفي الأجدع ، المعروف بمحمد بن أبي زينب ، من أصحاب الصادق ، كنيته : أبو الخطاب تنسب له الخطابية ، لعنه الرضا ، والقائم ، روى الكشي روايات في ذمه بعدما استحل الحرام ، وعطل الشرائع ، وقال: إن الأئمة أنبياء ، بل آلهة ، قتله عيسى بن موسى العباسي ، ولم يبق من فرقته أحد . قال الكليني : والمشهور العمل بروايته حال استقامته . انظر أبو جعفر الكليني : الفروع من الكافي ، تحقيق : علي أكبر غفاري ، ط حيدري ، نشر دار الكتب الإسلامية – طهران ، ط٣ ، ١٣٨٨هـ/ ١٣٦٧ش جـ ٥ صـ ١٥٠. الطوسي : رجال الطوسي ، تحقيق : جواد القيومي الأصفهاني ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ١٤١٥هـ، صـ ٢٩٦.

في الكوفة يلتقون هؤلاء ، وربما تظاهر بعضهم بالإسلام للكيد ، والوقيعة ، وكما نشر اليهود أفكارهم في المدينة ، عن طريق سرد الحكايات ، ونقل الأساطير، فعل مثلهم الشيعة في الكوفة ، فنشروا أفكار الغلو ، ودعموها بالأحاديث المصنوعة ، وقد وقف منهم أئمة أهل البيت – عليهم السلام – موقف الطرد لهم ، والشجب لأفكارهم ، ورفضهم رفضاً باتاً ، وحرموا [١] الاعتقاد بها تحريماً قاطعاً [٢].

ومن التقديس المذموم تقديس النصوص الواردة عن أئمة الشيعة ، وقد نهى العلماء عن تقديس هذه النصوص ، تقديساً ساذجاً ، وعشوائياً ، هذا التقديس الذي ربما يرفع هذه المنقولات عن مستواها الحقيقي ، ويمنع – ولو جزئيا – من تقييمها تقيماً واقعياً سليماً يعطيها حجمها الطبيعي في ميزان الاعتبار والواقع ، وما هو المبرر لتقديس هكذا ؟ ما دام بعد لم يثبت أن هذا من كلام رسول الله – ﷺ – أو موقفه ، أو من صفاته ، وشئونه [٣].

هذا كلام بعض المنصفين من الشيعة ، وغيرهم ، ولكن في الجانب الآخر ، ستجد من روايات القوم ما يسقط المرء من هول مسمعه مغشياً عليه ، إن لم يمت حسرة وكمداً ؛ من هذا التقديس المذموم الذي يأباه العقل السليم ، ومن قبله الشرع الحكيم ، وهو ما سنعرضه في ثنايا بحثنا ، حتى نقف على التقديس عند الشيعة الاثني عشرية ، والآثار المترتبة عليه في عقائدهم .

وقبل البدء في الحديث تجدر الإشارة إلى أن دين الإسلام مبني على أصلين عظيمين : أحدهما التوحيد الخالص ؛ فلا يعبد إلا الله وحده ، والثاني : الاتباع ؛ فلا يعبد الله إلا بشريعة نبيه – ﷺ – فمن دعا غير الله من : نبيٍّ ، أو وليٍّ ، أو حجرٍ ، أو شجرٍ ، أو استغاث بهم ، أو تقرب إليهم بالذبائح ، والنذور ، أو صلى لهم[٤] ، أو سجد لهم ، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله ، وهذه

---

(١) التحريم : هو طلب الشارع الكف عن فعل الشيء طلبا حتماً ، وهو ما يثيب الشرع فاعله على تركه ، ويعاقبه على فعله . انظر د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه صـ ١٣١. أيمن موسى : غاية المأمول صـ ٩٤. المحقق النراقي : عوائد الأيام ٣٧٠.

(٢) د عبد الهادي الفضلي : أصول الحديث ، نشر مؤسسة أم القرى– بيروت ، ط٣ ، ١٤٢١هـ صـ ١٤٣-١٤٧ .

(٣) السيد جعفر مرتضى : الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، نشر دار الهادي ، دار السيرة – بيروت ، ط٤ ،١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م جـ ١صـ ٢٢.

(٤) عن ابن عباس قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :" لا تصلوا إلى قبر ، ولا تصلوا على قبر " . صححه الألباني . انظر الألباني : صحيح الجامع الصغير وزيادته جـ ٢ صـ ١٢٢٧. الطبراني : المعجم الكبير جـ ١١ صـ ٣٧٦.

الأعمال من مات عليها – بلا توبة – فيخشى عليه الشرك – نعوذ بالله منه – وتكون أعماله معها هباءً منثوراً [1].

وكذلك تجدر الإشارة إلى أن أهل السنة : يحترمون ، ويقدرون أهل البيت – عليهم السلام – ؛ ففي الصلاة : تجب الصلاة عليهم في التشهد ، مع الصلاة على أصل شرفهم – ﷺ – ونحبهم لقرابتهم ، وأنهم أصهاره ، وأبناؤه ، وأسباطه ، وذريته ، وفيهم نسله إلى يوم الدين ، ويسمون من انتسب إليه بالسيد ، والشريف ، حتى تمنى الناس مصاهرتهم ، ووضعوا شجرة النسب لإثبات شرفهم ، ولا يَحْكُمُ على آل البيت إلا نقباؤهم ، وقد تبرك عمر بدعاء العباس [2] – رضي الله عنهما – في يوم أن استسقى في عام الرمادة[3] ، وزوج الإمام عليٌّ– رضي الله عنه – ابنته أم كلثوم [4] لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وتزوج الحجاج [5] ابنة عبد الله بن جعفر [6] – رضي الله عنه – وتزوج المأمون[7] ببنت محمد بن علي النقي [1]، كما زوج المأمون ابنته من محمد بن علي بن موسى بن جعفر[2] – عليهم السلام – [3] .

---

(١) الشيخ عبد العزيز بن باز : إقامة البراهين عن حكم من استغاث بغير الله أو صدَّق الكهنة والعرافين ، نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء – الرياض – السعودية ، ط٦ ، ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م صـ ١٣-١٤ بتصرف .

(٢) العَبَّاسُ بن عبد المطلب : عَمُّ رَسُوْلِ اللهِ – ﷺ – ، وُلِدَ قَبْلَ عَامِ الفِيْلِ بِثَلاَثِ سِنِيْنَ ، أَسْلَمَ قَبْلَ الهِجْرَةِ ، وَكَتَمَ إِسْلاَمَهُ ، وَخَرَجَ مَعَ قَوْمِهِ إِلَى بَدْرٍ، فَأُسِرَ يَوْمَئِذٍ ، فَادَّعَى أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، وَلَيْسَ من الطُّلَقَاءِ ؛ فَإِنَّهُ قَدِمَ إِلَى النَّبِيِّ – ﷺ – قَبْلَ الفَتْحِ ،كَانَ شَرِيْفاً ، مَهِيْباً . كَانَ رَسُوْلُ اللهِ – ﷺ – يُجِلُّه إِجْلاَلَ الوَالِدِ ، توفي ٣٢هـ ، وَلَهُ سِتٌّ وَثَمَانُوْنَ سَنَةً . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ٧٨ – ١٠٢.

(٣) عام الرمادة : ١٨هـ أصاب الناس مجاعةٌ شديدةٌ ، وجدبٌ ، وقحطٌ ، وكانت الريح تسفي تراباً كالرماد ؛ فسمي عام الرمادة .

(٤) أُمُّ كُلْثُوْمٍ : بِنْتُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ الهَاشِمِيَّةُ ، وُلِدَتْ ٦هـ ، وَرَأَتِ النَّبِيَّ – ﷺ – وَلَمْ تَرْوِ عَنْهُ شَيْئاً ، تَزَوَّجَهَا عُمَرَ ، فَأَصْدَقَهَا أَرْبَعِيْنَ أَلْفاً ، وتُوُفِّيَ عَنْهَا ، فَتَزَوَّجَهَا عَوْنُ بنُ جَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبٍ ، ثُمَّ زَوَّجَهَا أَبُوْهَا بِعَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَرٍ، فَمَاتَتْ عِنْدَهُ، فِي أَوَائِلِ دَوْلَةِ مُعَاوِيَةَ – رَحِمَهُمَا اللهُ – . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ٥٠٠ – ٥٠٢.

(٥) الحَجَّاجُ بنُ يُوْسُفَ الثَّقَفِيُّ : أَهْلَكَهُ اللهُ ٩٥هـ ، كَهْلاً . وَكَانَ ظَلُوْماً ، جَبَّاراً ، نَاصِبِيّاً ، خَبِيْثاً ، سَفَّاكاً لِلدِّمَاءِ ، وَكَانَ ذَا شَجَاعَةٍ ، وَإِقْدَامٍ ، وَمَكْرٍ ، وَدَهَاءٍ ، وَفَصَاحَةٍ ، وَبَلاَغَةٍ ، وَتَعَظِيْمٍ لِلْقُرْآنِ ، نَسُبُّهُ ، وَلاَ نُحِبُّهُ ، بَلْ نُبْغِضُهُ فِي اللهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الإِيْمَانِ ، وَلَهُ حَسَنَاتٌ مَغْمُوْرَةٌ فِي بَحْرِ ذُنُوْبِهِ ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ ، وَلَهُ تَوْحِيْدٌ فِي الجُمْلَةِ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤صـ ٣٤٣ .

(٦) عَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبٍ الهَاشِمِيُّ : لَهُ صُحْبَةٌ ، من صِغَارِ الصَّحَابَةِ ، أُمُّه : أَسْمَاءُ بِنْتِ عُمَيْسٍ ، آخِرُ مَنْ رَأَى النَّبِيَّ – ﷺ –مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، وَكَانَ يَصْلُحُ لِلإِمَامَةِ ، مَاتَ ٨٠هـ ، وقيل :٨٤هـ ، أَوْ ٨٥هـ . أو٩٠هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ٤٥٦ – ٤٦٢.

(٧) المَأْمُوْنُ : عَبْدُ اللهِ بنُ هَارُوْنَ الرَّشِيْدِ الخَلِيْفَةُ بنِ مُحَمَّدٍ المَهْدِيِّ أَبُو العَبَّاسِ ، ، وُلِدَ ١٧٠هـ ، وَقَرَأَ العِلْمَ ، وَالأَدَبَ ، وَالأَخْبَارَ ، وَالعَقْلِيَّاتِ ، وَعُلُوْمَ الأَوَائِلِ ، وَأَمَرَ بِتَعْرِيْبِ كُتُبِهِم ، وَبَالَغَ ، وَدَعَا إِلَى القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ ، وَبَالَغَ ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلاَمَةَ ، وَدُعِيَ لَهُ بِالخِلاَفَةِ سَنَةِ ٩٥هـ ، إِلَى أَنْ قُتِلَ الأَمِيْنُ ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ ، مات ١١٨هـ ، وَلَهُ ثَمَانٌ وَأَرْبَعُوْنَ سَنَةً . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٠ صـ ٢٧٢ –٢٩٠ .

وأهل السنة يُحِبُّونَ آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ ، وَيَحْفَظُونَ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فِيهِمْ: حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ(٤): " أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي " (٥) ، وَقَالَ لِلْعَبَّاسِ وَقَدِ اشْتَكَى إِلَيْهِ : أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ ؛ فَقَالَ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلَّهِ ، وَلِقَرَابَتِي " (٦) .

وأَهْلُ بَيْتِهِ – ﷺ – هُمْ : مَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ ، وَهُمْ : آلُ عَلِيٍّ ، وَآلُ جَعْفَرٍ ، وَآلُ عَقِيلٍ ، وَآلُ الْعَبَّاسِ ، وَكُلُّهُمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، وَيَلْحَقُ بِهِمْ بَنُو الْمُطَّلِبِ .

فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَرْعَوْنَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ وَقَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – ، ولِإِسْلَامِهِمْ ، وَسَبْقِهِمْ ، وَحُسْنِ بَلَائِهِمْ فِي نُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ– (٧) .

وأجمعوا على أن سَبَ آل بيت النبي – ﷺ – ، وأصحابه ، وتنقصهم ، حرامٌ(١) ، ملعونٌ فاعله (٢) ؛ لحديث النبي – ﷺ – :" إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي ، ، يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا ، وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا(٣) .

---

(١) علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر : الإمام الهادي – عليه السلام – كنيته : أبو الحسن الهاشمي ، ولد بالمدينة ٢١٢هـ ، أشخصه جعفر المتوكل على الله من مدينة رسول الله – ﷺ – إلى بغداد ، ثم إلى سر من رأى ، وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر ، إلى أن توفي ودفن بها في أيام المعتز بالله سنة ٢٥٤هـ ، وله إحدى وأربعون سنة وتسعة أشهر ، قبره بداره بها . انظر الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، دت جـ ١٢ صـ ٥٦. العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢ صـ ١٢٦.

(٢) محمد بن علي بن موسى بن جعفر : الجواد – عليه السلام – كنيته أبو جعفر ، ولد سنة ١٩٥هـ بالمدينة ، كان رفيع القدر كأسلافه ، ذكيا ، طلق اللسان ، قوي البديهة ، يروي مسندا عن آبائه إلى علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –كفله المأمون بعد وفاة أبيه ، ورباه ، وزوجه ابنته أم الفضل ، ثم عاد للمدينة ، وأقام بها ، ثم قدم إلى بغداد على المعتصم ، ومعه امرأته ، فتوفي بها ، وحملت امرأته إلى قصر عمها المعتصم ، فجعلت مع الخدم ، وقبض ببغداد ٢٢٠هـ ، وله خمس وعشرون سنة ، وقيل : ٢١٩هـ ببغداد ، ودفن في مقابر قريش ، مع جده الكاظم ، وصلى عليه الواثق بن المعتصم . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ صـ ١٧٤–١٧٥. الزركلي : الأعلام جـ ٦ صـ٢٧١– ٢٧٢. العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢ صـ ١٢٥.الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ٢٤٠.

(٣) ابن شهر آشوب : مناقب علي بن أبي طالب ، نشر المكتبة الحيدرية – النجف ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م جـ ٢ صـ ٤١–٤٢ بتصرف.

(٤) غدير خم : ماء بين مكة والمدينة ، بإزاء الجحفة ، احتفرها عبد شمس بالبطحاء بعد بئره العجول ، وقيل : نُسِب إلى غَيْضَةٍ تسمي بذلك ، والغيضة هي الشجر الملتف ، وكان يوم غدير خم : ١٨ ذي الحجة ١٠هـ . انظر محمد الحِميري : الروض المعطار صـ ٢٢١. ابن تيمية : العقيدة الواسطية ، شرح : د محمد خليل هراس ، ط دار ابن رجب ، دار الفوائد– القاهرة ، ط١ ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م صـ ١٦٤ – ١٦٥ بتصرف.

(٥) الإمام أحمد : المسند جـ ٣٢ صـ ١١. الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ١٨٧٣.

(٦) لم أجده بهذا اللفظ . ورواه أحمد بلفظ :" وَاللَّهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي " . الإمام أحمد : المسند جـ ٣ صـ ٢٩٨. البيهقي : شعب الإيمان ، تحقيق : د عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط مكتبة الرشد – الرياض ، الدار السلفية – بومباي بالهند ، ط١ ، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م جـ ٣ صـ ٨٦.

(٧) د محمد خليل هراس : شرح العقيدة الواسطية صـ ١٦٤ – ١٦٥ بتصرف .

وهذا غيض من فيض من إكبار الصحابة ، والتابعين ، وأهل السنة ، وسلفهم الصالح من بعدهم جميعاً لآل البيت – عليهم السلام – وأصحاب نبينا – ﷺ – .

أما ما جرى بين علي ، وطلحة ، والزبير [٤] ، وعائشة ، ومعاوية – رضي الله عنهم أجمعين – فإنما كان عن تأويل ، واجتهاد [٥] ، وكلهم من أهل الاجتهاد ، وقد شهد لهم النبي – صلى الله عليه وسلم – بالجنة ، والشهادة ، وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين ، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم ، وتعبدنا بتوقيرهم ، وتعظيمهم ، وموالاتهم ، والتبري من كل من يتنقص أحداً منهم – رضي الله عنهم – [٦] .

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ : سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ – ﷻ– : " وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ " [٧] ، **وَطَاعَةُ النَّبِيِّ – ﷺ – فِي قَوْلِهِ : لَا تَسُبُّوا**

---

(١) الحرام : ممنوع – قال بعض العارفين أن آكل الحرام والشبهة مطرود عن الباب بغير شبهة . ألا ترى أن الجنب ممنوع عن دخول بيت الله والمحدث يحرم عليه مس كتابه مع أن الجنابة والحدث أثران مباحان فكيف من هو منغمس في قذر الحرام وخبث الشبهات لا جرم أنه أيضا مطرود عن ساحة القرب غير مأذون له في دخول الحرم . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٢ صـ ٢١.

(٢) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تحقيق : د حمزة النشرتي ، الشيخ عبد الحفيظ فرغلي ، نشر مكتبة النشرتي – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م جـ ٢ صـ ٣٧٩.

(٣) البخاري : صحيح البخاري جـ ٣ صـ١٣٦١. مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ١٩٠٢. أحمد بن حنبل : المسند جـ ٣١ صـ ٢٢٦.

(٤) الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزَّى : أَبُو عَبْدِ اللهِ ، حَوَارِيُّ رَسُوْلِ اللهِ – ﷺ – وَابْنُ عَمَّتِهِ صَفِيَّةَ ، وَأَحَدُ العَشَرَةِ المَشْهُوْدِ لَهُم بِالجَنَّةِ ، وَأَحَدُ السِّتَّةِ أَهْلِ الشُّوْرَى ، وَأَوَّلُ مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ فِي سَبِيْلِ اللهِ ، أَسْلَمَ وَلَهُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً ، قَتَلَهُ ابْنُ جُرْمُوْزٍ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلاَثِيْنَ ، وَلَهُ بِضْعٌ وَخَمْسُوْنَ سَنَةً . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١ صـ ٤١ – ٦٧.

(٥) يقول بدر الدين العيني :" إن الاجتهاد إنما يسوغ عند فقد النص ، والأنبياء لا يفقدون النص ؛ فإنهم متمكنون من استطلاع الوحي ، وانتظاره ، والفرق بينهم وبين غيرهم قيام العصمة بهم عن الخطأ ، وعن التقصير في الاجتهاد بخلاف غيرهم " . انظر بدر الدين العيني : عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ، دت جـ ١٦ صـ ١٧ .

(٦) أبو الحسن الأشعري : الإبانة عن أصول الديانة ، تحقيق:د فوقية حسين محمود،ط دار الأنصار – القاهرة ، ط١، ١٣٩٧هـ جـ ١صـ ٢٦٠.

(٧) سورة الحشر : آية رقم ١٠ .

أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ : لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ [1] ، وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ ، وَالسُّنَّةُ ، وَالْإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ ، وَمَرَاتِبِهِمْ [2].

ونعلم أنهم ما اقتتلوا على الإمامة ؛ بل إن القتال كان على القصاص من قتلة عثمان [3]– رضي الله عنه – ؛ فإن أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً على الخلافة ، ولا دعوا أحداً ليولوه الخلافة بعد عثمان ، ويؤيد هذا ما روي عن معاوية – رضي الله عنه – حين سأله سائل :" أَنْتَ تُنَازِعُ عَلِيّاً ، أَمْ أَنْتَ مِثْلُهُ ؟ فَقَالَ : لاَ وَاللهِ ، إِنِّيْ لأَعْلَمُ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنِّي ، وَأَحَقُّ بِالأَمْرِ مِنِّي ، وَلَكِنْ أَلَسْتُم تَعْلَمُوْنَ أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُوْماً ، وَأَنَا ابْنُ عَمِّهِ ، وَالطَّالِبُ بِدَمِهِ ، فَائْتُوْهُ ، فَقُوْلُوا لَهُ ، فَلْيَدْفَعْ إِلَيَّ قَتَلَةَ عُثْمَانَ ، وَأُسْلِمَ لَهُ . فَأَتَوْا عَلِيّاً ، فَكَلَّمُوْهُ ، فَلَمْ يَدْفَعْهُم إِلَيْهِ [4] ، فعندها صمم أهل الشام على القتال مع معاوية [5].

وهذه عائشة تعتذر عن خروجها مع الزبير وطلحة [6] – رضي الله عنهم – وتقول :" إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني ، قالت : ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال ، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبداً ، فلم يسمع الناس كلامي ، ولم يلتفتوا إليَّ ، وكان القتال "[7] .

---

(١) الإمام أحمد : المسند جـ ١٧ صـ ١٣٨. الإمام البخاري : صحيح البخاري جـ ٣ صـ١٣٤٣. الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ٤ صـ ١٩٦٧. ابن حبان : صحيح ابن حبان ، تحقيق : شعيب الأرناءوط ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م جـ ١٦صـ ٢٣٨.

(٢) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د محمد خليل هراس صـ ١٥٨ – ١٥٩.

(٣) عثمان بن عفان : بن أبي العاص بن أمية الأموي ، يجتمع مع رسول الله – ﷺ – في عبد مناف ، أحد العشرة ، صلى إلى القبلتين ، وهاجر الهجرتين ، جهز جيش العسرة ، قتل ٣٥هـ ، وهو صائم ، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ، وقيل : ابن تسع أو ثمان وثمانين . انظر أبو إسحاق الشيرازي : طبقات الفقهاء ، تحقيق : إحسان عباس ، نشر دار الرائد العربي – بيروت ، ط١ ، ١٩٧٠م جـ ١صـ ٤١. أبو نعيم الأصبهاني : معرفة الأصحاب ، تحقيق : عادل يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر– الرياض ، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م جـ ١صـ ٥٨ – ٧٥.

(٤) سنده صحيح كما قال شعيب الأرناءوط . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ١٤٠ .

(٥) الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م جـ ٨صـ ١٣٨.

(٦) طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عُثْمَانَ بنِ عَمْرٍو التَّيْمِيُّ : أَبُو مُحَمَّدٍ أَحَدُ العَشَرَةِ ، سَبَقَ إِلَى الإِسْلاَمِ ، وَأُوْذِيَ فِي اللهِ ، ثُمَّ هَاجَرَ ،كَانَتْ يَدُهُ شَلاَّءَ ؛ مِمَّا وَقَى بِهَا رَسُوْلَ اللهِ – ﷺ – يَوْمَ أُحُدٍ. قَالَ رَسُوْلُ اللهِ – ﷺ – عنه : شَهِيْدٌ ، قَتْل ٣٦هـ ، وَهُوَ ابْنُ ثِنْتَيْنِ وَسِتِّيْنَ سَنَةٍ بِالبَصْرَةِ. انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١ صـ ٢٣ – ٤٠.

(٧) أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني : مصنف عبد الرزاق ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ جـ ٥ صـ ٤٥٢.

ولما جاء نعي علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – إلى معاوية – رضي الله عنه – ، قال معاوية : إنا لله ، وإنا إليه راجعون ، وجعل يبكي ، فقالت له امرأته : أنت بالأمس تطعن عليه ، واليوم تبكي عليه ، فقال : ويحك إنما أبكي لما فقد الناس من حلمِهِ ، وعلمِهِ ، وفضلِهِ ، وسوابقِهِ ، وخيرِهِ [١].

وجملة الهدف من الدراسة :

أن مما يؤمن به الباحث ومعي كثير من أولي الفضل أنه : " يستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب ؛ لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من فعل كثير من المستحبات ، فإن هذا الدين لا ينتصر إلا بالجماعة ، ولا تقوى الجماعة إلا بالوحدة ، ولا تتحقق الوحدة إلا بالوعي ، ولا يوجد الوعي إلا بالتربية التي تربي النفوس على حب الاجتماع ، ونبذ الفرقة ، والخلاف "[٢].

هذه المشكلة الخطيرة مزقت الوحدة الإسلامية المقدسة ، التي نعتقد أنها من أهم أصول الدين ، ونرى أن الحفاظ عليها فرض من الفروض العينية التي تجب على كل مسلم ، ومن ذلك التقريب بين الشيعة الاثني عشرية ، وأهل السنة والجماعة [٣].

وإذا كان النبي – ﷺ – قد تعاون مع اليهود في المدينة ، وعقد معهم معاهدة ، وقال في حق مشركي قريش في صلح الحديبية :" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً ، يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ ، إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا " [٤] ، وقال تعالى :" وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ " [٥] ، حين سار نبي الله – ﷺ – إلى المشركين بأُحُدٍ لقتالهم ، فقال المسلمون للمنافقين : تعالوا قاتلوا المشركين معنا ، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا ! فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ؛ لسرنا معكم إليهم ، ولكنَّا معكم عليهم ، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتالٌ ! فأبْدَوْا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتمونه ، وأبْدَوْا بألسنتهم بقولهم :**"لو نعلم قتالا لاتبعناكم"** ، غير ما يكتمونه من عداوة رسول الله – ﷺ – والمؤمنين [٦].

---

(١) الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٨ صـ ١٥ .

(٢) د أحمد الغامدي : الضوابط الفقهية للتعامل مع المخالفين في المسائل الأصلية والفرعية ، نشر دار الفوائد ، دار بان رجب – القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م صـ ١٥٢ – ١٥٣ بتصرف .

(٣) د عصام علي يحيي العماد : المنهج الجديد والصحيح في الحوار مع الوهابين (محاولة للتقريب بين الإثني عشرية والوهابية) ، نشر مؤسسة كوثر للمعارف – قم ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ صـ ٧٥ بتصرف .

(٤) البخاري : صحيح البخاري جـ ٣ صـ ١٩٣ . ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١١ صـ ٢١٨ . أبو داود : السنن جـ ٣ صـ ٨٥ .

(٥) سورة آل عمران : آية رقم ١٦٧.

(٦) أبو جعفر الطبري : تفسير الطبري جـ ٣ صـ ١٧٤ بتصرف .

فمما سبق تبين أن النبي – ﷺ – تعاون مع المنافقين والمشركين واليهود – وهم أعداؤه – لما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين ، ومن أجل تعظيم حرمات الله – ﷻ – ، ومن أعظمها وحدة الصف المسلم فما بالك بالتعاون مع غيرك ممن يخالفك في الرأي من المسلمين (١) .

ومع الاختلاف الواقع بين أهل السنة في الحكم على الشيعة الإمامية الاثني عشرية الروافض بين حاكم عليهم بالكفر ، والفسق ، والبدعة ، والإيمان ؛ نقول : مع التنزل في الحكم عليهم بالكفر :" فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْفُقَهَاءِ يَظُنُّ : أَنَّ مَنْ قِيلَ هُوَ كَافِرٌ ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَجْرِيَ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْمُرْتَدِّ رِدَّةً ظَاهِرَةً ، فَلَا يَرِثُ ، وَلَا يُورَثُ ، وَلَا يُنَاكَحُ ، حَتَّى أَجْرَوْا هَذِهِ الْأَحْكَامَ عَلَى مَنْ كَفَّرُوهُ بِالتَّأْوِيلِ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا " ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ " : مُؤْمِنٌ ؛ وَكَافِرٌ مُظْهِرٌ لِلْكُفْرِ ، وَمُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِسْلَامِ مُبْطِنٌ لِلْكُفْرِ ، وَكَانَ فِي الْمُنَافِقِينَ مَنْ يَعْلَمُهُ النَّاسُ بِعَلَامَاتٍ وَدَلَالَاتٍ ، بَلْ مَنْ لَا يَشُكُّونَ فِي نِفَاقِهِ ، وَمَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِبَيَانِ نِفَاقِهِ ، وَمَعَ هَذَا فَلَمَّا مَاتَ هَؤُلَاءِ وَرِثَهُمْ وَرَثَتُهُمْ الْمُسْلِمُونَ ، وَكَانَ إذَا مَاتَ لَهُمْ مَيِّتٌ آتَوْهُمْ مِيرَاثَهُ ، وَكَانَتْ تُعْصَمُ دِمَاؤُهُمْ حَتَّى تَقُومَ السُّنَّةُ الشَّرْعِيَّةُ عَلَى أَحَدِهِمْ بِمَا يُوجِبُ عُقُوبَتَهُ " (٢) " ، ومن هذا يتبين أن التعامل معهم مع كفرهم كان من سنة رسول الله – ﷺ – .

بل وصل الحال ببعض المؤلفين أن يفضل التعامل مع اليهود والنصارى عن التعامل مع الروافض ولكنه تناسى أن :" كُلُّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ – ﷺ – فَهُوَ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ مَنْ كَفَرَ بِهِ ؛ وَإِنْ كَانَ فِي الْمُؤْمِنِ بِذَلِكَ نَوْعٌ مِنْ الْبِدْعَةِ سَوَاءٌ كَانَتْ بِدْعَةَ الْخَوَارِجِ(٣) ، وَالشِّيعَةِ ، وَالْمُرْجِئَةِ(٤) ، وَالْقَدَرِيَّةِ(٥) أَوْ غَيْرِهِمْ ؛ فَإِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى كُفَّارٌ كُفْرًا مَعْلُومًا بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ .

---

(١) د أحمد الغامدي : الضوابط الفقهية للتعامل مع المخالفين في المسائل الأصلية والفرعية ص ١٤٦ بتصرف .

(٢) أحمد بن عبدالحليم بن تيمية : الإيمان الأوسط ، تحقيق : محمود أبو سن ، دار طيبة للنشر – الرياض ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ص ١٦٤.

(٣) الخوارج : من خرجوا على علي بن أبي طالب في صفين ، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي ، ويكفرون أصحاب الكبائر ، ويرون وجوب الخروج على الإمام إذا خالف الكتاب أو السنة . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ص ٩٨-٩٩ بتصرف .

(٤) المرجئة : أربع فرق : اليونسية ، والعبدية ، والفسانية ، والثوبانية . قالوا : الإيمان هو المعرفة بالله ، والخضوع له ، والمحبة بالقلب ، ولا يضر معها ترك الطاعات ، وارتكاب المعاصي ، وإبليس كان عرافاً بالله ، وإنما كفر باستكباره ، وترك الخضوع لله تعالى ، وإنما لقبوا بالمرجئة ؛ لأنهم يرجئون العمل عن النية أي يؤخرونه في الرتبة عنها وعن الإعتقاد ، ولأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٣ ص ١٧٣.

(٥) القدرية : نُفَاةُ الْقَدَرِ ، منهم المعتزلة ، زَعَمُوا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ مَا هُوَ ثَابِتٌ بِالضَّرُورَةِ مِنِ اخْتِيَارِ الْعَبْدِ في فعله ، وَبَيْنَ مَا دلَّت عَلَيْهِ النُّصُوصُ مِنْ عُمُومِ خَلْقِهِ تَعَالَى وَمَشِيئَتِهِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الْعُمُومَ فِي زعمهم إبطال لمسؤولية الْعَبْدِ عَنْ فِعْلِهِ ، وهدمٌ لِلتَّكَالِيفِ ، فَرَجَّحُوا جَانِبَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وخصَّصوا النُّصُوصَ الدَّالة عَلَى عُمُومِ الْخَلْقِ وَالْمَشِيئَةِ بِمَا عَدَا أَفْعَالِ الْعِبَادِ ، وَأَثْبَتُوا أَنَّ الْعَبْدَ خَالِقٌ لِفِعْلِهِ بِقُدْرَتِهِ ، وَإِرَادَتِهِ، وَلِهَذَا سمُّوا مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ لِأَنَّ الْمَجُوسَ يَزْعُمُونَ : أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخْلُقُ الشَّرَّ ، وَالْأَشْيَاءَ الْمُؤْذِيَةَ ، وعَنْ إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، قَالَ :

وَالْمُبْتَدِعُ إذَا كَانَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُوَافِقٌ لِلرَّسُولِ – ﷺ – لَا مُخَالِفٌ لَهُ لَمْ يَكُنْ كَافِرًا بِهِ ؛ وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ يَكْفُرُ فَلَيْسَ كُفْرُهُ مِثْلَ كُفْرِ مَنْ كَذَّبَ الرَّسُولَ – ﷺ –(١) .

وتناسوا أيضاً أن :" مَنْ كُفِّرَ بِبِدْعَةٍ – وَإِنْ جَلَّتْ – لَيْسَ هُوَ مِثْلَ الكَافِرِ الأَصْلِيِّ ، وَلاَ اليَهُوْدِيِّ ، وَالمَجُوْسِيِّ ، أَبَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَصَامَ ، وَصَلَّى ، وَحَجَّ ، وَزَكَّى – وَإِنِ ارْتَكَبَ العَظَائِمَ ، وضَلَّ ، وَابْتَدَعَ – كَمَنْ عَانَدَ الرَّسُوْلَ ، وَعَبَدَ الوَثَنَ ، وَنَبَذَ الشَّرَائِعَ ، وَكَفَرَ، وَلَكِنْ نَبْرَأُ إِلَى اللهِ مِنَ البِدَعِ وَأَهْلِهَا " (٢) .

وإن كان الاثنى عشرية متأولين فهم :" غير كفار ؛ لأن صدورهم لم تنشرح بالكفر قطعاً ، أو ظناً ، أو تجويزاً ، أو احتمالاً ، وقد يشهد لهم بذلك كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام – وهو الصادق المصدوق في المشهور عنه حيث : سئل عن كفر الخوارج ؛ فقال : من الكفر فروا ، فكذلك جميع أهل التأويل من أهل الملة ، وإن وقعوا في أفحش البدع والجهل ؛ فقد علم منهم أن حالهم في ذلك هي حال الخوارج " (٣) .

بل إن الصواب : " عدم تكفير أهل الأهواء المتأولين ؛ لأنهم لم يقصدوا اختيار الكفر ، بل بذلوا وسعهم في إصابة الحق ، فلم يحصل لهم غير ما زعموه ، فهم كالمجتهد المخطئ ، هذا الذي عليه محققو علماء الأمة " (٤) .

فلو كفرنا هؤلاء بمجرد التأويل " لكان غالب من على ظهر البسيطة من المسلمين مرتدين ؛ لأن كل ذلك نزغة من نزغات الشيطان الرجيم ، ونبضة من نبضات التعصب البالغ ، والتعسف العظيم " (٥) .

أَعَاذنَا اللهُ مِنَ الفِتَنِ ، وَرَضِيَ عَنْ جَمِيْعِ الصَّحَابَةِ ، فَترضَّ عَنْهُم يَا شِيْعِيُّ تُفلحْ ، وَلاَ تَدْخُلْ بَيْنَهُم ، فَاللهُ حَكَمٌ عَدْلٌ ، يَفعلُ فِيْهِم سَابقَ عِلْمِهِ ، وَرَحْمتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، وَهُوَ القَائِلُ سبحانه : إِنَّ

مَا نَاظَرْت بِعَقْلِي كُلِّهِ أَحَدًا إلَّا الْقَدَرِيَّةَ ، قُلْت لَهُمْ : مَا الظُّلْمُ ؟ قَالُوا أَنْ تَأْخُذَ مَا لَيْسَ لَك ، أَوْ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِيمَا لَيْسَ لَك ، قُلْت : فَلِلَّهِ كُلُّ شَيْءٍ . د/ محمد خليل هراس : شرح العقيدة الواسطية ص ١٥٣–١٥٤.ابن العطار : الاعتقاد الخالص ص ٣٢٧.

(١) أحمد بن عبدالحليم بن تيمية : الفتاوى الكبرى ج ٣٥ ص ٢٠١.

(٢) الإمام الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٩ ص ١٨١.

(٣) محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي الشهير بابن الوزير: إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧م ص ٣٩٥.

(٤) الإمام المناوي : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م ج ٤ ص ٢٠٧.

(٥) الإمام الشوكاني : السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ ج ٤ ص ٣٧٣.

رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي ، وهو القائل :"لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ، وَهُم يُسَأَلُوْنَ "[1] ، فَنسَأَلُ اللهَ أَنْ يَعفُوَ عَنَّا، وَأَنْ يُثَبِّتَنَا بِالقَولِ الثَّابتِ، آمِيْنَ[2] .

وبعد هذه النقول نقول : نحن نخالف الشيعة الاثني عشرية في أصول وفروع ، أراد الباحث في هذا البحث : تحديد نقاط الاتفاق لنقف على أرضها الثابتة ؛ لننطلق من خلالها إلى نقاط الاختلاف ؛ لننظر فيها بروية وموضوعية سائلين الله الهدى والرشاد ؛ لنعيد للأمة وحدتها المأمولة ، وتبعد عنا شماتة الأعداء ، وإنما مثل من يبين الحق ؛ كطبيب جراح يجرح ليداوي ، ويؤلم ليعالج ، ويدمي ليطهر البدن من خبث المرض ، فنسأل الله – عز وجل – أن يطهر قلوبنا من خبث الكبر وبطر الحق وغمط الناس ؛ إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

---

(١) سورة الأَنْبِيَاءُ: آية رقم ٢٣ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ٢٨٠.



تعريف الشيعة الاثني عشرية وتاريخ ظهورهم

تفرقت الأمة بعد نبينا – ﷺ – شيعاً وأحزاباً ، ومن أهم هذه الفرق التي تميزت عن أمة الإسلام في منهجها ، وفي من تتبع ، وفي استدلالاتها فرقة الشيعة فهيا لنتعرف على هذه الفرقة لنؤسس للكلام عن موضوع بحثنا ؛ إذ أن معرفة الشيء فرع عن تصوره .

أولا : معني الشيعة في معاجم اللغة : –

الشيعة لغة : من المشايعة ، والمتابعة ، والمناصرة ، والموالاة ، والمطاوعة ، يقال : فلان من شيعة فلان ، أي : ممن يرى رأيه "[1]، فكل قوم اجتمعوا على أمر من رأي غيرهم ، وهم قوم يهوون هوى عترة [2] النبي – ﷺ – ويوالونهم[3] ، وفي المعنى : " شيعة الدجال" [4] ، أي : أولياؤه . والشيعة : أمة لا يحصون مبتدعة ، وغلاتهم : الإمامية المُنْتَظِرِيّة [5] ، يسبون الشيخين ، وغلاة غلاتهم : ضُلَّال يكفرون الشيخين ، ومنهم : من يرتقي إلى الزندقة [6][1] .

---

(١) ابن دريد : جمهرة اللغة جـ ٣ صـ ٦٣ . ابن منظور : لسان العرب جـ ٢٧ صـ ٢٣٧٧.

(٢) العترة : العشيرة ؛ لِقَوْلِ الصِّدِّيقِ فِي مَحْفِلٍ من الصَّحَابَةِ : " نَحْنُ عِتْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – وَبَيْضَتُهُ الَّتِي تَفَقَّأَتْ عَنْهُ " ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ ، وَهُمْ أَهْلُ اللِّسَانِ ، فلا يعول على من خالفهم . وقال الجوهري : عترة الرجل : ذريته الأدنون ، ومن مضى منهم ، ومن غبر ، قال ثعلب وابن الأعرابي : العترة الأولاد ، وأولاد الأولاد ، ولم يدخلا في ذلك العشيرة ، قال – ﷺ – : " عترتي أهل بيتي " ؛ والأول أصح ، وأشهر في عرف الناس . وقَالَ الْقُتَيْبِيُّ : تشمل المعنيين ؛ فهي لِوَلَدِهِ ، وَوَلَدِ وَلَدِهِ الذُّكُورِ ، وَالإِنَاثِ ، وَلِعَشِيرَتِهِ الأَدْنِينَ . انظر البهوتي الخلوتي : حاشية الخلوتي على منتهى الإرادات ، تحقيق : سامي بن عبد الله الصقير ، نشر وزارة الأوقاف القطرية – قطر ، ط١ ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م جـ ٣ صـ ٥٠٣ . د وهبة بن مصطفى الزحيلي : : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر – دمشق ، ط٢ ، ١٤١٨هـ جـ ٢٥ صـ ٥٨ . أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي : عون المعبود شرح سنن أبي داود ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢، ١٤١٥هـ جـ ١١ صـ ٢٥١. أبو الفرج الجوزي : غريب الحديث ، تحقيق : د عبد المعطي أمين قلعجي ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٩٨٥م جـ ٢ صـ ٦٧. الترمذي : السنن جـ ٥ صـ ٦٦٢ .

(٣) مرتضى الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق علي شيري – ط دار الفكر – بيروت ، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، مادة شيع جـ ٥ صـ ٥ . ابن منظور : لسان العرب : مادة شيع جـ ٢٧ صـ ٢٣٧٦ – ٢٣٧٩ بتصرف .

(٤) لفظه :" إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسًا ، وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ : لَا قَدَرَ ، فَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ ؛ فَلَا تَعُودُوهُ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ ؛ فَلَا تَشْهَدُوهُ وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِهِ" . – وسنده ضعيف – الإمام أحمد بن حنبل : المسند جـ ٣٨ صـ ٤٤٣.

(٥) المنتظرية :كل فرقة تقول : بانتظار المهدي في آخر الزمان ، وهو مسمى يجمع مسميات كثيرة ، يجمعهم الوصف السابق ، واختلافهم في المنتظر أكبر من أن يجمع في موضع واحد . انظر السمعاني : الأنساب ، ط دار الجنان – بيروت ، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م جـ ١ صـ ٢٠٧. ابن الأثير الجزري : اللباب في تهذيب الأنساب ، ط دار صادر– بيروت ، دت جـ ١ صـ ٨٤ بتصرف .

(٦) الزندقة : القول بأزلية العالم ، وأطلق على الزردشتية ، والمانوية ، والثنوية ، وتوسع فأطلق على كل شاك ، أو ضال ، أو ملحد ، وهي : كلمة فارسية معربة ، منسوبة إلى " زند " اسم كتاب أظهره مزدك في أيام قباد ، وزعم أنه تأويل كتاب المجوس الذي جاء به زرادشت النبي ، فنسب أصحاب مزدك إلى زند وعربت. وعند المالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، والجعفرية ، والزيدية : هو الذي يظهر الإسلام ، ويخفي الكفر ، وكان يسمى: منافقاً ، وعند الحنفية ، وفي قول للشافعية :من لا ينتحل ديناً . انظر ابن منظور : لسان العرب جـ ٢٢ صـ

سبب تسميتهم بذلك عند الشيعة يبينه أبو جعفر – عليه السلام – فيقول :" وإنما سمو شيعة ؛ لأنهم خلقوا من شعاع نورنا " [٢] أي : الأئمة .

الشيعة في القرآن الكريم : ذكر التشيع في القرآن الكريم في ثمانية مواضع :

١– قال – ﷻ – : " **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** " [٣] ، تشيع الفاحشة : تعم المجتمع وتنتشر فيه وتشتهر [٤].

٢- قال – ﷻ –:" **ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا** " [٥] ، ومعنى الشيعة هنا : الفرقة والأمة ذات دين واحد يتابع بعضهم بعضا [٦].

٣– قال – ﷻ – :"**فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ** " [٧] ، وقوله تعالى : " **وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ** " [٨] ، أي : من أوليائه وأنصاره [٩].

٤- قال – ﷻ – :"**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ**"[١٠]، أي : فرقهم وجماعتهم[١١] .

٥– قال – ﷻ – :"**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شيعا ويذيق بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ**" [١٢]، أي: فرقا مختلفة الأهواء [١٣].

٦- قال – ﷻ – :"**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ** " [١٤] ، أي: أتباعكم ، أو أشباهكم [١٥].

١٨٧١. المعجم الوجيز ص ٢٩٣. د سعدي أبو حبيب : القاموس الفقهي لغة واصطلاحا نشر دار الفكر – دمشق ، ط٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ص ١٦٠. ابن العطار : الاعتقاد الخالص ص ٣٢٧. الأحمدي نكري : دستور العلماء ج ٢ ص ١١٣.

(١) السيد محمد مرتضي الحسيني الزبيدي : تاج العروس ، مادة شيع ج ١١ ص ٢٥٧ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٣–٢٤ بتصرف .

(٣) سورة النور : آية ١٩ .

(٤) أبو بكر الجزائري : أيسر التفاسير ، نشر مكتبة أضواء المنار – جدة ، ط١ ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ص ٨٤٠ .

(٥) سورة مريم : آية ٦٩ .

(٦) البغوي : تفسير البغوي ، نشر دار ابن حزم – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م ص ٨٠٨ .

(٧) سورة القصص : آية ١٥ .

(٨) سورة الصافات : آية ٨٣.

(٩) مصطفى العدوي : البيان في معاني كلمات القرآن ، نشر مكتبة مكة – طنطا ، ط١ ، ١٤٣٣هـ /٢٠١٢م ص ٣٤٠ .

(١٠) سورة الحجر: آية ١٠ .

(١١) السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ص ٤٢٩.

(١٢) سورة الأنعام : آية ٦٥ .

(١٣) الجلالين المحلي ، والسيوطي : تفسير الجلالين ، نشر دار السلام – الرياض ، ط١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ص ٢٨٣.

(١٤) سورة القمر : آية ٥١ .

(١٥) الإمام القرطبي : تفسير القرطبي ، نشر دار ابن حزم – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ج ٢ص ٢٩٥١.

٧- قال - ﷻ - :"وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ" (١) أي: الْمُشَابِهُونَ فِي النِّحْلَةِ ، وَإِنْ كَانُوا سَالِفِينَ(٢) .

وبالنظر في تفسير هذه الآيات الكريمات : يظهر لنا أن لفظة الشيعة ظهرت قبل ظهورها بالفعل ، غير أن هذه اللفظة قد غلبت على من تمسك بأهل البيت الطاهر ، حتى صارت لهم اسماً خاصاً يميزهم (٣) بعد ظهور من تشيعوا لعلي - رضي الله عنه - .

وغالباً ما يستعمل هذا اللفظ في الذم ؛ وذلك والله أعلم : لما في لفظ الشيعة من الشياع ، والإشاعة التي هي ضد الائتلاف ، والاجتماع ؛ ولهذا : لا يطلق لفظ الشيع إلا على : فرق الضلال لتفرقهم ، واختلافهم(٤)، ويختص اسم الشيعة اليوم على إطلاقه بالإمامية (٥) .

وننبه : أن الألفاظ التي تدل على مسمى الشيعة في كتاب الله ومعانيها ، لا تدل على الاتجاه الشيعي المعروف ، وهذا أمر يدرك بداهة ، ولكن الغريب في الأمر ، أن نجد عند الشيعة اتجاهاً يحاول - ما وسعته المحاولة أو الحيلة - أن يفسر بعض ألفاظ الشيعة الواردة في كتاب الله بطائفته ، ويؤول كتاب الله على غير تأويله ، تحريفاً لكتاب الله ، وإلحاداً فيه ، فقد جاء في تفسير قوله - ﷻ - : " وإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ " (٦) ، أن إبراهيم - عليه السلام - من شيعة علي(٧).

ونسبوا هذا التفسير إلى جعفر الصادق - رحمه الله - ، ودينه وعلمه ينفيان ذلك ، وهذا مخالف لسياق القرآن ، وهو نابع عن عقيدة غلاة الروافض ، الذين يفضلون الأئمة على الأنبياء ؛ لأن هذا التأويل يجعل خليل الرحمن - ﷺ - من شيعة علي ، وهو أمر يعرف بطلانه من الإسلام بالضرورة ، كما هو باطل بالعقل ، والتاريخ ، وهو من وَضع وضَّاع لا يحسن الوضع (٨)، والصحيح : أن إبراهيم من شيعة نوح - عليهما السلام- (٩) .

معاني لفظ الشيعة في السنة النبوية :

---

(١) سورة سبأ : آية ٥٤ .

(٢) الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، نشر الدار التونسية – تونس ، ١٩٨٤م جـ ٢٢ صـ ٢٤٥ .

(٣) طالب الخرسان : نشأة التشيع ، ط أمير ، نشر الشريف الرضى– قم ، ط١ ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م صـ ١٨ – ١٩ بتصرف.

(٤) ابن قيم الجوزيه : بدائع الفوائد ، ط مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة ، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م جـ ١صـ ١٦١- ١٦٢بتصرف.

(٥) الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ، ط الدار الإسلامية - المنصورة ، ١٩٨٢م صـ ٦٣.

(٦) سورة الصافات : آية ٨٣.

(٧) محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٦٨ صـ ١٢-١٣.

(٨) د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ، رسالة دكتوراه ، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة -كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط٢ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م جـ ١ صـ ٢٧ بتصرف .

(٩) ابن جرير الطبري : جامع البيان في تأويل القرآن " تفسير الطبري " جـ ٢٣ صـ ٧٠.

ورد لفظ الشيعة في السنة : بمعنى الأتباع ، كحديث :" أَقْبَلَ رَجُلٌ ، فَوَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – وَهُوَ يُعْطِي النَّاسَ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ قَدْ رَأَيْتَ مَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – : أَجَلْ ، فَكَيْفَ رَأَيْتَ ، قَالَ : لَمْ أَرَكَ عَدَلْتَ ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – ثُمَّ قَالَ : وَيْحَكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ الْعَدْلُ عِنْدِي ، فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَقْتُلُهُ ، قَالَ : لَا ، دَعُوهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ ، يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ ، حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ " [١] وفي رواية :" فَاقْتُلُوهُمْ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ "[٢] ، وفي رواية : يَخْرُجُ قَوْمٌ تُحَقِّرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ ، وَأَعْمَالَكُمْ مَعَ أَعْمَالِهِمْ ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ " [٣] ، وفي رواية :" يخرج قوم في آخر الزمان ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين – وفي نسخة : " قتالهم حق على كل مسلم"[٤]، فالشيعة هنا : تعني الأصحاب ، والأتباع ، والأنصار ، وهي تدل على الذم كما تلحظ .

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – : " الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ ؛ إِنْ مَرِضُوا فَلاَ تَعُودُوهُمْ ، وَإِنْ مَاتُوا فَلاَ تَشْهَدُوهُمْ " [٥] ، وفي رواية : وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ[٦] ، وَحَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِه "[٧] .

وقال أحد السلف :" فَالْمُرْجِئَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ[٨] ... فَكِلَاهُمَا شِيعَةُ إِبْلِيسَ "[٩] .

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل : المسند جـ ٢ صـ ٩٥.

(٢) المصدر السابق : جـ ١٧ صـ ١٨٨.

(٣) الإمام البخاري : صحيح البخاري جـ ٤ صـ ١٩٢٨.

(٤) الإمام النسائي : السنن الكبرى جـ ٨ صـ ٥٥١.

(٥) حديث حسن . انظر أبو داود السجستاني : سنن أبي داود جـ ٤ صـ ٣٥٧ . انظر البغوي : شرح السنة ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت ، ط٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م جـ ١ صـ ١٥٢.

(٦) الدجال : الدجل : الكذب ، وسير تمام الأرض ، والتكبر ، والتلبيس ، أعور العين اليمنى ، قال تميم الداري في حديث الجساسة : فأتيته فإذا رجل يجر شعره مسلسل في الأغلال يتردد فيما بين السماء والأرض ، فقلت : من أنت ، قال : أنا الدجال ، وأمه امرأة من اليهود ، يخرج بعد ظهور المهدي بسبع سنين ، ويلبث في الأرض أربعين ليلة ، ويسير في الأرض كلها إلا مكة والمدينة . انظر مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ٢٢٦١– ٢٢٦٣ . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٢ صـ ٧٠.

(٧) حديث ضعيف . الإمام أبو داود السجستاني : سنن أبي داود جـ ٤ صـ ٣٥٧ . البيهقي : السنن الكبرى جـ ١٠ صـ ٣٤٢.

(٨) الجهمية : أتباع جهم بن صفوان الذى قال بالإجبار ، وأنكر الاستطاعات وانما تنسب الاعمال الى المخلوقين على المجاز ، وزعم أن الجنة والنار تفنيان ،وأن الايمان هو المعرفة بالله تعالى فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط ،وأن علم الله تعالى حادث ، وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء ، أو حى ، أو عالم ، أو مريد ، وقال بحدوث كلام الله تعالى ، ولم يسم الله تعالى متكلماً به واكفره أصحابنا فى جميع ضلالاته . انظر البغدادي : الفرق بين الفرق صـ ١٩٩ بتصرف .

(٩) أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء جـ ٩ صـ ٢٤٧ – ٢٤٨ ، من كلام محمد بن أسلم – رحمه الله تعالى – .

ومما يزيد الذم لهذه التسمية : أن شيعة الدجال من اليهود قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – : يَنْزِلُ الدَّجَّالُ هَذِهِ السَّبْخَةَ ، فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ يَعْمِدُ إِلَى حَبِيبَتِهِ : إِمَّا أُمِّهِ ، أَوْ أُخْتِهِ ، أَوْ زَوْجَتِهِ ، فَيُشَدِّدُ رِبَاطَهَا أَوْ تَلْحَقُ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – : ثُمَّ يُسَلَّطُونَ عَلَيْهِ وَعَلَى شِيعَتِهِ ، وَشِيعَتُهُ الْيَهُودُ ، فَيَقْتُلُوهُمْ ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَسْتَتِرُ بِالْحَجَرِ أَوِ الشَّجَرِ ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ : يَا مُؤْمِنُ ، هَذَا وَرَائِي يَهُودِيٌّ ؛ فَاقْتُلْهُ [١] .

بل جاءت تسمية الشيعة حتى مع الشيطان ،– حاشا علياً – قال – ﷺ – :" إن الشمس تشرق بين قرني الشيطان" [٢]، والمراد بقرنه : أمته وشيعته " [٣].

والمراجع لكتب السنة لا يرى استعمال لفظ الشيعة على الفرقة المعروفة بهذا الاسم ، إلا ما جاء في بعض الأخبار الضعيفة ، أو الموضوعة [٤] ، مثل ما رُوي : "فاستغفرت لعلي ، وشيعته" [٥] ، ورُوي : " مثلي مثل شجرة أنا أصلُها ، وعليٌّ فرعها ، والحسن والحسين ثمرتُها ، والشيعةُ ورقُها ، فأي شيء يخرج من الطيب إلا الطيب " [٦] ، وقول النبي – ﷺ – لعلي – رضي الله عنه – : " أنت وأصحابك في الجنة ، أنت وشيعتك في الجنة ، إلا أنه ممن يزعم أنه يحبك أقوام يَقْفِزُون الإسلام ، ثم يلفظونه ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، لهم نبزٌ [٧] ، يقال لهم : الرافضة ، فإن

---

(١) قال الطبراني : تفرد به محمد بن المعلى . انظر أبو القاسم الطبراني : المعجم الأوسط جـ ٤ صـ ٢٤٦.

(٢) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ١ صـ ٤٢٧. أبو داود : السنن جـ ٢ صـ ٢٥ .

(٣) الإمام النووي : شرح صحيح مسلم جـ ٥ صـ ١١٣.

(٤) الحديث الموضوع : المختلق المصنوع المفترى من قائله ، ويُعْرَفُ : باعتراف الراوي ، أو بقرينة تشبه الاعتراف ، أو ركاكة الأسلوب ، أو مخالفة العقل ، أو مخالفة الشرع ، أو ينقل راو واحد ما يفترض أن ينقله عدد كثير ، أو الإفراط في الثواب ، أو التشديد المفرط في الوعيد ، أو وجود مجازفة فاحشة في الحديث ، وتنفرد الشيعة بأمر ؛ وهو : كون الراوي سنياً . انظر د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية عرض ونقد صـ ٢٢٣ – ٢٢٤ بتصرف .

(٥) قال الطبراني : ضعيف ، وقال العقيلي: لا أصل له ، وسديف غال في الرفض ، قال حنان : دخلت مع أبي على جعفر بن محمد ، فحدثه أبي بهذا الحديث ، فقال جعفر : ما كنت أرى أن أبي حدث بهذا الحديث . انظر الطبراني : المعجم الأوسط ، تحقيق : طارق عوض الله ، ط دار الحرمين – القاهرة ، ١٤١٥هـ جـ ٤ صـ ٢١٢. انظر السيوطي: اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، دت جـ ١صـ ٣٧١. أبو الحسن الكناني :تنزيه الشريعة المرفوعة ، تحقيق عبد الله الغماري ، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢، ١٩٨١م جـ ١ صـ ٤١٤.

(٦) قال الشوكاني : رواه ابن مردويه عن علي مرفوعاً ، وفي إسناده عباد بن يعقوب ، وهو رافضي ، أورده ابن الجوزي في موضوعاته ، وفي لفظ " أنا الشجرة ، وفاطمة فرعها ، وعلي لقاحها ، والحسن والحسين ثمرتها ، وشيعتنا أوراقها ، وأصلها في جنة عدن " ، وقال الحاكم : متن شاذ ، قال الكناني : خبر باطل . انظر الشوكاني : الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، تحقيق : عبد الرحمن يحيى المعلمي ، ط المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٢،١٤٠٧هـ صـ ٣٧٩. الكناني : تنزيه الشريعة المرفوعة جـ ١ صـ ٣٦٥.

(٧) نبز فلانٌ فلاناً : عابه ، ولقبه بلقب سيء . انظر د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٣ صـ ٢١٥٨.

أدركتهم فجاهدهم ، فإنهم مشركون ، فقلت : يا رسول الله ، ما العلامة فيهم ؟ قال : لا يشهدون جمعةً ، ولا جماعةً ، ويطعنون على السلف[1] الأول" [2] سبحان الله ! .

معنى الشيعة في كتب التاريخ : مازال لفظ الشيعة في صدر الإسلام يستعمل في معنى المتابعة ، والمناصرة فقط ؛ فقد جاء عن عمر – رضي الله عنه – أنه رأى ملك الفرس ، فقال " : أعوذ بالله من النار... الحمد لله الذي أذل هذا وشيعته بالإسلام" [3] .

وكان الصحابة ومن تبعهم يطلقون على من تابع عثمان : " شيعة عثمان " [4] ؛ ففي وثيقة التحكيم[5] ورد فيها :" هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ... ومن معهم من شيعتهم ، من المؤمنين والمسلمين "[6] .

حتى إن لفظ الشيعة كان يستخدمه معاوية – رضي الله عنه – ؛ ففي قول معاوية – رضي الله عنه – حين بعث أحد الصحابة إلى اليمن : " امض حتى تأتي صنعاء[7] فإن لنا بها شيعة " [8].

وقول أحد الصحابة عن عائشة – رضي الله عنها – :" مَا أَنَا بِقَارِبِهَا ، لِأَنِّي نَهَيْتُهَا أَنْ تَقُولَ فِي هَاتَيْنِ الشِّيعَتَيْنِ شَيْئًا ، فَأَبَتْ فِيهِمَا إِلَّا مُضِيًّا "[9] .

وكان المحققين يذكرون بعض الصحابة ويصفونهم بأنهم من شيعة علي ، ولا يعد ذلك نقصاً فيهم [1] ، بل مدحوهم فقالوا :" شِيعَةُ عَلِيٍّ الْحُلَمَاءُ ، الْعُلَمَاءُ ، الذُّبْلُ الشِّفَاهِ ، الْأَخْيَارُ الَّذِينَ يُعْرَفُونَ بِالرَّهْبَانِيَّةِ مِنْ أَثَرِ الْعِبَادَةِ "[2] .

---

(١) السلف : الذين يثبتون لله تعالى صفات أزليّة ، ولا يفرّقون بين صفات الذات ، وصفات الفعل ، وتغلب : على مذاهب المتقدِّمين ، والسَّلَف الصَّالح : الآباء والأجداد المحترمون . انظر د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٢ ص ١٠٩٥.

(٢) قال الشوكاني : حديث موضوع ، قال ابن الجوزي : لا يصح ، قال عطية : ضعفه الثوري ، وهشيم ، واحمد ، ويحيى ، وصححه حسين سليم أسد ، وضعفه الألباني. انظر الشوكاني : الفوائد المجموعة ص ٢٧-٢٨. ابن الجوزي : العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ، تحقيق : خليل الميس ، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ جـ ١ ص ١٦٥ – ١٦٧. أبو يعلى الموصلي : مسند أبي يعلى جـ ١٢ ص ١١٦. أبو داود : السنن جـ ٤ ص ٢٢٢.

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، تحقيق : إحسان عباس ، ط دار صادر – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦م جـ ٥ ص ٨٩.

(٤) أبو جعفر الكليني : أصول الكافي جـ ٤ ص ٥١٩.

(٥) التحكيم : ما وقع بين الصحابة من لقاء للتحكيم بين على ومعاوية – رضي الله عنهم – بعد وقعة صفين .

(٦) ابن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك ، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ جـ ٣ ص ١٠٣.

(٧) صنعاء : مدينة عظيمة باليمن كان اسمها : أزال ، فلما وافتها الحبشة ؛ فرأوها مبنية بالحجارة ، قالوا : هذه صنعة ، وتفسيرها بلسانهم : حصينة ، بناها سام بن نوح – عليه السلام – . انظر محمد عبد المنعم الحِميري : الروض المعطار ص ٣٥٩.

(٨) د / عامر النجار : في مذاهب الإسلاميين ص ٣٨٥ نقلا عن : تاريخ اليعقوبي .

(٩) القائل : عَلَى حَكِيمِ بْنِ أَفْلَحَ لسَعْدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ – رضي الله عنهما – ، والمراد بالشيعتين : ما جرى من الحروب بن علي ومعاوية . انظر الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ١ ص ٥١٢ . انظر النووي : شرح صحيح مسلم جـ ٦ ص ٢٦.

بل استخدمته الشيعة أنفسهم على عمومه ؛ فعن أمير المؤمنين – عليه السلام – في تفسير قوله – ﷻ – :" رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ "[٣] : " إذا خرجت أنا وشيعتي ، وخرج عثمان بن عفان وشيعته ، ونقتل بني أمية ، فعندها يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين " [٤] .

ويقول أحد المعاصرين :" أصبحت كلمة الشيعة في عصرنا الراهن علماً على التشيع لأهل بيت العصمة والنبوة ، بعدما كان من الممكن سابقاً أن تسمع شيعة أبي سفيان[٥]، أو شيعة عثمان [٦].

ومن هنا يمكن القول : بأن لفظ الشيعة لا يختص بأتباع الإمام على – رضي الله عنه – وحده ، بل كان يستعمل في أول الإسلام على معناه اللغوي وحسب ، كما رأينا في الأمثلة السابقة .

تعريف الشيعة في كتب الإمامية الاثني عشرية :

يعرِّف القمي[٧] ، والنوبختي [٨] والمفيد [٩] بتعاريف متقاربة أجمعها تعريف المفيد ، وهو أن الشيعة هم :" أتباع أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – على سبيل الولاء ، والاعتقاد لإمامته ، بعد

---

(١) الإمام مالك : رجال الموطأ ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي ، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان – أبو ظبي – الإمارات ، ط١ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م في ترجمة أبو الطفيل الليثي – رضي الله عنه – جـ ٦ صـ ٦١.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء جـ ١ صـ ٨٦.

(٣) سورة الحجر : آية رقم ٢ .

(٤) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات ، ط المطبعة الحيدرية – النجف ، نشر انتشارات الرسول المصطفى – قم ، ط١ ، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م صـ ١٧-١٨ بتصرف .

(٥) أَبُو سُفْيَانَ : صَخْرُ بنُ حَرْبِ بنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلاَبٍ ، لَهُ هَنَاتٌ ، لَكِنْ تَدَارَكَهُ اللهُ بِالإِسْلاَمِ يَوْمَ الفَتْحِ ، فَأَسْلَمَ شِبْهَ مُكْرَهٍ ، ثُمَّ صَلُحَ إِسْلاَمُهُ ، وَكَانَ مِنْ دُهَاةِ العَرَبِ، وَمِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالشَّرَفِ فِيْهِمْ، فَشَهِدَ حُنَيْناً، تُوُفِّيَ : بِالمَدِيْنَةِ سَنَةَ ٣١هـ ، وَقِيْلَ: ٣٢هـ ، وَقِيْلَ: ٣٣هـ ، وَقِيْلَ: ٣٤هـ ، وَلَهُ نَحْوُ التِّسْعِيْنَ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ٨٩ – ٩٠ .

(٦) د أحمد راسم النفيس : الشيعة والثورة ، نشر مركز الأبحاث العقائدية – إيران ،١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م صـ ٦ بتصرف .

(٧) القمي : سعد بن عبد الله القمي ، هو عند الشيعة جليل القدر ، واسع الأخبار ، كثير التصنيف ، ثقة ، من كتبه : الضياء في الإمامة ، ومقالات الإمامية ، توفي : ٣٠١هـ ، وقيل: ٢٩٩هـ . انظر الشيخ الطوسي : الفهرست تحقيق : الشيخ جواد القيومي ، ط مؤسسة النشر الإسلامي ، نشر مؤسسة نشر الفقاهة – قم ، ط١ ، ١٤١٧هـ صـ ١٣٥.

(٨) النوبختي : الحسن بن موسى ، أبو محمد ، متكلم ، فيلسوف ، إمامي ، له مصنفات منها : الآراء والديانات. توفي بعد الثلاثمائة ، وثقه الطوسي . انظر الشيخ الطوسي : رجال الطوسي صـ ٤٢١. العلامة الحلي : الفهرست ، تحقيق : الشيخ محمد الحسون ، ط مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤١١هـ صـ ١٠٠. الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٥ صـ ٣٢٨.

(٩) الشيخ المفيد : أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان الكعبري ، لقبه بالمفيد ، ولد ٣٣٦هـ ، نال شرف مكاتبة مهديهم ، وله قريب من مائتي مصنف ، قال الخطيب البغدادي : كان أحد أئمة الضلال ، هلك به خلق من الناس ، إلى أن أراح الله المسلمين منه ، ومات سنة ٤١٣هـ . العلامة الحلي : الفهرست . صـ ٢٩٥.

الرسول – ﷺ – بلا فصل ، ونفي الإمامة عمن تقدمه في مقام الخلافة ، وجعله في الاعتقاد متبوعاً لهم ، غير تابع لأحد منهم ، على وجه الاقتداء" [1] .

وهذا التعريف لا يشير إلى أي أصل من أصول التشيع كمسألة النص ، أو إمامة بقية الأئمة [2] ، كما يدخل في هذا التعريف : الإماميةُ ، والجاروديةُ الزيديةُ [3]، أما باقي فرق الزيدية ، فليسوا من الشيعة ، ولا تشملهم سمةُ التشيعِ [4] ؛ لأنهم لا ينكرون خلافة الشيخين .

ومن أجمع التعاريف : " مَنْ اتّبع علياً ، وقدمه على غيره في الإمامة " [5] ، بوصية من رسول الله – ﷺ – بإرادة من الله نصاً ، أو وصفاً " [6] ، واعتقد أن الإمامة لا تخرج عن أولاده [7].

وعليه فهم : الذين إذا اختلف الناس عن رسول الله – ﷺ – أخذوا بقول علي – عليه السلام – وإذا اختلف الناس عن علي – عليه السلام – أخذوا بقول جعفر بن محمد – عليه السلام – "[8].

ويلاحظ على كل هذه التعاريف : عدم الجمع لجميع أنواع المُعَرَّفِ من عقائد وميزات ، مع عدم المنع من دخول غيرهم فيهم ، فلو فرضنا : أن أهل السنة أخذوا بأقوال علي – رضي الله عنه – ، أو بأقوال جعفر الصادق – رحمه الله –هل يسمون شيعة بهذا الأخذ أم لا ؟ .

وزاد غيرهم في التعريف : القائلين : ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة ، وينتصب الإمام بنصبهم ؛ بل هي قضية أصولية ، وهي ركن الدين ، لا يجوز للرسل – عليهم السلام – إغفاله ، ولا إهماله ، ولا تفويضه إلى العامة ، ويجمعهم القول : بوجوب التعيين ، والتنصيص ، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر ، والصغائر ، والقول : بالتولي[9] ، والتبري[10] ،

---

(١) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٣٩.

(٢) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ٣٤.

(٣) الجارودية : أصحاب الجارود زياد بن المنذر بن زياد الأعجمي ، القائلين : بتفضيل علي ، وأنه وصي بالوصف لا بالاسم ، وزعموا : أن من رفع علياً عن هذا المقام ؛ فهو كافر ، وصرحوا بكفر الصحابة الذين لم يقروا بحق علي ، وأن الأمة كفرت لتركها بيعته ، ثم جعلوا الإمامة بعده للحسن ، ثم الحسين ، ثم شورى بين أولادهما ، فمن خرج منهم ، وشهر سيفه ، ودعا إلى نفسه فهو مستحق للإمامة ، ومنها تشعبت الزيدية . انظر الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ١٨. عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق صـ ٢٣.

(٤) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٣٩. د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ٣٥-٣٧.

(٥) د أحمد الوائلي : هوية التشيع صـ ١٢. نقلاً عن كتاب شرح اللمعة جـ ٢ صـ ٢٨٨ .

(٦) المصدر السابق صـ ١٢ . نقلا عن موسوعة العتبات المقدسة صـ ٩١ .

(٧)د أحمد الوائلي : هوية التشيع صـ ١٢ . نقلا عن كتاب فرق الشيعة .

(٨) الشيخ لطف الله الصافي : أمان الأمة من الاختلاف ، ط المطبعة العلمية – قم ، ط١ ، ١٣٩٧هـ صـ ١٢٩ .

(٩) الولاء : النصرة ظاهراً وباطناً . انظر محمد القحطاني : الولاء والبراء في الإسلام ، ط المكتبة التوفيقية – القاهرة ، ٢٠٠٣م صـ ٧١.

(١٠) البراء : البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار . انظر المصدر السابق صـ ٧١.

قولاً ، وفعلاً ، وعقداً ، إلا في حال التقية "[1] ، وهذا التعريف لم يدخل عقائد الغيبة ، والرجعة ، والبداء وغيرها [2] .

تعريف الشيعة في كتب أهل السنة : يعرف ابن حزم – رحمه الله – [3] الشيعي بأنه : " من قال : أن عليًا – رضي الله عنه – أفضل الناس بعد رسول الله – ﷺ – وأحقهم بالإمامة ، وولده من بعده ، فهو شيعي ، وإن خالفهم في ما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون [4].

ويختار هذا التعريف بعض الشيعة ، ويعتبره من أدق التعاريف ، ويعرض عن تعريف أهل نحلته ، ويعلل الرافضي اختياره لهذا التعريف بقوله : "ومما حدانا إلى تفضيل تعريف ابن حزم أن الاعتراف بأفضلية الإمام عليّ على الناس بعد رسول الله – ﷺ – وأنه الإمام ، والخليفة بعده ، وأن الإمامة في ذريته هو أس التشيع وجوهره" [5].

ويعرف الأشعري[6] الشيعة بأنهم : من شايعوا علياً ، ويقدمونه على سائر الصحابة [7] .

ونلاحظ أن تعريف الأشعري هذا : يتفق مع ما تذهب إليه المفضلة من الشيعة – الذين يفضلون علياً على أبي بكر وعمر ، وسائر أصحاب رسول الله – ﷺ– والشيعة الاثني عشرية لا يعتبرون مجرد تقديم علي على سائر أصحاب النبي – ﷺ– كافياً في استحقاق وصف التشيع ، بل لابد من الاعتقاد بأن خلافة علي بالنص ، وأنها بدأت بعد وفاة الرسول – ﷺ– لتخرج بعض فرق الزيدية [8] من دائرة التشيع ، ويمكن القول بأن تعريف الأشعري يشمل جميع أقسام الشيعة ، أو معظمها ، ولا يقتصر على من قال بالنص كما تزعم الرافضة [1].

---

(١) أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٢١.

(٢) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ٤٥.

(٣) ابْنُ حَزْمٍ : أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ سَعِيْدٍ القُرْطُبِيُّ ، الإِمَامُ ، الفَقِيْهُ ، الحَافِظُ ، المتَكَلِّمُ ، الأَدِيْبُ ، الوَزِيْرُ، الظَّاهِرِيُّ ، وَلد بقُرْطُبَة ٣٨٤هـ ، نشَأَ فِي تَنَعُّمٍ وَرفَاهيَّة ، تُوُفِّيَ ٤٥٦هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٨ صـ ١٨٤ – ٢١٢.

(٤) ابن حزم : الفصل ، نشر مكتبة الخانجي – القاهرة ، دت جـ ٢ صـ ٩٠. السيد طالب الخرسان : نشأة التشيع صـ ١٩ – ٢٣.

(٥) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ٤٤.

(٦) أبو الحسن الأشعري : عَلِيُّ بنُ إِسْمَاعِيْلَ بنِ إِسْحَاقَ العَلاَّمَةُ ، إِمَامُ المتَكَلِّمِين ، مَوْلِدُهُ : ٢٦٠هـ ، وَقِيْلَ : ٢٧٠هـ ، وَكَانَ عجباً فِي الذَّكَاء ، وَلَمَّا بَرَعَ فِي الاعتزَال ، تبرَّأَ مِنْهُ ، مَاتَ ٣٢٤هـ .له اللُّمَع ، والإبانة . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٥صـ ٨٥ – ٩٠.

(٧) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق : نعيم زرزور ، نشر المكتبة العصرية – بيروت – ط١ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م صـ ٥ .

(٨) الزيدية : أتباع زيد بن علي بن الحسين ، امتداد لفرقة الجارودية ، وبدأ أمرهم بخروج علي بن الحسين بالكوفة داعياً لنفسه ، وتميزوا عن الشيعة حين أعلن موالاته لأبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – ، وقالوا : بأن الأمر كان لعلي بعد النبي ، ثم للحسن ، ثم للحسين بوصية منهم ، ثم صارت إلى علي بن الحسين ، والحسن بن الحسن ، وأن الإمامة بعدهما في أبناءهما ، وقالوا : بجواز وجود إمامين في زمان

التعريف المختار للشيعة : نظراً لأن كل التعريفات السابقة لا تسلم من مقال [٢] ؛ لكونها لم تشتمل على جميع عقائد الشيعة ، نقول : إن تعريف الشيعة مرتبط أساساً بأطوار نشأتهم ، ومراحل التطور العقدي لهم ؛ فالملحوظ أن عقائد الشيعة في تطور مستمر ، فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده ، ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى شيعياً : إلا من قدّم علياً على عثمان ، فكان يقال : شيعي ، وعثماني ، والعثماني : من قدّم عثمان على علي – رضي الله عن الجميع – .

فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول : أنهم الذين يقدمون علياً على عثمان فقط ، وهم – وإن سموا بالشيعة – فهم من أهل السنة ؛ لأن مسألة تقديم عثمان على علي ليست من الأصول التي يضلل ، أو يبدع ، أو يفسق المخالف فيها [٣] .

حيث اختلف بعض أهل السنة في عثمان وعلي – رضي الله عنهما – بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر – أيهما أفضل ، فقدم قومٌ عثمان ، وسكتوا ، أو ربعوا بعلي ، وقدم قومٌ علياً ، وقومٌ توقفوا ، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان .

ونحن نعتقد أن :" تَفْضِيْلُ عَلِيٍّ لَيْسَ بِرَفضٍ ، وَلاَ هُوَ ببدعَةٌ ، بَلْ قَدْ ذَهبَ إِلَيْهِ خَلقٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ ، فَكُلٌّ مِنْ عُثْمَانَ وَعلِيٍّ ذُو فضلٍ وَسَابِقَةٍ وَجِهَادٍ ، وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ فِي العِلْمِ وَالجَلاَلَة ، وَلعلَّهُمَا فِي الآخِرَةِ مُتسَاويَانِ فِي الدَّرَجَةِ ، وَهُمَا مِنْ سَادَةِ الشُّهَدَاءِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – ، وَلَكِنَّ جُمْهورَ الأُمَّةِ عَلَى تَرجيْحِ عُثْمَانَ عَلَى الإِمَامِ عَلِيٍّ ، وَإِلَيْهِ نَذْهَبُ [٤].

وَالخَطْبُ فِي ذَلِكَ يسيرٌ، وَالأَفْضَلُ مِنْهُمَا – بِلاَ شَكٍّ – أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، مَنْ خَالفَ فِي ذَا فَهُوَ شِيعِيٌّ جَلدٌ، وَمَنْ أَبغضَ الشَّيْخَيْنِ وَاعتقدَ صِحَّةَ إِمَامَتِهِمَا فَهُوَ رَافضيٌّ مَقِيتٌ ، وَمَنْ سَبَّهُمَا وَاعتقدَ أَنَّهُمَا لَيْسَا بِإِمَامَيْ هُدَى فَهُوَ مِنْ غُلاَةِ الرَّافِضَةِ – أَبعدَهُم اللهُ – .

واحد ، ولا يقولون بالرجعة ، ولا ينكرونها ، ومنهم فرقة الصباحية : أصحاب الصباح المزني ، واليعقوبية : وهم أصحاب يعقوب بن عدي ، والسرحوبية ، وانقسمت الزيدية إلى : ضعفاء مثل العجلية : أصحاب هارون بن سعيد العجلي ، والبترية : أصحاب كثير المنوا الملقب بالأبتر ، غير أنهم توقفوا في عثمان ، ولم يذموه ، ولم يمدحوه ، وينتقصون طلحة والزبير ، وأما الأقوياء فهم أصحاب أبي الجارود ، وأبي خالد الواسطي ، وفضيل الرسان ، ومنصور بن أبي الأسود . اجتمعتوا على خلود أصحاب الكبائر في النار . انظر الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ١١ – ٧٤. البغدادي : الفرق بين الفرق صـ ٢٥ – ٢٦. محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، نشر دار الفكر العربي – القاهرة ، ١٩٩٦م صـ ٤١.

(١) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ٤٤.

(٢) د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية عرض ونقد صـ ٢٧.

(٣) د علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة ، نشر مؤسسة اقرأ – القاهرة ، ط١، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م صـ ٨١.

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٦ صـ ٤٥٨.

فالشيعة الأولى كانوا على عهد علي كانوا يفضلون أبا بكر وعمر كما قال أبو إسحاق السبيعي[1] : خرجت من الكوفة ، وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما ، وقدمت الآن ، ولا والله ما أدري ما يقولون" [2].

وهذا نص تاريخي عظيم في تحديد تطور التشيع ، فإن أبا إسحاق السبيعي كان شيخ الكوفة وعالمها ، ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان – رضي الله عنه – قبل شهادته بثلاث سنين ، وعمَّر حتى توفى: ١٢٧هـ ، وكان طفلاً في خلافة أمير المؤمنين علي ، وهو يقول عن نفسه : رفعني أبي حتى رأيت علي بن أبي طالب يخطب ، أبيض الرأس واللحية ، ولو عرفنا متى فارق الكوفة ، ثم عاد فزارها ، لتوصلنا إلى معرفة الزمن الذي كان فيه شيعة الكوفة يرون تفضيل أبي بكر وعمر، ومتى أخذوا يفارقون علياً ، ويخالفونه فيما كان يعلنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه صاحبي رسول الله – ﷺ– ، وخليفتيه على أمته ، في أنقى وأطهر أزمانها [3].

وقال ليث بن أبي سليم [4] : أدركت الشيعة الأولى ، وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً ، يعني : إنما كانوا يتكلمون في عثمان ، وفي من قاتل علياً – رضي الله عنهم – " [5] .

ولكن لم يظل التشيع بهذا النقاء والصفاء ، فمبدأ التشيع تغير، فأصبحت الشيعة شيعاً ، وصار التشيع قناعاً ، يتستر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين ؛ ولهذا نرى بعض الأئمة لا يسمون الطاعنين بالشيخين شيعة ، بل رافضة ؛ لأنهم لا يستحقون وصف التشيع [6].

ومن عرف التطور العقدي لطائفة الشيعة ، لا يستغرب وجود طائفة من أعلام المحدثين ، وغير المحدثين من العلماء الأعلام[7] ، بل ومن قراء القرآن الذين ننقل عنهم روايتنا المتواترة في

---

(١) أَبُو إِسْحَاقَ السَّبِيْعِيُّ : عَمْرُو بنُ عَبْدِ اللهِ الهَمْدَانِيُّ الكُوْفِيُّ ، الحَافِظُ ، شَيْخُ الكُوْفَةِ ، مِنْ كُبَرَاءِ التَّابِعِيْنَ ، ثِقَةٌ ، حَجَّةٌ بِلاَ نِزَاعٍ ، وُلِدَ لِسَنَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ خِلاَفَةِ عُثْمَانَ ، تُوُفِّيَ ١٢٧هـ . انظر الذهبي :سير أعلام النبلاء جـ ٥ صـ ٣٩٢-٣٩٩بتصرف.

(٢) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشعية الإمامية الإثني عشرية جـ ١ صـ ٤٧ نقلا عن المنتقى .

(٣) د علي الصلابي: فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة صـ ٨٢ بتصرف .

(٤) لَيْثُ بنُ أَبِي سُلَيْمِ بنِ زُنَيْمٍ الأُمَوِيُّ : مُحَدِّثُ الكُوْفَةِ ، لِيْنِ الحديث ؛ لِنَقصِ حِفْظِهِ ، وُلِدَ : بَعْدَ السِّتِّيْنَ ، من صِغَارِ التَّابِعِيْنَ ، مَاتَ ١٣٨هـ ، وقيل : ١٤٣هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٦ صـ ١٧٩- ١٨٥بتصرف .

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ، تحقيق : د عمر تدمري ، نشر دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٢،١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م جـ ٩صـ ٢٦١.

(٦) د علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة صـ ٨٢.

(٧) مثل : عَامِرُ بنُ وَاثِلَةَ والد الصحابي أَبُو الطُّفَيْلِ ، عَبْدُ اللهِ بنُ شَدَّادِ بنِ الهَادِ اللَّيْثِيُّ ، ومن الشيعة الأفاضل إِبْرَاهِيْمُ بنُ الأَشْتَرِ مَالِكِ بنِ الحَارِثِ النَّخَعِيُّ ، وأبوهاشم بن الحنفية ، فُضَيْلُ بنُ مَرْزُوْقٍ ، عَلِيُّ بنُ هَاشِمِ بنِ البَرِيْدِ العَائِذِيُّ ، ابْنُ أَبِي دَارِمٍ ، والسَّبِيْعِيُّ. الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ٤٦٩ ، صـ ٣٨٩ ، جـ ٤ صـ ٣٦، صـ ١٣٠. جـ ٧ صـ ٣٤٢. جـ ٨ صـ ٣٤٤. جـ ١٥ صـ ٥٧٨.

القراءات[1] ، أطلق عليهم لقب الشيعة ، وقد يكونون من أعلام السنة ؛ لأن للتشيع في زمن السلف مفهوماً ، وتعريفاً ، غير المفهوم والتعريف المتأخر للشيعة ، ولهذا قيل : "إن البدعة على ضربين : بدعة صغرى كغلو التشيع ، أو كالتشيع بلا غلو، فهذا كثير في التابعين ، وأتباعهم مع الدين ، والورع ، والصدق ، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية ، وهذه مفسدة بَيّنة ، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل ، والغلو فيه ، والحط على أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – والدعاء إلى ذلك ، فهذا النوع لا يحتج بهم ، ولا كرامة [2] .

فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم : من تكلم في عثمان ، والزبير ، وطلحة ، ومعاوية ، وطائفة ممن حارب علياً – رضي الله عنهم – وتعرض لسبهم .

والغالي في زماننا وعرفنا : الذي يكفر هؤلاء السادة ، ويتبرأ من الشيخين ، وهو ضالٌ مفترٍ [3].

ولذلك بعض العلامات منها أن " مَنْ سَكَتَ عَنْ تَرحُّمِ مِثْلِ الشَّهِيْدِ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ عُثْمَانَ ، فَإِنَّ فِيْهِ شَيْئاً مِنْ تَشَيُّعٍ ، فَمَنْ نَطَقَ فِيْهِ بِغَضٍّ وَتَنَقُّصٍ وَهُوَ شِيْعِيٌّ جَلْدٌ يُؤَدَّبُ ، وَإِنْ تَرَقَّى إِلَى الشَّيْخَيْنِ بِذَمٍّ ، فَهُوَ رَافِضِيٌّ خَبِيْثٌ ، وَكَذَا مَنْ تَعرَّضَ لِلإِمَامِ عَلِيٍّ بِذَمٍّ ، فَهُوَ نَاصِبِيٌّ يُعَزَّرُ، فَإِنْ كَفَّرَهُ ، فَهُوَ خَارِجِيٌّ مَارِقٌ ، بَلْ سَبِيْلُنَا أَنْ نَستغفِرَ لِلْكُلِّ ، وَنُحِبُّهُم ، وَنَكَفَّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُم[4].

ملحوظة : يلحظ على تعريفات الشيعة الواردة في معظم كتب المقالات ، أنها دأبت على القول في التعريفات للشيعة بأنهم أتباع علي.. الخ ، وهذا يؤدي إلى نتيجة خاطئة ، تخالف إجماع الأمة وهي : أن يكون عليٌّ شيعياً يرى ما يراه الشيعة ، وهو بريء مما تعتقده الشيعة فيه ، وفي بنيه ؛ ولذلك لابد من وضع قيد ، واحتراز في التعريف ؛ رفعاً للإيهام ؛ فيقال الشيعة هم : الذين يزعمون اتّباع علياً ؛ حيث إنهم لم يتبعوا علياً على الحقيقة [5] .

تعريف الشيعة الاثني عشرية :

الشيعة الاثنا عشرية هم : " الذين يزعمون أنهم أتباع علي – رضي الله عنه – ، ويعتقدون إمامته بنص جلي ، ويؤمنون بعصمته ، هو وأحد عشر من بنيه ، أولهم : الحسن بن علي – رضي الله

---

(١) مثل : أَبَانُ بنُ تَغْلِبَ الرَّبَعِيُّ الكُوْفِيُّ المقْرِئُ ، أَبُو مُسْلِمٍ الكُوْفِيُّ ، الكَتَّانِيُّ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٦ صـ ٣٠٨. جـ ٨ صـ ٤٨٣. جـ ١٦ صـ ٤٨٣.

(٢) الذهبي : ميزان الاعتدال في معرفة الرجال ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، نشر دار المعرفة – بيروت ، دت جـ ١ صـ ٥ – ٦.

(٣) د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية صـ ١٩. د / علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة جـ ١ صـ ٨٣.

(٤) الحافظ الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٧ صـ ٣٧٠.

(٥) د / علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة جـ ١ صـ ٨٣.

عنه – ، وآخرهم : محمد بن الحسن العسكري – المهدي المنتظر – ويعتقدون برجعتهم ، والبداء على الله [1] ؛ ويسمون : الرافضة ؛ لأنهم أدعياء [2] لا ينتسبون لمنهج علي الصحيح .

رأي بعض العلماء في لفظ التشيع والشيعة بناء على معناه اللغوي :

ذكر أهل العلم أن التشيع في القرآن : على خمسة أوجه : الفرق ، والأهل ، والنسب ، وأهل الملة ، والأهواء المختلفة ، والشيع ، والإشاعة ، وكما ترى أن أغلب المعاني جاءت للذم ، ولعله لم يرد في القرآن ، ولا السنة ، ولا في أقوال العلماء ، إلا كذلك مثل قوله – ﷻ – :" إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ " [3] ، وذلك – والله أعلم – لما في لفظ الشيعة من الشياع والإشاعة ، والفرقة ، التي هي ضد الائتلاف ، والاجتماع ؛ ولهذا لا يطلق لفظ الشيعة إلا على فرق الضلال لتفرقهم واختلافهم .

ومن الطرائف أن الجاحظ [4] قال : قال لي رجل من رؤساء التجار : كنا في سفينة يوماً ، وكان معنا شيخ شرس الأخلاق ، طويل الإطراق ، وكان إذا ذُكر له لفظ الشيعة ، غضب ، وارّبد وجهه ، وزوى حاجبيه ، فقلت له يوماً : يرحمك الله ما الذي تكرهه من الشيعة ، فإني رأيتك إذا ذكروا غضبت ، وقبضت ؟ قال : ما أكره منهم إلا هذه – الشين – في أول اسمهم ، فإني لم أجدها قط إلا في : كل شر ، وشؤم ، وشيطان ، وشغب ، وشقاء ، وشنار ، وشرار ، وشين ، وشوك ، وشكوى ، وشهوة ، وشتم ، وشح ، وشك [5]. وهذا رأي واحد من أدباء المعتزلة ، وعلماء اللغة العربية البلغاء ، ولو انصف لقال : وشرف ، وشكر ، وشهامة ، وشفقة .

ظهور بذرة التشيع التاريخية كما يراها المؤرخون :-

اختلف الكتاب والمؤرخون ، وتضاربت آراؤهم في نشأة الشيعة والتشيع على آراء منها : فمنهم من يفترض أن عبد الله بن سبأ كان هو الأساس [6] ، ومنهم من يردها إلى خلافة الإمام علي – عليه

---

(١) د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية عرض ونقد ص ٢٧.

(٢) المرجع السابق : جـ ١ ص ٤٩ .

(٣) سورة الأنعام : آية رقم ١٥٩ .

(٤) الجاحِظُ : أَبُو عُثْمَانَ عَمْرُو بنُ بَحْرِ بنِ مَحْبُوْبٍ البَصْرِيّ ، العَلاَّمَةُ ، المُعْتَزِلِيُّ ، كَانَ قَلِيْلَ الدِّيْنِ ، لَهُ نَوَادِرُ ، مَاتَ ٢٥٠هـ ، وقيل : ٢٥٥هـ ، والجاحظية : طائفة تنسب إليه ، قالوا : انعدام الجوهر ممتنع ، والخير والشر من فعل العبد ، والقرآن جسد ينقلب تارة رجلا ، وتارة امرأة . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١١ ص ٥٢٦–٥٣٠ . القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١ ص ٢٦١.

(٥) أبو الحسن الرازحي : توضيح النبأ عن مؤسس الشيعة عبد الله بن سبأ ، نشر دار الآثار – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ص ٣٣ –٣٥ بتصرف .

(٦) أبو جعفر ابن جرير الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤٠٧هـ جـ ٢ ص ٦٤٧.

السلام – ، وما هيأه ذلك العهد من مقام سياسي واجتماعي على مسرح الأحداث [1] ، ومنهم : من يزعم أن ظهور الشيعة يكمن في أحداث متأخرة عن ذلك في التسلسل التاريخي .

والذي دعا هؤلاء الباحثين – الذين اعتبروا التشيع ظاهرة طارئة على المجتمع المسلم – أن الشيعة لم يكونوا يمثلون في صدر الإسلام إلا جزءً ضئيلاً من مجموع الأمة الإسلامية ، فقد أوحت هذه الفكرة إليهم أن اللاتشيع كان هو القاعدة في المجتمع المسلم ، وأن التشيع هو الاستثناء ، وسنستعرض نماذج من آرائهم في ذلك ؛ لنقف على تنوع الأقوال ؛ " فإن الشيعة بأصولها ومعتقداتها لم تولد فجأة ، بل مرت بمراحل كثيرة ، ونشأت تدريجياً ، وانقسمت إلى فرق كثيرة ، ولاشك أن التتبع التاريخي ، والفكري للمراحل والأطوار التي مر بها التشيع يحتاج إلى بحث مستقل ، ولهذا سيكون الحديث هنا عن : أصل النشأة ، وجذورها التاريخية ، ولا يعنينا تتبع مراحلها ونشوء فرقها ، وسنبدأ بعرض رأي الشيعة من مصادرها المعتمدة ، ثم نذكر بعد ذلك آراء الآخرين ، فالمنهج العلمي والموضوعية توصي بأخذ آراء أصحاب الشأن فيما يخصهم أولاً "[2] .

<u>الرأي الأول : التشيع قديم ؛ ولد قبل بعثة النبي – ﷺ –</u> : فما من نبي إلا وقد عُرض عليه الإيمان بولاية علي بن أبي طالب – عليه السلام – ، كما روي عن أبي الحسن – عليه السلام – [3] قال : " ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد – صلى الله عليه وآله – ، ووصية علي – عليه السلام – " [4] ، وعن أبي جعفر – عليه السلام – في قول الله – عز وجل – :" **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا** " [5] ، قال :"عهدنا إليه في محمد والأئمة من بعده ، فترك ، ولم يكن له عزمٌ [6] .

وإنما سمو هؤلاء الأنبياء بأولو العزم : لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده ، والمهدي وسيرته ، وأجمع عزمهم على أن ذلك كذلك ، والإقرار به "[7] ؛ قال رسول الله – ﷺ – : " يا علي

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى، تحقيق:أنور الباز،عامر الجزار ، نشر دار الوفاء – بيروت ، ط٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م جـ ٣٥ص ١٨٤.

(٢) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية جـ ١ صـ ٥٠ .

(٣) إذا قيل : عن أبي الحسن : فهو الإمام علي بن محمد الهادي ، ولا يحتمل { علي بن أبي طالب ؛ لأن كنيته أبو الحسن الأول ، أو يقال : عن أمير المؤمنين } ، ولا يحتمل :{ الإمام علي بن موسى الرضا ؛ لأن كنيته أبو الحسن الثاني ، أو يقال : عن الرضا } .

(٤) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٤٣٧. د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الاثنا عشرية جـ ١صـ ٥٧ .

(٥) سورة طه : آية رقم ١١٥.

(٦) وهذا اتهام لهذا النبي الكريم بالخيانة في بلاغ الرسالة ، فتتصادم مع عصمة الأنبياء ، فآدم في عقيدتهم لا يترك واجباً ، ولا مستحباً ، ولا يفعل حراماً ، ولا مكروهاً ، ولا يغفل ، ولا ينسى ، فكيف به الآن لا يستطيع أن يعزم على عهدٍ عَهِدَ الله به إليه ؟ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٢٨١. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٤١٦ .

ما بعث الله نبياً إلا وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً ، أو كارهاً "[1] ، وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" إن الله أخذ ميثاق النبيين بولاية علي" [2] ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – [3]:" ولايتنا ولاية الله لم يبعث نبي قط إلا بها "[4] ، لذلك كان جميع أنبياء الله ورسله لعليٍّ مجيبين ، وثبت أن المخالفين كانوا له ولجميع أهل محبته مبغضين ، فلا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين ، فهو إذاً قسيم الجنة والنار[5].

بل إن الله – عز وجل – أخذ الميثاق على الكون كله ليؤمنوا بولاية علي – عليه السلام – ؛ فقد جاء عن الحسن والحسين – عليهما السلام – " إن الله – ﷻ – عرض ولايتنا على المياه ، فما قبل ولايتنا عَذُبَ وطَابَ ، وما جحد ولايتنا جعله الله – ﷻ – مراً ، أو ملحاً أجاجاً "[6] ، وعن أبي عبد الله– عليه السلام – " إن الله عرض ولايتنا على السماوات ، والأرض ، والجبال ، والأمطار فلم تقبلها قبول أهل الكوفة " [7] ، وعن علي – عليه السلام – :" إن الله – تبارك وتعالى – عرض ولايتنا على أهل السماوات والأرض ، من الجن ، والإنس ، والثمر وغير ذلك ، فما قبل منه ولايتنا طاب ، وطهر ، وعذب ، وما لم يقبل منه خبث ، وردئ ، ونتن "[8] ، وقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " تختموا بالعقيق ، فإنه أول حجر شهد لله بالوحدانية ، ولي بالنبوة ، ولعلي بالوصية ، ولولده بالإمامة ، ولشيعته بالجنة " [9] .

ولكن المتتبع لآيات القرآن ، ولعلوم السابقين لا يجد شيئا من هذا : " فهذه كتب الأنبياء – عليهم السلام – التي أخرج الناس ما فيها من ذكر النبي – ﷺ – ، ليس في شيء منها ذكر عليٍّ ،

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١١ صـ ٦٠ . د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الاثنا عشرية جـ ١ صـ ٥٨ .

(٢) المرجع السابق : جـ ١ صـ ٥٨ . نقلا عن المعالم الزلفى صـ ٣٠٣ .

(٣) إذا قيل عن أبي عبد الله : فهو: { جعفر الصادق }، ولا يحتمل { الحسين بن علي ؛ لأن كنيته : أبو عبد الله الأول أو الشهيد}.

(٤) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ، تحقيق : ميرزا محسن كوجه باغي ، ط الأحمدي ، نشر مؤسسة الأعلمي – طهران ، ١٤٠٤هـ /١٣٦٢ش صـ ٩٥. مجموعة من المحدثين : الأصول الستة عشر ،ط مهدية – قم ، ط٢،١٤٠٥هـ / ١٣٦٣ش صـ ٦٠.

(٥) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر صـ ٢١٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٩ صـ ١٩٥.

(٦) الكليني : الكافي جـ ٦ صـ ٣٩٠ .

(٧) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ، نشر مؤسسة آل البيت – بيروت ، ط٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م جـ ١٠صـ ٢١٢. المفيد : الأمالي ،تحقيق : علي أكبر غفاري، ط دار المفيد – بيروت ، ط٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م صـ١٤٢. المجلسي : البحار جـ ٢٣ صـ ٢٨١.

(٨) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٦ صـ ٤١٣. الشيخ المفيد : الاختصاص ، تحقيق : علي أكبر غفاري ، نشر دار المفيد – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م صـ ٢٤٩. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ صـ ٢٨٣ .

(٩) محمد بن سليمان الكوفي : مناقب الإمام أمير المؤمنين ، تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي ، نشر دار النهضة – قم ، ط١ ، ١٤١٢هـ جـ ١ صـ ٥٥٥ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٧ صـ ٩٥ .

وهؤلاء الذين أسلموا من أهل الكتاب ، لم يذكر واحدٌ منهم أن علياً ذُكر عندهم "[1] ، وإذا كانت ولاية عليّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، فلماذا ينفرد بنقلها الروافض ؟!![2].

والصحيح أن الله أخذ الميثاق على الأنبياء وأقوامهم لئن بعث محمد – ﷺ – وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه[3]، قال تعالى: " **وَإِذْ أَخَذَ اللهِ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** " [4] ؛ فكأن هؤلاء أرادوا – كعادتهم – أن يجعلوا ما للنبي – ﷺ – لعليٍّ ، ثم إن الإيمان بتفصيل ما بعث به النبي – ﷺ – لم يؤخذ عليهم ، فكيف بموالاة واحد من الصحابة ؟! .

وقد أجمع المسلمون على أن الرجل لو آمن بالنبي – ﷺ – وأطاعه ، ومات في حياته – ﷺ – قبل أن يعلم أن الله خلق أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلياً – رضي الله عنهم – لم يضره ذلك شيئاً ، ولم يمنعه من دخول الجنة ، فكيف يقال : إن الأنبياء يجب عليهم الإيمان بواحد من الصحابة [5] أليس هذا من تفضيل الأئمة على الأنبياء؟ .

الرأي الثاني : أن التشيع بدأ مع أول ظهور الإسلام على يد النبي – ﷺ – : فكان التشيع نتيجة طبيعية للإسلام ، وممثلاً لأطروحة من المفروض للدعوة الإسلامية أن تتوصل إليها ، حفاظاً على نموها السليم ، وكان النبي– ﷺ– يتزعم قيادتها [6] ، بل التشيعُ ظاهرةٌ طبيعيةٌ في إطار الدعوة الإسلامية ، وظهور الشيعة استجابة لتلك الظاهرة الطبيعية [7] .

فقد كان جماعة يتشايعون لعلي – عليه السلام– في عهد رسول الله– ﷺ – وظهر بوضوح عند حدوث الاختلاف في أمر الخلافة يوم وفاة النبي – ﷺ– كما جاء في حديث السقيفة[8] ، وتشيع يومئذ لعلي جميع بني هاشم وبني المطلب ، وانضم إليهم الزبير بن العوام وثلاثة عشر رجلاً ، أو

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ ٧ صـ ١٨٠.

(٢) د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الاثنا عشرية جـ ١ صـ ٦١.

(٣) أبو جعفر ابن جرير الطبري : تفسير الطبري جـ ٣ صـ ٣٥٧ .

(٤) سورة آل عمران : آية رقم ٨١ .

(٥) د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الاثنا عشرية جـ ١ صـ ٦١ .

(٦) السيد محمد باقر الصدر : نشأة التشيع و الشيعة ، ط قدس – قم ، ط٢ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م صـ ١٦ – ٣٠ . السيد محمد باقر الصدر : بحث حول الولاية ، نشر دار التعارف للمطبوعات – بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م صـ ٨٢ بتصرف .

(٧) السيد محمد باقر الصدر : نشأة التشيع والشيعة ٨٢ . الإمام حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها صـ ٤٣.

(٨) السَقيفة : عريش يُستظلّ به . د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة ، مادة س ق ف جـ ٢ صـ ١٠٨٠.

اثنا عشر من المهاجرين والأنصار ، وكان أخلصهم في ولائه أربعة : { سلمان[1] ، والمقداد[2] ، وعمار[3] ، وأبو ذر[4] } [5] .

ويقول النوبختي : أول فرق الشيعة هم فرقة على – عليه السلام – المسمون : شيعة على في زمان النبي – ﷺ – وبعده معروفون بانقطاعهم إليه ، والقول بإمامته [6].

فيكون : " أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام : هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية ، وأن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب ، ولم يزل غارسها يتعهدها بالسقي والعناية ، حتى نمت وازدهرت في حياته ، ثم أثمرت بعد وفاته [7] ، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – عن علي– عليه السلام – : والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة "[8]

---

(١) سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ : أَبُو عَبْدِ اللهِ ، سَابِقُ الفُرْسِ إِلَى الإِسْلاَمِ ، صَحِبَ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَخَدَمَهُ ، وَحَدَّثَ عَنْهُ ، وَكَانَ لَبِيْباً ، حَازِماً ، مِنْ عُقَلاَءِ الرِّجَالِ ، وَعُبَّادِهِم ، تُوُفِّيَ : ٣٣هـ بِالمَدَائِنِ. الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١ صـ٥٠٥– ٥٥٨.

(٢) المِقْدَادُ بنُ الأَسْوَدِ : المِقْدَادُ بنُ عَمْرِو بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ مَالِكٍ الكِنْدِيُّ ، البدري ، أَحَدُ السَّابِقِيْنَ ، وَيُقَالُ لَهُ : ابنُ الأَسْوَدِ ؛ لأَنَّهُ رُبِّيَ فِي حَجْرِ الأَسْوَدِ بنِ عَبْدِ يَغُوْثَ ، عَاشَ نَحْواً مِنْ سَبْعِيْنَ سَنَةً. مَاتَ : ٣٣هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١ صـ ٣٨٥– ٣٨٩.

(٣) عَمَّارُ بنُ يَاسِرِ بنِ عَامِرِ بنِ مَالِكٍ العَنْسِيُّ : أَبُو اليَقْظَانِ ، المكِّيُّ ، مَوْلَى بَنِي مَخْزُوْمٍ ، أَحَدُ السَّابِقِيْنَ ، البَدْرِيِّ ، وَأُمُّهُ: سُمَيَّةُ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابِيَّاتِ ، لَمْ يَسْلَمْ أَبَوَا أَحَدٍ مِنَ السَّابِقِيْنَ المهَاجِرِيْنَ سِوَى عَمَّارٍ ، وَأَبِي بَكْرٍ ، دعا لهم النبي – صلى الله عليه وسلم - : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لآلِ يَاسِرٍ ، عَاشَ ثَلاَثاً وَتِسْعِيْنَ سَنَةً ، قُتِلَ يوم صِفِّيْنُ ٣٧هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١ صـ ٤٠٦– ٤٢٨.

(٤) أَبُو ذَرٍّ : جُنْدُبُ بنُ جُنَادَةَ الغِفَارِيُّ ، أَحَدُ السَّابِقِيْنَ ، مِنْ نُجَبَاءِ الصحابة ، وَكَانَ يُفْتِي فِي خِلاَفَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ. وَكَانَ رَأْساً فِي الزُّهْدِ ، وَالعِلْمِ ، وَالعَمَلِ ، قَوَّالاً بِالحَقِّ ، شَهِدَ فَتْحَ بَيْتِ المَقْدِسِ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ٤٦– ٧٨.

(٥) من هؤلاء كما يدعي الشيعة : [سلمان الفارسي ، خالد بن سعيد بن العاص من بني أمية ، و أبو ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر ، وبريدة الأسلمي ، و أبو الهيثم بن التيهان ، وسهل وعثمان ابنا حنيف ، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، و أبي بن كعب ، وأبو أيوب الأنصاري] . ولا ندري لماذا ارتد هؤلاء بعد ذلك في نظر الشيعة . انظر السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة ، نشر دار التعارف – بيروت، ط٥ ، ١٤٠٨هـ جـ ١ صـ ٢٣ – ٢٤ ، د أحمد الوائلي : هوية التشيع صـ ٢٨ . محمد بيومي مهران : الإمامة وأهل البيت ، ط نهضت – قم ، ط٢ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م جـ ١ صـ ٢٨٠ .كامل مصطفى الشيبي : الصلة بين التصوف والتشيع ، نشر دار المعارف المصرية – القاهرة ، ١٩٦٩م صـ ١٩ .

(٦) السيد طالب الخرسان : نشأة التشيع صـ ٢٥. د أحمد أمين : ضحى الإسلام ، نشر مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ، ط٩ ، ١٩٧٨م جـ ٣ صـ ٢٠٦ بتصرف .

(٧) الإمام حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها صـ ٤٣.

(٨) سنده ضعيف . انظر محمد بن الغطريف الجرجاني : جزء ابن الغطريف ، تحقيق : د عامر حسن صبري ، نشر دار البشائر الإسلامية – بيروت ، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م صـ ٨٣ . محمد بيومي مهران : الإمامة وأهل البيت جـ ١ صـ ٢٨٣.

، ولما نزل قوله تعالى:" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ "[١] قال رسول الله – ﷺ – لعلي – عليه السلام – : هو أنت وشيعتك يوم القيامة تبعثون راضين مرضيين " [٢] .

فالدعوة إلى التشيع إذاً ابتدأت من يوم هتف المنقذ الأعظم محمد –ﷺ – صارخاً بكلمة التوحيد ، فإنه لما نزل عليه قوله تعالى : " **وأنذر عشيرتك الأقربين** " [٣] جمع بني هاشم وأعلنها رسول الله – ﷺ – : هذا أخي ، ووارثي ، ووزيري ، ووصيي ، وخليفتي فيكم بعدي ؛ فأسلموا له وأطيعوه [٤].

ومن يومها فإن الدعوة إلى التشيع من صاحب الرسالة تمشي معه جنباً إلى جنب مع الدعوة للشهادتين ، قال سلمان الفارسي – رضي الله عنه – :" بايعنا الرسول – ﷺ – على النصح للمسلمين ، والائتمام بعلي – عليه السلام – والموالاة له "[٥] ، وقال أبو سعيد الخدري[٦]: " أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة : الصلاة ، والزكاة ، وصوم شهر رمضان ، والحج ، قيل : فما الواحدة التي تركوها ، قال : ولاية علي بن أبي طالب – عليه السلام – [٧] .

فالنبي – ﷺ – هو أول المنوهين بفكرة التشيع والمغذين إياها [٨] ، " وهو الذي بعث عقيدة التشيع ، وأوجدها ، ودعا إلى حب علي وولائه ، وأول من أطلق لفظ الشيعة على أتباعه ومريديه ، ولولاه لم يكن للشيعة والتشيع عين ولا أثر " [٩] .

وكان رواد الفكر الشيعي ، وحاملي بذوره هم المسلمون من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان في الأجيال اللاحقة من الذين لم يغيروا ولم يبدلوا [١٠] ؛ لحديث : يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً لا حساب عليهم ، ثم التفت إلى عليٍّ وقال : هم شيعتك ، وأنت إمامهم " [١١].

---

(١) الإمام حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص ٤٣.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٣٤٥.

(٣) سورة الشعراء : آية رقم ٢١٤.

(٤) إبراهيم الموسوي الزنجاني : عقائد الإمامية الاثنا عشرية ، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ، ١٣٩٣هـ ص ٢٧١.

(٥) الشيخ الطوسي : الأمالي ، نشر دار الثقافة – قم ، ط١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ص ١٥٥.

(٦) أَبُو سَعِيْدٍ الخُدْرِيُّ : سَعْدُ بنُ مَالِكِ بنِ سِنَانٍ ، المجَاهِدُ ، مُفْتِي المدِيْنَةِ ، شَهِدَ الخَنْدَقَ ، وَبَيْعَةَ الرُّضْوَانِ ، من المكثرين ، أَحَدَ الفُقَهَاءِ المجْتَهِدِيْنَ . وله : ١١٧٠ حَدِيْثاً ، مَاتَ ٧٤هـ ، وقيل : ٦٣هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ص ١٦٨-١٧٢.

(٧) الشيخ المفيد : الأمالي ص ١٣٩.

(٨) محمد بيومي مهران : الامامة وأهل البيت ج ١ ص ٢٨٣.

(٩) محمد جواد مغنية : الشيعة في الميزان ، نشر دار التعارف للمطبوعات – بيروت ، دت ص ١٧

(١٠) جعفر السبحاني : أضواء على عقائد الشيعة الإمامية ، نشر مؤسسة الإمام الصادق ، قم ، ط١، ١٤٢١هـ ص١٩-٢١ بتصرف.

(١١) محمد بن سليمان الكوفي : مناقب الإمام أمير المؤمنين ، تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي ، نشر دار النهضة – قم ، ط١ ، ١٤١٢هـ ج ١ ص ٥٥٥ . المجلسي :بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٩٥ .

ونقول : هذا غلوٌ ظاهرٌ في التشيع ، فلا يصح عقلاً أن يكون رسول الله – ﷺ – هو الذي بعث عقيدة التشيع ؛ فإنه أتى بالإسلام نقياً صافياً ولم يأت بعقائد الشيعة [١].

ولم يكن هناك شيعة بمعناها المعروف اليوم في عهد النبي – ﷺ – ولكن عرف هذا المعنى للشيعة بعد وقوع الفتنة ، ولم يكن لعليّ حزبٌ منظمٌ متميزٌ باسم الحزب العلوي [٢] ، ولم يكن بين يدي رسول الله – ﷺ – شيعة ولا سنة قال تعالى :" **إن الدين عند الله الإسلام** " [٣] ، لا التشيع ، ولا التسنن ، بل أتى الإسلام ليرفع الحواجز بين الناس ، فلا هاشمي ، ولا قرشي ، ولا تيمي ، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، بل لم يكن لهم وجود في زمن أبي بكر وعمر [٤].

ولم يكن هناك شيعة روحية ، ولا سياسية ، ولم تظهر كلمة الشيعة كمصطلح إبان ذلك الوقت [٥].

وما هذا إلا مغالطة كبرى ، وافتراء لا أصل له ، ولقد اعتبره البعض محاولة من جانب متكلمي الشيعة لنقض دعوى خصومهم القائمة على رد معتقدات الشيعة إلى أصول أجنبية [٦] .

وقد اضطر بعض شيوخ الشيعة للإذعان لهذه الحقيقة وهم الذين مردوا على إنكار الحقائق المتواترات ، يقول أحد آياتهم ومجتهديهم : "ولم يكن للشيعة والتشيع يومئذ في عهد أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما– مجالا للظهور؛ لأن الإسلام كان يجري على مناهجه القويمة "[٧].

بل إن لفظ الشيعة أهمل بعد بيعة أبي بكر [٨]، ولم يكن داعية للتفرقة والعنصرية [٩] .

<u>الرأي الثالث : أن التشيع بدأ يوم السقيفة [١٠] :</u> " لمَّا توفي الرسول – ﷺ – وكان أهل البيت – عليهم السلام – يرون أنفسهم أحق بالأمر دون سواهم من قريش ؛ ولمَّا كان جماعة من الصحابة

---

(١) د عامر النجار : مذاهب الإسلاميين صـ ٣٨٨.

(٢) السيد طالب الخرسان : نشأة التشيع صـ ٢٤-٢٨ بتصرف.

(٣) سورة آل عمران : آية رقم ١٩.

(٤) ابن تيمية : منهاج السنة جـ ٢ صـ ٦٤

(٥) د علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، نشر دار المعارف المصرية ، ط٣ ، ١٩٦٦م صـ ١٤- ١٥ بتصرف . د / عامر النجار : مذاهب الإسلاميين صـ ٣٨٧.

(٦) د أحمد سيد أحمد علي : التقريب بين أهل السنة والشيعة ، نشر دار اليقين – المنصورة ، ط١ ، ٢٠٠٨م صـ ٣٦. محمود صبحي : نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية ، نشر دار المعارف المصرية ، ١٩٦٩م صـ ٣٥.

(٧) الشيخ حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها صـ ٤٨ .

(٨) د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الاثنا عشرية جـ ١ صـ ٦١ .

(٩) محمد عبد الرحمن عوض : الشيعة وجذور الكراهية بين الأسطورة والحقيقة ، نشر دار البشير – القاهرة ، دت صـ ٣٤.

(١٠) يقول د عمر الفرماوي : القائلون بهذا هل يسموا الذين تشايعوا لسعد بن عبادة يوم السقيفة ؛ لينصبوه خليفة : شيعة سعد ؟. انظر د : عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية عرض ونقد صـ ٣٠.

يتشيعون لعلي ، ولمَّا عدل عنه إلى سواه تأففوا من ذلك ، فإن الزبير اخترط سيفه ، وقال : لا أُغْمِدَهُ حتى يُبَاْيَعَ عليٌّ ؛ ولذلك فإن البذرة الأولى للتشيع : الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي ﷺ – أن أهل بيت النبي أولى الناس أن يخلفوه(١) ، وعلي أولى من العباس (٢) ، وتأكد هذا الرأي حين : تخلف عن بيعة أبي بكر قومٌ من المهاجرين ، مالوا مع عليٍّ – رضي الله عنه – (٣).

ونقول : إن اختلاف الرأي هنا ليس دليلاً على بداية التشيع ؛ لأن الملتفين حول عليٍّ لم يجمعهم إلا حبهم له ، وتفضيله على غيره ، لا على أساس النظرية الشيعية (٤) .

بل هو مجرد رأي لبعض الصحابة ، إلا أنه لم يتخط دائرة الرأي الشخصي ، ولم يمنع ذلك الرأي أصحابه أن ينزلوا على رأي الأغلبية ، وأن يدخلوا فيما دخل فيه الناس راضين مطمئنين غير متهمين أحداً (٥) ، ولم يكن أحد من هؤلاء الصحابة أو غيرهم يعتقد بعقائد الشيعة ، فالغلو في هذا الرأي واضح لكل ذي لب سليم (٦) .

الرأي الرابع : أن التشيع بدأ في خلافة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – : وخاصة على يد عبد الله بن سبأ ، حيث بقي في الخلافة اثني عشر عاماً وبموته حصل الاختلاف وابتداء أمر الروافض ؛ حيث بدأ ابن السوداء يشيع السوء عن عثمان – رضي الله عنه – ويذكر علياً بخير (٧) ، وصار يتنقل من الحجاز إلى أمصار المسلمين يريد إضلالهم (٨)، ولم يكن هناك وجود لتجمع يدعى شيعة عليٍّ على وجه التسمية والتميز ، حتى كان أول من أظهر القول بوجوب إمامة علي ابن السوداء بعد قتل عثمان – رضي الله عنه – ومنه تشعبت أصناف الغلاة (٩) .

الرأي الخامس : أن التشيع بدأ في خلافة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – :

---

(١) أبو جعفر الطبري : تاريخ الطبري جـ ٢ صـ ٢٣٤.

(٢) د أحمد أمين : فجر الإسلام ، نشر مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ، ١٩٦٥م صـ ٢٦٦.

(٣) منهم : العباس ، والفضل بن العباس ، والزبير ، وخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو ، وسلمان ، وأبو ذر ، وعمار ، والبراء بن عازب ، وأبي بن كعب . انظر أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، نشر دار بيروت ، ١٣٩٠هـ /١٩٧٠م جـ ٢ صـ ١٢٤.

(٤) د مصطفى حلمي : نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة ، نشر دار الدعوة الإسكندرية ، ط١ ،١٤٠٨هـ /١٩٨٨م صـ ١٥٧.

(٥) د محمد إبراهيم الجيوشي : دراسات في نشأة الفرق الإسلامية ، ط مكتبة حنون للطباعة – القاهرة ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م صـ ١٥٧ بتصرف. د / أحمد سيد أحمد علي : التقريب بين أهل السنة والشيعة صـ ٣٧.

(٦) د عامر النجار : في مذاهب الإسلاميين صـ ٣٨٩.

(٧) ابن حزم الأندلسي : الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ٢ صـ ٦٧. د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية صـ ٣٠.

(٨) المقريزي : الخطط ، ط دار التحرير – القاهرة ، دت جـ ٣صـ ٢٦٢. د أحمد سيد علي: التقريب بين السنة والشيعة صـ ٣٧-٣٨.

(٩) عضد الدين الإيجي : المواقف ، تحقيق : عبد القادر عميرة ، نشر دار الجيل – بيروت ، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م جـ ٣صـ ٦٧٨ .

ولكن أصحاب هذا الرأي اختلفوا فيما بينهم في توقيت هذا الظهور والتميز ، فمنهم : من أرجع هذا الظهور إلى يوم الجمل[1] ، حين خالف طلحة والزبير علياً ، وأبيا إلا الطلب بدم عثمان ، وقصدهما عليٌّ ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله ، عندها تسمى من اتبعه باسم الشيعة [2] .

ومنهم : من جعله يوم صفين[3] ، وهذا قول الخوانساري[4][5] ، وإحسان إلهي ظهير[6] حيث يقول : " إن الأسماء لا توجد قبل المسميات ، ولا الأحزاب قبل الخلافات ، فلما نشأ الخلاف بين علي ومعاوية ، صار لكلٍ أتباعه وتحزبوا حزبين سياسيين كبيرين : شيعة علي ، وشيعة معاوية " [7].

الرأي السادس : أن التشيع ظهر بعد مقتل الإمام الحسين – رضي الله عنه – بعد كربلاء :

" حيث كان لمأساة كربلاء أثرها في نمو روح الشيعة ، وازدياد أنصارها حتى إنه يمكن القول : إن حركة الشيعة بدأ ظهورها في العاشر من المحرم " [8] ، يوم قتل الحسين – رضي الله عنه –.

حيث إن " الشيعة لم تتكون كفرقة دينية كلامية إلا بعد مقتل المختار بن عبيد [9] ، وأنها أخذت شكلها النهائي في عصر الإمام جعفر الصادق – رحمه الله – ، مما يدل على أن اسم الشيعة – كمصطلح – ظهر بعد استشهاد الإمام الحسين ، وأن الكلمة كانت تطلق في أول الأمر على أية مجموعة تلتف حول أي صحابي من الصحابة [10].

---

(١) وقعة الجمل : بالبصرة الخميس ، ١٠ جمادى الأولى ، وقيل : الآخرة سنة ٣٦هـ ، بين علي ، وبين عائشة ، والزبير ، وطلحة – رضي الله عن الجميع – انتهت بانتصار علي ، وقتل أكثر من ٦٠٠٠مسلم . الطبري : تاريخ الطبري جـ ٣ صـ ٢٤ – ٢٥ بتصرف .

(٢) ابن النديم : الفهرست ، المطبعة الرحمانية – القاهرة ، ١٣٨٤هـ صـ ٢٤٩.

(٣) وقعة صفين : بين علي ومعاوية – رضي الله عنهما – ، سنة ٣٧هـ ، قتل فيها أكثرمن ٦٠٠٠٠ من الفريقين ، وبقيت مائة وعشرة أيام ، وانتهت بالتحكيم بين الفريقين . الطبري : تاريخ الطبري جـ ٣ صـ ٥٩ – ٦٠ بتصرف .

(٤) الخوانساري : محمد مهدي بن محمد الكاظمي الموسوي الخوانساري الأصفهاني ، مؤرخ من علماء الإمامية ، ولد ببغداد سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م ، وتوفي ببغداد سنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م . انظر الزركلي : الأعلام جـ ٧ صـ ١١٦م .

(٥) د / أحمد سيد علي : التقريب بين أهل السنة والشيعة صـ ٣٨ نقلا عن الخوانساري : روضات الجنات .

(٦) إحسان إلهي ظهير : باحث سلفي ، ولد ١٣٦٠هـ/١٩٤١م ، حصل على الماجستير في الشريعة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،كان رئيساً لتحرير مجلة ترجمان الحديث في لاهور بباكستان ، نالته يد الغدر ؛ فقتل ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م . انظر ترجمته للدكتور : سيد حسين العفاني لكتاب الشيعة والتشيع ، نشر دار ابن حزم – القاهرة ، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م صـ ٣-٤.

(٧) إحسان إلهي ظهير : الشيعة والتشيع صـ ٣٧ بتصرف . محمود شكري الألوسي : مختصر التحفة الاثني عشرية ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، ط الرئاسة العامة للإفتاء – الرياض – السعودية ، ١٤٠٤هـ صـ ٥ .

(٨) د / أحمد سيد علي : التقريب بين أهل السنة والشيعة صـ ٣٩ . نقلا عن فيليب حتي : تاريخ العرب.

(٩) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي : ادعى النبوة ،ودعا إلى محمد بن الحنفية ، وقتل ٦٧هـ . الزركلي : الأعلام جـ ٧ صـ ١٩٢.

(١٠) د علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام جـ ٢ صـ ٢١ بتصرف .

لكن لما تولى معاوية الملك ، ولم يعد مجرد رئيس حزب ، أصبح استعمال لفظ الشيعة مقصوراً على أتباع علي ، ودخل في هذا الاستعمال أيضاً تعارضهم مع الخوارج [١] .

الرأي الراجح :

يعتقد الباحث : أن كل المظالم لآل البيت – عليهم السلام – والتي توالت خلال السنوات كانت سبباً في تسارع انتشار التشيع بين المسلمين الذين يرون وجوب نصرتهم [٢] .

ولذلك يقسم بعض الكتاب التشيع إلى مرحلتين : التشيع الروحي (مرحلة الظهور) ، والتشيع السياسي (مرحلة التفرق) ، هذه الفرقة كانت أقلية في عهد النبي – ﷺ – وكانت الأكثرية لمن يخالفهم بقيادة أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم ، وقدر لهذه الأكثرية أن تحكم ، ولفرقة الشيعة أن تبقى في جانب المعارضة الداخلية في المجتمع ، تنشر فكرها في خفاء [٣] ، فالروحي : نشأ أيام النبي – ﷺ – ولكن هؤلاء ظلوا مجموعة محدودة لم تنفصل عن الأمة ، ولم يكن لهم كيان سياسي يخالفون به عموم الصحابة – رضي الله عنهم – ، والسياسي : حدث بعد مقتل الإمام علي ، وتأججت حميته يوم تنازل الحسن بن علي – رضي الله عنهما – عن الخلافة لمعاوية – رضي الله عنه – وبعدها صارت الشيعة حزباً ينعى قواده ، الذين قتلوا واحدا تلو الآخر .

والباحث يرجح هذا الرأي استناداً إلى العقل والنقل :

فمن المعقول : أن هذه الأفكار التي تكونت في العصور المتأخرة من فكر الشيعة لم تكن يوماً قولًا صريحاً لأحد الصحابة ، ولا من تابعيهم ، ولكن هذه المضامين التي ولدت من الأفكار الكلية لدى الشيعة الأوائل لم تظهر مرة واحدة ، بل هي تطور طبيعي كمثل أي مذهب ، فأوائل المتمذهبة يقعدون القواعد العامة ، ومن بعدهم يفصلون هذه القواعد على ما فهموه من نقلة هذه القواعد لهم ، ولذلك لا نخلط هنا بين السمات التي وصف بها التشيع ، وبين المقومات التي قام عليها التشيع ، فالشيعة يعتبرون : أن جوهر التشيع ظهر في عصر النبي– ﷺ – وظهرت نزعته في آخر حياة النبي – ﷺ – وبعد وفاته ، وتبلور اتجاهه السياسي بعد مقتل عثمان – رضي الله عنه – ، واستقل مصطلحه بعد مقتل الإمام الحسين – رضي الله عنه – .

بينما تتباين الآراء هنا حول التطور بعد ذلك ، بين من نسب تطور العقائد الشيعية إلى الإسلام وعقائده ، وهم كتاب الشيعة ، وبين من نسب تطور العقائد الشيعية إلى جذور يهودية أو مسيحية

---

(١) د عبد الرحمن بدوي : الخوارج والشيعة ، نشر دار الجليل للكتب والنشر – القاهرة ، ط٥ ، ١٩٩٨م ص ٩٧ بتصرف .

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٣٢ بتصرف .

(٣) السيد محمد باقر الصدر : نشأة التشيع والشيعة ص ٧١ بتصرف .

أو غيرها من النحل الوثنية ، فبعض الشيعة يقولون :" إن الأفكار والمعتقدات في المضمون الشيعي تتسع في الأزمنة المتأخرة عما كانت عليه في الصدر الأول ، ولكن هذه الزيادة ليست أكثر من المضمون الأصلي للتشيع ، وإنما هي تفصيل وبيان لمجمله ، وإضافة أجزاء ؛ وظهور جزئيات انطبق عليها المفهوم الكلي للتشيع ، ظهرت هذه الجزئيات بفعل تطور الزمن "(١) .

وهكذا نستطيع أن نفرق بين شيعة علي الذين ناصروه ، ووقفوا بجانبه ، والشيعة الذين تجمعوا بعد مقتل الحسين بن علي وبدأوا يجترون الماضي ويبنون عليه سياساتهم ومعتقداتهم (٢) ، حتى كانت التشيع لأهل البيت يعني : الانحياز لمواقفهم السياسية ، والفقهية ، والفكرية (٣) .

تطور التشيع من مرحلة التكوين إلى مرحلة التنظير:

قال بعض المؤرخين : إن الإمام علي – رضي الله عنه – مات ولم يوص لأحد أولاده الذين شملتهم آية التطهير ، بل قال : " لا آمركم ولا أنهاكم "(٤) .

ولكن بعد مقتله – رضي الله عنه – التف الناس حول الحسن – رضي الله عنه – وبايعوه على الخلافة في سنة ٤٠هـ ، وعقد معهم العهد على سلم من سالمه وحرب من حاربه ، ولكنه لم يرَ من أتباعه ما كان يتمناه من النصرة التامة ، فقد تفرق الناس عنه ، فاصطلح مع معاوية – رضي الله عنه – على شروط اشترطها الحسن بنفسه ، اختلف المؤرخون في تحديدها .

وقد ساء الشيعة هذا الصلح ، ولكن الحسن – رضي الله عنه – كان حريصاً على دماء المسلمين ؛ فأصلح الله به بين فرقتين عظيمتين من المسلمين – كما قال النبي – ﷺ – (٥) .

ولكن الأمر لم ينته بذلك بل تطور بشيء لم يكن في حسبان أحد ، فقد دس أحدهم السم لسبط النبي – ﷺ – فنال شهادة ربه ، فأرسل الشيعة للحسين – رضي الله عنه – يعزونه في مقتل أخيه ، ويطلبون منه الخروج على معاوية – رضي الله عنه – ولكنه لم يستجب لهم حفاظاً على عهد أخيه مع معاوية – رضي الله عنه – ، وما لبث معاوية – رضي الله عنه – : أن طلب البيعة لابنه يزيد (٦) ، ولكن الحسين – رضي الله عنه – لم يبايع (٧).

---

(١) أحمد الوائلي : هوية التشيع صـ ١٦ .

(٢) محمد عبد الرحمن عوض : الشيعة وجذور الكراهية بين الأسطورة والحقيقة صـ ١٥.

(٣) د أحمد راسم النفيس : الشيعة والثورة صـ ٦.

(٤) د نبيلة عبد المنعم داود : نشأة الشيعة الإمامية ، ط دار المؤرخ العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م صـ ٨٦ بتصرف .

(٥) الإمام البخاري : صحيح البخاري جـ ٢ صـ ٩٦٢ .

(٦) يَزِيْدُ بنُ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ بنِ حَرْبِ بنِ أُمَيَّةَ : الخَلِيْفَةُ ، أَبُو خَالِدٍ القُرَشِيُّ ، الدِّمَشْقِيُّ لَهُ عَلَى هَنَاتِهِ حَسَنَةٌ ، وَهِيَ غَزْوُ القُسْطَنْطِيْنِيَّةِ ، وَكَانَ أَمِيْرَ الجَيْشِ ، وَفِيْهِم مِثْلُ أَبِي أَيُّوْبَ الأَنْصَارِيِّ ، عَقَدَ لَهُ أَبُوْهُ بِوِلاَيَةِ العَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ ، فَتَسَلَّمَ المُلْكَ سَنَةَ سِتِّيْنَ ، وَلَهُ

وقام الشيعة بأول حركة خروج على الحاكم ضد الأمويين بقيادة حُجر بن عدي[٢] ، لكن الحركة انتهت بقتل حجر وبعض أتباعه ، وبعدها سكنت الشيعة خوفاً من القتل [٣] .

ولما مات معاوية – رضي الله عنه – وطلب يزيد بيعة أهل المدينة ، أبى عليه الحسين – رضي الله عنه – ، وعندها أرسل له أهل الكوفة أن يخرج إليهم ، فخرج مع أهل بيته جميعاً إلا محمد بن الحنفية[٤] الذي نصحه بعدم الخروج لهم ، ولكنه لم يستجب [٥].

ولكنَّه – وللأسف – لم يكن متأكدا من نصرة أهل العراق ، فقد سأل : ما حال أهل العراق ، فكانت الإجابة التي سطرها التاريخ بحروف من دماء الحسين – رضي الله عنه – : " قُلُوبُهُمْ مَعَكَ، وَسُيُوفُهُمْ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ "[٦] ، وحينها تأكد الحسين – رضي الله عنه – من صدق أخيه الحسن بن علي – رضي الله عنهما – حين قال عن شيعته :" أرى والله معاوية خيراً لي من هؤلاء ، يزعمون أنهم لي شيعة ، وقد ابتغوا قتلي ، وانتهبوا ثقلي ، وأخذوا مالي ، والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي ، وآمن به في أهلي ، خير لي من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي ، والله لو قاتلت معاوية ؛ لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً " [٧] .

ثَلاَثٌ وَثَلاَثُوْنَ سَنَةً ، فَكَانَتْ دَوْلَتُهُ أَقَلَّ مِنْ أَرْبَعِ سِنِيْنَ ؛ وَلَمْ يُمْهِلْهُ اللهُ عَلَى فِعْلِهِ بِأَهْلِ المدِيْنَةِ لَمَّا خَلَعُوْهُ ، وَيَزِيْدُ مِمَّنْ لاَ نَسُبُّهُ وَلاَ نُحِبُّهُ ، تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّيْنَ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤ صـ ٣٥ – ٤٠ .

(١) د نبيلة عبد المنعم داود : نشأة الشيعة الإمامية صـ ٧٠-٧٣ بتصرف .

(٢) حُجْرُ بنُ عَدِيٍّ بنِ جَبَلَةَ بنِ عَدِيِّ بنِ رَبِيْعَةَ : الكِنْدِيُّ وَهُوَ حُجْرُ الخَيْرِ ، وَأَبُوْهُ عَدِيُّ الأَدْبَرُ ، لَهُ صُحْبَةٌ ، وَوِفَادَةٌ ، كَانَ شَرِيفاً ، أَمَّاراً بِالمعْرُوفِ ، مِنْ شِيْعَةِ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا –.شَهِدَ صِفِّيْنَ أَمِيْراً ، حاول الخروج علي معاوية– رضي الله عنه – ، فقتله في جماعة من أصحابه سَنَةِ ٥١هـ ، وَمَشْهَدُهُم ظَاهِرٌ بِعَذْرَاءَ بالشام ، يُزَارُ ، وَخَلَّفَ حُجْرٌ وَلَدَيْنِ : عُبَيْدَ اللهِ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ ، قَتَلَهُمَا مُصْعَبُ بنُ الزُّبَيْرِ الأَمِيْرُ ، وَكَانَا يَتَشَيَّعَانِ. انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ٤٦٢ – ٤٦٧ .

(٣) د/ نبيلة عبد المنعم داود : نشأة الشيعة الإمامية صـ ٣٧-٧٤ بتصرف .

(٤) محمد بن الحنفية : محمد بن علي بن أبي طالب ، ولد ٢١ هـ ، كنيته : أبو القاسم ، أمه : خوله بنت جعفر الحنفية ، ينسب لها تميزاً له عن الحسنين ، وكان يقول : الحسن ، والحسين أفضل مني ، وأنا أعلم منهما ، كان واسع العلم ، ورعا ، أسود اللون ، وهو أحد الأبطال الأشداء في الإسلام ، مولده ووفاته في المدينة ، وقيل مات بالطائف سنة ٨١هـ ، وقيل : ٨٣هـ . الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ١٦٣. الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤ صـ ١١٠ – ١٢٩.

(٥) د/ نبيلة عبد المنعم داود : نشأة الشيعة الإمامية صـ ٧٥ بتصرف .

(٦) الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٨ صـ ١٦٨ . عثمان الخميس : حقبة من التاريخ ، نشر دار ابن الجوزي – القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م صـ ١٤٤.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٤ صـ ٢٠. العاملي : الانتصار ، نشر دار السيرة – بيروت ، ط١، ١٤٢٢هـ جـ ٩ صـ ٢٣٤.

وهنا خير الحسين – رضي الله عنه – أهله بين أمرين : إما البقاء معه والقتل ، أو الرجوع ؛ فإن القوم لا يريدون غيره ، فأبوا إلا البقاء معه لنيل الشهادة ، وهنا زفت إليهم الشهادة في واقعة كربلاء ، التي كانت ولا تزال ذكرى تنفطر لها قلوب المحبين لآل البيت – عليهم السلام – .

بعد وقعة كربلاء : تطور الأمر حيث كانت تسمية الشيعة غير مرتبطة بمفهوم معين كما هو الحال اليوم ، فإنهم كانوا يقولون : شيعة علي – رضي الله عنه – ، وشيعة الحسن – رضي الله عنه – ، وشيعة الحسين – رضي الله عنه – ، حتى تتميز عن غيرهم ، ولكن وبعد وقعة كربلاء انصرف المسمى إلى الشيعة الإمامية [١] .

وفي سنة ٦١هـ – السنة التي قتل فيها الحسين – رضي الله عنه – : بدأ بعض الشيعة يبدون ندمهم على عدم نصرتهم له ، وحاولوا التجمع لقتل من قتل الحسين ، لكنهم لم يستطيعوا ذلك حتى مات يزيد بن معاوية ، فخرجوا في عام ٦٥هـ ، في أربعة آلاف على رأسهم سليمان بن صرد [٢] ، وسميت هذه الحركة بحركة التوابين ؛ وفشلت [٣].

ثم ظهر المختار الثقفي ؛ ليطالب بثأر الحسين ، واستطاع أن يقتل بعضهم ، ودعا بإمامة محمد بن الحنفية – رحمه الله – ، وحاول إقناعه بذلك ، لكنه رفض ، وخاطب الإمام علي بن الحسين السجاد – عليه السلام– ليقنعه بالخروج على بني أمية ، ولكنه رفض ؛ فنادى بإمامة محمد بن

---

(١) د/ نبيلة عبد المنعم داود : نشأة الشيعة الإمامية صـ ٧٧ بتصرف .

(٢) سُلَيْمَانُ بنُ صُرَدٍ : أَبُو مُطَرِّفٍ الخُزَاعِيُّ الكُوْفِيُّ ، الأَمِيْرُ ، الصَّحَابِيُّ ، لَهُ رِوَايَةٌ يَسِيْرَةٌ ، كَانَ مِمَّنْ كَاتَبَ الحُسَيْنَ ؛ لِيُبَايِعَهُ ، فَلَمَّا عَجِزَ عَنْ نَصْرِهِ نَدِمَ ، وخَرَجَ فِي جيشٍ تَابُوا إِلَى اللهِ مِنْ خِذْلاَنِهِمُ الحُسَيْنَ ، وَسُمُّوا جَيْشَ التَّوَّابِينَ ، لِحَرْبِ عُبَيْدِ اللهِ بنِ زِيَادٍ ؛ فَالْتَحَمَ القِتَالُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ، وَقُتِلَ خَلْقٌ مِنَ الفَرِيْقَيْنِ ، وَاسْتَحَرَّ القَتْلُ بِالتَّوَّابِينَ ، سَنَةَ ٦٥هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣صـ ٣٩٤ – ٣٩٥ .

(٣) د/ نبيلة عبد المنعم داود : نشأة الشيعة الإمامية صـ ٧٨ بتصرف .

الحنفية ، وهذه هي أول فرقة تنفصل عن الأئمة الاثنا عشر وهي فرقة الكيسانية [١] ، التي تقول بإمامة محمد بن الحنفية – رحمه الله – [٢] ، وبعدها كان هذا دأبهم كلما اختلفوا على إمامين .

وهنا : سطع نجم الإمام زين العابدين – علي بن الحسين – الزاهد العابد محارب الغلو الذي قال للشيعة يوماً : أحبونا حب الإسلام فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً [٣].

ولكنه – عليه السلام – لاقي من الحجَّاج أشد العداء ، حتى تولى عمر بن عبد العزيز [٤] – رحمه الله – ، الذي أمر بترك لعن علي – رضي الله عنه – على المنابر ، وحذر من المساس بحقوق آل البيت ، فرد لهم الخمس [٥] ، وفدك[١] ، وظل الأمر على ذلك ، حتى ظهر زيد بن علي

---

(١) الكيسانية : القائلون بإمامة محمد بن الحنفية ؛ لأنه كان صاحب راية أبيه يوم الجمل ، وقيل : بل بوصية من الحسين له ، ويسمون : الكيسانية والمختارية ؛ وسموا بذلك : لأن الذي دعاهم إلى ذلك : المختار الثقفي ، وكان لقبه كيسان ، وبعد قتل المختار ادعى أتباعه أنه وصي محمد بن الحنفية ، ويجوزون البداء على الله ، ويكفرون من تقدم على علي من الخلفاء ، وأهل صفين ، والجمل ، وأتباعه الآن في التيه لا إمام لهم ؛ لأن محمد بن الحنفية نبذ أمر الخلافة لابنه أبي هاشم عبد الله ، ولم يولد له ، وبعد موت إمامهم انقسموا إلى : الكربية : أصحاب أبي كرب الضرير ، والكيسانية : المقرين بموت محمد بن الحنفية ، واختلفوا في الإمام بعده ، والروندية : أتباع أبي محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، والبيانية : أتباع بيان بن سمعان ، والحربية : أتباع عبد الله بن عمرو بن حرب ، وكلهم من فرق الغلاة . انظر كتاب المقالات والفرق للأشعري القمي صـ ٢١-٢٣. والبغدادي : الفرق بين الفرق صـ ٢٧ – ٢٨. الشيخ محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية صـ ٣٩.

(٢) د/ نبيلة عبد المنعم داود : نشأة الشيعة الإمامية صـ ٨٣ بتصرف .

(٣) أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء جـ ٣ صـ ١٣٦. الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤ صـ ٣٨٩.

(٤) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم : القرشي ، الأموي ، أمير المؤمنين ، أمه : أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، ولي إمرة المدينة للوليد ، وكان مع سليمان كالوزير ، وولي الخلافة بعده ، فعد مع الخلفاء الراشدين ، ولد ٦٣هـ ، وتوفي ١٠١هـ ، ومدة خلافته سنتان ونصف، من الطبقة الرابعة ، ثقة ، مأمون ، وكان إمام عدل . انظر الخطيب البغدادي : تجريد الأسماء والكنى المذكورة في كتاب المتفق والمفترق ، تحقيق : د شادي آل نعمان ، نشر مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة – صنعاء ، اليمن ، ط١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م جـ ٢ صـ ٧٨. الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٥ صـ ١١٤ – ١٤٨.

(٥) قال تعالى : " وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ " الانفال : ٤١. عند مالك: الخمس موقوف على رأي الإمام يضعه فيمن يراه أحق به. وعند الشافعي : يقسم الخمس على خمسة : فأما سهم الله تعالى فاستفتاح كلام بذكره تعالى وله الدنيا والآخرة ، وأما سهم الرسول فيصرف في المصالح ، والأسهم الأربعة : لمن ذكر الله تعالى في الآية. وقال أبو حنيفة : يقسم الخمس على ثلاثة : على اليتامى والمساكين وابن السبيل. وروي عنه أيضاً ثبوت سهم ذوي القربى للفقراء منهم. واختلف الفقهاء في ذوي القربى، فقيل: هم قرابة الخليفة الغانم. وقال الشافعي: هم بنو هاشم وبنو المطلب، وقيل: هم قريش كلها عن ابن عباس، فأما اليتامى فمن اجتمع لهم أربعة شروط: موت الأب والصغر والإسلام والحاجة. والمساكين الذين لا يجدون ما يكفيهم، وابن

بن الحسين[٢] أخو الإمام الباقر ، في زمن هشام بن عبد الملك[٣]، فاتهمه هشام بطلب الخلافة ونفاه[٤]، ولكنه خرج على هشام[٥] برغم تحذير جميع آل البيت له ، ولكنه خرج ؛ فقتله هشام وصلبه ، وبذلك ظهرت فرقة الزيدية ، وفرقة الرافضة الذين امتحنوه فقالوا : ما تقول في أبي بكر وعمر ، فقال : أتولاهما وأتولى من يتولاهما ، فقالوا : إذاً نحن نرفضك ؛ فسموا الرافضة [٦] ، وبعده خرج ولدُه يحيي[٧] ؛ فقتل ، وكان ذلك زمن الإمام الصادق – عليه السلام – [٨] .

<u>ومن هذا الوقت تحددت سلسلة أئمتهم الاثني عشر كالتالي :</u>

السبيل: الذي اجتمع له شرطان: الحاجة والإسلام. وفي الحديث : سرق رجل من الخمس على عهد علي رحمه تعالى فلم يقطعه. وإنما لم يقطعه لأن الخمس فيه حق لكل أحد من المسلمين فيدرأ عنه الحد بالشبهة. نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ٣ صـ ١٩١٧.

(١) فدك : بينها وبين المدينة يومان ، بقرب خيبر ، وكان أهل فدك صالحوا النبي – صلى الله عليه وسلم– على النصف من ثمارها سنة ست ، وكانت له خالصة ؛ لأنه لم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب ، وكان معاوية وهبها لمروان ، ثم ارتجعها منه سنة ٤٨هـ ؛ لموجدة وجدها عليه ، ولما ولي عمر بن عبد العزيز ردها لآل البيت . محمد عبد المنعم الحِميري : الروض المعطار صـ ٤٣٧ – ٤٣٨ .

(٢) زَيْدُ بنُ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : أَبُو الحُسَيْنِ الهَاشِمِيُّ ، العَلَوِيُّ ، المدَنِيُّ ،كَانَ ذَا عِلْمٍ ، وَجَلاَلَةٍ ، وَصَلاَحٍ ، خَرَجَ ، فَاسْتُشْهِدَ ، عَاشَ نَيِّفاً وَأَرْبَعِيْنَ سَنَةً ، وَقُتِلَ : ١٢٢هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٥ صـ ٣٨٩ – ٣٩١.

(٣) هِشَامُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ : أَبُو الوَلِيْدِ القُرَشِيُّ ، الأُمَوِيُّ ، الدِّمَشْقِيُّ. وُلِدَ حوالي ٧١ هـ / ٦٩٠م ، وَاسْتُخلِفَ بِعَهْدٍ مَعقُودٍ لَهُ مِنْ أَخِيْهِ يَزِيْدَ سَنَةَ ١٠٥هـ ، كان يكره الدماء ، وَلَقَدْ دَخَلَهُ مِنْ مَقْتَلِ زَيْدِ بنِ عَلِيٍّ ، وَابْنِهِ يَحْيَى أَمرٌ شَدِيْدٌ ، حَتَّى قَالَ : وَدِدْتُ لَوْ كُنْتُ افْتَدَيْتُهُمَا ، مات ١٢٥هـ / ٧٤٣م . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٥ صـ ٣٥١ – ٣٥٣. الزركلي : الأعلام جـ ٨ صـ ٨٦ .

(٤) د/ نبيلة عبد المنعم داود : نشأة الشيعة الإمامية صـ ٨٤ بتصرف .

(٥) من المعلوم : أن الأمر إذا استتب لرئيس ، أو لأمير ، وإن كان ظالماً أو فاسقاً ، فلا يجوز لأحد أن يخرج عليه إلا بشروط ؛ إذا وجد كفراً بواحاً ، وإذا اتفق أهل الحل والعقد على الخروج ، ووجدوا أن المفسدة في بقائه أشد من الخروج عليه ، فهنا يمكن الخروج . انظر د محمد أبو النجا : الشيعة في ميزان الشريعة من إصدارات جمعية الترتيل للخدمات الثقافية والدينية – القاهرة ، ط١ ، دت صـ ٨ .

(٦) الإمام زيد بن علي : مسند الإمام زيد بن علي ، نشر منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت ، دت صـ ١١.

(٧) يحيى بن زيد بن علي بن الحسين : ولد ٩٨هـ / ٧١٦م ، أحد الأبطال ، ثار مع أبيه على بني مروان ، وقتل أبوه ، وصلب بالكوفة ، فانصرف إلى بلخ ، ودعا إلى نفسه سراً ، فطلبه أمير العراق يوسف بن عمر ؛ فقبض عليه نصر بن سيار ، وكتب يوسف إلى " الوليد بن يزيد بن عبد الملك " بخبره ، فكتب الوليد يأمره بأن يؤمنه ، ويخلي سبيله ، فأطلقه نصر، وأمره أن يلحق بالوليد ، فسار إلى سرخس وأبطأ بها ، فكتب نصر إلى عامل سرخس أن يسيره عنها ، فانتقل يحيى إلى بيهق ، ثم إلى نيسابور، وامتنع ، فقاتله واليها عمرو بن زرارة وهو في عشرة آلاف ، ويحيى في سبعين رجلا ، فهزمهم يحيى ، وقتل عمراً ، وانصرف إلى هراة ، ثم سار عنها ، فبعث نصر بن سيار صاحب شرطته " سلم بن أحوز " في طلبه ، فلحقه في " الجوزجان " فقاتله قتالاً شديداً ، ورمي يحيى بسهم أصاب جبهته فسقط قتيلاً ، في قرية يقال لها " أرغوية " ، وحمل رأسه إلى الوليد ، وصلب جسده بالجوزجان سنة ١٢٥ هـ/٧٤٣م ، وبقي مصلوباً إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني ، فقتل سلم بن أحوز ، وأنزل جثة يحيى فصلى عليها ودفنها . انظر الزركلي : الأعلام جـ ٨ صـ ١٤٦.

(٨) د/ نبيلة عبد المنعم داود : نشأة الشيعة الإمامية ٨٨ بتصرف .

١. أبو الحسن علي بن أبي طالب الوصي ، والمرتضى ، ولد قبل البعثة بـ : { ٨ أو ٩ أو ١٠ أو ١٣ أو ١٤ أو ١٥ أو ١٦ أو ١٧ أو ١٨ أو ٢٢ أو ٢٣ أو ٢٥ } سنة [١]، وقتل شهيداً سنة : ٤٠هـ [٢].

٢. أبو محمد الحسن بن علي المجتبى ، والزكي ، ولد ٢هـ [٣] ، ومات مسموماً سنة ٥٠هـ [٤].

٣. أبو عبد الله الحسين بن علي الشهيد ، ولد ٣هـ [٥] ، وقتل شهيداً بكربلاء ٦١هـ [٦].

٤. أبو محمد زين العابدين علي بن الحسين السجاد ، ولد ٣٨ هـ [٧] ، وتوفي ٩٥هـ [٨] ، يقال له : علي الأصغر ؛ ليتميز عن أخيه علي الأكبر [٩] ، وعلي الأصغر هو عقب الحسين [١٠] .

٥. أبو جعفر محمد بن علي الباقر ، ولد : ٥٧هـ ، وتوفي : ١١٧هـ ، وقيل : ١١٣هـ [١١] ، وقيل : ١١٤هـ [١٢].

٦. أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، ولد ٨٣هـ ، وقيل٨٠هـ [١٣] ، وتوفي ١٤٨هـ .

٧. أبو إبراهيم موسى بن جعفر [١٤] الكاظم ، ولد ١٢٩هـ [١] ، وتوفي ١٨٣هـ [٢].

---

(١) مجدي فتحي السيد : صحيح التوثيق في سيرة وحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، نشر دار الصحابة للتراث – طنطا ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م صـ ١١. أبو نعيم : معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، نشر دار الوطن للنشر – الرياض ، ط١٤١٩،١هـ / ١٩٩٨م جـ ١ صـ ٨١ – ٨٢ .

(٢) د علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة صـ ١٢٢.

(٣) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ١٠٥ .

(٤) د علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة صـ ١٢٢.

(٥) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ١٠٥ .

(٦) د علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة صـ ١٢٢.

(٧) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ١٠٥ .

(٨) د علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة صـ ١٢٢.

(٩) عَلِيٌّ الأَكْبَرُ : علي بن الحسين ولد في خلافة عثمان ، كنيته : أبو الحسن ، وليس له عقب ، وذكره معاوية يوماً ؛ فقال : فيه شجاعة بني هاشم ، وسخاء بني أمية ، قال لأبيه يوم كربلاء : ارْجِعْ يَا أَبَه ، فَإِنَّهُم أَهْلُ العِرَاقِ ، وَغَدْرُهُم ، وَقِلَّةُ وَفَائِهِم ؛ فَقَالَتْ بَنُو عَقِيْلٍ : لَيْسَ بِحِينِ رُجُوْعٍ ، فَقَالَ الحُسَيْنُ : قَدْ تَرَوْنَ مَا أَتَانَا ، وَمَا أَرَى القَوْمَ إِلاَّ سَيَخْذُلُوْنَنَا ، فَمَنْ أَحبَّ أَنْ يَرْجِعَ ؛ فَلْيَرْجِعْ ، فكان عليٌّ أول من قاتل فقتل سنة ٦١ هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣صـ ٣٠٠ ، ٣٢١. الزركلي : الأعلام جـ ٤ صـ ٢٧٧.

(١٠) انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ٣٠٠ ، ٣٢١. الزركلي : الأعلام جـ ٤ صـ ٢٧٧.

(١١) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ١٠٥ .

(١٢) د علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة صـ ١٢٢.

(١٣) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ١٠٥ .

(١٤) موسى بن جعفر : بن محمد بن علي بن الحسين ، الكاظم- عليه السلام – الإِمَامُ ، القُدْوَةُ ، السَّيِّدُ ، كُنْيَتُه : أَبُو الحَسَنِ العَلَوِيُّ ، وقيل : أبو محمد ، وقيل : أبو إبراهيم ، وأبو علي ، أمه أم ولد ، يقال لها : حميدة البربرية ، من أعبد أهل زمانه ؛ ولذا كان يدعى العبد

٨. أبو الحسن علي بن موسى [٣] الرضا ، ولد ١٥٣هـ [٤] ، وتوفي ٢٠٣هـ [٥] .

٩. أبو جعفر محمد بن علي الجواد ، والتقي ، ولد ١٩٥هـ [٦] ، وتوفي ٢٢٠هـ [٧].

١٠. أبو الحسن علي بن محمد الهادي ، والنقي ، ولد ٢١٢هـ ، أو ٢١٤هـ [٨]، وتوفي ٢٥٤هـ [٩].

١١. أبو محمد الحسن بن علي [١٠] ، العسكري ، ولد ٢٣٢هـ [١١] ، وتوفي ٢٦٠هـ [١٢].

الصالح ، وكان من سادات العلماء ، ولد ١٢٩هـ ، وقيل : ١٢٨هـ بالمدينة ؛ وقيل : بالأبواء ،كان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه ، فيبعث إليه بصرة فيها ألف دينار ، حمل هارون موسى معه إلى بغداد ، وحبسه بها إلى أن توفي في محبسه مسموماً سنة ١٨٣هـ ، وقيل : ١٨٦هـ ، وله خمس وخمسون سنة . قال أبو حاتم : ثقة ، صدوق . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ صـ ٣٠٨-٣١٠ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٦ صـ ٢٧٠-٢٧٤ . العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢ صـ ١٢٤ - ١٢٥. الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ٢٢٢-٢٢٣.

(١) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ١٠٥ .

(٢) د علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة صـ ١٢٢.

(٣) علي بن موسى بن جعفر : الرضا – عليه السلام – ، سَيِّدُ السَّادَةِ ، مِنْ كِبَارِ الشّرفَاء حِشْمَةً ، وولي المؤمنين ، كنيته : أبو القاسم ، وقيل : أبو الحسن ، أمه أم ولد ، يقال لها أم أنس ،كان أسود اللون ؛ لأن أمه حبشية ، ولد : ١٥٣هـ بالمدينة ، وقيل : ١٥١هـ ، وقيل : ١٤٨هـ ، وكان المأمون زوجه ابنته أم حبيب سنة ٢٠٢هـ ، وجعله ولي عهده ، وضرب اسمه على الدينار والدرهم ، و السبب : أنه نظر في أولاد العباس ، وأولاد علي ، فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحق بالأمر من علي الرضا ؛ فبايعه ، وأمر بإزالة السواد من اللباس ، والأعلام ؛ ونمي الخبر إلى من بالعراق من أولاد العباس ، فعلموا أن في ذلك خروج الأمر عنهم ، فخلعوا المأمون ، وبايعوا إبراهيم بن المهدي ، ومات بطوس في حياة المأمون من أراضي خراسان سنة ٢٠٣هـ ، وقيل : ٢٠٢هـ ، وله خمس وخمسون سنة .انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣صـ ٢٦٩-٢٧٠. الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢ صـ ١٢٥. الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ٢٣٥.

(٤) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ١٠٥ .

(٥) د علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة صـ ١٢٢.

(٦) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ١٠٥ .

(٧) د علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة صـ ١٢٢.

(٨) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ١٠٥ .

(٩) د علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة صـ ١٢٢.

(١٠) الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر العسكري – عليه السلام – : أمه أم ولد ، يقال لها : حديثة ،كنيته : أبو محمد ، ولد سنة ٢٣١هـ ، وقيل : ولد بالمدينة سنة ٢٣٢هـ ، توفي : ٢٦٠هـ بسر من رأى ، ودفن بجنب قبر أبيه ، وله ثمان وعشرون سنة ، وكان له أخ يدعى جعفراً منابذا له ؛ فسماه شيعة الحسن جعفر الكذاب !. انظر ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان جـ ٢ صـ ١١٩. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ صـ ٩٤. انظر الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد جـ ٧ صـ ٣٦٦. العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢ صـ ١٢٦ - ١٢٧. الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ٢٤٩.

(١١) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ١٠٥ .

(١٢) د علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة صـ ١٢٢.

١٢. أبو القاسم محمد بن الحسن [١] المهدي ، والحجة ، والقائم [٢] ، وما زال حياً إلى اليوم – على حد زعمهم – غاب في السرداب من سنة ٢٥٦هـ على الراجح [٣].

ولكن الباحث يؤكد : أن أهل السنة لم يكونوا يوماً يقولون : إن الشيعة هم أتباع علي ؛ ليميزوهم عن أتباع معاوية – رضي الله عنهما – ، بل كان الصحابة في أغلبهم مع علي – رضي الله عنه – ، وكانت هذه الفرقة هم أهل السنة ، ولم يعتقدوا يوماً أن معاوية كان أحق بالأمر من علي – رضي الله عنهما – ، ولم يقل معاوية بذلك نَفْسُه .

ولم تكن عقائد من انتسب إلى علي – رضي الله عنه – مختلفة عن عقائد المسلمين ، حتى جاءت حادثة موت زين العابدين علي بن الحسين ، فقد مات وترك عالمين جليلين من أبناءه أولهما : زيد بن علي ، والثاني : محمد الباقر ، ووقعت حادثة الرفض من بعض الشيعة حينما صرح زيد الخير بتولي أبي بكر وعمر وترضيه عليهما ، وهنا بدأت تظهر بوادر الفرقة بين الشيعة أنفسهم ، فرفضوا ولاية زيد ، وقالوا بولاية محمد الباقر ، ولكن لم تبعد آراء زيد عن عقائد أهل السنة ، غير قوله بأفضلية عليٍّ على أبي بكر وعمر – رضي الله عنهم – .

ويعتبر رفض هؤلاء الشيعة لخلافة الشيخين هي البذرة الأولى لظهور فرقة الشيعة الاثني عشرية أكبر مذاهب الشيعة الآن ، وظلت هذه عقيدة الشيعة لا تتجاوز تفضيل علياً على باقي الصحابة ، ولم تكن سوى حركات تحاول الخروج على الخلفاء ، سواء خلفاء الدولة الأموية (٤١ – ١٣٢هـ) ، أو دولة بني العباس (١٣٢ – ٦٥٦هـ) .

حتى توفي الإمام الحسن العسكري فجأة عام ٢٦٠هـ ، ولم يترك إلا ابناً صغيراً لم يتجاوز الخامسة من عمره – على حد زعمهم – ، فكان خياراً صعباً على الشيعة أن يولوا عليهم طفلاً صغيراً ، الذي لم يلبث أن مات هو الآخر ، مخلفاً مصيبة من أعظم المصائب وهي : من سيتولى منصب إمام زمانه .

وهنا افترقت الشيعة إلى إحدى عشرة فرقة ، وليست لها ألقاب مشهورة : الأولى : إن الحسن لم يمت ، وهو القائم ، ولا ولد له ، والثانية قالت : إن الحسن مات ، وهو القائم ، والثالثة قالت : إن

---

(١) محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد ، ثاني عشر الأئمة على اعتقاد الإمامية وممن قال : إن الحسن العسكري لم يعقب : الطبري ، ويحيى بن صاعد ، وناهيك بهما معرفة ، وثقة . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٣ ص ١٢٠ – ١٢٢. ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٤ ص ١٧٥-١٧٦.

(٢) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية جـ ١ ص ١٠٥ بتصرف . الكليني : أصول الكافي جـ ١ ص ٤٥٢. أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ٩٠-٩١ . الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٤٠.

(٣) د علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة ص ١٢٢.

الحسن مات ، وأوصى إلى جعفر أخيه ، والرابعة قالت : إن الحسن مات وجعفر كان أولى منه بالإمامة ، والخامسة قالت : إن الحسن مات ، وولايته كانت خطأ ، والإمام محمد بن علي أخو جعفر والحسن ، والسادسة قالت : إن الحسن كان له ابن ولد في حياته ، فاستتر وهو القائم ، والسابعة قالت : إن للحسن ولداً ولد له بعد موته ، والثامنة قالت : إن الحسن مات ولا ولد له ، وإن الحجة رفعت من الأرض لمعاصي الناس ، والتاسعة قالت : نتوقف في كيفية موت الحسن ، وكيفية مولد ابنه ، وكيفية خروجه بصورته ، ولكننا نقول : إن الأرض لا تخلو من حجة ، والعاشرة قالت : إن الحسن مات ولابد للناس من حجة سواء من ولده أم من غيره ، والحادية عشرة قالت : لا ندري حقيقة الحال إلى أن يظهر الحجة فنتوقف [1] .

ومن وسط هذا التخبط والاختلاف ظهرت الفرقة الشيعية المنتسبة للاثني عشر إماماً من خيرة آل البيت ، والتي تسمى الإمامية الاثني عشرية ، وبدأت تظهر عقائدهم [2] .

من هم الرافضة :-

الروافض في اللغة : كل جند تركوا قائدهم ، والرافضة فرقة من الشيعة ، وسموا بذلك : لأنهم بايعوا زيد بن علي – رحمه الله – ، ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين ، فأبى قال : لا كانا وزيري جدي – ﷺ – فتركوه [3] ، ورفضوه ، وانفضوا عنه [4] ، ورفضوا نصحه ؛ فسموا رافضة [5].

وهناك آراء أخرى في سبب تسميتهم بهذه التسمية مجملها :

القول الأول : أنهم سموا روافض لرفضهم إمامة زيد بن علي حين طالبوه أن يتبرأ من الشيخين ، فرفض ؛ فقالوا : إذاً نرفضك ، ونرفض ولايتك [6] ، فأرادوا أن يطابقوا عقيدتهم بعقيدته ، ولما اختلفوا عليه تولوا جعفر بن محمد بن علي – عليه السلام – الملقب بالصادق [7].

القول الثاني : سموا روافض ؛ لرفضهم لإمامة الشيخين [8] ، سواء تولاهما زيدٌ أم لا .

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٣٨ – ١٤٠ بتصرف .

(٢) د راغب السرجاني : الشيعة نضال أم ضلال ، نشر دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م صـ ٥–١٠بتصرف .

(٣) محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، مادة (رفض) جـ ٥ صـ ٣٤ .

(٤) يقول السيد علي الشهرستاني : هذه مؤامرة ممن يهوى هشام بن عبد الملك ، أرادوا أن يفرقوا عنه أصحابه ، وقد نجحت المؤامرة ، وتفرق عنه أهل الغدر ، والأطماع .انظر علي الشهرستاني : وضوء النبي ، ط ستارة – قم ، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م جـ ١ صـ ٣٢٧ .

(٥) مجمع اللغة العربية المصرية : المعجم الوجيز ، مادة (رفض) صـ ٢٧١.

(٦) الاسفرائيني : التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، ط مكتبة عالم الكتب – بيروت ، ط١، ١٩٨٣م صـ ٣٠.

(٧) محمود جابر : الشيعة الجذور والبذور ، ط ستارة – قم ، ط١ ، ١٤٣٠هـ صـ ٨٠–٨٣ بتصرف.

(٨) الإمام أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين صـ ١٦ .

القول الثالث : سموا روافض ؛ لرفضهم مناصرة أئمتهم ، وغدرهم بهم ، وعدم وفائهم لهم[١]. واستدلوا بقول الإمام علي – رضي الله عنه – : " لو ميزت شيعتي لما وجدتهم إلا واصفة ، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين ، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد " [٢].

الرأي الراجح : القول الثاني ؛ وذلك نظراً لثبوته تاريخياً ، ولأنه يجمع الآراء الأخرى ، فالشيعة لما رفضوا ولاية الشيخين كان سبباً في عدم الاعتراف بولاية الإمام زيد – رحمه الله – فلا يعدوا أن يكون كل منهما سبباً للآخر ، وهم كذلك لم يناصروا الإمام زيد حين أعلن موقفه من الشيخين ، فالكل نتيجة لسبب واحد وهو رفض إمامة الشيخين .

الرافضة والشيعة بين العموم والخصوص :

اختلف علماء الإسلام في تعيين الموصوف بالرافضة من بين عموم الشيعة ، وملخص هذه الآراء يدور حول ثلاثة مذاهب :-

المذهب الأول : أطلق هذه التسمية على عموم الشيعة ، بل جعلوه لفظاً لا يفارقهم ، حيث جعلوا كل الفرق تنبثق من الروافض ، وهم أربعة أصناف : زيدية ، وإمامية ، وكيسانية ، وغلاة [٣] " [٤] ، ومنهم من قسم الشيعة باعتبار الرفض إلى قسمين : روافض يدخلون في زمرة المسلمين ، وروافض لا يدخلون في زمرة المسلمين [٥] .

المذهب الثاني : قالوا بأن الرافضة فرقة من فرق الشيعة المسماة بالإمامية [٦].

المذهب الثالث : قالوا بأن وصف الرافضة ينطبق على جميع فرق الشيعة ما عدا الزيدية [٧] .

ويؤيده كلام ابن حزم – رحمه الله – : إن جميع الزيدية لا يختلفون أن الإمامة في جميع ولد علي ، من خرج منهم يدعو إلى الكتاب والسنة وجب سل السيف معه ، وقالت الروافض : الإمامة في علي وحده بالنص عليه ، ثم في الحسن ، ثم في الحسين [١] .

---

(١) إحسان إلهي ظهير : الشيعة والتشيع ص ٢٧٠ .

(٢) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٢٨. د أحمد سيد أحمد علي : التقريب بين أهل السنة والشيعة ص ٤٤ .

(٣) الغلاة : ينسبون أنفسهم إلى الشيعة الإمامية ، ولكن الإمامية يلعنونهم ، يجمعون على تأليه علي والأئمة من نسله ، ويعتبرون علياً والأئمة صوراً يتمثل فيها الجوهر الإلهي بذاته ، وأن جثمانية الجوهر حادث طارئ . الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ١٧٩-١٨٠.

(٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٣٥-٣٦ .

(٥) د/ أحمد سيد أحمد علي التقريب بين أهل السنة والشيعة ص ٤٥.

(٦) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ص ٦٩ بتصرف . د أحمد سيد أحمد علي التقريب بين أهل السنة والشيعة ص ٤٥.

(٧) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٣٥ . د أحمد سيد أحمد علي التقريب بين أهل السنة والشيعة ص ٤٦.

ولذا أوجب كثير من العلماء التفرقة بين الروافض والزيدية ، لأنك إذا أردت أن تفرق بين المعتدلين ، وجدت أقربهم لأهل السنة الزيدية ، وبين الغلاة منهم لم تجد أشهر من الرافضة(٢) .

الرأي الراجح : الرأي الأخير ؛ لأنه الأقرب للصواب بالنظر إلى الفرق الشيعية الموجودة في عصرنا الحاضر ؛ بدليل اجتماعهم على رفض خلافة الشيخين ما عدا الزيدية (٣) .

أثر وصف الرافضة على الشيعة :

بعد اندثار كثير من فرق الشيعة ، التصقت تسمية الرافضة بالشيعة الاثني عشرية أكثر من ذي قبل ؛ لأنها أكثر فرق الشيعة الآن عدداً وشهرة ، حتى إنه بمجرد ذكر الرافضة يتجه الفكر إليهم بلا روية ، وذلك يحتم علينا أن ننظر في رأي علماء الاثني عشرية في الاعتراف بهذه التسمية لنحدد موقفنا نحن من هذه التسمية .

الرأي الأول ينكر هذه التسمية : ويتهم أهل السنة بأنهم هم من سماهم بها ؛ فيقول :" الرافضة لقب يُنْبَذُهُ من يقدم علياً – عليه السلام – في الخلافة ، وأكثر ما يُسْتَعْمل للتشفي والانتقام ، وإذا هاجت هائجة العصبية لم يتوقف في إطلاقه على كل شيعي "(٤) .

وهذا على – حد زعم الشيعة – دأب أهل السنة ، أو ما يسمونهم بأعداء أهل البيت – عليهم السلام– ، فهم دائماً يلقبون الشيعة بأوصاف توحي بالذم لهم مثل : " شيعة أبي تراب"(٥) ، وكانوا يسمونهم في عهد الحجاج " علوية "(٦) .

ثم لقبوهم بعد ذلك بالرافضة(١)، بل هم شر من في الإنس والجن (٢) ، وهم يهود أمة الإسلام (٣) أعداء الله (٤) ، وحسبك بهم خبثاً(٥) .

---

(١) ابن حزم : الفصل في الملل والنحل جـ ٤صـ٤٧ بتصرف . د أحمد سيد أحمد علي : التقريب بين أهل السنة والشيعة صـ ٤٦.

(٢) الشيخ محمد رشيد رضا : السنة والشيعة ، نشر المطبعة السلفية – الهند ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م صـ ٥ بتصرف .د أحمد سيد أحمد علي التقريب بين أهل السنة والشيعة صـ ٤٦.

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٢٧.

(٤) السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ١ صـ ١٧ .

(٥) الذي كنى علياً – رضي الله عنه – بأبي تراب هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكانت أحب الكُنى إليه . انظر ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١٥ صـ ٣٦٨. مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ١٨٧٤. النسائي : السنن الكبرى جـ ٧ صـ ٤٦٤.

(٦) يقول القاضي أبي بكر بن العربي : " وصارت الخلائق عزين ، في كل واد من العصبية يهيمون ، فمنهم بكرية – نسبة إلى أبي بكر–، وعمرية – نسبة إلى عمر بن الخطاب–، وعثمانية – نسبة إلى عثمان بن عفان–، وعلوية – نسبة إلى علي بن أبي طالب–، وعباسية – نسبة إلى العباس ، كلٌّ تزعم أن الحق معها وفي صاحبها ، والباقي ظلوم غشوم مفتر من الخير عديم ، وليس ذلك بمذهب ، ولا فيه مقالة ، وإنما هي حماقات وجهالات ، أو دسائس للضلالات ، حتى تضمحل الشريعة ، وتهزأ الملحدة من الملة ، ويلهو بهم الشيطان ويلعب ، قد سار بهم في غير مسير ولا مذهب " . القاضي أبي بكر بن العربي : العواصم من القواصم صـ ٢٤٦.

وروت فاطمة الزهراء – رضي الله عنها– أن النبي – ﷺ– قال لعلي – رضي الله عنه – :" أَبْشِرْ يَا عَلِيُّ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَكَ يُصَغِّرُونَ الإِسْلَامَ ، ثُمَّ يَلْفُظُونَهُ ، ثُمَّ يُصَغِّرُونَهُ ، ثُمَّ يَلْفُظُونَهُ ثَلَاثًا ، يُقَالُ لَهُمْ : الرَّافِضَةُ إِنْ أَدْرَكْتَهُمْ ، فَقَاتِلْهُمْ ، فَإِنَّهُمْ مُشْرِكُونَ ، قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْعَلَامَةُ فِيهِمْ ؟ قَالَ : لَا يَشْهَدُونَ جُمُعَةً وَلَا جَمَاعَةً ، وَيَطْعَنُونَ عَلَى السَّلَفِ الْأَوَّلِ" [٦] ، قال رسول الله – ﷺ– : يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يُنْبَزُونَ الرَّافِضَةَ يَرْفُضُونَ الْإِسْلَامَ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ مُشْرِكُونَ " [٧]، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– : " يَأْتِي قَوْمٌ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ يُسَمَّوْنَ بِالرَّافِضَةِ بَرِئُوا مِنَ الإِسْلَامِ "[٨] ، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– : " يَا عَلِيُّ ، سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ يَنْتَحِلُونَ حُبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، لَهُمْ نَبَزٌ يُسَمُّونَهُ الرَّافِضَةَ "[٩] ، ويقول طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ[١٠] – رحمه الله – :" لَوْلَا أَنِّي عَلَى وُضُوءٍ لَأَخْبَرْتُكَ بِمَا يَقُولُ الرَّافِضَةُ " [١١] ، سُئِلَ عبد الرحمن بن مهدي[١٢] – رحمه الله – عَنِ الصَّلَاةِ خَلْفَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ ، فَقَالَ : " يُصَلَّى خَلْفَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ دَاعِيَةً إِلَى بِدْعَتِهِ مُجَادِلًا بِهَا ، إِلَّا هَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ : الْجَهْمِيَّةُ وَالرَّافِضَةُ ؛ فَإِنَّ الْجَهْمِيَّةَ كُفَّارٌ بِكِتَابِ اللَّهِ – عَزَّ

---

(١) مجلة رسالة الإسلام ، تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – القاهرة ، السنة : ١٠ – العدد : ١ص ١١٠ بتصرف .

(٢) أبو سعيد بن الأعرابي : معجم ابن الأعرابي جـ ١ صـ ٢٣٤.

(٣) أبو نعيم الأصفهاني : حلية الأولياء جـ ٦ صـ ٣٨٥.

(٤) أبو سعيد بن الأعرابي : معجم ابن الأعرابي جـ ١ صـ ٢٢٩.

(٥) ابن بطة : الإبانة الكبرى جـ ٢ صـ ٨٨٦.

(٦) صححه حسين سليم أسد . انظر أبو القاسم الطبراني : المعجم الأوسط جـ ٦ صـ ٣٥٤ – ٣٥٥ . أبو يعلى الموصلي : مسند أبي يعلى ، تحقيق : حسين سليم أسد ، نشر دار المأمون للتراث – دمشق ، ط١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م جـ ٤ صـ ٤٥٩ ، جـ ١٢صـ ١١٦. انظر معمر بن الفاخر : موجبات الجنة ، تحقيق : ناصر الدمياطي ، ط مكتبة عباد الرحمن – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م صـ ٢٧٤. أبو سعيد بن الأعرابي : معجم ابن الأعرابي جـ ١ صـ ٧٦٤ – ٧٦٥.

(٧) حديث ضعيف روي عن علي . الإمام أحمد بن حنبل : المسند جـ ١ صـ ١٠٣. أبو سعيد بن الأعرابي : معجم ابن الأعرابي جـ ١ صـ ٧٦٣. الإمام عبد بن حميد : مسند عبد بن حميد ، ط مكتبة السنة – القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م صـ ٢٣٢.

(٨) أبو سعيد بن الأعرابي : معجم ابن الأعرابي جـ ١ صـ ٧٦٣.

(٩) أبو نعيم الأصفهاني : حلية الأولياء جـ ٤ صـ ٩٥ – ٩٦ . عن علي – رضي الله عنه – .

(١٠) طَلْحَةُ بنُ مُصَرِّفِ بنِ عَمْرٍو اليَامِيُّ : الهَمْدَانِيُّ ، الكُوْفِيُّ. قَالَ لَيْثُ بنُ أَبِي سُلَيْمٍ: حَدَّثْتُ طَلْحَةَ بنَ مُصَرِّفٍ فِي مَرَضِهِ : أَنَّ طَاوُوْساً كَرِهَ الأَنِيْنَ، فَمَا سُمِعَ طَلْحَةُ يَئِنُّ حَتَّى مَاتَ. تُوُفِّيَ ١١٢هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٩ صـ ٢١٩ – ٢٢٠.

(١١) أبو نعيم : حلية الأولياء جـ ٥ صـ ١٥ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٩ صـ ٢١٩. ابن بطة : الإبانة الكبرى جـ٢ صـ ٥٥٧.

(١٢) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَهْدِيِّ بنِ حَسَّانِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ : النَّاقِدُ ، سَيِّدُ الحُفَّاظِ ، أَبُو سَعِيْدٍ العَنْبَرِيُّ ، وَقِيْلَ : الأَزْدِيُّ ، البَصْرِيُّ ، اللُّؤْلُؤِيُّ. وُلِدَ : ١٣٥هـ ،كَانَ يَكْرَهُ الجُلُوْسَ لِذِي هَوَىً أو رَأْيٍ. تُوُفِّيَ بِالبَصْرَةِ ١٩٨هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٧ صـ ٢٠٢ – ٢١٥.

وَجَلَّ – ، وَالرَّافِضَةُ يَنْتَقِصُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – "[١]، وعن الْحَسَنَ بْنَ الْحَسَنِ[٢] – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أنه قال لِرَجُلٍ مِنَ الرَّافِضَةِ : " وَاللَّهِ إِنَّ قَتْلَكَ لَقُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى "، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : إِنَّكَ تَمْزَحُ ، فَقَالَ: " وَاللَّهِ مَا هَذَا بِمِزَاحٍ، وَلَكِنَّهُ مِنِّي الْجِدُّ "[٣] . وكفى بتلك الروايات دليلاً على ذم التسمية ومنتحليها والمتبعين لها .

<u>الرأي الثاني من يتشرف بالتسمية :</u> وينفي أنها من صفات الذم ، بل هي كل المدح ، مستدلاً بما قيل لأبي جعفر– عليه السلام – : اسم سُمّينا به ؛ استحلت به الولاة دمائنا ، وأموالنا ، وعذابنا ، قال : وما هو ؟ قيل : الرافضة ، قال :" إن سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون ، فأتوا موسى – عليه السلام – فلم يكن في قوم موسى الرافضة ، فأوحى الله إلى موسى أن ثبّت لهم هذا الاسم في التوراة ، فإني قد نحلتهم إياه ، وذلك اسم قد نحلكموه الله "[٤] .

مما حداهم أن يتفاخروا بهذا الاسم ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام –: " والله نعم الاسم الذي منحكم الله ، ما دمتم تأخذون بقولنا ، ولا تكذبون علينا...رفضوا الباطل ، وتمسكوا بالحق" [٥] ، وقيل لأبي عبد الله – عليه السلام – : جعلت فداك ، فإنا قد نُبِزْنا نَبْزَاً [٦] ، انكسرت له ظهورنا ، وماتت له أفئدتنا ، واستحلت له دماءنا ، في حديث رواه له فقهاؤهم – يعني أهل السنة – ، فقال أبو عبد الله – عليه السلام– : الرافضة قيل : نعم ، قال : لا والله ما هم سمُّوكم ، ولكن الله سماكم ، رفضوا الخير ، ورفضتم الشر ، افترق الناس كل فرقة ، وتشعبوا كل شعبة ، فانشعبتم مع أهل بيت نبيكم ، وذهبتم حيث ذهبوا ، واخترتم من اختار الله لكم ، فأبشروا ، ثم أبشروا ، فأنتم والله المرحومون "[٧].

---

(١) أبو نعيم الأصفهاني : حلية الأولياء جـ ٩ صـ ٧ .

(٢) الحَسَنُ بنُ الحَسَنِ : أَبُو مُحَمَّدٍ الحسن بن الحسن بن علي ، قَلِيْلُ الرِّوَايَةِ ، وَالفُتْيَا ، مَعَ صِدْقِهِ ، وَجَلاَلَتِهِ ،كَانَتْ شِيْعَةُ العِرَاقِ يُمَنُّوْنَ الحَسَنَ الإِمَارَةَ ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ يُبْغِضُهُم دِيَانَةً ، تُوُفِّيَ ٩٩هـ ، وَقِيْلَ : ٩٧هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤ صـ ٤٨٣ – ٤٨٧.

(٣) أبو الفضل البغدادي : حديث الزهري ، تحقيق: د حسن بن محمد بن علي شبالة البلوط ، نشر أضواء السلف – الرياض ، ط١ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م صـ ٤٢٣.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٦٥ صـ ٩٦ . د نبيلة عبد المنعم داود : نشأة الشيعة الإمامية صـ ٩٣ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٦٥ صـ ٩٧ . د نبيلة عبد المنعم داود : نشأة الشيعة الإمامية صـ ٩٣ .

(٦) النبز: التداعي بالألقاب السيئة ، ومنه : التنابز بالألقاب . انظر المعجم الوجيز ، مادة نبز صـ ٥٩٩.

(٧) الشيخ الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ صـ ٣٤ بتصرف. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٦٥ صـ ٤٩ بتصرف .

هكذا نرى بوضوح : مدى الطابع الذي تضفيه هذه الأحاديث على مسمّى الرافضة ، من النكارة حيث لم يبق بعد هذه الأحاديث إلا أن نتبرأ من هذه التسمية كما تبرأ منها بعض متنوري الشيعة كما أسلفنا ، و الله أعلم .

<u>حكم الرواية عن الرافضة :</u>

هناك خلاف بسيط بين أهل السنة في حكم الرواية عن الرافضة ؛ فنُقِل عن الشافعي– رحمه الله– [(١)] : " لَمْ أَرَ أَحَدًا أَشْهَدَ بِالزُّورِ مِنَ الرَّافِضَةِ " [(٢)]، وقال أيضاً : " أُجِيزُ شَهَادَةَ أَهْلِ الأَهْوَاءِ كُلِّهِمْ إلاَّ الرَّافِضَةَ "[(٣)] ، وقال مالك – رحمه الله – [(٤)] عن الرافضة : لا تكلمهم ، ولا ترو عنهم ، فإنهم يكذبون " ، وقال يزيد بن هارون [(٥)] : يُكتب عن كل صاحب بدعة ، إذا لم يكن داعية إلا الرافضة ؛ فإنهم يكذبون" [(٦)] ، وقال شريك بن عبد الله – رحمه الله – [(٧)] : احمل العلم عن كل من لقيت ، إلا الرافضة ؛ فإنهم يضعون الحديث ، ويتخذونه ديناً [(٨)].

وقد اختلف الناس في جواز الرواية عن الرافضة ، على ثلاثة أقوال :

أحدها : المنع مطلقاً [(٩)] ، والثاني : الترخيص مطلقاً ، إلا من يكذب ويضع [(١)] ، والثالث : التفصيل : فتقبل رواية الرافضي الصدوق العارف بما يحدث ، وترد رواية الرافضي الداعية ، ولو كان صدوقاً [(٢)] .

---

(١) الشَّافِعِيُّ: محمد بن إدريس بن العباس ، أَبُو عَبْدِ اللهِ القُرَشِيُّ ، المِطَّلِبِيُّ ، المَكِّيُّ ، يجتمع مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في جده عبد مناف ، ولد١٥٠هـ/ ٧٦٧م العَالِمُ ، نَاصِرُ الحَدِيْثِ ، الفَقِيْهُ ، ولد ١٥٠هـ ، وتوفي ٢٠٤هـ / ٨٢٠م . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٠ صـ ٥ – ٩٩ . ابن منظور : طبقات الفقهاء صـ ٩٧ – ٩٨ . الزركلي : الأعلام جـ ٦ صـ ٢٦ – ٢٧ .

(٢) البيهقي : السنن الكبرى جـ ١٠صـ ٣٥٢. ابن حجر : لسان الميزان جـ ١ صـ ١١. أبو نعيم : حلية الأولياء جـ ٩ صـ ١١٤.

(٣) البيهقي : السنن الكبرى جـ ١٠صـ ٣٥٢.

(٤) مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ : أَبُو عَبْدِ اللهِ المَدَنِيُّ ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ ، إِمَامُ دَارِ الهِجْرَةِ ، ولد ٩٣هـ ، وَجَلَسَ لِلإِفَادَةِ ، وَلَهُ إِحْدَى وَعِشْرُوْنَ سَنَةً ،كَانَ شَرِيْفاً سَيِّداً ، عَابِداً ، صاحب الموطأ ، مَاتَ ١٧٩هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٨ صـ ٤٨ – ١٣٥.

(٥) يَزِيْدُ بنُ هَارُوْنَ بنِ زَاذِي : أَبُو خَالِدٍ السُّلَمِيُّ ، القُدْوَةُ ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ ، مَوْلِدُهُ ١١٨هـ ، وَكَانَ رَأْساً فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ ، ثِقَةً ، حُجَّةً ، كَبِيْرَ الشَّأْنِ ، وَتُوُفِّيَ فِي خِلاَفَةِ المَأْمُوْنِ سَنَةَ ٢٠٦هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٩ صـ ٣٥٨ – ٣٧١.

(٦) ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان جـ ١ صـ ١١.

(٧) شَرِيْكُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي نَمِرٍ : المَدَنِيُّ المحَدِّثُ ، قَالَ ابْنُ مَعِيْنٍ : لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ ، مَاتَ : قَبْلَ الأَرْبَعِيْنَ وَمائَةٍ. الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٦ صـ ١٥٩ – ١٦٠.

(٨) ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان جـ ١ صـ ١١.

(٩) المنع من قبول رواية المبتدعة ؛ الذين لم يكفروا ببدعتهم كالرافضة والخوارج ونحوهم : ذهب إليه مالك ، وأصحابه ، والقاضي أبو بكر الباقلاني ، وأتباعه . انظر : ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان جـ ١ صـ ١١.

والتحقيق : هَذِهِ مَسْأَلَةٌ كَبِيْرَةٌ وَهِيَ : القَدَرِيُّ ، وَالمُعْتَزِلِيُّ ، وَالجَهْمِيُّ ، وَالرَّافِضِيُّ ، إِذَا عُلِمَ صِدْقُهُ فِي الحَدِيْثِ وَتَقْوَاهُ ، وَلَمْ يَكُنْ دَاعِياً إِلَى بِدْعَتِهِ ، فَالَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ العُلَمَاءِ قَبُولُ رِوَايَتِهِ ، وَالعَمَلِ بِحَدِيْثِهِ ، وَتَرَدَّدُوا فِي الدَّاعِيَةِ ، هَلْ يُؤْخَذُ عَنْهُ ؟ فَذَهَبَ كَثِيْرٌ مِنَ الحُفَّاظِ إِلَى تَجَنُّبِ حَدِيْثِهِ ، وَهُجْرَانِهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُم : إِذَا عَلِمْنَا صِدْقَهُ ، وَكَانَ دَاعِيَةً ، وَوَجَدْنَا عِنْدَهُ سُنَّةً تَفَرَّدَ بِهَا ، فَكَيْفَ يَسُوغُ لَنَا تَرْكُ تِلْكَ السُّنَّةِ ؟ فَجَمِيْعُ تَصَرُّفَاتِ أَئِمَّةِ الحَدِيْثِ ، تُؤْذِنُ بِأَنَّ المُبتَدِعَ إِذَا لَمْ تُبِحْ بِدعَتُه خُرُوْجَه مِنْ دَائِرَةِ الإِسْلاَمِ ، وَلَمْ تُبِحْ دَمَهُ ، فَإِنَّ قَبُولَ مَا رَوَاهُ سَائِغٌ ، وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ لَمْ تَتَبَرْهَنْ لِي كَمَا يَنْبَغِي ، وَالَّذِي اتَّضَحَ لِي مِنْهَا : أَنَّ مَنْ دَخَلَ فِي بِدعَةٍ ، وَلَمْ يُعَدَّ مِنْ رُؤُوْسِهَا ، وَلاَ أَمْعَنَ فِيْهَا ، يُقْبَلُ حَدِيْثُه [٣] ؛ فماذا عسى أن يقول أمثالنا من قليلي العلم ؟ .

آراء العلماء في عدد فرق الشيعة :

حفلت كتب المقالات والفرق بذكر فرق الشيعة وطوائفهم ؛ فبعد وفاة كل إمام من الأئمة عند الشيعة تظهر فرقة جديدة ، وإن شئت قلت فرق جديدة ، وكل طائفة تذهب في تعيين الإمام مذهباً خاصاً ، وتنفرد ببعض العقائد عن غيرها ، وتدعي أنها هي الطائفة المحقة .

فالرَّافِضَةُ فَأَشَدُّ النَّاسِ اخْتِلَافًا وَتَبَايُنًا وَتَطَاعُنًا ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَخْتَارُ مَذْهَبًا لِنَفْسِهِ يَلْعَنُ مَنْ خَالَفَهُ عَلَيْهِ ، وَيُكَفِّرُ مَنْ لَمْ يَتْبَعْهُ ، وَكُلُّهُمْ يَقُولُ : إِنَّهُ لَا صَلَاةَ ، وَلَا صِيَامَ ، وَلَا جِهَادَ ، وَلَا جُمُعَةَ ، وَلَا عِيدَيْنِ ، وَلَا نِكَاحَ ، وَلَا طَلَاقَ ، وَلَا بَيْعَ ، وَلَا شِرَاءَ إِلَّا بِإِمَامٍ ، وَإِنَّهُ مَنْ لَا إِمَامَ لَهُ فَلَا دِينَ لَهُ ، وَمَنْ لَمْ يُعْرَفْ إِمَامُهُ فَلَا دِينَ لَهُ ، ثُمَّ يَخْتَلِفُونَ فِي الْأَئِمَّةِ ... وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَنْتَحِلُ مَذْهَبًا وَإِمَامًا ، وَتَلْعَنُ مَنْ خَالَفَهَا عَلَيْهِ ، وَتُكَفِّرُهُ " [٤] .

وهذا الاختلاف والتفرق كان محل شكوى وتذمر من الشيعة أنفسهم ، فقد قال أحد الشيعة للإمام الحسين – عليه السلام – : "جعلني الله فداك ، ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم ؟ فقال : وأي اختلاف ؟ فقال : إني لأجلسُ في حلقهم بالكوفة ، فأكاد أشك في اختلافهم في حديثهم ، حتى أرجع إلى أحد علماء الحديث ، فيوقفني من ذلك على ما تستريح به نفسي ، ويطمئن إليه قلبي

---

(١) القبول مطلقاً إلا فيمن يكفر ببدعته ، وإلا فيمن يستحل الكذب ، ذهب إليه أبو حنيفة ، وأبو يوسف ، وطائفة وروي عن الشافعي أيضا انظر : ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان جـ ١ صـ ١١.

(٢) هو الذي عليه أكثر أهل الحديث ، بل نقل ابن حبان الاجماع ؛ ووجه ذلك : أن المبتدع إذا كان داعية كان عنده باعث على رواية ما يشيد به بدعته ، ومن قديم حديث ابن لهيعة عن شيخ من الخوارج أنه قال بعدما تاب : إن هذه الأحاديث دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ، فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً . انظر ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان جـ ١ صـ ١١.

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٣ صـ ١٧٧ – ١٧٨.

(٤) ابن بطة : الإبانة الكبرى جـ ٢ صـ ٥٥٦ بتصرف .

فقال : أبو عبد الله – عليه السلام – أجل هو كما ذكرت ؛ إن الناس أولعوا بالكذب علينا ، وإني أحدث أحدهم بالحديث ، فلا يخرج من عندي ، حتى يتأوله على غير تأويله ؛ وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله ، وإنما يطلبون الدنيا ، وكلٌّ يحب أن يدعى رأساً " [1].

فيدل هذا النص على أن حب الرياسة ، ومتاع الدنيا الزائل ، كان وراء تشيع الكثيرين ، وأن هؤلاء أولعوا بالكذب على آل البيت – عليهم السلام – ، ولهذا كثر الخلاف .

وبناء عليه فقد تفرقت الشيعة إلى شيعٍ وأحزابٍ ، تبعاً للتطورات العقدية ، والتاريخية ، واختلفت آراء الكتاب والمؤرخين في عد هذه الفرق ، تبعاً لرؤية كلٍّ ، ومن أهم هذه الأقوال :

القول الأول : يقسم الشيعة (الروافض) إلى ثَمَانِيَ عَشْرَةَ فرقة [2].

القول الثاني : يقسم الشيعة إلى ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ فِرْقَةً ، وعدها من فرق المسلمين [3].

القول الثالث : يقسم الإمام الأشعري الشيعة إلى ثلاثة أصناف : { الغالية[4]، والرافضة الإمامية ، والزيدية } ، وهذه الفرق بمجموعها تنقسم إلى خمسة وأربعين فرقة [5] .

القول الرابع : أصول طوائف الشيعة ثلاثة : { الزيدية ، الغلاة ، الإمامية} [6].

القول الخامس : يقسمها إلى أربعة أصناف: { الزيدية ، والإمامية ، والكيسانية ، والغلاة } [7].

القول السادس : يجمع أصول الشيعة في أربع فرق:{ الزيدية ، والإمامية ، والغلاة ، والكيسانية } ، ويتفرعون إلى خمس وثلاثين فرقة [8].

القول السابع : يفرقهم الشهرستاني[1]: إلى خمس فرق : { الزيدية ، والإمامية ، والكيسانية ، والإسماعيلية [2] ، والغلاة } وتشعبت منهم فرق كثيرة [3] .

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢ صـ ٢٤٦ . السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة ، ط العلمية – قم ، ١٣٩٩هـ جـ ١ صـ ٢٢٦. الشيخ الأنصاري : فرائد الأصول ، ط باقري ، نشر مجمع الفكر الإسلامي – قم ، ط١ ، ١٤١٩هـ جـ ١ صـ ٣٢٥.

(٢) هذا قول يوسف بن أسباط . ابن بطة : الإبانة الكبرى جـ ١ صـ ٣٧٨.

(٣) هذا قول عبد الله بن المبارك . انظر ابن بطة : الإبانة الكبرى جـ ١ صـ ٣٧٩. الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٢ صـ ١٦٥.

(٤) الغالية : فرق شتى ، تجمعهم أربع بدع : التشبيه ، والبداء ، والرجعة ، والتناسخ ، منهم : المعاوية ، المغيرية ، ومنهم : أتباع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، والسبائية ، والمنصورية . انظر الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ٤٣– ٤٨. الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٤١.

(٥) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين صـ ٥–٦١.

(٦) عضد الدين الإيجي : المواقف جـ ٣ صـ ٦٧١.

(٧) البغدادي : الفرق بين الفرق صـ ١٥ بتصرف .

(٨) فخر الدين الرازي : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٢هـ صـ ٥٢–٦٣.

القول الثامن : يقسمهم إلى : روافض يدخلون في زمرة المسلمين ، وعددهم عشرون فرقة ، وأصولهم ثلاثة هم : { الزيدية ، الكيسانية ، الإمامية } ، وروافض لا يدخلون في زمرة المسلمين وهم ست : { البيانية [٤]، والمغيرية [٥]، والمنصورية [٦]، والجناحية [٧]، والخطابية[٨]، والحلولية [١]}[٢].

---

(١) الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ، شيخ الكلام ، والحكمة ، صاحب التصانيف ، ولد بشهرستان ٧٤٩هـ/ ١٠٨٦م ، برع في الفقه ، والأصول ، كان إمامياً ، إمام عصره في علم الكلام ، مات ٥٤٨هـ ، صاحب كتاب الملل والنحل . انظر مقدمة كتاب الشهرستاني : الملل والنحل ، المقدمة للمحقق ص ٣-٤ بتصرف.

(٢) الإسماعيلية : من غلاة الشيعة ، القائلون : بإمامة إسماعيل بن جعفر بعد أبيه الصادق ، وبعده ابنه محمد الإمام السابع عندهم ؛ ولهذا سميت بالسبعية ، واختلفوا في موته ، فقيل : بموته ، وقيل : إنه أظهر موته تقية ، ومن ألقابهم الباطنية ، والقرامطة ، والمزدكية ، والتعليمية ، والملحدة ، نفو الصفات ، وأنكروا الفرائض ، ويؤولون النصوص بعيداً عن مقاصد الشريعة . الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٥٣- ١٥٩. ابن العطار : الاعتقاد الخالص ص ٢١٩. الشيخ محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٥٢.

(٣) أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢١.

(٤) البيانية : أتباع حمزة بن عمارة البربري ، ادعى أنه نبي ، وأن محمد بن الحنفية هو الله ، فتبعه على ذلك بيان بن سمعان أوائل القرن الثاني الهجري ، وكان تباناً في الكوفة ، فادعى أن محمد بن الحنفية أوصى إلى ابنه أبو هاشم عبد الله بن محمد ، ثم أوصى أبو هاشم إلى بيان ، قتله خالد بن عبد الله القسري ، وصلبه ، ثم أحرقه ، وجاء بخمسة عشر رجلا من أتباعه ، فصب عليهم النفط في الكوفة ، وحرقهم بالنار ، ومن أقوالهم :إن الله تعالى يشبه الإنسان ، ومنهم من قال بنبوة بيان ، وأولوهيته . انظر الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ٣٢- ٣٥. ابن العطار : الاعتقاد الخالص ص ٢٢٤. الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢٥ — ١٢٦.

(٥) المغيرية : أتباع المغيرة بن سعد البجلي الكوفي ، ادعى أن الإمامة في محمد بن علي الملقب بالنفس الزكية ، وأنه حي لم يمت ، ثم ادعى الإمامة لنفسه ، ثم النبوة ، وأنه لن يموت ، ولما مات اختلف أصحابه ، فقيل : برجعته ، وقيل : برجعة النفس الزكية . انظر الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ٤٣- ٤٨. الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٤٣.

(٦) المنصورية : أصحاب أبي منصور العجلي الكوفي ، وكان أمياً لا يقرأ ، تبرأ منه الباقر ، فادعى أن الله عرج به إليه ، ومسح بيده على رأسه ، وادعى النبوة ، وأن الله اتخذه خليلاً ، وأنه خليفة محمد بن علي بن الحسين ، واستحل المحرمات ، ثم قتله يوسف بن عمر والي العراق أيام هشام هو وأتباعه وصلبهم . انظر الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ٤٣- ٤٨. الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٤٤.

(٧) الجناحية : من غلاة الشيعة أصحاب الحلول ، أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ادعى الإمامة لنفسه ، فتبعه بعض المغيرية ، ثم ادعى الربوبية ، وأنهم الحواريون ، وكفروا بالجنة والنار ، واستحلوا المحرمات ، وقالوا : الأرواح تتناسخ فكان روح الله في آدم ، ثم في شيث ، ثم في الأنبياء ، ثم في الأئمة حتى انتهت إلى علي وأولاده الثلاثة ثم إلى عبد الله بن معاوية المذكور . قتلهم أبو مسلم الخراساني ، وأنكر أتباعه قتله ، وادعوا أنه حي . انظر البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢١٦ - ٢١٧. ابن العطار : الاعتقاد الخالص ص ٣٧٤. القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١ ص ٢٨٥ — ٢٨٦.

(٨) الخطَّابية : أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع الرافضي ، قتله عيسى بن موسى في الكوفة ، وصلبه بالكنائس ؛ لأنه كان يزعم أن علياً هو الإله الأكبر ، وجعفر الصادق الإله الأصغر ؛ تبرأ منه جعفر الصادق ، ولعنه ، ويعتقدون الشهادة لكل من حلف عندهم أنه محق ويقولون المؤمن لا يكذب ولا يحلف كاذباً ، وافترقت إلى المعمرية ، والبزيغية ، وعميرية أو عجلية ، ومفضلية . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٤٤- ١٤٥. الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٢ ص ٦٢.

القول التاسع : يقسمهم لثلاث طوائف : الأولى : طَائِفَةٌ من الزَنَادِقَةِ تَقُولُ : إنَّ عَلِياً إِلَهٌ ، وَهَؤُلَاءِ لَمَّا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ خَدَّ لَهُمْ أَخَادِيدَ عِنْدَ بَابِ المَسْجِدِ ، وأَحْرَقَهُمْ بِالنَّارِ ، وَالثَّانِيَةُ : " السَّابَّةُ " وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَنْ ابْنِ السَّوْدَاءِ أَنَّهُ كَانَ يَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَطَلَبَهُ لِيَقْتُلَهُ ، فَهَرَبَ مِنْهُ ، وَالثَّالِثَةُ : " الْمُفَضِّلَةُ " الَّذِينَ يُفَضِّلُونَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ – رضي الله عنهم – [٣] .

القول العاشر : كتب الرواية عند الشيعة الاثني عشرية تجعل فرق الشيعة ثلاث عشرة فرقة ، كلها في النار إلا واحدة حيث روي عن الإمام علي – عليه السلام – أنه قال : " وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، اثنتان وسبعون فرقة منها في النار ، وفرقة في الجنة ، وهي التي اتبعت وصي محمد – صلى الله عليه وآله – ، فضرب بيده على صدره ، ثم قال : وثلاث عشرة فرقة من الثلاث والسبعين كلها تنتحل مودتي وحبي ، وواحدة منها في الجنة ، واثنتا عشرة منها في النار " [٤] . وأظن أن الفرقة الناجية بالتأكيد الشيعة الإمامية الاثني عشرية .

القول الحادي عشر : " أن الرافضة انقسمت إلى عشرين فرقة ، أعظمهم بأساً من يقول : إن علياً هو الله . والغرابية[٥] يقولون : إنه رسول الله ، لكن جبريل عدل بالرسالة عنه إلى محمد حميةً منه معه ... في كفر بارد لا تسخنه إلا حرارة السيف ، فأمَّا دفء المناظرة فلا يؤثر فيه " [٦] .

الرأي الراجح : بغض النظر عن هذا الخلاف فإن أهم فرق الشيعة ثلاث : (الإمامية ، والزيدية ، والغلاة) كما أن معظم هذه الفرق قد دُرست ، ولم يبق من هذه الفرق إلا الشيعة الإمامية الاثنا

---

(١) الحلولية : عشر فرق غرضهم إفساد القول بتوحيد الصانع ، وأكثرهم يرجع إلى الروافض ، منهم البيانية ، والجناحية ، والسبئية ، والخطابية ، والنميرية ، والمقنعة ، والرزامية ، والبركوكية ، والحلمانية ، والحلاجية ، والعذافرة ، يجمعون على استباحة المحرمات . انظر البغدادي : الفرق بين الفرق صـ ٢٢٥.

(٢) الاسفرائيني : التبصير في الدين صـ ٢٣.

(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ١٣ صـ ٣٣ – ٣٤ بتصرف .

(٤) الاسفرائيني : التبصير في الدين صـ ٢٣.

(٥) الغرابية : قوم زعموا أن الله — عز وجل – أرسل جبريل – عليه السلام – إلى على ، فغلط فى طريقه ؛ فذهب الى محمد — صلى الله عليه وسلم – لأنه كان يشبهه ، وقالوا : كان أشبه به من الغراب بالغراب ، والذباب بالذباب ، وزعموا أن علياً كان الرسول ، وأولاده بعده هم الرسل ، وهذه الفرقة تقول لأتباعها : العنوا صاحب الريش يعنون جبريل – عليه السلام — ، بل ويلعنون محمداً — صلى الله عليه وسلم . البغدادي : الفرق بين الفرق جـ ١ صـ ٢٣٧ – ٢٣٨.

(٦) القاضي أبي بكر بن العربي : العواصم من القواصم صـ ٢٤٧.

عشرية ، وهم الأكثر عدداً ، والزيدية ، والإسماعيلية [١]، وبعض المنتمين إلى هذه الفرق ويخالفونهم في بعض الأصول أو الفروع لكن ليس لهم وجود يذكر أمام هذه الفرق الثلاث .
وكذلك فإن طائفة الاثني عشرية قد استوعبت جل الآراء والعقائد التي قالت بها الفرق الشيعية الأخرى ، وكانت بمثابة النهر الذي انسكبت فيها كل الجداول والروافد الشيعية المختلفة [٢] .

ولذلك كان اختيارنا لموضوع البحث : التقديس عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية ؛ لأنها أكبر الطوائف اليوم ، كما كانت تمثل أكثرية الشيعة وجمهورها في بعض فترات التاريخ ، فقد وصفهم طائفة من علماء الفرق بـ"جمهور الشيعة" ، وممن نعتهم بهذا : الأشعري [٣] ، وابن حزم [٤] .

تعريف الشيعي الإمامي الاثني عشري :

الشيعي الاثنا عشري هو: من دان بوجوب الإمامة ، ووجودها في كل زمان ، وأوجب النص الجلي [٥] ، والعصمة ، والكمال لكل إمام ، ثم حصر الإمامة في ولد الحسين بن علي – عليهما السلام – وساقها إلى الرضا على بن موسى " [٦] ، وقدم علياً – رضي الله عنه – على الصحابة كافة ، ووالاه بخاصة ، واعتقد إمامته وخلافته بلا فصل بعد رسول الله – ﷺ – وبنص منه ، واعتقد أن الإمامة ركن من أركان الدين [٧]، هو وأحد عشر من أولاده المعصومين دخل آخرهم السرداب بسامراء[٨] .

متى ظهر مصطلح الشيعة الإمامية الاثني عشرية :

---

(١) الشيخ المحمودي : نهج السعادة ، ط دار التعارف – بيروت ، ط١ ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م جـ ٣ صـ ٤٣٢. ميرزا حسين النوري الطبرسي : نفس الرحمن في فضائل سلمان ، تحقيق : جواد القيومي ط : بنكوئن – قم ، ط١ ، ١٤١١ هـ / ١٣٦٩ ش صـ ٥٠٨ .

(٢) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ٩٦.

(٣) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين جـ ١ صـ ٩٠.

(٤) ابن حزم : الفصل في الملل والنحل جـ ٤ صـ ١٥٨/ جـ ٥ صـ ٣٨.

(٥) أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٣٢.

(٦) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٣٨.

(٧) زيد العيص: الخميني والوجه الآخر ، ط دار اليقين – المنصورة ، ط١ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م صـ ١٣.

(٨) سامراء : شرقي دجلة ، بين بغداد وتكريت بالعراق ، أصل تسميتها جملة فعلية هي :" سر من رأى " فصارت مركباً إسنادياً ، في أول أمرها كانت تسمى ساء من رأى ، فلما بناها المعتصم سميت بذلك ، بها موضع يسمى العسكر كان يسكنه علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر ، وابنه الحسن فنسبا إليه ، فيقال لهما العسكريين ، وفيها سرداب فيه سرب تقول الاثنا عشرية : إنه كان للحسن بن علي ابن اسمه محمد غاب فيه . الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ٢٤٥. انظر د علي الصلابي : الحسن بن علي ، نشر مؤسسة اقرأ – القاهرة ، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م صـ ٣٦٨. عباس حسن:النحو الوافي ، دار المعارف المصرية ، ط١٥ ، دت جـ ١ صـ ٣٠٠.

ظهر مصطلح الإمامية بعد شيوع مصطلح الشيعة بكثير ، ويبدو أن ظهوره مرتبط ببدء الاهتمام الشيعي بمسألة الإمام والإمامة ، وظهور الفرق الشيعية التي تقول بإمامة أفراد أهل البيت [١] ، فلم تكن مقالة الإمامية ، ومن نحا نحوهم من الطاعنين في إمامة السلف مشهورة في العصر الأموي على هذا النحو من الاشتهار " [٢] كما فيما بعدها من العصور .

ولذلك لا نرى هذا المصطلح في كتب الفرق والمقالات المتقدمة ، فلم يذكره القمي في " المقالات والفرق " ، ولا النوبختي في " فرق الشيعة " ، ولا الأشعري في " مقالات الإسلاميين " .

ولعل أول من ذكره المسعودي [٣] حيث قال : إن أول حصر لعددهم [٤] كان في روايةٍ : أن النبي – ﷺ – قال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب : " أنت واثنا عشر من ولدك أئمة الحق "[٥] .

وجاءت بداية ظهور هذه التسمية بعد غيبة الإمام الثاني عشر عند الإمامية ، ولم يكن لهذا الاسم تناول عند متقدمي الشيعة بل جاء على لسان المتأخرين منهم [٦] .

وقد حدد البعض تاريخ هذه التسمية بظهور هذه الفرقة سنة مائتين وخمس وخمسين " [٧] .

وتشعبت هذه الفرقة تبعاً لاختلافهم في الأئمة المنصوص عليهم و" لم يثبتوا في تعيين الأئمة بعد الحسن والحسين وعلي بن الحسين – عليهم السلام – على رأي واحد ، بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها ، فهم متفقون في سوق الإمامة إلى الإمام جعفر الصادق – عليه السلام – ثم اختلفوا في المنصوص عليه بعده من أولاده " [٨] .

---

(١) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١ صـ ١٠٥.

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر دار إحياء الكتب العربية – بيروت ، ط١ ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م جـ ٤ صـ ٥٢٢.

(٣) المِسْعُوْدِيُّ : أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ ، مِنْ ذُرِيَّةِ ابْنِ مَسْعُوْد – رضي الله عنه – ، صَاحِبُ مُروجِ الذَّهبِ ، وَغَيْرِهِ مِنَ التَّوَارِيخِ ، وَكَانَ أَخْبَارِيّاً ، مُعْتَزِلِيّاً ، صَاحِبَ ، عجَائِبَ ، وَفنُوْن ، مَاتَ ٣٤٥هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٥ صـ ٥٦٩.

(٤) المسعودي : التنبيه والإشراف ، نشر دار صعب – بيروت ، دت صـ ١٩٨ – ١٩٩. الشيخ الأميني : الغدير ، نشر دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٤ ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م جـ ١ هامش صـ ١٩٥.

(٥) قال التستري : نسخ كتاب سليم بن قيس مختلفة بالزيادة والنقصان كثيراً ، وهذه الرواية من المدسوسات فيه ، فالعمل منه بما لم يقم على صحته شاهد غير جائز . انظر الشيخ محمد تقي التستري : قاموس الرجال ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤٢٢هـ جـ ١٠ صـ ٥٠٠.

(٦) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٣٨.

(٧) الآلوسي : مختصر التحفة الاثنا عشرية ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، ط المطبعة السلفية – القاهرة ، ١٣٨٣هـ صـ ٢١.

(٨) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين جـ ١ صـ ١٦٦.

ومن أهم فرق الإمامية : الباقرية ، والجعفرية الواقفية [1] ، والناووسية [2] ، والأفطحية [3] ، والإسماعيلية الواقفة [4] ، والموسوية المفضلية [5] ، والشميطية [6] ، والاثني عشرية الذين : قطعوا بموت موسى بن جعفر الكاظم – عليهما السلام – ، وساقوا الإمامة بعده في أولاده [7].

والإثنا عشرية : هي أشهر فرق الشيعة الإمامية حالياً ، كما أنها الواجهة الرئيسية للتشيع في العصر الحاضر ، وأكثر فرق الشيعة عدداً وانتشاراً ، حيث قامت على عقائدها الدولة الإيرانية ، بعد قيام الثورة الإيرانية ، حيث ينص دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية أن الدستور الإيراني يقوم على المذهب الاثني عشري كما سنوثق ذلك في حديثنا عن ولاية الفقيه .

وتنتشر هذه الفرقة الآن في : إيران ، ومنهم عدد في العراق لا يستهان به ، والشام ، ولبنان ، والكويت ، وسوريا [8] ، ويمتد وجودهم للهند ، وباكستان ، ، والبحرين ، والسعودية ، وأقليات أخرى في دول محتلفة من حيث المكان والعدد والتمركز والتأثير .

بعض الأسماء والألقاب التي تشتهر بها الشيعة الاثنا عشرية :-

تبعا لكثرة فرق الشيعة تبعا لتنوع عقائدها يمكن أن تختلط الأسماء ببعضها ، ولكن الشيعة الإمامية الاثني عشرية قد تسمى الآن بعدد من المسميات ، من هذه الأسماء ما تختص به بلا منازع ، ومنها ما يشترك مع غيره لكنه في الغالب ينصرف إليها ، من أهمها :

---

(١) الباقرية والجعفرية الواقفية : أتباع محمد الباقر ، وابنه جعفر الصادق ، قالوا بإمامتهما بعد زين العابدين ، ومنهم من توقف على أحدهما ، وقال برجعته ، وقد تبرأ منهم جعفر الصادق ، ولعنهم ، ولم ينازع الخلافة قط . انظر الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٣٥.

(٢) الناووسية : أتباع ناووس ، أو نسبة لقرية ناوسا ، قالوا بحياة الصادق ، وأنه القائم ، ورووا عنه قوله : لو رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل ؛ فلا تصدقوا . انظر الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٣٦.

(٣) الأفطحية : القائلون بانتقال الإمامة إلى عبد الله الأفطح بن جعفر الصادق ، وكان أسن من إسماعيل بن جعفر ، وأكبر إخوته ، ومات بعد أبيه بسبعين يوماً سنة ١٤٨هـ ، ولم يعقب . انظر الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٣٦.

(٤) الإسماعيلية الواقفة : القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر نصاً ، واختلفوا في موته في حياة أبيه ، فقيل : لم يمت ؛ وإنما أظهر موته تقية ، وقيل : بموته وبإمامة محمد بن إسماعيل من بعده ، وقيل : برجعة محمد ، ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم ؛ وهم الباطنية . انظر الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٣٦– ١٣٧.

(٥) الموسوية المفضلة : القائلون بإمامة موسى الكاظم نصاً عليه ، ولما مات محبوساً ؛ اختلفوا في موته ، فمنهم من قطع بموته ، ويقال لهم القطعية ، ومنهم من توقف وقال : لم يمت ، وسيرجع ، ويقال لهم الواقفية . انظر الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٣٧.

(٦) الشميطية : أتباع يحيى بن أبي شميط ، القائلون بإمامة جعفر الصادق ، وابنه محمد بالنص . الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٣٦.

(٧) مصطفى الشكعة : إسلام بلا مذاهب ، نشر الدار المصرية اللبنانية – بيروت ، ط١٤ ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م صـ ١٨٩ .

(٨) د محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون جـ ٢ صـ ١٩ .

الشيعة : واسم الشيعة وإن كان عاماً ، إلا أنه انحصر واختص بالشيعة الإمامية الاثني عشرية ، وأصبح علما عليها ، بحيث أصبح المتبادر من إطلاقه هم دون سواهم ، وذلك لأسباب :

أولها : ما ابتنت عليه أصول عقيدتهم من مشايعة أمير المؤمنين وأولاده – عليهم السلام – ومتابعتهم منذ عهد الرسالة ، وإلى يوم الناس هذا .

وثانيها : لصراحتهم في إبداء عقيدتهم ، وإظهارها ، وإن كانت بخلاف ما عليه سائر الناس .

ثالثها : لكونهم مستهدفين من قبل خصومهم ، وكانوا في الواجهة يقارعون الحجة بالحجة ، والدليل بالدليل ، من دون تخاذل في إبداء عقيدتهم ، وإقامة حجتهم ، مستعذبين كل ما طالهم أو سينالهم من الأذى والظلم من قبل خصومهم [١].

رابعها : " أن مصادر الاثني عشرية في الحديث والرواية قد استوعبت معظم آراء الفرق الشيعية التي خرجت في فترات التاريخ المختلفة ، إن لم تكن كلها ، فأصبحت هذه الطائفة هي الوجه المعبر عن الفرق الشيعية الأخرى " [٢] .

الإمامية : وهذه التسمية من أشهر أسمائهم ، بل تكاد تكون أشهرها على الإطلاق ، حيث قال الشيخ المفيد : " الإمامية هم القائلون بوجوب الإمامة ، والعصمة ، ووجوب النص ، وإنما حصل لها هذا الاسم في الأصل لجمعها في المقالة بهذه الأصول ، فكل من جمعها فهو إمامي ، وإن ضم إليها حقاً في المذهب كان أم باطلا " [٣] .

ويقول الشهرستاني :" الإمامية هم القائلون بإمامة على – رضي الله عنه – " [٤] ، ويوافقه الأشعري فيقول: " يدعون الإمامية ؛ لقولهم بالنص على إمامة علي – رضي الله عنه – " [٥].

ومنهم من يقول : أن سبب التسمية " أنهم يزعمون أن الدنيا لا تخلوا عن إمام ، إما ظاهراً مكشوفاً ، وإما باطناً موصوفاً ، وقيل : لأنها جعلت أمور الدين كلها للإمام ، وأنه كالنبي ، ولا يخلوا وقت من إمام يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا ، وهي أقوال متقاربة "[٦].

---

(١) محمد طاهر القمي الشيرازي : الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ، ط الأمير – قم ، ط١ ، ١٤١٨هـ ص ٣-٤.

(٢) د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ج ١ ص ١٠٠.

(٣) الشريف المرتضى : الفصول المختارة ، تحقيق : السيد نور الدين جعفريان الأصبهاني ، نشر دار المفيد – بيروت ، ط٢، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م ص ٢٩٦. المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٧ ص ١ .

(٤) أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦٢.

(٥) أبو الحسن أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٨٦.

(٦) د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ج ١ ص ١٠٢ بتصرف .

وبنظرة سريعة على معتقدات باقي فرق السنة والشيعة الأخرى تجد " أن طائفة الإمامية يخالفون الكل في أصولهم ... وتفردوا بأن دخول الجنة والنجاة لا يكون إلا بعد ولاية آل محمد ، واعتقاد إمامتهم ، وأما باقي الفرق فقد أطبقوا على أن أصل النجاة الإقرار بالشهادتين "[1] .

والإمامية ساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق ، واختلفوا في المنصوص عليه بعده [2] ، وهذا ما يفرقهم من الاثني عشرية ، وإن كانوا هم أصل فرقتهم .

<u>الاثنا عشرية</u> : هذه ميزة لم يقل بها غيرهم ، فكانوا أحق بهذه التسمية ؛ لأن " أهم ما امتازت به الشيعة الإمامية عن سائر فرق المسلمين : القول بإمامة الأئمة الاثني عشر ، وبه سميت هذه الطائفة إمامية اثني عشرية ؛ إذ ليس كل الشيعة يقولون ذلك "[3] .

ومن الملاحظ أن تسلسل الأئمة قد حصروه في أولاد الإمام الحسين دون أولاد الإمام الحسن – عليهما السلام – ولعل السبب في ذلك زواج الحسين بن علي من " شهر بانويه [4] " بنت الملك يزدجرد – ملك الفرس – والتي أنجبت له علي بن الحسين الملقب بزين العابدين [5] .

ولعل هذا من الافتراء لأن هذا النسب قد يكون مزعوماً ؛ لأنه يتعارض مع التاريخ ، فالحسين – عليه السلام – تزوج عام ١٨هـ ، وكان عمرها يومئذ ١٥عاماً ، بينما الإمام السجاد ولد عام ٣٨هـ ، ومن المنصوص عليه : أنه لم يولد من " شهر بانو " سوى الإمام السجاد ، وهذا يعني أنها لم تلد للإمام الحسين إلا بعد مضي ٢٠ عاماً [6].

ونقع في تناقض آخر حيث لو فرض أن خرج القائم ورجع بعد غيبته ، فتزوج وأنجب أئمة آخرين ، فإن الاثنا عشرية لن يخرجوا عن هذا المسمى ؛ لأن " هذا الاسم يطلق على من يثبت إمامة

---

(١) السيد نعمة الله الجزائري : نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين ، أو أنيس الوحيد في شرح التوحيد ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، ط١ ، ١٤١٧هـ جـ ١ صـ ٦٣-٦٤.

(٢) القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١ صـ ١٢٨.

(٣) الشيخ حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة و أصولها صـ ١١٨ .

(٤) شهر بانويه : أم الإمام علي بن الحسين – رحمه الله – واسمها : شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى ، ويقال : شهر بانويه ، وكان الإمام علي أهداها لابنه الحسين ، بعدما أسرها عامله على المشرق ، فأنجبت له زين العابدين . انظر الشيخ المفيد : الإرشاد صـ ٢٥٣ . إحسان إلهي ظهير : الشيعة وآل البيت ، نشر دار ابن حزم – القاهرة ، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م صـ ٩٦بتصرف.

(٥) د علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي جـ ٢ صـ ١١. د عبد الله الغريب : وجاء دور المجوس ، نشر دار الجيل – بيروت ، ١٩٨٩م صـ ٧٧ .

(٦) د أبو الفتوح محمد الأنور : شيعة إيران وأصولها صـ ١٢ ، نقلا عن التشيع العلوي والتشيع الصفوي لعلي شريعتي .

اثني عشر إماماً ، وقد أثبتناه نحن ، ولا موافق لنا في هذا المذهب فانفردنا نحن بهذا الاسم دون غيرنا "(١) ؛ فسيبقى لهم اسماً حتى بعد رجعة الأئمة والأوصياء .

الجعفرية : نسبة إلى الإمام جعفر الصادق – عليه السلام – إمامهم السادس ، فقد روي أن : بعض الشيعة اشتكى لجعفر – عليه السلام – من هذه التسمية حيث كان يقال " جعفري خبيث " ، فأجابه :" ما أقل والله من يتبع جعفراً منكم ، إنما أصحابي من اشتد ورعه ، وعمل لخالقه ، ورجا ثوابه ، فهؤلاء أصحابي " (٢)، ومن يومها كان يدافع عن القليل الذين تسموا بها (٣) .

فهذا يدل على أن لقب الجعفري كان يطلق على الإسماعيلية ، والاثني عشرية ؛ لأن الافتراق بين الطائفتين تم بعد وفاة الإمام جعفر الصادق – رحمه الله تعالى – .

الخاصة : وهو لقب يطلقه شيوخ الشيعة على طائفتهم ، ويلقبون غيرهم من فرق المسلمين – خاصة أهل السنة – بالعامة ؛ فالخاصة في اصطلاح بعض أهل الدراية : الإمامية الاثنا عشرية ، والعامة أهل السنة والجماعة ، فيقولون هذا من طريق العامة ، وهذا من طريق الخاصة "(٤).

ويسمون أهل البيت بخاصة الخاصة فيقولون حينما يروون عنهم: " ما نقله الخاصة عن خاصتنا– عليهم السلام –"(٥) .

وجاء تقسيم المسلمين لخاصة وعامة على لسان الإمام علي – كما تزعم الشيعة – ، فيروون في رسالة كتبها : " جزاك الله عن خاصتنا ، وعامتنا خير الجزاء "(٦) .

وتظهر هذه التفرقة في إحدى الروايات حين سُئل علي – عليه السلام – :" أرأيت إن غُبِّيَ(٧) على المفتيين ، ووجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامة ، والآخر مخالفاً لهم ، بأي الخبرين نأخذ ؟ قال : بما خالف العامة ؛ فإن فيه الرشاد ، قيل : جُعلت فداك ، فإن وافقهما الخبران جميعاً ؟ قال : ينظر إلى ما هم إليه أميل – حكامهم وقضاتهم – فيترك ، ويؤخذ بالآخر ، قيل : فإن وافق حكامهم

---

(١) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، مهدي رجائي ، ط الخيام ، سيد الشهداء – نشر دار القرآن الكريم – قم ، ط١، ١٤٠٥هـ جـ ٣ ص ١٤٦.

(٢) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ ص ٧٧ .

(٣) أبو عمرو الكشي : رجال الكشي – المطبعة المصطفوية – بمئ بائي دهوتي – إيران ، دت ص ٢٥٥ .

(٤) د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ص ١١٠.

(٥) السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ٨ ص ١٢٨ .

(٦) أحمد بن أعثم الكوفي : كتاب الفتوح ، تحقيق علي شيري ، نشر دار الأضواء – بيروت ، ط١ ، ١٤١١ هـ جـ ١ ص ٢٤٠.

(٧) غُبِّيَ : من الغباوة وهي : خفاء الأمر عليه . انظر د أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٢ ص ١٥٩٤.

الخبرين جميعاً ؟ قال : إذا كان ذلك ؛ فأرجئه حتى تلقى إمامك ، فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات " [1].

وعلى هذا التقسيم يجوز غيبة العامي كما يفتي علماؤهم حين يُسألون:" هل يجوز غيبة المخالف من العامة ؟ فيجيبون :" نعم تجوز غيبة المخالف ، والمراد من المؤمن الذي لا تجوز غيبته : المؤمن بالمعنى الخاص " يعني الموالي أهل العصمة " [2] ؛ فتسموا بالخاصة ؛ ليتميزوا .

الرافضة : هذه التسمية قد أطلقها على الاثني عشرية الكثير كالأشعري [3] وابن حزم [4] ، وهناك من يقول : إن أول من أطلق لفظ الرافضة على الشيعة المغيرة بن سعيد[5]، والذي تنسب إليه طائفة المغيرية ، وقد قتله خالد القسري [6] سنة ١١٩هـ ؛ وذلك أنه بعد وفاة محمد الباقر – عليه السلام – مال المغيرة إلى القول بإمامة النفس الزكية[7] ، وأظهر المقالة بذلك ؛ فبرأت منه شيعة جعفر بن محمد ، فسماهم الرافضة ، وقد ضعف هذه الرواية كثير من علماء الشيعة [8] .

---

(١) العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٥ صـ ٢٤٠. المحقق السبزواري : كفاية الأحكام ، تحقيق : الشيخ مرتضى الواعظي الأراكي ، ط مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم ، ط١ ، ١٤٢٣هـ جـ ٢ صـ ٦٦١. المحقق النراقي : مستند الشيعة ، ط ستارة ، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – قم ، ط١ ، ١٤١٦هـ جـ ٧ صـ ٢٨٨ . الكليني : الكافي جـ ١ صـ ٦٨.

(٢) الميرزا جواد التبريزي : صراط النجاة استفتاءات لآية الله العظمى الخوئي ، جمع : موسى مفيد الدين عاصي ، ط مطبعة سلمان الفارسي ، نشر دفتر نشر برگزيده – إيران ، ، ط١ ، ١٤١٦هـ جـ ١ صـ ٤٤٢ بتصرف.

(٣) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين جـ ١ صـ ٨٨ .

(٤) ابن حزم : الفصل في الملل والنحل جـ ٤ صـ ١٥٧-١٥٨ .

(٥) المغيرة بن سعيد : البجلي الكوفي ، أبو عبد الله : دجال ، مبتدع ، يقال : له الوصاف ، جمع بين الإلحاد والتنجيم ، وكان مجسماً ، يزعم : أن الله تعالى على صورة رجل ، على رأسه تاج ، وأعضاؤه على عدد حروف الهجاء ! ، ويقول : بتأليه علي ، وتكفير سائر الصحابة ؛ إلا من ثبت مع علي ، ويزعم أنه هو ، أو علي (في رواية الذهبي) لو أراد أن يحيي عاداً وثموداً لفعل ! ، وإن الأنبياء لم يختلفوا في شيء من الشرائع ، قتل سنة ١١٩هـ / ٧٣٧م . انظر الزركلي : الأعلام جـ ٧ صـ ٢٧٦.

(٦) خَالِدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ يَزِيْدَ بنِ أَسَدِ بنِ كُرْزٍ: أَبُو الهَيْثَمِ البَجَلِيُّ ، القَسْرِيُّ ، الدِّمَشْقِيُّ ، أَمِيْرُ العِرَاقَيْنِ لِهِشَامٍ ، وَوَلِيَ قَبْلَ ذَلِكَ مَكَّةَ لِلْوَلِيْدِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ ، ثُمَّ لِسُلَيْمَانَ ، كَانَ جَوَاداً ، مِنْ نُبَلاَءِ الرِّجَالِ ، لَكِنَّهُ فِيْهِ نُصبٌ مَعْرُوْفٌ ، وكان يرمى بالزندقة ، وَكَانَ عَلَى هِنَاتِهِ يَرْجِعُ إِلَى إِسْلاَمٍ ، مِنْ حَسَنَاتِهِ قتله للجَعْدِ بنِ دِرْهَمٍ ، ومُغِيْرَةَ الكَذَّابَ – السابق في التعريف -. وهو أحد خطباء العرب ، وأجوادهم ، وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة ١٢٠هـ ، وولي مكانه يوسف بن عمر الثقفي ، وأمره أن يحاسبه فقتله في أيام الوليد بن يزيد ، وللفرزدق هجاء فيه ، مات ١٣٣هـ/٧٥٠م . الزركلي : الأعلام جـ ٧ صـ ٢٧٦. الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٥صـ ٤٢٥ – ٤٣٢.

(٧) النفس الزكية : محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي – رحمه الله تعالى - .

(٨) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١صـ ١٠٧. الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ٧٦ – ٧٧ .

لكن سبب التسمية يتلخص في رفضهم إمامة الإمام زيد بن علي – رحمه الله – مع رفضهم لإمامة الشيخين – رضي الله عنهما – وهذا ما رجحه كثير من العلماء [1] .

وهناك أقوال أخرى في سبب تسميتهم بالرافضة فقيل : لتركهم نصرة النفس الزكية ، وقيل : لتركهم محبة الصحابة ، وقيل : لرفضهم دين الإسلام[2] .

وهناك من اطلق اسم الرافضة على عموم الشيعة ، ولم يفرق بين طائفة وأخرى ، على أساس أن صفة الرفض تجمع جميع الفرق الشيعية [3] وهذا فيه نظر من الناحية التنظيرية فالزيدية لا يقولون بذلك مثلا ، كما يلاحظ أن كتب الاثني عشرية تنص على أن هذا اللقب من ألقاب الشيعة ، ويروون الأحاديث في فضل الرافضة ، ومدح التسمية بها ، مثل ما قاله أبو جعفر – عليه السلام –: أنا من الرافضة ، والرافضة مني ، ثلاثاً [4] .

أصحاب الانتظار : يدعي الاثني عشرية : أن محمد بن الحسن العسكري غائب ، وسيظهر أو سيرجع في آخر الزمان ، ونحن ننتظره ، وهذا المذهب ما عليه إمامية زماننا"[5].

ولكن سمة الانتظار صفة عامة تجمع جميع الشيعة تحت مسماها ونعتها ، مع الخلاف الواضح بينهم في تعيين المنتظر [6] .

القطعية : وهو من ألقاب الاثني عشرية عند طائفة من أصحاب التصانيف في الفرق من أمثال الأشعري [7] ، والشهرستاني [8] ، والإسفرائيني [9] ، وهذه التسمية تعترف بها طائفة الاثني عشرية يقول المسعودي " وفي سنة ستين ومائتين قبض أبو محمد الحسن بن علي ، وهو أبو المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر عند القطعية من الإمامية "[10] .

ولا شك أن القطعية هم أسلاف الاثني عشرية وسموا بهذا بعد القطع بإمامة موسى – بن جعفر – رحمه الله – ، وافترقوا بذلك عن الإسماعيلية ، ولكن إذا لاحظنا أن الشيعة تختلف بعد موت كل

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة جـ ٢ صـ ١٣٠ . د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١ صـ ١٠٨.

(٢) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١ صـ ١١١.

(٣) المرجع السابق : جـ ١ صـ ١٠٩ .

(٤) الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ صـ ٣٤ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٦٥ صـ ٤٩.

(٥) فخر الدين الرازي : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين صـ ٨٤ – ٨٥ .

(٦) د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١ صـ ١٠٦ .

(٧) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين جـ ١ صـ ٩٠-٩١ .

(٨) سموا قطعية لقطعهم بموت موسى الكاظم – رحمه الله - . الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٣٧.

(٩) الإسفراييني : التبصير في الدين صـ ٣٣ .

(١٠) المسعودي : التنبيه والإشراف صـ ٨٥.

إمام ، فإن فرقة القطعية بناء على هذا قد حل بها ما حل بالشيعة من قبلها من التفرق ، فقد انفصلت عنها فرق لم تعتقد باعتقادات الاثني عشرية ، فعلى ذلك تكون تسمية القطعية أعم من مسمى الاثنا عشرية [١] .

ومن التناقض أن تجد من علماء الشيعة من ينسب هذه التسمية للموسوية حيث يقول : " صرح بعض المتأخرين أن القائلين بختم الإمامة على الكاظم – عليه السلام – هم الموسوية ، ولهم ثلاث فرق : فمنهم من يشكون في حياته ومماته ، ويسمون بالمطمورة [٢]، ومنهم من يجزمون بموته ، ويسمون بالقطعية ، ومنهم من يقول بحياته ، ويسمون بالواقفة[٣]" [٤] .

فرق الشيعة الاثني عشرية :

انقسمت الاثنى عشرية بعد وفاة الحسن العسكري سنة (٢٦٠هـ) ، إلى فرق من أهمها : الأصولية ، والأخبارية ، والشيخية [٥] ، والكشفية [٦] ، والركنية [٧] ، والكريمخانية [٨] ، والقزلباشية [٩] ، والقرتية [١] ، والبابية [٢] ، والكوهرية [٣] ، والنوربخشية [٤] .

---

(١) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١ صـ ١٠٦ .

(٢) المطمورة : فرقة من الموسوية تقف في أمر موسى بن جعفر ، وتقول : لا ندري أمات ، أم لم يمت ؟ ، وسماهم بذلك : علي بن إسماعيل حين قال لهم : ما أنتم إلا كلاب مطمورة . انظر الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٣٧.

(٣) الواقفة : من الموسوية تقف بالإمامة على موسى بن جعفر ، وتقول : إنه لم يمت وسيرجع . الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٣٧.

(٤) محمد رضا جديدي : معجم مصطلحات الرجال والدراية ، تحقيق : محمد كاظم رحمان ، نشر دار الحديث – قم ، ط٢ ، ١٤٢٤ هـ /١٣٨٢ش صـ ١٨٦ .

(٥) الشيخية أو الأحمدية : أتباع الشيخ أحمد الإحسائي : المولود : ١١٦٦هـ ، والمتوفى : ١٢٤١هـ ، من شيوخ الاثني عشرية ، ترشح كلماته بأنه يعتقد في علي مثل ما يعتقده الفلاسفة في العقل الأول ، كما نسب إليه القول بالحلول ، وتأليه الأئمة ، وإنكار المعاد الجسماني ، والاعتقاد بالرجل الكامل ، وهو الأحسائي . د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١صـ ١١١.

(٦) الكشفية : أصحاب كاظم بن قاسم الرشتي ، تلميذ الإحسائي ؛ مؤسس الشيخية ، والقائم مقامه من بعده ، والآخذ بنهجه ، مع زيادة في الغلو ، والتطرف ، وسميت بالكشفية : لما ينسب إلى زعيمها من الكشف ، والإلهام ، حتى إن الاثني عشرية يعدونه من الغلاة ، توفي سنة ١٢٥٩هـ . انظر د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١ صـ ١١٢.

(٧) الركنية : أتباع مرزا محمد كريم بن إبراهيم خان الكرماني ، من تلاميذه الرشتي ، سميت بذلك ؛ لقولها بالركن ، والشيعي الكامل ، واعتباره من أصول الدين ، وهو زعيمهم ، ومنهم من يعتبر الركنية ، والكشفية من ألقاب الشيخية . انظر د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١ صـ ١١٢ – ١١٣.

(٨) كريمخانية : أتباع محمد الفجري الكرماني كريمخان ، على مذهب الشيخية ، بل قال الحائري : "رئيس الطائفة الشيخية ". انظر د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١ صـ ١١٣.

(٩) القزلباشية : صوفية متشيعة من أتباع الصفويين ، ولفظ القزلباش معناه : الرؤوس الحمر ، لتغطية رؤوسهم بشعار أحمر ، وهو عبارة عن قلنسوة يلبسونها كشعار لهم ، وقد زعم محسن الأمين : أن القزلباش لقب للاثني عشرية في بعض البلدان ، ولعله أراد التستر على كثرة فرق طائفته ، وانقساماتها كعادته . انظر د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١ صـ ١١٣ .

ومن خلال التتبع لنصوص الاثني عشرية التي تنسبها للأئمة ، وترويها في كتبها المعتمدة ، يجد الباحث : أنها تحمل في ثناياها بذور نحل مختلفة وأهواء متباينة ، يجد فيها كل صاحب هوى وغلو وبدعة بغيته ؛ فهي قد اتسعت بحكم معتقد التقية ، وكثرة الكذب والافتراء على الأئمة ، وانضواء الملحدين والمتآمرين في صفوفهم ، وعجز شيوخ الشيعة عن تنقية المذهب مما علق به من كيد الملحدين عبر القرون ، وفقدان الموازين الصحيحة الثابتة لتمحيص الروايات وتحقيقها ، اتسعت معتقدات الاثني عشرية بسبب ذلك وغيره لاحتواء تلك البذور السامة وذلك الركام الهائل من الأخبار المظلمة .

ونكتفي بالحديث عن افتراق الشيعة إلى أصولية وأخبارية ؛ لأن الأصولية هي أساس المذهب الاثني عشري ، وتمثل الأكثرية ، ويقابلها الأخبارية ، وإن كانت أقل منها ، أما ما سواها من فرق فهي ليست بذلك الحجم الذي تمثله الأصولية ، ولذلك اكتفينا بالتعريف الموجز بها في الهوامش السابقة ؛ كما أن الخلاف الأصولي الأخباري يمثل خلافاً في بنية المذهب الاثني عشري ، وليس مجرد خلاف في فروع يسوغ الخلاف فيها كما في المذاهب الأربعة .

ولذلك نستطيع القول : بأن الخلاف بين الأصوليين والأخباريين[٥] هو خلاف بين أركان المذهب ومشيدي بنائه ، فلنتوقف للتعريف بهاتين الفرقتين[٦] :

---

(١) القرتية : أصحاب امرأة اسمها هند ، وكنيتها : أم سلمة ، ولقبها : قرة العين ، لقبها بذلك :كاظم الرشتي في مراسلاته إذ كانت من أصحابه ، وهي : ممن قلدت الباب بعد موت الرشتي ، ثم خالفته في عدة أشياء ، منها : التكاليف ، وحل الفروج ، ورفع التكاليف بالكلية ، ويزعمون انتهاء التكليف بالصلوات الخمس ، وأن الوحي غير منقطع ، وغالب الكتب التي ألفت في البابية تحدثت عن هذه المرأة . د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١ صـ ١١٣.

(٢) البابية : أتباع الباب ميرزا علي محمد الشيرازي ، ولد ١٢٣٥هـ ، وهو من الإمامية الاثني عشرية ، ادعى أنه الباب للإمام الذي ينتظرونه ، وأنه وحده الناطق عنه ، ثم ادعى أنه هو إمامهم الغائب ، ثم زعم أن الله – سبحانه – قد حل فيه ، وله ضروب من الكفر والضلال ١٢٦٥هـ . انظر د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١ صـ ١١٤.

(٣) الكوهرية : أتباع الآخوند ملا حسن كوهر ، يروج البعض لنحلته بكربلاء حتى اليوم ، وكان للكشفية أثر بليغ في ظهورها ، يؤلهون الأئمة ، ويقولون بنفي العقاب عن العاصين . انظر د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١ صـ ١١٤.

(٤) النوربخشية : اتباع أبو القاسم محمد نوربخش القوهستاني ، ولد ٧٩٥هـ ، يدعي الاثنا عشرية أنها من فرقهم ، توجد في وديان هملايا ، وكوهستان بلتستان المتصلة بتبت الصينية ، ادعى المهدية لنفسه ، وطبق الأحاديث الواردة عن طريق أهل السنة في اسم المهدي ، وكنيته على شخصه ، وأنكر مهدي الشيعة ، وانفصل عنها ؛ ولهذا قال البعض : أنها ليس من فرق الاثني عشرية ، بل من الصوفية أصحاب وحدة الوجود ، توفي ٨٦٩هـ . انظر د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١ صـ ١١٤.

(٥) يذهب يوسف البحراني إلى أن أول من قسم الاثني عشرية لهذين القسمين هو : الاسترابادي . انظر يوسف البحراني : لؤلؤة البحرين ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم ، نشر دار الأضواء – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ صـ ١١٧ – ١١٨.

(٦) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١ صـ ١١٥-١١٦.

ثم اعلم أن الاثني عشرية من حيث الأصول وطرق استنباط الأحكام تتشكل من تيارين رئيسيين :

التيار الأول الأصولي : الذي يقبل القياس والاجتهاد تأثراً بأهل السنة في علم أصول الفقه[1] ، فالأصولي : " من حرر الأصول مع قطع النظر عن الأخبار" [2] ، وأدلتهم في الأحكام : الكتاب ، والسنة ، والإجماع [3] ودليل العقل ، ولا يحكمون بصحة كل ما في الكتب الأربعة [4].

التيار الثاني الأخباري : وهم الذين يرفضون الاعتماد على غير الروايات الواردة عن الأئمة ، ويرون أن كل الروايات صحيحة ، ويرفضون القياس ، فالأخباري :" من لم يعول في الأحكام ، ولم يدون في كتابه سوى الأخبار" [5] ، فيتمسكون بظواهر الحديث ، في مقابل الأصوليين الذين يرون الأخذ بالأدلة العقلية في الأحكام [6].

---

(١) علم أصول الفقه : هو العلم بالقواعد التي يتوصل بها إلى ستنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية . د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه صـ ١٢ . أيمن بن علي موسى : غاية المأمول مقدمة الشيخ أبو بكر الحنبلي صـ ١١.

(٢) عدنان البحراني : مشارق الشموس الدرية ، نشر المكتبة العدنانية – البحرين ، ط١ ، ١٤٠٦هـ صـ ٢٩١ بتصرف .

(٣) الإجماع لغة : العزم ، والاتفاق ، وفي الاصطلاح : اتفاق المجتهدين من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – في عصر من العصور على أمر ديني ، ودليله : حديث : " إِنَّ أُمَّتِيَ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ " ، وهو المصدر الثالث للتشريع بعد الكتاب والسنة ، وهو نوعان : إما بالقول الصريح ، أو إجماع سكوتي . وعند الشيعة : اتفاق علماء الطائفة على أمر في عصر ، وجدواه لا مع تعيين المعصوم ؛ فإنه يعلم دخوله ، والطريق إلى معرفة دخوله : أن يعلم إطباق الإمامية على مسألة معينة ، أو قول جماعة فيهم من لا يعلم نسبه ، فلو انتفى العلم بالنسب ؛ يكون هذا المجهول هو قول الإمام ؛ لأن غيبة الإمام تمنع من تبيينه الحق ، واللوم على المكلف ، والإجماع السكوتي غير حجة لاحتماله غير الرضا ، والاثنا عشرية لا تعتد بالاجماع . انظر الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ١٤٥. الشهيد الأول " محمد جمال مكي العاملي " : ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة ، ط ستارة ، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – قم ، ط١، ١٤١٩هـ صـ ٥٠ بتصرف . ابن بَطَّة العكبري : الإبانة الكبرى ، تحقيق : رضا بن نعسان معطي نشر دار الراية – الرياض ، ط٢، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م جـ ١ صـ ٢٨٨.

(٤) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١صـ ١١٦.

(٥) المرجع السابق : جـ ١صـ ٢٩٠ بتصرف .

(٦) إحسان إلهي ظهير : الشيعة والتشيع صـ ٣٢٠ بتصرف.

كما أن الأخباريون يمنعون الاجتهاد ، ويعملون بأخبارهم ، ويرون أن ما في كتب الأخبار الأربعة عند الشيعة [١] كلها صحيحة ، قطعية الصدور عن الأئمة ، ويقتصرون على الكتاب والخبر، ولذلك عُرفوا بالأخبارية نسبة إلى الأخبار ، وينكرون الإجماع ، ودليل العقل ، ولا يرون حاجة إلى تعلم أصول الفقه ، ولا يرون صحته هذا العلم أصلاً [٢] .

هذا وقد ظهر هذا التيار في أوائل القرن الحادي عشر الهجري ، ويعدون أقلية في وسط الشيعة الاثني عشرية [٣] ، وما زال لهم وجود حتى اليوم ، وينتشر هذا التيار في كربلاء ، وإيران ، والبحرين ، وهناك قلة في الكويت ، وبعض الدول المجاورة لها [٤] .

<u>حقيقة الخلاف بين التيار الأصولي ، والتيار الأخباري : –</u>

الخلاف بين الطائفتين يمثل فروقا في بنية المذهب الشيعي ، وفي أركانه ، ورجاله حيث يتمثل الفرق بينهما في عدة نقاط من أهمها :–

أولا : ترى الأخبارية أن الاعتقاد السليم يقوم على العمل بالأخبار المنقولة عن المعصومين فقط ، بغض النظر عن السند وفحوى الكلام وإشاراته ، طالما أن الذي نقلها هم أصحاب الأئمة ، فهي لا تحتاج إلى نظر واستدلال كما لا تحتاج إلى بحث ، ولا تحقيق ، ولا تفتيش لا عن السند ، ولا عن المتن ، فلا يوجد مجال لعمل العقل ، ولا للاجتهاد ، ولا الإجماع ، بينما يرى الأصوليون : وجوب الاعتماد على العقل في استنباط الأحكام ، ويربطون البحث الفقهي بأصول الفقه ، فكانوا بلا شك حركة تصحيح ، وتجديد مع تأصيل [٥] .

---

(١) الكتب الأربعة : الأول : الكافي للكليني وقد قرر المجلسي في مرآة العقول ، وجاء في دراسة علمية صدرت حديثاً لمحقق شيعي هو السيد هاشم الحسيني جزم فيها بقوله : إن المتقدمين لم يجمعوا على جميع مرويات الكليني جملة وتفصيلا ، ويقول : إن أحاديث الكافي التي بلغت ١٦١٩٩ حديثاً ، يكون الصحيح منها ٥٠٧٢ حديثاً ، والحسن ١٤٤ حديثاً ، والموثق ١١٢٨ حديثاً ، والقوي ٣٠٢، والضعيف ٩٤٨٠حديثاً . الثاني : التهذيب للطوسي ، وبه ١٣٩٥٠ حديثاً . الثالث : الاستبصار للطوسي ، وبه ٥٥١١ حديثاً ، الرابع : من لا يحضره الفقيه للصدوق ، وبه ٩٠٤٤ حديثاً . انظر الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١ صـ ٦٧ – ٦٨ بتصرف . د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد صـ ٤٠٤ – ٤٠٥ بتصرف . د علي السالوس : مع الاثني عشرية في الأصول والفروع ، نشر دار الفضيلة – الرياض ، ط٧ ، ١٤٢٤هـ صـ ٦٩٣ – ٦٩٦. هاشم معروف الحسيني : دراسات في الحديث والمحدثين صـ ١٣٤ - ١٣٧.

(٢) د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١ صـ ١١٦.

(٣) الشيخ محمد أبو زهرة : الإمام جعفر الصادق ، نشر دار الفكر العربي – بيروت ، دت صـ ٢٨٦ بتصرف.

(٤) أسامة شحادة ، وهيثم الكسواني : الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم ، ط مكتبة مدبولي - القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م صـ ٣٠ - ٤١ بتصرف .

(٥) د علي السالوس : مع الاثني عشرية في الأصول والفروع جـ ٣صـ ١٣٤ بتصرف .

والغريب أنه قد وقع تراشق بين الفريقين بسباب وشتائم في بطون كتب الفريقين ، فكلاهما يزدري الآخر ، ويسفه فهمه ، مما زاد الخلاف حدةً وعنفاً ، حتى جاء شيخهم الوحيد البهبهاني [١] الذي أقنع كثيراً من الأصوليين بترك مذهبهم ، والعودة لصفوف الأخباريين [٢].

ثانيا : يقسم الأصوليون الحديث إلى : صحيح[٣]، وحسن[٤]، وموثق[٥]، وضعيف[٦] ، ويختلفون في العلم بالحديث الموثق ، والحسن ، فقبلهما قوم مطلقاً ، وردهما آخرون مطلقاً ، وفصل آخرون بحسب الشهرة وعدمها [٧] ، بينما الأخباريون يقولون : إن كل ما ورد عن الأئمة في الكتب المعتمدة عندهم من روايات صحيحة ، لا تحتاج إلى تفتيش عن صحة السند ، وما ورد في غير كتبهم

---

(١) محمد باقر : المعروف بالوحيد البهبهاني ، ولد بأصفهان ١١١٨هـ ، ثم انتقل إلى كربلاء ، ودرس بها ، من أشهر علماء الشيعة الإمامية ، من مجددي المذهب ، توفي بكربلاء ١٢٠٥هـ . انظر الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم صـ ٤٠ بتصرف.

(٢) المرجع السابق : صـ ٤١ بتصرف.

(٣) الحديث الصحيح : الحديث المسند الذي يتصل سنده ، بنقل العدل الضابط ، عن مثله ، إلى منتهاه ، ولا يكون شاذاً ، ولا معللاً . وعند الشيعة : ما اتصلت روايته إلى المعصوم بعدل إمامي ، ويسمى المتصل ، والمعنعن ، وقد يطلق على سليم الطريق من الطعن ، وإن اعتراه إرسال ، أو قطع ، واحتف بقرائن تفيد القطع والوثوق بصدوره عن المعصوم . انظر الحافظ ابن كثير : الباعث الحثيث صـ ٢١. الشهيد الأول : ذكرى الشيعة جـ ١ صـ ٤٨. د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية صـ ٤٤٤ . د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية صـ ١٧٧.

(٤) الحديث الحسن : قال الخطابي : ما عرف مخرجه ، واشتهر رجاله ، وقال الترمذي : هو ألا يكون في إسناده من يتهم بالكذب ، ولا يكون حديثاً شاذاً ، ويروى من غير وجه . وعند الشيعة : ما رواه الممدوح من غير نص على عدالته ، وقيل : أن يكون أوائل رجال السند من الإمامية المنصوص عليهم بالتوثيق ، وأواخرهم من الممدوحين بمدح لم يبلغ درجة التوثيق . انظر الحافظ ابن كثير : الباعث الحثيث صـ ٣٥-٣٦. الشهيد الأول : ذكرى الشيعة جـ ١ صـ ٤٨. د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية صـ ٤٤٤ . د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية صـ ١٩٥.

(٥) الموثق : ما رواه من نص على توثيقه ؛ مع فساد عقيدته ، ويسمى القوي ، وقد يراد بالقوي مروي الإمامي غير المذموم ولا الممدوح ، أو مروي المشهور في التقدم عن الموثق ، وقيل : هو ما اتصل سنده بنقل غير إمامي نص الإمامية على توثيقه في كل الطبقات ، أو في بعضها ، مع إيمان الباقين ، وعدالتهم ، أو مدحهم . انظر الشهيد الأول : ذكرى الشيعة جـ ١ صـ ٤٨. د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية صـ ٤٤٥ . د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية صـ ١٩٧.

(٦) الحديث الضعيف : ما لم يجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ، ولا الحسن . وعند الشيعة : ما لم تحتف به قرائن تدل على صحته ، وهو ما قابل الموثق ، أو الصحيح ، أوالحسن ، ويتنوع بزيادة القدح ، ونقصانه ، بأن يشتمل طريقه على مجروح بالفسق ، أو مجهول الحال ، أو وضاع ، وقد جوز أكثر الشيعة العمل به في غير العقائد ، والأحكام ، كفضائل الأعمال ، والترغيب والترهيب ، ويوافقهم بعض أهل السنة . انظر ابن كثير : الباعث الحثيث صـ ٤١. الشهيد الأول : ذكرى الشيعة جـ ١ صـ ٤٨. إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية صـ ٤٤٦ . د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية صـ ٢٠٣.

(٧) د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية صـ ٤٤٦ . نقلا عن ثامر العميدي : مقالة بعنوان : تاريخ الحديث وعلومه ، مجلة تراثنا ، العدد الثالث ، السنة الثانية ، ١٤١٧هـ .

المعتمدة ينقسم إلى صحيح ، وضعيف [1] ؛ وذلك لأن أحاديث الأئمة تدور بين التقية وعدمها ، لا من دس الوضَّاعين ، ولا ناقلي الكذب [2] .

ثالثا : الاجتهاد مصدر من مصادر التشريع عند الأصوليين يجب على المكلف العمل على تحصيل أدواته العلمية ، ويجب على من لم يحصلها أن يتبع المجتهد في اجتهاده ، ولكن هذا القول لا يروق للأخباريين ؛ لأن الاجتهاد نوع من الظن لا يجوز الأخذ به مع وجود روايات المعصومين .

رابعا : الأدلة عند الأخباريين كتاب ، وسنة ، أي : الروايات عن آل البيت ، والسنة مقدمة على القرآن ، بينما الأدلة عند الأصوليين أربعة : كتاب ، وسنة ، واجتهاد بالعقل ، وإجماع .

خامسا : الأصوليون لا يقلدون الأموات من علمائهم ، فالميت تبطل فتواه بموته ، ولكن الأخباريين يرون أن الحق لا يتغير بموت أهل الحق ، فيرون جواز تقليد الأموات في الفتوى[3].

هذه هي أهم نقاط الخلاف بين الفرقتين ، وهي تكشف مدى ما بينهما من فروق في مصادر التشريع ، ويبدو أن الخلاف بينهما لا يلتقي إلا في بداية الطريق ، وينفصل تماماً عندما يبدأ العقل بالعمل عند الأصوليين حينها يقف العمل به عند الأخباريين .

<u>الأصول التي قام عليها المذهب الاثني عشري :</u>

اختلف علماء الشيعة الاثني عشرية في الأصول التي قام عليها مذهبهم تبعاً للروايات منها :

<u>القول الأول :</u> إنها خمسة : " التوحيد ، والعدل ، والنبوة ، وإمامة الاثني عشر ، والمعاد [4]" .

<u>القول الثاني :</u> إنها سبعة : " التوحيد ، والعدل ، والوعد ، والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر "[5].

<u>القول الثالث:</u> إنها سبعة :" الإذعان بالتوحيد ، وصفات الله تعالى الجلالية ، والجمالية ، والملائكة ، والكتب السماوية ، والأنبياء ، وخلفاؤهم ، والمعاد " [6] .

---

(١) د : أحمد سيد أحمد علي : التقريب بين أهل السنة والشيعة ما له وما عليه صـ ٥٤ بتصرف.

(٢) د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية صـ ٤٥٢ بتصرف .

(٣) انظر الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم صـ ٤٣ بتصرف .

(٤) آية الله الحاج السيد ابراهيم الموسوي الزنجاني : عقائد الإمامية الاثني عشرية ، نشر مؤسسة دار الكتب – قم – إيران ، ط٥ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م جـ ١ صـ ١١١.

(٥) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ١ صـ ١٦٥ بتصرف.

(٦) آية الله علي المشكيني : مسلكنا في الأخلاق والأصول والفروع ، نشر دار الهدى – بيروت ، ط١، ١٤١١هـ /١٩٩١م صـ ١٠٤.

القول الرابع : إنها أربعة ينبني عليها الإسلام والإيمان معاً هي :" التوحيد ، والنبوة ، والمعاد ، والعمل بالدعائم التي بني عليها الإسلام ، وهي خمس : الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، والجهاد ، ولكن الشيعة الإمامية زادوا ركناً خامساً هو: الاعتقاد بالإمامة" [1] ، والجهاد من أعظم أركان الإسلام ، وفيه ثواب عظيم [2] .

القول الخامس : إن الإمامة ليست من أركان الدين ، وإنما هي من أصول المذهب فقط ، فيقول فالمسلم من صدق مقتنعاً بكل ما اعتبره الإسلام من الأصول ، والفروع ، والأصول ثلاثة : التوحيد ، والنبوة ، والمعاد ، أما الإمامة فليست أصلاً من أصول دين الإسلام ، وإنما هي أصل لمذهب التشيع ؛ فمنكرها مسلم إذا اعتقد بالأصول ، ولكنه ليس شيعياً [3] .

القول السادس : عن الصادق – عليه السلام –:" من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا : المعراج ، والمسائلة في القبر ، والشفاعة "[4].

القول السابع : إن الولاية هي الإسلام كله عن الباقر – عليه السلام – في قوله تعالى :" إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ"[5] ، قال : التسليم لعلي بن أبي طالب بالولاية [6]، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيٌّ قطُ إلا بها "[7] .

القول الثامن : " بني الإسلام على خمسة أشياء : على الصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصوم ، والولاية " [8] ، و" إن أمر الإمامة من أعظم أركان الإسلام " [9] .

القول التاسع : أركان الإسلام ثلاثة ، عن الصادق – عليه السلام – :" أَثَافِيُّ [10] الإسلام ثلاثة : الصلاة ، والزكاة ، والولاية لا تصح واحدة منها إلا بصاحبتها " [11] .

---

(١) الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها صـ ١٣٣-١٣٤ .

(٢) العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢ صـ ١٢٩.

(٣) محمد مغنية : الجوامع والفوارق بين السنة والشيعة ، نشر م عز الدين – بيروت ، ط١،١٤١٤هـ / ١٩٩٢م صـ ٣٦-٣٧ بتصرف.

(٤) السيد الگلپايگاني : نتائج الأفكار ، ط أمير – قم ، ط١ ، ١٤١٣هـ صـ ٢١١.

(٥) سورة آل عمران : آية رقم ١٩.

(٦) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ٢ صـ ٢٩٠.المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٥ صـ ٣٤١.

(٧) المصدر السابق : جـ ١ صـ ٤٣٨.

(٨) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ١٧ صـ ٢٢٣ .

(٩) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٥ صـ ٢٢٣ بتصرف .

(١٠) أثافي : الشكل المثلث من الحجارة التي ينصب عليها القدر عند الطبخ ، واستعير هنا للأركان التي يعتمد عليها في مهمات الأمور . انظر إحسان إلهي ظهير : الشيعة والسنة ، نشر دار ابن حزم – القاهرة ، ط١ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م هامش صـ ٦٥.

(١١) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ١٨.

ونقول : إذا كان هذا خلافهم في أصول المذهب وأركانه ؛ فما بالك بخلافهم في فروعه ؟ ! .

وقد يسأل سائل : ما السبب في ذكر أهم أصول الدين عند الاثني عشرية هنا ؟ .

والجواب : لنميز هذه الأصول عن فروع الدين(١) والمذهب عندهم ، ثم لنعلم حكم من خالف في هذه الأصول ، وحكم من خالف في الفروع (٢)؛ فنحاول التقريب بيننا وبينهم .

لكننا نُفَاجأ بقول الشريف المرتضى(٣) : إن فروع المذهب مثل أصوله ؛ في أن كلاهما ثابت بدليل قطعيٌّ ، ومن لم يعمل بهما ، ولم يعتقدهما فهو عاصٍ ، مستحقٌ للعقاب ، فالمخالفُ في الفروع كالمخالف في الأصول (٤) . حسبنا الله ونعم الوكيل(٥) ! .

كيف تطور التشيع من الاعتدال إلى التقديس المذموم :-

يقول أحد المؤرخين :" كَانَ النَّاسُ فِي الصَّدْرِ الأَوَّلِ بَعْدَ وَقْعَةِ صِفِّيْنَ عَلَى أَقسَامٍ :

أَهْلُ سُنَّةٍ : وَهُم أُوْلُو العِلْمِ ، وَهُم مُحِبُّوْنَ لِلصَّحَابَةِ ، كَافُّوْنَ عَنِ الخَوضِ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ؛ كسَعْدٍ ، وَابْنِ عُمَرَ ، وَمُحَمَّدِ بنِ سَلَمَةَ ، وَأُمَمٍ ، ثُمَّ شِيْعَةٌ : يَتَوَالَوْنَ ، وَيَنَالُوْنَ مِمَّنْ حَارَبُوا عَلِيّاً ، وَيَقُوْلُوْنَ

---

(١) يقول ابن تيمية : " جَعْلُ الدِّينِ " قِسْمَيْنِ " أُصُولًا وَفُرُوعًا لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا فِي الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ السَّلَفِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ : إنَّ الْمُجْتَهِدَ الَّذِي اسْتَفْرَغَ وُسْعَهُ فِي طَلَبِ الْحَقِّ يَأْثَمُ ، لَا فِي الْأُصُولِ وَلَا فِي الْفُرُوعِ ، وَلَكِنَّ هَذَا التَّفْرِيقَ ظَهَرَ مِنْ جِهَةِ الْمُعْتَزِلَةِ ، وَأَدْخَلَهُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ مَنْ نَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ " . انظر ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ١٣ صـ ١٢٥.

(٢) يقول ابن تيمية : " قَوْلُ السَّلَفِ وَأَئِمَّةِ الْفَتْوَى كَأَبِي حَنِيفَةَ ، وَالشَّافِعِيِّ ، وَالثَّوْرِيِّ وداوُد بْنِ عَلِيٍّ ، وَغَيْرِهِمْ : لَا يؤثمون مُجْتَهِدًا مُخْطِئًا فِي الْمَسَائِلِ الْأُصُولِيَّةِ وَلَا فِي الفروعية ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُمْ ابْنُ حَزْمٍ وَغَيْرُهُ ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُمَا يَقْبَلُونَ شَهَادَةَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ إلَّا الْخَطَابِيَّة ، وَيُصَحِّحُونَ الصَّلَاةَ خَلْفَهُمْ ... ولَا يُكَفِّرُونَ ، وَلَا يُفَسِّقُونَ ، وَلَا يؤثمون أَحَدًا مِنْ الْمُجْتَهِدِينَ الْمُخْطِئِينَ لَا فِي مَسْأَلَةٍ عَمَلِيَّةٍ وَلَا عِلْمِيَّةٍ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ مَسَائِلِ الْفُرُوعِ وَالْأُصُولِ إنَّمَا هُوَ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدَعِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ ، وَالْمُعْتَزِلَةِ ، وَالْجَهْمِيَّةِ ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ ، ممن لَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَةَ هَذَا الْقَوْلِ وَلَا غَوْرَهُ ، وهؤلاء الْمُفَرِّقِينَ بَيْنَ مَا جَعَلُوهُ مَسَائِلَ أُصُولٍ ، وَمَسَائِلَ فُرُوعٍ : لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَهُمَا بِفَرْقٍ صَحِيحٍ يُمَيِّزُ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ ، فالْمَسَائِلُ الْعَمَلِيَّةُ فِيهَا عَمَلٌ وَعِلْمٌ ؛ فَإِذَا كَانَ الْخَطَأُ مَغْفُورًا فِيهَا ؛ فَالَّتِي فِيهَا عِلْمٌ بِلَا عَمَلٍ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ الْخَطَأُ فِيهَا مَغْفُورًا " . انظر المصدر السابق جـ ١٩ صـ ٢٠٧ – ٢٠٨.

(٣) الشريف المرتضى: عَلِيُّ بنُ حُسَيْنِ بنِ مُوْسَى القُرَشِيُّ ، نَقِيْبُ العَلَوِيَّة ، مِنْ وَلد مُوْسَى الكَاظِم ، وُلِدَ ٣٥٥هـ ، جَامعُ كِتَابِ نَهْجِ البلاغَة ، وَلَهُ كِتَاب الشَّافِي فِي الإِمَامَة ، وَالذَّخِيرَة فِي الأُصُوْل، وَكَانَ مِنَ الأَذكيَاء الأَوْلِيَاء ، المتَبَحِّرين فِي الكَلاَم ، وَالاعتزَالِ ، تُوُفِّيَ سَنَةَ ٤٣٦هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٧ صـ ٥٨٨– ٥٩٠ .

(٤) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ١ صـ ١٥٤ بتصرف.

(٥) يقول ابن تيمية : " ثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ : أَنَّ مِنْ الْخَطَأِ فِي الدِّينِ مَا لَا يَكْفُرُ مُخَالِفُهُ ؛ بَلْ وَلَا يَفْسُقُ ؛ بَلْ وَلَا يَأْثَمُ ؛ مِثْلُ الْخَطَأِ فِي الْفُرُوعِ الْعَمَلِيَّةِ ؛ وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمَةِ وَالْمُتَفَقِّهَةِ يَعْتَقِدُ : أَنَّ الْمُخْطِئَ فِيهَا آثِمٌ ، وَبَعْضُ الْمُتَكَلِّمَةِ وَالْمُتَفَقِّهَةِ يَعْتَقِدُ : أَنَّ كُلَّ مُجْتَهِدٍ فِيهَا مُصِيبٌ ؛ فَهَذَانِ الْقَوْلَانِ شَاذَّانِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بِتَكْفِيرِ الْمُجْتَهِدِينَ الْمُتَنَازِعِينَ فِيهَا " . انظر ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ١٢ صـ ٤٩٤.

: إِنَّهُم مُسْلِمُوْنَ بُغَاةٌ ظَلَمَةٌ ، ثُمَّ نَوَاصِبُ : وَهُمُ الَّذِيْنَ حَارَبُوا عَلِيّاً يَوْمَ صِفِّيْنَ ، وَيُقِرُّوْنَ بِإِسْلاَمِ عَلِيٍّ وَسَابِقِيْه ، وَيَقُوْلُوْنَ : خَذَلَ الخَلِيْفَةَ عُثْمَانَ .

فَمَا عَلِمتُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ شِيْعِيّاً كَفَّرَ مُعَاوِيَةَ وَحِزْبَهُ ، وَلاَ نَاصِبِيّاً كَفَّرَ عَلِيّاً وَحِزْبَهُ ، بَلْ دَخَلُوا فِي سَبٍّ وَبُغْضٍ ، ثُمَّ صَارَ اليَوْمَ شِيْعَةُ زَمَانِنَا يُكَفِّرُوْنَ الصَّحَابَةَ ، وَيَبْرَؤُوْنَ مِنْهُم جَهلاً وَعُدوَاناً ، وَيَتَعَدُّوْنَ إِلَى الصِّدِّيْقِ – قَاتَلَهُمُ اللهُ – ، وَأَمَّا نَوَاصِبُ وَقْتِنَا فَقَلِيْلٌ ، وَمَا عَلِمتُ فِيْهِم مَنْ يُكَفِّرُ عَلِيّاً وَلاَ صَحَابِيّاً " [١].

من خلال هذا النص نلاحظ أن عقائد الشيعة تطورت تطوراً مضطرداً ، نظراً للأحداث التي مر بها أهل البيت – عليهم السلام – من عهد النبي – ﷺ – حتى ظهور فرقة الشيعة الاثنا عشرية .

فإن الشيعي الأول : هو من فضل علياً على عثمان– رضي الله عنهما – فكان يقال : شيعيٌ لمن فضل علياً ، وعثمانيٌ لمن فضل عثمان [٢].

ولهذا كانت الشيعة المتقدمون الذين صحبوا علياً ، لم يتنازعوا في تفضيل الشيخين ، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان– رضي الله عنهم – ، وهذا مما يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر ، حتى ذكر مثل ذلك أبو القاسم البلخي [٣] قال : سأل سائل شريك بن عبد الله بن أبي نمر[٤] فقال له : أيهما أفضل أبو بكر أو علي ؟ فقال له : أبو بكر ؛ فقال له السائل : أتقول هذا وأنت من الشيعة ، فقال : نعم ، إنما الشيعي : من قال مثل هذا ، والله لقد رقى علي هذه الأعواد عليٌ – رضي الله عنه – فقال : ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها : أبو بكر ، ثم عمر ، أفكنا نرد قوله ، أكنا نكذّبه ، والله ما كان كذاباً " [٥] . وفي رواية قيل له :" ثُمَّ أَنْتَ يَا أَمِيرَ

---

(١) الحافظ الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٥ صـ ٣٧٥.

(٢) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الاثنا عشرية جـ ١ صـ ٥٣.

(٣) أبو القاسم البلخي : نصر بن صباح ، كان يتهم بالغلو ، والتفويض ، مجهول الحال ، لم يثبت وثاقته ، ولا حسنه ، وقال بعضهم : بجلالته كالصدوق ، وأكثر الكشي والعياشي الرواية عنه ، له كتب منها : معرفة الناقلين من الرواة عن آل البيت . انظر محمد الجواهري : المفيد من معجم رجال الحديث ، ط المطبعة العلمية ، نشر مكتبة المحلاتي – قم ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ صـ ٦٣٨.

(٤) شَرِيْكُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي نَمِرٍ : المدَنِيُّ المحَدِّثُ ، حَدَّثَ عَنْ : أَنَسٍ ، وحَدَّثَ عَنْهُ : مَالِكٌ ، وَسُلَيْمَانُ بنُ بِلاَلٍ ، قَالَ ابْنُ مَعِيْنٍ وَالنَّسَائِيُّ : لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ ، وَوَثَّقَهُ أَبُو دَاوُدَ ، مَاتَ قَبْلَ ١٤٠هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٦ صـ ١٥٩ – ١٦٠ .

(٥) ابن الأعرابي : معجم ابن الأعرابي جـ ١ صـ ٥٧ – ٥٨ . صححه أبو نعيم : حلية الأولياء جـ ٧ صـ ١٩٩. ابن أبي شيبة : المصنف جـ ٦ صـ ٣٥١ . وصححه أبو يعلى : المسند جـ ١ صـ ٤١٠. ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ ١ صـ ١٣–١٥ ، جـ ٢ صـ ٨٦.

الْمُؤْمِنِينَ الثَّالِثُ ؟ فَقَالَ : لَا ، وَلَا الرَّابِعُ "[1] ، وهذا من تواضعه ، ففي رواية :" فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : نَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ لَا يُوَازِينَا أَحَدٌ " [2] .

وعن علي – رضي الله عنه – قال :" قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – عَلَى خَيْرِ مَا قُبِضَ عَلَيْهِ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ فَعَمِلَ بِعَمَلِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – وَبِسُنَّتِهِ ، ثُمَّ قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى خَيْرِ مَا قُبِضَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، وَكَانَ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ، ثُمَّ اسْتُخْلِفَ عُمَرُ فَعَمِلَ بِعَمَلِهِمَا وَسُنَنِهِمَا ، ثُمَّ قُبِضَ عَلَى خَيْرِ مَا قُبِضَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، وَكَانَ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ " [3] .

يقول أبو إسحاق السبيعي :" خرجت من الكوفة وليس أحدٌ يشكُ في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما ، وقدمت الآن وهم يقولون ، ويقولون ، والله ما أدري ما يقولون " [4] ، ويقول ليث بن أبي سليم : " أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً [5] .

ولهذا نرى بعض الأئمة لا يسمون الطاعنين بالشيخين شيعة ، بل رافضة ؛ لأنهم لا يستحقون اسم التشيع ، ومن عرف التطور العقدي للتشيع ؛ لا يستغرب وجود طائفة من أعلام المحدثين ، الثقات ، المأتمنون عند محققي أهل السنة أطلق عليهم اسم الشيعة[6] ، وهم من أعلام السنة [7].

هل اقتبس الشيعة الاثنا عشرية بعض معتقداتهم من المعتزلة [8]؟

---

(١) ابن الأعرابي : معجم ابن الأعرابي جـ ٣ صـ ١١٠٨ .

(٢) ضعفه أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء جـ ٧ صـ ٢٠١.

(٣) ابن أبي شيبة : المصنف جـ ٧ صـ ٤٣٣ – ٤٣٤.

(٤) د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الاثنا عشرية جـ ١ صـ ٥٤. د علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة صـ ٨٢. كلاهما نقلاً عن الحافظ الذهبي : المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتدال .

(٥) المرجعين السابقين بنفس الجزء والصفحة نقلا عن المنتقى أيضاً .

(٦) مثل : سَالِمِ بنِ أَبِي حَفْصَةَ ، طَاوُوْسُ بنُ كَيْسَانَ الفَارِسِيُّ ، سَلَمَةُ بنُ كُهَيْلٍ ، مَنْصُوْرَ بنَ المُعْتَمِرِ ، الأعمش ، عَوْفُ بنُ أَبِي جَمِيْلَةَ ، فِطْرُ بنُ خَلِيْفَةَ ، سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، شَرِيْكُ بنُ عَبْدِ اللهِ النَّخَعِيُّ ، وَكِيْعُ بنُ الجَرَّاحِ ، مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ بنِ حَيُّوْنَ الأَنْدَلُسِيُّ ، ابْنُ الدَّاعِي مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ بنِ القَاسِمِ العَلَوِيُّ ، ابْنُ نَبْهَانَ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بنُ سَعِيْدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٧ صـ ٤٥٤ ، جـ ٩ صـ ٤٦ ، صـ ٣٥٨، صـ ٤٩٩، جـ ١١ صـ ٢٩٤، صـ ٤٦٥، جـ ١٣ صـ ٤١، صـ ٢٧٨، جـ ١٥ صـ ٢٠٢، جـ ١٧ صـ ١٦١، جـ ٢٧ صـ ٤٢٧ ، جـ ٣١ صـ ١٣٠، جـ ٣٧ صـ ٢٣٧.

(٧) الذهبي : ميزان الاعتدال جـ ١ صـ ٥-٦ . ابن حجر : لسان الميزان جـ ١ صـ ٩-١٠.

(٨) المعتزلة : أصحاب واصل بن عطاء الغزال ، ويسمون أصحاب العدل ، والتوحيد ، والقدرية ، والعدلية . من عقائدهم نفي صفات الله تعالى ، وخلق القرآن ، وأن العبد يخلق أفعاله ، وأن الله يجب عليه إرسال الرسل ، والمنزلة بين المنزلتين ، ومعظمهم لا يسبون الصحابة ولا يقعون فيهم . انظر الشهرستاني : الملل والنحل صـ ٤٢ – ٤٣.

بالبحث في أصول المعتزلة والشيعة نرى اتفاقاً بينهم في عدة عقائد منها : التوحيد ، والقول بالمنزلة بين المنزلتين ، والقول بالعدل : الذي يعني أن الله لا يخلق أفعال عباده ، والوعد والوعيد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإنكار رؤية الله في الآخرة ، والقول بخلق القرآن ؛ ولكن للعلماء في هذا الاتفاق قولان متضادان :

القول الأول : لا يعترف باقتباس الشيعة شيئاً من عقائدهم من المعتزلة ؛ بل يقولون : نحن أساس هذه العقائد ؛ لأن مذهب أهل البيت متقدم على مذهب الاعتزال زمانياً – على حد قول من يقول بأنه نشأ في عهد النبي – ﷺ – أو بعد وفاته مباشرة – .

ويدللون على ذلك بأن واصل بن عطاء[1] مؤسس المعتزلة قد أخذ العلم على يد أبي هاشم عبد الله[2] بن محمد بن الحنفية ، ومحمد بن الحنفية [3] أخذ العلم عن الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – [4] ؛ فأصول التوحيد ، والعدل ، مأخوذة من كلام أمير المؤمنين– عليه السلام – [5] .

القول الثاني : إن المعتزلة هي الأصل ، حيث أثبت صاحب الملل والنحل أن الإمام زيد بن علي – رحمه الله – تتلمذ على يد واصل بن عطاء[6] وقد دخل بعض الشيعة في الاعتزال في القرن الرابع ، ولذلك نسب الاعتزال إلى الإمام علي نهاية وبداية بمحمد بن الحنفية – رحمه الله – [7] ، بل وتتلمذ الكثير من شيوخ الشيعة ، وعلمائهم لبعض شيوخ المعنزلة [8].

---

(١) وَاصِلُ بنُ عَطَاءٍ : أَبُو حُذَيْفَةَ المخْزُوْمِيُّ ، رَأْسَ الاعْتِزَالِ ،البَلِيْغُ ، الأَفْوَهُ ، مَوْلِدُه: سَنَةَ ثَمَانِيْنَ ، بِالمدِيْنَةِ ، طَرَدَهُ الحَسَنُ عَنْ مَجْلِسِهِ لَمَّا قَالَ : الفَاسِقُ لاَ مُؤْمِنٌ وَلاَ كَافِرٌ؛ فَسُمُّوا المعْتَزِلَة ، وَلَهُ مُؤَلَّفٌ فِي التَّوْحِيْدِ ، وَكِتَاب (المَنْزِلَةُ بَيْنَ المَنْزِلَتَيْنِ) ، مَاتَ سَنَةَ ١٣١هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٥ صـ ٤٦٤ – ٤٦٥.

(٢) أبو هاشم : عبد الله بن محمد بن الحنفية الهاشمي المدني ، ادعى الإمامة فانتهى خبره إلى سليمان بن عبد الملك ، فسمه وأوصى بالإمامة بعده لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، مات سنة ٩٨هـ .انظر الأحمدي الميانجي : مكاتيب الرسول ، نشر مؤسسة دار الحديث الثقافية – طهران ، ط١ ، ١٤١٩هـ جـ ٢ صـ ٦٧ – ٦٨.

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل صـ ٤٧ .

(٤) الشيخ علي آل محسن : إرشاد السائلين ، ط مكتبة فدك – قم ، ط١ ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م صـ ١٣بتصرف .

(٥) السيد المرتضى : الأمالي ، ط مكتبة آية الله المرعشي النجفي – قم ، ط١،١٣٢٥هـ /١٩٠٧م جـ ١ صـ ١٠٣. القتال النيسابوري : روضة الواعظين ، نشر منشورات الشريف المرتضى – قم ، دت صـ ٣٠ .

(٦) الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٢٧ .

(٧) د هانم يوسف : أصل العدل عن المعتزلة ، نشر دار الفكر العربي – القاهرة ، ط١ ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م صـ ٢٠-٢٢ بتصرف .

(٨) د محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون جـ ٢ صـ ٢١ .

القول الراجح : لا فرق بين القولين طالما في النهاية يُجْمع الجميع على : وجود تطابق بين بعض عقائد الشيعة الاثني عشرية ، وبعض عقائد المعتزلة ، فكثراً ما تجد عالماً شيعياً معتزلياً[(١)] ، ولكن لا تجد أشعرياً أو شافعياً شيعياً مثلاً .

إذاً : ما هي أوجه الاتفاق بين الشيعة الاثني عشرية والمعتزلة ؟ .

اتفقت الشيعة والمعتزلة في عدة عقائد ؛ لأن أفكار المعتزلة إنما هي خليط من آراء الفرق المخالفة في عصرهم ، وأفكار المعتزلة يحملها اليوم كل من : الرافضة الإمامية ، والزيدية ، والإباضية[(٢)] ، وكذلك من يسمون بالعقلانيين [(٣)] .

كما أنهم أول من تكلم في الجسمية : نفياً وإثباتاً[(٤)] ، والقول بالوعد والوعيد [(٥)] ، كما اتفقوا على عدم وقوع الصغيرة من الأنبياء بحال [(٦)]، ومن المعتزلة من يطعن في عمر – رضي الله عنه – [(٧)] ، كما اتفقوا على نفي الفراغ من القدر[(٨)]، وأنكروا الاجماع والقياس [(٩)] ، واتفقوا على القول بالتعديل والجوير[(١٠)]، كما روى الجاحظ : أن واصل بن عطاء كان يزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد رسول الله – ﷺ – [(١١)]، وغيرها مما يطول البحث فيه .

إذاً : وما هي أوجه الخلاف بين الشيعة الاثني عشرية والمعتزلة ؟ .

---

(١) مثل : محمد بن راشد ، أَبُو الحَسَنِ الرَّاوَنْديُّ ، أَبُو الحَسَنِ المسْعُوْدِيُّ ، الصَّاحِبُ إِسْمَاعِيْلُ الطَّالْقَانِيُّ ، أَبُو الحَسَنِ التِّهَامِيُّ. انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٣ صـ ٣٨٩ ، جـ ٢٧ صـ ٦٢ ، جـ ٣٠ صـ ٦٩ ، جـ ٣٢ صـ ١٠٩، جـ ٣٣ صـ ٣٧٢.

(٢) الإباضية : أصحاب عبد الله بن إباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد ، وهم من الخوارج ، يكفرون أهل القبلة ، لكن يحلون مناكحتهم ، ودارهم دار إسلام إلا عسكر السلطان ، عندهم مرتكب الكبيرة مؤمن ، لكنه كافر كفر نعمه ، وأفعال العباد مخلوقة لله ومكتسبة للعبد . انظر الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١١٢ – ١١٣.

(٣) محمد بن خليفة بن علي التميمي : مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات ، الناشر : أضواء السلف – الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م صـ ٨٨ .

(٤) ابن تيمية : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، ط مطبعة الحكومة – مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٣٩٢هـ جـ ٢ صـ ٥٦ . ولنفس المؤلف : منهاج السنة النبوية جـ ٢ صـ ٢٦١.

(٥) د أحمد بن عبد العزيز الحصين : سلسلة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب ، نشر مكتبة الجامعة الأزهرية – أسيوط ، مكتبة الإيمان – القاهرة ، دت جـ ٤ صـ ١٨٩٢.

(٦) ابن تيمية : مختصر الفتاوى المصرية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، نشر دار ابن القيم – الدمام ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م صـ ١٠٧.

(٧) د أحمد الحصين : سلسلة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب جـ ٤ صـ ١٨٩١. البغدادي : الفرق بين الفرق صـ ١٤٧ – ١٤٨ .

(٨) ابن تيمية : الصفدية ، تحقيق : د محمد رشاد سالم ، نشر مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، ١٤٠٦هـ جـ ١ صـ ١٥٢.

(٩) د أحمد بن عبد العزيز الحصين : سلسلة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب جـ ٤ صـ ١٨٩٠.

(١٠) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ ٢ صـ ٤١٥.

(١١) د أحمد بن عبد العزيز الحصين : سلسلة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب جـ ٤ صـ ١٨٨٤.

١- الاثنا عشرية يقولون : إن صفات الله عين ذاته ، والمعتزلة تقول : مغايرة لذاته .

٢- الاثنا عشرية يقولون : إن المؤمن لا ينسلخ عن الإيمان بفسقه ومعصيته ، والمعتزلة تقول : إن العبد الفاسق في منزلة بين المنزلتين ، بين الإيمان والكفر.

٣- الاثنا عشرية يقولون : إن الإمامة واجبة على الخلق عقلاً ، والمعتزلة تقول : إن الإمامة واجبة على الله عقلاً .

٤- الاثنا عشرية يقولون : بوجوب عصمة الإمام ، بينما لا يقول المعتزلة بذلك .

٥- اتفقت الاثنا عشرية على تفضيل الإمام علي على سائر الخلفاء والأصحاب – رضي الله عنهم – ، والمعتزلة اختلفوا في تفضيل الشيخين على الإمام علي– رضي الله عنهم – .

٦- تعتقد الاثنا عشرية : بإمامة الاثنا عشر إماماً ، بينما لا تعترف المعتزلة بذلك .

٧- تقول الاثنا عشرية : بأن القرآن محدث ، وليس مخلوقاً ، بينما تقول المعتزلة : صراحة بخلق القرآن ، وإن اتفقا على عدم القول بقدم القرآن [1] .

ما هي علاقة الاثنا عشرية بعبد الله بن سبأ [2]؟

من الشخصيات ذات الطابع الخاص في التاريخ الإسلامي : شخصية عبد الله بن سبأ ، الذي يعد بلا شك : شوكة ذات غصة في حلوق الشيعة الاثني عشرية ، وذكرى مؤلمة لأهل السنة والجماعة ، الذي يعده كلا الفريقين – حتى الذين أنكروا وجوده – سبب انقسام الأمة شيعاً وأحزاباً ، وقد انقسم الناس فيه بين مؤيد لوجوده ، وبين منكر له ، ومنهم من حاول التوسط بين هذين الرأيين ، ولنعرض لهذه الآراء الثلاثة بإيجاز :

القول الأول : الذين يثبتون وجود عبد الله بن سبأ كشخصية حقيقية :

قال كثير من المؤرخين – شيعة وسنة – بإن عبد الله بن سبأ : " كان يهودياً من أهل صنعاء" [3] ، وأمه سوداء أراد أن يفسد على المسلمين دينهم ؛ لكي يعتقدوا ما اعتقدت النصارى في عيسى –

---

(١) الشيخ علي آل محسن : إرشاد السائلين ص ١٤ بتصرف .

(٢) يقول د حسين الموسوي : شخصية عبد الله بن سبأ حقيقة لا يمكن تجاهلها ، أو إنكارها ؛ ولهذا ورد التنصيص عليها في كتبنا ، ومصادرنا المعتبرة . انظر د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ ، نشر دار ابن الجوزي – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م ص ١٤.

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٠ .

عليه السلام – " [1] ، ومن الغريب أنه كان مكشوف الضمير ؛ فيُروى : أنه أتي أبا الدرداء [2] – رضي الله عنه – ، فقال له :" من أنت ؟ أظنك يهودياً " [3].

وتتلخص فتنته أنه : بدأ بإثارة الفتنة على ذي النورين – رضي الله عنه – ، ثم بإشاعة التهم الكاذبة عنه ، ونشر العقائد اليهودية ، وسب الشيخين ، وتكوين فرقة تشايعت لعلي في خلافة عثمان ، ومغالاته في قدر الإمام علي [4].

ويدوِّن علماء الشيعة آراء الأئمة في عبد الله بن سبأ ؛ فعن أبي جعفر – عليه السلام –: " إن عبد الله بن سبأ كان يدَّعي النُّبوة ، وكان يزعم أن أمير المؤمنين هو الله ، فبلغ أمير المؤمنين ذلك ، فدعاه فسأله فأقر ، وقال : نعم أنت هو ، وقد كان أُلقي في رُوعي أنك أنت الله ، وأنا نبي ، فقال له أمير المؤمنين : ويلك قد سخر الشيطان منك ، فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب ، فأبى ؛ فحبسه ، واستتابه ثلاثة أيام ، فلم يتب ؛ فأخرجه فأحرقه بالنار "[5] .

بل كان يفتري الكذب على الإمام علي – رضي الله عنه – [6]، فكان عاقبته أنه أحرق على يد الإمام علي – رضي الله عنه – [7] ، بل ورد لعنُه على لسان الحسين – عليه السلام – حين قال : " لعن الله عبد الله بن سبأ ، إنَّه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين – عليه السلام– " [8] .

وإذا نظرنا إلى بعض كتب أهل السنة نجدهم يوضحون ما كان عليه معتقد عبد الله بن سبأ ، حين يترجمون لبعض المنتسبين إليه فيقول " إنه سبئيٌ " [9] ، ويؤرخون له : أنه أتى مصر ، وأخذ يقول : العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمداً – ﷺ – يرجع ؛ وقد قال الله – ﷻ – " إن

---

(١) أبو الحسن الرازحي : توضيح النبأ في حقيقة عبد الله بن سبأ صـ ٤٨.

(٢) أَبُو الدَّرْدَاءِ : عُوَيْمِرُ بنُ زَيْدِ بنِ قَيْسٍ الأَنْصَارِيُّ ، قَاضِي دِمَشْقَ ، الصَاحِبُي ، مَعْدُوْدٌ فِي مَنْ جَمَعَ القُرْآنَ فِي حَيَاةِ رَسُوْلِ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مات سَنَةَ ٣٢هـ ، وقيل : ٣١هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤ صـ ٣٣٥– ٣٥٣.

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الطبري جـ ٤ صـ ٤٥٢.

(٤) إحسان إلهي ظهير : الشيعة والسنة ، نشر دار ابن حزم – القاهرة ، ط١ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م صـ ٣٥ – ٣٧بتصرف .

(٥) الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ، نشر مكتب الإعلام الإسلامي – قم ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ جـ ٢ صـ ٥١١ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ط مهر – قم ، ط٢ ، ١٤١٤هـ جـ ٢٨ صـ ٣٣٦.

(٦) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ٩ صـ ٩٠ بتصرف .

(٧) المصدر السابق : جـ ١٨ صـ ١٦٩ بتصرف .

(٨) الميرزا النوري : خاتمة مستدرك الوسائل ، تحقيق: مؤسسة آل البيت ، ط ستارة – قم ، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م جـ ٤صـ ١٤٢ .

(٩) ذكر ذلك في ترجمة الكلبي . انظر ابن حبان : المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، نشر دار الوعي – حلب – سوريا ، دت جـ ٢ صـ ١٨٧ . العقيلي : الضعفاء الكبير ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، نشر دار المكتبة العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م جـ ٤ صـ ٧٧..

الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد "[1] ؛ فمحمد – ﷺ – أحق بالرجوع من عيسى – عليه السلام – ، فقبل ذلك عنه أهل مصر ، ووضع للنبي – ﷺ – وأهله الرجعة فتكلموا فيها ، ثم قال : إنه كان ألف نبي ، ولكل نبي وصي ، وعلي وصي محمد – ﷺ – ومحمد – ﷺ – خاتم النبيين ، وعلي خاتم الأوصياء ، ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله – ﷺ – ووثب على وصيّ رسول الله – ﷺ – ثم تناول الشيخين ، ثم إن عثمان قد جمع أموالاً أخذها بغير حقها ، وهذا وصي رسول الله – ﷺ – فانهضوا في هذا الأمر ؛ فحركوه ، وابدءوا بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فتستميلوا الناس ، فبث دعاة ، وكاتب من كان استفسد في الأمصار ، وكاتبوه في السر [2].

ولما بويع علي – رضي الله عنه – خطب الناس ، فقام إليه عبد الله بن سبأ ، فقال له : أنت دابة الأرض ، فقال له : اتق الله ، فقال له : أنت الملك ، فقال له : اتق الله ، فقال له : أنت خلقت الخلق ، وبسطت الرزق ، فأمر بقتله ، فاجتمعت الرافضة ؛ فقالت : دعه وانْفِهِ ؛ فإنك إن قتلته بالمدينة ؛ خرجت أصحابه علينا وشيعته ، فنفاه [3] ، ثم قامت إليه طائفة ، وهم السبئية ، وكانوا أحد عشر رجلاً ، فقال : ارجعوا ؛ فإني علي بن أبي طالب ، أبي مشهور ، وأمي مشهورة ، وأنا ابن عم محمد – ﷺ – فقالوا : لا نرجع ، فأحرقهم بالنار [4] .

ومما خدع الناس به : تظاهره بالعلم والتقى ، فبدأ يروج مذهبه ومسلكه " [5].

وقال ابن حجر[6] : " عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ، ضال مضل ، أحسب أن عَلِيًّا حرقه بالنار، زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء ، وعِلْمُه عند علي ؛ فنفاه علي[7] ... قال علي بن أبي

---

(١) سورة القصص : آية رقم ٥٨ .

(٢) الحافظ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، نشر دار الفكر – بيروت ، ط١ ،١٤١٩هـ / ١٩٩٨م جـ ٢٩ صـ ٣ – ٤ بتصرف .

(٣) أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ٨ صـ ٢٥٣. .

(٤) ابن جرير الطبري : تاريخ الطبري جـ ٢ صـ ٦٤٧ . ابن عساكر : تاريخ دمشق جـ ٢٩ صـ ٩ – ١٠ بتصرف .

(٥) أبو الحسن الرازحي : توضيح النبأ في حقيقة عبد الله بن سبأ صـ ٥١. إحسان إلهي ظهير : الشيعة والسنة صـ ٣٦ بتصرف .

(٦) ابن حجر : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، ولد ٧٧٣ هـ / ١٣٧٢م ، ومولده ووفاته بالقاهرة . ولع بالأدب ، والشعر ، والحديث ، وولي قضاء مصر مرات ، ثم اعتزل ، صاحب فتح الباري ، ولسان الميزان ، توفي ٨٥٢هـ/١٤٤٩م . انظر الزركلي : الأعلام جـ ١ صـ ١٧٨ – ١٧٩.

(٧) أبو الحسن الرازحي : توضيح النبأ في حقيقة عبد الله بن سبأ صـ ٥١. إحسان إلهي ظهير : الشيعة والسنة صـ ٣٦ بتصرف .

طالب – رضي الله عنه – : ما لي ولهذا الخبيث الأسود ، يعني – عبد الله بن سبأ – ، كان يقع في أبي بكر وعمر ، وهو أول من كذب " [1] .

القول الثاني : إنه شخصية وهمية وضعت من أعداء أهل البيت – عليهم السلام – :

أنصار هذا المذهب يقولون : إنه شخصية من نسج خيال أعداء أهل البيت – عليهم السلام – ، فهو شخصية مدسوسة على الفكر الشيعي .

وترى منهم من ينكر تماماً تأثر المذهب الشيعي بابن سبأ ويقول : " ما ذهب إليه بعض الكتاب من أن أصل مذهب التشيع من بدعة عبد الله بن سبأ ، فهو وهمٌ ، وقلةُ علمٍ بحقيقة مذهبهم ، ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة ، وبراءتهم منه ، ومن أقواله وأعماله ، وكلام علمائهم من الطعن فيه – بلا خلاف بينهم في ذلك – علم مبلغ هذا القول من الصواب ، فهو نتيجة قضية سياسية ؛ أملتها السياسة العباسية ، والأُموية "[2] .

وعليه فهذه الشخصية خرافة من خرافات أعداء الشيعة [3] ويُبْنَى هذا الإنكار على أن الذي أشاع قصته راو يدعى " سيف بن عمرو [4] توفي في القرن الثاني الهجري قائلاً : " ومن هؤلاء بطل أختلق شخصيته ، وأختلق اسمه ، هذا البطل الأسطوري هو : عبد الله بن سبأ ، الذي اعتمد عليه كل من نسب إلى الشيعة ما ليس لهم به علم ، وتكلم عنهم جهلاً وخطأً ، ونفاقاً وافتراءً "[5] ؛ لأن هذه الروايات انتقلت من مصدر واحد ، وهو كتب الرجال التي تخرج للضعفاء ، التي فيها أغلاط كثيرة [6] ، وبذلك يثبت بالبراهين الساطعة ، والأدلة القاطعة : أن هذا الاسم ليس له وجود ، وأن السياسة هي التي ابتدعت هذا الاسم ؛ لتجعله سبباً من أسباب تشويه وجه التاريخ ، فكل ما جاء

---

(١) عنْ أُمِّ مُوسَى قَالَتْ : بَلَغَ عَلِيًّا أَنَّ ابْنَ سَبَأٍ ، يُفَضِّلُهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَهَمَّ عَلِيٌّ بِقَتْلِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَقْتُلُ رَجُلًا إِنَّمَا أَجَلَّكَ وَفَضَّلَكَ ؟ فَقَالَ: " لَا جَرَمَ لَا يُسَاكِنُنِي فِي بَلْدَةٍ أَنَا فِيهَا " ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ خُبَيْقٍ : فَحَدَّثْتُ بِهِ الْهَيْثَمَ بْنَ جَمِيلٍ ؛ فَقَالَ : لَقَدْ نُفِيَ بِبَلَدٍ بِالْمَدَائِنِ إِلَى السَّاعَةِ . انظر أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء جـ ٨ صـ ٢٥٣.

(٢) السيد علي الشهرستاني : وضوء النبي جـ ١ صـ ١٣١-١٣٢ بتصرف .

(٣) هو مرتضى العسكري ، وكتابه يسمى : (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى) ، يقع في مجلدين كبيرين .

(٤) سيف بن عمر التميمي الضبي الأسيدي : ويقال : البرجمي ، ويقال : السعدي الكوفي ، مصنف الفتوح ، والردة ، وكان يضع الحديث ، واتهم بالزندقة ، قال الذهبي : سيف بن عمر ضعفه ابن معين وغيره . انظر الذهبي : الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، ط دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة ، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م جـ ١ صـ ٤٧٦. أبو الوفا الحلبي : الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث ، تحقيق : صبحي السامرائي ، ط مكتبة النهضة العربية – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م صـ ١٣١.

(٥) السيد مرتضى العسكري : عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى ، ط دار الزهراء – بيروت ، ط٦ ، ١٤١٢هـ /١٩٩١م جـ ١ صـ ١٢.

(٦) المرجع السابق جـ ٢ صـ ١٧٣- ١٨٠ بتصرف.

عن ابن سبأ جاء عن رجل كذاب هو : سيف بن عمرو التميمي ، الذي أجمع الناس على تكذيبه [١] .

القول الثالث : قول وسط (إثبات الشخصية وإنكار بعض العقائد المنسوبة إليه) :

حاول بعض العلماء أن يجمع بين القولين ؛ فأقر بوجود شخصيتين بهذا الاسم جمعاً بين الأدلة أولهما : أحرقه أمير المؤمنين بالنار ، والآخر نفاه إلى المدائن [٢] ، وهذا فيه تعسف .

وغيره يقول بأنه رجل واحد ، ولكن يضعّف بعض حديثه ؛ فينكر بعض العقائد التي نسبت إليه فيقول :" عبد الله بن سبأ المعروف ضعيف ، ولكن في بعض ما قيل فيه ، ورويَّ عنه "[٣] .

ويرد عليهم علماء السنة بأنه : هو مؤسس فرقة من الروافض [٤] تسمى السبئية ، تنسب إليه ويتفقون مع من يقول : بأن الإمام علي حرقهم بالنار[٥].

وجاء عن علي – رضي الله عنه – أنه قال لعبد الله بن سبأ : " ويلك ما أفضى إلي رسول – ﷺ – شيئا كتمه أحداً من الناس ، ولقد سمعته يقول : إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً ، وإنك لأحدهم " [٦] ، وهنا لابد من الإشارة إلى ضعف القول : بأن الإمام علي حرق ابن سبأ بالنار لأسباب منها :-

١- أن أحاديث النفي للمدائن أصح سنداً من أحاديث الحرق بالنار [٧].

٢- حين بلغ عبد الله بن سبأ خبر مقتل علي – رضي الله عنه – قال لمن أخبره : " كذبت ، لو أتيتنا بدماغه في سبعين صُرة ما صدقناك ، وأقمت على قتله سبعين عدلاً ، لعلمنا أنه لم يمت ، ولم يقتل ، ولا يموت حتى يملك الأرض " [٨] .

٣- الأحاديث الدالة صراحة على وجود عبد الله بن سبأ ، لم نجدها في المصادر الشيعية إلا في كتاب واحد[١] ، وجميع من نقل نقلوا عن هذه الروايات .

---

(١) السيد مرتضى العسكري : أحاديث أم المؤمنين عائشة أدوار من حياتها ، ط صدر ، نشر التوحيد – قم ، ط٥ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م صـ ١٠-١١ بتصرف .

(٢) الفضل بن شاذان : الإيضاح ، تحقيق : جلال الدين الحسيني ، نشر مؤسسة انتشارات – طهران ، ط١ ، ١٣٥١ش صـ ٤٧٧ .

(٣) الميرزا جواد التبريزي : صراط النجاة ، ط مهر – قم ، ط١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م جـ ٢ صـ ٥٦٥ .

(٤) يقصد بالروافض : غلاة الشيعة الذين دعوا علياً من دون الله . ابن العطار : الاعتقاد الخالص صـ ٢١٨.

(٥) الإمام الشوكاني : نيل الأوطار ، نشر دار الجيل – بيروت ، ط١ ، ١٩٧٣م جـ ٨ صـ ٦ بتصرف .

(٦) في سنده مجهول . انظر الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل : السنة ، تحقيق : د محمد سعيد القحطاني ، نشر دار ابن القيم – الدمام – السعودية ، ط١، ١٤٠٦هـ جـ ٢ صـ ٥٦٥-٥٦٦

(٧) أبو الحسن الرازحي : توضيح النبأ صـ ٨٥ .

(٨) النوبختي : فرق الشيعة ، ط المكتبة الحيدرية – النجف – العراق ، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م صـ ٨٥ .

٤- كتب السنة التي بينت إحراق الإمام علي – رضي الله عنه – لبعض أتباع عبد الله بن سبأ ، لم يأت نص يصرح بحرقه معهم .

٥- وكل الروايات التي ذكرت يهوديته ، وتحريضه على الفتنة ، رويت عن رجل كذاب وضاع يسمى : " سيف بن عمر التميمي " .

فجملة القول : إنه كان رجل في زمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام – غلا فيه ، فاستتابه أمير المؤمنين مع جماعة ممن تبعوه ، فلم يتوبوا ؛ فأحرقهم بالنار ، وانتهى أمرهم لكن بعدما كان لهم دورٌ بارزٌ في الفتنة ضد عثمان – رضي الله عنه – أولاً ، ثم في الفتنة بين الإمام علي ومعاوية – رضي الله عنهما – بالبصرة [٢] والكوفة ، ومصر ، والشام ، ووقعتي الجمل ، وصفين .

وفي أواخر القرن الثاني الهجري قام سيف بن عمر التميمي ، فنسج حول هذه الشخصية هالة كبيرة من الأكاذيب[٣] ، فجعله أسطورة من أساطير الدنيا ، وأخذ جملة من عقائد الشيعة مثل الرجعة ، فنسبها له ، وبذلك جعل ابن سبأ هو الذي بذر بذرة التشيع اليهودي في عقائد الشيعة الأوائل ، مع أن معظم الروايات التي ذكرته لم تكن بسند صحيح ، ولا نحب أن ندخل في جدل عقيم لن نصل فيه لنتيجة [٤] .

القول المختار في عبد الله بن سبأ :

يرى الاحث : أن عبد الله بن سبأ شخصية حقيقية باعتراف كثير من الشيعة ، وأهل السنة ، فلا يضر إنكار بعض الكتاب المتأخرين وجود هذه الشخصية الخبيثة .

ونرد على القول بإنه من إبداع " سيف بن عمر التميمي " ؛ لانتقاد بعض علماء الرجال له ، ولكن هناك أحاديث عن ابن سبأ ليست من رواية سيف بن عمر ، هذا غير الروايات التي ذكرته في كتب الشيعة ، وليس فيها سيف بن عمر ، لا من قريب ، ولا من بعيد [٥].

---

(١) الكتاب هو : اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي .

(٢) البصرة : بالعراق ، بنيت في خلافة عمر – رضي الله عنه – ١٤هـ ، واختط عتبة بن غزوان المنازل بها ، وبنى بها مسجداً ١٧هـ . محمد بن عبد المنعم الحِميري : الروض المعطار في خبر الأقطار صـ ١٠٥.

(٣) د عبد العزيز صالح الهلابي : عبد الله بن سبأ دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة ، ط صحارى – لندن ، ١٩٨٩م صـ ٧٣ . د سعد الهاشمي : ابن سبأ حقيقة لا خيال ، ط مكتبة الدار – المدينة المنورة – السعودية ، ط١ ، ١٤٠٦هـ صـ ٧٦ .

(٤) د إبراهيم بيضون : عبد الله بن سبأ إشكالية النص والدور الأسطورة ، نشر دار المؤرخ العربي – بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م صـ ١١٥ – ١١٨ بتصرف .

(٥) د علي الصلابي : حقيقة الخلاف بين الصحابة ، نشر مؤسسة اقرأ – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م صـ ١٥- ١٦.

وإننا حين نثبت وجود هذه الشخصية ، بل وفرقة السبئية[١] المتأثرة به ، نجدها في أكثر من موضع في علوم كثيرة منها الأدب ، فيقول بعض الأدباء متحدثاً عن وقعة الجمل ، وما فيها من أحداث : " والسبئية أمامهم يخافون أن يجري الصلح " [٢] ، ويقول :" فخاض في ذلك السبئية ، وطعنوا على عليّ من وراء وراء ، وطعنوا فيه أيضاً حين نهاهم عن أخذ أموالهم ؛ فقالوا : يحل لنا دماءهم ، ويحرم علينا أموالهم ، قال : وأراد علي – رضي الله عنه– المقام بالبصرة ؛ لإصلاح حالها ، فأعجلته السبئية عن المقام ، فإنهم ارتحلوا بغير إذنه ، فارتحل في آثارهم ؛ ليقطع عليهم أمراً إن أرادوه [٣] ، وقال الشاعر :

شهدت عليكم أنكم سبئية . . . وإني بكم يا شرطة الشرك عارف [٤].

ويمكننا أن نثبت تأثيره على المعتقد الشيعي ، بنقل كلام بعض محققيهم حيث يقول :" السبئية هم : أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي ، الذين انخدعوا بدعايته ، ومذهبه "[٥].

ويقول آخر:" وهو أول من أظهر الغلو في علي – رضي الله عنه – ، في أيام علي ، حين وقف له أمام المنبر ، وقال له : أنت الله ؛ فنفاه ، وحرق بعض أتباعه بالنار"[٦].

و يعترف أحد كتابهم بهذا التأثير ؛ فيقول بعدما ذكر آراءه الخبيثة : " فرجع بعد موت الإمام علي – رضي الله عنه – ، واستمال قوماً من أهل الكوفة إلى سب الصحابة – رضي الله عنهم – ؛ فبقى في الروافض إلى الآن" [٧].

وقد اتفق القدماء من أهل السنة والشيعة على السواء : على اعتبار ابن سبأ حقيقة واقعية ، وشخصية تاريخية ، فكيف ينفى ما أجمع عليه الفريقان ؟! .

وتعترف كتب الشيعة بأن ابن سبأ هو أول من قال بالوصية لعلي ورجعته ، وطعن في الخلفاء الثلاثة والصحابة ، وهي آراء وعقائد أصبحت فيما بعد من أسس المذهب الشيعي، وذلك حينما

---

(١) ابن بطة : الإبانة الكبرى جـ ١ صـ ٣٨٤.

(٢) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م جـ ٢٠ صـ ٤٢ .

(٣) المرجع السابق : جـ ٢٠ صـ ٥١ .

(٤) المرجع السابق : جـ ٢١ صـ ٣١ .

(٥) السيد علي الشهرستاني : وضوء النبي جـ ١ صـ ١٢٧ . الشوكاني : نيل الأوطار جـ ٨ صـ ٦ .

(٦) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ٥ صـ ٥ .

(٧) أبو الحسن الرازحي : توضيح النبأ صـ ١٠٣ نقلا عن البحر الزخار صـ ٣٩ ، وكتاب المنية والأمل صـ ٩٣-٩٤ ، كلاهما لأحمد بن يحيي المرتضي (المهدي).

صيغت هذه الآراء وغيرها على شكل روايات وأحاديث ، ونسبت لآل البيت – عليهم السلام – زوراً وبهتاناً ، فوجدت القبول لدى كثير من العوام وغيرهم ، ولاسيما العجم [1] .

أثر أتباع عبد الله بن سبأ على العقيدة الإسلامية : يظهر أثر هذا الخبيث في عدة نقاط :

أولا : تفرق شمل الأمة الواحدة بعد ظهورهم : عقدياً ، واجتماعياً ، وسياسياً ؛ فانتقلت الأمة من نصر إلى هزيمة ، ومن قوةٍ إلى ضعفٍ ، ويكفي أن قُتل بسبب هذه الفتنة : ذي النورين ، وعلي ، والزبير ، والحسن ، والحسين ، وغيرهم ممن تعرف أسمائهم أو لا تُعْرَفُ أسماؤهم لكن الله الذي خلقهم يعرف أسماءهم ، ويعرف أسماء من قتلهم ، وسيحاسبهم عليها يوم القيامة .

ثانيا : توقفت حركة الفتوحات الإسلامية التي بدأها أبو بكر ، وسار على نهجها عمر وعثمان – رضي الله عن الجميع – ، ولم تبدأ بعدها إلا في عهد بني أمية ، بعد الصلح في عام الجماعة ، الأمر الذي لم يعط الصحابة الفرصة – وهم ذوو الحماس الذي لا يُبَارى – في إكمال نشر الإسلام حتى آخر نفس من حياتهم المباركة ، تلك الروح المخلصة التي لم تكن لأسلافهم من الفاتحين المسلمين في العهود المتلاحقة .

ثالثا : محاولة إفساد العقيدة الإسلامية ، بإدخال معتقدات دخيلة عليها مثل : الوصية ، والرجعة ، والحلول [2] ، والتناسخ [3] وغيرها .

رابعا : ظهور كلمات : (الفسق ، والزندقة ، والتكفير) بين ألسنة هذه الفرق الإسلامية ، وظهور التعصب المذهبي ، والغلو في الدين ، مما شغل الكثيرين عن مواصلة طلب العلم ؛ فصرفت هَمماً كان الإسلام أولى بها في محاربة أهل الكفر بدلاً من أهل الإسلام .

---

(١) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ٧٢-٧٤.

(٢) الحلول : الزعم بأن الإله يحل في جسم أحد عباده ، أو أن اللاهوت يحل في الناسوت ، أو يحل جزء من ذاته على قدر استعداد الشخص ، فينطق بلسان الله ، ويبصر بعينه ، ويجيء الله ويذهب بأرجله ، ويفعل بجوارحه ، أو أن الله بذاته في كل مكان ، والحلول نوعان : الحلول السرياني : وهو عبارة عن اتحاد جسمين بحيث يكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر ؛ كحلول الماء في الورد . والحلول الطرياني أو الجواري : وهو كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر ، كحلول الماء في الكوز . انظر الشهرستاني : الملل والنحل صـ ٢٧٣ – ٣٧٤. ابن العطار : الاعتقاد الخالص هامش صـ ١٠٤ بتصرف .الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٢ صـ ٣٧ – ٣٨ .

(٣) التناسخ : تناسخ الأرواح في الأجساد ، وانتقالها من شخص إلى شخص ، وما يلقى من الراحة ، والتعب ، والدعة ، والنصب ؛ فمرتب على ما أسلفه الإنسان قبل وهو في بدن آخر ؛ جزاءً على ذلك ، والجنة والنار في هذه الأبدان ، وأعلى عليين هي درجة النبوة ، وأسفل سافلين هي درجة الحية ، ومنهم من يقول : الدرجة الأعلى درجة الملائكة ، والأسفل درجة الشيطانية ، وما من ملة من الملل إلا وللتناسخ فيها قدم ، وإنما تختلف طرقهم في تقريره . الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ١٨٢. الشهرستاني : الملل والنحل صـ ٢١٤. الشيخ محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية صـ ٤١ .

خامسا : ظهور التشكيك في القرآن ، وهو دستور الأمة ؛ فالمخالفون للقرآن لا يجدون بُدَّاً من التقول عليه بالتحريف ، وتعطيل[1] النصوص ، وقلة فهم مفسريه ، وتحميل النصوص ما لا تحتمل ، ودس الضعيف في التفسير لخدمة معتقدهم الباطل ، واتهام الصحابة – وهم خير القرون – بالتحريف ، واتهام عثمان – رضي الله عنه – بحرق المصاحف ؛ ليُحَرّف القرآن [2] ، مما حدا بكثير من المسلمين إلى الخروج عن هدي القرآن ؛ بناء على التشكيك فيه .

سادساً : ظهور الدس في السنة ، واتهام الصحابة في رواياتهم بالكذب ، وسبهم ، وتقليل قدرهم في نفوس الأمة ، وهم نقلة الدين ؛ وسبب ذلك : أنهم لم يعطوا الولاية لعلي – رضي الله عنه – بعد رسول الله – ﷺ – ؛ مما حدا الشيعة إلى القول بتحريف القرآن بأيدي الصحابة ؛ ليخفوا الآيات التي فيها ولاية علي ، مما أدى إلى خلق روح العداء لهذه الثُلة المباركة ، الذين مدحهم الله في القرآن ، وزكاهم الرسول العدنان ، وأجمع أهل السنة بل الأمة من غير الشيعة على حبهم والترضي عليهم ، والاعتراف بأنهم خير الناس بعد الأنبياء ، نسأل الله أن يحشرنا معهم .

سابعا : محاولة نقل المعتقد اليهودي : القائل بمساواة أقوال الأحبار وعلماء التلمود[3] للتوراة ، أو بمعنى آخر : مساواة العقل البشري للوحي الإلهي في التشريع ، إلى العقيدة الإسلامية ، ففي الكلمة المشهورة التي قيلت يوم الخروج على علي – رصي الله عنه : (لا حكم إلا لله) ، دليل واضح على ذلك فهي كلمة حق يراد بها باطل ، إذ كيف نعلم حكم الله بعد موت أمين وحيه رسوله – ﷺ – وقد انقطع الوحي إلا عند الشيعة ، وهنا بدأ يقال : على حكم الحكمين حكم الله ، والتي كانت طريقاً لدخول الآراء في العقيدة الإسلامية ، والقول بالدليل العقلي مع الدليل النقلي ، فظهرت بذلك الفرق الكلامية التي ملأت ساحة العقيدة بقيل وقال ، وكثرة السؤال ، فتشوه وجه العقيدة الصافية ، وملئت بالغث والسمين ، ولكن الله قيض لهم أئمة الهدى ، ومصابيح الدجى يذبون عن عقيدتهم ، ويردون ضالهم ، ويظهرون عوار مخالفيهم ؛ بالحكمة والموعظة الحسنة ، فنسأل الله لهم المغفرة ، وأن يجمعنا بهم على خير خاتمة[4] .

---

(١) التعطيل : لغة الفراغ ، والخلو ، والترك ، والمراد به : إنكار حقيقة النص سواء كان كلياً أم جزئياً ، ومن أمثلته نفي حقيقة الصفات الواجبة لله تعالى ، أو القول : بأنه سميع بلا سمع ونحوه . ابن العطار : الاعتقاد الخالص ، هامش صـ ١٢٣ – ١٢٤ بتصرف .

(٢) ومن نافلة القول : إن هذا الاتهام هو اتهام للمجتمع المسلم كله في زمن الصحابة ، فإنك حين تقرأ سبب نسخ المصحف في عهد عثمان تجد : أنهم كاد يقتل بعضهم بعضاً من أجل قراءة اختلفت قراءاتهم لها ، فما بالك بمن أراد أن يحرف كتاب ربهم كله !.

(٣) التلمود : مجموعة التعاليم والتقاليد اليهودية المنقولة شفهياً عن رجال الدين . المعجم الوسيط صـ ٨٧.

(٤) د نادية صقر : السبئية أخطر الحركات الهدامة في صدر الإسلام ، ط مكتبة النهضة – القاهرة ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م صـ ١٠١ – ١٠٧ باختصار .

والذي يعنينا في بحثنا :" أن الدارس لتطور الفكر السياسي الإسلامي ، يلحظ أن دعاة كثيرين – وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ – اتخذوا لهم على مدى التاريخ ، هذه الوصية – يعني وصية النبي– ﷺ – لعلي مطية لتركيز نفوذ قادتهم السياسيين ، وصبغ هذه القيادة بالصبغة الدينية المقدسة ، بحيث لا ينقضي حكمهم مهما تكن ظروف الحياة بل والموت ، ففكرة الوصية إذاً ساعدت على تمكين الغلو وتقوية جذوره ، وبذلك يثبت أن من بين جذور التقديس أفكار عبد الله بن سبأ[١] ، وأنه يعد بأفكاره التي بثها نقطة تحول في تاريخ عقيدة المسلمين من التوسط والاعتدال إلى الغلو والتطرف والتقديس المذموم ، نسأل الله العافية .

بيان وجه التشابه بين السبئية وأهل الكتاب :

أجمع القدماء بلا استثناء على وجود فرقة السبئية ، وخالف في ذلك قلة من المعاصرين أكثرهم من الشيعة [٢]، وبنظرة سريعة لعقائد اليهود ، ومقارنتها بعقائد الشيعة الاثني عشرية نجد أن هناك تشابها واضحاً في معتقدات الملتين مثل :–

- الصراع الذي احتدم بين الفرق الإسلامية في الفترة ما بين قتل عثمان حتى تولي معاوية – رضي الله عنه – وما بعدها ، يشبه كثيراً النزاع الذي وقع بين الفرق اليهودية مما أثر سلبياً على مكانة القرآن والسنة في نفوس ، وعقائد الفرق الضالة .
- التشابه الواضح بين فكرة الوصية في المعتقد الشيعي ، بالوصية التي كانت من موسى لهارون وكذلك من موسى ليوشع بن نون[٣] – عليهم السلام – .
- التشابه بين كل من فكرة غيبة المهدي ، ورجعته ، وعقيدة رجعة المسيح عند النصارى ، ورجعة المسيح الموعود الذي سيبني هيكل سليمان عند اليهود ، بعد مملكة الألف سنة .
- فكرة تناسخ أرواح الأئمة ، وتناقل الوحي من كل إمام إلى من يليه ، ومبدأ حلول روح الله – تعالى الله عن قولهم – في جسد الإمام ، من أمثال قول ابن السوداء لسيدنا علي : أنت الله ، هي عقيدة اللاهوت والناسوت عند النصارى .

---

(١) رجب البنا : الشيعة والسنة واختلافات الفقه والفكر والتاريخ صـ ١٣٧ نقلا عن كتاب للدكتور : علي الشابي بتصرف .

(٢) د علي الصلابي : حقيقة الخلاف بين الصحابة صـ ١٥.

(٣) يوشع بن نون : نبي بعد موسى – عليه السلام – وهو غلام موسى في قوله تعالى :" قال موسى لفتاه ". الكهف : آية ٦٠، رد الله له الشمس ؛ لينتقم من أعداء الله . الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ١٦٢–١٦٣. البخاري : صحيح البخاري جـ ١صـ ٥٦ .

- فكرة أن الموت لا يلحق بعض الناس مهما طال بهم العمر ، من أمثال قول ابن السوداء لعلي أنه لم يمت ، ولو رأينا رأسه أمامنا ، ورجعته في آخر الزمان ، هي بنفسها فكرة بقاء كل من إلياس وفنحاس – عليهما السلام – حيين إلى اليوم ، وعودتهما آخر الزمان .
- قالت اليهود : لا يكون الملك إلا في آل داود – عليه السلام – ، وقالت الشيعة الخلافة لا تكون إلا في آل محمد– ﷺ– من أبناء علي – رضي الله عنه – وحده .
- قالت اليهود : لا جهاد حتى يخرج المسيح المنتظر ، وينادي مناد من السماء بإتباعه ، وقالت الرافضة : لا جهاد حتى يخرج المهدي المنتظر ، وينزل بسبب من السماء [(١)].
- اليهود حرفوا التوراة ، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن .
- اليهود يستحلون أموال الناس كلهم ، وكذلك الرافضة .
- اليهود يقولون ليس علينا في الأميين سبيل ، وكذلك الرافضة [(٢)].
- وهناك الكثير الذي تراه إذا أمعنت النظر أكثر لكن القليل يغني أحيانا عن الكثير.
- وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين : سُئِلَتْ اليهود : من خير أهل ملتكم ؟ قالوا أصحاب موسى ، وسئلت النصارى : من خير أهل ملتكم ؟ قالوا حواري عيسى . وسئلت الرافضة : من شر أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب محمد – ﷺ – [(٣)] ، ويؤيد هذا ما روي عن رسول الله – ﷺ – أنه قال لعلي – رضي الله عنه – :" مثلك مثل عيسى بن مريم أبغضته اليهود حتى بهتت أمه ، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها" [(٤)] .
- **<u>أقوال العلماء في أصل التشيع هل هو إسلامي أم له أصول أخرى :</u>**

اختلفت أنظار العلماء والباحثين في مرجع الأصول العقدية للتشيع ؛ فمن قائل بإنها ترجع لأصل يهودي، ومن قائل بإنها ترجع لأصل فارسي ، ومن قائل بإن المذهب الشيعي كان مباءة للعقائد الآسيوية القديمة كالبوذية [(٥)].

---

(١) د نادية حسني صقر : السبئية أخطر الحركات الهدامة في صدر الإسلام ص ٩٦ – ١٠١ بتصرف .

(٢) عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية ص ١٤-١٥ بتصرف .

(٣) المرجع السابق : ص ١٦-١٧ .

(٤) الشيخ آقا مجتبى العراقي : أهمية الحديث عند الشيعة ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤٢١هـ ص ١٤٠. السيد المرعشي : شرح إحقاق الحق جـ ٢٣ ص ١٥٢.

(٥) البوذية : أتباع بوذا ، لها انتشار في الشعوب الآسيوية ، ظهر في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد ، وكانت في البداية تناهض الهندوسية ، وفيها دعوة إلى التصوف ، ونبذ الترف ، والمناداة بالمحبة ، والتسامح ، وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة بطابع وثني ، حتى ألَّهو مؤسسها ، وتتباين عقائدهم ؛ فتجعل البوذية اليابانية : "بوذا" جوهراً إلهاً حالاً في الكون ،

القول الأول : أن التشيع أصله يهودي :

ويؤيد هذا: الادعاء بأن ابن سبأ كان أول من قال بالنص ، والوصية ، والرجعة ، وهو يهودي عند من يثبت وجوده ، وهذه الآراء صارت من أصول المذهب الشيعي ، ولهذا أشار القمي ، والنوبختي ، وغيرهما ، وهم من شيوخ الشيعة القدامى إلى هذا ، وذلك حينما استعرضوا آراء ابن سبأ ، واعترفوا فقالوا : " فمن هنا قال من خالف الشيعة : إن أصل الرفض كان مأخوذاً من اليهودية" [1] أي : بسبب أقوال عبد الله بن سبأ اليهودي .

ويدعم هذا القول أيضاً : وجود تشابه في الأصول الفكرية بين اليهود والشيعة ، قال أحد السلف : أحذركم الأهواء المضلة ، وشرها الرافضة ، وذلك أن منهم يهوداً يغمصون الإسلام ، وآية ذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود : قالت اليهود : لا تصلح الإمامة إلا لرجل من آل داود ، وقالت الرافضة : لا تصلح الإمامة إلا لرجل من ولد علي بن أبي طالب ، وقالت اليهود : لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال وينزل سبب من السماء ، وقالت الرافضة : لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينادي مناد من السماء ... واليهود : حرفوا التوراة ، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن ، واليهود: يبغضون جبريل – عليه السلام – ، ويقولون : هو عدونا من الملائكة ، وكذلك صنف من الرافضة يقولون : غلط بالوحي إلى محمد ﷺ [2] . ومن إحقاق الحق لم أجد هذا القول فيما طالعت من كتب الشيعة ؛ فيبدوا أنه قول شاذ .

وقالت الرافضة واليهود : إن إلياس وفنحاس بن أليعازار بن هارون[3] – عليهما السلام – أحياء إلى اليوم" [1] ، وقالوا : بالرجعة ، وقالت الشيعة : إن النار محرمة على الشيعي إلا قليلاً ، كما قالت اليهود : " لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً " [2] .

وبوذية الهند : لا إله لها ، وبوذية الصين : مالت إلى الاعتقاد بكائن مطلق ؛ يتمثل في شخصيات مختلفة بوذا منها . انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، اعداد ونشر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي – السعودية ، دت جـ ١ صـ ١٤٢ .

(١) السيد سامي البدري : شبهات وردود ، ط صدر – قم ، ط٢ ، ١٤١٧هـ جـ ٣ صـ ١٣٦. النوبختي : فرق الشيعة صـ ٤٣-٤٤. الشيخ محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية صـ ٣٦.

(٢) إسناده لا يصح ، ولكن الأمور المذكورة واقعة من الرافضة . الخلال : السنة جـ ٣ صـ ٤٩٦ – ٤٩٨.

(٣) فنحاس بن أليعازار بن هارون : وصي يوشع بن نون – عليه السلام – صاحب السرادق ، والكاهن الأكبر عند اليهود ، والتوراة عنده لا عند أحد غيره خمساً وعشرين سنة ، وطائفة من اليهود عظيمة يزعمون أنه حي إلى اليوم ، ويقول أهل الإنجيل أن اسمه : فينحاس ، ومعناه : فم الحية أو فم النحاس ، وعقيدة بقاءه حياً عند النصارى جاءت في رؤيا يوحنا اللاهوتي قال :"كن أميناً الى الموت فساعطيك إكليل الحياة " وفي المزامير : " فوقف فينحاس ودان فامتنع الوباء ، فحسب له ذلك براً إلى دور فدور إلى الأبد " . انظر ابن حزم : رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ، تحقيق : د . إحسان عباس ، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧م جـ ٢

كما ظهر أثر النصرانية في التشيع في قول بعضهم : إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه " [٣] ، وظهرت أيضاً في : وصف الأئمة أنهم كلمة الله ، قال الله تعالى :" إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ " [٤] .

القول الثاني : يقرر بعض العلماء : أن التشيع نزعة فارسية :

قال بعض العلماء والباحثين أن أصل التشيع فارسي ، وأن الشيعة نقلت بعض عقائد الفرس إلى عقيدتهم ، ويؤكد ذلك عدة أسباب منها :

الأول : أن الفرس كانت من سعة الملك ، وعلو اليد على الأمم ، وجلالة الخطر في أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم : الأحرار والأسياد ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب ، وكانت العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً ، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى ، وفي كل ذلك يظهر الله الحق ، فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الإسلام ، واستمالوا أهل التشيع ، بإظهار محبة أهل البيت وتقديسهم ، واستبشاع ظلم علي – بزعمهم – ثم سلكوا بهم مسالك ، حتى أخرجوهم عن طريق الهدى [٥] .

الثاني: أن العرب تدين بالحرية ، والفرس يدينون بالملك والوراثة في البيت المالك ، ولا يعرفون معنى الانتخاب للخليفة ، وقد انتقل النبي – ﷺ – إلى الرفيق الأعلى ، ولم يترك ولداً ، فأولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب ، فمن أخذ الخلافة كأبي بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم – ، فقد اغتصب الخلافة من مستحقها ، وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى التقديس ، فنظروا هذه النظرة نفسها إلى علي – رضي الله عنه – وذريته ، وقالوا : إن طاعة الإمام واجبة ، وطاعته طاعة الله – سبحانه وتعالى – [٦] .

صـ ٢٠٩. الحافظ ابن عساكر : تاريخ دمشق جـ ٥٠ صـ ٨ . الكتاب المقدس : سفر الخروج ٦/ ٢٥ صـ ٩٤ ، رؤيا يوحنا ٢/١٠ العهد الجديد صـ ٣٩٦. مزمور : ١٠٦ / ٣٠ صـ ٩٠٨.

(١) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ٥ صـ ٣٧.

(٢) سورة البقرة : آية رقم ٨٠.

(٣) د أحمد أمين : فجر الإسلام صـ ٢٧٦.

(٤) سورة النساء : آية رقم ١٧١.

(٥) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ٢ صـ ٩١ بتصرف .

(٦) د أحمد أمين : فجر الإسلام صـ٢٧٧ بتصرف .

الثالث : كثير من الفرس دخلوا في الإسلام – وهم حسنوا النية – ، ولم يتجردوا من كل عقائدهم السابقة ، التي توارثوها أجيالاً ، وبمرور الزمان صبغوا آراءهم القديمة بصبغة إسلامية ، فنظرة الشيعة إلى علي وأبنائه تشبه نظرة آبائهم الأولين إلى الملوك الساسانيين الذين حكموهم في مملكة الفرس التي أزالها سلطان المسلمين .

لذلك صرح بعضهم فقال : " نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية [١] حول الملك والوراثة ، والتشابه بين مذهبهم ونظام الملك الفارسي واضح ، ويزكي هذا أن أكثر أهل فارس من الشيعة ، وأن الشيعة الأولين كانوا من فارس" [٢].

الرابع : حينما فتح المسلمون بلاد الفرس تزوج الحسين بن علي – رضي الله عنه – ابنه يزدجرد أحد ملوك الفرس ، بعدما جاءت مع الأسرى ، فولدت له علي بن الحسين ، وقد رأى الفرس في أولادها من الحسين وارثين لملوكهم الأقدمين ، ورأوا أن الدم الذي يجري في عرق علي بن الحسين وفي أولاده دم إيراني من قبل أمه ابنة يزدجرد ، وهي من سلالة الملوك الساسانيين المقدسين عندهم [٣].

ويزكي هذه النزعة أنه لم يكن للحسين بن علي – رضي الله عنه – عقب إلا من علي بن الحسين – رحمه الله – ابن بنت ملك الفرس المقدس .

الخامس : تلمح الأصل الفارسي أيضاً في روايات عديدة عند الاثني عشرية ، مثل تفرد سلمان الفارسي – رضي الله عنه ، وبرأه الله مما يفترون – بخصائص وصفات فوق مرتبة البشر، حيث جاء في أخبارهم : "أن سلمان باب الله في الأرض ، من عرفه كان مؤمناً ، ومن أنكره كان كافراً"[٤] ، ثم وصف سلمان بأوصاف اطلقوها على أئمتهم ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" كان والله عليٌّ – عليه السلام – محدثاً[٥] ، وكان سلمان محدثاً ، يبعث الله إليه ملكاً ، ينقر في أُذُنِه ، يقول كيت وكيت ، و" قيل للصادق – عليه السلام – : أكان سلمان محدثاً ؟ قال : نعم ، قيل : من يحدثه ؟ قال : ملكٌ كريم" [٦] .

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية صـ ٣٥ – ٣٦.

(٢) المصدر السابق جـ ١ صـ ٣٨.

(٣) د محمد النشار : نشأة الفكر الفلسفي جـ ٢ صـ ١١.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٣٧٤. السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ٧ صـ ٢٨٥.

(٥) المحدث : الملهم الذي يلقى في نفسه شيء ، فيخبر به حدساً وفراسةً ، وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء ؛ مثل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – . ابن العطار : الاعتقاد الخالص ، هامش صـ ٣٠٤ بتصرف . البيهقي : شعب الإيمان جـ ٧ صـ ٤٨٨.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٣٥٠. السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ٧ صـ ٢٨٧.

وهذه الرواية تثبت الوحي لسلمان ، كما أثبتوا له العلم الكامل ؛ كما رووا :" سلمان أدرك علم الأول وعلم الآخر"[1] ، بل شارك الأئمة في أنه سبب الرزق ؛ فأن سلمان أحد الشيعة الذين : " بهم ترزقون ، وبهم تنصرون ، وبهم تمطرون"[2].

بل بلغ الغلو ببعض الفرق الشيعية أن قالت بتأليه سلمان ، وقد وجدت هذه الفرقة في عصر أبي الحسن الأشعري ، وأشار إليها في مقالاته حيث قال : "وقد قال في عصرنا هذا قائلون بألوهية سلمان الفارسي" [3] .

وقد تكون هذه الروايات في كتب الاثني عشرية من آثار هذه الفرقة ، لأن كتب الاثني عشرية قد استوعبت معظم آراء الفرق الشيعية بكل ما فيها من شذوذ ، وبقاؤها في كتبهم قد يؤذن بخروج طوائف منها مرة أخرى [4] .

ومع كونهم رووا روايات في سلمان – رضي الله عنه – مثل ما جاء عن أبي عبد الله – عليه السلام – :" يا سلمان لو عرض علمك على المقداد لكفر ، يا مقداد لو عرض صبرك على سلمان لكفر" [5] ، وذكرت التقية يوماً عند علي بن الحسين – عليه السلام – فقال :" والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان [6] ؛ لقتله ، ولقد آخى رسول الله – ﷺ – بينهما ، فما ظنكم بسائر الخلق" [7] ؛ بل قال أمير المؤمنين – عليه السلام – لأبي ذر – رضي الله عنه – :" لو حدثك سلمان بما يعلم ؛ لقلت : رحم الله قاتل سلمان " [8] .

بل نلحظ أن هناك اتجاهاً داخل الدوائر الشيعية لتعظيم بعض العناصر الفارسية ، التي شاركت في التآمر والكيد ضد دولة الخلافة الراشدة ، منها أبو لؤلؤة الفارسي المجوسي قاتل الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ، فقد أُطلق عليه عندهم "بابا شجاع الدين " ، واعتبروا يوم مقتل عمر – رضي الله عنه – بيد هذا المجوسي عيداً من أعيادهم [9] .

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٢ صـ ١٧٦. السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ٧ صـ ٢٨٧.

(٢) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ هامش صـ ٢٤٤. الشيخ المفيد : الاختصاص صـ ٥ .

(٣) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين صـ ١٣.

(٤) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية جـ ١ صـ ٨٦.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٣٥٣.

(٦) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٤٠١. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢ صـ ١٩٠.

(٧) يعني : من العلوم والأسرار ، وسبب القتل : الحسد والعناد . انظر مولى محمد المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٧ صـ ٥.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٣٧٣ – ٣٧٤.

(٩) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٥ صـ ١٩٩. عباس القمي : الكنى والألقاب ، نشر مكتبة الصدر – طهران ، دت جـ ٢صـ ٦٢.

كما يعظمون يوم النيروز ، كفعل المجوس[1] وقد اعترفت أخبارهم بأن يوم النيروز[2] من أعياد الفرس ، فهو يوم جليل القدر يستحب العمل الصالح فيه [3] .

ومنهم من يقول بأن المذهب الشيعي كان مباءة للعقائد الآسيوية القديمة :

ففي التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح ، وتجسيم الله ، والحلول ، ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة [4] ، والفلاسفة [5] ، والمجوس [6] ، والمانوية [7] .

الرأي المختار في أصل التشيع :

والذي يراه الباحث أن التشيع المجرد من دعوى النص والوصية ليس وليداً لمؤثرات أجنبية ، بل إن التشيع بلا غلو لآل البيت – عليه السلام – ، وحبهم : أمرٌ طبيعي ، وكذلك بلا تنقص أحداً من الصحابة – رضي الله عنهم – ، كما تفعل الفرق المنتسبة للتشيع ، وقد نما هذا الحب وزاد للآل – عليهم السلام – في قلوب أهل السنة والشيعة ، بعدما جرى عليهم من المحن والآلام بعد مقتل علي – رضي الله عنه – ، ثم الحسن والحسين – رضي الله عنهما – ، وهذا أمر لا ينكره إلا ناصب لأهل البيت العداء نعوذ بالله من أحوالهم .

---

(١) ابن إدريس الحلي : السرائر ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط٢ ، ١٤١٠هـ جـ ١ ص ٣١٥.

(٢) يوم النيروز : بالفتح ، وسكون الثاني ، والراء المهملة المضمومة ، معرب نوروز ، أوّل يوم في السَّنة الشَّمسيّة عند الفُرس ، ويوافق يوم ٢١ مارس ، وهو بدء فصل الربيع ، وعيد النيروز أكبر الأعياد القوميّة للفرس ، وهو عيد الربيع عندهم ، اعلم أنه نيروزان . نيروز المجوس . ونيروز السلطان . د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٣ ص ٢٣١٢. الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٣ ص ٢٩٥.

(٣) ابن فهد الحلي : المهذب البارع في شرح المختصر النافع ، تحقيق : الشيخ مجتبى العراقي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ١٤١٧هـ جـ ١ ص ١٩٢. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥ ص ٢٣٧.

(٤) البراهمة : المنتسبون إلى براهم ملك الفرس ، يقرون بالله ، ويجحدون الرسل ، ويقولون : باستحالة النبوة عقلاً ، ولهم كتاب : الفيدا ، أي : علم الغيب عن طرق الدين ، وبه معارف ، وطقوس ، وأناشيد . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ص ٤٥٠ – ٥٤٢.

(٥) الفلاسفة : دراسة المبادئ الأولى ، وتفسير المعرفة تفسيراً عقلياً ؛ للتشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية في الإحاطة بالمعلومات ، والتجرد عن الجسميات ؛ لتحصيل السعادة الأبدية ، كما في الحديث ' تخلقوا بأخلاق الله ' أي تشبهوا به ، فغاية الحكيم : أن يتجلى له نظام الكون ؛ فيقدر على ذلك مصالح العباد ، والبلاد ، ومن فلاسفة الإسلام من يأخذ علمه من مشكاة النبوة . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ص ٢٧٦ – ٢٧٨ بتصرف . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ٣ ص ٣٢.

(٦) المجوس : عبدة النار ، يقولون بأصلين النور أزلي ، والظلمة محدثة ، وعقائدهم تدور على قاعدتين : بيان سبب امتزاج النور بالظلمة ، وبيان سبب خلاص النور من الظلمة ، وجعلوا الامتزاج مبدأ ، والخلاص معاداً . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٩٢– ١٩٤.

(٧) المانوية : أصحاب ماني بن فاتك ، كان مجوسياً ، ثم أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية ، فخالفته المجوس ، وسعت في قتله ، حتى قتله بهرام بن هرمز بن سابور بعد عيسى – عليه السلام – ، وبقي مذهبه في أتباعه ، والمانوية يؤمنون بأن العالم خلقه أصلان : النور ، والظلمة ، وإن النور الإله المحمود ، ويؤمنون ببعض الأنبياء مثل آدم ونوح . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ص ٢٠٦ – ٢١٠.

هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين ، فدخل الحاقدون من هذا الباب ، ذلك أن آراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم ؛ لتنمو وتنتشر إلا بعد تلك الأحداث .

لكن التشيع بمعنى عقيدة النص على عليّ ، والرجعة ، والبداء ، والغيبة ، وعصمة الأئمة ، وغيرها ، فلا شك أنها عقائد طارئة على الأمة ، دخيلة على المسلمين ، ترجع أصولها لعناصر مختلفة ؛ ذلك أنه قد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام وأهله ، وكل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام .

فدخل في التشيع أفكاراً أجنبية كما سيتبين في الدراسة الموسعة لأصولهم ؛ وهذا تصديق لما أخبر به النبي – ﷺ – : " لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لاَتَّبَعْتُمُوهُمْ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ اَلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، قَالَ : " فَمَنْ " [١] ، وهذا بعينه صار في المنتسبين للتشيع [٢].

والدراسات لعقيدة التشيع أكدت – بما لا يدع مجالاً للشك – بأن أصول التشيع مشتركة بين جميع الطوائف الشيعية ، وأن الاختلاف بين كل طائفة وأخرى شكلي لا جوهري ، بل هو أقل بكثير من الاختلاف الواقع بين أحد المذاهب الإسلامية وبين ما بقي منها ؛ ومع ذلك لم يمنعهم هذا من تكفير بعضهم البعض ؛ لأن الدين عند كل طائفة منهم رأي رجل ، والرجل الذي تتبعه هذه الطائفة تكفر بأقواله الطوائف الأخرى ، وتلعنها ، وتبرأ منها ، فهم أول من قسموا أنفسهم إلى شيعة غلاة ، وأنصاف غلاة ، ومعتدلين [٣] .

<u>ما تختص به الشيعة الاثنا عشرية دون غيرهم من فرق الشيعة :</u>

من خصائص الإمامية التي خصوا أنفسهم بها دون غيرهم – على حسب رواياتهم المعتمدة – عقائد منها : { القول بالرجعة ، والمتعة ، تحليل تربة الحسين – رضي الله عنه ، والاستشفاء بها ، إيجاب الخمس في أرباح التجارات ، والصناعات ، والزراعات ، واستحباب إتمام الصلوات للمسافر عند قبر النبي – صلى الله عليه وآله – ، وعند قبر الحسين ، والبراءة من الطواغيت ، والإقرار بالولاية ، وتحريم الجري ، وترك المسح على الخفين ، وتعفير الجبين ، وصلاة الإحدى والخمسين[٤] ، وزيارة الأربعين[٥] ، والتختم باليمين ، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم } [١] .

---

(١) البخاري : صحيح البخاري جـ ٣ صـ ١٢٧٤. مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ٢٠٥٤. الإمام أحمد : المسند جـ ١٤ صـ ٨١ .

(٢) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ ٤ صـ ١٤٧ .

(٣) إبراهيم الجبهان : تبديد الظلام وتنبيه النيام ،ط دار الشعب – القاهرة، نشر المجمع العلمي – جدة ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م صـ ٢٠.

(٤) صلاة الإحدى والخمسين : صلاة ركعتين بعد العشاء . انظر الشريف المرتضى : الانتصار صـ ١٩٥ .

(٥) زيارة الأربعين : زيارة القبور عند ارتفاع النهار يوم الأربعين . انظر الشيخ الطوسي : مصباح المتهجد صـ ٧٨٨ .

أقوال أهل البيت في الشيعة :

ونختم الفصل بما قاله أئمة أهل البيت – عليهم السلام – عن شيعتهم ، لنبين حقيقة مقال السلف : إن الشِّيعَةُ أَفْرَطَتِ فِي حُبِّ عَلِيٍّ (٢) ، بل ومنعت السلف الصالح من ذكر فضائل علي – رضي الله عنه – (٣) ؛ ليصبحوا دائماً الفرقة المظلومة لكسب تعاطف الناس معهم .

فيخاطب عليٌّ – عليه السلام – أتباعه من الشيعة فيقول :" أيها الشاهدة أبدانُهم ، الغائبةُ عقولُهم ، المختلفةُ أهوائُهم ، المبتلى بهم أمراؤُهم ، صاحبُكم يُطيعُ الله ، وأنتم تعصونَه ، وصاحبُ أهل الشام – يعني معاوية رضي الله عنه – يعصي الله ، وهم يطيعونه ، لوددت أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم ، فأخذ مني عشرة منكم ، وأعطاني رجلاً منهم ، يا أهل الكوفة منيت بكم بثلاث واثنتين : صمٌّ ذوو أسماع ، وبكمٌ ذوو كلام ، وعميٌ ذوو أبصار ، لا أحرارُ صدقٍ عند اللقاء ، ولا إخوانُ ثقةٍ عند البلاءِ ، تربت أيمانكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها ، كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب آخر (٤) .

وقال أيضاً عن شيعته : " لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واصفة ، ولو امتحنتهم ؛ لما وجدتهم إلا مرتدين ، ولو تمحصتهم ؛ لما خلص من الألف واحد ، ولو غربلتهم ؛ لم يبق منهم إلا ما كان لي ، إنهم طالما اتكئوا على الأرائك ، فقالوا : نحن شيعة علي ، إنما شيعة علي : من صدق قوله فعله "(٥) ، ومعنى واصفة : أي واصفين أنفسهم بالتشيع ، وتمحصتهم تعني : اختبرتهم بالبلايا والمحن (٦) ، وعنه قال :" تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، شرها فرقة تنتحل حبنا ، وتفارق أمرنا "(٧) ، وفي رواية :" ألا إني منيت بمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت (٨) ، وقال أيضاً :" والله إن جاءني الموت لتجدنني لصحبتكم قالياً ، ألا دين يجمعكم ؟ ألا حمية

---

(١) حسن بن سليمان الحلي : المحتضر ، تحقيق : سيد علي أشرف ، ط شريعت ، نشر انتشارات المكتبة الحيدرية – قم ، ١٤٢٤هـ / ١٣٨٢ش ص ٣٣ – ٣٤ بتصرف .

(٢) أبو نعيم : حلية الأولياء جـ ٦ صـ ٣٥٨ ، من قول الفضيل بن عياض – رحمه الله – .

(٣) أبو نعيم : حلية الأولياء جـ ٧ صـ ٢٧ ، من قول سفيان الثوري – رحمه الله – .

(٤) خطب الإمام علي : شرح نهج البلاغة ، جمع : السيد الشريف الرضي ، شرح : الشيخ محمد عبده ، ط النهضة ، نشر دار الذخائر – قم ، ط١ ، ١٤١٢هـ / ١٣٧٠ش جـ ١ صـ ١٨٨-١٨٩. الطوسي : الخلاف ، تحقيق : السيد علي الخراساني وآخرون ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ جـ ٥ هامش صـ ٢٢٧.

(٥) الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ صـ ٢٢٨.

(٦) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١٢ صـ ٣٠٥.

(٧) أبو نعيم الأصفهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ٥ صـ ٨ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٤ صـ ٣٢.

تغيظكم ؟ ألا تسمعون عدوكم ينتقص بلادكم ، ويشن الغارات عليكم ؟ أدعوكم فتعصونني ، وتخالفونني ! [١] .

وخاطبهم يوماً فقال :" وإنما أنتم إخوان على دين الله ، ما فرق بينكم إلا خبث السرائر ، وسوء الضمائر ، فلا تتزاورون ، ولا تتناصحون ، ولا تباذلون ، ولا توادون [٢] .

ثم يعلنها مدوية فيقول :" قد كثرت عليَّ الكذابة "، بل " وقد كذِبَ على رسول الله – صلى الله عليه وآله –" [٣] ، " وإنا أهل البيت الصادقون لا نخلو عن كذابٍ يكذبُ علينا " [٤] .

وهذه أقوال العالم بهم ، الخبير بأحوالهم ، من جربهم وابتلي بهم ، كيف بهؤلاء إذا سمعوا حديث يوم الحديبية : " إِنَّ عُرْوَةَ [٥] جَعَلَ يَرْمُقُ النَّبِيَّ – ﷺ – بِعَيْنِهِ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ؛ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ ؛ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا ؛ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ ؛ تَعْظِيمًا لَهُ ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : أَيْ قَوْمِ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ ، وَكِسْرَى ، وَالنَّجَاشِيِّ ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا – ﷺ – "[٦].

ثم يأتي اليوم الذي نسمع فيه من وصفهم علي – رضي الله عنه – بصفات الذم ، والجبن ، والخذلان التي مضى ذكرها ، يكفرون ، ويلعنون ، مَنْ هذه أعمالهم مع نبيهم – ﷺ – فأين المنصفون من الشيعة ؟ ليروا هذا البون الشاسع بين أصحاب النبي – ﷺ – الذين آووه ونصروه ، ونقلوا دينه للآفاق ، حتى فتحوا فارس نفسها ، وأصحاب علي – رضي الله عنه – الذين تركوا نصرته ، وخانوا عهوده ، وسبوا أحبابه من أصحاب النبي – ﷺ – الذين نقلوا الدين لهم ، وتعلموا الدين من علمائهم ، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ؟ والله غفور رحيم .

---

(١) المصدر السابق : جـ ٣٣ صـ ٥٦٤.

(٢) خطب الإمام علي : شرح نهج البلاغة جـ ١ صـ ٢٢٢. الشيخ هادي النجفي : موسوعة أحاديث أهل البيت ، نشر دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م جـ ١٢ صـ ١٣٤.

(٣) الكليني : الكافي جـ١ صـ ٦٢. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٨ صـ ١٥٣. المحقق النراقي : عوائد الأيام صـ ٤٧٠.

(٤) الشيخ المفيد : الاحتجاج جـ ٢ صـ ٢٦٤. المحقق النراقي : عوائد الأيام صـ ٤٧٠.

(٥) عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ : صحابي مشهور ، عَمُّ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ – ﷺ – دَاعِيًا إِلَى الطَّائِفِ ، فَقَتَلُوهُ بَعْدَ مَقْفَلِهِ مِنْ حُنَيْنٍ ٩هـ /٦٣٠م . انظر أبو نعيم الأصفباني : معرفة الصحابة جـ ٤ صـ ٢١٨٨ . الزركلي : الأعلام جـ ٤ صـ ٢٢٧.

(٦) الإمام أحمد : المسند جـ ٣١ صـ ٢٤٧ . البخاري : صحيح البخاري جـ ٢ صـ ٩٧٤. البيهقي : السنن الكبرى جـ ٩ صـ ٣٦٦.

وقيل للحسن بن علي – رضي الله عنه – : إن هذه الشيعة يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، فقال : كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة ، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ، ولا قسمنا ماله " [(١)].

وعن الحسين – عليه السلام – قال : " أرى والله أن معاوية خيرٌ لي من هؤلاء ، يزعمون أنهم لي شيعة ، ابتغوا قتلي ، وانتهبوا ثَقَلي [(٢)] ، وأخذوا مالي " [(٣)].

وها هي فاطمة الصغرى[(٤)] تقول :" يا أهل الكوفة ، يا أهل الغدر ، والمكر ، والخيلاء ، إنا أهل بيت ابتلانا الله بكم ، وابتلاكم بنا ، فجعل بلائنا حسناً ، فكذبتمونا ، وكفرتمونا ، ورأيتم قتالنا حلالاً ، وأموالنا نهباً ، كما قتلتم جدنا بالأمس ، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت ؛ لحقد متقدم ، قرت بذلك عيونكم ، وفرحت به قلوبكم ، اجتراءً منكم على الله ، ومكراً مكرتم ، والله خير الماكرين "[(٥)].

وقد ناداهم محمد بن الحنفية – رحمه الله – :" إِنَّا لَا نُحِبُّ اللَّعَّانِينَ ، وَلَا الْمُفَرِّطِينَ ، وَلَا الْمُسْتَعْجِلِينَ بِالْقَدَرِ"[(٦)] ، وقال ابن عباس بعد ذكر حديث فُرْقَةِ الأمَّة :" مِنْ أَضَلِّهَا ، وَشَرِّهَا ، وَأَخْبَثِهَا الشِّيعَةَ الَّذِينَ يَشْتِمُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – "[(٧)] ، وقال أيضاً :" كَلَامُ الْقَدَرِيَّةِ ، وَكَلَامُ الْحَرُورِيَّةِ ضَلَالَةٌ ، وَكَلَامُ الشِّيعَةِ هَلَكَةٌ "[(٨)] .

وعن الحسن بن الحسن – رحمه الله – أنه قال لرجل ممن يغلو فيهم :" ويحكم أحبونا لله ، فإن أطعنا الله ؛ فأحبونا ، وإن عصينا الله ؛ فأبغضونا ، فقال له رجل : إنكم قرابة رسول الله ، وأهل بيته ، فقال : ويحك لو كان الله مانعاً بقرابة من رسول الله أحداً بغير طاعة الله ؛ لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباه وأمه ، والله إني لأخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين ، وإني

---

(١) علي بن الجعد : مسند علي بن الجعد ، تحقيق : عامر حيدر ، ط مؤسسة نادر – بيروت ، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م صـ ٣٦٦.

(٢) ثقلي : أمتعة السفر ، وقد تكون بمعنى عيالي . انظر د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ١ صـ ٣٢١ .

(٣) أبو منصور الطبرسي : الاحتجاج ، تحقيق : محمد باقر الخرسان ، ط دار النعمان – النجف ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م جـ ٢ صـ ١٠. علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث الإمام المهدي ، ط بهمن ، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية – قم ، ط١ ، ١٤١١هـ صـ ١٦٦.

(٤) فاطمة الصغرى : فاطمة بنت علي بن أبي طالب ، أمها أم ولد ، من فضليات النساء ، كانت عند أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب ، ثم تزوجها سعيد بن الأسود بن أبي البحتري ، كانت تقول عن عمر بن عبد العزيز : فلو كان بقي لنا ما احتجنا بعده إلى أحد ، توفيت ١١٧هـ / ٧٣٥م . انظر الزركلي : الأعلام جـ ٥ صـ ١٣١.الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٥ هامش صـ ١٣١ .

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٢٧ .

(٦) ابن أبي شيبة : المصنف جـ ٦ صـ ١٩١.

(٧) ابن بطة : الإبانة الكبرى جـ ١ صـ ٣٧٩.

(٨) المرجع السابق جـ ٣ صـ ٢٨٦.

لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين ، ويلكم اتقوا الله ، وقولوا فينا الحق ، فإنه أبلغ فيما تريدون ، ونحن نرضى به منكم ، ثم قال : لقد أساء بنا آباؤنا ؛ إن كان هذا الذي تقولون من دين الله ، ثم لم يطلعونا عليه ، ولم يرغبونا فيه ، فقال له الرافضي : ألم يقل رسول الله – صلى الله عليه وسلم– لعلي من كنت مولاه فعلي مولاه ؟ فقال : أما والله أن لو يعني بذلك الإمرة والسلطان ؛ لأفصح لهم بذلك ، كما أفصح لهم بالصلاة ، والزكاة ، وصيام رمضان ، وحج البيت ، ولقال لهم : أيها الناس هذا وليكم من بعدي ، فإن أنصح الناس للناس كان رسول الله – ﷺ – ، ولو كان الأمر كما تقولون : إن الله ورسوله اختارا علياً لهذا الأمر ، والقيام بعد النبي– ﷺ– ، إن كان لأعظم الناس في ذلك خطيئةً وجرماً ، إذ ترك ما أمره به رسول الله – ﷺ– ، أن يقوم فيه كما أمره ، أو يعذر فيه إلى الناس(١).

و قيل لعمر بن علي – رحمه الله – (٢): هل فيكم أهل البيت إنسان مفترضة طاعته ، تعرفون له ذلك ، ومن لم يعرف له ذلك فمات ؛ مات ميتة جاهلية؟ فقال : لا والله ما هذا فينا ، من قال هذا فينا فهو كذاب ، فقيل له : رحمك الله ، إن هذه منزلة تزعمون أنها كانت لعلي ؛ إن النبي – ﷺ– أوصى إليه ، ثم كانت للحسن ؛ إن علياً أوصى إليه ، ثم كانت للحسين ؛ إن الحسن أوصى إليه ، ثم كانت لعلي بن الحسين ؛ إن الحسين أوصى إليه ، ثم كانت لمحمد بن علي ؛ إن عليا أوصى إليه ، فقال : والله لمات أبي فما أوصى بحرفين ، قاتلهم الله ! والله إن هؤلاء إلا متأكلون بنا " (٣).

وما أحسن ما قاله الشعبي (٤) عنهم :" قال رأيتهم يأخذون بأعجاز لا صدور لها ، ثم قال : لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيداً ، أو يملئوا لي بيتي ذهباً ، أو يحجوا إلى بيتي هذا ؛ على أن أكذب على علي – رضي الله عنه – ؛ لفعلوا ، ولا والله لا أكذب عليه أبداً ، إني قد درست

---

(١) الإمام ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ صـ ٣١٩ –٣٢٠.

(٢) عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ الهَاشِمِيُّ : وُلِدَ فِي أَيَّامِ عُمَرَ بن الخطاب ، قَالَ العِجْلِيُّ : تَابِعِيٌّ ، ثِقَةٌ ، بَقِيَ ، وعمَّر حَتَّى وَفَدَ عَلَى الوَلِيْدِ ؛ لِيُوَلِّيَهُ صَدَقَةَ أَبِيْهِ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤ صـ ١٣٤ — ١٣٥.

(٣) الإمام ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ صـ ٣٢٥.

(٤) الشَّعْبِيُّ : أَبُو عَمْرٍو عَامِرُ بنُ شَرَاحِيْلَ عَلاَّمَةُ العَصْرِ ، مَوْلِدُهُ ١٩هـ ، وَقِيْلَ : ٢١هـ ، وَقِيْلَ : ٢٨هـ ، رَأَى عَلِيّاً – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– وَصَلَّى خَلْفَهُ ، وَسَمِعَ مِنْ خَمْسَمائَةِ صَحَابِيٍّ ، مَاتَ سَنَة ١٠٤هـ ، وقيل : ١٠٥هـ ، وقيل : ١٠٦ هـ ، وقيل : ١٠٣هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤ صـ ٢٩٤ — ٣١٩.

الأهواء فلم أر فيها أحمق من الخشبية [1] ، فلو كانوا من الطير لكانوا رخماً [2] ، ولو كانوا من الدواب لكانوا حُمْراً ، لم يدخلوا في الإسلام رغبة فيه لله ، ولا رهبة من الله ، ولكن مقتاً من الله عليهم ، وبغياً منهم على أهل الإسلام ، يريدون أن يغمصوا دين الإسلام ، ولا تجاوز صلاتهم آذانهم ، قد حرقهم علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – بالنار ، ونفاهم من البلاد " [3] .

وفي النهاية أتوجه إلى الشيعة عواماً وفقهاء بل لأهل السنة أيضاً بوصية من أبي عبد الله ، وأبي جعفر – عليهما السلام – حين قالا :" أيكفي من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت ، أيحسب الرجل أن يقول : أحب علياً وأتولاه ، ثم لا يكون مع ذلك فعَّالاً ، فلو قال : إنّي أحب رسول الله ، ورسول الله خير من علي – عليه السلام – ثم لا يتبع سيرته ، ولا يعمل بسنته – ﷺ – ما ينفعه حبه إياه شيئاً ، اتقوا الله واعملوا لما عند الله ؛ فليس بين الله وبين أحد قرابة ... ما يتقرب إلى الله إلا بالطاعة ، وما معنا براءة من النار ، ولا لنا على الله حجة ... والله لا تنال ولايتنا إلا بالعمل[4] .

ويقول أبو جعفر – عليه السلام – :" أبلغ شيعتنا أنا لا نغني عنهم من الله شيئاً ، وأنه لا ينال ما عند الله تعالى إلا بالعمل " [5] فاتقوا الله واعملوا ، بدلاً من أن تتكلوا .

---

(١) الخشبية : من الزيدية أصحاب خلف بن عبد الصمد ، قالوا : الإمامة شورى بين أولاد فاطمة ، ويجب الخروج على من تقمص بالخلافة غيرهم ؛ سموا بذلك : لأنهم خرجوا على السلطان ، وليس لهم سلاح غير الخشب . انظر أبو المعالي الألوسي : السيوف المشرقة ومختصر الصواعق المحرقة ، تحقيق : د مجيد الخليفة ، نشر مكتبة الإمام البخاري – القاهرة ، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م ص ٦٨ – ٦٩.

(٢) الرخم : جنس طير غزير الرِّيش أبيضُ اللّون مبقّع بسواد ، له منقار طويل قليل التقوس ، رماديّ اللون إلى الحمرة ، وجناحه طويل مذبّب ، يوصف بالغدر والحُمْق ، خص الرَّخَمَ بالذكر لقذر طَعمها، ولأنه يضربون بها المثل في الحمق ، ويقولون : هي شر الطير . انظر د أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٢ صـ ٨٧٥. نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ٤ صـ ٢٤٥٦.

(٣) إسناده لا يصح . انظر الخلال : السنة ، تحقيق : د عطية الزهراني ، نشر دار الراية – الرياض ، ط١، ١٤١٠هـ جـ ٣ صـ ٤٩٦.

(٤) الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٤ صـ ١٧٣. الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٧٤. الصدوق : الأمالي صـ ٧٢٥.

(٥) الحر العاملي:وسائل الشيعة جـ١صـ ٦٩. المجلسي:بحار الأنوار جـ ٦٨صـ ١٧٩. البروجردي:جامع أحاديث الشيعة جـ ١ صـ ٤٠٩.

الفصل الأول

التقديس

وأثره في

عقيدة الإمامة

الفصل الأول
التقديس وأثره في عقيدة الإمامة

يمثل الإمام عند الشيعة الاثني عشرية محور ارتكاز ، تدور كل العقائد علي تقديسه : قولاً ، وفعلاً ومقاماً ، بل وكل ما يتعلق به ، ولا أبلغ في التعبير عن تقديسه من القول المنسوب للإمام علي – عليه السلام – : الإمام " بشرٌ ملكيٌ ، وجسدٌ سماويٌ ، وأمرٌ إلهيٌ ، وروحٌ قدسيٌ ، ومقامٌ عليٌ ، ونورٌ جليٌ ، وسرٌ خفيٌ ، فهو ملكيُ الذاتِ ، إلهيُ الصفاتِ ، زائدُ الحسنات ، عالمٌ بالمغيبات ، خصاً من رب العالمين ، ونصاً من الصادق الأمين ، وهذا كله لآل محمد ، لا يشاركهم فيه مشارك " [1] .

وبناءً على هذا المقام الذي يقترب من تقديس رب العالمين ؛ تعتقد الشيعة أن الله – تعالى – فوض " للنبي – ﷺ – ، والأئمة – من أهل البيت – الولاية التشريعية ، والولاية التكوينية ، وذلك بمعنى أن زمام العالم بأيديهم ، فلهم التصرف فيه إيجاداً ، وإعداماً ، كما أن زمام الإماتة بيد

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ ص ١٧٢. حسن الميرجهاني الطباطبائي : مستدرك نهج البلاغة ، الموسوم بمصباح البلاغة في مشكاة الصياغة ، نسخة مخطوطة – طبعة المؤلف ، طهران ١٣٨٨هـ جـ١ ص ١٩٨-١٩٩ بتصرف. الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ، تحقيق : الشيخ حسن بن علي النمازي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ١٤١٩هـ جـ ١ ص١٨٢.

عزرائيل[1] ، وأنهم الوسائط في خلق العالم ، والعلة الغائية له ، كما أنهم سبب لطف الله تعالى ، وإفاضته على العالم ، واستمرار قيام العالم بهم [2].

ويصرح أبو عبد الله – عليه السلام – بالغلو في تقديس الأئمة فيعلنها ويقول : الأئمة بمنزلة رسول الله – ﷺ – إلا إنهم ليسوا بأنبياء ، ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي ، وأما ما خلا ذلك فهم فيه بمنزلة رسول الله – ﷺ – [3] ، وظاهره إشتراكهم – عليهم السلام – في سائر الخصائص ، وهو خلاف المشهور ، ويحتمل أن يكون ذكر النساء على سبيل المثال ، والمراد جميع الخصائص [4].

فهيا لنتعرف على الإمامة ، وتقديس الإمام ، وما أثر تقديس الأئمة على عقيدة الشيعة ؟ .

أولا : معاني الإمامة في اللغة : –

الإمامة العظمى ، أو الخلافة ، أو إمرة المؤمنين : ثلاثتهم تؤدي تقريباً إلى معنى واحد ، وتدل على وظيفة واحدة ، هي : السلطة الحكومية العليا ، فهي متقاربة في معانيها [5] .

فالإمامة : مشتقة من الائتمام بالناس ، والائتمام : الاتباع ، والاقتداء ، والعمل بعمله ، والقول بقوله ، وأصلها في اللغة : سهم يكون مثالاً يعمل عليه السهام [1] .

---

(١) عزرائيل : لعله من الإسرائيليات! قال ابن كثير :" وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ، ولا في الأحاديث الصحاح ، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل " ، وقال بثبوت تسميت ملك الموت بذلك المناوي في فيض القدير ، وقال السندي : لم يرد تسميته في حديث مرفوع وورد عن وهب بن منبه أن اسمه عزرائيل رواه أبو الشيخ في العظمة ، ولم يسم في الكتاب المقدس به بل سمي ملاك الرب كما في الملوك الثاني ١٩: ٣٥ ، وفي الخروج ١٢ : ٢٣ ، وسفر صموئيل الثاني ٢٤ : ١٦ سمي : الْمُهْلِك ، وسمي في الأمثال ١٦ : ١٤ أحد رسول الموت وفي إرميا ٣٦:٢٦ أنه اسم ملك من الملوك ، أما الصحيح : (ملك الموت) ؛ قال تعالى :" قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ " السجدة : ١١، ولكن ورد عن بعض أهل السنة تسميته بهذا . انظر الألباني : أحكام الجنائز ، نشر مكتبة المعارف – الرياض ، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م هامش صـ ١٩٩. د ياسر برهامي : المنة ، نشر دار الخلفاء الراشدين ، دار الفتح – الإسكندرية ، ٢٠٠٦م صـ ٢٣٨. محمد رحمت الله الهندي : إظهار الحق ، تحقيق : د محمد ملكاوي ، نشر الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء – السعودية ، ط١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م جـ ٤ صـ ١٣٣٧. ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ٤صـ ٢٥٩. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١صـ ٤٩. المناوي : فيض القدير جـ ٣ صـ ١٠٧. السندي : حاشية السندي على النسائي ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م جـ ٤ صـ ١١٨.

(٢) محب الدين الخطيب: الخطوط العريضة ، ملحق مجلة الأزهر ، ذي الحجة : ١٤٣٣هـ صـ ١٠. عن: من فقه الزهراء لمحمد الشيرازي.

(٣) الكليني : أصول الكافي جـ ١صـ ٢٧٠. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٣صـ ٦٢١. المجلسي : مرآة العقول شرح أخبار آل الرسول ، تحقيق : السيد هاشم الرّسولي ، ط مروى ، نشر دار الكتب الإسلامية – طهران ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ/١٣٦٣ش جـ ٣ صـ ١٦١.

(٤) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١٦صـ ٣٦٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ صـ ٥٠.

(٥) د وهبة الزحيلي : الفقه الإسلامي وأدلته ، نشر دار الفكر – دمشق – سوريا ، ط١٢ ، دت جـ ٨ صـ ٦١٤٤.

وقد تطلق الإمامة على : المولى [٢]، والإمام [٣]: مَنْ يُقتدى به ؛ لقوله – ﷺ – :" إنما جُعل الإمام إماماً ؛ ليؤتم به ، فلا تختلفوا عليه "[٤][٥] ؛ فالإمامة : التقدم فيما يقتضي طاعة صاحبه ، والاقتداء به فيما تقدم فيه [٦] .

يقال : " أم الشيءِ : قصده ، والإمامة الكبرى : استحقاق تصرف عام على الأنام ، ورياسة عامة في الدين والدنيا خلافة عن النبي – ﷺ – والأُم : أصل وجود الشيء ، أو إصلاحه [٧] ، وقَوْله تعالى :" يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمِ "[٨] ، أي : بكِتَابهم الذي جُمِعَتْ فيه أعْمَالُهم [٩] .

والخِلاَفَةُ : الإمَارة وهي : الخِلِيفَي ، وفي حَديث عُمَرَ – رضي الله عنه – : لَوْلا الخِلِيفَي لأَذَّنْتُ ، وكلمة للحَبَش[١٠] تُسَمِّي به مُلُوكَها ، الإمَام : المَلِك وكُلُّ من افْتُدِى به وقُدِّم إمَام [١١] .

الإمام : من يأتم به الناس ، ومنه : إمام الصلاة ، والخليفة ، وقائد الجند ، والقرآن للمسلمين ؛ وفي التنزيل العزيز :" وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ" [١٢] ، والدليل للمسافرين ، والحادي للإبل

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٧ صـ ٢٢٧. الصدوق : الهداية ط اعتماد – قم ، ط١ ، ١٤١٨هـ صـ ١٥٢. الشيخ الصدوق : معاني الأخبار ، تحقيق : علي أكبر غفاري ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ١٣٧٩هـ ١٣٣٨ش صـ ٦٩ – ٧٠.

(٢) الشيخ المفيد : أقسام المولى ، تحقيق : الشيخ مهدي نجف ، نشر دار المفيد – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م صـ ٧.

(٣) الإمام عند الاثني عشرية : الرئيس الشرعي الأوحد للمسلمين من الوجهة الدينية ، والدنيوية ، وقد فضل الشيعة أن يسموه إماماً ؛ لأن هذا اللقب يدل في معناه على مقام ديني ، ومكانة دينية ملحوظة ليست لغيرها من التسميات . انظر : الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ١١٨.

(٤) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ١ صـ ٣٠٨. أبو داود : السنن جـ ١ صـ ١٦٤.

(٥) قاسم بن عبد الله القونوي : أنيس الفقهاء ، تحقيق : د أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي ، نشر دار الوفاء – جدة ، ط١ ، ١٤٠٦هـ صـ ٩٠.

(٦) الشيخ المفيد : الإفصاح في الإمامة ، ط مطبعة مهر – قم ، ط٢ ، ١٤١٣هـ صـ ٢٨– ٢٩ .

(٧) سعدي أبو جيب : القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، نشر دار الفكر– دمشق ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م صـ ٢٤.

(٨) سورة الإسراء : آية رقم ٧١.

(٩) أبو القاسم الطالقاني : المحيط في اللغة ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، نشر عالم الكتب – بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م ، مادة أم جـ ١٠صـ٤٦٠–٤٦١ .

(١٠) الحبش أو الحبشان : جنس من السودان ، من ولد قوط بن حام بن نوح – عليه السلام – ، وهم سكان بلاد الحبشة في القديم . د أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية ، مادة ح ب ش جـ ١ صـ ٤٣٧. نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ٣ صـ ١٣١٢.

(١١) ابن سيده : المخصص ، تحقيق: خليل جفال ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، مادة أم جـ ١صـ ٣٢٣.

(١٢) سورة يس : آية رقم ١٢.

، والطريق الواسع الواضح [١] ، ومن يقول بإمامة علي وأولاده دون غيرهم [٢] ، والإمامة : عن رياسة عامة تتضمن حفظ مصالح العباد في الدارين[٣] .

الإمام : الذهب الذي يجعل في دار الضرب ؛ ليؤخذ عليه العيار ، أو الخيط الذي يجمع حبات العقد ، أو الدليل في السفر في ظلمة الليل [٤] .

والخلاصة : أن معنى كلمة الإمام تدور حول الاقتداء ، والالتفاف حول الشيء ، واتباع هداه ، قولاً ، وعملاً ، وسياسة ، ومنهج حياة على منهج واضح مستقيم .

<u>تعريف الإمامة في الاصطلاح :-</u>

لا يبعد المعنى الاصطلاحي للإمامة عن المعنى اللغوي بإطلاقه الشامل للمقتدى بهم عموماً ، في مجالي الخير والشر، طوعاً أو كرهاً .

فالإمامة بالنسبة لمهام الإمام : استحقاق تصرف عام على المسلمين [٥] ، والتصدي لإقامة الدين ، بإحياء العلوم الدينية ، وإقامة أركان الإسلام ، الجهاد ، وما يتعلق به ، والقيام بالقضاء ، وإقامة الحدود ، ورفع المظالم ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر نيابة عن النبي – ﷺ – [٦].

و بالنسبة لواجبات العامة على إمامهم يعرفها ابن خلدون[٧] بأنها : " حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي ، في مصالحهم الأخروية والدنيوية ... فهي في الحقيقة : خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين ، وسياسة الدنيا به "[٨].

---

(١) المعجم الوسيط : مادة أم جـ ١ صـ ٢٧ . المعجم الوجيز : مادة أم صـ ٢٥.

(٢) المعجم الوسيط : مادة أم جـ ١ صـ ٢٥١ .

(٣) أبو البقاء الكفوي : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق : عدنان درويش ، محمد المصري ، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، مادة أم صـ ١٨٦. الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ، مادة أم جـ ١ صـ ٨٨.

(٤) الشيخ الصدوق : معاني الأخبار صـ ٩٦. السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٢ هامش صـ ١٢٨. بحار الأنوار جـ ٣٥صـ ٤٢٨.

(٥) د محمد خلدون أحمد نورس مالكي : تعدد الخلفاء ووحدة الأمَّة فقهاً وتاريخاً ومستقبلاً ، رسالة دكتوراه – قسم الفقه الإسلامي وأصوله ، جامعة دمشق ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م صـ ٢٧.

(٦) السيد علي الحسيني الميلاني : نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ، نشر ياران – إيران ، ط١ ، ١٤٢٠هـ / ١٣٧٨ش جـ ١٧ صـ ٢٩٨. نقلا عن ولي الله الدهلوي في كتاب كشف الخفا بتصرف .

(٧) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولي الدين أبو زيد الحضرمي الأشهيلي ، قاضي القضاة ، المعروف بابن خلدون . الفيلسوف ، المؤرخ العالم ، اشتهر بكتابه : العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ، تعرض فيه لأصول علم الاجتماع ، ولد ٧٣٢هـ بتونس ، ومات سنة ٨٠٨هـ ، وله من العمر ٧٦سنة .انظر موسوعة الأعلام ، ط وزارة الأوقاف المصرية ، دت صـ ١٩٨.

(٨) ناصر الشيخ : عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ، ط مكتبة الرشد – الرياض ، ط٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م جـ ٢صـ ٥٠٤-٥٠٥.

أما التعريف بالصفة فالإمامة : صفة حُكْمية ، توجب لموصوفها تقديمه على غيره معنىً ، ومتابعة غيره له حِسَّاً ، وتنقسم أربعة أقسام : ١- إمامة وحي : وهي النبوة ، ٢ - وإمامة وراثة : كالعلم ، ٣ - وإمامة عبادة : وهي الصلاة ، ٤ - وإمامة مصلحة : وهي الخلافة العظمى لمصلحة جميع الأمة ، وحيث أطلقت في لسان أهل الكلام انصرفت إلى المعنى الأخير عرفاً .

فهي بهذا المعنى الوصفي الشامل : " رئاسة عامة ، بحق الأصالة [١] ، في أمور الدين والدنيا ، نيابة عن النبي - ﷺ - لشخص إنساني[٢] ، مشتملة على ترغيب عموم الناس ؛ فيحفظ مصالحهم الدينية والدنياوية ، وزجرهم عما يضرهم بحسبها [٣].

ويلاحظ : أن هذا التعريف يشير إلى عدة أمور مهمة :

الأول : أن رئاسة الدولة الإسلامية : هي في حقيقتها نيابة عن رسول الله - ﷺ - فيجب أن يكون الإمام المثل الأعلى لأفراد الأمة في الالتزام الكامل بمبادئ الإسلام .

الثاني والثالث : بيان وظيفة الرئيس الإمام ؛ وهي أولًا : العمل على أن يظل الدين مصونًا ، ويلي ذلك : العمل على اِتّخاذ كافة الإجراءات التي تكفل المصالح الدنيوية لأفراد الأمة [٤] .

فالعنصر العقدي ، والإنساني ، والأخلاقي يسيرون جنباً إلى جنب مع العنصر المادي ، وتتآزر العناصر ؛ لإقامة المجتمع الفاضل المستقر المرفه ، الذي تتعاضد فيه الهداية الإلهية ، مع الإرادة البشرية ، والقوى العقلية ؛ عن طريق : الإجماع ، والقياس [٥] .

ما سبب توافق الخلافة ، والإمامة ، وإمرة المؤمنين في المعنى الاصطلاحي ؟ .

تتلخص قصة التسميات الثلاثة :

سمي أمير المؤمنين بالخليفة : لأن الإمام يخلف النبي - ﷺ - في إدارة شئون المسلمين ، وتسمى الخلافة بالإمامة : لأن طاعته واجبة ؛ كما يصلون وراء من يؤمهم للصلاة [٦] .

---

(١) ابن جبر : نهج الإيمان : تحقيق : أحمد الحسيني ، ط ستارة- قم ، ط١، ١٤١٨هـ ص ٣٣. الشريف المرتضى : رسائل المرتضى ج ٢ص ٢٦٤.

(٢) علي البحراني : منار الهدى في النص على إمامة الاثني عشر ، نشر دار المنتظر - بيروت ، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ١٩. ابن ميثم البحراني : النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة ، نشر مؤسسة الهادي - قم ، ط١، ١٤١٧هـ ص ٣٩.

(٣) الشيخ جعفر السبحاني : محاضرات في الإلهيات ، نشر مؤسسة الإمام الصادق - قم ، دت ص ٣٤٤ . السيد حيدر الآملي : تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم ، تحقيق:السيد محسن الموسوي التبريزي، ط الأسوة، نشر مؤسسه فرهنگی ونور علي نور ، ط١، ١٤٢٢هـ ج٣ص٢٥٣.

(٤) أساتذة قسم المناهج : جامعة المدينة المنورة العالمية : كتاب مادة السياسة الشرعية ، يدرس لطلاب مرحلة الماجستير ص ٤٦٨.

(٥) د : وهبة الزحيلي : الفقه الإسلامي وأدلته ج ٨ ص ٦١٤٥ بتصرف .

(٦) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ط الحلبي - القاهرة ، ١٣٩٣هـ ص ٥ .

لمَّا بُويع لأبي بكر– رضي الله عنه – بالخلافة ناداه الناس : خليفة رسول الله – ﷺ – إلى أن توفاه الله ، فلما بويع لعمر – رضي الله عنه – نادوه خليفة خليفة رسول الله – ﷺ – ، واستمروا على ذلك وقتًا ، وكأنهم استثقلوا ذلك ؛ إذ سيؤدي إلى التطويل ، فبمجرد أن لَاحَ لهم لقب آخر غير الخليفة استحسنوه ، هذا اللقب هو : أمير المؤمنين ، وأول من سُمِّي به من الخلفاء بالإجماع هو عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – .

وسبب التوحد في المعنى الاصطلاحي إجماع الصحابة – رضي الله عنهم – ؛ لأنه لما دخل عمرو بن العاص – رضي الله عنه – على عمر ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال له عمر : ما بدا لك في هذا الاسم يا بن العاص ، لتخرجن مما قلت ، قال : نعم ، قدم عدي بن حاتم [(١)] ، ومعه رجل فقالا لي : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فقلت : أنتما والله أصبتما اسمه ، وإنه الأمير ، ونحن المؤمنون ، فجرى الكتاب من ذلك اليوم [(٢)] بالإجماع السكوتي واللفظي .

ثم إن الشيعة حاولت خرم هذا الإجماع بأنهم كانوا يطلقون على علي – رضي الله عنه – : لقب الإمام ، تعريضًا لما يذهبون إليه : من أنه أحق بالإمامة ممن سبقه ، فخصوا عليًّا بلقب الإمام ، وأطلقوه على كل من جاء بعده ممن يعتقدون بأحقيته في هذا المنصب ، ما داموا يدعون له في الخفاء ، فإذا ما تمكنوا من الدولة ، يحولون اللقب إلى أمير المؤمنين ، كما فعله شيعة بني العباس ؛ فإنهم ما زاولوا يدعون أئمتهم بالإمام فلما تولى السفاح [(٣)] لقبوه بأمير المؤمنين .

والحقيقة أن الصحابة والتابعين لم يفرقوا أبداً بين لفظ خليفة ، لفظ إمام ، وعلى ذلك فإن كثيراً من العلماء رادفوا بين اللفظين[(٤)] ؛ فيقول ابن خلدون : وإذ قد بينّا حقيقة هذا المنصب ، فيسمى القائم به خليفةً ، وإماماً [(٥)] ، وأميراً للمؤمنين " [(٦)] .

---

(١) عَدِيُّ بنُ حَاتِمِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ سَعْدٍ : الطَّائِيُّ ، الشَّرِيْفُ ، أَبُو وَهْبٍ ، أَوَ أَبُو طَرِيْفٍ ، صحابي ، وَلَدُ حَاتِمِ طَيٍّ الَّذِي يُضْرَبُ بِجُوْدِهِ المَثَلُ . وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي سَنَةِ سَبْعٍ ، فَأَكْرَمَهُ ، كَانَ يَوْمَ صِفِّيْنَ مَعَ عَلِيٍّ . مَاتَ ٦٧هـ ، أو ٦٨هـ ، أو ٦٦هـ . وَلَهُ مائَةٌ وَعِشْرُوْنَ سَنَةً . وَقِيْلَ عَاشَ مائَةً وَثَمَانِيْنَ سَنَةً . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ١٦٢–١٦٥ .

(٢) صحيح . انظر الإمام البخاري : الأدب المفرد ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار البشائر الإسلامية – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م صـ ٣٥٣. الطبراني : المعجم الكبير جـ ١ صـ ٦٤.

(٣) السَّفَّاحُ : أَبُو العَبَّاسِ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ العَبَّاسِيُّ ، الخَلِيْفَةُ كَانَ شَابّاً ، وَقُوْراً . بُوْيِعَ سَنَةَ ١٣٢هـ ، ولَمْ تَطُلْ أَيَّامُ السَّفَّاحِ ، مَاتَ سَنَةَ ١٣٦هـ ، وَعَاشَ : ثَمَانِياً وَعِشْرِيْنَ سَنَةً . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٦ صـ ٧٧ .

(٤) د عامر النجار : مذاهب الإسلاميين صـ ٤١١.

(٥) ابن خلدون : المقدمة ، ط دار الباز – مكة المكرمة ، ١٣٩٨هـ صـ ١٩٠ .

(٦) النووي : روضة الطالبين وعمدة المفتين ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، دت جـ ٧ صـ ٢٦٩.

ولكن لماذا تغيرت التسمية من الخليفة والإمام وأمير المؤمنين إلى التسمية بالملك يجيب علينا البغوي [١] فيقول : فَإِذَا خَالَفُوا السُّنَّةَ ، وَبَدَّلُوا السِّيرَةَ ، فَهُمْ حِينَئِذٍ مُلُوكٌ ، وَإِنْ كَانَتْ أَسَامِيهِمُ الْخُلَفَاءَ ، وَلا يُسَمَّى أَحَدٌ خَلِيفَةُ اللَّهِ بَعْدَ آدَمَ وَدَاوُدَ– عَلَيْهِمَا السَّلامُ – قَالَ تعالى :" إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً" [٢] ، وَقَالَ تعالى : "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ " [٣] ، فعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ [٤] : أَنَّ رَجُلا قَالَ لأَبِي بَكْرٍ: يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ ، قَالَ : أَنَا خَلِيفَةُ مُحَمَّدٍ – ﷺ – ، وَأَنَا رَاضٍ بِذَلِكَ ، وقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِعُمَرَ: يَا مَلِكُ ، فَقَالَ عُمَرُ: أَكَذَاكَ تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ ؟ أَلَيْسَ تَجِدُونَ النَّبِيَّ ، ثُمَّ الْخَلِيفَةَ ، ثُمَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ الْمُلُوكَ بَعْدُ ؟ قَالَ : بَلَى[٥] .

وَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ ، فَقَالَ : وَيْحَك لَقَدْ تَنَاوَلْتَ مُتَنَاوَلاً بَعِيدًا ، إِنَّ أُمِّي سَمَّتْنِي عُمَرَ، فَلَوْ دَعَوْتَنِي بِهَذَا الاسْمِ قَبِلْتُ ، ثُمَّ كَبُرْتُ ، فَتَكَنَّيْتُ : أَبَا حَفْصٍ ، فَلَوْ دَعَوْتَنِي بِهِ قَبِلْتُ ، ثُمَّ وَلَّيْتُمُونِي أُمُورَكُمْ ، فَسَمَّيْتُمُونِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَوْ دَعَوْتَنِي بِذَلِكَ كَفَاكَ [٦] .

أهمية عقيدة الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية :–

يعتقد الشيعة الاثنا عشرية أنه " لم يكن هناك أمر في الإسلام والدين أهم من تعيين الإمام ، فلا يجوز أن يفارق النبي – ﷺ – الأمة ، ويتركهم هملاً[٧] ، بل يجب عليه أن يُعيَّن شخصاً ، وقد عين علياً في مواضع تعريضاً ، وفي مواضع أخرى تصريحاً "[١].

---

(١) البغوي : محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، روى عن : المليحي ، والداودي ، وطبقتهما ، كان سيداً زاهداً توفي ٥١٦هـ . انظر أبو الفداء الجمالي الحنفي : الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة ، تحقيق : شادي آل نعمان ، نشر مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة – صنعاء ، ط١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١ م جـ ٣ صـ ٤٤٤.

(٢) سورة البقرة : آية رقم ٣٠ .

(٣) سورة ص : آية رقم ٢٦ .

(٤) ابن أبي مليكة : أبو بكر، ويقال: أبو محمد عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة – واسمه زهير – التيمي ، المدني ، كان قاضياً لعبد الله بن الزبير ، ومؤذناً له ، أدرك ثلاثين من الصحابة ، توفي سنة ١١٧هـ ، من الطبقة الثالثة ، ثقة ، فقيه ، ولم يكن له عقب ، ، والظاهر أن هناك خلط بينه وبين أخيه عند كثير ممن ترجم لهما . انظر أكرم الفالوجي الأثري : المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري ، نشر الدار الأثرية ، الأردن ، دار ابن عفان ، القاهرة ، دت جـ ١ صـ ٣١٦.

(٥) ابن أبي شيبة : المصنف في الأحاديث والآثار ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط مكتبة الرشد – الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩هـ جـ ٧ صـ ٥٢٩. علاء الدين المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تحقيق بكري حياني – صفوت السقا ، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٥ ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م جـ ٥ صـ ٦٨٦.

(٦) الحسين بن مسعود البغوي : شرح السنة ، تحقيق : شعيب الأرناءوط– محمد زهير الشاويش ، نشر المكتب الإسلامي – دمشق ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م جـ ١٤ صـ ٧٥–٧٦ .

(٧) هملاً : هَمَلَتِ الإبلُ : سرحت بغير راعٍ وتركت مسيَّبة ليلاً ونهارًا . د أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٣ صـ ٢٣٦٧.

وأكد ذلك عليٌّ – رضي الله عنه – حين قال : لابد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة ، قيل له : هذه البرة قد عرفناها فما بال الفاجرة ؟ قال : يؤمن بها السبيل ، ويقام بها الحدود ، ويجاهد بها العدو ، ويقسم به الفيء[2] [3] ، والملاحظ أنه لم يقل أنا ، أو مثلي ، أو ابني ! .

ولعل أول من تحدث عن مفهوم الإمامة بالصورة الموجودة عند الشيعة هو ابن سبأ ، الذي بدأ يشيع القول بوصية النبي – ﷺ – علي ، بأمر الله – تعالى – له [4] .

وقد اعترفت كتب الشّيعة بهذا فيقول بعض كتابهم المعاصرين : كان ابن سبأ أوّل من أشهر القول بفرض إمامة عليّ ، وأظهر البراءة من أعدائه من الصحابة – رضي الله عنهم – [5] ، وسبقه في ذلك النوبختي ، والأشعري القمي ، والقمي [6] .

والسبب الذي أدى إلى شيوع مباحث الإمامة وتسميتها بذلك بدلاً من تسميتها بمباحث الخلافة في ظنِّي هو : أن الشيعة كانوا أوَّل مَنْ بحث موضوع الإمامة العظمى ، فسَمُّوا المباحث المتصلة بهذا المنصب بمباحث الإمامة ، فلما اشتبك معهم خصومهم في الجدل حول هذه المسألة ، لم يجدوا مانعاً من استعمال نفس مصطلحاتهم ، وبخاصة وأن إمامة الصلاة تعتبر أرقى الوظائف الدينية ، فأصبح الحوار يدور بين الشيعة وخصومهم بنفس اللُّغة التي ابتدعتها الشيعة ، وأصبح تقليدًا سار عليه كل من تعرض لهذا الموضوع .

طريق ثبوت الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية :

---

(١) الأشعري القمي:المقالات والفرق ص ١٣٩. ناصر مكارم الشيرازي:تفسير الأمثل جـ ٤ص ١٠٠.المرعشي:شرح إحقاق الحق جـ ٣٠ص٢٣.

(٢) الفيء : غنائم تؤخذ من المشركين بدون قتال . ابن العطار : الاعتقاد الخالص ، هامش ص ١٨٤.

(٣) الشيخ المنتظري:دراسات في ولاية الفقيه جـ ١ص ١٧٥. الطبراني:المعجم الكبير جـ ١٠ص ١٣٢. ابن تيمية:مجموع الفتاوى جـ٢٨ص٢٩٧.

(٤) الشيخ جعفر كاشف الغطاء : كشف الغطاء ، نشر انتشارات مهدوي – أصفهان – إيران ، دت جـ ١ ص ١٠ . الخزاز القمي : كفاية الأثر ، تحقيق : السيد عبد اللطيف الحسيني ، ط الخيام – قم ، ١٤٠١هـ ص ٨٠ . الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م جـ ١٤ ص ٢٠٦.

(٥) يدعي الشيعة : أن الصحابة ارتدوا بعد موت النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فهل كانوا قبل موته شيعة اثني عشرية ، ثم انقلبوا إلى أهل سنة ؟ أم العكس ؟. انظر سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ، ط شبكة الآل – القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ص ٢٤.

(٦) السيد سامي البدري : شبهات وردود ، ط مكتبة صدر – قم ، ط٢ ، ١٤١٩هـ جـ ٣ ص ١٣١ .

يعتقد الشيعة الاثنا عشرية :" أن الإمامة لا تكون إلا بالنص [1] من الله – عز وجل – على لسان النبي ، أو الإمام الذي قبله ، وليست بالاختيار ، والانتخاب من الناس [2] ؛ وذلك لأن الإمامة كالنبوة ، وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق [3].

حكم الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية وحكم طاعة الأئمة :

يجب على الشيعي الاثني عشري : أن يعتقد أن الإمامة والنبوة حق ، وأن الله – ﷻ – الذي جعل النبي نبياً ، والإمام إماماً ، يجب أن يعتقد أنه يلزمه من طاعة الإمام ما يلزمنا من طاعة النبي – ﷺ – ، وأن كل فضل أتاه الله – عز وجل – نبيه فقد آتاه الإمام إلا النبوة ، وأن المنكر للإمامة كالمنكر للنبوة ، والمنكر للنبوة كالمنكر للتوحيد ، فلا يقبل الله – عز وجل – من عامل عمله إلا بالإقرار بأنبيائه ، ورسله ، وكتبه جملةً ، وبالإقرار بنبينا محمد – ﷺ – ، والأئمة – صلوات الله عليهم – تفصيلاً ، ويجب [4] عليه معرفة النبي والأئمة بعده بأسمائهم ، وأعيانهم[5] ، ومن تبعهم نجا ، ومن خالفهم ضل وهلك ، قال الصادق – عليه السلام– : المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا ، بل هو مثل إبليس [6].

ويظهر من هذا الاعتقاد تفضيل الأئمة على الأنبياء والرسل – عليهم السلام – بل والكتب ؛ إذ يكفي الاعتقاد الإجمالي بهم في الإيمان ، لكن الأئمة يجب الإيمان بهم تفصيلاً ! .

---

(١) النص : اللفظ الدال على معنى غير محتمل للنقيض بحسب الفهم ، وعند الإمامية الاثني عشرية يجب أن يكون الإمام منصوصاً عليه ؛ لأن العصمة من الأمور الباطنة التي لا يعمها إلا الله . انظر الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ١٤٠.

(٢) الشيخ محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية ، ط الزهراء – بيروت ، ط٧ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م صـ ١٠٣.

(٣) السيد محسن الخزازي : بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط٥، ١٤١٨هـ جـ ٢ صـ ٩٨. الشيخ محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية صـ ١١١.

(٤) الواجب : ما طلب الشرع فعله على وجه الحتم والإلزام ، ويثاب فاعله امتثالًا ، ويستحق تاركه العقاب . انظر د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه صـ ١٢٣ بتصرف . أيمن بن علي موسى : غاية المأمول صـ ٦١. المحقق النراقي : عوائد الأيام صـ ٣٧٠.

(٥) تطلق الأعيان : على ما له قيام بذاته ؛ فيكون مقابلاً للإعراض ، ومعنى قيامه بذاته أن يتحيز بنفسه غير تابع تحيزه لتحيز شيء آخر بخلاف العرض ؛ فإن تحيزه تابع لتحيز الجوهر الذي يقوم به هذا عند المتكلمين . وعند الفلاسفة معنى قيام الشيء بذاته استغناءه عن محل يقوم به ، ومعنى قيامه بشيء آخر اختصاصه به بحيث يصير الأول نعتاً والثاني منعوتاً سواء كان متحيزاً كما في سواد الجسم ، أولا كما في صفات المجردات كالباري عز شأنه والعقول والنفوس الفلكية . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١ صـ ٩٥.

(٦) السيد ابن طاووس : إقبال الأعمال جـ ٢ صـ ٢٦٢. الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ، تحقيق : الشيخ حسن بن علي النمازي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ١٤١٩هـ جـ٧ صـ ١٦٨.

ويجب أن يعتقد الشيعي الاثنا عشري : أن الأئمة هم حجج الله – عز وجل – على خلقه بعد نبيه محمد– ﷺ – ، وأنهم اثنا عشر إماماً : أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وآخرهم الحجة القائم صاحب الزمان – عليهم السلام – .

ويجب أن يعتقد الشيعي أنهم معصومون من الخطأ والزلل ، وأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وأن لهم المعجزات ، وأنهم أمان لأهل الأرض ، كما أن النجوم أمان لأهل السماوات ، ومثلهم في هذه الأمة : كمثل سفينة نوح ، وباب حطة[1] [2]، وإنهم عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون [3].

ويجب أن يعتقد الشيعي الاثنا عشري : أن حبهم إيمان ، وبغضهم كفر، وأن أمرهم أمر الله ، ونهيهم نهى الله ، وطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله ، ووليهم ولي الله ، وعدوهم عدو الله [4] ، فمن اعتقد بذلك فهو أخ لهم في الدين واجب عليهم نصيحته ، ومواخاته ، وتقبل شهادته ، ويجوز الصلاة خلفه ، وتحرم غيبته ، أن من خالفهم في ذلك فهو ضال ، لا يحبونه ، ولا يدفعون إليه زكاة أموالهم ، ولا زيارة ، ولا فطرة ، ولا لحم أضحية ، ولا صدقة من أموالهم ؛ هذا في حال الاختيار، فأما في حال التقية : فجائز لهم أن يدفعوا بعض ذلك إليهم ، ويصلي خلفهم ، وأما أداء

---

(١) الصدوق : الهداية هامش صـ ٣٧. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢٦ صـ ١٨٦.جعفر مرتضى العاملي : زواج المتعة جـ ٢ صـ ٥١.

(٢) باب حطة : أحد أبواب مدينة أريحا أو بيت المقدس أو غيرهما ، حين أمر الله بني إسرائيل بدخوله ، وهم راكعين يلهثون بالاستغفار ، والتوحيد حين ينصرهم الله على العماليق قال تعالى :" وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ " البقرة : ٥٨. البغوي : تفسير البغوي صـ ٣٦ بتصرف .

(٣) قال تعالى :" وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ " الأنبياء : ٢٦ – ٢٩. ولعلك لاحظت أن مغزاهم وهو غرس التقديس بأن يقولوا : إن لم تكن الأئمة أولاد الله – تعالى – فهم أكرم عباده ، لكن الله – عز وجل – رد عليهم بما يسكتهم كما تلحظ من لهجة الخطاب القرآني الكريم التي توحي بالشدة .

(٤) القول بوجوب طاعة الأئمة : قياساً على طاعة النبي باطل ؛ لأن طاعة النبي لأنه رسول الله ، وليس لأنه إمام أهل زمانه ، حتى إن طاعته كانت واجبة في مكة ، وإن لم يكن هناك من ينصره ؛ بل إن طاعته دائمة حتى بعد موته ، بخلاف الإمام فإنه تنقضي طاعته بعد موته ، والذي ينصب بعده للإمامة يجب أن يتبع النبي فيما أمر ونهى ؛ لأن أمره تابع لأمره ؛ فتجب طاعة الإمام على كل من سمع كلامه ؛ طاعة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، لا من أجل أنه معصوم عن الخطأ معين من قبل الله – كما يدعون – ، وأقبح منه من يقول : إن الإمام يأتي بشرع جديد ، أو يستقل بالتشريع بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – . انظر عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية صـ ٣٥–٣٦ بتصرف

الأمانة ، فتؤدى إلى البر والفاجر؛ لقول الصادق – عليه السلام – : أدُّوا الأمانة ، ولو إلى قاتل الحسين بن علي – عليهما السلام–[1].

النصوص الدالة على وجوب إمامة علي – رضي الله عنه – بلا فصل بعد النبي – ﷺ – :

أولا الأدلة من القرآن : تستدل الشيعة الاثنا عشرية بأدلة من القرآن ليست صريحة في دلالتها على المراد ، ولذلك يستعينون بالروايات التي يروونها عن أئمتهم ليصلوا إلى مبتغاهم فيجعلون الآية لا تفسر إلا من عند معين أهل البيت الطاهرين ، وإن خالفت اللغة والعقل ؛ فيستدلون بقوله تعالى :" وأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ[2] مِنْكُمْ" [3] ، وأولي الأمر : الأئمة من آل البيت – عليهم السلام – [4].

وقال تعالى :" إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا[5] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ " [6] ، وإيتاء الزكاة في الركوع في الصلاة لم يكن لأحد من المؤمنين[7] غير آل البيت – عليهم السلام – [8] ، ولعلي خاصة [9] .

وقوله تعالى : " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " [10] ، فسبب نزولها : أن النبي – ﷺ – قال لعلي – رضي الله عنه – : " أنت أخي ، ووصيي ، ووزيري ، ووارثي ، وخليفتي من بعدى [1]"[2].

---

(١) الشيخ الصدوق : الهداية صـ ٢٥ – ٥٠. الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري : جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ، تحقيق : عباس القوجاني ، مطبعة خورشيد ، نشر حيدري – طهران ، ط٣ ، ١٣٦٢ ش جـ ٢١ صـ ٣٩٦.

(٢) قال ابن عباس : أولي الأمر الفقهاء ، والعلماء ، وقال أبو هريرة : الأمراء . انظر البغوي : تفسير البغوي صـ ٣١٢.

(٣) سورة النساء : آية رقم ٥٩.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٧صـ ٣. أبو الصلاح الحلبي : الكافي في الفقه صـ ٥٦. الشيخ الطوسي : مصباح المتهجد صـ ٨١.

(٥) قال الضحاك : هم المؤمنون بعضهم أولياء بعض ، وعليٌّ من المؤمنين . البغوي : تفسير البغوي صـ ٣٨٥.

(٦) سورة المائدة : آية رقم ٥٥.

(٧) يرد عليهم أَبُو جَعْفَرٍ حين سئل عَنْ قَوْلِهِ – عَزَّ وَجَلَّ – "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" المائدة: ٥٥، قَالَ: الصحابة ، قُلْتُ : يَقُولُونَ : هُوَ عَلِيٌّ ، قَالَ : عَلِيٌّ مِنْهُمْ " . أبو نعيم:حلية الأولياء جـ ٣صـ ١٨٥. الحاكم الحسكاني : شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي ، نشر مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي– مجمع إحياء الثقافة الإسلامية – إيران ، ط١ ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م جـ ١ صـ ٢٢٣. ابن عساكر : تاريخ دمشق ، في ترجمته جـ ٥٤ صـ ٢٩٠.

(٨) ابن شهر آشوب : مناقب علي بن أبي طالب ، نشر المكتبة الحيدرية – النجف ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م جـ ٢صـ ٢١٠–٢١١.

(٩) الفخر الرازي:مفاتيح الغيب ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م، ط١، جـ ١٢صـ ١٨. الطوسي:الاقتصاد صـ١٩٨.

(١٠) سورة الشعراء : آية رقم ٢١٤.

وهذه منقبة جليلة اختص بها أمير المؤمنين ، ولم يشركه فيها أحد من المهاجرين الأولين ، ولا الأنصار ؛ إذ به تمكن النبي – ﷺ – من تبليغ الرسالة ، ولولاه لم تثبت الملة [٣] .
وهذا خلاف ما هو معروف بين عموم المسلمين : أن دعوة النبي – ﷺ – في أول أمر الجهر بها ، كانت على جبل الصفا في مكة ، حين نادي على بطون قريش بأسمائهم ، وأنذرهم فوقف أمامه أبو لهب وقال : تباً لك ألهذا جمعتنا [٤] مع كون هذا الحديث لو صح فلا أجر حينئذ في نوم علي – رضي الله عنه – في فراش النبي – ﷺ – ليلة الهجرة طالما كان مطمئناً على نفسه من الموت فالوعد موجود بالوراثة ؛ فكان الأفضل أن يضحي النبي – ﷺ – بأبي بكر – رضي الله عنه – ويبقيه هو في الفراش ، ويصطحب وزيره وخليفته بدلاً من هذا المرتد – في زعمهم – .
ومن أدلتهم قوله تعالى :" الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ[٥] وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي" [٦] ، لما عاد النبي – ﷺ – من حجة الوداع ، وعند غدير خم[٧] قال : الله أكبر ، ولله الحمد على إكمال الدين ، وإتمام النعمة ، ورضا الرب برسالتي ، وبالولاية لعلي من بعدي ، ثم قال : من كنت مولاه ؛ فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله " [٨] .

---

(١) الحلي:المستجاد من الإرشاد، ط الصدر،نشر مكتب آية الله المرعشي – قم ، ١٤٠٦هـ صـ ٩ – ١٠. المجلسي:بحار الأنوار جـ ١٨صـ١٩٣.

(٢) رواه بنحوه ابن جرير في تفسيره ، عن ابن عباس ، عن علي. وإسناده ضعيف ، فيه عبد الغفار بن القاسم من غلاة الشيعة ، كان يضع الحديث ، قال أبو حاتم والنسائي: متروك ، والراوي عنه محمد بن إسحاق صدوق يدلس ، وقد عنعنه . انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٩صـ ٢٦٠. و بين علله بما فيه زيادة فائدة د عامر النجار : مذاهب الإسلاميين بهامش صـ ٥٧٤. الطبري : تفسير الطبري جـ ١٩ هامش صـ ١١٩.

(٣) الشيخ المفيد : الإرشاد جـ ١صـ ٥١. الحلي : المستجاد من الإرشاد صـ ٤٩. السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ١صـ ٣٣٦.

(٤) انظر الروايات في تفسير الطبري جـ ١٩صـ ١١٧–١١٨. الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ صـ ٦٦١–٦٦٢.

(٥) أي : بإكمال الشرائع والأحكام ، وإظهار الدين كما وعد الله عز وجل الأمة . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ صـ ١٠٩.

(٦) سورة المائدة : آية رقم ٣.

(٧) يوم الغدير : يزعمون أن النبي – صلى الله عليه وسلم – نصب علياً فيه خليفة من بعده ، ويعد أعظم أعيادهم ، وكان في ذي الحجة ١٠هـ . انظر د موسى الموسوي : الشيعة والتصحيح ، ط دار الزهراء – القاهرة ، دت صـ ١٠. ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٤ صـ ٤٥.

(٨) السيد الگلپايگاني: مناسك الحج ، ط باقري ، نشر دار القرآن الكريم – قم ، ط٢ ، ١٤١٣هـ صـ ١٧٢. محمد بن سليمان الكوفي : مناقب الإمام أمير المؤمنين ، تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي ، ط النهضة – قم ، ط١ ، ١٤١٢هـ صـ ١١٩. محمد بن جرير الطبري (الشيعي) : المسترشد ، تحقيق : الشيخ أحمد المحمودي ، ط سلمان الفارسي – قم ، ط١ ، ١٤١٥هـ صـ ٤٦٨.

ولكنهم لم يكملوا الحديث فقد لَقِيَهُ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: هَنِيئًا لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ ، أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ [1] .

وقوله تعالى :" يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ[2] وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ "[3] ، يعني : في ولايتك يا علي [4] ، وقوله تعالى : "وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ[5] الْمُؤْمِنِينَ"[6] ، وصالح المؤمنين هو : علي– عليه السلام – ، وقوله تعالى : " فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا[7] وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ"[8] ، ونفس النبي[9] – ﷺ – الأقدس هو : علي – عليه السلام – [10] .

ونحن نقر بأن علياً – رضي الله عنه – منزلته كنفس النبي حيث قال – ﷺ – :" لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْهِمْ رَجُلًا كَنَفْسِي فَيُمْضِي فِيهِمْ أَمْرِي "[11] .

الغريب أننا إن أنكرنا هذه الأدلة صاحوا قائلين : أتردون كتاب الله ؟ فنقول لهم كما قال عليٌّ – رضي الله عنه – للخوارج حين قالوا : لا حكم إلا لله : كلمة حق يراد بها باطل ! .

<u>ثانيا الأدلة من الأحاديث</u> : استدلت الشيعة على وجوب الإمامة لعلي – رضي الله عنه – بعدة أحاديث من أهمها : قول رسول الله – ﷺ – :" أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى

---

(١) ابن أبي شيبة : المصنف جـ ٦ صـ ٣٧٢. وحيد الخراساني:منهاج الصالحين جـ ١ صـ ١٧٤.ابن شهر آشوب:مناقب آل أبي طالب جـ٢صـ٢٣٧.

(٢) المعنى : بلغ ما أنزل إليك ، فلا تكتم شيئا منه ، أو بلغ عيب اليهود ، أو في الرجم ، والقصاص ، أو في أمر زينب بنت جحش ، أو في الجهاد ، أو أظهر تبليغه لا تسره صابراً محتسبا غير خائف . انظر البغوي : تفسير البغوي صـ ٣٨٨ – ٣٨٩ بتصرف .

(٣) سورة المائدة آية رقم ٦٧.

(٤) الشيخ المفيد : النكت الاعتقادية ، تحقيق : رضا المختاري ، ط دار المفيد – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م صـ ٤١. ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ٣ صـ ٦٣.

(٥) صالح المؤمنين : أبو بكر وعمر ، وقيل : المخلصون الذين ليسوا بمنافقين . البغوي : تفسير البغوي صـ ١٣٢٩.

(٦) سورة التحريم : آية رقم ٤.

(٧) معنى أبنائنا : هو مخصوص بالحسن ، والحسين أن يسميا أبناء النبي دون غيرهما . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ صـ ٦٨٦. ومعنى أنفسنا : علي ، وقيل : أخوانكم من المؤمنين على العموم . البغوي : تفسير البغوي صـ ٢١٢.

(٨) سورة آل عمران آية رقم ٦١.

(٩) من العجيب أن تجد الشيعة يقولون : أن الأئمة هم نفس الله ، حيث يقول تعالى :" ويحذركم الله نفسه " . آل عمران : ٢٨ ، ويقول الرضا – عليه السلام – :" عليٌّ خوفهم به " . انظر ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ٣ صـ ٦٣.

(١٠) الشيخ المفيد : النكت الاعتقادية صـ ٤١ . اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق : موسوعة طبقات الفقهاء ، ط اعتماد ، التوحيد ، مؤسسة الإمام الصادق – قم ، ط ١ ، ١٤١٨هـ جـ ١ صـ ١٤١. السيد الخوئي : صراط النجاة جـ ٣ صـ ٤١٩.

(١١) ابن أبي شيبة : المصنف جـ ٦ صـ ٣٧٤.الصفار : بصائر الدرجات صـ ٤٣٢. الشيخ الصدوق : الأمالي صـ ٦١٨.

غَيْرَ أَنَّهُ لاَ نبيَّ بَعْدِى "[١]، وقوله – ﷺ – :" عليٌّ أخي في الدنيا والآخرة "[٢]، وقوله – ﷺ –:" عليٌّ أصلي" [٣] ، وقوله – ﷺ – :" عليٌّ إمام البررة ، وقاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله " [٤] ، وقوله – ﷺ – :" عليٌّ باب حطة ، من دخل منه كان مؤمناً ، ومن خرج منه كان كافراً " [٥] ، وقوله – ﷺ – :" عليٌّ عيبة[٦] علمي " [٧] ، وقوله – ﷺ – :" عليٌّ مع القرآن ، والقرآن والقرآن مع علي ، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض " [٨] ، وقوله – ﷺ – :" عليٌّ مني بمنزلة رأسي من بدني " [٩] ، وقوله – ﷺ – :" عليٌّ يعسوب [١٠] المؤمنين " [١١] ، وقوله – صلى الله عليه وسلم – : " أنت خليفتي من بعدي " [١٢] ، وقوله – ﷺ – :" أنت وليي ، وقاضي ديني " [١٣] ، وقوله – ﷺ – :" سلموا عليه بإمرة المؤمنين " [١٤] ، وقوله – ﷺ – :" أقضاكم عليٌّ " ، وقوله –

---

(١) مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ١٨٧٠ . أبو اسحاق الحويني : تهذيب خصائص الإمام علي ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م صـ ٢٣. الشيخ الصدوق : الهداية صـ ١٤٣. الشيخ المفيد : المقنعة صـ ١٨.الطوسي : الاقتصاد صـ ٢٢٢.

(٢) ضعيف.الشيخ المفيد : الأمالي صـ ١٧٤. الألباني : ضعيف الجامع ، نشر المكتب الإسلامي – بيروت، ط١٤١٠،٣هـ/١٩٩٠م صـ ٥٥٥.

(٣) عن عبد الله بن جعفر وسنده ضعيف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٠ صـ ٧٦ . الألباني : ضعيف الجامع الصغير صـ ٥٥٥.

(٤) موضوع عن جابر . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٣ صـ ٥٣ . الألباني : ضعيف الجامع الصغير وزيادته صـ ٥٥٥.

(٥) موضوع عن ابن عباس . القندوزي : ينابيع المودة لذوي القربى ، تحقيق : سيد علي جمال أشرف الحسيني ، نشر دار الأسوة – إيران ، ط١ ، ١٤١٦هـ جـ ٢ صـ ٩٦. الألباني : ضعيف الجامع الصغير وزيادته صـ ٥٥٥.

(٦) العيبة : واحدة العياب ، ويقال : فلانٌ عَيْبَةُ فلان : إذا كان موضع سره ، وفي الحديث : " الأنصار كرشي وعيبتي " ، وفي الحديث : خُزَاعَةَ كانَتْ عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وعيبة نصحه : محل نصحه ، وموضع سره ، وأمانته والعيبة في الأصل ما يوضع فيه الثياب لحفظها ، ويقال للصدور: عياب ؛ لأنها تشتمل على الود والبغض كما تشتمل العياب على الثياب . نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ٧ صـ ٤٨٤٩. ابن حبان : الصحيح جـ ١١ صـ ٢١٦. مسلم : الصحيح جـ ٤ صـ ١٩٤٩.

(٧) عن ابن عباس وهو موضوع. الشيخ الأميني : الغدير جـ ٣ صـ ٩٦. الألباني : ضعيف الجامع الصغير وزيادته صـ ٥٥٥.

(٨) عن أم سلمة وهو ضعيف . الشيخ الطوسي : الأمالي صـ ٤٦٠ . الألباني : ضعيف الجامع الصغير وزيادته صـ ٥٥٥.

(٩) عن ابن عباس وهو ضعيف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٨ صـ ٢٩٦. الألباني : ضعيف الجامع الصغير وزيادته صـ ٥٥٥.

(١٠) اليعسوب : أمير النحل ، وذكرها . انظر المعجم الوجيز ، مادة عسب صـ ٤١٨.

(١١) عن علي وهو ضعيف . علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم إلى معرفة من يستحق التقديم ، تحقيق محمد الباقر البهبودي ، ط الحيدري ، نشر المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية – قم ، ط١٣٨٤،١هـ جـ ١صـ ٢٤٥. الألباني : ضعيف الجامع صـ ٥٥٥.

(١٢) الصدوق : عيون أخبار الرضا ، تحقيق : حسين الأعلمي ، نشر مؤسسة الأعلمي – بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م جـ ٢ صـ ٥٩.

(١٣) المصدر السابق : جـ ٢ صـ ٦١.

(١٤) الكليني : الكافي جـ ١ صـ ١٣١ .

ﷺ – :" تعلموا منه ، ولا تعلموه " [1] ، وقوله – ﷺ – : " اسمعوا له ، وأطيعوا " [2] ، وقوله – ﷺ – : " من كنت مولاه ؛ فعليٌّ مولاه " [3] ، وقوله – ﷺ – : " اللهم أتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير ؛ فكان عليٌّ ، وقوله – ﷺ – : " لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله "[4] فكان عليٌّ – رضي الله عنه – ، وهناك الكثير تركناه خشية الإطالة .

<u>الأدلة من السيرة :</u> وهناك أدلة من السيرة يستدل بها الشيعة من أهمها : أن النبي – صلى الله عليه وآله– لما أُمر بالهجرة ألقى خبره إلى أمير المؤمنين – عليه السلام – ، واستكتمه إياه ، وكلفه الدفاع عنه بالمبيت على فراشه [5] ، فوهب أمير المؤمنين – عليه السلام – نفسه لله ؛ لينجو به من كيد الأعداء ، ويتم له – ﷺ – بذلك السلامة والبقاء [6].

ومن ذلك : أن النبي – ﷺ – كان أمين قريش على ودايعهم ، فلما فجأه من الكفار ما أحوجه إلى الهرب من مكة بغتة [7] ، لم يجد في قومه وأهله سوى أمير المؤمنين – عليه السلام – [8] .

ومن ذلك : أن الله تعالى خصه بتلافي فارط [1] من خالف نبيه – ﷺ – في أوامره ، وإصلاح ما أفسدوه ، حتى انتظمت به أسباب الصلاح ؛ ألا ترى أن النبي – ﷺ – أنفذ خالد بن الوليد [2] إلى

---

(١) الشيخ المفيد : النكت الاعتقادية صـ ٤٢.

(٢) بحار الأنوار جـ٢٣صـ ٢٩٨ ، والمصدر نفسه : جـ ٣٨ صـ ١١٣.

(٣) الشيخ المفيد : النكت الاعتقادية صـ ٤٢. الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ٢ صـ ٤٧.

(٤) الشيخ المفيد : النكت الاعتقادية صـ ٤٢.

(٥) لو كان عليا إماماً ، ووصياً ، وخليفةً منصوباً ؛ فهل يعرضه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للهلاك ؟ ويستبقي أبو بكر الذي لو مات ؛ فلا ضرر على الإمامة ، ولا على سلسلة الإمامة من موته؟ ، فإذا قالوا : إن علياً يعلم الغيب ، وأنه لن يموت ، قلنا : فأي فضل له في المبيت ؟ وهو ليس ابتلاء على الوجه الذي يعرف منه الصادق من الكاذب ؟ . انظر سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق صـ ٢٦ بتصرف .

(٦) الشيخ المفيد : الإرشاد جـ ١ صـ ٥٣. العلامة الحلي : المستجاد من الإرشاد صـ ٥٠.

(٧) خروج النبي – صلى الله عليه وسلم – من مكة ، لم يكن هرباً كما يزعمون حاشاه ! ولم يكن فجأة ، بل كان عالماً بذلك من أول يوم من رسالته ، حين أخبره ورقة بن نوفل : يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– :" أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ" قَالَ وَرَقَةُ : نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا" ، ولم يخرج من تلقاء نفسه بل بالوحي ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِمَكَّةَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ ، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ : " وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا " الإسراء : ٨٠ ، وقد " تَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى رِسْلِكَ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي " ، ومن الأدب أن نقول : خرج مهاجراً بأمر ربه . انظر الإمام البخاري : صحيح البخاري جـ ١ صـ ٤ ، جـ ٣ صـ ١٤١٦ ، جـ ٥ صـ ٢١٨٧. الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ١ صـ ١٣٩ . الإمام أحمد : المسند جـ ٣ صـ ٤١٧، جـ ٤٢ صـ ٤١٩.

(٨) الشيخ المفيد : الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد جـ ١ صـ ٥٣ – ٥٤. العلامة الحلي : المستجاد من الإرشاد صـ ٥٢.

بني جذيمة داعياً لهم إلى الإسلام ، ولم ينفذه محارباً[3] ، فخالف أمره ، فقتل القوم وهم على الإسلام ، ففزع رسول الله – ﷺ – إلى أمير المؤمنين – عليه السلام – ، وأمره أن يَدِيَ القتلى ، ويُرْضِي بذلك أولياء دمائهم ، فبلغ من ذلك مبلغ الرضا ، وزاد على الواجب بما تبرع به عليهم من عطية ما كان بقي في يده من الأموال [4].

ومن ذلك : أن النبي – ﷺ – لما أراد فتح مكة سأل الله – جل اسمه – أن يُعَمِّي أخباره على قريش ؛ ليدخلها بغتة ؛ فكتب حاطب [5] إلى أهل مكة يخبرهم ، وأعطى الكتاب امرأة سوداء كانت وردت المدينة يستمتع بها الناس وتستبرهم ؛ فنزل الوحيُّ بذلك ؛ فاستدعى أمير المؤمنين – عليه السلام – ، حتى لحق بالمرأة وأخذ الكتاب منها ؛ فقال رسول الله – ﷺ – عن حاطب : إنه من أهل بدر ، ولعل الله اطلع عليهم فغفر لهم ، وعفا عنه [6]، وغير ذلك مما تركناه خشية الإطالة .

ألأدلة على إمامة الاثني عشر إماماً :

---

(١) فارط : قول أو فعل بغير روية ، ولا تهيئ ، ولا استعداد . انظر رينهارت بيتر : تكملة المعاجم العربية ، ترجمة : محمَّد سَليم النعَيمي ، جمال الخياط ، وزارة الثقافة والإعلام – الجمهورية العراقية ، ط١ ، من ١٩٧٩ / ٢٠٠٠ م ، مادة فرط جـ ٨ صـ ٤٨ .

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي : سيف الله أبو سليمان ، أو أبو الوليد ، أمه : لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة أم المؤمنين ، أحد أشراف قريش في الجاهلية ، وإليه كانت القبة في الجاهلية ، واختلف في وقت إسلامه وهجرته ، فقيل : بعد الحديبية ، وقيل : بعد خيبر ، وقيل : ٥ هـ ، وقيل : ٨ هـ ، ولم يزل يوليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أعنة الخيل والخلفاء من بعده ، حتى توفي بحمص ، وقيل : بالمدينة سنة ٢١هـ ، وقيل: ٢٢هـ ، في خلافة عمر – رضي الله عنه — . انظر أبو نعيم : معرفة الصحابة جـ ٢ صـ ٩٢٥–٩٣٠.

(٣) بعثه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى الغميصاء – ماء من مياه جذيمة – فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا ، وجعل خالد قتلاً ، وأسراً ، ودفع إلى كل رجل أسيره ، حتى إذا أصبح أمر خالد بن الوليد ، أن يقتل كل رجل أسيره ، قال ابن عمر : والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل أحد ، فقدموا على النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فذكر له صنع خالد ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – ، ورفع يديه : اللهم أني أبرأ إليك مما صنع خالد . وكلمة صبأنا تعني : خرجنا من ديننا ، قال ابن حجر :" لما قالوا : صبأنا ، فهمها ابن عمر على أنهم أرادوا الإسلام ؛ لأن قريشاً كانوا يقولون لكل من أسلم : صبأ ، وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها ، وهو الخروج من دين إلى دين ؛ مع قرينة : أنهم لم يصرحوا بقبول الإسلام . وقال الخطابي : يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام ؛ لأنه فهم أنه على سبيل الأنفة ، ولم ينقادوا إلى الدين فقتلهم متأولا. انظر النسائي : السنن الكبرى ، ط مطابع قطر الوطنية — الدوحة ، ط١ ،١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م جـ ٦ صـ ٤٩٠. ابن حجر العسقلاني : فتح الباري جـ ٨ صـ ٦٧–٦٨.

(٤) الشيخ المفيد : الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد جـ ١ صـ ٥٤ – ٥٥.

(٥) حَاطِبُ بنُ أَبِي بَلْتَعَةَ عَمْرِو بنِ عُمَيْرِ بنِ سَلَمَةَ اللَّخْمِيُّ : مِنْ مَشَاهِيْرِ المهَاجِرِيْنَ ، شَهِدَ بَدْراً وَالمَشَاهِدَ ، قال عنه النبي — صلى الله عليه وسلم – : إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً ، وَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي ، لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ ، فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُم ، فَإِنِّي غَافِرٌ لَكُم ، وَمَاتَ سَنَةَ ثَلاَثِيْنَ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ٤٣ – ٤٥.

(٦) الشيخ المفيد : الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد جـ ١ صـ ٥٦ – ٦٠.

يعتقد الشيعة الاثنا عشرية في الأئمة : أنهم اثنا عشر إماماً معروفون ، أجمع المسلمون على طهارتهم وفضلهم ، قال النبي – ﷺ – : " الأئمة بعدي اثنا عشر كلهم من قريش " روي بألفاظ مختلفة [١] ، وقوله – ﷺ – :" ابني هذا الحسين إمام ، ابن إمام ، أخو إمام ، أبو أئمة تسعة ، تاسعهم قائمهم ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً " [٢] .

ومن أدلتهم : ما جاء أن محمد بن الحنفية – رحمه الله – خاصم الإمام علي بن الحسين – عليه السلام – في أمر الولاية : فاحتكما إلى الحجر الأسود ، فنطق الحجر الأسود ، وقال لمحمد :" يا محمد سلم الإمامة لعلي بن الحسين ، فرجع محمد عن منازعته ، وسلمها إلى علي– عليه السلام – .[٣]

ومع ثبوت العدد عند السنة والشيعة لكن هناك اضطراب في عد الأئمة عند الشيعة ؛ فعن الرضا – عليه السلام – :" سابعنا قائمنا " [٤] ، وعن أبي جعفر – عليه السلام – بمثله ، وقال الرضا – عليه السلام – تعليقاً :" صدق أبو جعفر سمعته يقول : إن شاء الله " [٥] ، وفي بعض الروايات ثلاثة عشر ؛ كما قال أبو جعفر – عليه السلام – قال رسول الله – ﷺ – :" إنّي واثني عشر من ولدي ، وأنت يا علي زر[٦] الأرض ، بنا أوتاد الأرض أن تسيخ بأهلها ، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ، ولم يُنْظَرُوْا " [٧] ، وعنه – ﷺ – :" من ولدي اثنا عشر نقباء ، نجباء ، مفهمون آخرهم القائم " [٨] ، وهذه فاطمة عدت من ولدها :" اثني عشر آخرهم القائم " [٩] ،

---

(١) أحمد بن حنبل : المسند جـ ٣٤ صـ ٥٢٩. البخاري : صحيح البخاري جـ ٦ صـ ٢٦٤٠. الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٣ صـ ١٤٥٢. أبو داود : السنن جـ ٤ صـ ١٠٦. مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤.

(٢) الشيخ المفيد : النكت الاعتقادية صـ ٤٣. الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ١ صـ ٥٢ح ١٧.

(٣) الطوسي: الغيبة ، تحقيق :عباد الله الطهراني ، علي أحمد ناصح ، ط بهمن ، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية – قم ، ط١، ١٤١١هـ صـ ١٨.

(٤) الميرزا النوري الطبرسي : خاتمة المستدرك جـ ٤ صـ ٢٨٦. الشيخ عزيز الله عطاردي : مسند الإمام الرضا جـ ٢ صـ ٤٣٤.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٨ صـ ٢٦٠. الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث الإمام المهدي جـ ٤ صـ ١٥٣.

(٦) الزر : زر الزهرة : برعم النبات . د أحمد مختار : معجم اللغة العربية جـ ٢ صـ ٩٨٠.

(٧) الكليني:أصول الكافي جـ ١صـ ٥٣٤. جعفر مرتضى : مأساة الزهراء ، نشر دار السيرة – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م جـ ١صـ ١٥٤. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢صـ ٣١١.عدة محدثين : الأصول الستة عشر صـ١٦.الطوسي : الغيبة صـ١٣٩.بحار الأنوار جـ ٣٦صـ٢٥٩.

(٨) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٥٣٤. السيد جعفر مرتضى : مأساة الزهراء جـ ١ صـ ١٥٤. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢ صـ ٣١٢.

(٩) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٥٣٢. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢ صـ ٣٠٩.وحيد الخراساني : منهاج الصالحين جـ ١ صـ ٢٠١.

فهل عليٌّ – رضي الله عنه – من ولد فاطمة فإذا لم يكن منهم فالعدد يثبت على ثلاثة عشر إماماً .

وآخر يعدهم أثني عشر ؛ فعن ابن عباس – رضي الله عنه – قال رسول الله – ﷺ – :" أنا وأحد عشر من صلبي أئمة محدثون " [١] ، وقال – ﷺ – :" آمنوا بليلة القدر إنها تكون لعلي بن أبي طالب – عليه السلام – ولولده الأحد عشر من بعدي " [٢] .

وآخر يعدهم خمسة ؛ فعن زيد بن علي – رضي الله عنه – قال :" إنّما المعصومون منا خمسة ، لا والله ما لهم سادس وهم الذين نزلت فيهم آية التطهير" [٣] ، وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" المعصومون منا خمسة : رسولُ الله – ﷺ – ، وعليٌّ ، وفاطمةُ ، والحسنُ ، والحسينُ – عليهم السلام – "[٤].

وقال رسول الله – ﷺ – :" يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً ، ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً ، فأنت أول الاثني عشر إماماً " [٥]، ويقول علي – عليه السلام – :" أنا خاتم الوصيين " [٦] .

ولا ندري كم عددهم ؛ حيث قدمنا أنه : يجب الإيمان بجميعهم تفصيلاً عندهم ، مع أننا أهل السنة مطالبون بالإيمان بالرسل إجمالاً ، من علمنا منهم ، ومن لم نعلم ، والإيمان بمن سمى الله لنا في القرآن ، ونبيه في السنة تفصيلاً [٧] ، ولابد عند الشيعة من الإيمان بالأئمة تفصيلاً ، فكيف بنا الآن ؟ وقد صار العدد المفصل يدور بين ٥ ، ١٢ ، ١٣؛ فاللهم ألهمنا الصواب .

<u>الأدلة من العقل :</u>

من أهم ما يدل على وجوب إمامة علي – رضي الله عنه – خاصة بعد النبي – ﷺ – بلا فصل : أن الناس افتقروا إليه في العلم والحكمة ؛ ومن افتقر البشر إليه كانت العصمة ثابتة عليه

---

(١) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٥٣٣. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢ صـ ٣١٠.الصدوق : إكمال الدين صـ ٢٨١.

(٢) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٥٣٣. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢ صـ ٣١٠. الصدوق : الخصال صـ ٤٨٠.

(٣) فرات بن إبراهيم الكوفي : تفسير فرات الكوفي ، تحقيق : محمد الكاظم ، نشر مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي الإيرانية – طهران ، ط١ ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م صـ ٣٣٩.

(٤) محمد بن سليمان الكوفي : مناقب الإمام أمير المؤمنين جـ ٢ صـ ١٦٢. فرات الكوفي : تفسير فرات الكوفي صـ ٤٠٢.

(٥) الطوسي : الغيبة صـ ١٥٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٦ صـ ٢٦٠-٢٦١.

(٦) الشيخ هادي النجفي : موسوعة أحاديث أهل البيت جـ ٣ صـ ٣٣٢ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٥.

(٧) حافظ بن أحمد الحكمي : معارج القبول ، نشر دار ابن القيم – الدمام ، دار ابن حزم – بيروت ، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م جـ ٢ صـ ٦٧٨ بتصرف . د ياسر برهامي : المنة شرح اعتقاد أهل السنة صـ ٢٧٣ – ٢٧٤ بتصرف .

، ثم أجمع الكل [1] على أن أفضل الفضائل السبق إلى الإسلام ، ثم القرابة ، ثم العلم ، ثم الهجرة ، ثم الجهاد ، ثم النفقة في سبيل الله ، ثم الزهد ، ثم الورع ، ثم رضا رسول الله – ﷺ – عنه يوم مات ، وقد سبق عليٌّ الكل في ذلك "[2] فاستحق بذلك الإمامة .

ولو سرنا معهم في هذا النسق كان الأحق بالخلافة من علي – رضي الله عنه – أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير – رضي الله عنهم – لتحقق هذه الشروط فيهم .

حكم الإمامة عند أهل السنة وشروط الإمام وحكم طاعته :

أجمع المسلمون على أنه :" لا بد للمسلمين من إمام ؛ لأنه لو لم يكن لهم إمام فإنه يؤدي إلى إظهار الفساد في الأرض ، وشرطه أن يكون عاقلاً ، بالغاً ، ذكراً ، عادلاً[3] ، عالماً بالحلال والحرام ، وأن يكون قرشياً ، والأفضل أن يكون هاشمياً ، وكونه معصوماً كالأنبياء ، أو أفضل الناس من غيرهم ، أو مجتهداً في الأصول ، والفروع ، مهتدياً إلى وجوب التدابير بأسباب الحروب ، قادراً على العدل ، وعلى إقامة الجمعة والأعياد ، وغير ذلك مما يحتاج إليه الناس ؛ لأنه لو لم تكن فيه هذه الشرائط يكون ناقصاً ، وعاجزاً ؛ فيؤدي إلى إظهار الفتن ، [4].

---

(١) ولا ندري من أين نقل هذا الإجماع .

(٢) ابن شهر آشوب : مناقب علي بن أبي طالب جـ ١ صـ ٢٨٧.

(٣) العَدَالَةُ عند أهل السنة : هي استقامة دين المسلم ، وسلامة مذهبه ، وسلامته من الفسق ، وقد علم مع ذلك أنه لا يكاد يسلم المكلف من البشر من كل ذنب ، ومن ترك بعض ما أمر به ، والعدل : من عرف بأداء فرائضه ، ولزوم ما أمر به ، وتوقى ما نهى عنه ، وتجنب الفواحش المسقطة ، وتحرى الحق ، والواجب في أفعاله ، ومعاملته ، والأصل في المسلم العدالة حتى يثبت جرحه . وعند الشيعة : ملكة نفسانية تبعث على ملازمة التقوى والمروءة ، والأصل في المسلم فسوقه حتى تظهر عدالته ، ويكفي في إحرازها حسن الظاهر ، وقال أبو الصلاح الحلبي : عبارة عن مجرد الإسلام مع عدم ظهور الفسق ، والأصل في المسلم العدالة إلى أن يظهر فسقه ، وقال غيرهما كهاشم البحراني : الأصل التوقف حتى تظهر عدالته أو فسقه ، وتثبت العدالة بتنصيص عالمين عدلين عليها لراوٍ ، أو بالاستفاضة ، أو بالشهرة . انظر الخطيب البغدادي : الكفاية في علم الرواية ، تحقيق : أبو عبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني ، نشر : المكتبة العلمية – المدينة المنورة ، دت صـ ٨٠ بتصرف . محمد بن إبراهيم بن جماعة : المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي ، تحقيق : د محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، نشر دار الفكر – دمشق ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ صـ ٦٣ بتصرف . د إيمان العلواني : مصادر التلقي عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية صـ ٤٥٦ بتصرف ، صـ ٥٥٨. د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية صـ ١٨٣. ابن مطهر الحلي : قواعد الأحكام جـ ٣ صـ ٤٩٤ .

(٤) جمال الدين أحمد الغزنوي : أصول الدين ، تحقيق : عمر وفيق الداعوق ، نشر دار البشائر الإسلامية – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م جـ ١ صـ ٢٩٦ – ٢٨٧ بتصرف . د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية عرض ونقد صـ ٥٤ بتصرف .

فالإمام عند أهل السنة : القائد والزعيم السياسي الذي يتولى إدارة النظام السياسي [١] ، ومن أهم شروطه غير ما سبق : النسب ، والإسلام ، وحفظ الشريعة ، وعلم الأحكام ، وصحة التنفيذ ، والتقوى ، وإتيان الطاعة [٢] ، وضبط أموال المسلمين ، فإن شهد له بذلك أهل الحل والعقد من علماء المسلمين وثقاتهم ، أو أخذ هو ذلك لنفسه ، ثم رضيه المسلمون جاز له ذلك [٣] .
فالخلافة ليست نظاماً لاهوتياً مقدساً عند أهل السنة ؛ لأن الإمام يجوز عليه ما يجوز على سائر الناس ، ولذا وجب نُصْحُه ، والالتفاف حوله ، وإعانته بالحق [٤] .
وتثبت الإمامة : باختيار أهل الصلاح ، وتنعقد بقدر رجل واحد من أهل العدالة والاجتهاد ، ودلالة الثبوت تفويض النبي – ﷺ – ولاية الإمامة إلى الصحابة [٥] ، حيث قال : إن وليتموها أبا بكر تجدوه أميناً مسلماً قوياً في أمر الله ضعيفاً في أمر نفسه " [٦] .
ودلالة الانعقاد أن الصحابة – رضي الله عنهم – لم يشترطوا لها الإجماع ، ولا عدداً محصوراً ، وإنما اعتبروا فيها العقد ، ثم أوجبوا المبايعة بعد ذلك ؛ ولهذا عقدها أبو بكر لعمر – رضي الله عنهما – وحده ، ثم جوز الباقون ، وبايعوه [٧] .
ويشترط لصحة اختيار الخلفاء : أن يعلن الخليفة قبل بدء عمله التزامه بأحكام الكتاب والسنة ، وأن تتوفر فيه الحرية الكاملة للأمة في البيعة ، بلا ضغط ، ولا إكراه[٨] ، وأن تكون هناك معارضة

---

(١) لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية : سلسلة الفتوحات العزمية ، الاصدار : ٣٠ ، بعنوان الشيعة والتشيع في فكر القادة ورؤية الأئمة ، شبهات حول الشيعة ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م جـ ١ صـ ١٥ – ١٦ بتصرف .
(٢) المرجع السابق جـ ١ صـ ١٦ .
(٣) من أراد الاستزادة فلينظر : جمال الدين أحمد الغزنوي : أصول الدين جـ ١صـ ٢٩٦ – ٢٨٧ بتصرف . واللالكائي : اعتقاد أهل السنة ، تحقيق : د أحمد سعد حمدان ، نشر دار طيبة – الرياض ، ١٤٠٢هـ جـ ١ صـ ٢٩ – ٣٥ بتصرف .
(٤) د أحمد غلوش : النظام السياسي في الإسلام ، نشر مؤسسة الرسالة – القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م صـ ١٩١.
(٥) عدالة الصحابة : ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم في نص القرآن ؛ فمن ذلك قوله تعالى :"كنتم خير أمة أخرجت للناس " . آل عمران : ١١٠. انظر أبو بكر بن العربي : العواصم من القواصم ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، نشر المكتبة السلفية – الجيزة ، ط٨ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م صـ ٣٢.
(٦) المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال جـ ١٣ صـ ٢٣٧.
(٧) اللالكائي : اعتقاد أهل السنة جـ ١ صـ ٢٩ – ٣٥ بتصرف .
(٨) الإكراه لغة:حمل إنسان على أمر لا يريده، شرعاً :حمل الغير على ما يكره بالوعيد . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١صـ ١٠٥–١٠٦.

، حتى يظهر الحق ، وتبين السوالب ، وأن تكون هناك بيعة عامة ، بعد بيعة أهل الحل والعقد [1] .

وطاعة الأئمة فرض عين [2] ؛ لأن الإمام إذا لم يكن مطاعاً ، يؤدي ذلك إلى إخلال نظام الدين والدنيا ، وظهور الفساد ؛ لقوله تعالى :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ " [3] ، إلا فيما يأمرون من المعاصي ، فحينئذ لا إثم على الآبي ، ولا يحل الخروج عليهم ، وإن جاروا ، ولا ينعزلون عن الإمامة ، والولاية ، وإن ظلموا ، أو ارتكبوا كبيرة [4] ، ولا ندعو عليهم إذا ظلموا ، بل ندعو لهم بالصلاح والعدل [5] .

وقد أجمع الصحابة على خلافة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ – رضي الله عنهم – ، وهم قرشيين ، وعليٌّ قرشي هاشمي [6] .

<u>على من يجب نصب الإمام عند الفرق الإسلامية ، وما موجبها عندهم :</u>

انقسمت الفرق الإسلامية حول ذلك إلى ثلاث مذاهب هي :

<u>المذهب الأول : مذهب الشيعة الإمامية والزيدية وبعض المعتزلة[7] :</u> يرون أن إقامة الخليفة أمر واجب على الله [8]؛ لأن الله تعالى أوجب على نفسه فعل الأصلح ؛ وهو لطيف بعباده [9] والحاكم في ذلك الشرع عند الإمامية ، والعقل عند المعتزلة ، ولا يختلف الحكم في زمن الفتنة وغيره [10] ، فأهل الحل والعقد ممنوعون من اختيار الإمام [11] .

---

(1) د أحمد غلوش : النظام السياسي في الإسلام ص ١٩٢ – ١٩٥ بتصرف .

(2) فرض العين: هو ما توجه فيه الطلب إلى كل مكلف بعينه ، ولا يجزئ قيام مكلف به عن آخر ، ولا تبرأ الذمة إلا بأدائه . د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ص ١٢٦. أيمن بن علي موسى : غاية المأمول في شرح البداية في الأصول ص ٧٤.

(3) سورة النساء : آية رقم ٥٩ .

(4) الكبيرة : ما كان حراماً محضاً شرع عليها عقوبة بنص قاطع في الدنيا والآخرة . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٣ ص ٨٢.

(5) عبد الواحد التميمي : اعتقاد الإمام ابن حنبل ، ط دار المعرفة – بيروت ، د ت ص ٣٠٥ . المتولي الشافعي : الغنية في أصول الدين ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر ، نشر مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية - بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧م ص ١٧٨.

(6) اللالكائي : اعتقاد أهل السنة جـ ١ ص ٢٩ - ٣٥ بتصرف . وانظر الاسفرائيني : التبصير في الدين جـ ٢٠ – ٣٠ بتصرف .

(7) القائلين بالنص الجلي : النظامية ، والأسواري ، والإسكافي ،وجعفر بن مبشر ،وجعفر بن حرب . الشهرستاني:الملل والنحل ص ٥٢ – ٥٣ .

(8) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢١.

(9) د أحمد غلوش : النظام السياسي في الإسلام ص ٢٢٠.

(10) الباجوري : أرجوزة جوهرة التوحيد ، نشر جامعة الأزهر ، ٢٠٠٦م / ٢٠٠٧م ، ١٤٢٧هـ / ١٤٢٨هـ جـ ٢ ص ٢١٧.

(11) الطوسي : الاقتصاد ص ٢٣٥.محمد السند : أسس النظام السياسي عند الإمامية ، تحقيق : محمد حسن الرضوي ، مصطفى الإسكندري ، ط سرور ، نشر باقيات – قم ، ط١، ١٤٢٦هـ ص ٣٢٤. الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه جـ ١ ص ٩.

ونرد : أن إقامة الخليفة سنة مؤكدة ؛ لأنهم ظلوا مدة لم يكن لهم إمام حتى ولي أبو بكر(١) وبعد عمر.

المذهب الثاني : مذهب الخوارج وبعض المعتزلة : يرون أن نصب الخليفة ليس واجباً شرعياً على الأمة ، بل هو أمر جائز ، ولا لوم على الناس إن تركوا اختيار الإمام ، بل جوزوا ألا يكون في العالم إماماً أصلاً (٢) ، والحاكم في ذلك العقل لا الشرع ، ولذلك يختلف الحكم بالوجوب زمن الفتنة ؛ لتسكينها ، وقيل : يجب في غير زمن الفتنة لأنه زمن الطاعة (٣).

المذهب الثالث : مذهب أهل السنة : يرون أن نصب الإمام واجبٌ أوجبه الله تعالى على الأمة(٤) عند عدم النص من الله ورسوله على معين من الأمة ، والحاكم في ذلك الشرع (٥) .

ونقول : بجمد الله تعالى اتفق الجميع تقريباً على وجوب نصب الإمام ولكن اختلفوا في الموجب لهذا .

أدلة القرآن والسنة على وجوب الإمامة عند أهل السنة :

استدلت أهل السنة بأدلة كثيرة منها : قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ " (٦) ، فإن رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – بَعَثَ سَرِيَّةً وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رجُلاً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا خَرَجُوا وَجَدَ عَلَيْهِمْ فِي شَيْءٍ ؛ فَقَالَ لَهُمْ : أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَكُمْ رسول الله – ﷺ – أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى ، قال : فاجمعوا لِي حَطَبًا – ثُمَّ دَعَا بِنَارٍ فَأَضْرَمَهَا فِيهِ ، ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنها ، فَقَالَ لَهُمْ شَابٌّ : إِنَّمَا فَرَرْتُمْ إلى رسول الله – ﷺ – مِنَ النَّارِ، فَلَا تَعْجَلُوا حَتَّى تَلْقَوْا رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوهَا فَادْخُلُوهَا ، قَالَ : فَرَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : " لَوْ دَخَلْتُمُوهَا مَا خَرَجْتُمْ مِنْهَا أبداً ، إنما الطاعة في المعروف " (٧) .

---

(١) ابن حجر : فتح الباري جـ ٧ صـ ٢٥.

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل صـ ٩٩.

(٣) الباجوري : أرجوزة جوهرة التوحيد ، نشر جامعة الأزهر جـ ٢ صـ ٢١٦ – ٢١٧ بتصرف .

(٤) د أحمد غلوش : النظام السياسي في الإسلام صـ ٢٢٤ - ٢٢٥ بتصرف.

(٥) الباجوري : أرجوزة جوهرة التوحيد جـ ٢ صـ ٢١٦ – ٢١٧ بتصرف .

(٦) سورة النساء : آية رقم ٥٩.

(٧) أحمد بن حنبل : المسند جـ١ صـ٨٢ . البخاري : صحيح البخاري جـ ٤ صـ ١٥٧٧. مسلم : صحيح مسلم جـ ٣ صـ ١٤٦٩ .

وعن عبادة بن الصَّامِتِ [1] – رضي الله عنه – قَالَ : بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فِي مَنْشَطِنَا ، ومكرهنا ، وعسرنا ، ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ، قَالَ: " إِلاَّ أَن تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ " [2] .

وقَالَ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ –: " مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ ، وَثَمَرَةَ فؤاده ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ " [3] ، وَالْأَحَادِيثُ في هذا كثيرة .

وهذا ينبهنا إلى لزوم الإمامة ، وأن إقامة الدولة في المجتمع الإسلامي من بديهيات وضروريات الشريعة الإسلامية "[4].

<u>طرق اختيار الخليفة (الإمام) عند المسلمين :</u>

للإمام أربعة طرق للتعيين عند جميع فرق الإسلام هي :

<u>الطريقة الأولى : طريقة الشيعة وبعض المعتزلة (طريقة التعيين)</u> وهي : تعيين الإمام علياً بالنص الجلي من الله – عز وجل – لنبيه [5] ، فلا يجوز لأحد أن يعترض على الإمام ، واختلف أهل السنة في خلافة أبي بكر – رضي الله عنه – فذهب بعضهم إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة ، وذهب غيرهم إلى أنها تثبت بالاختيار من الأمة [6].

<u>الطريقة الثانية : (ولاية العهد)</u> : بأن يتولى الإمام بعهد من الخليفة السابق له ، وذلك كما فعل أبو بكر حين عهد لعمر بالخلافة[7] ، أو لعدد يعينهم يختارون خليفة من بينهم [8] ؛ كما عهد عمرُ

---

(١) عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ بنِ قَيْسِ بنِ أَصْرَمَ الأَنْصَارِيُّ : أَبُو الوَلِيْدِ ، أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ ، وَمِنْ أَعْيَانِ البَدْرِيِّيْنَ ، شهد بيعة الرضوان ، سَكَنَ بَيْتَ المَقْدِسِ ، مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلاَثِيْنَ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ٥ – ١١.

(٢) الإمام البخاري : صحيح البخاري جـ ٦ صـ ٢٥٨٨. الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه جـ ١ صـ ٥٨١.

(٣) قال الألباني والأرناءوط : صحيح . أبو داود السجستاني : السنن جـ ٤ صـ ١٥٦ . ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١٣ صـ ٢٩٤.

(٤) د عامر النجار : مذاهب الإسلاميين صـ ٤١٥ ، نقلا عن : الأستاذ عبد الله الدميجي : الإمامة العظمى عند أهل السنة .

(٥) الشريف المرتضى : الانتصار صـ ٢٥. المنهاجي الأسيوطي : جواهر العقود ، تحقيق : مسعد عبد الحميد محمد السعدني ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م جـ ٢ صـ ٢٧١. علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ١ صـ ٣٠٩.

(٦) علي الحسيني الميلاني : شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة ، ط وفا، نشر مركز الحقائق الإسلامية – قم ، ط١، ١٤٢٨هـ جـ٣صـ ٢٠٤. ابن أبي العز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية ، نشر المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٤، ١٣٩١هـ صـ ٥٣٣.

(٧) الباجوري : أرجوزة جوهرة التوحيد جـ ٢ صـ ٢١٧ بتصرف .

(٨) لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية : شبهات حول الشيعة جـ ١ صـ ٢٤ – ٢٥ بتصرف .

– رضي الله عنه – للستة من بعده ، ويتبع ذلك في الحالتين بيعة العامة [1] ، وقد قبل ولاية العهد الرضا – عليه السلام – من المأمون ، ولكن الشيعة تقول : قبلها تقية [2] .

الطريقة الثالثة : (القهر والغلبة) ويسمى الإمام المتغلب[3]: حين يستخدم إنسان قوته العسكرية ، ويستولي على الحكم ، بلا بيعة ، ولو لم يكن أهلاً لها ؛ لأن درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة ، وحقناً للدماء ؛ فلا يجوز الخروج عليه[4] ، وهذه نظرية تبرير لا نظرية تشريع ، وإضفاءً الشرعية عليه [5] .

الطريقة الرابعة : (بيعة أهل الحل والعقد[6]**) وتسمى طريقة الشورى**[7]: حين يقوم أهل الحل والعقد باختيار شخص جامع لشروط الإمامة ، ويرشحونه ، ويبايعونه بيعة خاصة ، وبعدها يقوم المسلمون بمبايعته بيعة عامة ، مثل بيعة أبي بكر[8] ، وحيث لا يمكن استشارة المسلمين جميعاً ؛ فلابد من الأخذ بالميسور من ذوي الرأي [9] .

ويشترط في أهل الشورى : أن يكونوا محيطين بأحكام القرآن والسنة ، غير متهمين في دينهم ، خالين من خوارم المروءة ، وأسباب الفسق ، لهم علم بأمور السياسات [10] .

وظائف الإمام :

تعد الإمامة من أهم المراكز الحساسة في الإسلام ؛ لأنها تصون الأمة ، وتحميها من الاعتداء ، وتوفر لها الكرامة ، والحرية ، وتحقق لها جميع ما تصبوا إليه [11] .

ومن أهم وظائف الإمام : رفع الخصومة بين المتخاصمين ، وأن يظهر الحق بما أعطاه الله من ملكات تؤهله لذلك [1] ، وتبيين مفاهيم القرآن الكريم ، وحل معضلاته ، وبيان مقاصده ، خلافة

---

(١) د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية عرض ونقد ص ٥٦.

(٢) الفيض الكاشاني: الوافي جـ ٣ص ٨١٩. حسن آل عصفور : سداد العباد ورشاد العباد ص ٤٤٥. الخميني : المكاسب المحرمة جـ٢ص١١٢.

(٣) الشيخ المفيد : المقنعة ص ٨١٠. الشريف المرتضى : رسائل الشريف المرتضى جـ ٢ ص ٩٠. الطوسي : الخلاف جـ ٢ ص ٣٢.

(٤) الباجوري : أرجوزة جوهرة التوحيد جـ ٢ ص ٢١٧ بتصرف .

(٥) لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية : شبهات حول الشيعة جـ ١ ص ٢٥.

(٦) أهل الحل والعقد : أهل العلم والسياسة والجنود وكبار الجماهير . د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية ص ٥٤.

(٧) لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية : شبهات حول الشيعة جـ ١ ص ٢٤.

(٨) د أحمد غلوش : النظام السياسي في الإسلام ص ٢٢٣ – ٢٣٩ بتصرف .

(٩) لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية : شبهات حول الشيعة جـ ١ ص ٤٠.

(١٠) د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية عرض ونقد ص ٥٩.

(١١) الشيخ باقر شريف القرشي: حياة الإمام الرضا – عليه السلام – ، ط مهر – قم ، ١٣٧٢ش جـ ١ ص ٢٨٨.

للنبي – ﷺ – ؛ عملاً بقوله تعالى:" وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم " [٢] ، وبيان الأحكام الشرعية ؛ لأن الناس كانوا – ولا يزالون – محتاجين لمن يبين لهم الأحكام ، وهذه وظيفة الإمام بعد النبي استكمالاً لمسيرة النبوة .

والسبب في وجوب هذه الوظائف كما تدعي الشيعة : أن كل ما ورد إلينا من أحاديث النبي – ﷺ – لا تتجاوز (٥٠٠) [٣] حديث ، وهذه لا تكفي حاجة الناس المتنامية ، ولا حتى يوصلهم لمرحلة الاكتفاء الذاتي في مرحلة التقنين ؛ فلابد أن يملأ الإمام الفراغ الذي حصل بموت النبي – ﷺ – [٤] ؛ لذلك يرى الشيعة أن عليا أحق الناس بالإمامة ، لكن الصحابة لم يعملوا بهذه الوصية ، وانقلبوا على أعقابهم ، فهم أخذوا أركان الإسلام كلها إلا الإمامة ، مع أن رسول الله – ﷺ – لم يناد – على حد زعمهم بشيء ما نادى بالولاية يوم الغدير – [٥].

الفرق بين الخليفة عند أهل السنة ، والإمام عند الشيعة :

١- الخليفة تختاره الأمة ، بينما الإمام عند الشيعة يعين بوحي من الله ووصية من الرسول – ﷺ – ثم من الأئمة بعده ، ولا دخل للأمة في اختياره .

٢- الإمام عند الشيعة شخص مقدس ، ظل الله في الأرض ، بينما الخليفة عند أهل السنة مسلم عادي ، يُوَلَّى لصفات فيه تؤهله لهذا المنصب الكبير ذي المسؤولية الجسيمة .

٣- الإمام عند الشيعة يملك الغفران والحرمان ، فهو قسيم الجنة والنار، بينما الخليفة عند أهل السنة لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا بإذن الله ، بل هو نفسه يرجوا رحمة الله وعفوه .

٤- الإمام عند الشيعة وحده يملك تفسير القرآن[٦] ، وإظهار الأحكام ، وأقواله سنة مساوية للوحي ؛ بناء على وحي من الله ؛ فلا يرد قوله ، وعند أهل السنة ليس للخليفة شيء من هذا بل قد يكون العلماء أفهم للنصوص منه [١] .

---

(١) عبد العظيم المهتدي البحراني : من أخلاق الإمام الحسين ، ط الطبعة العلمية – قم ، ط١ ،١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ص ٩٩ .

(٢) سورة النحل : آية رقم ٤٤ .

(٣) لا ندري من أين جاء بهذا الرقم ، وفي هذا اتهام لله أولًا ؛ في عدم أمر نبيه بتبيين كل أحكام الدين لأمته قبل موته ، ثم اتهام للنبي – صلى الله عليه وسلم – بالتقصير في البلاغ ، ثم اتهام للصحابة في التقصير في التعلم ، ثم اتهام للقرآن بعدم استيفاء مصالح الدين والدنيا.

(٤) جعفر السبحاني : العقيدة الإسلامية ، ترجمة : جعفر الهادي ، ط اعتماد – قم ، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ص ٢٠٠-٢٠٢ بتصرف.

(٥) د عامر النجار : مذاهب الإسلاميين ص ٤٧٥.

(٦) يقول محمد باقر الحكيم : علم التفسير يشتمل على جميع البحوث المتعلقة بالقرآن بوصفه كلاماً لله تعالى له معنى ، ولا يدخل فيه طريقة كتابته ، أو نطقه ، أو جمعه ، وإنما يدخل فيه : شرح معاني المفردات ، وأسباب النزول ، وأحكامه الفقهية ، والناسخ والمنسوخ ،

٥- الإمام عند الشيعة حاكم لا حاكم فوقه ، لا يجوز عزله ، ولا محاكمته ، ولا تقبل استقالته ، وليس للأمة محاسبته ، بينما الخليفة عند أهل السنة يجوز عليه كل ذلك ، فهو ليس بفوق أن يخطئ ، أو يصيب حسب اجتهاده ؛ ولذلك علقت طاعته بالمعروف .

٦- الإمام عند الشيعة شخص معصوم لا يصدر منه زلة ، ولا هفوة ، ولا معصية ، وليس عليه حساب في الدنيا والآخرة ، بل هو يُحَاسِبُ الناس فيهما ، بينما الخليفة عند أهل السنة يحاسبه الناس في الدنيا ، وله يوم القيامة حساب خاص ضيع أم حفظ .

٧- الإمام عند الشيعة انعزل عن شئون الدنيا ، ورعاية مصالح أوليائه ، فأقواله تدور بين التقية وعدم التقية ؛ فلابد من انتظار فقهاء المذهب ؛ لبيان تلك الآراء ، بينما الحلفاء عند أهل السنة يمشون في الأسواق ، ويكلمون الناس ، ويخالطونهم بلا تقية ، ولا كذب ، ولا يستطيع واحد منهم أن يأمر بمنكر ، فإن أمر بمعصية ؛ فلا طاعة له .

بعض الآثار المترتبة على تقديس الأئمة فى عقيدة الشيعة الاثنى عشرية :

من آثار التقديس في عقيدة الإمامة : الغلو في كل ما يتعلق بالإمام :

قدست الشيعة الاثنا عشرية أئمتهم تقديساً ظاهراً لكل راء حتى كادوا يصلوا بهم لدرجة تقديس تقترب من رب العالمين ؛ فيدعي الاثنى عشرية أن الله " آتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين ، وأنهم يُرَون بأجسامهم على الحقيقة بعد موتهم ، ويرون أعدائهم بعد الموت ، ويتحدثون معهم ، وأن كل شيء من خلق الله يذكر محمداً - ﷺ - وآل محمد ، وهم أفضل من أولي العزم من الرسل [٢] ، وأن الله أخذ على كل نبات وحيوان مودتهم ، وأنهم قبلة المصلي ، بمعنى : عند استقبال القبلة

والخاص والعام ، والمطلق والمقيد ، وإعجاز القرآن ، وتأثير القرآن في حياة البشر . انظر محمد باقر الحكيم : تفسير سورة الحمد ، ط شريعت ، نشر مجمع الفكر الإسلامي - قم ، ط١ ، ١٤٢٠هـ صـ ٢٠ - ٢٢ بتصرف .

(١) السيد الخوئي : البيان في تفسير القرآن ، نشر دار الزهراء - بيروت ، ط٤ ، ١٣٩٥هـ صـ ١٨ .

(٢) أولو العزم : أهل العزيمة الصادقة من الرسل ، إشارة إلى قوله تعالى : " فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل " الأحقاف : ٣٥ ، وهم خمسة :" نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد " عليهم السلام ، فكل منهم أتى بعزم ، وشريعة ناسخة لشريعة من تقدمه ، وقيل : هم ستة :" نوح ، وإبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وأيوب" عليهم السلام ، وقيل : سموا أولوا العزم ؛ لأنه عهد إليهم في محمد ، والأوصياء من بعده ، والقائم ، وسيرته ، فأجمع عزمهم على ذلك ، والإقرار به ، وروي : لأنهم بعثوا إلى مشارق الأرض ، ومغاربها ، وجنها ، وإنسها ، وقيل : أولو العزم : أولو الجد ، والثبات ، وقيل : من للتبيين ، وأراد جميع الرسل ، والأظهر : أن من للتبعيض . انظر الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ٢١٨.

اجعل واحداً من الأئمة نصب عينيك [١] ، وأنه لولاهم ما خلق الله السماء ، ولا الأرض ، ولا الجنة ، ولا النار ، ولا آدم ، ولا حواء ، ولا الملائكة ، ولا شيئاً ممَّا خلق ؛ فكل خلق الله من أجلهم [٢].

فجعلوا علياً – رضي الله عنه – قسيم الجنة والنار ، ومالك ، ورضوان صادران عن أمره[٣] ؛ بدليل حديث الأشباح[٤] : " رأى آدم – عليه السلام – على العرش أشباحاً يلمع نورها ، فسأل الله تعالى عنها ، فأوحى إليه : إنها أشباح رسول الله ، وأمير المؤمنين ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين – صلوات الله عليهم – وقال : لولاها ما خلقه الله ، ولا خلق سماءً ، ولا أرضاً "[٥] .

والوجه في ذلك : أنْ دلَّه على تعظيمهم ، وتبجيلهم ، وجعل ذلك إجلالاً لهم ، ومقدمة لما يفترضه من طاعتهم [٦] ، ودليلاً على أن مصالح الدين والدنيا لا تتم إلا بهم [٧].

والمعنى : أن رتبة أرواح الأئمة فوق رتبة النفوس الناطقة البشرية ، فهي محجوبة عن البشر كما أن رتبة الإنسان محجوبة عن الحيوان ؛ ولذا استحق أن يكون وجودهم قبل الأجسام ، وأعلم أن هذا الخبر وإن كان ضعيفاً من جهة الإسناد ، إلا أن معناه يدل على صدوره عن أهل بيت العصمة "[٨] .

والحقيقة أنه تشبيه مقزز أن يشبه المؤمنين من غير الأئمة بالحيوان ! نعم التشبيه حين ترى أن الأنبياء يدخلون في هذا التشبيه ! ومعلوم أنه لا يجوز ذكرهم في معرض التنقص .

---

(١) علي بن بابويه : فقه الرضا ، نشر : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – قم ، ط١ ، ١٤٠٦هـ صـ ١٠٥ بتصرف. علي أصغر مرواريد : الينابيع الفقهية جـ ٣ صـ ١٢. الشيخ المتظري : دراسات في المكاسب المحرمة جـ ١ شرح ص ١٢٥. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨١ صـ ٢٠٧.

(٢) الشيخ الصدوق : الهداية صـ ٢٤ — ٢٥ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٦صـ ٣٧٣.أحمد الهمداني : الإمام علي صـ ٣٣٢.

(٣) علي بن بابويه : فقه الرضا صـ ١٠٥ بتصرف . الطوسي : مصباح المتهجد صـ ٧٥٧. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢٥ صـ ٦٥٩.

(٤) شبَحُ الشَّيءِ : ظِلّه وخيالُه . د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٢ صـ ١١٥٨.

(٥) المراد : أن رتبة أرواح الأئمة فوق رتبة النفوس الناطقة البشرية ، فهي محجوبة عن البشر ، كما أن رتبة البشر محجوبة عن الحيوان ، ولذلك استحق أن يكون وجودهم قبل الأجسام ؛ لأن العقول ، والروحانيين لا يتوقف وجودهم على استعداد المادة كالنفوس المنطبعة ، واعلم أن هذا الخبر – وإن كان ضعيفاً – إلا أن معناه يدل على صدوره عن أهل بيت العصمة . انظر المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٧ هامش صـ ٣٧٠.

(٦) لا يقال : إن الإمام بعد النبي نظير النبي ، يطاع كما يطاع فهذا باطل ، وإنما أولى الناس بالطاعة بعده أكثرهم للنبي طاعة ، وأقربهم إلى تنفيذ أمره ، واجتناب نهيه ، فالدين كله طاعة ، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله . انظر عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية صـ ٣٦ بتصرف .

(٧) الشيخ المفيد : المسائل السرورية ، تحقيق : صائب عبد الحميد ، نشر دار المفيد — بيروت ، ط١٤١٤،٢هـ/ ١٩٩٣م صـ ٣٩-٤٠.

(٨) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ٧ هامش صـ ٣٧٠ .

من أثار التقديس في عقيدة الإمامة : الغلو في علم الأئمة :

تعتقد الشيعة أن الأئمة أخبروا بالغائبات ، كما يظهر على أيديهم المعجزات [1] ، فهم يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة ، الأنبياء ، والرسل ، ويعلمون الغيب [2] ، وإذا شاءوا أن يعلموا علموا ، وأنهم يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم ، وأنهم يعلمون علم ما كان ، وما يكون ، ولا يخفى عليهم الشيء ، وأن رسول الله – ﷺ – لم يعلم علما إلا أمره الله أن يعلمه أمير المؤمنين ، وأن علي – رضي الله عنه – كان شريكه في العلم ، وأنهم محدثون مفهمون ، وأنهم لا يفعلون شيئا إلا بأمر الله ، وعندهم جميع الكتب يعرفونها على اختلاف ألسنتها ، وأنه لم يجمع القرآن كله إلا هم ، وأنهم يعلمون علم النبي – ﷺ – كله ، وأنه ليس شيء من الحق في أيدي الناس إلا ومصدره الأئمة ، وأنه إن لم يخرج من عندهم فهو باطل [3] .

بل نسبوا لأبي عبد الله – عليه السلام – قول :" إني لأعلم ما في السموات ، وما في الأرضين ، وأعلم ما في الجنة ، وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان ، وما يكون " [4] .

ويرد عليهم أبو عبد الله – عليه السلام – حين يُسأل : " الإمام يعلم الغيب ؟ قال : لا " [5] ، بل سأل رجل الصادق – عليه السلام – فقال : أعندكم علم الغيب ؟ فقال له : ويحك [6] زجراً له .

ولا ندري كيف يقولون ذلك ، وقد قال الله – ﷻ – على لسان نبيه – ﷺ – :" وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ" [7] ، أي : من المنافع والمضار الدنيوية ، ولا أدري ما يحدثه الله من العبادات ،

---

(١) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ١ صـ ٢٨٢. الشيخ جعفر السبحاني : أضواء على عقائد الشيعة الإمامية ، نشر مؤسسة الإمام الصادق ، ط١ ، ١٤٢١هـ صـ ٣٥٩.

(٢) يقول المفيد : إن الأئمة من آل محمد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد ، ويعرفون ما كان قبل كونه ، وليس ذلك بواجب في صفاتهم ، ولا شرطاً في إمامتهم ، ولا بواجب عقلاً ،بل وجب لهم من جهة السماع ، فأما إطلاق القول بأنهم يعلمون الغيب ، فهو منكر بين الفساد ؛ لأن هذا إنما يستحقه من علم الأشياء بنفسه ، لا بعلم مستفاد ، وهذا لا يكون إلا لله . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ١٠٤ بتصرف .

(٣) هذه الجمل عناوين لأبواب كتب ذكرها الكليني : في أصول الكافي جـ ١ صـ ٢٥٥ إلى نهاية الجزء .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ١١١. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ٢٦١. محمد الصفار : مختصر بصائر الدرجات صـ ١٤٨.

(٥) الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٣ صـ ٥٩٠. الكليني : أصول الكافي جـ ١صـ ٢٥٧. الشيخ المفيد : الاختصاص صـ ٢٨٦.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٢٨.

(٧) سورة الأحقاف : آية رقم ٩.

ويأمرني به وإياكم "[1] ، ويصرح رسول الله – ﷺ – بعدم علمه ببعض الأمور الغيبية ؛ فيقول :" إن أمة من بني إسرائيل مسخت دواب الأرض ، وإني لا أدري أي الدواب هي " [2].

فأين علم الغيب ، وأين معرفة الغيب يوم أحد حين كسرت رباعيته – ﷺ – وقد قال الله – ﷻ – على لسان نبيه – ﷺ – :" قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ " [3] .

وقد قسمت الشيعة الاثنا عشرية علم الأئمة إلى قسمين :

القسم الأول الوحي : وله طرق منها : النكت في القلوب بالإلهام[4] ، والنقر في الأسماع [5] ، أو يسمع الإمام الكلام ولا يرى الشخص[6] ، ويعطى السكينة والوقار ، حتى يعلم أنه كلام الملك " [7] ، أو تدخل الملائكة بيوتهم ، وتأتيهم بالأخبار[8]، وقد يرون الملائكة على حقيقتهم فيعاين معاينة [9].

يقول أبو جعفر – عليه السلام – :" إن منا من ينكت في أذنه ، وإن منا لمن يؤتى في منامه ، وإن منا لمن يسمع صوت السلسلة تقع على الطشت "[10] ، وإن منا من يقذف في قلبه قذفاً ، ومنا من يخاطب[11]، وقد يكون معهم :" عمود من نور بينهم وبين الله وهو إحدى معاني روح القدس " [12] ، يرى به أعمال الخلائق[13] ، بل في كل قرية عمود يرى به أعمال أهلها [1]، أو وحي كوحي أم

---

(١) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ٣ صـ ١٠٥.

(٢) الشيخ الطوسي : الخلاف جـ ٦ صـ ٧٩. علي أصغر مرواريد : الينابيع الفقهية جـ ٣ صـ ٣٧. أحمد بن حنبل : المسند جـ ٣ صـ ١٩.

(٣) سورة الأعراف : آية رقم ١٨٨.

(٤) الإلهام : في اللغة الإعلام مطلقاً . وفي الاصطلاح : إفاضة الخير في القلب بإلقاء المعنى في القلب أو الروح ، أي : بلا اكتساب ، ويرد عليه قوله تعالى :" فألهمها فجورها وتقواها " ، فتشمل الخير والشر . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١ صـ ١٠٨.

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٢٦٤. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٣صـ ٦٠٧. الصفار : بصائر الدرجات صـ ٣٣٨.

(٦) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٧٦. المفيد : الاختصاص صـ ٣٢٩. السيد هاشم البحراني : ينابيع المعاجز صـ ٤٨.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٦٨. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٢٧١. السيد هاشم البحراني : ينابيع المعاجز صـ ٤٨.

(٨) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٩٣. المجلسي : مرآة العقول جـ ٤ صـ ٢٨٨. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٣ صـ ٦٣٤.

(٩) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٣٥٥. مولى محمد صالح المازندراني:شرح أصول الكافي جـ ٥ هامش صـ ١١٥. الطوسي:الأمالي صـ ٤٠٨.

(١٠) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٢٥٢. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٣٥٨.

(١١) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٢٥٢. الطوسي:الأمالي صـ ٤٠٨. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٨٦.

(١٢) ابن بابويه القمي : عيون أخبار الرضا صـ ٣٥٤. أحمد بن الشيخ صالح آل طوق القطيفي: رسائل آل طوق القطيفي ، نشر شركة دار المصطفى – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م جـ ٣ صـ ١٦٤. الشيخ الصدوق : الخصال صـ ٥٢٨.

(١٣) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٤٥٤. الميرجهاني : مصباح البلاغة جـ ١ صـ ١٩٤.

موسى أو مثل الخضر أو ذي القرنين " (٢) ، وقد يملي عليه جبريل (٣) ، أو جبريل وميكائل معاً ، مثل يوم قريظة والنضير كان جبرائيل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره يحدثانه (٤) ، وقد يأتيه الروح الذي وصفه أبو عبد الله – عليه السلام – :" خلق من خلق الله – عز وجل – أعظم من جبرائيل ، وميكائيل ، كان مع رسول الله – صلى الله عليه وآله – يخبره ويسدده ، وهو مع الأئمة من بعده " (٥)، وقد يصل الإمام إلى عرش الرحمن ؛ يقول أبو عبد الله – عليه السلام – :" إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله – صلى الله عليه وآله – العرش ، ووافى الأئمة – عليهم السلام – معه ، ووافينا معهم ، فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا إلا بعلم مستفاد "(٦) ، بل قد يناجي اللهُ علياً مباشرةً (٧) ، كما قال رسول الله – ﷺ – :" إن الله ناجاه يوم الطائف ، ويوم عقبة تبوك ، ويوم خيبر ، ويوم حنين"(٨) ، وكل ذلك لأن " الإمام إذا أراد أن يعلم شيئا أعلمه الله ذلك " (٩) ، بل يكفيه أن يتوجه إلى قوته القدسية من غير تجشم كسب وتمهيد مقدمات (١٠) وهذا لا يتيسر إلا للمخصوصين المقربين بزيادة اللطف والتوفيق وهم الذين أخذت أيديهم العناية الأزلية ، وأزالت عنهم العوائق البدنية ، وأنزلتهم في أعلى منازل القدس وأرفع مقامات الأنس فصاروا يشاهدونه بلا حجاب ويكالمونه بلا سؤال ولا جواب ، كما هو وصف نبينا – ﷺ – وأوصيائه(١١) . وأقول : هذا هو الاتحاد بعينه إن لم يكن هرطقة .

ولكن قد يقبض الله عنه هذا فلا يعلم (١٢)، ويرد عليهم جعفر بن محمد – عليه السلام – حين سأله أحد الشيعة فقال : إن شيعتكم اختلفت فيكم فأكثرت ، حتى قال بعضهم : إن الإمام ينكت في أذنه

---

(١) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٤٥٦. النوري الطبرسي : خاتمة المستدرك جـ ٩ ص ٢٣٦.

(٢) الشيخ المفيد : الاختصاص ص ٢٨٦- ٢٨٧ بتصرف . السيد هاشم البحراني : ينابيع المعاجز ص ٦٥.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٩ ص ١١٨.

(٤) حسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ١١٣. الشيخ المفيد : الاختصاص ص ٢٨٦. الراوندي: الخرائج والجرائح جـ٢ ص ٨٣٠.

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١ ص ٢٧٣. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٣ ص ٦٣٠. هاشم البحراني : ينابيع المعاجز ص ٧١.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ ص ٨٨. الكليني : أصول الكافي جـ ١ ص ٢٥٤.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٩ ص ١٥١. الشيخ المفيد : الاختصاص ص ٢٠٠.

(٨) الشيخ المفيد : الاختصاص ص ٣٢٨.هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ١ص ٧٥. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٩ص ١٥٤.

(٩) الكليني : أصول الكافي جـ ١ ص ٢٥٨. محمد الريشهري : أهل البيت في الكتاب والسنة ص ٢٣٣.

(١٠) السيد كمال الحيدري : علم الإمام ، تقرير علي حمود العبادي، ط ستارة ، نشر دار فراقد – قم ، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ص ٤١٠.

(١١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١ ص ٩٤ بتصرف .

(١٢) الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ١ ص ١٩٣.

، وقال آخرون : يوحى إليه ، وقال آخرون : يقذف في قلبه ، وقال آخرون : يرى في منامه ، وقال آخرون : إنما يفتي بكتب آبائه ، فبأي قولهم آخذ جُعلت فداك ؟ فقال : لا تأخذ بشيء من قولهم ... نحن حجة الله ، وأمناؤه على خلقه ، حلالنا كتاب الله ، وحرامنا منه [1] .

القسم الثاني : علم موروث : فعن موسى بن جعفر – عليهما السلام – :" مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه : ماض ، وغابر ، وحادث ، فأما الماضي فمفسر ، وأما الغابر فمزبور[2] ، وأما الحادث فقذف في القلوب ، ونقر في الأسماع ، وهو أفضل علمنا ، ولا نبي بعد نبينا " [3] ، وسمي العلم حادثاً ؛ لأنه :" حصل لهم من الله بلا واسطة " [4] ، والعلم الموروث : " علم النبي ، وجميع الأنبياء والأوصياءالذين من قبلهم "[5] ، وعلم الملائكة [6] ، بل هم أعلم من سائر الأنبياء [7] .

وقبل أن يموت النبي– ﷺ – أمر علياً : أن يضع فمه على فمه ؛ ففعل ، ثم قال عليٌّ – رضي الله عنه – :" أنبأني بما هو كائن إلى يوم القيامة " [8] ، بل قال رسول الله – ﷺ – :" يا علي إذا أنا متُّ فاغْسلني ، وكفِّني ، ثمَّ أقعدني ، وسائلني عما بدا لك،واكتب"[9] ، وفي رواية :" فضع سمعك على فمي ، ثم اعقل ما أقول لك ، قال : ففعلت ما أمرني به رسول الله – ﷺ – فحدثني بما هو كائن إلى يوم القيامة "[10].

أثر التقديس في مكانة الإمام عند الشيعة الاثني عشرية وحكم منكرها [11] :

---

(١) القاضي النعمان المغربي : دعائم الإسلام جـ ١ صـ ٥٠. الألوسي : تفسير الألوسي جـ ٢٢ صـ ٤١.

(٢) زبر الكتاب : كتبه . انظر المعجم الوجيز ، مادة زبر صـ ٢٨٥.

(٣) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٢٦٤. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢ صـ ٢٠٦. الصفار : بصائر الدرجات صـ ٣٣٨.

(٤) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٦ صـ ٤٤.

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١صـ ٢٢٣. المجلسي : مرآة العقول جـ ٣ صـ ١٤. الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٧ صـ ٢٧٩.

(٦) الكليني : أصول الكافي جـ ١صـ ٢٢٥. السيد هاشم البحراني : ينابيع المعاجز صـ ١٦٠ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٠ صـ ٢٠٨. الطوسي : الرسائل العشر صـ ٣٠٧. أحمد آل طوق القطيفي: رسائل آل طوق جـ ١ صـ ١٠٥.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٠ صـ ١٢٧. السيد جعفر مرتضى العاملي : الصحيح من سيرة الإمام علي ، ط دفتر تبليغات إسلامي ، نشر ولاء المنتظر – قم ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ / ١٣٨٨ش جـ ٨ صـ ٣١٧. السيد جعفر مرتضى العاملي : الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، ط دار الحديث ، – قم ، ط ١ ، ١٤٢٦هـ / ١٣٨٥ش جـ ٣٢ صـ ١٥١.

(٩) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٠ صـ ٢١٣. الصفار : بصائر الدرجات صـ ٣٠٣. الأحمدي الميانجي : مكاتيب الرسول جـ ١ صـ ٤١٥.

(١٠) الشريف الرضي : خصائص الأئمة ، تحقيق : محمد هادي الأميني ، نشر مجمع البحوث الإسلامية – الآستانة الرضوية المقدسة – مشهد – إيران ، ١٠٤٦هـ صـ ٥٥ .

(١١) يمكن أن يقال : إن مسألة الإمامة بعد موت النبي من أهم مسائل الدين ، ولكن ليست أهمها على الإطلاق ، فالإيمان بالله ورسوله أعظم منها ، ويدل على ذلك أن المتتبع لنصوص التوحيد ، والصلاة ، والزكاة وغيرها يجدها أكثر بكثير من نصوص الإمامة ، فلا يقال

من أثر التقديس الواضح في عقيدة الإمامة أن اعتقدوا أن الإمامة من أصول الدين[١] ، ومن أركان الإيمان والإسلام [٢] ؛ فقد روي : " بني الإسلام على خمسة أشياء : على الصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصوم ، والولاية " [٣]، و" إن أمر الإمامة من أعظم أركان الإسلام"[٤] ، ولكن الشيعة الإمامية زادوا ركناً خامسا هو الاعتقاد بالإمامة "[٥] ، ثم حذفوا الصوم والحج فعن الصادق – عليه السلام – :" أثافي [٦] الإسلام ثلاثة : الصلاة ، والزكاة ، والولاية لا تصح واحدة منها إلا بصاحبتها " "[٧] ، ثم حذفوا الجميع وبقيت الإمامة ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبي قط إلا بها "[٨].

ترك النبي – صلى الله عليه وسلم – أهم مطالب الدين لأقلها ، ثم القول بإن الإمامة أهم أصول الدين : كذب بإجماع المسلمين سنيهم وشيعيهم ؛ لأن الإيمان بالله ورسوله أهم من مسألة الإمامة ، فالكافر لا يصير مؤمناً حتى يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وهذا هو الذي قاتل عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الكفار أولاً، فجعل الأخوة في الدين تقوم على الإيمان بالله ورسوله ، ولم يدع أحداً إلى الإسلام ، واشترط عليه الإيمان بالإمامة ، ولا قالها بعد إسلام أحد ليكمل بها إيمانه ، ولم يقل عمن مات في حياته أنه ناقص الإسلام ، بل هم بإجماع السنة والشيعة أفضل الخلق لأنهم ماتوا والنبي – صلى الله عليه وسلم – راض عنهم بالإجماع ، وإذا احتجوا بالروايات ، فنرد عليهم برواياتنا التي تنفي ذلك ، مع كون رواياتهم عند المحدثين ساقطة موضوعة ؛ لأنها من روايات الكذابين عند أهل المعرفة ، فإذا ما تركوا الروايات تركنا نحن الروايات ، أما بالعقل : فالعقل يقول :إن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يوقف صحة إسلام من أسلم حديثاً على معرفة الإمامة ، ولو قيل : إنها داخلة في عموم النصوص ، فهذا دليل على أنها فرع ، وأنها مندرجة تحت أصل. انظر عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية ص ٤٨-٤٩ بتصرف ، ص ٣٢- ٣٣ بتصرف .

(١) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة ج ١ص ٨٥. الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ج ٦ص ٦٣. جعفر العاملي : مختصر مفيد ج ٦ص ٥٦.

(٢) د أبو الفتوح الأنور : شيعة إيران وأصولها وموقف أهل السنة منها ص ٨٥ .

(٣) الجواهري : جواهر الكلام ج ١٧ص ٢٢٣. المحقق الأردبيلي : مجمع الفائدة ج ٥ ص ٤. المحقق السبزواري: كفاية الأحكام ج ١ص٢٢٦.

(٤) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي ج ٥ ص ٢٢٣. محمد تقي النقوي القايني الخراساني: مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة ، مطبعة گلشن – طهران ، نشر مدرسه چهل ستون ومكتبتها العامة ، دت ج ٢ ص ٢٤٣. الشريف المرتضى : الشافي في الإمامة ج ٣ص ١٤٢.

(٥) الشيخ حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص ١٣٤ بتصرف . الحاج سعيد أبو معاش : الشيعة الفرقة الناجية ، ط ثامن الحجج ، نشر مؤسسة السيدة المعصومة – قم ، ط١ ، ١٤٢٨هـ ج ١ ص ٢٥٨.

(٦) الأثافي : الشكل المثلث من الحجارة التي ينصب عليها القدر عند الطبخ ، واستعير هنا للأركان التي يعتمد عليها في مهمات الأمور . انظر إحسان إلهي ظهير : الشيعة والسنة ، نشر دار ابن حزم – القاهرة ، ط١ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م هامش ص ٦٥.

(٧) الكليني : أصول الكافي ج ٢ص ١٨. الفيض الكاشاني : الوافي ج ٤ ص ٩٧. آقا رضا الهمداني : مصباح الفقيه ج ٧ ص ٢٨١.

(٨) الكليني : أصول الكافي ج ١ص ٤٣٨. البروجردي : جامع أحاديث الشيعة ، ط مهر – قم ، ١٤٠٩هـ / ١٣٦٧ ش ج ١٢ ص ٣١٦. المجلسي : بحار الأنوار ج ٩٧ ص ٢٦٢.

ومن أنكر الإمامة فهو على حد الشرك وقف ؛ فعن أبي جعفر – عليه السلام – :" ومن لم يعرف الله ، ولا يعرف الإمام منا أهل البيت ، فإنما يعرف ويعبد غير الله " [1] .

بل هي الإسلام كله عن الباقر – عليه السلام – في قوله تعالى :" إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" [2] ، قال : التسليم لعلي بالولاية [3] .

وإن قلت : فإذا كان كمال الدين بأمير المؤمنين ؛ فلا حاجة إلى الباقين ؛ قلت : الأئمة كلهم في حكم والدهم في التقدم ، والفضل ، حتى قيل : إنهم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها ، وكالنقطة التي تستوي الدائرة بها ، فلو خلا الزمان منهم لخلا من لطف [4] الله [5] تعالى .

وبعضهم يقسم الإسلام إلى عشرة أسهم ؛ فعن رسول الله – ﷺ – :" جاءني جبرائيل فقال لي : يا أحمد الإسلام عشرة أسهم ، وقد خاب من لا سهم له فيها أولها : شهادة أن لا إله إلا الله ، وهي الكعبة ، والثانية : الصلاة ، وهي الطهر ، والثالثة الزكاة ، وهي الفطرة ، والرابعة الصوم ، وهي الجنة ، والخامسة : الحج ، وهي الشريعة ، والسادسة : الجهاد ، وهو العز ، والسابعة : الأمر بالمعروف ، وهو الوفاء ، والثامنة : النهي عن المنكر ، وهي الحجة ، والتاسعة : الجماعة ، وهي الألفة ، والعاشرة : الطاعة ، وهي العصمة [6]. فأين الولاية ؟ من هذه الأسهم العشرة .

وبعضهم حاول التوفيق فقسموا أصول دين الإسلام إلى قسمين :

قسم منها : ما يترتب عليه جريان حكم المسلم في الفقهيات، وهو الشهادة بالوحدانية ، والشهادة بالرسالة .

---

(١) الكليني : أصول الكافي جـ ١ص ١٨١. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١ ص ٩٢.

(٢) سورة آل عمران : آية رقم ١٩ .

(٣) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ٢ صـ ٢٩٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٥ صـ ٣٤١.

(٤) اللطف عند المعتزلة والشيعة : هو ما يقرب العبد إلى الطاعة ، ويبعده عن المعصية ، ويكون تارة من فعل الله ؛ فيجب عليه ، وتارة من فعل المكلف ؛ فيجب عليه تعالى إشعاره به ، وإيجابه عليه ، وتارة يكون من فعل غيرهما ؛ فيشترط في التكليف العلم به ، وإيجاب الله ذلك الفعل على ذلك الغير ، وإثابته عليه ، والكل واجب على الله ؛ وإلا لكان ناقضاً لغرضه ، وهو قبيح عقلاً ، هذا عند الحكماء والمعتزلة ، دون الأشاعرة . الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ٢٠٣. الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٣صـ ١٢٢ . ونرد بقوله تعالى :" فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ".البروج: ١٦.

(٥) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ، تحقيق : محمد الباقر البهبودي ، ط الحيدري ، نشر المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية – النجف – العراق ، ط١ ، ١٣٨٤هـ جـ ٢ صـ ٢١٨ – ٢١٩ بتصرف.

(٦) الصدوق:علل الشرائع ، تحقيق : السيد محمد صادق بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية – النجف ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م جـ ١صـ ٢٤٩.

وقسم منها : يتوقف عليه النجاة الأخروية فقط ، والدخول في الجنة ؛ فيحرم دخولها على من لم يعترف به ، ويساق إلى النار في زمرة الكفار ، وهذا القسم يسمى بأصول الإيمان ، ومن القسم الثاني : الاعتقاد بالإمامة والاعتراف بالإمام ، فإن الإمامة مرتبة تالية للنبوة ، ونسبتها للنبوة نسبة العلة المبقية إلى العلة المحدثة [1] ؛ ولو صدق لقال كما قال من يغالي فيقول : " إن مرتبة الإمامة كالنبوة " [2] ؛ لأن العلة المبيقة أهم من العلة المحدثة ؛ فالماء أهم من البذرة .

ويؤيد هذا ما روي عن أبي جعفر – عليه السلام – أنه سئل أي شيء أعظم من أركان الإسلام ؟ قال : الولاية لأنها مفتاحهن ، والوالي هو الدليل عليهن [3] ، فلو أن رجلا قام ليله لم ينم ، وصام نهاره كله ، وتصدق بجميع ماله ، وحج جميع دهره ، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه [4] ، ما كان له على الله – عز وجل – حق في ثوابه ، ولا كان من أهل الإيمان [5] ، فأين الإيمان بالتوحيد ، والنبوة ، والمعاد وهم أصل الإيمان عندهم .

ويعتقدون أنها أهم حدود الإيمان من خرج منه خرج من الإيمان ؛ قيل لأبي عبد الله – عليه السلام – : أوقفني على حدود الإيمان ؛ فقال : " شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، والصلوات الخمس وأداء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت ، وولاية ولينا ، وعداوة عدونا ، والدخول مع الصادقين " ، وعن أبي جعفر :" ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية وهي أعظمهن وأشرفهن " [6] وهذا يعني تفضيل الإمام على التوحيد والنبي وبقية الأركان ! .

---

(١) أحمد الرحماني الهمداني : الإمام علي بن أبي طالب ، نشر مكتبة المنير – طهران ، ط١ ، ١٤١٧هـ صـ ٤٩٩-٥٠٠.

(٢) أحمد الرحماني الهمداني : الإمام علي بن أبي طالب صـ ٥٠٠. صالح الورداني : عقائد السنة وعقائد الشيعة صـ ١٦٠.

(٣) سورة آل عمران : آية رقم ٩٧.

(٤) يقول الطوسي في ترجمة جعفر بن محمد :" ذكروا أن جعفراً حدثهم عن أبيه عن جده في أمر الرجعة قبل يوم القيامة ، وأن علياً – عليه السلام – في الحساب يطير مع الريح ، وأنه كان يتكلم بعد الموت ، وأنه كان يتحرك على المغتسل ، وأن إله السماء ، وإله الأرض الإمام " ، ثم يعقب ، ويقول :" والله ما قال جعفرٌ شيئا من هذا قط ، كان جعفر أتقى لله وأورع من ذلك " . انظر الشيخ الطوسي : اختيار معرفة الرجال تحقيق : مهدي الرجائي ، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – قم ، دت جـ ٣ صـ ٦١٧ بتصرف .

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ١٨-١٩. الفيض الكاشاني جـ ٤ صـ ٩٠. الميرزا القمي : غنائم الأيام جـ ٣ صـ ٣٤١.

(٦) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ١٨. المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٨ صـ ٤٢٣.الشيخ الأنصاري : الطهارة جـ٥ صـ ١٢٥.

وتعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن الإمامة منصب إلهي ، فإن الله لا يوجب شيئا لا ضرورة له [١] ، قال علي بن أبي طالب – عليه السلام – :" من لم يقر بولايتي ؛ لم ينفعه الإقرار بنبوة محمد – ﷺ – ؛ ألا إنهما مقرونان " [٢] ، فما حكم خديجة – رضي الله عنها – وقد ماتت قبل ولايتهم؟ .

وبسبب أن " مرتبة الإمامة أعلى من مرتبة النبوة "[٣] ؛ لابد أن يكون تعيين الإمام بالنص الجلي على الأئمة الاثني عشر[٤] ، ويكون نصبه وتكليفه واجب على الله تعالى ، ويجب على الله أن يظهر المعجزة[٥] على يده حين ظهوره ليعرفه الناس ، فأشبه النبي في ذلك [٦] بل زاد .

ويجب على الله [٧] أن يعهد لكل إمام على حدة ، بوحي من الله ؛ فعن الصادق – عليه السلام – " أترون أن الوصيَّ [٨] منا يوصي إلى من يريد ؟ لا ، إنه عهد من الله ورسوله لرجل ، فرجل ،

---

(١) صالح الورداني : عقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب والتباعد ، ط الغدير – بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ص ١٥١ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ ص ٣. علي أبو معاش : الأربعين ، ط علمية ، نشر الاعتصام – قم ، ط١، ١٤٢١هـ جـ ٤ ص ١٥٩.

(٣) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٥ هامش ص ١١٦.ابن أبي جمهور الأحسائي : عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث النبوية ، نشر دار سيد الشهداء – قم ، ط١ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م جـ ٢ هامش ص ١٧.

(٤) الشريف المرتضى : الانتصار ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، ط١ ، ١٤١٥هـ ص ٢٥.

(٥) المعجزة : من الإعجاز ، وهي أمر داع إلى الخير والسعادة يظهر بخلاف العادة على يد من يدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله ، والتحدي المعارضة مثل الإسراء والمعراج . القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٣ ص ٢٠٢ .

(٦) الشيخ المفيد : النكت الاعتقادية ص ٤٥ .

(٧) مسألة الوجوب على الله : هي من قول الشيعة والمعتزلة ، ومذهب أهل الحق أن لا واجب على الله أصلاً ، يتصرف في مملكته على حسب إرادته ومشيئته ؛ لأن حقيقة الواجب ما استوجب من وجب عليه الذم بتركه ، والرب تعالى عن الذم علواً كبيراً ، قال تعالى : فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ" سورة آل عمران : ١٧٠، وقوله تعالى :" فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ " النساء ١٧٣، فاعلم أن ذلك بفضله لا بالعمل. وسئل النبي – صلى الله عليه وسلم – أيدخل أحد منا الجنة بعمله ؟ فقال : لا. فقيل : ولا أنت ؟ فقال: ولا أنا ؛ إلا أن يتغمدني الله برحمته ، فقال له بعض الصحابة : ففيم العمل ؟ فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ. وإنما وعد الله سبحانه بالثواب وأوعد بالعقاب ، وقوله الحق ، ووعده الصدق ، فنصب الطاعات أمارة على الفوز بالدرجات ، والمعاصي أمارة على التردي في الهلكات ، وكل ذلك أمارة للخلق بعضهم على بعض ، لا له سبحانه ؛ فإنه علم بالأشياء قبل كونها ، وكذلك أن الواجب يقتضي موجباً ، والموجب فوق الموجب عليه ، وليس أحد فوق الله – عز و جل –. انظر البخاري : صحيح البخاري جـ ٦ص ٢٧٤٥، صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٤٠. أبو داود : السنن جـ ٤ ص ٢٢٤. جمال الدين الغزنوي : أصول الدين ص ١٧٤ بتصرف . صالح الفوزان : إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م جـ ١ ص ٤٧ – ٤٨.

(٨) نظرية الوصاية على الخلق : كانت خلاصة فلسفة أفلاطون الحكومية : أن الرعية بمثابة القاصرين ؛ الذين لا يزالون بحاجة إلى الأوصياء ، ويجوز في حقهم أن يخدعوا كما يخدع الأطفال بالحكايات والأساطير . د أحمد غلوش : النظام السياسي في الإسلام ص ١٩٦.

حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه [١] ، وكل ما دل على وجوب النبوة يدل على وجوب الإمامة ؛ لأن الخلافة للنبوة مثل النبوة ، إلا في تلقي الوحي من غير واسطة [٢] .

حتى وصل بهم تقديس الإمام الثاني عشر إلى أن جعلوا له حياة غيبية طويلة لا يعتريه فيها الموت ، حتى يعود إلى الدنيا ؛ ليقيم العدل الإلهي[٣] ، والسبب في إخفاء الله تعالى له وغيبته هو كثرة العدو ، وقلة الناصر[٤] ، ولا تستغرب فإنهم يزعمون أن القرآن جاء بوجود الإمام في كل زمان [٥] ، ولا ندري من أتوا بهذه السابقة التي لم يسبقهم بها أحد ، فالله تعالى عجز عن نصرته فغيبه حتى ينصره .

ونجيب فنقول : هل يجب على الله تعالى أن يرسل في كل عصر نبي ، وفي كل بلد معصوم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولكن القول باطلٌ [٦] ، فما الذي حدث من اللطف في ولاية أئمتهم من فتح البلاد ، وتمكين السلطان للمسلمين ، بل إن اللطف الذي حصل في عهد الخلفاء الثلاثة أكثر من اللطف الذي حصل في عهد الإمام علي – رضي الله عنه – [٧] .

أم حكم من ترك الإيمان بها فهو مشرك لم يبق له من الإسلام حبة خردل قال فيه – ﷺ – عندهم :" برز الإيمان كله إلى الشرك كله "[٨] ، لا ينج يوم القيامة ؛ قال الحسين – عليه السلام – عن أهل السنة كما تدعي الشيعة : من الناس : طبقة : يتزينون بنا ، وتلك الزينة غير نافعة لهم يوم القيامة ؛ لتركهم أعظم أركان الإسلام [٩].

ولذلك فإن المنحرفين عنها ، والمنكرين لها : عن الإسلام خارجون ، وفي جهنم داخلون – إلا المعذورون – وإن عوملوا بها معاملة المسلمين ؛ حفظاً لمذهب أهل البيت ، ومصلحةَ المؤمنين ،

---

(١) الكليني : الكافي جـ ١ صـ ٢٧٧. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢ صـ ٢٥٧. الصفار : بصائر الدرجات صـ ٤٩٢.

(٢) حبيب الله الهاشمي الخوئي: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، تحقيق : سيد إبراهيم الميانجي ، ط الإسلامية – طهران ، نشر بنياد فرهنگ امام المهدي ، دار الهجرة – قم ، ط٤ ، ١٣٦٠ش جـ ١٦ صـ ٤٠ . د نبيلة عبد المنعم داوود : نشأة الشيعة الإمامية صـ ٢٩٢ .

(٣) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١٢ صـ ٢٩٤.

(٤) الشيخ الطوسي : الرسائل العشر صـ ٩٨ .

(٥) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ٢ صـ ١١٠ .

(٦) د أبو الفتوح الأنور : شيعة إيران أصولها وموقف أهل السنة منها صـ ٦١بتصرف .

(٧) عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية صـ ١٠٧ .

(٨) محمد حسين الأنصاري : الإمامة والحكومة ط مكتبة النجاح – طهران ، ط١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م صـ ١٠٥.

(٩) الشيخ الطوسي : الرسائل العشر ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، دت صـ ٩٨ .

وهذه عقيدة جميع فقهاء الإمامية ، وأعلام الدين [1] ، بل صرحوا بجواز غيبته ؛ لأنه ليس مؤمناً [2] .

وعن الصادق – عليه السلام –:" من أقر بولايتنا ، ثم مات عليها ، قبلت منه صلاته ، وصومه ، وزكاته ، وحجه ، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله – ﷻ – لم يقبل الله شيئا من أعماله " [3] ؛ لأن الله – ﷻ – :" حكم بأن من لم يقر بولاية أمير المؤمنين بطل عمله "[4] .

وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" إن الله – عز وجل – نصب علياً علماً بينه وبين خلقه ، فمن عرفه كان مؤمناً ، ومن أنكره كان كافراً ، ومن جهله كان ضالاً ، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً ، ومن جاء بولايته دخل الجنة " [5] .

وعن أبي عبد الله – عليه السلام –: " لو أن عبداً عمره الله بين الركن والمقام ، وفيما بين القبر والمنبر يعبده ألف عام ، ثم ذبح على فراشه مظلوماً كما يُذْبَحُ الكبش الأملح ، ثم لقيَّ الله – عز وجل – بغير ولايتنا ؛ لكان حقيقاً على الله – عز وجل – أن يكبه على منخريه في نار جهنم "[6] .

ونترك الرد لعلي– عليه السلام – ؛ ليجعل أصل الدين : التوحيد ، وليس الولاية كما يزعمون ؛ فيقول :" سمعت رسول الله– ﷺ – يقول لما نزلت :" قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى" [7] ، قال جبرائيل – عليه السلام – :" يا محمد إن لكل دين أصلاً ، ودعامةً ، وفرعاً ، وبنياناً ، وإن أصل الدين ودعامته : قول لا إله إلا الله ، وإن فرعه وبنيانه : محبتكم أهل البيت ، وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه " [8] .

والمراد بالمودة في القربى: يحتمل أن يكون لفظ القربى بمعنى : القرابة ، والقرابة إما القرابة المطلقة ، وهي صلة الرحم العامة بين المسلمين ، أو قرابة الرسول – ﷺ – خاصة فهي تحث على مودتهم ، وعليه فالمقصود بكلا المعنيين القرابة كلها ، وليس فئة معينة .

---

(١) أحمد الرحماني الهمداني : الإمام علي بن أبي طالب ص ٤٩٢.

(٢) الميرزا جواد التبريزي : صراط النجاة ، ط مكتبة سلمان الفارسي – قم ، ط١ ، ١٤١٦هـ جـ ١ ص ٤٤٢. السيد الخوئي : منية السائل مجموع فتاوى هامة ، جمع وطبع : موسى مفيد الدين عاصي – بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ص ٢٠٧.

(٣) الصدوق : الأمالي ص ١٥٤ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ ص ١٦٧. الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١ ص ١٥٢.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ ص ١٦٦. القمي : تفسير القمي ص ٣٤٥.

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١ ص ٤٣٧. الخميني : كتاب الطهارة جـ ٣ ص ٣١٦.

(٦) المجلسي:بحار الأنوار جـ ٢٧ ص ١٨٠. الصدوق:ثواب الأعمال، ط مطبعة الأمير ، منشورات الرضى – قم ، ط٢، ١٣٨٦هـ ص ٢١٠.

(٧) سورة الشورى : آية رقم ٢٣.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٣ ص ٢٤٧. فرات بن إبراهيم الكوفي : تفسير فرات الكوفي ص ٣٩٧.

وتناسى الشيعة ما قاله النبي – ﷺ – في آيات كثيرة :" قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا "(١) ، وقد صرح بأن الأجر الذي يطلبه هو لأمته فقال :" قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ "(٢) ، وقال :" قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ "(٣) ، وقال :" قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ" (٤) ، والقائل :"أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ " (٥) ، والقائل :" وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ "(٦) . فكيف حالكم وهو لم يطلب أجراً إلا في آية واحدة ، والغالب يُحَكَّمُ .

ولو أنها أصل وركن من الدين ما رفضها الإمام علي – عليه السلام – وقال – :" دعوني ، والتمسوا غيري (٧) ، فأنا لكم وزيراً ، خيرٌ مني لكم أميراً (٨) فإني أسمعكم ، وأطوعكم ، إن وليتم غيري(٩) ، وقال :" والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية إربة ، ولكنكم دعوتموني إليها ، وحملتموني عليها "(١٠) .

وهذا يدل على بطلان مذهب الشيعة ، إذ كيف يستعفي منها ، وتنصيبه إماماً ، وخليفة أمر فرض من الله لازم عندهم كان يطالب به علي أبا بكر – كما تزعمون – ؟ ! (١١).

أثر التقديس في شروط الإمام وصفاته عند الشيعة الاثني عشرية :

وضعت الاثنا عشرية شروطاً ، تكاد تتناقض فيما بينها ، وتحيل وجود هذا الإمام منها :

---

(١) سورة الفرقان : آية رقم ٥٧.

(٢) سورة سبأ : آية رقم ٤٧.

(٣) سورة ص : آية رقم ٨٦.

(٤) سورة الأنعام : آية رقم ٩٠.

(٥) سورة المؤمنون : آية رقم ٧٢.

(٦) سورة يوسف : آية رقم ١٠٤.

(٧) خطب الإمام شرح نهج البلاغة : شرح الشيخ محمد عبده ، نشر دار الذخائر – قم ، ط١ ، ١٤١٢هـ / ١٣٧٠ش جـ ١ صـ ١٨١. ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ١ صـ ٣٧٨. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٢ صـ ٨ .

(٨) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ١ صـ ١٦٩ . علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ٣ صـ ١١٢.

(٩) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ١صـ ١٦٩. علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ٣ صـ ١١٢.

(١٠) الشيخ محمد عبده : شرح نهج البلاغة جـ ٢ صـ ١٨٤. الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه جـ ١ صـ ٨٠. ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ١١ صـ ٧ .المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٢صـ ٥٠.

(١١) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق صـ ١٢.

١- أن يكون مسلماً ؛ ليراعي مصلحة المسلمين ، وليحصل الوثوق بقوله ؛ فإن غير المسلم ظالم ، وقد قال – ﷻ – : " وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ " [١] ، فلا ينال ظالم مرتبة الإمامة [٢] ، وهذا محل إجماع بين المسلمين .

٢- أن يكون مكلفاً ، وإلا فيكون غيره مولى عليه في خاصة نفسه ، فكيف يلي أمر الأمة وهو يحتاج لغيره [٣] ، ومع ذلك : فمن الثابت أن إمامهم الغائب ثبتت إمامته ، وهو ابن خمس أو ثلاث سنين من خلال توقيعاته ، فلماذا استبعد هذا الشرط وقيل بإمامته ؟ ! [٤] .

٣- أن يكون حراً ؛ فإن العبد مشغول بخدمة مولاه ، فلا يتفرغ للنظر في مصالح المسلمين ؛ ولأن الإمامة رياسة عامة والعبد مرؤوس ، وهي منصب جليل ، فلا يليق بعبد [٥].

٤- أن يكون عدلاً ، قال تعالى : " لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ "[٦] ، فلا ينال الفاسق الإمامة [٧].

٥- أن يكون ذكراً ؛ ليُهاب ؛ وليتمكن من مخالطة الرجال ، بخلاف المرأة [٨] .

٦- أن يكون معصوماً من القبائح ، والذنوب ، والنداءات ، والإخلال بالواجبات من أول عمره إلى آخره [٩] ؛ لأنه لو لم يكن كذلك لاحتاج إلى إمام آخر ، وهذا يؤدي إلى نقص فيه [١٠] ، فالعصمة إن تثبت تكفي كثيراً من المؤن[١١] ، وقد خالفت في ذلك العامة [١٢] .

---

(١) سورة هود : آية رقم ١١٣.

(٢) العلامة الحلي : تذكرة الفقهاء ، ط ستارة – قم ، ط١ ، ١٤١٩هـ ج ٩ ص ٣٩٧. بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٩١.

(٣) العلامة الحلي: تذكرة الفقهاء ج ٩ص ٣٩٢.الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه ج ١ص ٢٦٥.وله نظام الحكم في الإسلام ص ١٠٣.

(٤) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ص ٣٧ بتصرف .

(٥) العلامة الحلي : تذكرة الفقهاء ج ٩ص ٣٩٣.الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه ج ١ص ٢٦٥.وله نظام الحكم في الإسلام ص ١٠٣.

(٦) سورة البقرة : آية رقم ١٢٤.

(٧) العلامة الحلي : تذكرة الفقهاء ج ٩ ص ٣٩٣.

(٨) المصدر السابق : ج ٩ ص ٣٩٤. الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه ج ١ص ٢٦٥.وله نظام الحكم في الإسلام ص ١٠٣.

(٩) المصدر السابق : ج ٩ ص ٣٩٤-٣٩٦. الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه ج ١ص ٢٦٥.وله نظام الحكم في الإسلام ص ١٠٣.

(١٠) الشيخ الطوسي: الاقتصاد ، ط الخيام – قم ، ١٤٠٠هـ ص ١٨٩. الشيخ الصدوق : الخصال ، تحقيق : علي أكبر غفاري ، نشر منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٣٦٢ش ص ٤٢٨.

(١١) محمد الريشهري : موسوعة العقائد الإسلامية ، نشر دار الحديث – قم ، ط١ ، ١٤٢٥هـ / ١٣٨٣ش ص ١٩١.

(١٢) الشيخ المنتظري : نظام الحكم في الإسلام ، ط هاشميون – طهران ، ط١ ، ١٣٨٠ش ص١٠٣.

٧- أن يكون منزهاً عن دناءة الآباء ، وعهر الأمهات ؛ لئلا يكون مستحقا للإهانة والإنكار عليه ، فيسقط محله من القلوب ؛ فتبطل فائدة نصبه [١] ، وقد خالفت في ذلك المعتزلة [٢] .

٨- أن يكون مؤيداً بروح القدس ، وبينه وبين الله عمود نور ، يرى فيه أعمال العباد وكل ما احتاج إليه [٣] ؛ من العلم ، والتشريع [٤] ، فلا يحتاجون لسؤال أحد ، ولكن يأتي دليل يناقض ذلك عن أبي عبد الله – عليه السلام – قال :" وكانت الشيعة قبل أن يكون أبو جعفر لا يعرفون مناسك حجهم ، وحلالهم ، وحرامهم ، حتى كان أبو جعفر، ففتح لهم ، وبين لهم مناسك حجهم ، وحلالهم ، وحرامهم ، حتى صار الناس يحتاجون إليهم ، من بعد ما كانوا يحتاجون إلى الناس [٥] . فأين علوم الأئمة قبل أبي جعفر – عليه السلام ؟ ، ثم نسأل سؤالاً ملحاً : كيف كان يحج الشيعة قبل أبي جعفر – عليه السلام – أكانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ؟ أم الخوارج ؟ أم من ؟ والإجابة : كلهن سواء في الاتباع عندهم ؛ لأن من اتبع غير الأئمة مشرك – ولا حول ولا قوة إلا بالله – ودليلنا ما جاء عن أبي عبد الله – عليه السلام – :" من دان الله بغير ما سماع عن صادق ؛ ألزمه الله البتة إلى العناء ، ومن ادعى سماعاً من غير الباب الذي فتحه الله ؛ فهو مشرك ، وذلك الباب المأمون عليٌّ ، سر الله المكنون [٦] ؛ لأن من جعل للإمام شريكاً ، كمن جعل للنبي شريكاً ، ومن جعل للنبي شريكاً ، كان كمن جعل لله شريكاً ، ومن رد إمام الله تعالى ، وأخذ إماماً آخر ؛ فقد ضاد الله تعالى في أمره ، ومن ضاده في أمره فهو مشرك ، ومن اتخذ إماماً آخر ؛ فكأنه اتخذ إلهاً آخر ؛ فهو مشرك " [٧].

---

(١) العلامة الحلي : تذكرة الفقهاء جـ ٩ صـ ٣٩٧-٣٩٨.

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ١ صـ٢٧٧.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١١٧. الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه جـ ١صـ ٢٦٥.وله نظام الحكم في الإسلام صـ ١٠٣.

(٤) كيف يشَّرع واحد بعد النبي ؟ ، وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :" إني والله لا أعلم عملاً يقربكم من الجنة إلا وقد نبأتكم به ، ولا أعلم عملاً يقربكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه" وفي رواية :" إلا وأمرتكم به " . انظر القاضي بن البراج : المهذب ، تحقيق : جعفر السبحاني ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، ١٤٠٦هـ جـ ١ صـ ٣٤٣. ابن إدريس الحلبي : السرائر ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، ط ٢ ، ١٤١٠هـ جـ ٢ صـ ٢٢٨. الفيض الكاشاني : الوافي ، تحقيق : ضياء الدين الحسيني ، ط أفست نشاط أصفهان ، نشر مكتبة أمير المؤمنين العامة – أصفهان ، ط ١ ، ١٤١١هـ / ١٣٧٠ش جـ ١٧ صـ ٥٢. أصول الكافي جـ٢صـ ٧٤. المحقق النراقي : مستند الشيعة جـ ١ صـ ٧.

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٢٠ .

(٦) المصدر السابق جـ ١ صـ ٣٧٧.

(٧) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٦ صـ ٣٥٦. د إيمان العلواني : مصادر التلقي عند الشيعة الإمامية صـ ٣٩٦.

٩- أن يكون أفضل من رعيته باطناً ، وأفضل ثواباً ، وفي الفضل الظاهر؛ لأنه لا يجوز تقديم المفضول في وجود الفاضل ، وذلك لقوله – ﷻ –: " أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى "[١] ، وهذه صيغة تعجب من الله لذلك [٢] ؛ وحتى يستحق من التعظيم ، والتبجيل ، وعلو المنزلة ما لا يستحقه أحد من رعيته ، ولا يكون ذلك تفضلا منهم ؛ بل لأنه حجة في الشرع [٣] ، وتتحقق الأفضلية : بالعلم ، والزهد ، والورع ، وشرف النسب ، والكرم والشجاعة ، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة [٤] ، ويكون : أفصحهم ، وأحلمهم ، وأحكمهم ، واتقاهم وأشجعهم ، وأشرفهم ، وأنصحهم ، وأوفاهم ، وأصبرهم ، وأسخاهم ، وأعبدهم ، وأشفقهم عليهم ، وأشدهم تواضعا لله ، وأخذهم بما يأمر الله به ، وأكفهم عما ينهى عنه ، وأولى بالمؤمنين من أنفسهم [٥] ، وأن يكون أولى بالناس من أنفسهم ، وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم [٦] فما بقي لله تعالى ولرسوله – ﷺ – .

١٠- أن يكون ذا رأي وكفاية عالماً بتدبير ما هو إمام فيه ، من سياسة رعيته ، والنظر في مصالحهم بحكم العقل [٧] ، عالماً بكل الشريعة بعد وفاة من قبله ، فلا يقتضي أن يعلم الإمام علي كل الشريعة في حياة النبي ، ولا الحسن في حياة أمير المؤمنين ، ولكن يجب أن يعلم كل الشريعة بعد وفاته ؛ لكونه حاكماً في جميعها حافظاً لها ، وإلا كان مضيعاً لفائدة الإمامة بحكم العقل [٨] ، فلا يفوت الأمر عليه بالاستفتاء والمراجعة [٩] ، وحتى لا يشذ منه شاذ ؛ لكنه ليس بواجب عليه أن يعلم كل الغائبات ، والكائنات من ماضيات ، ومستقبلات ، وإذا خصه الله بشيء ، فيكون من باب الكرامة والتفضل ، وكذلك لا يجب أن يكون عالماً بالسرائر والضمائر ، وكل المعلومات كما ذهب إليه بعض أصحابنا[١٠] . وقد حيرنا هذا الشرط ! ، فقد قال بعضهم أن من شروط الإمام :

---

(١) سورة يونس : آية رقم ٣٥.

(٢) العلامة الحلي : تذكرة الفقهاء ج ٩ ص ٣٩٧.

(٣) الشيخ الطوسي: الاقتصاد ص ١٩٠. الشيخ الصدوق : الخصال ص ٤٢٨.

(٤) العلامة الحلي : تذكرة الفقهاء ج ٩ ص ٣٩٧.

(٥) ابن شهر آشوب : مناقب علي بن أبي طالب ج ١ ص ٢١٧.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٧.

(٧) الشيخ الطوسي : الاقتصاد ص ١٩٢. الشيخ الصدوق : الخصال ص ٤٢٨.

(٨) الشيخ الطوسي: الاقتصاد ص ١٩٢-١٩٣.

(٩) العلامة الحلي : تذكرة الفقهاء ج ٩ ص ٣٩٤.

(١٠) الشريف المرتضى: رسائل المرتضى ج ١ ص ٣٩٤.

أن يعلم الأشياء قبل وقوعها[1] ، وعن الصادق – عليه السلام – : يعلم ما في الأصلاب ، وما في الأرحام حتى لو أراد عد الحصى على وجه الأرض لفعل [2] ، وقال أبو عبد الله – عليه السلام – :" ليس يخرج شيء من عند الله حتى يبدأ برسول الله – ﷺ – ثم بأمير المؤمنين ، ثم بواحد بعد واحد ؛ لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا "[3] ، فالله أعلم .

وقد خالفت في ذلك العامة [4] ؛ لأن كلمة : " شيء " نكرة في سياق النفي فتعم ، فمن نصدق من الأصحاب ؟ إذا سمعنا هذه الإجابة حين قيل لأبي عبد الله – عليه السلام – : إنهم يقولون : إنك تعلم قطر المطر ، وعدد النجوم ، وورق الشجر ، ووزن ما في البحر ، وعدد التراب ، فرفع يده إلى السماء ، وقال : سبحان الله ! ثلاثاً ، والله ما يعلم هذا إلا الله [5] ؛ وبناء عليه فقد :" اتفقت كلمة الشيعة الإمامية على أن علم الغيب من صفات الله الذاتية ، وهي صفة مختصة به سبحانه ؛ ولهذا لا يجوز إطلاق القول على الأئمة بأنهم يعلمون الغيب ، أو أن علمهم بالأشياء علم إحاطة وحضور ، لا علم إخبار وحصول ، لئلا يؤدي ذلك إلى الخروج عن الإسلام [6] ؛ فأي الفريقين أحق أن نتبع إن كنتم صادقين ؟ ، ولعلنا نسمع لقول أبي عبد الله – عليه السلام – حين قال من شروط الإمام :" أي إمام لا يعلم ما يصيبه ، وإلى ما يصير فليس ذلك بحجة لله على خلقه "[7] ، بل إن الإمام كما قال أبو الحسن – عليه السلام – :" لا يخفى عليه كلام أحد من الناس ، ولا طير ، ولا بهيمة ، ولا شيء فيه الروح ، فمن لم يكن هذه الخصال فيه فليس بإمام " [8] ، فكيف يقول الرضا – عليه السلام – :" إني مقتول ومسموم " [9] ، ألا يعد موته بمعرفته انتحاراً ، وإلا فهو لا يعلم الغيب .

---

(١) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢١٧. المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٦.

(٢) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٧٤.

(٣) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص٢٥٥. المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٥.

(٤) الشيخ المنتظري : نظام الحكم في الإسلام ص١٠٣.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٩٤.

(٦) علاء الدين القزويني : مسائل عقدية ، نشر دار المحجة البيضاء – بيروت ، ط٢ ، ١٤٢١هـ ص ٢١٥ .

(٧) الفيض الكاشاني : الوافي ج ٣ ص ٥٩٤. الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٥٨. المجلسي : مرآة العقول ج ٣ ص ١١٩.

(٨) الشيخ هادي النجفي : موسوعة أحاديث أهل البيت ج ٨ ص ٢٦٢. الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٨٥. المفيد : الإرشاد ص ٢٢٥.

(٩) الشيخ الصدوق : الأمالي ص ٧٠٩. السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ٧ ص ١٨٥. بحار الأنوار ج ٩٩ ص ٣٤.

١١- أن يكون أشجع رعيته ، إن كان الجهاد مفروضاً عليه ؛ لأنه فيهم والمنظور إليه ، فلو لم يكن أشجعهم ؛ لجاز أن ينهزم ؛ فينهزم بانهزامه المسلمون ، فيكون فيه بوار الإسلام والمسلمين ، فإن لم يكن متعبداً بالجهاد فلا يجب [١]، وقد خالفت في ذلك العامة [٢].

١٢- أن يكون حكيماً في القوة النظرية والعملية ، وليس المراد منه حفظ اصطلاحات من غير فهم معناها ، بل يجب أن يكون عالماً بمبدأ الوجود ومنتهاه ، وسر الخلقة ، وسائر ما ذكره الحكماء من أقسام العلوم النظرية ، والعملية ، بأن يكون عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العيني ، كأنه اجتمع كل ما في الوجود في نفسه الشريفة بوجود عقلي ، فلا يتباطأ عن جواب أي سؤال ، ولا يحتاج في شيء أصلاً أن يرأسه إنسان ، بل يكون قد حصلت له العلوم والمعارف بالفعل [٣] . وقد خالفت في ذلك العامة [٤] .

١٣- أن يكون أعقل رعيته ، وأجودهم رأياً ، وأعلمهم بالسياسة[٥] ؛ فيكون ذا رأي وكفاية ؛ لافتقار قيام نظام النوع عليه [٦] ، وقد خالفت في ذلك العامة [٧] .

١٤- أن يكون سليم الحواس ، كالسمع ، والبصر ، والنطق ؛ ليتمكن من فصل الأمور ، صحيح الأعضاء كاليد والرجل ، فلا تنقص أعضاءه نقصاً يمنع استيفاء الحركة ، وسرعة النهوض [٨].

١٥- أن يكون في صورة غير منفرة ، ولا مشينة ، كالعمى ، والبرص ، والبخل ، وسوء الخلق ، والتولد من الزنا ، ولا يلزم أن يكون أحسن الناس وجهاً [٩] مع إشتراطهم كونه أفضلهم في كل شيء . !

١٦- أن يكون منصوصاً عليه [١] لما قدمنا من وجوب العصمة له ؛ لأن العصمة لا تدرك حساً ، ولا مشاهدةً ، ولا استدلالاً ، ولا تجربةً ، ولا يعلمها إلا الله ؛ فوجب أن ينص عليه على لسان

---

(١) الشيخ الطوسي: الاقتصاد ص ١٩٣. المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٦.

(٢) الشيخ المنتظري : نظام الحكم في الإسلام ص١٠٣. المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٦.

(٣) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي ج ٥ ص ٢١٤.

(٤) الشيخ المنتظري : نظام الحكم في الإسلام ص١٠٣.

(٥) الشيخ الطوسي: الاقتصاد ص ١٩٣.

(٦) العلامة الحلي : تذكرة الفقهاء ج ٩ ص ٣٩٤. المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٦.

(٧) الشيخ المنتظري : نظام الحكم في الإسلام ص١٠٣.

(٨) الحلي : تذكرة الفقهاء ج ٩ ص ٣٩٤. الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه ج ١ص ٢٦٥.وله نظام الحكم في الإسلام ص ١٠٣.

(٩) الشيخ الطوسي: الاقتصاد ص ١٩٣.

نبي ، أو من سبقه من الأئمة ، أو بخلق معجزة على يده عقيب إدعاءه الإمامة [٢] ، كنص النبي – ﷺ – [٣] على إمامة علي – عليه السلام – بنصوص لا تحتمل التأويل [٤] ، ولا يجوز للنبي أن يغفل ذلك ، ولا أن يكله إلى الأمة من بعده ، حتى ولو كان العقل يُجَوّز أن يختاروا هم المعصوم ؛ لأنه إن جاز ذلك ؛ لجاز أن يترك لهم اختيار الأنبياء والشرائع ، وهذا من القبيح عقلاً أن يُوَكَلَ الإنسانُ لنفسه فتعالى الله عن ذلك [٥].

وقد شُوّه النص على عليّ ؛ حيث كانت مدرسة الخلفاء تعمد إلى كتمان كل ما فيه ذكر للوصية ، حذفاً ، وتحريفاً ، وطعناً برواة الحديث ، والمحتجين بها ، وتأويل للنصوص الصريحة [٦] .

ونقول : إن دعوى النص على الإمام تحتاج لأمرين : الأول : ثبوت عصمة من يضاف المذهب إليه ، والثاني : ثبوت ذلك النقل عن الإمام ، وكلتا المقدمتين باطلة ؛ لعدم ثبوت عصمة الأئمة بنقل رواة من غير الشيعة ، ومعلوم أنه لا تقبل شهادة الإنسان لنفسه ، وكذلك لم يثبت نقل هذه الأخبار عن رواة موثوق بهم ، فإن قواعد قبول الحديث عند أهل السنة لا تتوافق مع قواعد قبول الحديث عند الشيعة ، مما يؤدي لعدم الوثوق في هذه الأخبار ، والاستدلال بآية التطهير لا يوجب العصمة لهم ؛ لأن الآية دالة على أن الله خالق لأفعال عباده ؛ بدليل فعل التطهير بهم ، وهو ما لا يقول به الرافضة ؛ لأنهم يقولون : إن العبد يخلق أفعال نفسه ، فكيف يملك أهل البيت تطهير أنفسهم ، ومعلوم أن الله هو القائل :" ويطهركم تطهيراً " [٧] فليس لهم ادعاء ذلك .

---

(١) يتعارض هذا مع ما جاء عن علي حين احتج لنفسه على صحة إمامته بعد عثمان ، فقال في كتابه لمعاوية – رضي الله عنهم – :" وبايعني المهاجرون والأنصار بعد ما تشاوروا في ثلاثة أيام ، وهم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وعقدوا إمامتهم ، ولي ذلك أهل بدر والسابقة من المهاجرين والأنصار ، غير أنهم بايعوهم قبلي على غير مشورة من العامة ، فإن كان الله – جل اسمه – جعل الاختيار إلى الأمة ، وهم الذين يختارون ، وينظرون لأنفسهم ، وكان من اختاروه وبايعوه بيعته بيعة هدى ، وكان إماماً واجباً على الناس طاعته ونصرته ، فقد تشاوروا فيّ ، واختاروني بإجماع منهم " ، وفي رواية :" وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً ، كان ذلك لله رضاً ، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ، ردوه إلى ما خرج منه " . انظر الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه جـ ١صـ ١٧٩ . سليم بن قيس : كتاب سليم بن قيس ، تحقيق : محمد باقر الأنصاري الزنجاني ، ط نكارش ، نشر دليل ما – قم ، ط١، ١٤٢٢هـ/١٣٨٠ش صـ ٢٩٢.

(٢) العلامة الحلي : تذكرة الفقهاء جـ ٩ صـ ٣٩٦ – ٣٩٧.

(٣) وأمر الوصية والأوصياء : فكرة يهودية ، حيث جعلوا الهارونيين أوصياء ، أو الكهنة ، فكذلك الشيعة نادوا بعلي وبنيه ، دون أن يدري علي ، ولا أحد من بنيه عن هذه الوصية أو الكهانة . انظر محمد عبد الرحمن عوض : الشيعة وجذور الكراهية صـ ٣٣.

(٤) الشيخ محمد المظفر : عقائد الإمامية الاثني عشرية صـ ٧٤ . الشيخ الصدوق : الخصال صـ ٤٢٨.

(٥) الشيخ الطوسي: الاقتصاد صـ ١٩٣ – ١٩٤ بتصرف .

(٦) الشيخ المنتظري : نظام الحكم في الإسلام صـ١٠٣.

(٧) عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية صـ ١٣٤–١٣٧ بتصرف .

ثم إن الإمام علي – عليه السلام – قال عن الخلافة :" هذا ماء آجن ، ولقمة يغص بها آكلها ، ومجتنى ثمرة لغير وقت إيناعها ، كالزرع بغير أرضه ، فإن أقل يقولوا : حرص على الملك ، وإن أسكت يقولوا : جزع من الموت ، هيهات بعد اللتيا[1] والتي ، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه " [2] ، فهذا رأيُ عليٍ في الخلافة فأين الزعم بالوصية ، وأين النص عليه [3] ، ويقول :" والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية إربة ، ولكنكم دعوتموني إليها ، وحملتموني عليها [4] ، ويقول :" تقولون : البيعة البيعة قبضت يدي فبسطتموها ، ونازعتم يدي فجاذبتموها " [5] . فأين الوصية ؟.

١٧- كونه قرشياً هاشمياً ، مستدلين بحديث النبي – ﷺ – : "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ " [6] ، وقول أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – محتجاً على الأنصار يوم السقيفة [7] : أن النبي – ﷺ – قال : الأئمة من قريش [8] ، ثم كونه هاشمياً [9] من آل بيت النبي [10] ، ثم من أبناء الحسن والحسين – عليهما السلام – [11] ، ويخرج بالطبع بنو أمية لحديث النبي – صلى الله

---

(١) اللتيا : تصغير التي على خلاف القياس ، ويجوز أن يراد بالأولى الداهية الكبيرة بأن يكون التصغير للتعظيم ، وحكي : أن رجلاً تزوج امرأة قصيرة ، فقاسى منها الشدائد ، وكان يعبر عنها بالتصغير ، فتزوج امرأة طويلة ، فقاسى منها ضعف ما قاسى من الصغيرة ؛ فطلقهما ، وقال : بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبداً . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٣ ص ١١٩.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٨ ص ٢٣٤. خطب الأمام علي : نهج البلاغة ، شرح الشيخ محمد عبده جـ ١ ص ٤٠-٤١ .

(٣) محمد عبد الرحمن عوض : الشيعة وجذور الكراهية ص ١١١ بتصرف .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٢ ص ٥٠. خطب الأمام علي شرح الشيخ محمد عبده : نهج البلاغة جـ ٢ ص ١٨٤ .

(٥) الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية جـ ١ ص ٥١٨ . وفي بعض النسخ قبضت كفي . انظر خطب الأمام علي شرح الشيخ محمد عبده : نهج البلاغة جـ ٢ ص ٢٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٢ ص ٧٨.

(٦) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٧٨٤. ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١٤ ص ٢٤٢.

(٧) السيد مرتضى العسكري: معالم المدرستين ، نشر مؤسسة النعمان – بيروت ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م جـ ١ ص ٢٧٧.

(٨) قال شعيب الأرناءوط وحسين أسد: إسناده صحيح . البيهقي : السنن الكبرى جـ ٣ ص ١٧٢ . أبو يعلى الموصلي : مسند أبي يعلى ، تحقيق : حسين سليم أسد ، ط دار المأمون – دمشق ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م جـ ٦ ص ٣٢١. أحمد بن حنبل : المسند جـ ٤ ص ٤٢١.

(٩) الزنجاني : عقائد الإمامية الاثني عشرية ، نشر مؤسسة دار الكتب – قم ، ط٥ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م جـ ١ص ٧٧-٧٩ .

(١٠) العلامة الحلي : تذكرة الفقهاء جـ ٩ ص ٣٩٥.

(١١) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٨.

عليه وسلم – :" شَرُّ قَبَائِلِ الْعَرَبِ بَنُو أُمَيَّةَ "[1] ، وحديث :" كَانَ أَبْغَضَ الْأَحْيَاءِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – بَنُو أُمَيَّةَ " [2] .

١٨- أن يكون له المعجزة دليلاً على إمامته ، ومن أمثلة المعجزات : تنام عينه ، ولا ينام قلبه ، يرى من خلفه كما يرى من بين يديه [3] ، والفراسة الصادقة [4] ، ومثل ما جاء أن محمد بن علي بن موسى الرضا تكلم وهو ابن خمسة وعشرين شهراً ، وقال :" الحمد لله الذي خلقنا من نوره بيده ، واصطفانا من بريته ، وجعلنا أمناء على خلقه ووحيه "[5] ، ولا يكون له ظل [6] ؛ لأنه مخلوق من نور الله ، وكل ما ولد منه يكون مؤمناً ، وإذا وقع على الأرض من بطن أمه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين [7] ، وأن يولد مختوناً ، مطهراً من الدم ، وسائر الكثافات ، ومقطوع السرة [8] ، ولا يرى له حدث [9] ؛ لأن الله وكل الأرض بابتلاع ما يخرج منه ، ولا يحتلم ، ولا يجنب [10] ، ولا يتثاءب ، ولا يتمطى ، وتكون رائحته أطيب من رائحة المسك [11].

١٩- أن تكون إمامته عامة [12] .

٢٠- أن لا يكون له فيء [13] [1] .

---

(١) أبو يعلى الموصلي : مسند أبي يعلى الموصلي جـ ١٢ صـ ١٩٧ وقال محققه : إسناده ضعيف .

(٢) المصدر السابق جـ ١٣ صـ ٤١٧. وقال محققه : إسناده حسن .

(٣) الصدوق:الخصال جـ ٢صـ ٤٢٨بتصرف. ابن شهر آشوب:مناقب علي بن أبي طالب جـ ١صـ ٢١٧. المجلسي:بحار الأنوار جـ ٢٥صـ ١١٦.

(٤) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ١ صـ ٢١٧.

(٥) ابن جرير الطبري الشيعي : نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة ، نشر مدرسة الإمام المهدي – قم ، ط١، ١٤١٠هـ ، هامش صـ ١٧٩.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١١٦. ابن شهر آشوب : مناقب علي بن أبي طالب جـ ١ صـ ٢١٧.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١١٦. ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ١ صـ ٢١٧.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١١٩ بتصرف .

(٩) ابن شهر آشوب : مناقب علي بن أبي طالب جـ ١ صـ ٢١٨. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١١٦.

(١٠) يتعارض هذا مع: أن النبي – صلى الله عليه وآله – قال :" ألا إن المسجد لا يحل لجنب إلا لمحمد وآله " ، وفي رواية :" لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد إلا إنا ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين " . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١٦٨. الشريف المرتضى : رسائل الشريف المرتضى جـ ٤ صـ ٩٦. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٣ صـ ٧٣٦. المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٣ صـ ٤٩.

(١١) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ١ صـ ٢١٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١١٦.

(١٢) السيد الزنجاني : عقائد الإمامية الاثني عشرية جـ ١ صـ ٧٩.

(١٣) الفيء : الغنيمة بلا قتال . المعجم الوجيز : مادة فاء صـ ٤٨٥. الجرجاني : التعريفات صـ ٢١٧.

٢١- أن يلي من قبله مباشرة بلا فصل ؛ فلا يجوز أن تخلوا الأرض من حجة ، ولا يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة ، منصوب من الله تعالى ، سواء أبى البشر أم لم يأبوا ، وسواء ناصروه أم لم يناصروه ، أطاعوه أم لم يطيعوه ، وسواء كان حاضراً أم غائباً عن أعين الناس ، إذ كما يصح أن يغيب النبي كغيبته في الغار والشعب ، صحّ أن يغيب الإمام ، ولا فرق في حكم العقل بين طول الغيبة وقصرها(٢) ، وقد خالفت في ذلك العامة (٣) .

٢٢- أن يكون دعاؤه مستجاب (٤) ، حتى لو دعا على صخرة ؛ لانشقت نصفين (٥) .

٢٣- أن يكون عنده سلاح رسول الله – ﷺ – وسيفه ذو الفقار ، ويستوي عليه درعه (٦) ، وإن لبسه غيره سواء : طويلهم ، وقصيرهم زادت عليه شبراً (٧) .

٢٤- ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته ، وأسماء أعدائه إلى يوم القيامة ، وعنده الصحيفة الجامعة ، والجفران(٨) : الأحمر ، والأبيض (٩) .

٢٥- وأن يكون مُحَدَّثَاً ، له إلهام ، ونقر في الأسماع ، ونكت في القلوب ، ويسمع صوت الوحي ، وربما تأتيه صورة أعظم من جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وربما يعاين ويخاطب الله تعالى (١٠) .

٢٦- أن يكون له علامات في جسده تدل على إمامته ، مثل خاتم النبوة ؛ فعن أبي الحسن – عليه السلام – أنه أمر أحد شيعته : أن يجرد ابنه من قميصه ، وأمره أن ينظر بين كتفيه ، فنظر

---

(١) محمد بن جرير الطبري الشيعي : نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة – عليهم السلام – هامش ص ١٧٩.

(٢) محمد المظفر : عقائد الإمامية الاثني عشرية ص ٧٥.

(٣) الشيخ المنتظري : نظام الحكم في الإسلام ص١٠٣. الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه جـ ١ص ٢٦٥.

(٤) ابن شهر آشوب : مناقب علي بن أبي طالب جـ ١ ص ٢١٧.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ ص ١١٧.

(٦)المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ ص ١١٦. ابن شهر آشوب : مناقب علي بن أبي طالب جـ ١ ص ٢١٨.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ ص ١٦٨.

(٨) الجامعة : والجفران كتب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وقد ذكر فيهما على طريقة علم الحروف : الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم وكانت الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونهما ويحكمون بهما . وفي كتاب قبول العهد الذي كتبه الإمام الرضا إلى المأمون : أنك قد عرفت من حقوقنا ما لم يعرفه آباءك ؛ فقبلت منك عهدك إلا أن الجفر والجامعة يدلان على أنه لا يتم . ولمشائخ المغاربة نصيب من علم الحروف ينتسبون فيه إلى أهل البيت . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١ ص ٢٦١ -٢٦٢. الفضل بن شاذان : الإيضاح هامش ص ٤٦١.

(٩) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ١ ص ٢١٨. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ ص ١١٧.

(١٠) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ١ ص ٢١٨. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ ص ١١٦.

فإذا في أحد كتفيه شبه الخاتم داخل اللحم ، فقال : هذا الموضع كان في أبي [١] ، وأن يكون مكتوباً على عضده : " وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلًا ؛ فالإمام هو : الصدق ، والعدل ، ويلبس الهيبة ، وعلم الضمير [٢] .

٢٧- أن يعطى التصرف على الإطلاق ، ويعطى منطق الطير عند ولايته ، ويعلم ما بين المشرق والمغرب ؛ فلا يخفى عليه شيء [٣] ، فإن توجه إلى شيء ، وشاء أن يعلمه على وجهه الحقيقي ، لا يخطئ فيه ، ولا يشتبه ، ولا يحتاج في كلّ ذلك إلى البراهين العقلية ، ولا إلى تلقينات المعلّمين ، وإن كان علمه قابلاً للزيادة ، والاشتداد [٤] ، ونقول : هذا يستلزم نقص العلم والعصمة .

بعد الجمع لهذه الصفات نجد أنهم تفردوا بصفات لم يسبقهم بها أحد ؛ لأنهم جعلوا الإمام كالنبي ، فيجب له ما يجب للنبي[٥] ، والدليل في النبي هو نفسه الدليل في الإمام [٦] .

فإنّهم لم يتربّوا على أحد ، ولم يتعلّموا على يد معلّم ، من مبدأ طفولتهم إلى سن الرشد ، حتى القراءة والكتابة ، ولم يثبت عن أحدهم أنه دخل الكتاتيب ، أو تتلمذ على يد أستاذ ، مع ما لهم من منزلة علمية لا تجارى ، وما سئلوا عن شيء إلاّ أجابوا عليه في وقته ، ولم تمر على ألسنتهم كلمة لا أدري ، ولا تأجيل الجواب إلى المراجعة أو التأمّل أو نحو ذلك [٧] .

لذلك فمن الواجب علينا أن نعرف الأئمة ، بأسمائهم ، وأعيانهم ، وذلك فريضة لازمة ، لا يقبل الله – عز وجل – عذر جاهل بها ، أو مقصر فيها [٨] .

ويجب أن يعتقد الشيعي : أن في تحقق شروط الإمامة التي يحكم بها العقل ، والكتاب في نفس الإمام علي القدسية – عليه السلام – وانطباقها عليه قهرا ، فيما تواتر من السنة على إمامته "[٩] .

<u>من آثار التقديس على عقيدة الإمامة :القول بتحريف القرآن لخلوه من أسماء الأئمة :</u>

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١٢٠ بتصرف . المفيد : الإرشاد صـ ٣٤١بتصرف .

(٢) علم الضمير : يعني يعلم ما في الضمير ، وما تكنه الصدور . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١٦٩.

(٣) المصدر السابق : جـ ٢٥ صـ ١٦٩-١٧٠ بتصرف .

(٤) محمد المظفر : عقائد الإمامية الاثني عشرية صـ ٧٦.

(٥) سيف الدين الآمدي :غاية المرام في علم الكلام ، ط المطابع التجارية – القاهرة ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م صـ ٣٨٤. جعفر الخليلي : موسوعة العتبات المقدسة ، نشر دار التعارف – بغداد ، دت جـ ١ صـ ٢٨٤.

(٦) محمد المظفر : عقائد الإمامية الاثني عشرية صـ ٧٦.

(٧) المصدر السابق صـ ٧٨.

(٨) الشيخ الصدوق : الهداية صـ ٢٥ – ٤٣ بتصرف .

(٩) الشيخ وحيد الخراساني : منهاج الصالحين جـ ١ صـ ١٤٣.

روي عن الصادق – عليه السلام – :" أما والله لو قُرئ القرآن كما أُنْزل ، لألفيتمونا فيه مسمَّين ، كما سمَّي من كان قبلنا " ، وقال أيضا :" نزل القرآن أربعة أرباع : ربع فينا ، وربع في عدونا ، وربع سنن وأمثال ، وربع فرائض وأحكام ، ولنا أهل البيت كرائم القرآن " ، ولما تولى أمير المؤمنين – عليه السلام جمع القرآن كله ، وأبقى من القرآن شيئاً لم يضعه بين الدفتين ؛ لأسباب دعته لذلك منها : قصوره عن معرفة بعضه ، ومنها : شكه فيه ، وعدم تيقنه ، ومنها ما تعمد إخراجه منه ، والذي يعيد ذلك المجموع إلى دفتي المصحف هو القائم من آل محمد – عليه السلام – [1] .

ونقول : ألزمت الشيعة نفسها بمساعدة الإمام علي – رضي الله عنه – لمن حرف القرآن في الترحيف ؛ لإخفائه القرآن الكامل ، وعدم تيقنه من بعض القرآن ينفي علمه وعصمته .

ولمزيد من التفصيل حول تحريف القرآن سنتحدث عنه في فصل عصمة الأئمة – إن شاء الله – .

<u>من آثار التقديس : الاعتقاد أن الله جعل الدنيا والآخرة لأئمتهم يتصرفون فيهما كيف شاءوا :</u>

جاء في تفسير قوله – ﷻ –: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً "[2] ، أن الله – عز وجل – جعل الأرض لآدم ، ويجعلها من بعده لأبرار ولده " خلفاؤه " ، فالدنيا كلها للإمام على جهة الملك ، يضعها كيف شاء ، وأنه أولى بها من الذين هي في أيديهم [3] .

وبين الله للإمام كيف يصنع بها [4] ، بل لا يُسألون عمَّا يفعلون فيها ؛ جاء عن الحسين – عليه السلام –: إن الإمام لا يبيت ليلة أبداً ولله في عنقه حق يسأل عنه " ، وتفسير ذلك : " أن الله تعالى جعل لهم اختيار التصرف في الدنيا والآخرة ، فهم من قبل الله ملاك التصرف في كل شيء ، وإن كانت الأموال لصاحبها ، وهذه ولاية عامة كلية بالنسبة إلى جميع الموجودات ، غير الولاية التكوينية ، وغير الولاية السلطانية الثابتة من قبلهم للفقهاء ، وأيضا لهم التحليل والتحريم ... هذا مع الغض عن أن أكثر تلك الروايات ضعيفة السند ، بل ظواهرها مخالفة للكتاب ، والسنة ، وفتاوى الفقهاء ، فلابد من رد علمها إلى أهلها " [5] من أهل العصمة ، والسؤال فما معنى قوله تعالى :" لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ " [6] ، وقوله تعالى :" قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ " [1] ،

---

(١) الشيخ المفيد : المسائل السرورية ص ٧٩- ٨١ بتصرف .

(٢) سورة البقرة : آية رقم ٣٠.

(٣) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٢ ص ٤٣٧.

(٤) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ١٦ ص ٥ . الكليني : أصول الكافي جـ ١ ص ٤١ .

(٥) الخميني : كتاب البيع جـ ٣ ص ٢٠ بتصرف .

(٦) سورة البقرة : آية رقم ٢٨٤.

وقوله تعالى :" لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ" [2] ، وقوله تعالى :" إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ " [3] ، وقوله تعالى :" إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ " [4] ، وقوله تعالى :" بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا " [5] ؛ هذه الآيات أظنها تكفي للرد على أن لأحد غير الله ملك أو تصرف .

من آثار التقديس : الغلو في الحكم على من خالفهم في عقائدهم :

تطلق الشيعة على مخالفيهم اسم الناصب ويقسمونهم قسمين ناصب لعداوة الشيعة ، ويعرفونه بقولهم : من نصب للشيعة العداء ، بسبب توليهم لآل البيت [6] ، والثاني وهو أشرهما[7] : ناصب لعداوة أهل البيت ، واختلفوا في تعريفه ؛ فقيل : إنه الخارجي ، وقيل : ما ينسب إلى أحد المعصومين ما يثلم العدالة [8] ، وقيل : من إذا سمع فضيلة لعلي – عليه السلام – أو لغيره من المعصومين أنكرها ، وقيل : من اعتقد أفضلية غير علي – عليه السلام – عليه ، وقيل : من سمع النص على عليّ – عليه السلام – من النبي – ﷺ – أو بلغه من طريق متواتر فأنكره [9]، وقيل : من لم يتبرأ من عدو أمير المؤمنين [10] ، وقيل : من نصب العداوة لآل البيت – عليهم السلام – [11] ، وقيل : المعلن [12]، وقيل : من قدم أبا بكر وعمر على علي – رضي الله عنهم –

---

(١) سورة آل عمران : آية رقم ١٥٤.

(٢) سورة المائدة : آية رقم ١٢٠.

(٣) سورة الأنعام : آية رقم ٥٧.

(٤) سورة يونس : آية رقم ٢٠.

(٥) سورة الرعد : آية رقم ٣١.

(٦) الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢ صـ ٢٢٩. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨ صـ ٣٦٩. أحمد الهمداني : الإمام علي بن أبي طالب صـ ١٩١.

(٧) الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢ صـ ٢٣٠.

(٨) المحقق الحلي : المعتبر جـ ٢ صـ ٧٦٦.

(٩) المقداد السيوري : التنقيح الرائع لمختصر الشرائع ، تحقيق : السيد عبد اللطيف الحسيني الكوه كمري ، ط الخيام ، نشر مكتبة آية الله المرعشي ، ط١، ١٤٠٤هـ جـ ٢ شرح صـ ٤٢١.

(١٠) الشيخ الطوسي : المبسوط جـ ١ صـ ١٥٥.

(١١) القاضي ابن البراج : المهذب جـ ١ صـ ١٢٩. المحقق الحلي : شرائع الإسلام جـ ٢ صـ ٥٢٥.الفاضل الآبي : كشف الرموز جـ ٢ صـ ١٥٠.

(١٢) ابن مطهر الحلي : إيضاح الفوائد ، نشر اسماعيليان – قم ، ط١، ١٣٨٩هـ جـ ٤ صـ ١٢٧.

في الإمامة ، واعتقد إمامتهما [1] ، وقيل : من يسب أو يعادي الأئمة الاثني عشر – عليهم السلام – أو بعضهم ، أو نصب لهم حرباً [2]، وقيل : المظاهر بالسب للأئمة المعصومين [3] ، وقيل : المنافق[4] .

واختلفت الآراء في حكم من خالفهم في شيء من عقائدهم ؛ وذلك تبعا للروايات الدالة على ذلك : فبعضها صريح في كفر مبغض أهل البيت [5]، ولا ريب في أن الباغي مبغض ، وكفر من أنكر إمامة أمير المؤمنين ، وخروجه عن الإيمان [6] ، وأن الجاحد له – عليه السلام – من أهل النار ، ولو عبد الله منذ خلق السماوات والأرضين في أشرف الأماكن ، وكفر من لم يعرف إمام زمانه [7] ؛ لأنه العلم الذي نصبه الله بينه وبين عباده ، وأنه باب من أبواب الجنة ؛ من دخله كان مؤمناً ، ومن خرج منه كان كافراً ، وأن من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية [8] ، وإن صلى وصام ونطق بالشهادتين فحكمه كافر[9] .

والحاصل عندهم : أن ثبوت الكفر لهم ممَّا لا إشكال فيه ظاهراً ، ويدل عليه أحاديث متواترة [10] منها : عن أبي جعفر – عليه السلام – قال : إن علياً باباً فتحه الله ، من دخله كان مؤمناً ، ومن

---

(١) ابن إدريس الحلي : مستطرفات السرائر ، تحقيق : السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان ، ط مكتبة الروضة الحيدرية ، نشر العتبة العلوية المقدسة – النجف ، ط١ ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م صـ ١٢٦. المجلسي الأول : روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه جـ ٨ صـ ٢٢١.

(٢) المحقق الحلي : شرائع الإسلام جـ ٣ هامش صـ ٦٣٩. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢ صـ ٢٢٩.

(٣) العلامة الحلي : أجوبة المسائل المهنائية ، ط الخيام – قم ، ١٤٠١هـ صـ ٤٧.

(٤) المحقق الكركي : جامع المقاصد جـ ١ شرح صـ ٤٢٤. المحقق الأردبيلي : مجمع الفائدة جـ ٢ صـ ٤٣٣.

(٥) المحقق الأردبيلي : مجمع الفائدة جـ ٦ شرح صـ ١٠١.

(٦) الشريف المرتضى : رسائل الشريف المرتضى جـ ١صـ ٤٠٠.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٢ صـ ٣٢٨.

(٨) الاستدلال بحديث :" من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية " ، حجة عليهم ، حيث إنهم لا يعرفون إمام زمانهم ؛ بل هم مختلفون في مولده ، ومكانه ، بل والتصريح باسمه ؛ لأنه لا يعرف لا يعينه ، ولا بصفته ، فكيف تكون هذه عقيدة من لم يعتقدها يموت موت الكفار ، فمن المحال شرعاً ، وعقلاً : أن يتعبدنا الله بما لا يطاق ، مع كون الإمام الغائب ليس له أوامر يطاع فيها حتى يخرج من طاعته الخارج أو يطيع الطائع!. انظر عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية صـ ٥٠ – ٥١ بتصرف .

(٩) المحقق الحلي : شرائع الإسلام جـ ٢ هامش صـ ٥٢٥.

(١٠) الحديث المتواتر : هو ما رواه عددٌ كثير أحالت العادة توافُقَهم على الكذب ، عن مثلهم ، من الابتداءِ إلى الانتهاءِ ، وكان مُسْتَنَدُ انْتِهائِهم الحِسَّ ، ويفيد العلمِ لسامعه ، فيتفقون في المعاني بلا اختلاف ، وهذا هو المتواتر المعنوي ، وإن اتفقوا في الألفاظ فهو تواتر لفظي . وعند الشيعة : ما بلغ رواته إلى حيث يحصل العلم بقولهم . انظر ابن حجر العسقلاني : نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح

خرج منه كان كافراً " ، وقال رسول الله – ﷺ – : طاعة علي ذل ، ومعصيته كفر بالله ، قيل : يا رسول الله كيف كانت طاعة علي ذلاً ، ومعصيته كفراً ؟ قال : عليٌّ يحملكم على الحق ، فإن أطعتموه ذللتم ، وإن عصيتموه كفرتم بالله " ، وقول رسول الله – ﷺ – :" إن حجة الله بعدي علي بن أبي طالب ، الكفر به كفر بالله ، والشرك به شرك بالله ، والشك فيه شك في الله ، والإلحاد فيه إلحاد في الله ، والإنكار له إنكار لله ، والإيمان به إيمان بالله " ، إلى غير ذلك مما لا يطيق مثلي الإحاطة بعشر معشاره ، ولا بقطرة من بحاره [1].

ويصرح الصدوق بكفر من خالفهم في أي فرع من فروع الدين ؛ فيقول : " واعتقادنا فيمن خالفنا في شيء واحد من أمور الدين كاعتقادنا فيمن خالفنا في جميع أمور الدين "[2] .

ويرد عليه الحلي فيقول :" الناصب كافر بخلاف المخالف " [3] ، وكأن هناك فرق في الحكم .

ويقول المفيد :" اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار ، وأن على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم ، وإقامة البينات عليهم ، فإن تابوا عن بدعهم ، وصاروا إلى الصواب ، وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان ، وأن من مات منهم على تلك البدعة ؛ فهو من أهل النار" [4] .

وهم في الدنيا في حكم الكفار ، لكن لما علم الله أن أئمة الجور وأتباعهم يستولون على الشيعة ، أجرى الله عليهم حكم الإسلام توسعةً ، فإذا ظهر القائم – عليه السلام – يجري عليهم حكم سائر الكفار في جميع الأمور، وفي الآخرة يدخلون النار ماكثين فيها أبداً ، وبه يجمع بين الأخبار" [5] .

وحكم من سب أحداً من الأئمة – عليهم السلام – فهو مرتد عن الإسلام ، ودمه هدر يتولى ذلك منه إمام المسلمين ، فإن سمعه منه غير الإمام ؛ فبدر قتله غضباً لله ، لم يكن قود ، ولا دية ؛ لاستحقاقه القتل ، لكنه يكون مخطئاً بتقدمه على السلطان [6] .

أهل الأثر ، تحقيق : عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ، مطبعة سفير – الرياض – السعودية ، ١٤٢٢هـ ص ٣٧ – ٤٠ بتصرف . الشهيد الأول : ذكرى الشيعة جـ ١ص ٤٨. د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية عرض ونقد ص ٥٤.

(١) أحمد الرحماني الهمداني : الإمام علي بن أبي طالب – عليه السلام – ص ١٩١.

(٢) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ١١٠. علي أكبر السيفي المازندراني : مباني الفقه الفعال في القواعد الفقهية الأساسية ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤٢٨هـ جـ ٢ هامش ص ٦٩.

(٣) العلامة الحلي : مختلف الشيعة جـ ٤ ص ٢١. ابن مطهر الحلي : إيضاح الفوائد جـ ٣ ص ٤٦٤.

(٤) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٤٩. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨ ص ٣٣٦ ، جـ ٢٣ص ٣٩٠.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨ ص ٣٦٩، جـ٢٩ ص ٣٩. أحمد الرحماني: الإمام علي بن أبي طالب ص ١٩١. العاملي : الانتصار جـ٩ص١٠٠.

(٦) الشيخ المفيد : المقنعة ص ٧٤٣.الحلي : مختلف الشيعة جـ ٩ ص ٤٥١.علي أصغر مرواريد : الينابيع الفقهية جـ ٢٤ ص ٤١.

ويبقى الدور على معاملتهم فلا يجوز لأحد من الشيعة أن يغسل مخالفاً في الولاية ، ولا يصلي عليه إلا أن تدعوه ضرورة إلى ذلك من جهة التقية ، فيغسله تغسيل أهل الخلاف ، ولا يترك معه جريدة ، فإذا صلى عليه لعنه في صلاته " [1] ، ولا يستحق الزكاة ؛ لأن الزكاة معونة وإرفاق ، فلا يعطى غير المؤمن ؛ لأنه يحاد الله ورسوله ، والمعونة ، والإرفاق موادة ، فلا يجوز فعلها مع غير المؤمن [2] .

ويجوز غيبته ، ولعنه ، وعدم احترامهم ، وعدم إجراء أحكام الإسلام عليهم إلا قليلاً مما يتوقف استقامة نظم معاش المؤمنين عليه [3] ؛ لأنهم لا نصيب لهم في الإسلام كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – [4] .

وقد سئل أبو عبد الله – عليه السلام – عن قتل الناصب ، فقال :" حلالُ الدم ، لكنّي أتقي عليك ، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً ، أو تغرقه في ماء ؛ لكيلا يشهدُ به عليك فافعل [5]"[6] ؛ لأن الأخبار المستفيضة [7] تقول :" بكفر المخالف ، ونصبه ، وشركه ، وحل ماله ودمه وجواز قتله " [8].

---

(١) العلامة الحلي : المعتبر ، نشر مؤسسة سيد الشهداء – قم ، ١٣٦٤ش جـ ١ صـ ٣٢٩. الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٨٥ .

(٢) أحمد الرحماني الهمداني : الإمام علي بن أبي طالب صـ ٤٩٨ بتصرف . السيد محمد العاملي : مدارك الأحكام جـ٥ شرح صـ ٢٣٧.

(٣) الشيخ الأنصاري : المكاسب جـ ١ صـ ٣١٩. أحمد الرحماني : الإمام علي بن أبي طالب صـ ١٩٢. بحار الأنوار جـ ٢٩ صـ ٤٢.

(٤) الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢ صـ ٢٢٩.

(٥) السيد هاشم البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٨صـ ١٥٦. الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٤١ صـ ٤٣٦.

(٦) يقول د حسين الموسوي : لكن كتبنا المعتبرة عندنا تبين لنا الحقيقة ؛ إذ تذكر لنا تذمر أهل البيت من شيعتهم ، وما فعله الشيعة الأوائل بأهل البيت ، ومن الذي سفك دماءهم ، ومن الذي تسبب في مقتلهم ، واستباحة حرماتهم ، ومن هم قتلة الحسين الحقيقيون : إنهم شيعته أهل الكوفة ، أجدادنا ، فلماذا نحمّل أهل السنة مسئولية مقتل الحسين – عليه السلام– ؟! . د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ صـ ١٥ – ١٦ بتصرف .

(٧) الخبر المستفيض : هو ما زاد نقلته على ثلاثة في كل مرتبة ، ولم يصل إلى حد التواتر ، سُمّيَ به ؛ لوضوحه ، أو اشتهاره على الألسنة . انظر محمد بن إبراهيم بن جماعة : المنهل الروي صـ ٣٢. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي : بلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ صـ ١٨٩. د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية صـ ١٦٥.

(٨) السيد هاشم البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٠صـ ٣٦٠ . الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢ صـ ٢٣٣.الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٧٨.

والمقصود من قول أبي عبد الله – عليه السلام – خذ مال الناصب حيثما وجدته [1]، أهل الحرب [2]لأنهم ينصبون الحرب للمسلمين ، وإلا فلا يجوز أخذ مال مسلم أو ذمي على وجه من الوجوه [3].
ونقول لهم : هلا فعلتم كما فعل أمير المؤمنين حين سَمِعَ تَحْكِيمًا مِنْ نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ : لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ؛ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ ، لَكُمْ عَلَيْنَا ثَلَاثٌ : لَا نَمْنَعُكُمْ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرُوا فِيهَا اسْمَ اللَّهِ ، وَلَا نَمْنَعُكُمُ الْفَيْءَ مَا كَانَتْ مَعَ أَيْدِينَا ، وَلَا نَبْدَأُكُمْ بِقِتَالٍ " وكما فعل مع قاتله حين أتي به وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ يُرِيدُ قَتْلَهُ فَخَلَّاهُ ، وَقَالَ: أَقْتُلُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَنِي [4].

بل هو من ضروري المذهب – كما قال المحققون – ولا يرتاب في جواز هتكهم ، والوقيعة فيهم ؛ لأن الأئمة أكثروا من الطعن ، واللعن عليهم ، وذكر مساويهم ؛ فعن أبي جعفر – عليه السلام – : " الناس كلهم أولاد بغاة ، ما خلا شيعتنا " ، والظاهر منها جواز القذف ، والافتراء عليهم ؛ لعدم الأخوة بيننا وبينهم ، بعد وجوب البراءة عنهم ، وعن مذهبهم ، وعن أئمتهم " [5] ، وقيل : ولا يعني ذلك غيبتهم [6].
بل تنتفي عنه أخوة الدين ، وصفة الإيمان ؛ لانتفاء الإيمان عنه ؛ لأنه أشر من اليهود والنصارى ، وأنجس من الكلاب ؛ لصراحة وقوع الكفر عليه [7] ، بل هو أهون على الله من الكلب [8]، وأخذ

---

(١) المحقق الأردبيلي : مجمع الفائدة جـ ٤ شرح ص ٣٥٦. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ١٠ ص ٣١٣.

(٢) ابن إدريس الحلي : مستطرفات السرائر ص ١٩٥. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢ ص ٢٢٩.

(٣) ابن إدريس الحلي : مستطرفات السرائر ص ١٩٥.

(٤) البيهقي : معرفة السنن والآثار ، تحقيق : عبد المعطي قلعجي ، نشر دار الوفاء – المنصورة – ، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م جـ ١٢ص ٢٢٢.

(٥) أحمد الرحماني الهمداني : الإمام علي بن أبي طالب ص ١٩٢– ١٩٣ بتصرف .

(٦) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٨ ص ١٤٧. السيد محمد جواد العاملي : متاح الكرامة جـ ١٢ ص ٢١٥.

(٧) السيد محمد جواد العاملي : مفتاح الكرامة جـ ١٢ شرح ص ٢١٣–٢١٤ بتصرف. السيد علي الطباطبائي : رياض المسائل جـ ٨ ص ٦٨ بتصرف . المحقق النراقي : مستند الشيعة جـ ١٤ ص ١٦٣ بتصرف .

(٨) الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢ ص ٢٣١. الكليني : الفروع من الكافي جـ ٣ ص ١٤.

ماله ، وقتله [١] ، وقيل : ولا يعني ذلك [٢] ، بل وصل بهم إلى القول :" ولا يطعم الناصب بحال [٣] ؛ فسؤره أنجس من اليهودي والمجوسي ، والنصراني ، والمشرك ، بل ومن الكلاب [٤] .

وكل ما ذكرناه من أفضل العبادات ما لم تمنع منه تقية ؛ لأن الظاهر إلحاق المخالفين بالمشركين ، واتحاد الكفر الإسلامي والإيماني فيهم ، بل هجاؤهم على رؤس الأشهاد من أفضل عبادة العباد ، وأولى من ذلك غيبتهم التي جرت سيرة الشيعة عليها في جميع الأعصار ، والأمصار ، علماؤهم ، وعوامهم ، حتى ملأوا القراطيس منها ، بل هي عندهم من أفضل الطاعات بل حصل على ذلك الإجماع [٥] .

ويطلقون على كل من أقر بالشهادتين من المسلمين ولم يقر بالإمامة : مسلم الدنيا كافر الآخرة "[٦] ؛ لأن النبي – ﷺ – ربط ولايته بولاية عليّ ، ثم بولاية الله ؛ فمن رفض ولاية عليّ ؛ فقد رفض ولاية رسول الله– ﷺ – ، ومن رفض ولاية رسول الله – ﷺ – فهو كافر كائناً من كان [٧] .

ومن الثابت أن الحسين – عليه السلام – لم يدع إلى نفسه للتقية [٨] ، وما دام أهل السنة والجماعة اتبعوا سيدنا الحسين – عليه السلام – في تقيته ، وإقراره بإمامة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان بمبايعتهم ، والصلاة خلفهم ، فهل تتهمونه بالخوف ، والجبن ، والتقية التي تعني الخضوع للذل ؟ ! [٩].

---

(١) تعقب الشيخ الجواهري المحقق البحراني فقال : هذا خلاف ما عليه الطائفة انظر : جواهر الكلام جـ ١٦ صـ ١٢.

(٢) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٨ صـ ١٤٧. السيد محمد جواد العاملي : متاح الكرامة جـ ١٢ صـ ٢١٥.

(٣) قطب الدين البيهقي الكيدري : إصباح الشيعة بمصباح الشريعة ، تحقيق : الشيخ إبراهيم البهادري ، ط اعتماد ، نشر مؤسسة الإمام الصادق – قم ، ط ١ ، ١٤١٦هـ صـ ٤٨٨. المحقق الحلي : شرائع الإسلام جـ ٣ صـ ٦٣٩. يحي بن سعيد الحلي : الجامع للشرايع صـ ٤١٧.

(٤) العلامة الحلي : أجوبة المسائل المهنائية صـ ٦٨. وله : تحرير الأحكام جـ ١ صـ ١٥٨. المحقق الأردبيلي : مجمع الفائدة جـ١ شرح صـ ٣٢٠.

(٥) السيد الگلپايگاني : الشهادات الأول صـ ١١١– ١١٢ بتصرف . الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٢٢ صـ ٦٢.

(٦) السيد الخوئي : الطهارة ، ط صدر ، نشر دار الهادي– قم ، ط٣ ، ١٤١٠هـ جـ ٢ شرح صـ ٦٣ .

(٧) أحمد حسين يعقوب : مساحة للحوار ، ط الغدير – بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م صـ ٣٥.

(٨) الشيخ المفيد : الإرشاد جـ٢ صـ ٣٠. السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ٧ صـ ١١١.

(٩) د عمر عبد الله كامل : رسالة إلى إخواننا الشيعة الإمامية صـ ٢١ .

فلماذا لم يتكلم علي – رضي الله عنه – عندما أراد الرسول – ﷺ – قبل وفاته أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً ، وهو الذي لا يخشى إلا الله ، ويعلم أن الساكت عن الحق شيطان أخرس! [1]
.

و يعجب الإنسان من قولهم : أن من لم يعرف إمامه مات ميتة الجاهلية ! كيف ؟ والفقهاء مجمعون على عدم التكليف قبل العلم " فالذي لا يعرف شيئا فهو جاهل ، وليس كافراً ؛ فالكفر والجهل لا يرتبطان ببعضهما ارتباط العلم " [2].

ثم هل يستطيعون أن يقروا هم بكفر الملائكة والأنبياء الذين لم يقروا بولاية أئمتهم ، كما جاء عن أبي جعفر – عليه السلام – حين سأله أحد تلاميذه عن قول أمير المؤمنين : إن أمرنا صعبٌ مُسْتَصْعَبٌ ، لا يعرفه إلا ملكٌ مقربٌ ، أو نبيٌ مرسلٌ ، أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان ، فقال : نعم من الملائكة مقربين ، وغير مقربين ، ومن الأنبياء مرسلين ، وغير مرسلين ، ومن المؤمنين ممتحن ، وغير ممتحن ، وإن أمركم هذا عرض على الملائكة ؛ فلم يقر به إلا المقربون ، وعرض على الأنبياء ؛ فلم يقر به إلا المرسلون ، وعرض على المؤمنين ؛ فلم يقر به إلا الممتحنون [3].

وهل عدم معرفة الإمام توجب العودة للجاهلية ؟ كما قال رسول الله – ﷺ – :" من مات وليس له إمام من ولدي ، مات ميتة جاهلية ، ويؤخذ بما عمل في الجاهلية والإسلام " [4] ، فهل يستوي من آمن بمحمد – ﷺ – مع من عبد الأصنام ؟ فما لكم كيف تحكمون .

<u>أثر تقديس الأئمة على عقدية توحيد الربوبية والألوهية عند الشيعة الاثني عشرية :</u>

تؤمن الشيعة الاثنا عشرية بتوحيد الربوبية ، والذي يعني : بوجود الله تعالى ، ووحدانيته ، وأنه البارئ ، الرزاق ، المحيي ، المميت ، المعطي ، المانع ، لكن هذا الإيمان شابته شوائب تأثراً بتقديسيهم لأئمتهم ؛ أفقدت هذا الإيمان مصداقيته ، حيث وصفوا أئمتهم بصفات لا تنبغي إلا لله تعالى .

فوصفوا الأئمة بالربوبية ، وأنهم يُعْبَدون ؛ فقد جاء عن الحسين – عليه السلام –: أن علي :" زرُ الأرض " ، أي : رب الأرض [1] ، ويقول علي – عليه السلام – :" على يديَّ تقوم الساعةُ " [2] ،

---

(١) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق صـ ٢١ .

(٢) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ٣ صـ ١٤٥.

(٣) محمد بن حسين الصفار : بصائر الدرجات صـ ٤٦. الصدوق : معاني الأخبار صـ ٤٠٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢ صـ ١٨٥.

(٤) محمد الريشهري : العقل والجهل في الكتاب والسنة ، نشر دار الحديث – بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م صـ ٢٧٥.

وفي تفسير قول الله – ﷻ – :" أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ " [٣] يعني : أمير المؤمنين [٤] ، ينتقم منه في الرجعة[٥]، وقيل : يعذبه الله في النار [٦] ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – في معنى قوله – ﷻ – :" وأشرقت الأرض بنور ربها" [٧] ، قال : رب الأرض : إمام الأرض ، فإذا خرج إمام الأرض يستغني الناس عن ضوء الشمس ، ونور القمر ، ويجتزئون بنور الإمام [٨] ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – : ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية لنا " [٩] ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام –:" وبعبادتنا عبد الله ، ولولانا نحن ما عبد الله "[١٠] ، " ولا يُدْرى كيف يعبد الرحمن ؟ " [١١] ، وعن الرضا – عليه السلام – :" الناس عبيد لنا في الطاعة " [١٢] ؛ فالحلال ما أحلوه ، والحرام ما حرموه ؛ فعن أبي جعفر – عليه السلام – :" الأئمة منا مفوض إليهم ، فما أحلوا فهو حلال ، وما حرموا فهو حرام " [١٣] .

حتى ولو كان في معصية الله ، فرووا عن الله – ﷻ – أنه قال :" من عرف حق عليّ زكا وطاب ، ومن أنكر حقه كفر وخاب ، أقسمت بعزتي أن أدخل الجنة من أطاعه ، وإن عصاني ،

---

(١) قال محمد الباقر البهبودي : في الأصل المطبوع : رب الأرض وهو تصحيف ، ومعنى الزر : ما به قوام الأرض ، وبه تسكن . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٦٩ بتصرف.

(٢) قال الباقر : يعني في الرجعة . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٢٠ بتصرف .

(٣) سورة الكهف : آية رقم ٨٧.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧ صـ ١٩٤ ، جـ ٢٤ صـ ٢٦٣. هاشم البحراني : البرهان في تفسير القرآن جـ ٥ صـ ٥٧٢.

(٥) العياشي : تفسير العياشي جـ ٢ صـ ٣٤٢. الفيض الكاشاني : التفسير الأصفى ، تحقيق : محمد حسين درايتي ، محمد رضا نعمتي ، نشر مكتب الإعلام الإسلامي – قم ، ط١، ١٤٢٠هـ / ١٣٧٨ش جـ ٢صـ ٧٢٧. الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين جـ٣ صـ ٢٩٨.

(٦) الطبرسي : مجمع البيان جـ ٦ صـ ٣٨١. فتح الله الكاشاني : زبدة التفاسير جـ ٤ صـ ١٤٤.

(٧) سورة الزمر : آية رقم ٦٩ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧ صـ ٣٢٦ . الشيخ على الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٤ صـ ٤٧.

(٩) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٢٩٤. الشيخ المفيد : الاختصاص صـ ٢٥٠.

(١٠) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٤. الميرزا النوري : خاتمة المستدرك جـ ٥ صـ ٢٤٢.

(١١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٥ صـ ٢٩. السيد هاشم البحراني : غاية المرام جـ ١ صـ ٣٨.

(١٢) الشيخ المفيد : الأمالي صـ ٢٥٣. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٢٧٩.

(١٣) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٤٠٤. الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٣ صـ ١٣٨.

وأقسمت بعزتي أن أدخل النار من عصاه ، وإن أطاعني "[1] . فطاعة علي كما ترى أعظم من طاعة الله – ﷻ – !.

ويرد عليهم ما جاء في قواعد العقل والنقل : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق [2] ، ويرد عليهم أبو عبد الله – عليه السلام – في معرض تفسير قوله – ﷻ – :" اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ " [3]؛ فقال :" أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ، ولو دعوهم ما أجابوهم ، ولكن أحلوا لهم حراماً ، وحرموا عليهم حلالاً ؛ فعبدوهم من حيث لا يشعرون " [4] فما الفرق رحمكم الله .

ويصرون ويقولون : " ومهما اعتقدنا فيهم من شيء ، فلا يبلغ مراقيهم القدسية الرفيعة ، ولو لم يعلموا أننا لا نصل إلى تلك الرتب السامية التي يعرفونها لأنفسهم ، لما قالوا لنا : " نزهونا عن الربوبية ، وقولوا فينا ما شئتم " ؛ لعلمهم أننا مهما سيق فيهم من قول ، وكان دون القول في الله ، فلا يكون خروجاً عن مستواهم وغلواً فيهم " [5] .

وعليه فلا فرق بينهم وبين الله إلا أنهم عباد الله ، كما كتب الإمام المهدي– عليه السلام – بتوقيعه ، وهو يخاطب ربه :" لا فرق بينك وبينهم ، إلا أنهم عبادك وخلقك " ، والضمير يعود على ولاة الأمر ، وهم الأئمة [6] .

ويرويه الكليني [7] في كافيه [8] عن أبي جعفر– عليه السلام – : إن الله تعالى أعظم ، وأعز ، وأجل من أن يُظْلم ، ولكنَّه خلطنا بنفسه ، فجعل ظلمنا ظلمه ، وولايتنا ولايته [1] ، أي : ضمنا لنفسه المقدسة[2] .

---

(١) محمد بن الحسن القمي : العقد النضيد والدر الفريد ، تحقيق : علي أوسط الناطقي ، نشر دار الحديث – قم ، ط١ ، ١٤٢٣هـ / ١٣٨١ش ص ٨٢ . العلامة الحلي : نهج الحق وكشف الصدق ، ط ستارة ، نشر مؤسسة دار الهجرة – قم ، ط١ ،١٤٢١هـ ص ٢٣٢ .

(٢) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ١٧ ص ٢٤٣. الشيخ الأنصاري : القضاء والشهادات ص ٣١٨.

(٣) سورة التوبة : آية رقم ٣١.

(٤) الكليني : أصول الكافي جـ ١ ص ٥٣. أحمد بن محمد بن خالد البرقي : المحاسن جـ ١ ص ٢٤٦.

(٥) الشيخ محمد حسين المظفر : علم الإمام ، نشر دار الزهراء – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ٨١.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٥ ص ٣٩٣. الشيخ علي الشاهرودي :مستدرك سفينة البحار جـ ٨ ص ٦٢٨.

(٧) الكليني : أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي ، كبير علماء الحديث ، والفقه عند الإمامية ، ويلقبونه بثقة الإسلام ، توفى ٣٢٩هـ . انظر السيد محمد الأمين : أعيان الشيعة جـ ٨ ص ٣٣.

(٨) كتاب الكافي : هو أول وأهم كتب الحديث عند الشيعة الاثني عشرية ، وهو بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة ، وهو ثمان أجزاء وينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأصول ، والفروع ، والروضة ، بواقع جزئين لكل قسم ، ويبلغ عدد أحاديثه : حوالي ١٧٠٠٠ حديث ، جمعها الكليني فيما يقرب من عشرين سنة ، متنقلا من بلد إلى بلد ، ويدعي بعضهم أن كله صحيح ، ويعتقد بعضهم أن الكليني سماه الكافي ؛

فالإمام : " خليفته القائم مقامه في الملك والملكوت ، المتحد بحقيقته في حضرة الجبروت[٣] ، واللاهوت[٤] ، الرفيق الأعلى في مقام أو أدنى " [٥] ، وعلي – عليه السلام – بمقام ولايته الكلية قائم على كل نفس بما كسبت ، ومع كل شيء معية [٦] قيومية ، ظلية[٧] ، إلهية[٨] ، ظل المعية القيومية الحقة الإلهية " [٩] ، قال تعالى :" أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ " [١٠] ؛" فوجب لا لا محالة بحكم القضاء الإلهي ، والعناية الرحمانية ؛ وجود خليفة جامع لجميع صفات الربوبية ،

لأنه عرضه على المهدي ؛ فاستحسنه ، وقال : كاف لشيعتنا . انظر د أبو الفتوح الأنور : شيعة إيران صـ ١٩ ، الكليني : مقدمة الكافي جـ ١ صـ ٧.

(١) الكليني: الأصول من الكافي جـ ١صـ ٤٣٥. الفيض الكاشاني: الوافي جـ ١ صـ ٤٢٥.ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب جـ٣صـ٤٠٤.

(٢) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٣٣.

(٣) الجبروت : عالم العظمة ، أي : عالم الأسماء والصفات الإلهية . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١ صـ ٢٦٣.

(٤) اللاَّهوت : الطبيعة الإلهية ، يقابله الناسوت لطبيعة الإنسان ، وهو علمٌ يبحث في العقائد المتعلّقة بالله ، كوجوده ، وذاته ، وصفاته ، والإيمان بالنُّصوص المقدَّسة ، وسلطان الكنيسة، ويقوم عند المسيحيّين مقام علم الكلام عند المسلمين ، وفي كتب الدروز الناسوت: (إنسانية الحاكم) الذي يختفي اللاهوت في أعماقه . د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة ، مادة ل ا هـ و ت جـ ٣ صـ ١٩٨٦. رينهارت بيتر : تكملة المعاجم العربية جـ ٩ صـ ١٩٢. جـ ١٠ صـ ١٥٢.

(٥) الخميني : مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية ، نشر مؤسسة الأعلمي – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م صـ ١٣ .

(٦) وصَفَ الله – عز وجل – نَفْسَهُ بِالْمَعِيَّةِ ، وَ " الْمَعِيَّةُ " مَعِيَّتَانِ : عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ . فَالْأُولَى كَقَوْله تَعَالَى { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ } . وَالثَّانِيَةُ كَقَوْله تَعَالَى { إنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْآيَاتِ . ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ٥ صـ ١٢٢.

(٧) للموجود في الذهن وجوداً ظلياً ، ولذلك الموجود في الخارج وجود أصلي ، ولكل أحكام على حدة ، ونتسائل ما نوع المعلوات التي في ذهن الإمام علي ، هل هي مطابقة لكل الموجودات ، والمعدومات ؟ فإن كان مطابقاً فهل علم ذات الله كما هي كما علم الله ذات علي ، أم لم يعلمها – وهي الصحيح – فلا يكون علمه ظلياً قيومياً إلهياً كما يزعمون . القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٢ صـ ٢٥١.

(٨) معنى وحدة الوجود عند المحققين : أن الوجود الموجود في الخارج واحد بالشخص قائم بذاته غير عارض لشيء من الممكنات ، ولا حالا فيه ولا محلا له . وعلى هذا لا معنى لوجود الممكن إلا أن له تعلقا ونسبة خاصة مجهولة الكنه بذلك الوجود القائم بذاته عنها ، ويعبر عنها بنسبة القيومية ، والمعية ، والمبدئية ، وإشراق نور الوجود ، وليست نسبة الحلول ، والعروض ، والاتصال ، والاتحاد بل هي أم النسب ليس لها مثال مطابق في الخارج ، وإنما يمثل بما يمثل من بعض الوجوه تقريبا إلى فهم المبتدئ ، وهو من وجه تقريب ومن وجه تبعيد . وتلك النسبة على أنحاء شتى بحسب قابلية الممكنات يتعذر الاطلاع على هيئاتها . القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٣ صـ ٣٠٨.

(٩) الخميني : مصباح الهداية مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية صـ ٨٤ . القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء صـ ١٥٣بتصرف .

(١٠) سورة الرعد : آية رقم ٣٣ .

وحقائق الأسماء الإلهية ، ليكون مظهراً لاسم الله الأعظم " [1] ، مثل عيسى الذي كان روحاً كاملا مظهراً لاسم الله الاعظم [2] .

ونقول : هل معنى معية علي للنفوس أنه معهم في كل مكان بذاته أم بعلمه ؟ فإن قلتم بذاته كان عليٌّ متحداً مع من هو معه وهو محال ، وإن قلتم بعلمه فأي العلمين يسبق الآخر بهم علم الله أم علم علي فإن كان الله فعلم علي تحصيل حاصل فلا تكون المعية قيومية لانتظاره الوحي من الله تعالى ، وإن قلتم سبق علم علي علم الله تعالى كفرتم ، والعياذ بالله .

ثم بدأوا في وصف أئمتهم بصفات الجليل سبحانه ؛ فعن علي – عليه السلام – :" الإمام كلمة الله ، وحجة الله ، ووجه الله ، ونور الله ، وحجاب الله ، وآية الله يختاره ، ويجعله فيه ما يشاء ، ويوجب له بذلك الطاعة والولاية على جميع خلقه ، فهو وليه في سماواته وأرضه ، فمن تقدم عليهم كفر بالله من فوق عرشه، فهو يفعل ما يشاء ، وإذا شاء الله شاء " [3] ، فإذا قالوا : هذا من باب التقريب والتشريف لهم ، وليس من باب التمثيل بالله نقول : لهم رويتم عن أبي عبد الله – عليه السلام – قوله :" يسند القائم ظهره إلى الحرم ، ويمد يده ؛ فتراها بيضاء من غير سوء ، ويقول : هذه يد الله ، وعن الله ، وبأمر الله " [4] .

بل هناك حلول واتحاد ؛ فعن أبي جعفر – عليه السلام – قال :" ولكن الله خلطنا بنفسه " [5] ، يعني : " ضمنا إلى نفسه المقدسة ، وشاركنا " [6] ، أو ضمنا إلى ذاته المقدسة [7] فبماذا تسمون ذلك .

ولا تعجب فالله تعالى عندهم كل الوجود ، وكله الوجود ، كل البهاء والكمال ، وكله البهاء والكمال ، وما سواه على الإطلاق لمعات نوره ، ورشحات وجوده ، وظلال ذاته ؛ لكونه إنّيّة بلا مهية [8] ،

---

(١) الخميني : مصباح الهداية مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية صـ ٨٢ بتصرف .

(٢) الألوسي : تفسير الألوسي جـ ٦ صـ ٤٦ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١٦٩. الميرجهاني : مصباح البلاغة جـ ١ صـ ١٩٤. رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين صـ ١٧٦.

(٤) الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ١٨٣. أبو عبد الله الخصيبي : الهداية الكبرى ، نشر مؤسسة البلاغ – بيروت ، ط٤ ، ١٤١١هـ/١٩٩١م صـ٣٩٧.

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٦. ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ٣ صـ ٤٠٤.

(٦) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤صـ ٢٣٣.

(٧) المصدر السابق جـ ٧ صـ ١٢٥.

(٨) الخميني : شرح دعاء السحر ، تقديم : أحمد الفهري ، نشر مؤسسة الوفاء – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ صـ ٣٣.

وما في الوجود إلا ذاته وصفاته وأفعاله [١] ؛ إذ كل هوية من نور هويته، فهو الهو الحق المطلق ولا هو على الإطلاق إلا هو[٢] ، كما أن الأغيار كلها باطلات الذوات ، هالكات الحقائق دون وجهه الكريم ؛ فكذلك صفاتها كلها مستهلكة في صفاته تعالى مستغرقة فيها[٣] ، فالله تعالى وجودٌ غير متناه ، ولا تخلو منه ذرة في الوجود ، ولا يخلو هو من ذرة فيه ؛ فسبحانك ملأت كل شيء ، وباينت كل شيء [٤] .

وما دام الأمر كذلك فلا شرك عند الشيعة مادام الله تعالى هو كل شيء ، فهم يؤولون الشرك الذي ورد في القرآن بالشرك في الولاية ، مثل قوله تعالى :" لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ " [٥] ، يعني :" إن أشركت في الولاية غيره " [٦] ، أي : غير علي [٧] ، وقوله تعالى: " أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ "[٨] ، عن أبي عبد الله – عليه السلام –:" أي : إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد " [٩] ، وفي معنى قوله – ﷻ – : " وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا " [١٠] ، عن جعفر الصادق – عليه السلام – : " إن رب الأرض والسماء هو الإمام ، فحين يخرج الإمام يكفي نوره ، ولا يفتقر الناس إلى الشمس والقمر "[١١].

ويرد على هذا التفسير أبو عبد الله – عليه السلام – ، حين يأتيه رجل ؛ فيسأله عن قول الله – عز وجل – :" وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ" ، فقال السائل : يعني بالذين من دونه الضمير فلان ، وفلان[١٢] ، فقال : " من

(١) حبيب الله الهاشمي الخوئي : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة جـ ١٣ صـ ١٥٠.

(٢) حاج ملا هادي السبزواري : شرح الأسماء الحسنى ، منشورات مكتبة بصيرتي – قم ، طبعة حجرية جـ ١ صـ ١٧٢.

(٣) الشيخ محمد باقر الملكي : توحيد الإمامية ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي الإيرانية ، ط١ ، ١٤١٥هـ صـ ٢٨٠.

(٤) الشيخ المنتظري : من المبدأ إلى المعاد في حوار بين طالبين ، ط القدس ، نشر دار الفكر – قم ، ط١ ، ١٤٢٥هـ صـ ٢٠٤.

(٥) سورة الزمر : آية رقم ٦٥.

(٦) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٤٢٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٣ صـ ٣٨٠.

(٧) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٧ صـ ٩٩.

(٨) سورة النمل : آية رقم ٦٠.

(٩) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٣ صـ ٣٦١. الشيخ علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ١ صـ ١٧١.

(١٠) سورة الزمر : آية رقم ٦٩.

(١١) العاملي : الانتصار جـ ٥ صـ ١١٠.

(١٢) يقصدون بقولهم فلان وفلان : أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – ولكن هذا من التقية .

قال هذا فهو مشرك بالله – ثلاثاً – أنا إلى الله منه برئ – ثلاثًا – بل عنى الله بذلك نفسه – ثلاثاً – " [1] .

وعن جعفر الصادق – عليه السلام – أنه كان من دعائه :" اللهم إني أصبحت لا أملك لنفسي ضراً ، ولا نفعاً ، ولا حياةً ، ولا موتاً ، ولا نشوراً ، قد ذل مصرعي ، واستكان مضجعي ، وظهر ضري ، وانقطع عذري ، ودرست الآمال إلا منك ، وانقطع الرجاء إلا من جهتك " [2] .

وهم أول الخلق عند الشيعة فاستحقوا التفويض في تسيير الكون كونياً ، وشرعياً ؛ فعن أبي جعفر الثاني – عليه السلام –: إن الله لم يزل فرداً متفرداً في وحدانيته ، ثم خلق محمداً – ﷺ – وعلياً ، وفاطمة ، فمكثوا ألف ألف دهر– ، وفي رواية : ألف دهر[3] . ثم خلق الأشياء ، وأشهدهم خلقها ، وأجرى عليها طاعتهم [4] ، وفوض أمر الأشياء إليهم ، فهم قائمون مقامه ، يحللون ما شاءوا ، ويحرمون ما شاءوا ، ولا يفعلون إلا ما شاء الله [5] ، فهل هناك ما يدل على التوحيد أفضل من هذه العبارة ؟ .

بل مادة خلق الأئمة هي : نور عظمة الله تعالى ، فلذلك ولاهم أمر مملكته ، فهم أمر بين الكاف والنون ، والسماوات والأرض عند الإمام كيده من راحته ، يعرف ظاهرها من باطنها ، ويعلم برها من فاجرها ، ومن أنكر ذلك فهو شقيٌ ملعونٌ[6] ؛ ودليل ذلك : عن أبي عبد الله – عليه السلام– : إن الله خلقنا من نور عظمته ، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش ، فأسكن ذلك النور فيه[7] ، فكنَّا نحن خلقاً ، وبشراً نورانيين ، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا ؛ ولذلك

---

(١) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٥٥٦ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٤ صـ ٣٠٢.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨٣ صـ ٣١٧.

(٣) الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٣ صـ ٦٨٢. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٣٣٩ . الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٤٤١.

(٤) إذا قيل إمامة الأئمة أهي داخلة في الرسالة بمعنى : أن يشترط فيه ما يشترط في صاحب الرسالة ، أم هي خارجة عن الرسالة ، بمعنى : أن تكون طاعة الإمام منفصلة عن طاعة الرسول ، فلا يشترط في طاعته ما لا يشترط في طاعة النبي ؟ فهذا كله باطل ؛ لأن كل ما أمر به الإمام داخل في الرسالة المحمدية ، ولا يجوز طاعته حتى يكون طائعاً لصاحب الرسالة ، وإلا فلا طاعة ؛ فإن الطاعة إنما تجب لله ورسوله ، ولمن أمرت الرسل بطاعته ، إذ لو أمر بما كان موجوداً في الرسالة فإنه تحصيل حاصل . عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية صـ ٣٦–٣٧ بتصرف .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٢٥ . الخميني : كشف الأسرار صـ ٩٢. حسن الحلي : المحتضر صـ ٢٨٥.

(٦) المجلسي:بحار الأنوار جـ ٢٥صـ ١٧٣. السيد حسن القبانجي:مسند الإمام علي جـ ٩صـ ٣٤. رجب البرسي:مشارق أنوار اليقين صـ ١٧٨.

(٧) أسأل الله تعالى أن يكون الضمير يعود على العرش لا على الله تعالى .

صرنا نحن وهم الناس ، وصار سائر الناس همجٌ للنار ، وإلى النار" [1] ، والمراد بالهمج : من خالف الإمامية [2] .

ولكن ليس هذا هو القول الوحيد في مادة خلق الشيعة ؛ فيقول أمير المؤمنين– عليه السلام –: اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله ، قيل : يا أمير المؤمنين كيف ينظر بنور الله – عز وجل– ؟ قال : لأنَّا خُلقنا من نور الله ، وخلق شيعتنا من شعاع نورنا ، فهم أصفياءٌ ، أبرارٌ ، أطهارٌ ، متوسمون ، نورهم يضيئ على من سواهم كالبدر في الليلة الظلماء ، بل لم يخلق الله من نوره غيرهم ، وأمر الملائكة أن يتعلموا التسبيح منهم "[3] ، فمن أي شيء خلقت الملائكة ؟ .

وعن الصادق – عليه السلام – : لما خلق الله السماوات والأرضين استوى على العرش ، فأمر نورين من نوره ، فطافا حول العرش سبعين مرة ، فقال الله – عز وجل – : هذان نوران لي مطيعان ، فخلق الله من ذلك النور محمداً ، وعلياً ، والأصفياء من ولده – عليهم السلام – ، وخلق من نورهم شيعتهم ، وخلق من نور شيعتهم ضوء الأبصار[4] ، فالحمد لله الذي وهبنا نور البصر من شعاع الشيعة .

وسئل الصادق – عليه السلام – : ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرضين ؟ قال – عليه السلام – : كنا أنواراً حول العرش ، نسبح الله ، ونقدسه ، حتى خلق الله – سبحانه – الملائكة ، فقال لهم : سبحوا ، فقالوا : يا ربنا لا علم لنا ، فقال لنا : سبّحوا ، فسبّحنا ، فسبّحت الملائكة بتسبّيحنا[5] .

بل خلق الله كل خير من نور النبي – ﷺ – ، فقد رووا أنه : " قيل لرسول الله – ﷺ – : أول شيء خلق الله تعالى ما هو ؟ فقال : نور نبيك خلقه الله – وفي رواية : ابتدعه من نوره ، واشتقه من جلال عظمته – ، ثم خلق منه كل خير"[6].

فإذا كان الخير خلق من النبي – ﷺ – والشيعي خلق من طينة النبي الخيرة ، التي لم يشاركه فيها إلا الأنبياء ، والناصب [1] خلق من طينة أخرى ، فكيف تقع المعصية من الشيعي ؟ !! .

---

(١) الكليني : الأصول من الكافي جـ ١ص ٣٨٩ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٨ صـ ٤٥. العاملي : الانتصار جـ ٤ صـ ٢٠٧.

(٢) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٦ص ٣٩٦.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٢١. النوري الطبرسي : نفس الرحمن في فضائل سلمان ، هامش صـ ٣٦٧.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥صـ ٢١.

(٥) الشيخ المفيد : الاختصاص صـ ٩١. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٢١.

(٦) علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٢ صـ ١٤ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٥صـ ٢٤.

الجواب : وقع ما لم تكن الشيعة تريده فقد تأثرت كلتا الطينتين بالأخرى ؛ فما يقع فيه الشيعي من جرائم هي من تأثره بطينة النَّاصب ، وما يعمله النَّاصب من حسنات هو من تأثره بطينة الشيعي ، فإذا كان يوم القيامة ، فإن سيئات الشيعي توضع على النَّاصب ، وحسنات النَّاصب توضع في حسنات الشيعي [٢] ؛ وهنا تزر الوازرة وزر الأخرى ، وليس لكل إنسان ما سعى ! كما ترى العدل الشيعي[٣] .

وإذا كان الحكم على سائر الناس من غير الشيعة مسبقاً بدخول النار ، فلما الحساب يوم القيامة يوكل للأئمة ؛ فعن أبي جعفر – عليه السلام– : إذا كان يوم القيامة ، جمع الله الأولين والآخرين ؛ لفصل الخطاب : دُعِيَّ رسول الله – ﷺ – ودُعِيَّ أمير المؤمنين –عليه السلام– ، ثم يُدْعَى بنا ؛ فيدفع إلينا حساب الناس ، فنحن – والله – ندخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار، حتى نفرغ من حساب الناس ، فإذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار، بعث رب العزة عليًا – عليه السلام– ؛ فأنزلهم منازلهم من الجنة ، وزوجهم ، وهو الذي يغلق على أهل الجنة إذا دخلوا فيها أبوابها ؛ لأن أبواب الجنة إليه ، وأبواب النار إليه [٤] .

فمن العدل عند الشيعة الاثني عشرية أن الذي رزقهم هو من يحاسبهم ؛ فعن علي – عليه السلام – قال :" إن الله يقسم أرزاق العباد ، ويجريها على أيدينا " [٥] ؛ فهم من يقسم الأرزاق للكافر والمؤمن .

ولذلك فرجعة الخلق إلى الأئمة ، والحساب على الأئمة ؛ فعن أبي الحسن الأول – عليه السلام – :" إلينا إياب هذا الخلق ، وعلينا حسابهم ، فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله – عز وجل – : حتمنا على الله في تركه لنا ، فأجابنا إلى ذلك ، وما كان بينهم وبين الناس : استوهبناه منهم ،

---

(١) قال د حسين الموسوي : في جلسة ضمت عدداً من السادة ، وطلاب الحوزة العلمية ، قال الخوئي : قاتل الله الكفرة ، قلنا : من هم ؟ قال : النواصب – أهل السنة – يسبون الحسين – صلوات الله عليه – بل يسبون أهل البيت ! . انظر د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ صـ ٢٤.

(٢) الشيخ الصدوق : علل الشرائع جـ ٢ صـ ٤٨٩–٤٩١ بتصرف .

(٣) من ثوابت العقيدة : أَنَّ اللَّهَ لَا يَجْعَلُ الذَّنْبَ ذَنْبًا لِمَنْ لَمْ يَفْعَلْهُ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا فِي الْآخِرَةِ إلَّا بِذَنْبِهِ ؛ فَإِنَّهُ هُوَ الْقَائِلُ : " وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى " الأنعام : ١٦٤، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : " فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ " النور : ٥٤ . ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ٢٤صـ٣٧٣.

(٤) الكليني: الروضة من الكافي جـ ٨ صـ ١٥٩ . الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢٥ صـ ٦٥٨.حسن الحلي : المحتضر صـ ٢٧١.

(٥) إبراهيم السليمان الجبهان : تبديد الظلام وتنبيه النيام صـ ٥١. جعفر الحائري : بلاغة الإمام علي بن الحسين ، نشر دار الحديث – قم ، ط١ ، ١٤٢٥هـ / ١٣٨٣ش صـ ٢٢٣. السيد هاشم البحراني : البرهان في تفسير القرآن جـ ٤ صـ ٢١٢.

وأجابوا إلى ذلك ، وعوضهم الله – عز وجل –" [1] ، وهنا يظهر أن الأئمة أرحم بنا من ربنا – عز وجل – فتأمل .

وهذا قليل فالكون كله يخضع لولايتهم ؛ فإن " للإمام مقاماً محموداً ، ودرجةً ساميةً ، وخلافةً تكوينيةً تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون ، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملكٌ مقربٌ ، ولا نبيٌ مرسلٌ ، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث ، فإن الرسول الأعظم – ﷺ – والأئمة – عليهم السلام – كانوا قبل هذا العالم أنواراً ؛ فجعلهم الله بعرشه محدقين [2] ، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله ، وقد قال جبريل – كما في روايات المعراج – : لو دنوت أنملة لاحترقت ، وقد ورد عنهم – عليهم السلام – إن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ومثل هذه المنزلة موجودة لفاطمة الزهراء – عليها السلام – [3].

وجعلوا أئمتهم يحيطون بقدرة الله وعظمته ؛ فعن رسول الله – ﷺ – : أول ما خلق الله [4] نوري ، ابتدعه من نوره ، واشتقه من جلال عظمته ، فأقبل يطوف بالقدرة ، حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة ، ثم سجد لله تعظيماً ؛ ففتق منه نور علي – عليه السلام – فكان نوري محيطاً بالعظمة ، ونور علي محيطاً بالقدرة ، وأبصار العباد ، وأسماعهم ، وقلوبهم من نوري ، ونوري مشتق من نوره [5] ، مع أنهم رووا قبل ذلك أن أبصار العباد من نور الشيعة ، ولكنني أظن أنهم سيجيبون : أن نور الشيعة جزء من نور الأئمة .

ثم جعل الله لهم الحكم بين جميع الخلائق ، حتى من غير البشر؛ كما روي عن أبي جعفر – عليه السلام –: أن زوجاً من ورشان [6] وقعا على الحائط ، وهدلا هديلهما ؛ فرد أبو جعفر– عليه السلام – عليهما كلامهما ساعة ، ثم نهضا ، فلما طارا على الحائط هدل الذكر على الأنثى

---

(١) الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ ص ١٦٢. الحاج سعيد أبو معاش : الشيعة الفرقة الناجية جـ ٢ ص ٥٤.

(٢) محدقين : أحدق النظر : أحدَّ النَّظر ، وأمعن فيه النَّظرَ، وشدَّده، وركَّز فيه. د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ١ ص ٤٦٠.

(٣) الخميني : الحكومة الإسلامية ص ٥٢-٥٣. محمد فاضل المسعودي : الأسرار الفاطمية ص ٢٦٦.

(٤) عن أبي جعفر :" أول ما خلقه من خلقه : الشيء الذي جميع الأشياء منه ؛ وهو الماء " . انظر الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة " تكملة الوسائل " ، تحقيق : محمد بن محمد الحسين القائيني ، ط نكين ، نشر مؤسسة معارف إسلامي الإمام الرضا – قم ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٣٧٦ش جـ ١ ص ٢٠٣. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢٦ ص ٤٦٨. الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ ص ٩٤. بحار الأنوار جـ ٥٤ص ٩٦.

(٥) علي النمازي الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار جـ ٢ ص ١٤.المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ ص ٢١ – ٢٢ بتصرف .

(٦) الوَرَشانُ : طائرٌ يشبهُ الحمامةِ ، وجمْعُه : وِرْشانٌ ، والأنثى وَرَشَانَةٌ . انظر ابن منظور : لسان العرب ، مادة ورش جـ ٥٣ ص ٤٨١٣.

ساعة ، ثم نهضا ، فقيل له : ما هذا الطير؟ ، قال : كلُ شيءٍ خلقه الله من طير ، أو بهيمة ، أو شيء فيه روح فهو أسمع لنا ، وأطوع من ابن آدم ، إن هذا الورشان ظن بامرأته ؛ فحلفت له ما فعلت ؛ فقالت : ترضى بمحمد بن علي حكماً ؛ فرضيا بي ؛ فأخبرته : أنه لها ظالم ؛ فصدقها [1] ، وهل الزنا حرام عند الورشان .

وخزائن الأرض بأيديهم ؛ فعن أبي عبد الله– عليه السلام – : عندنا خزائن الأرض ، ومفاتيحها ، ولو شئت أن أقول بإحدى رجليَّ أخرجي ما فيك من الذهب ؛ لأخرجت ، قال : ثم قال بإحدى رجليه فخطها في الأرض خطاً ؛ فانفرجت الأرض ؛ فأخرجت سبيكة ذهب قدر شبر ، ثم قال : انظروا حسناً ، فنظروا فإذا سبائك كثيرة بعضها على بعض يتلألأ ؛ فقيل له : جُعِلْتُ فداك أعطيتم ما أعطيتم ، وشيعتكم محتاجون ؟ فقال : إن الله سيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا والآخرة ، ويدخلهم جنات النعيم ، ويدخل عدونا الجحيم [2] .

حتى إنهم ليعلمون متى ستعلق نطفتهم في رحم أزواجهم ، وحين يولدون يكلمهم الله ، ويردون جوابه فور الولادة ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – أنه كان في الحج في السنة التي ولد فيها ولده موسى – عليه السلام – فبينا هو يأكل إذ أتاه رسول حميدة [3] ، فقال : إن حميدة تقول لك : إنّي قد حضرتني ولادتي ، وقد أمرتني أن لا أسبقك بابني هذا ؛ فقام أبو عبد الله – عليه السلام – فانطلق مع الرسول ، فلما انطلق قال له أصحابه : سرك الله ، وجعلنا فداك ، ما صنعت حميدة ؟ قال : قد سلمها الله ، وقد وهب لي غلاماً ، و هو خير من برأ الله في خلقه ، ولقد أخبرتني حميدة ؛ ظنت أني لا أعرفه ، ولقد كنت أعلم به منها ، إنه لمَّا أن كانت الليلة التي علقت فيها بابني هذا المولود ، أتاني آت ؛ فسقاني كما سقاهم ، وأمرني بمثل الذي أمرهم به ؛ فقمت – بعلم الله – مسروراً بمعرفتي ما يهب الله لي ، فجامعت ؛ فعلقت بابني هذا المولود ، فدونكم ، فهو – والله – صاحبكم من بعدي ، إن نطفة الإمام إذا سكنت في الرحم أربعة أشهر ، وأنشأ فيه الروح [4] بعث

---

(١) الكليني : الأصول من الكافي ج ١ص ٤٧٠-٤٧١. الفيض الكاشاني : الوافي ج ٣ ص ٧٧٠. الصفار : بصائر الدرجات ص ٣٦٢.

(٢) الكليني : الأصول من الكافي ج ١ ص ٤٧٤. ابن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة ص ٣٠١. المفيد : الاختصاص ص ٢٦٩.

(٣) حميدة : حميدة البربر أم موسى الكاظم – عليه السلام – وتسمى المصفاة . انظر الشيخ الطريحي : مجمع البحرين ، تحقيق: السيد أحمد الحسيني ، نشر مكتب النشر الثقافة الإسلامية – قم ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ / ١٣٦٧ش ج ١ ص ٥٧ .

(٤) الروح : الجسم البخاري اللطيف الذي يكون من لطافة الأغذية وبخاراتها ، وله مدخل عظيم في نظام البدن . وقيل : الحياة ، وقيل : النَفْسُ ، وقيل : ما به حياةُ الأجسام ، وتلك الروح قد تكون مجردة ، وقد تكون منطبعة في البدن. ويقابل الرُّوح : الجسد وهو : كُلُّ جوهر مادّيّ يشغل حيِّزًا ، ويتميَّز بالثّقل ، والامتداد . انظر المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٨ ص ٥٥ . نشوان الحميرى : شمس العلوم ،

الله – تبارك وتعالى – إليه ملكاً يقال : له حيوان ، يكتب في عضده الأيمن : وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلًا لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ ، فإذا وقع من بطن أمه وقع واضعاً يديه على الأرض ، رافعاً رأسه إلى السماء ، ويناديه منادٍ من بطنان العرش من قبل رب العزة من الأفق الأعلى باسمه واسم أبيه ، يا فلان بن فلان اثبت ملياً لعظيم خلقتك ، أنت صفوتي من خلقي ، فإذا انقضى صوت المنادي ، أجابه هو: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُو وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، فإذا قال ذلك أعطاه الله العلم الأول ، والعلم الآخر ، واستحق زيارة الروح في ليلة القدر، والروح خلق أعظم من جبرائيل ؛ أليس يقول الله – ﷻ – : تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فيها ؟ [١] .

فإذا كان حالهم ما ذكرنا من شرف المولد وعلم الغيب [٢] ، فلا عجب أن يقول الشيعة : أنهم يتصرفون في كل شيء في الكون ؛ فهم أبناء عليٍّ الذي يسمع النجوى ، والسر ، وأخفى ، كما يقول أحدهم مناجياً لعلي– عليه السلام – : " السلام على يعسوب الدين والإيمان ، وكلمة الرحمن ، السلام على ميزان الأعمال ، ومقلب الأحوال ، وسيف ذي الجلال ، وسمَّاع السر والنجوى ، الحاكم في يوم الدين ، ومنزل المن والسلوى " [٣] فما بقي لله بعد هذا ؟ .

وقد نادت الشمس علياً أمام أبي بكر ، وعمر ، والمهاجرين ، والأنصار بعدما ردها[٤] النبي – ﷺ – بعدما غابت ؛ لأن الإمام علي لم يكن صلى العصر – مع كونها ناقضة للعصمة – ؛ فقالت :" يا أول ، يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن ، يا من هو بكل شيء عليم " [١] . الله أعلى وأجل ! .

تحقيق : د حسين بن عبد الله العمري وآخرون ، نشر دار الفكر المعاصر – بيروت ، دار الفكر – دمشق ، ط١ ، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م ج ٤ ص ٢٦٦٨. د أحمد مختار عبد الحميد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ج ١ ص ٣٧٥. الأحمدي نكري : دستور العلماء ج ٢ ص ١٠٥.

(١) أحمد بن خالد البرقي: المحاسن ج ٣ص ٣١٥ بتصرف . محمد الصفار: بصائر الدرجات ص ٤٦١. الكليني: أصول الكافي ج١ص٣٨٥.

(٢) يقول الشيخ المفيد : إن الأئمة من آل محمد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد ، ويعرفون ما كان قبل كونه ، وليس ذلك بواجب في صفاتهم ، ولا شرطا في إمامتهم ، وليس ذلك بواجب عقلا ولكنه وجب لهم من جهة السماع ، فأما إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب فهو منكر بين الفساد ؛ لأن هذا الوصف يستحقه من علم الأشياء بنفسه ، وهذا لا يكون إلا لله . انظر المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٦ ص ١٠٤ بتصرف .

(٣) محمد الجواهري : ضياء الصالحين ص ٣٣١. النوري الطبرسي : مستدرك الوسائل ج ١٠ص ٢٢٢.محمد المشهدي : المزار ص ١٨٤.

(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ: لَا يَغْزُو مَعِي مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً لَمْ يَبْنِ بِهَا، وَلَا رَجُلٌ لَهُ غَنَمٌ يَنْتَظِرُ وِلَادَهَا، وَلَا رَجُلٌ بَنَى بِنَاءً لَمْ يَفْرُغْ مِنْهُ " فَلَمَّا أَتَى الْمَكَانَ الَّذِي يُرِيدُ وَجَاءَهُ عِنْدَ الْعَصْرِ فَقَالَ لِلشَّمْسِ: «إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ سَاعَةً» فَحَبَسَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ وُضِعَتِ الْغَنِيمَةُ فَجَاءَتِ النَّارُ، فَلَمْ تَأْكُلْهَا فَقَالَ: «إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ» قَالَ: فَلَصِقَتْ يَدُهُ بِيَدِ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ. فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمُ الْغُلُولَ قَالَ: فَأَخْرَجُوا مِثْلَ رَأْسِ بَقَرَةٍ

وعن علي – عليه السلام –: " علمت المنايا ، والبلايا ، وفصل الخطاب ، فلم يفتني من سبقني ، ولم يعزب عني ما غاب عني " [٢] أظن أن من هذه الأشياء ما اختص الله – عز وجل – بعلمه .
فكيف يردون على قول الإمام الصادق – عليه السلام – :" يا عجباً لأقوام يزعمون أنَّا نعلم الغيب ! لا يعلم الغيب إلا الله ، والله لقد هممت بضرب جاريتي فلانة ، فهربت مني ، فما علمت في أي بيوت الدار هي " [٣] ، وسئل أبو عبد الله عن الإمام يعلم الغيب ؟ قال : لا ، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء ؛ أعلمه الله ذلك " [٤] وذلك لأن علمهم مستفاد من علم الله تعالى .
ثم يدعون أن الأئمة يحيون الموتى ؛ فعن أبي جعفر – عليه السلام– أنه سئل : أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى ، وتبرؤا الأكمه ، والأبرص ؟ قال : نعم بإذن الله ثم مسح على عين الرواي فأبصر [٥] .
وجعلت الشيعة الاثني عشرية إحياء الموتى لعلي – رضي الله عنه – ؛ فعن علي – عليه السلام –: أن قريش سألت النبي – ﷺ – إحياء ميت ؛ كفعل عيسى – عليه السلام – ؛ فدعاني ، ثم سجَّاني ببرده ، ثم قال : انطلق يا علي مع القوم إلى المقابر ، فأحيي لهم – بإذن الله – من يسألونك من آبائهم ، وأمهاتهم ، وأجدادهم ، وعشائرهم ، فانطلقت معهم ، فدعوت الله – تبارك وتعالى– باسمه الأعظم ؛ فقاموا من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم – بإذن الله تعالى – ، وأقبلت قريش تسألهم [٦].
وعن أبي عبد الله – عليه السلام – : إن شابا أتى أمير المؤمنين فقال : إن أخي مات ، وقد حزنت عليه حزناً شديداً ، فقال : تشتهي أن تراه ؟ فقال : بلى [٧]، قال : فأرني قبره ، قال : فخرج

مِنْ ذَهَبٍ فَأَلْقَوْهُ فِي الْغَنِيمَةِ، ثُمَّ جَاءَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَنَا، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَأَى ضَعْفَنَا فَطَيَّبَهَا لَنَا»، وَزَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ . عبد الرزاق الصنعاني : المصنف جـ ٥ صـ ٢٤١–٢٤٢.

(١) شاذان بن جبرائيل القمي : الفضائل صـ ٦٩. هاشم البحراني : مدينة المعاجز ، تحقيق : عزة الله المولائي الهمداني ، ط بهمن ، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية — قم ، ط١ ، ١٤١٣هـ جـ ١ صـ ٢١٥. وله : البرهان في تفسير القرآن جـ٥ صـ ٢٨٠.

(٢) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٢٨٦. الكليني : الكافي جـ ١ صـ ١٩٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ١٤١.

(٣) محمد الصفار : بصائر الدرجات صـ٢٣٣. الكليني : أصول الكافي جـ ١صـ ٢٥٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٣٢٣.

(٤) الحر العاملي : الفصول المهمة جـ ١ صـ ٣٩٥. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٢٥٧. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٣ صـ ٥٩٠.

(٥) الكليني : الأصول من الكافي جـ ١صـ٤٧٠ . الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٣صـ ٧٧٠. وحيد الخراساني : منهاج الصالحين جـ ١ صـ ٣٨٤.

(٦) الشيخ المفيد : الإرشاد جـ ١ صـ ٤٣. الشيخ الصدوق : التوحيد صـ ٤٢٣. الشيخ الطبرسي : الاحتجاج جـ ٢ صـ ٢٠٥.

(٧) إجابته بنعم ليست صحيحة لغوياً : لأن السؤال الذي يبدأ بإيجاب ، يجاب عنه بنعم ، مثل قوله تعالى :" وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ " . الأعراف : ٤٤ . أما السؤال الذي يبدأ بنفي

، ومعه بردة رسول الله – ﷺ – متزرا بها ، فلما انتهى إلى القبر ، تلملمت شفتاه ، ثم ركض برجله ، فخرج من قبره وهو ينطق بلسان الفرس[1] ، فقال له أمير المؤمنين : ألم تمت وأنت رجل من العرب ؟ فقال : بلى ، ولكننا متنا على سنة فلان وفلان [2] ، فانقلبت ألسنتنا " [3] ، بل روي : أن علياً أحيى موتى مقبرة الجبانة بأجمعهم [4] .

والرعد والبرق بأمره ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – : " أما إنه ما كان من هذا الرعد ، ومن هذا البرق ؛ فإنه من أمر صاحبكم ، قيل له : من صاحبنا ؟ قال : أمير المؤمنين [5] ، والله تعالى يقول في كتابه :" هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا " [6] والضمير والاسم الموصول يفيدان الاختصاص .

بل ركب السحابة مرة ، وسارت به ، وتكلم من فوقها عن نفسه ، فقال :" أنا لسان الله الناطق في خلقه "[7] ؛ أما القرآن فلو استنطقوه فلن ينطق [8] ، مع أن القرآن والسنة ليس فيهما صفة اللسان لله تعالى ! .

ولا عجب إذاً : أن تجد اسم الإمام مكتوبٌ على الأحجار ، وأوراق الأشجار ، وأجنحة الأطيار ، وأبواب الجنة والنار ، والعرش ، والأفلاك ، وأجنحة الأملاك[9] ، وحُجُب الجلال ، وسرادقات العز والجمال ، وباسمهم تسبح الأطيار ، وتستغفر لشيعتهم الحيتان في لجج البحار ، وإن العرش لم يستقر حتى كتب عليه بالنور : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله [10] .

يجاب عنه ببلى ، مثل قوله تعالى :" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ". البقرة : ٢٦٠ . فيظهر أن هذا من الركاكة التي لا تليق ببلاغة الإمام علي – رضي الله عنه – فالأصل أن يجاب بنعم ، ولم يبين للرجل هذا ، ثم لم يبينه واحداً من شراح الحديث .

(١) بلسان الفرس : اللغة الفارسية . انظر سامح عباس الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الاثني عشرية ص ١١٣.

(٢) فلان وفلان : يقصد أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – . انظر سامح الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ص ١١٣.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤١ ص ١٩٢. الكليني : أصول الكافي جـ ١ ص ٤٥٧.

(٤) المجلسي: بحار الأنوار جـ ٤١ ص ١٩٢.

(٥) المفيد : الاختصاص ص ٣٢٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ ص ٣٣.

(٦) سورة الرعد : آية رقم ١٢.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ ص ٣٤ بتصرف. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ١ ص ٢٧٢.

(٨) الكليني : أصول الكافي جـ ١ ص ٦١ . الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين جـ ٣ ص ٧٥.

(٩) الأملاك : الملائكة ، وهم جنس نوراني لطيف من خلق الله ، وقال ابن منظور : الأملاك جمع مَلِك ، وهو جمع قلة يقال : ثلاثة أملاك ، وقيل : جمع مَلَك . انظر المعجم الوجيز ص ٥٩٠. لسان العرب جـ ٤٨ ص ٤٢٦٦. القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ٢ ص ٣١٤٠.

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ ص ١٧٤. رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ١٧٩.

والناس من صنع علي كما قال : فإنا صنائع ربنا ، والناس بعد صنائعٌ لنا[1]"[2] ، وقال الله – جل جلاله – مخاطباً علياً :" فإني أقول للشيء كن ؛ فيكون ، وقد جعلتك تقول للشيء كن ؛ فيكون " [3].

ولكن الأئمة لم يقولوا بذلك ؛ فعن الإمام الرضا – عليه السلام – :" فمن ادعى للأنبياء ربوبية ، وادعى للأئمة ربوبية ، أو نبوة ، أو لغير الأئمة إمامة ، فنحن منه براءٌ في الدنيا والآخرة [4].

وعن أبي عبد الله – عليه السلام –حين قال له بعض أتباعه : إني كنت أقول فيك بالربوبية ؛ فقال : إنا – والله – عبيدٌ مخلوقون ، لنا رب نعبده ؛ إن لم نعبده عذبنا [5].

وقد ورد أن أبا عبد الله – عليه السلام – لعن رجالاً ، ووصفه بأنه : شيطان ابن شيطان ؛ لأنهم يقولون بتفضيل الإمام عليّ على النبي – ﷺ – ويقولون : بربوبية عليٍ ، ومنهم من قال : بتشخص محمدٍ – ﷺ – في الأشخاص الأربعة[6] – عليٍ، وفاطمةٍ ، والحسن ، والحسين – وأن محمداً عبدٌ، وعلياً ربٌ[7]. سبحانك هذا بهتان عظيم.

وأعلنها عليٌّ – عليه السلام – صريحةً ؛ فيقول :" ليبلغ الشاهد الغائب : إنّي عبد الله ، ابن عبد الله ، عبدُ قنٍ [8] ، ابن أمةٍ ، ضمَّتْني الأصلابُ ، والأرحامُ ، وإنّي لميتٌ ، وإنّي لمبعوثٌ ، ثمَّ موقوفٌ ، ثمَّ مسئولٌ ، والله لأسألن عمّا قال هذا الكذاب ، وادعاه عليَّ ... وأفزعني ، وأقلقني عن رقادي [9].

---

(١) الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية جـ ١ صـ ٧٦. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٣ صـ ٥٨.

(٢) يضعفه الميرزا جواد التبريزي سنداً ، ويصححه معنى ، ولكن يقول : إن معنى الصنع الطاعة ، أو التربية . انظر الميرزا جواد التبريزي : صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات ، نشر المركز الثقافي أمين – قم ، ط١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م جـ ٣صـ ٤٢٧.

(٣) الخميني : مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية صـ ٩٢.

(٤) الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ١ صـ ٢١٧. السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٧ صـ ١٥٢.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٣٠٣ بتصرف . ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ٣ صـ ٣٤٧.

(٦) الأشخاص الأربعة : تسميها الشيعة : الأربعة المتناسبة : المراد بها في ديباجة خلاصة الحساب { علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين – رضي الله عنهم –} ؛ لأن نسبة الحسن والحسين إلى علي كنسبتهما إلى خاتون الجنة فاطمة الزهراء ، وبالعكس ، وتلك النسبة هي نسبة الولادة ، وتبنى على أن نسبة أول الأربعة إلى ثانيها كنسبة ثالثها إلى رابعها . القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١ صـ ٤٩.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٣٠٧ . علي الخاقاني : رجال الخاقاني ، تحقيق : السيد محمد صادق بحر العلوم ، نشر مكتب الإعلام الإسلامي – قم ، ط٢، ١٤٠٤هـ صـ ١٣٥. السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ٣ صـ ٥٧٠.

(٨) القن : العبد الخالص . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥صـ ٣٠٨ بتصرف .

(٩) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥صـ ٣٠٧ . السيد الكلبايكاني : نتائج الأفكار هامش صـ ١٩٩.

وها هو أبلغُ ردٍ عليهم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام – أنه أهلك قوماً غلو فيه في الربوبية ، فاستتابهم عن ذلك ، فلم يتوبوا ؛ فأهلكهم بالدخان [١] .

وهذا أبو عبد الله – عليه السلام – يقول لرواة من الشيعة سألوه عن الربوبية ؛ فوصف نفسه والأئمة قائلاً :" بل عبادٌ مكرمون ، لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون " [٢] ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" هم شر من اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والذين أشركوا ، والله ما أنا إلا عبدٌ ، مملوكٌ ، لا أقدر على شيء ، ضُرٍ ، ولا نفعٍ " [٣] ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – : جاء حبر من الأحبار إلى أمير المؤمنين ؛ فقال : يا أمير المؤمنين أفنبي أنت ؟ فقال : ويلك ، إنما أنا عبدٌ من عبيد محمد – ﷺ –[٤].

أثر تقديس الأئمة : <u>في الاعتقاد بتقديس بعض بقاع الأرض دون باقي الأرض :</u>

قدست الشيعة الاثنا عشرية الأراضي التي سكنها الأئمة ، ودفنوا فيها تقديساً عظيماً من هذه البقاع :

<u>أولا : تقديس مدينة (قم) الإيرانية</u> :

روت الشيعة في سبب تسميتها بمدينة (قم) : أن رسول الله – ﷺ – رأى إبليس باركاً بها ، فقال له : قم يا ملعون ؛ فسميت بذلك [٥] ، وقيل : لأن سفينة نوح – عليه السلام – لما وصلت إليها في الطوفان ، قامت ، وهي جزء من بيت المقدس[٦] ، وقال أبو عبد الله – عليه السلام – سميت قم : لأن أهله يجتمعون مع قائم آل محمد – ﷺ – فيها ، ويقومون معه ، وقال : لولا القمِّيون لضاع الدين [٧] .

ويبين الإمام الصادق – عليه السلام – سبب تقديس مدينة (قم) فيقول " لنا حرماً : وهو قم ، وستدفن فيه امرأة من ولدي تسمى : فاطمة ، من زارها وجبت له الجنة " ، وفي رواية :" إن زيارتها تعدل الجنة " ، وهي فاطمة المعصومة ، ولها مزارٌ عظيمٌ .

---

(١) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٣ صـ ٢٦٥ بتصرف .

(٢) الشيخ الطوسي : اختيار معرفة الرجال جـ ٣ صـ ٦١٩ بتصرف . الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٣ صـ ٦٧١.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٢٩٤. الشيخ الطوسي : اختيار معرفة الرجال جـ ٢ صـ ٥٩٠.

(٤) الكليني : أصول الكافي جـ١صـ ٩٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣ صـ ٢٨٣. أبو منصور الطبرسي : الاحتجاج جـ ١ صـ٣١٣.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٧ صـ ٢١٧. الشيخ هادي النجفي : موسوعة أحاديث أهل البيت جـ ٩ صـ ١٩٤.

(٦) الميرزا علي النمازي : مستدرك سفينة البحار صـ ٥٩٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٧ صـ ٢١٣ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٧ صـ ٢١٦ – ٢١٧ بتصرف . الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٨ صـ ٥٩٩.

ويذكر في بعض كتب التاريخ أن القبة الحالية التي على قبرها من بناء سنة ٥٢٩هـ[١] ، ويقدسون قبرها تقديساً شديداً [٢] ؛ فإن من زارها له الجنة [٣] ، وقال الصادق – عليه السلام – : " إن قم الكوفة الصغرى ، ألا وإن للجنة ثمانية أبواب ، ثلاثةٌ منها إلى (قم) ، تقبض فيها امرأة من ولدي اسمها فاطمة بنت موسى ، وتدخل بشفاعتها شيعتي الجنة بأجمعهم " [٤] ، وعن الرضا – عليه السلام – : أن لهم ثلاثة أبواب من الثمانية [٥] .

لكن يقع التخفيض ؛ فإن أبا الحسن – عليه السلام – ترحم على أهل (قم) وقال : إن للجنة ثمانية أبواب ، وواحد منها لأهل قم ، وهم خيار شيعتنا من بين سائر البلاد ، خمَّر الله تعالى ولايتنا في طينتهم، ، وأهل قم هم القوم أولى البأس الشديد ؛ كما قال أبو عبد الله [٦].

وعن الرضا – عليه السلام – : إذا عمت البلايا ؛ فلابد من اللجوء إلى قم وحواليها ؛ فالبلاء مدفوع عنها[٧] ، وعن جعفر– عليه السلام– : إن عليها ملكاً يرفرف بجناحه ، لا يريدها جبار بسوء إلا أذابه الله كذوب الملح في الماء ، يسقي الله بلادهم الغيث ، وينزل عليهم البركات ، ويبدل الله سيئاتهم حسنات ، وهم أهل ركوع ، وسجود ، وقيام ، وقعود ، هم الفقهاء ، العلماء ، الفهماء ، هم أهل الدراية ، والرواية ، وحسن العبادة [٨] .

والشرف في الآخرة أن أهلها يحاسبون في حفرهم ، ويحشرون من حفرهم إلى الجنة ، مغفوراً لهم [٩] ، عن أبي عبد الله الصادق – عليه السلام – : قم تربتها مقدسة ، ثم دعا لها اللهم اعصمهم من الفتن [١٠] ، فالله تعالى احتج بها على سائر البلاد ، وبأهلها على جميع أهل المشرق والمغرب من الجن والإنس ، وسيأتي زمان تكون قم وأهلها حجة على الخلائق ، وذلك في زمان غيبة الإمام

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٨ صـ ٣١٧ .

(٢) د عامر النجار : مذاهب الإسلاميين صـ ٤٤٩–٤٥٠. بتصرف.

(٣) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٨ صـ ٢٦٢ .

(٤) الميرزا علي النمازي : مستدرك سفينة البحار صـ ٥٩٦. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٧ صـ ٢١٦ –٢١٧ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٧ صـ ٢٢٨ .

(٦) الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث المهدي جـ ٤ صـ ١٤٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٧ صـ ٢١٦ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٧ صـ ٢١٤. السيد البرقي : تاريخ الكوفة صـ ٦٨.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٧ صـ ٢١٧ . الشيخ هادي النجفي : موسوعة أحاديث أهل البيت جـ ٣ صـ ٤٢١.

(٩) الميرزا علي النمازي : مستدرك سفينة البحار صـ ٤٤٢. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٧ صـ ٢١٨ .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٧ صـ ٢١٨ .

إلى ظهوره ، ولولاها لساخت[1] الأرض بأهلها ، وحين تخلوا الكوفة من المؤمنين ويأرز [2] عنها العلم ، كما تأرز الحية في جحرها؛ فيظهر العلم ببلدة يقال لها : قم [3] .

ورأى صورتها النبيُّ – ﷺ – ليلة المعراج في السماء الرابعة على هيئة قبة لم يرى النبيُّ – ﷺ – أحسن منها ، قال جبريل – عليه السلام – : هي صورة مدينة يقال لها : قم ، تجتمع فيها عباد الله المؤمنون ، ينتظرون محمداً ، وشفاعته للقيامة ، والحساب [4] ، وإن الله اختارها هي والكوفة من سائر البلاد ، وهي عش آل محمد – عليهم السلام – [5] .

ثانيا : تقديس مدينة كربلاء :

أعطيت كربلاء من المزايا ما لم يعطها بقعة أخرى ؛ فكانت أرض الله المختارة ، وأرض الله المقدسة المباركة ، وحرماً آمناً ، ومباركاً ، وحرماً من حرم الله ، وحرم رسوله ، وقبة الإسلام ، ومن المواضع التي يحب الله أن يعبد ويدعى فيها ؛ فكربلاء عند الشيعة أفضل من الكعبة ، وبيت الله الحرام [6] .

ولذلك فمدينة كربلاء لها قداسة خاصة عند الشيعة الاثني عشرية ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – " إن أرض الكعبة قالت : من مثلي ، وقد بُنِيَ بيتُ الله على ظهري ، يأتيني الناس من كل فجٍ عميقٍ ، وجُعلت حرم الله ، وأمنه ، فأوحي الله إليها : أن كفي ، وقري ، ما فضل ما فضلت به فيما أُعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غمست في البحر ؛ فحملت من ماء البحر ، ولولا تربة كربلاء ؛ ما فضَّلتُك ، ولولا من ضمنته[7] كربلاء ؛ لما خلقتُك ، ولا خلقتُ الذي افتخرت

---

(١) ساخت الأرض : انخسفت . انظر المعجم الوجيز ص ٣٣١.

(٢) يأرز : ينقبض ، ويقال : أَرَزَتِ الحيَّة : إذا انضمت في جحرها . وفي الحديث: " إنَّ الإسلامَ لَيَأْرِزُ إلى المدينة كما تأرِز الحيَّةُ إلى جُحْرِها " . انظر الإمام أحمد : المسند جـ ١٣ ص ٢٣٩. نشوان بن سعيد الحميرى اليمني : شمس العلوم جـ ١ ص ٢٣٦.

(٣) الميرزا القمي : غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام ، تحقيق : عباس تبريزيان ، نشر مكتب الإعلام الإسلامي – حوزة قم ، ط ١، ١٤١٧هـ/ ١٣٧٥ش جـ ١ ص ٢٩ . آية الله سيد مهدي حجازي : درر الأخبار تلخيص بحار الأنوار ، ترجمة : محمد عيدي خسرو شاهي ، د سيد علي رضا حجازي ، ط نمونه – بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ ص ٤٢٨.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٨ ص ٣١١ . الميرزا علي النمازي : مستدرك سفينة البحار جـ ٨ ص ٥٩٥.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٧ ص ٢١٤ . الشيخ هادي النجفي : موسوعة أحاديث أهل البيت جـ ١ ص ٢٠٦.

(٦) د عامر النجار : مذاهب الإسلاميين ص ٤٥١ بتصرف ، نقلا عن تاريخ كربلاء للدكتور : عبد الجواد آل طعمة .

(٧) يقول أبو جعفر عن أرض كربلاء :" وهي تنادي : أنا أرض الله المقدسة ، والطينة المباركة التي تضمنت سيد الشهداء وشباب أهل الجنة " . انظر عدة محدثين : الأصول الستة عشر ص ١٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠١ ص ١٠٨. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٤ ص ٥١٥.

به ، فَقَرّيْ ، واستقري ، وكوني ذنباً ، متواضعاً ، ذليلاً ، مهيناً ، غير مستنكفٍ ، ولا مستكبرٍ لأرض كربلاء ، وإلا مسختك ، وهويت بك في نار جهنم" (١).

وعن أبي جعفر –عليه السلام– : خلق الله – تبارك وتعالى – أرض كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام ، وقدَّسها ، وبارك عليها ، فما زالت قبل خلق الله الخلق مقدسةً مباركةً ، ولا تزال كذلك حتى يجعلها الله أفضل أرض في الجنة ، وأفضل منزل ، ومسكن يسكن الله فيه أوليائه في الجنة ، وإنها إذ يدك الله الأرضين رفعها الله كما هي برمتها نورانية صافية فجعلت في أفضل روضة من رياض الجنة(٢) ، وفي رواية عن علي بن الحسين –عليهما السلام– : لا يسكنها إلا النبيون والمرسلون – ، أو قال : أولو العزم من الرسل – (٣) ، وإنها لتزهر بين رياض الجنة كما يزهر الكوكب الدري بين الكواكب لأهل الأرض ، يغشي نورها أبصار أهل الجنة جميعاً ، وهي تنادي : أنا أرض الله المقدسة ، الطيبة ، المباركة ، التي تضمنت سيد الشهداء ، وسيد شباب أهل الجنة "(٤) .

وعن رسول الله – ﷺ – : يقبر ابني بأرض يقال لها : كربلاء ، هي البقعة التي كانت فيها قبة الإسلام التي نجا الله عليها المؤمنين الذين آمنوا مع نوح في الطوفان(٥) .

وعن أبي عبد الله –عليه السلام– :" زوروا كربلاء ، ولا تقطعوها ، فإن خير أولاد الأنبياء ضمنته ، ألا وإن الملائكة زارت كربلاء ألف عام من قبل أن يسكنه جدي الحسين –عليه السلام– ، وما من ليلة تمضي إلا وجبرائيل ، وميكائيل يزورانه " (٦) .

عن أبي عبد الله –عليه السلام– : إن أرض كربلاء ، وماء الفرات أول أرض ، وأول ماء قدس الله – تبارك وتعالى – وبارك الله عليهما ، فقال لها : تكلمي بما فضَّلك الله تعالى ، فقد تفاخرت الأرضون ، والمياه بعضها على بعض ، قالت : أنا أرض الله المقدسة ، المباركة ، الشفاء في

---

(١) الحر العاملي : وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة جـ ١٤ صـ ٥١٤ . جعفر بن محمد بن قولويه : كامل الزيارات صـ ٤٥٠ . الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٤ صـ ٥١٦.المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٨ صـ ١٠٧.

(٢) عدة محدثين : الأصول الستة عشر صـ ١٧ . جعفر بن محمد بن قولويه : كامل الزيارات صـ ٤٥١.

(٣) هذا يتناقض مع عقيدة الشيعة الاثني عشرية : أن الأئمة أفضل من الأنبياء والرسل ؛ لأنهم لم يسكنوا أفضل منازل الجنة مع الأنبياء .

(٤) جعفر بن محمد بن قولويه : كامل الزيارات صـ ٤٥٠ – ٤٥١. الشيخ المفيد : المزار صـ ٢٣. محمد المشهدي : المزار صـ ٣٣٨.

(٥) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٠صـ ٣٢٤. جعفر بن قولويه : كامل الزيارات صـ٤٥٣.المجلسي:بحار الأنوار جـ ٩٨ صـ ١٠٩.

(٦) السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ ١٢ صـ ٥٨٠. النوري الطبرسي : مستدرك الوسائل جـ ١٠ صـ ٢٦٢.

تربتي ، ومائي ، ولا فخر ، بل خاضعةٌ ذليلةٌ لمن فعل بي ذلك ، ولا فخر على من دوني بل شكراً لله ؛ فأكرمها ، وزادها بتواضعها ، وشكرها لله بالحسين – عليه السلام– وأصحابه [١] .

ومن أسباب تقديس كربلاء :" أن مريم – عليها السلام – خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء ، فوضعت عيسى – عليه السلام – في موضع قبر الحسين ، ثم رجعت من ليلتها " [٢] .

وقد جاء عن أبي عبد الله – عليه السلام –: إن جبريل – عليه السلام – أتى بجزء من تربتها ، فأراه للنبي – ﷺ – [٣] ، وأخبره بأن أمته ستقتل الحسين – عليه السلام – بعد موته [٤] .

بل رووا أن أمير المؤمنين – عليه السلام – لمّا نزل كربلاء في مسيره إلى صفّين ، وقف هناك ، ونظر إلى مصارع أهله ، وذريّته ، وشيعته ، ومسفك دماء مهجته ، وثمرة قلبه ، وأخذ من تربتها وشمّها قائلا : واهاً لك أيتها التربة ، ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنّة بغير حساب ، طوبى لك من تربة عليك تهراق دماء الأحبة "[٥] .

ثالثا: تقديس مدينة الكوفة :

للكوفة كذلك قداسة كبرى عند الشيعة ، فهي حرم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام – ؛ فعن الصادق – عليه السلام – :" والكوفة حرم الله ، وحرم رسوله ، وحرم علي بن أبي طالب ، الصلاة في مسجدها بألف صلاة " [٦] ، وقال علي – عليه السلام – :" إذا عمت البلايا ؛ فالأمن في الكوفة ونواحيها "[٧] ؛ " فإن البلاء مدفوع عنها "[٨] .

ولنسمع لنعرف مصدر طينة أفضل الخلق ؛ فعن رسول الله – ﷺ – : طينتنا من المدينة ، وطينة شيعتنا من الكوفة ، وطينة أعدائنا من البصرة [٩] ؛ ولذلك فالبصرة ملعونة كما قال علي – عليه

---

(١) جعفر بن محمد بن قولويه : كامل الزيارات ص ٤٥٦ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٨ ص ١٠٩.

(٢) الطوسي : تهذيب الأحكام ، تحقيق : حسن الخرسان ، تصحيح : محمد الآخوندي ، ط خورشيد ، نشر دار الكتب الإسلامية – طهران ، ط٤ ، ١٣٦٥هـ جـ ٦ ص ٧٣ . الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٤ ص ٥١٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٤ ص ٢١٢.

(٣) هل سجد الرسول – صلى الله عليه وسلم – على التربة الحسينية التي سجد عليها الشيعة ؟ إن قالوا : نعم ، قلنا : هذا كذب ، وإن قالوا : لا ، قلنا : هل أنتم أهدى من الرسول سبيلا ؟ . انظر سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ص ٢٤ بتصرف .

(٤) جعفر بن محمد بن قولويه : كامل الزيارات ص ١٣٠ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٤ ص ٢٣٦.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٤ ص ٢٥٦. علي الأحمدي : السجود على الأرض ، ط جواد – بيروت ، ط٤، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ص ١٣٩.

(٦) محمد بن المشهدي : المزار ص ١١٤ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٧ ص ٤٠٠.

(٧) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٠ ص ٢٠٥. السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ١٢ص٢٨٦.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠ ص ٢٠٥. الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٩ ص ١٩٩.

(٩) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٠ ص ٢٠٨. السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ١٢ص٢٨٦.

السلام – عن البصرة :" لعنك الله يا أنْتَنَ أرضٍ تراباً ، وأسرَعِهَا خَرَابَاً ، وأشَدِهَا عذاباً ؛ والسبب كذبُهم علينا أهل البيت ، واستحلالهم الكذب علينا" [1] ، مع أن علياً – عليه السلام – جعل الاعتكاف جائز في مسجدها [2] ؛ فكيف يأمرنا الإمام علي بالاعتكاف في أرض ملعونة .

وعنه أيضا – عليه السلام – : بالكوفة مسجد يقال له : مسجد السهلة ، لو أن عمي زيداً أتاه فصلى فيه ، واستجار الله جار له عشرين سنة ، فيه بيت إدريس الذي كان يخيط فيه ، وهو الموضع الذي خرج منه إبراهيم إلى العمالقة [3] ، وهو الموضع الذي خرج منه داود إلى جالوت [4] ، وتحته صخرة خضراء فيها صورة وجه كل نبي خلقه الله ، ومن تحته أخذت طينة كل شيء ، وهو موضع الراكب ، فقيل له : وما الراكب ؟ قال : الخضر [5] ، والكوفة حرمي ، لا يريدها جبار بحادثة إلا قصمه الله " [6] ، وهي جامعة لقبور الأنبياء ، ومنها يخرج من يدخلون الجنة بغير حساب ، عن الأصبغ بن نباتة [7] قال : مرت جنازةٌ على عليٍّ –عليه السلام – بالكوفة ، فقال :

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٤ صـ ٣٥٦ بتصرف .

(٢) الشيخ الصدوق : المقنع صـ ٢٠٩. الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٣٦٣.

(٣) العمالقة : عاد الآخرة ، كانوا بأريحا ، أبناء عمليق أو عملاق بن لاوذ أو لوة بن سام بن نوح ، وقيل : من ولد حام ، ولم يكونوا مع قومهم ، فلم يصبهم العذاب ، وكان هلاكهم ببغي بعضهم على بعض ، فتفانوا بالقتل . انظر الطبري : تفسير الطبري جـ ٢صـ ٦٨٣ ، جـ ٢٧ صـ ٨١ بتصرف. المسعودي : أخبار الزمان ، نشر دار الأندلس – بيروت ، ط٢، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م صـ ٨٧.

(٤) جالوت : ملك العمالقة الذين ذكرت قصتهم مع طالوت ، وداود – عليهما السلام – في سورة البقرة آيات : ٢٤٦ – ٢٥١ . وجالوت وجنوده : القوم أولي البأس الشديد الذين بعثهم الله على بني إسرائيل ، فقتلوهم ، وسبوا أولادهم ، وخربوا بيت المقدس ، كما في سورة الإسراء : آية رقم ٥ . انظر تفسير الجلالين صـ ٥٧٨ بتصرف . الطبري : تفسير الطبري جـ ٢ صـ ٦٧٢. الصدوق : المقنع صـ ٢٠٨.

(٥) العلامة الحلي : نهاية الأحكام جـ١صـ٣٥٤. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ١٤ صـ ١٤٥٢.

(٦) الكليني : أصول الكافي جـ ٤ صـ ٥٦٣. السيد الخوئي : الصلاة جـ ٨ صـ ٤١٦.

(٧) الأصبغ بن نباتة بن الحارث بن عمرو بن فاتك بن عامر من بني تميم الكوفي الحنظلي المجاشعي : الشاعر ، حدث عن علي ، وكان صاحب شرطته ، ممن فتن بحب علي ، أتى بالطامات ؛ فاستحق الترك ، قال ابن حبان :كان يضع الحديث على الفور ، قال الشعبي : ليس يساوي شيئاً ، قال أبو بكر بن عياش : كذاب ، وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال النسائي : متروك ، وقال العقيلي : كان يقول بالرجعة . ووثقه العجلي . انظر ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط دار الجيل – بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ جـ ١ صـ ٢٠٥.ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٦ صـ ٢٢٥.ابن حجر : لسان الميزان جـ ١ صـ ٣٨٥ ، جـ ٢ صـ ٤٦٠. العجلي : معرفة الثقات ، تحقيق : عبد العليم البستوي ، ط مكتبة الدار – المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م جـ ١ صـ ٢٢٣.ابن معين : تاريخ ابن معين – رواية عثمان الدار مي ، تحقيق : د. أحمد محمد نور سيف ، ط دار المأمون للتراث – دمشق ، ١٤٠٠ هـ صـ ٧٠. النعماني المغربي : شرح الأخبار جـ٢صـ٢٩٠.

هذا قبر يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم [١]، بكر يعقوب [٢]، يحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفاً على غرة الشمس والقمر ، يدخلون الجنة بغير حساب [٣].

وكان أبو عبد الله – عليه السلام – يتخلّل بساتين الكوفة ، فانتهى إلى نخلة ، فتوضّأ ، ثمّ ركع ، وسجد ، ثمّ استند إلى النخلة ، فدعا بدعوات ، ثمّ قال : إنّها النخلة التي قال الله لمريم : " وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا[٤]"[٥] ، ولقد روينا في كربلاء أيضاً فأين نخلة مريم – عليها السلام – .

وسكنها آدم ، وفيها الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح ، ودفن في ظهرها نوح ، وفيها الجبل الذي كلم الله عليه موسى ، وفيها قدس الله عيسى – عليهم السلام – [٦] .

والمدينة الصلاة فيها بعشرة آلاف صلاة ، والدرهم فيها بعشرة آلاف درهم . والكوفة الصلاة فيها بمائة ألف صلاة ، والدرهم فيها بمائة ألف درهم "[٧] ، وقيل : بألف [٨] ، وقيل : ألفين [٩] ، عن أبي جعفر – عليه السلام – : صلاة الفريضة فيه تعدل حجة ، وصلاة نافلة تعدل عمرة [١٠] .

---

(١) قبر يهودا : وقع خلاف حوله ، فمن قائل أنه قبر هود – عليه السلام – ، وقيل : قبر يهودا ، والذي يعتقده الشيعة على الراجح أنه قبر يهودا ؛ عن الحسن بن على : يقولون هذا قبر هود النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : كذبوا ، لأنا ، أعلم به منهم ، هذا قبر يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، بكر يعقوب . انظر نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، نشر المؤسسة العربية الحديثة – القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ص ١٢٦ –١٢٧. النوري الطبرسي : مستدرك الوسائل جـ ١٠ص ٢٢٤. بحار الأنوار جـ ١١ص ٣٦٠.

(٢) بكر يعقوب – عليه السلام – : هو " رأوبين " ، وأمه ليئة ، وليس يهودا كما يدعون . انظر الكتاب المقدس : نشر دار الكتاب المقدس – القاهرة ، ١٩٩٨م سفر التكوين ٣٥ / ٢٣ ، ص ٥٩ ، ٤٦/ ٦ ، ص ٧٩. نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص ١٢٦. ابن عاشور : التحرير والتنوير جـ ١٣ص ٣٩. محمد الريشهري : ميزان الحكمة جـ ٤ ص ٣٠٧٦.محمد جواد مغنية : التفسير المبين ص ٣٠٤.

(٣) الميرزا النوري الطبرسي : مستدرك الوسائل جـ ١٠ص ٢٢٥. محمد إبراهيم النعماني : الغيبة ، تحقيق : فارس حسون كريم ، ط مهر – قم ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ص ٢٤٤.

(٤) سورة مريم : آية رقم ٢٥.

(٥) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٦ ص ٣٨٠ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٤ ص ٢١٢. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٨ ص ٧١٤.

(٦) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٤ ص ٣٨٦.

(٧) العلامة الحلي : نهاية الأحكام جـ١ص٣٥٣. المحقق البحراني: الحدائق الناضرة جـ ٧ ص ٣١٥.

(٨) الشهيد الأول (محمد بن مكي) : ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة جـ ٤ ص ٣٦٩.

(٩) السيد الخوئي : الصلاة جـ ٥ ص ١٦.

(١٠)المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠٠ ص ٣٨٩. الحر العاملي:وسائل الشيعة جـ ٥ ص ٢٥٩. الشيخ الصدوق : من لا يحضره الفقيه ، تحقيق : علي أكبر غفاري ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم ، ط٢، ١٤٠٤هـ جـ ١ص ٢٢٩ . جعفر بن قولويه : كامل الزيارات ص ٧٠.

وعن أبي عبد الله – عليه السلام –: نعم المسجد مسجد الكوفة ، صلى فيه ألف نبي ، وألف وصي ، ومنه فار التنور، وفيه نجرت السفينة ، ميمنته رضوان الله ، ووسطه روضة من رياض الجنة ، وميسرته مكر يعني منازل الشياطين "[1].

وقال أمير المؤمنين–عليه السلام – : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد [2] : المسجد الحرام ، ومسجد رسول الله – ﷺ – ومسجد الكوفة "[3] ، وعن رسول الله – ﷺ – :" مسجدي هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الأقصى " [4] ، وقال النبي – ﷺ – : " لما أسري بي ، مررت بموضع مسجد الكوفة ، وأنا على البراق ، ومعي جبرائيل– عليه السلام – ، فقال لي : يا محمد انزل فصل في هذا المكان ، قال : فنزلت فصليت ؛ فقلت : يا جبرائيل أي شيء هذا الموضع ؟ قال: يا محمد هذه كوفان ، وهذا مسجدها ، أما أنا فقد رأيتها عشرين مرة خراباً ، وعشرين مرة عُمْراناً ، بين كل مرتين خمسمائة سنة "[5].

عن الأصبغ بن نباتة : " بينَّا نحن ذات يوم حول أمير المؤمنين – عليه السلام – في مسجد الكوفة ، إذا قال : يا أهل الكوفة لقد حباكم الله – عز وجل – بما لم يحب به أحداً من فضل مصلاكم : بيت آدم ، وبيت نوح ، وبيت إدريس ، ومصلى إبراهيم الخليل ، ومصلى أخي الخضر ، ومصلاي ، وإن مسجدكم هذا لأحد الأربعة المساجد التي اختارها الله – عز وجل – لأهلها ، وكأني به قد أتي به يوم القيامة في ثوبين أبيضين يتشبه بالمحرم ، ويشفع لأهله ، ولمن يصلي فيه ؛ فلا ترد شفاعته ، ولا تذهب الأيام والليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه [6]، وليأتين عليه

---

(١) الصدوق : من لا يحضره الفقيه جـ ١ صـ ٢٣١ .

(٢) قال بعض المحققين : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المستثنى منه محذوف ، وهو إما جنس قريب ؛ فتقدير الكلام : لا تشد الرحال إلى المساجد إلا ثلاثة ، فغير المساجد مسكوت عنه ، أو جنس بعيد ، والتقدير : لا تشد الرحال إلى موضع يتقرب به إلا للثلاثة ؛ فحينئذ شد الرحال لغيرها للتقرب منهي عنه ، فإما أن يقدر عاماً ؛ فيصير لا تشد الرحال إلى مكان في أي أمر إلا لها ، أو يقدر خاصاً بمعنى : للصلاة فيها ، والثاني أرجح ؛ لإفضائه إلى سد باب السفر للتجارة ، وصلة الرحم ، وطلب العلم ، فهذه الأمور يجوز شد الرحال إليها ، حتى إلى غير المساجد الثلاثة . انظر زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي : شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور ، تحقيق : جمال بن حبيب صلاح ، نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء – الرياض ، ط٤ ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م صـ ٩٠ – ٩٢ بتصرف .

(٣) الصدوق : من لا يحضره الفقيه جـ ١صـ ٢٣١. الحر العاملي: وسائل الشيعة جـ ٥ صـ ٢٥٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٦صـ ٢٤٠.

(٤) الشهيد الأول : ذكرى الشيعة جـ ٣ صـ ١١٠. محمد الريشهري : الحج والعمرة في الكتاب والسنة صـ ٦٢ .

(٥) الشيخ الصدوق : من لا يحضره الفقيه جـ ١صـ ٢٣١ . الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٥ صـ ٢٥٧.

(٦) وقد حدث هذا على يد عَدُوُّ اللهِ ، مَلكُ البَحْرين : أَبُو طَاهِرٍ سُلَيْمَانُ بنُ حَسَنٍ القِرْمِطِيُّ ، الَّذِي سَارَ إِلَى مَكَّةَ فِي سَبْعمائَة فَارس ، فَاسْتَبَاح الْحَجِيج ، وَاقْتَلَعَ الحجَرَ الأَسود ، وَرَدَمَ زَمْزَمَ بِالقَتْلَى ، وَصَعِد عَلَى عتبَةِ الكَعْبَة يَصيح : أَنَا بِاللهِ ، وَبَاللهُ أَنَا ، يخلق الْخلق ،

زمان يكون مصلى المهدي من ولدي ، ومصلى كل مؤمن ، ولا يبقى على الأرض مؤمن إلا كان به أو حن قلبه إليه ، فلا تهجروه ، فلو يعلم الناس ما فيه من البركة ؛ لأتوه من أقطار الأرض ولو حبواً على الثلج " [1].

لكن تقديس الشيعة لهذه المدينة ينهدم إذا علمنا أن هذا القبر بُنِيَ ما بين عامي ٣٢٧- ٣٣٢هـ ، ولم يبن كما زعموا بعد موت الإمام علي – رضي الله عنه – في ٤٠ هـ [2].

رابعا: تقديس مدينة النجف الأشرف :

السبب الرئيس في تقديس النجف الأشرف : هو وجود قبر[3] الإمام علي – عليه السلام – فيها [4] ؛ وعن أبى عبد الله – عليه السلام – : إن النجف كان جبلاً ، وهو الذي قال ابن نوح لأبيه عنه : " قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ "[5] ، ولم يكن على وجه الأرض جبلٌ أعظم منه ، فأوحى الله – عز وجل – إليه : يا جبل أيعتصم بك مني ، فتقطع قطعاً قطعاً إلى بلاد الشام ، وصار رملاً دقيقاً ، وصار بعد ذلك بحراً عظيماً ، وكان يسمى ذلك البحر : بحر (ني) ، ثم جف بعد ذلك ، فقيل : ني جف ، فسمي بنجف ، ثم صار الناس بعد ذلك يسمونه نجف ؛ لأنه كان أخف على ألسنتهم [6].

قال الصادق– عليه السلام– : إذا زرت جانب النجف فزر عظام آدم ، وبدن نوح ، وجسم علي – عليهم السلام – ، وقال الرضا – عليه السلام– : احضر يوم الغدير عند أمير المؤمنين– عليه

وَأُفْنيهم أَنَا ، وقتل أَزيد مِنْ أَلف ، وَلَمْ يَقِفْ أَحَد بعرَفَة ، وَصَاح قِرْمطِيٌّ منهم : يَا حَمِير ، أَنْتُم قُلتُم : وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمناً – آل عمران ٩٧ – فَأَيْنَ الأَمن ؟ قال رجل : إن الله أراد : ومن دخله فأمنوه ، وكان ذلك يوم التروية (٣١٧ هـ) ، وَبَقِيَ الْحجر الأَسودُ عِنْدَهُم نَيِّفاً وَعِشْرِيْنَ سَنَةً ، ثم رَدَّ إِلَى مَكَانِهِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلاَثِيْنَ ومائة . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٣صـ ٤٧٦ ، جـ ١٤صـ ٥٣٩ ، جـ ١٥صـ ٥٣ ، صـ ٢٣٠ ، جـ ١٧ صـ ٥٦ . السيد البراقي : تاريخ الكوفة ، تحقيق : ماجد أحمد العطية ، ط شريعت ، انتشارات المكتبة الحيديرية – قم ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ / ١٣٨٢ش صـ ١٢٢.

(١) الفيض الكاشاني : الوافي جـ ١٤ صـ ١٤٤٧. الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ١٤ صـ ١٤١.الصدوق : الأمالي صـ ٢٩٨.

(٢) الشيخ الصدوق : من لا يحضره الفقيه جـ ١صـ ٢٣١ – ٢٣٢. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٥ صـ ٢٥٧-٢٥٨.

(٣) يقول الذهبي في ترجمة عَضُدُ الدَّوْلَةِ فَنَّاخُسْرُو بنُ حَسَنِ بنِ بُوَيْه الدَّيْلَمِيُّ :" أظهرَ بِالنَّجفِ قَبْراً زَعَمَ أَنَّهُ قَبْرُ الإِمَامِ عَلِيٍّ ، وَبنَى عَلَيْهِ المَشْهَدَ ، وَأَقَامَ شعَارَ الرَّفْضِ ، وَمأْتمَ عَاشُورَاءَ ، وَالاعتزَالَ " . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٦ صـ ٢٥١.

(٤) الشيخ الصدوق : الهداية صـ ١٣٦.

(٥) سورة هود : آية رقم ٤٣ .

(٦) الصدوق : علل الشرائع جـ١صـ ٣١. المجلسي : بحار الأنوار جـ ١١صـ ٣٢١. ابن طاووس : فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي – عليه السلام – ، تحقيق : تحسين آل شبيب ، ط : مطبعة محمد ، نشر مركز الغدير – النجف ، ط١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م صـ ١٠.

السلام– ، فإن الله يغفر لكل مؤمن ومؤمنة ، ومسلم ومسلمة ذنوب ستين سنة ، ويعتق من النار ضعف ما أعتق في شهر رمضان ، وليلة القدر ، وليلة الفطر ، والدرهم فيه بألف درهم (١).

مع اعترافهم أن هذا القبر ظل غير معلوماً ولا بارزاً حتى أظهره أحد ملوك الدولة البويهية ما بين عامي ٣٦٧هـ – ٣٧٢هـ وكان هذا أول إعلان رسمي لهذا المرقد بالنجف (٢).

رابعا: تقديس مدينة سامراء :

وسبب ذلك أنها تضم مرقد الإمامين : علي الهادي ، والحسن العسكري ، وفيها غاب الإمام محمد المهدي ، ويقصدها على مدار السنة عدد غير قليل من الإمامية ، من داخل العراق وخارجه ؛ لزيارتهما ، والتبرك بمرقدهما الطاهر ، وقد جعلوا من أهم طقوس زيارتهما الغسل له ، والدخول بسكينة ووقار ، والتوجه نحو القبر ، والدعاء لهما ، والتشفع بهما (٣) ، وفي زيارتها فضل كبير : فعن الحسن العسكري قال : " قبري بسر من رأى أمان لأهل الجانبين " (٤) ، وفيها السرداب الذي يغيب فيه القائم من آل البيت ، ويستحب زيارته طول العام ، ووداعه قبل الانصراف منها (٥) ، كما تستحب زيارة قبر سلمان الفارسي – رضي الله عنه – (٦) في مدائن كسرى قريب من بغداد (٧) ، حيث أن علياً – عليه السلام – جاءه من المدينة خصيصاً ؛ فغسله ودفنه بها ، وهو قبر بارز معروف هناك (٨) .

من آثار التقديس في عقيدة الإمامة : تعظيم أجور زيارة قبور الأئمة :

الشيعة تعظم النبي – ﷺ – وأهل بيته أحياءً ، وتقدسهم أمواتاً (٩)، وقد صرف الاثنا عشرية مخ العبادة لغير الله – عز وجل – ، وجعلوا مشاهد قبور أئمتهم قبلة الدعاء ، ويقدِّمون لها النذور والقرابين ، ويطوفون حولها ، ويحجون إليها ، ويرون : أن الحج إليها أفضل من حج بيت الله

---

(١) الشهيد الأول"محمد بن جمال الدين مكي العاملي ": الدروس الشرعية في فقه الإمامية ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١، ١٤١٤هـ جـ ٢ صـ٧ . الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٤ صـ ٣٨٥. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٧صـ ٢٥٨.

(٢) الشيخ الطوسي : الرسائل العشر صـ ٢١.

(٣) الشيخ المفيد : المقنعة صـ٤٨٦ .

(٤) العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢صـ ١٢٦ .

(٥) العلامة الحلي : تذكرة الفقهاء جـ ٨ صـ ٤٥٥. العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢ صـ ١٢٦ .

(٦) العلامة الحلي : تذكرة الفقهاء جـ ٨ صـ ٤٥٥ . الشهيد الأول : الدروس جـ ٢ صـ ١٥.

(٧) الفيض الكاشاني : الوافي جـ ١٤ صـ ١٥٩٣. الشيخ الأنصاري : المكاسب جـ ٢ صـ ٢٥١.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٩ هامش صـ ٢٧٨. الشيخ الأميني : الغدير جـ ٥ صـ ١٤.

(٩) د أبو الفتوح الأنور : شيعة إيران وأصولها صـ ١١٧. نقلا عن الشيخ علي محمد محسن آل عصفور : شبهات حول التشيع .

الحرام ، وأن الزائر لقبور الأئمة مثل الذي زار الله في عرشه[1] ثم في الآخرة يجلس زوار قبور الأئمة مع الأئمة والأنبياء على عرش الرحمن سبحانه ، وأعلاهم قدراً على العرش من زار قبر علي بن موسى – عليه السلام – [2]، وقد ألف كثير من علمائهم كتباً كثيرة في آداب زيارة قبور الأئمة ، وفضائلها ، وصلواتها ، وذكروا فيها ما تقشعر منه الأبدان [3] ، ولأجلها يضحُّون بكل غال ورخيص عن إيمان وطيب نفس ، باعتبار أن هذه القبور من خير المواقع لاستجابة الدعاء ، والانقطاع إلى الله تعالى " [4] .

وجعل الله تعالى – كما تزعم الشيعة – لمن زارهم الثواب الجزيل ، منها ما ورُوي : أن من زار قبر أمير المؤمنين كان له الجنة ، ومن زار قبر الحسين محصت ذنوبه ، كما يمحص الثوب في الماء ، ويكتب له بكل خطوة حجة ، وكلما رفع قدمه عمرة [5] ، وعن الصادق – عليه السلام –:" من زارني غفرت له ذنوبه ، ولم يمت فقيراً "[6] ، وعن الحسن العسكري – عليه السلام – : " من زار جعفراً وأباه ، لم يشتك عينه ، ولم يصبه سقم ، ولم يمت مبتلى " [7] ، وعن الصادق – عليه السلام – :" من زار إماماً من الأئمة وصلى عنده أربع ركعات ، كتبت له حجة وعمرة " [8] ، وقيل للصادق – عليه السلام – : " ما حكم من زار أحدكم قال : يكون كمن زار رسول الله " [9] ، وعن الرضا – عليه السلام – : " فمن زارهم رغبة في زيارتهم ، وتصديقاً بما رغبوا فيه ؛ كانوا شفعاؤه يوم القيامة " [10]، وعن الصادق – عليه السلام –: من ترك زيارة أمير المؤمنين لم ينظر الله إليه ،

---

(١) الشيخ الطوسي : مصباح المتهجد ص ٧٧١. الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٢٠ ص ٩٨.

(٢) الفيض الكاشاني : الوافي جـ ١٤ ص ١٥٤٥. الشيخ حسين آل عصفور : سداد العباد ورشاد العباد ، تحقيق : الشيخ محسن آل عصفور ، ط العلمية ، نشر المحلاتي – قم ، ط ١ ، ١٤٢١هـ / ١٣٧٩ش ص ٤٠٦.

(٣) د أبو الفتوح الأنور : شيعة إيران وأصولها ص ٢٥.

(٤) الشيخ محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية الاثني عشرية ص ١٤٢ بتصرف .

(٥) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ١ ص ٢٩١.

(٦) الشيخ المفيد : المقنعة ص ٤٧٤. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ١٤ ص ١٣٣١. المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٧ ص ٤٣٦.

(٧) السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ ١٢ ص ٢٦٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٧ ص ١٤٥.

(٨) الشيخ المفيد : المقنعة ص ٤٧٤. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٠ هامش ص ٤٠٨.

(٩) المفيد : المقنعة ص ٤٧٤. عباس القمي : الأنوار البهية ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط ١ ، ١٤١٧هـ ص ١٧٥. محمد السبزواري : معارج اليقين ، تحقيق : علاء آل جعفر ، نشر مؤسسة آل البيت – قم ، ط ١ ص ١٤١٠هـ / ١٩٩٣م ص ٨٥.

(١٠) الفتال النيسابوري : روضة الواعظين ص ٢٤٦.

ألا تزورون من تزوره الملائكة ، والنبيون ، والمؤمنون [1] ، وقال الحسين – عليه السلام – لرسول الله – ﷺ –: " يا أبتاه ما جزاء من زارك ؛ فقال : من زارني حيًا أو ميتاً، أو زار أباك ، أو زار أخاك ، أو زارك ، كان حقاً عليَّ أن أزوره يوم القيامة ، وأخلصه من ذنوبه" [2] ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – " إن الله يتجلى لزوار قبر الحسين – عليه السلام – قبل أهل عرفات ، ويقضي حوائجهم ، ويغفر لهم ذنوبهم ، ويشفعهم في مسائلتهم ، ثم يأتي أهل عرفات فيفعل بهم ذلك ، ومن زار الحسين يوم عرفة ، عارفاً بحقه ، كتب الله له ألف حجة مقبولة ، وألف عمرة مبرورة " [3] ، وقال رجل للحسين – عليه السلام –: إني ما حججت هذا العام لأني لم أجد ما أحج به ، ولكني عرَّفتُ عند قبر حسين بن علي – عليهما السلام – ، فقال له ما قصرت عما كان أهل منى فيه ، لولا أني أكره أن يدع الناس الحج ؛ لحدثتك بحديث لا تدع زيارة قبر الحسين أبداً ، أخبرني أبي : من خرج إلى قبر الحسين عارفاً بحقه ، غير مستكبر ؛ صحبه ألف ملك عن يمينه ، وألف ملك عن يساره ، وكتب له ألف حجة ، وألف عمرة مع نبي ، أو وصي نبي [4] ، فلماذا الحج والنفقات ؟ .

وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين من الفضل لماتوا شوقاً ، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات ، قيل : وما فيه ؟ قال : من زاره تشوقاً إليه ، كتب الله له ألف حجة متقبلة ، وألف عمرة مبرورة ، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر ، وأجر ألف صائم ، وثواب ألف صدقة مقبولة ، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله ، ولم يزل محفوظاً سنته من كل آفة أهونها الشيطان ، ووكل به ملك كريم ؛ يحفظه من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، ومن فوق رأسه ، ومن تحت قدمه ، فإن مات من سنته ؛ حضرته ملائكة الرحمن يحضرون غسله وأكفانه ، والاستغفار له ، ويشيعونه إلى قبره ، ويفسح له في قبره مد بصره ، ويؤمنه الله من ضغطة القبر ، ومن منكر ونكير يروعانه ، ويفتح له باب إلى الجنة ، ويعطى كتابه بيمينه ، ويعطى له يوم القيامة نور يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب ، وينادي مناد :

---

(١) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٤٧٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠٠ صـ ٢٨٥.

(٢) الشيخ الصدوق : الهداية صـ ٢٥٦.الفيض الكاشاني : الوافي جـ ١٤ صـ ١٣٢٧. المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٧ صـ ٤٠٤.

(٣) الشيخ الطوسي : مصباح المتهجد ، نشر مؤسسة فقه الشيعة – بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م صـ ٧١٥.

(٤) المصدر السابق صـ ٧١٦. محمد العلوي الشجري : فضل زيارة الحسين ، ط الخيام ، نشر مكتبة آية الله المرعشي ، ١٤٠٣هـ صـ ٧٨.

هذا من زار الحسين شوقاً إليه ، فلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمنى يومئذ أنه كان من زوار الحسين " [١].

ويوم عاشوراء من زار قبر الحسين باكياً ، لقي الله بثواب ألفي ألف حجة ، وألفي ألف عمرة ، وألفي ألف غزوة ، وثواب كل حجة ، وعمرة ، وغزوة ؛ كثواب من حج ، واعتمر ، وغزا مع رسول الله – ﷺ – ومع الأئمة الراشدين ، ومن لم يستطع زيارة القبر في يومها ؛ فعليه أن يصعد على سطح داره ، ويومئ إليه بالسلام ، ثم يدعوا على قاتله ، ويندب الحسين ويبكيه ، ولا ينتشر في يومه هذا في حاجة ، عندها يأخذ نفس الأجر [٢].

وحينما ننظر في استغاثتهم بأصحاب القبور يقول أحدهم مخاطباً الإمام علي – رضي الله عنه – :" أشهد أنك تسمع كلامي ، وتشهد مقامي... فبحق من ائتمنك على سره ، واسترعاك أمر خلقه ، وقرن طاعتك بطاعته ، وموالاتك بموالاته ، كن لي شفيعاً ، ومن النار مجيراً " [٣] .

ومن العجيب أنهم جعلوا لكل إمام تخصص في تفريج نوع من الكروب :" أما علي بن الحسين ؛ فللنجاة من السلاطين ، ونفث الشياطين[٤] ، وأما محمد بن علي ، وجعفر بن محمد ؛ فللآخرة ، وما تبتغيه من طاعة الله ، وأما موسى بن جعفر ؛ فالتمس به العافية من الله ، وأما علي بن موسى ؛ فاطلب به السلامة في البراري والبحار ، وأما محمد بن علي ؛ فاستنزل به الرزق من الله [٥] ، وأما الحسن بن علي ؛ فللآخرة ، وأما صاحب الزمان ؛ فإذا بلغ منك السيف الذبح ؛ فاستعن به ؛ فإنه يعينك [٦] .

وليس الاستغاثة في الدنيا بل في الآخرة أيضاً ؛ فعن أبي جعفر – عليه السلام – : إن عبداً مكث في النار سبعين خريفاً ، ثم إنه سأل الله : بحق محمد وأهل بيته ؛ لَمَا رحمتني ، فأوحى الله إلى جبرائيل : أن اهبط إلى عبدي فأخرجه ، ثم قال الله له : وعزتي وجلالي لولا ما سألتني به ؛ لأطلت هوانك في النار ، ولكنّي حتمت على نفسي أن لا يسألني عبدٌ بحق محمد وأهل بيته ؛ إلا

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠١ صـ ١٨. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١ صـ ٣٥٣ بتصرف .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠١ صـ ٢٩٠ بتصرف .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٧ صـ ٣٠٧. محمد بن المشهدي : المزار ، تحقيق : جواد القيومي الأصفهاني ، ط مكتبة القيوم ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ط١ ، ١٤١٩هـ صـ ٢١١ .

(٤) وفي رواية : " ومن معرة الشياطين " . انظر قطب الدين الراوندي : الدعوات صـ ١٩٢. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩١ صـ ٣٣.

(٥) وفي رواية : " فلقضاء النوافل وبر الإخوان " . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩١ صـ ٣٣.قطب الدين الراوندي : الدعوات صـ ١٩٢.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩١ صـ ٣٣. السيد الحسيني القزويني : موسوعة الإمام الجواد جـ ١ صـ ٣٤٤.

غفرت له ما كان بيني وبينه ، وقد غفرت لك اليوم [1] ، فالخلاص كل الخلاص بهم في الدنيا والآخرة فلنترك العبادة إذاً ونتوجه إليهم .

وعن النبي – ﷺ –: إن الله – ﷻ – يقول : عبادي : من كانت له إليكم حاجة ، فسألكم بمن تحبون أجبتم دعاءه ، ألا فاعلموا أن أحب عبادي إليّ ، وأكرمهم لديّ : محمد ، وعلي حبيبي ، ووليي ، فمن كانت له حاجة إليّ ؛ فليتوسل إليّ بهما ، فإني لا أرد سؤال سائل يسألني بهما ، وبالطيبين من عترتهما ... وكان ذلك حقاً عليّ [2] ، بل إن الدعاء محجوبٌ[3] حتى يصلى على محمد وآل محمد ، والسر في حجب الدعاء بدون الصلاة عليهما أمران ، الأول : أن نبينا وآله – عليهم السلام – وسائط بينه وبين عباده في قضاء حوائجهم ، ونيل مطالبهم ، وهم أبواب معرفته ؛ وذلك ما إذا أراد أحد من الرعية إظهار حاجته على السلطان ، يتوسل بمن يعظمه السلطان ولا يرد قوله ، والثاني : إن العبد إذا ضم الصلاة مع دعاءه ، وعرض المجموع إلى الله سبحانه ، والصلاة غير محجوبة ؛ فالدعاء أيضاً غير محجوب ؛ لأن الله كريم يستحيي أن يقبل جزء المعروض ويدع الآخر [4] .

ويا ويل من ترك زيارتهم – عليهم السلام – ؛ فقد سئل أبو عبد الله – عليه السلام – عمن ترك زيارة قبر الحسين من غير علة ؟ قال : هذا رجل من أهل النار [5] ؛ لأن حق الحسين فريضة على كل مسلم[6] ؛ فيكفر تاركها [7] ، وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" من لم يأت قبر الحسين من شيعتنا كان منتقص الدين ؛ وإن دخل الجنة كان دون المؤمنين في الجنة " ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" وينقص من عمره سنة " [8] ، وكان قد عق رسول الله – ﷺ – وترك حقاً

---

(١) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٧ صـ ٩٧. المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٨ صـ ٤٧٠.الصدوق : الأمالي صـ ٧٧٠.

(٢)الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٧ صـ ١٠٢. السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ ١٥ صـ ٢٤٧.

(٣) عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: "كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ عَنِ السَّمَاءِ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ". البيهقي : شعب الإيمان جـ ٣ صـ ١٣٧.

(٤) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١٠ صـ ٢٦٧ بتصرف .

(٥) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٠ صـ ٣٣٧ . جعفر بن محمد بن قولويه : كامل الزيارات صـ ٣٥٧.

(٦) الفيض الكاشاني : الوافي جـ ١٤ صـ ١٤٦٦. جعفر بن قولويه : كامل الزيارات صـ ٣٣٨. الطوسي : تهذيب الأحكام جـ٦ صـ ٤٢.

(٧) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٠ صـ ٣٣٣.

(٨) المصدر السابق : جـ ١٠ صـ ٣٣٥ بتصرف .

من حقوقه [1] ؛ فحكم زيارته – يعني الحسين – واجبة ، مفترضة ، مأمور بها ، وما ورد من الذم ، والتأنيب ، والتوعد على تركها يؤيد ذلك [2].

ولقد أنكر أبو عبد الله – عليه السلام – هذه الأجور قائلا :" ما أضعف هذا الحديث ! ما تعدل هذا كله ، ولكن زوروه ، ولا تجفوه ، فإنه سيد شباب أهل الجنة " [3] ، فإذا بأحدهم يقول :" الأظهر أنه محمول على التقية !" [4]

وعن أبي الحسن – عليه السلام – أنه قال " أبلغ شيعتي أن زيارتي تعدل عند الله ألف حجة ، وألف عمرة متقبلة كلها لمن يزورنا عارفاً بحقنا[5] ، وعن الصادق– عليه السلام – :" من زار أمير المؤمنين ماشياً ، كتب الله له بكل خطوة حجة ، فإن رجع ماشياً ، كتب الله له بكل خطوة حجتين وعمرتين" [6] ، وزيارة قبر الإمام عليّ توجب الجنة [7] ، وعن جعفر بن محمد– عليه السلام – : من مشى إلى قبر عليّ بن أبي طالب كُتِبَ له بكل خطوة مائة ألف حسنة ، ومُحِيَّ عنه مائة ألف سيئة ، ورُفِعَ له مائة ألف درجة ، وقُضِيَّ له مائة ألف حاجة ، وكُتِبَ له ثواب كل صديق ، وشهيد مات ، أو قتل في سبيل الله ، ورجع إلى أهله مغفوراً ذنبه ، مشكوراً سعيه ، ويكتب له ثواب كل من يزوره من الملائكة " [8] .

وعن رسول الله – ﷺ – أن الحسين –عليه السلام – سأله : يا أبت ما لمن زارك بعد موتك ؟ فقال : " من أتاني زائرا بعد موتي فله الجنة ، ومن أتى أباك زائرا بعد موته فله الجنة ، ومن أتى أخاك زائراً بعد موته فله الجنة ، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة "[9] ، وقال له : " من زارني

---

(١) المصدر السابق : جـ ١٤صـ ٤٢٩. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٨ صـ ٥ . السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ ١٢ صـ ٤٦٣.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠١ صـ ١-١١.

(٣) الحميري القمي : قرب الإسناد ، ط مهر ، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – قم ، ط١ ، ١٤١٣هـ صـ ١٠٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٨ صـ ٣٥. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٠ صـ ٣٥٢.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠١ صـ ٣٥. وعجبا كيف نحكم قول مذنب على قول معصوم!.

(٥) عباس محمد رضا القمي : مفاتيح الجنان صـ ٥٦٧.

(٦) العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢ صـ ١٢٠ – ١٢١.

(٧) القاضي ابن البراج : جواهر الفقه ، تحقيق : إبراهيم بهادري ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، ط١، ١٤١١هـ صـ ٢٦٣.

(٨) عباس محمد رضا القمي : مفاتيح الجنان ، نشر دار الكتب الإسلامية – طهران ، ١٣٩٥هـ صـ ٤٢٣.

(٩) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٤٦٥. المحقق النراقي : مستند الشيعة جـ ١٣ صـ ٣٢٨.

حياً أو ميتاً ، أو زار أباك حياً أو ميتاً ، أو زار أخاك حياً أو ميتاً ، أو زارك حياً أو ميتاً ، كان حقاً عليَّ أن استنقذه يوم القيامة" [1].

وعن الباقر – عليه السلام – : " مروا شيعتنا بزيارة الحسين ، فإن إتيانه يزيد في الرزق ، ويمد في العمر ، ويدفع مواقع السوء . وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقر بالإمامة من الله " ، وفي رواية :" تدفع الهدم ، والغرق ، والحرق ، وأكل السبع" [2] ، وعن أبي الحسن – عليه السلام – : " من أتى قبر الحسين في السنة ثلاث مرات أمن من الفقر "[3] ، وزيارة قبر الحسين تمحص السيئات ، ويكتب له بكل خطوة حجة ، وبكل رفعة قدم عمرة [4] ، ويستحب زيارته في يوم عرفة ، والعيدين ، وأول رجب ، ونصفه ، ونصف شعبان ، وليلة القدر ، ويوم عاشوراء ، والعشرين من صفر ، وفي كل شهر[5] ، وعن جعفر بن محمد – عليه السلام – : من زار قبر الحسين يوم عاشوراء عارفاً بحقه ، كان كمن زار الله في عرشه [6] ، ومن زاره في أول يوم من رمضان ذهبت عنه ذنوبه ، وكان له ثواب الحجاج والمعتمرين في تلك السنة " [7] ، وعن جعفر بن محمد – عليه السلام –: " ومن أتى قبر الحسين فتوضأ ، واغتسل من الفرات لم يرفع قدماً ، ولم يضع قدماً ، إلا كتب الله له حجة وعمرة ، وكان كالمتشحط[8] بدمه في سبيل الله ، وأجر ركعة عند قبره كأجر من حج ألف حجة ، وألف عمرة ، وعتق في سبيل الله ألف رقبة ، وكأنما وقف في سبيل الله ألف مرة مع نبي مرسل "[9] ، وعنه : من أحب أن يصافحه مائة ألف نبي ، وأربعة وعشرون ألف نبي ، فليزر قبر الحسين في النصف من شعبان ، فإن أرواح الأنبياء يستأذنون الله في زيارته ؛ فيأذن

---

(١) العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢ صـ ١٢١.

(٢) الشيخ الصدوق : من لا يحضره الفقه جـ ٢ صـ ٥٨٢.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٨ صـ ١٧.

(٤) سلار بن عبد العزيز : المراسم العلوية ، تحقيق : السيد محسن الحسيني الأميني ، نشر أمير – قم ، ١٤١٤هـ صـ ٦٦.

(٥) العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢ صـ ١٢١ – ١٢٢.

(٦) الشيخ الطوسي : مصباح المتهجد صـ ٧٧١. الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٢٠ صـ ٨٠.

(٧) عباس محمد رضا القمي : مفاتيح الجنان صـ ٥٦٧.

(٨) تشحط في دمه : تخبط فيه ، واضطرب ، وتلطخ به ، وتمرغ فيه . انظر د أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٢ صـ ١١٧١. نشوان الحميرى : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم جـ ٦ صـ ٣٣٩٦.

(٩) عباس محمد رضا القمي : مفاتيح الجنان صـ ٤٨٣.

لهم " [1] ، وإن فاطمة ، وخديجة تركبان هودجين بين السماء والأرض ليلة الجمعة ، وتزوران قبر الحسين "[2] .

وزيارة قبور الأئمة في البقيع لها فضل عظيم ؛ فعن الصادق –عليه السلام –: " من زار الأئمة بالبقيع غفر له ذنوبه ، ولم يمت فقيرا "، وعن العسكري – عليه السلام – : " من زار جعفراً ، وأباه لم يشتك عينه ، ولم يصبه سقم ، ولم يمت قتيلاً " [3].

وعن الرضا – عليه السلام – : " من زار قبر أبي ببغداد كان كمن زار قبر رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ، وقبر أمير المؤمنين "[4] ، وعنه :" من زارني على بعد داري ومزاري ، أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتى أخلصه من أهوالها : إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً ، وعند الصراط ، والميزان "[5].

وعن أبي عبد الله – عليه السلام – : هذا أجمع وأعظم أجراً من زيارة غيره . وقال الحسن العسكري – عليه السلام – : " قبري بسر من رأى أمان لأهل الجانبين "[6] .

وهذه الزيارات : سنة [7] مستحبة [8] ، ولها صلوات تُقْضَى إن لم تصل عند المشاهد [9] ، ومن قتل في زحام زوارها لا قود له ، وله الدّيَة [10] ، ومن لم يعرف قاتله ؛ فديته على بيت مال المسلمين[11] ، ويستحب السجود على الألواح المتخذة من تربتهم المقدسة ، والخشب المتخذ من قبورهم [12]، ويجب على من نذر أن يحج ماشياً لمشاهدهم ؛ الوفاء بنذره [13] ، وقد روي جواز الصلاة إلى قبور

---

(1) المصدر السابق صـ ٥١٤.

(2) المصدر السابق صـ ٥٥٨.

(3) العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢ صـ ١٢٣- ١٢٤ بتصرف .

(4) المصدر السابق جـ ٢ صـ ١٢٥.

(5) عباس محمد رضا القمي : مفاتيح الجنان صـ ٥٦٧. العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢ صـ ١٢٥.

(6) العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٢ صـ ١٢٥- ١٢٧.

(7) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٥١.

(8) المحقق الحلي : المعتبر ، تحقيق : ناصر مكارم شيرازي وآخرون ، نشر مؤسسة سيد الشهداء – قم ، ١٣٦٤ش جـ ١ صـ ٣٣٩.

(9) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٢١٢.

(10) المصدر السابق : صـ ٧٤١.

(11) ابن إدريس الحلي : السرائر جـ ٣ صـ ٣٥٩.

(12) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٥١.

(13) الشيخ الطوسي : الخلاف جـ ٦ صـ ١٩٥.

الأئمة خاصة في النوافل (١) ، وعَدُّوا ذلك رخصةً (٢) ، وإن كان الأحوط الصلاة للقبلة (٣) ، والأصل فيه الكراهية (٤) ، ومن مناسك الزيارة :" ركعتا الزيارة عند كل قبر ، ويستحسن " استقبال القبر في الصلاة ، واستدبار الكعبة " (٥) ، ورويت رخصة عند زيارة قبر النبي – ﷺ – في صلاتهما إلى القبر ، ولو استدبر القبلة " (٦) ؛ لأن استقبال القبر أمر لازم ، وإن لم يكن موافقاً للقبلة ؛ لأن استقبال القبر للزائر بمنزلة استقبال القبلة ، وهو وجه الله (٧) ، وعن القائم – عليه السلام – :" أما الصلاة فإنها خلفه ، ويجعل القبر أمامه " (٨) ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" نحن كعبة الله ، ونحن قبلة الله " (٩) ، والله يقول :" وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ " (١٠) ، يعني : الأئمة (١١) ، وقيل : إلى القبلة (١٢) .

ويستحب الغسل لها (١٣) ، ولبس أحسن الثياب ، والدخول بخشوع ، ولا يلتفت ، ويجوز التعفير من التراب ، والتقبيل لها (١٤)(١٥)، ويستحب تجصيصها ، وتجديدها ، وفرشها بالساج (١) ، ويجوز الوقف

---

(١) الشهيد الأول " محمد جمال مكي العاملي " : ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة جـ ٢ص ٣٩.

(٢) الرخصة : ما شرعه الله من الأحكام تخفيفاً على المكلف في حالات خاصة تقتضي هذا التخفيف ، أو لعذر شاق ، وقد يكون استباحة لمحظور بدليل مع قيام دليل المحظور ، فهو خروج عن الأصل ، وعليه بنيت قاعدة المشقة تجلب التيسير ، مثل الجمع بين الصلاتين ، ويقابلها : العزيمة . انظر د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه صـ ١٤٢. أيمن موسى : غاية المأمول صـ ١٧٤ بتصرف .

(٣) الشيخ الطوسي : النهاية ، ط انتشارات قدس محمدي – قم ، دت صـ ٩٩.

(٤) العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ١صـ ٢١٢.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠٠ صـ ١٣٤– ١٣٥ بتصرف .

(٦) المصدر السابق : جـ ٩٧ صـ ١٣٤.

(٧) المصدر السابق : جـ ٩٨ صـ ٣٦٩ بتصرف .

(٨) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٧ صـ ٢١٨. الشيخ الطبرسي : الاحتجاج جـ ٢ صـ ٣١٢.

(٩) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ٢ صـ ٢٩٧. علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ٢صـ٧٥.

(١٠) سورة الأعراف : آية رقم ٢٩ .

(١١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٣ صـ ٢٣١.الفيض الكاشاني : التفسير الأصفى جـ ١ صـ ٣٦٧.

(١٢) الشهيد الأول : ذكرى الشيعة جـ ٣ صـ١٥٧. الطوسي : تهذيب الأحكام جـ ٢ صـ ٤٣. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨١ صـ ٦٦.

(١٣) ابن زهرة الحلبي : غنية النزوع ، تحقيق الشيخ إبراهيم البهادري ، ط اعتماد – قم ، ط١ ، ١٤١٧هـ صـ ٩٩.

(١٤) ابن إدريس الحلي : السرائر جـ ١ صـ ٦٥٨.

(١٥) اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ زَارَ قَبْرَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – ، أَوْ قَبْرَ غَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ : أَنَّهُ لَا يَتَمَسَّحُ بِهِ ، وَلَا يُقَبِّلُهُ ؛ بَلْ لَيْس فِي الدُّنْيَا مِنْ الْجَمَادَاتِ مَا يُشْرَعُ تَقْبِيلُهَا إلَّا الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ ، وفِي الصَّحِيحَيْنِ : أَنَّ عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ : وَاَللَّهِ إنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّك حَجَرٌ لَا تَضُرُّ ، وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْت رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – يُقَبِّلُك مَا قَبَّلْتُك . انظر ابن تيمية : الفتاوى الكبرى جـ ٢٧ صـ ٧٩. الإمام البخاري : صحيح البخاري جـ ٢ صـ ٥٧٩. الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٢ صـ ٩٢٥.

عند قبور الأئمة [2] ؛ لما جاء في الروايات : أن كربلاء ، ومراقد الأئمة أفضل من مكة بعد قبر رسول الله [3]، فأشرف البقاع قبر رسول الله – ﷺ – ، ويتبعها قبور الأئمة ، وبقاع أخرى فيها : الكوفة ، وبيت المقدس ، والمشاهد المشرفة [4] ، ولذلك يستحب[5] البناء عليها ، ويكره [6] على غيرها [7] ، ويستحب وضع الخد الأيمن على القبر عند الزيارة ، ولا يجوز السجود عليه [8] ، والراجح عند بعضهم : جواز الصلاة خلف قبورهم ، وإن كان على كراهية ؛ فإنه وردت رواية بذلك ؛ فلا بأس بالعمل بها ؛ لصحتها ، ومطابقتها لمقتضى الأصل ، والعمومات"[9] .

ومن آداب زيارة قبور الأئمة : " أن يلبس ثياباً طاهرةً ، نظيفةً ، جديدةً ، ويحسن أن تكون بيضاء ، ويكثر خطاه ، ويسير عليه سكينة ووقار، وأن يكون خاضعاً خاشعاً ، وأن يطأطئ رأسه فلا يلتفت[10] ، وأن يقف على باب حرم القبر الشريف ، ويستأذن ، ويجتهد ؛ لتحصيل الرقة ،

---

(1) السّاج : ضرب من الخشب ، يؤتى به من الهند ، وقيل : الطيلسان الضخم . وإسراج المقابر بالمصابيح حرام ، وفرشها بالحرير ، أو تعليق ستائر تستر بها الجدران منكر ؛ لحديث :" " لَعَنَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – زَائِرَاتِ الْقُبُورِ ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ ، وَالسُّرُجَ " . انظر أحمد : المسند جـ ٣ صـ ٤٧١ . الحلي : تبصرة المتعلمين ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، الشيخ هادي اليوسفي ، ط أحمدي – طهران ، ط١ ، ١٣٦٨ش هامش صـ ٣٠. نشوان الحميرى: شمس العلوم جـ ٥ صـ ٣٢٥٧. زين الدين الكرمي : شفاء الصدور صـ ١٥٧ – ١٥٨ بتصرف .

(2) العلامة الحلي : تذكرة الفقهاء جـ ٢ صـ ٤٣٠.

(3) الشهيد الأول (العاملي) : الدروس الشرعية في فقه الإمامية جـ ١ صـ ٤٧٠.

(4) ابن أبي جمهور : الأقطاب الفقهية ، تحقيق : الشيخ محمد الحسون ، ط الخيام – قم ، ط١ ، ١٤١٠هـ صـ ٩٤.

(5) الندب : طلب الشارع الفعل من المكلف طلباً غير حتم ، ولا يلحق بتركه ذم من غير حاجة إلى بدل ، وفي فعله ثواب امتثالاً ، ولا عقاب في تركه . انظر د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه صـ ١٢٩. أيمن موسى : غاية المأمول صـ ٧٨. المحقق النراقي : عوائد الأيام صـ ٣٧٠.

(6) المكروه : ما طلب الشارع من المكلف الكف عن فعله طلباً غير حتم ، ولا يلحق بفعله ذم من غير حاجة إلى بدل ، وتركه خير من فعله ، ولا عقاب في فعله . انظر د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه صـ ١٣٣. أيمن موسى : غاية المأمول صـ ٧٨. النراقي : عوائد الأيام صـ ٣٧٠.

(7) الشهيد الأول (العاملي) : الدروس الشرعية في فقه الإمامية جـ ١ صـ ١١٦.

(8) المصدر السابق : جـ ١ صـ ٤٧٠.

(9) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة جـ ٧ صـ ٢٢٥ ، جـ ٧ صـ ٢٢٦.

(10) إن كان قصده الخشوع القلبي كأنه يخشع لصاحب القبر ، فالأولى بهذا الخضوع رب العالمين ، وإن كان المراد بالخشوع تذكر الموت ، وأنه سيلحق به ، والأدب عدم رفع الصوت ؛ فهذا صحيح لكن يحذر أن يضع يمينه على يساره كالصلاة . الكرمي : شفاء الصدور صـ ١٠٨ بتصرف .

والانكسار، والتفكر في عظمة صاحب ذلك المرقد المنور وجلاله [1] ، وإنه يرى مقامه ، ويسمع كلامه ، ويرد سلامه[2] ، وتقديم الرجل اليمنى عند الدخول ، واليسرى عند الخروج من حرم الضريح المقدس ، وتقبيل الضريح ، وتمريغ الخد عليه ، ويقف مستقبلاً القبر مستدبراً القبلة [3] .

والسجود على تربة قبر الحسين له فضل عظيم ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام –: السجود على طين قبر الحسين ينور إلى الأرض السابعة ، ومن كانت معه سبحة من طين قبره كُتِبَ مُسبحاً ، وإن لم يكن يسبح بها" [4] ، وكان لأبي عبد الله – عليه السلام – خريطة [5] فيها تربة الحسين ، وكان إذا حضرت الصلاة صبه على سجادة ، وسجد عليها ، ثم قال : السجود على تربة أبي عبد الله يخرق الحجب السبع [6]، وعن الصادق – عليه السلام – :" من سبح بسبحة من طين قبر الحسين تسبيحة ؛ كتب الله له أربعمائة حسنة ، ومحا عنه أربعمائة سيئة ، وقضيت له

---

(١) روي أن الأنبياء ، والأوصياء يرفعون إلى السماء بعد ثلاثة أيام من دفنهم ، ولا يقتضي ذلك عدم رجوعهم إلى مراقدهم المقدسة ، والروايات على وجودهم كثيرة ، منها ما ورد من النهي عن الإشراف على بيت النبي – صلى الله عليه وآله – كراهة أن يُرَى هو مع بعض أزواجه ! . انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٦ صـ ١٦٦.

(٢) هناك خلاف بين أهل العلم في سماع الميت لمن يزوره ، فقال ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن كثير: إن الميت يسمع ، لا سمع انتفاع ، لحديث قليب بدر : " والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا " ، وقد خالف في ذلك جماعة من العلماء منهم أبو يعلى ، والحنفية ، واستدلوا بقوله تعالى :" وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ " فاطر : ٢٢ ، وعلى رأسهم عائشة – رضي الله عنها – التي تأولت السماع في حديث القليب بأنهم يعلمون لا يسمعون فنفت السماع مطلقاً . وقال القرطبي : يسمع في حالات ، ولكن لا ينتفعون بما يسمعون أما علم الميت بالحي إذا زاره ، ففي الحديث : مَا مِنْ رَجُل يَمُرُّ بِقَبْرِ أَخِيهِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّم عَلَيْهِ إِلَّا رَدَّ اللَّه عَلَيْهِ رُوحه حَتَّى يُرَدّ عَلَيْهِ السَّلَام " ، وقد مال الذهبي إلى أنه موضوع ، وهو غلو ، وأعله الحافظ ابن رجب بالاضطراب ، والإرسال ، وحديث :" إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ" ، فالميت لا ينتفي عنه جميع أنواع السماع بل السماع المعتاد . وقد علم النبي – صلى الله عليه وسلم – أصحابه السلام على القبور ، وهذا السلام ، والخطاب ، والنداء لموجود يسمع ، ويخاطب ، ويعقل ، ويرد ، وإن لم يسمع المسلم الرد . ومثله حديث : " إن أهل القبور يسمعون السلام عليهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا " فهو منكر . انظر زين الدين الكرمي : شفاء الصدور صـ ١٠٩ – ١٢٣ بتصرف . الألوسي : الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٤ ، دت صـ ٦٨ – ٧٤ بتصرف. ابن القيم : الروح ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م صـ ٨ – ٩ . صحيح البخاري جـ ١صـ ٤٦٢ ، جـ ١ صـ ٤٦٢ . الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٤صـ ٢٢٠٠ . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ٢ صـ ٢٥٥٠ . أبو داود : السنن جـ ٣ صـ ٢١٧.

(٣) عباس محمد رضا القمي : مفاتيح الجنان صـ ٣٧٥ – ٣٧٦ بتصرف.

(٤) الشهيد الأول : ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة جـ ٣صـ ١٥٢.

(٥) الخريطة : وعاء من جلد ، ونحوه يشد على ما فيه . انظر المعجم الوجيز ، مادة خرط صـ ١٩٢.

(٦) المحقق الكركي : رسائل الكركي ، تحقيق : الشيخ محمد الحسون ، ط الخيام – قم ، ط١ ، ١٤٠٩هـ جـ ٢ صـ ٩٨.

أربعمائة حاجة ، ورفع له أربعمائة درجة "[1] ، وعن موسى بن جعفر – عليه السلام – : لا تستغني شيعتنا عن أربع وثلاثين خرزة يصلي عليها ، وخاتم ، وسواك ، وسبحة من طين قبر أبي عبد الله ، فيها ثلاث وثلاثون حبة متى قلبها فذكر الله ؛ كتب له بكل حبة أربعون حسنة ، وإذا قلبها ساهياً يعبث بها كتب له عشرون حسنة ، والسبحة تسبح في يده من غير أن يسبح ، وحدث أن امرأة دفنها أهلها فلفظتها الأرض مراراً ، فلما وضعوا معها طين من قبر الحسين استقرت [2] ، "وتوضع مع الميت في قبره لتقيه العذاب " [3] .

والمقصود من التربة : المأخوذة من الضريح المقدس ، أو خارجه إلى أربعة فراسخ أو ثمانية [4] ، فإن لم يستطع أن يأخذ من القبر ؛ فيجوز أن يأخذ مما حواليه ، وما قرب منه إلى سبعين ذراعاً ، كما جاء في الأخبار[5] ، وقيل : عشرة أميال [6] .

ولا يعتبرون هذا من الشرك ؛ لأن : " الشرك هو: طلب الشيء من غير رب العالمين ، على أساس كونه إلهاً ، فإنَّ ما دون ذلك ليس بشرك ، ولا فرق في ذلك بين حيٍ وميتٍ ، فطلب الحاجة من الحجر والصخر ليس شركاً " [7] .

ولكن ليس هذا هو القول الوحيد للأئمة – عليهم السلام ؛ فعن أمير المؤمنين – عليه السلام – ": بعثني رسول الله – ﷺ – في هدم القبور ، وكسر الصور" [8] ، وفي رواية : " ولا تدع صورة إلا محوتها ، ولا قبراً إلا سويته " [9] ، وقال جعفر الصادق – عليه السلام – :" كل ما جعل على

---

(١) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ج ٥ ص ٥٦.

(٢) المحقق الكركي : رسائل الكركي ج ٢ ص ٩٩ بتصرف .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١١٨.

(٤) الشهيد الثاني : شرح اللمعة ، ط أمير – قم ، ط١ ، ١٤١٠هـ ج ٧ص ٣٢٧.

(٥) المحقق الأردبيلي : مجمع الفائدة ، تحقيق : الحاج آغا مجتبى العراقي ، الشيخ علي پناه الاشتهاردي ، الحاج آغا حسين اليزدي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، ط١ ، ١٤١٤هـ ج ١١ص ٢٣٥.

(٦) المحقق السيزواري:كفاية الأحكام ، تحقيق:مرتضى الواعظي الأراكي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، ط١، ١٤٢٣هـ ج ٢ص ٦١٢.

(٧) السيد الخميني : كشف الأسرار ص ٤٩.

(٨) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ج ٤ ص ٣٣٥. الكليني : الفروع من الكافي ج ٦ ص ٥٢٨. الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢ص ٨٧٠. السيد الخميني : المكاسب المحرمة ج ١ص ١٧٠.

(٩) الكليني: الفروع من الكافي ج ٦ص ١٥٦١. الجواهري: جواهر الكلام ج ٤ ص ٣٣٥ . البروجردي: جامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٤٤٥.

القبر من غير تراب القبر ؛ فهو ثقل على الميت "[١] ، بل نهي رسول الله – ﷺ – عن : أن يزاد على القبر ترابٌ لم يخرج منه [٢] ، وقال الصادق – عليه السلام – :" لا تطيّنوا القبر من غير طينه "[٣] .

وفي هذه الروايات دلالة على عدم رفع القبر كثيراً ، أو على التسطيح [٤] ، وقد ثبت عن علي – عليه السلام – :" لا يصلح البناء على القبر ، ولا الجلوس عليه ، ولا تجصيصه [٥]، ولا تَطْيينه "[٦] ، وقال أمير المؤمنين – عليه السلام – : يا أيها الناس هل تعلمون أنه – ﷺ – لعن من جعل القبور مصلى " [٧] ؛ وقد وصى بعض أهل البيت – عليهم السلام – :" لا تطف بقبر " [٨] ، وقال– ﷺ –:" لا تتخذوا قبري قبلة ، ولا مسجداً ؛ فإن الله تعالى لعن اليهود ؛ لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " [٩] ، ونهى رسول الله – ﷺ – :" أن يصلي الرجل في المقابر "[١٠] ، وعن الرضا – عليه السلام – :" لا بأس بالصلاة بين المقابر ، ما لم يتخذ القبر قبلة " [١١] ، وقال الصادق – عليه

---

(١) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٤ صـ ٣٣٥. السيد علي الطباطبائي : رياض المسائل جـ ٢ صـ ٢٣٢.

(٢) الشهيد الأول : ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة جـ ٢صـ ٢٨. المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٤ صـ ١٢٢.

(٣) الشهيد الأول : ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة جـ ٢ صـ ٢٩. المحقق النراقي : مستند الشيعة جـ ٣ صـ ٢٧٨.

(٤) الشهيد الأول : ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة جـ ٢ صـ ٢٨ بتصرف .

(٥) ويدل الحديث بمفهومه على جواز رفع القبر ، بقدر ما يساعد عليه التراب الخارج منه ، بنحو شبر ، وأما التجصيص : الطلي ، ولعل النهي عن التجصيص لأنه نوع زينة ، وأما تطيين القبر ، فللعلماء فيه قولان : الأول : الكراهة ، نص عليه الشافعي ، وأبو حفص من الحنابلة والكراهة عند الشافعي للتحريم إذا أطلقت ، والآخر : أنه لا بأس به . حكاه أبو داود عن أحمد ، وحكاه الترمذي عن الشافعي ، قال النووي : الصحيح أنه لا كراهة فيه كما نص عليه الشافعي ، ولم يرد فيه نهي ، قلت: ولعل الصواب التفصيل : إن كان المقصود من التطيين المحافظة على القبر ، وبقائه مرفوعاً قدر ما سمح به الشرع ، وأن لا تنسفة الرياح ، ولا تبعثره الأمطار ، فهو جائز بدون شك ؛ لأنه يحقق غاية مشروعة ، ولعل هذا هو وجه من قال من الحنابلة أنه يستحب ، وإن كان المقصود الزينة ، ونحوها مما لا فائدة فيه ، فلا يجوز ؛ لأنه محدث ، ولأن هذا من وسائل الشرك ، والتعلق بالأضرحة ؛ لأن الناس إذا رأوا البناء ، والزخرفة على القبر تعلقوا به . انظر ناصر الدين الألباني : أحكام الجنائز صـ ٢٦٢ بتصرف . د صالح الفوزان : الملخص الفقهي ، نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء – الرياض ، ط٣ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م جـ ١ صـ ٣١٢ بتصرف .

(٦) المحقق النراقي : مستند الشيعة جـ ٣ صـ ٢٧٨. الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٤ صـ ٣٥١.

(٧) علي بن بابويه : فقه الرضا صـ ١٨٨ – ١٨٩. علي أصغر مرواريد : الينابيع الفقهية جـ ٣ صـ ٤٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٥١٧. السيد هاشم البحراني : غاية المرام جـ ٢ صـ ٢٤٠.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٦٠ صـ ٢٦١. السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٧ هامش صـ ٢٩١.

(٩) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٤ صـ ١٤٠. المحقق النراقي : مستند الشيعة جـ٤ صـ ٤٣٥.

(١٠) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٨ صـ ٣٥٢. السيد الخوانساري : جامع المدارك جـ ١ صـ ٢٩٥.

(١١) العلامة ابن مطهر الحلي : مختلف الشيعة ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤١٣هـ جـ ٢ صـ ١٠٦. الشيخ الطوسي : الخلاف جـ ١ صـ ٤٩٧.

السلام – :" الأرض كلها مسجد ، إلا بئر غائط والمقبرة "[1] ، وفي رواية :" إلا الحمام والمقبرة "[2] ، وسئل الصادق – عليه السلام – عن الرجل يصلي بين القبور ؟ قال : لا يجوز "[3] .

ومن قواعد الشرع : أنه لا يستحب للداعي أن يستقبل إلا ما يستحب أن يصلي إليه ، ألا ترى أن الرجل لما نُهي عن الصلاة إلى جهة المشرق وغيرها ؛ فإنه ينهى أن يتحرى استقبالها وقت الدعاء ، ومن الناس من يتحرى وقت دعائه استقبال الجهة التي يكون فيها الرجل الصالح ، سواء كانت في المشرق أو غيره ، وهذا ضلال بين ، وشر واضح ، كما أن بعض الناس يمتنع من استدبار الجهة التي فيها بعض الصالحين ، وهو يستدبر الجهة التي فيها بيت الله ، وقبر رسول الله ! وكل هذه الأشياء من البدع ؛ فالمشروع استقبال القبلة بالدعاء حتى عند قبر النبي – ﷺ – بعد السلام عليه ، ولا يستلم القبر بيده : ولا يقبله ، وعلى هذا مضت السنة[4].

ومن المحرمات عند زيارة القبور : الذبح عندها[5] ؛ لقول النبي – ﷺ – : " لَا عَقْرَ فِي الْإِسْلَامِ "[6] ، وكَانُوا يَعْقِرُونَ عِنْدَ الْقَبْرِ بَقَرَةً أَوْ شَاةً[7] ، ونَهَى رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ –: أَنْ يُقْعَدَ عَلَى الْقَبْرِ ، وَأَنْ يُقَصَّصَ – أي يجصص – وَيُبْنَى عَلَيْهِ ، أَوْ يُزَادَ عَلَيْهِ ، أَوْ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهِ[8] ، ويَقُولُ – صلى الله عليه وسلم – :" لاَ تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ ، وَلاَ تَجْلِسُوا عَلَيْهَا "[9] .

والسؤال الآن : هل يثاب مقترف البدعة على نيته الصادقة ؟ بمعنى هل الشيعة الذين لا يعلمون بضعف هذه الروايات ملعونون عملاً بظاهر أحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد ؟ .

الجواب : الله يثيبهم على هذه المحبة ، والاجتهاد لا على البدع ، فإنه لم تفعله السلف ، ولو كان خيراً ؛ لسبقونا إليه ؛ لأنه يعتقده صالحاً محضاً ، ولا يعلم أنه مكروه ؛ فإنه يثاب على حسن قصده ، ويعذر لعدم علمه ، بخلاف خبيث القصد ، العالم بالحكم ، فضلاً عن الداعي لذلك[10] .

---

(١) السيد الخميني :كتاب الطهارة جـ ٣ صـ ٤٤٦ . الشهيد الأول : ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة جـ٣صـ١١٦.

(٢) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٨ صـ ٣٥٢. السيد محمد صادق الروحاني : فقه الصادق جـ ٤ شرح صـ ٢٥٥.

(٣) المحقق النراقي : مستند الشيعة جـ ٤ صـ ٤٣٤. الشيخ الطوسي : الخلاف جـ ١ صـ ٤٩٧.

(٤) الشيخ الألباني : أحكام الجنائز صـ ٢٤٧ – ٢٤٨ بتصرف .

(٥) عبد العظيم بدوي : الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز ، نشر دار الفؤاد ، ابن رجب ، ط٤، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م صـ ٢٢٥ بتصرف.

(٦) الإمام أحمد : المسند جـ ٢٠ صـ ٣٣٣ .

(٧) الإمام البيهقي : السنن الكبرى جـ ٤ صـ ٥٧ .

(٨) أبو داود: سنن أبي داود جـ ٣ صـ ٢١٦ . النسائي: السنن الكبرى جـ ١ صـ ٦٥٢. البيهقي: السنن الكبرى جـ ٣صـ ٥٧٦.

(٩) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٢ صـ ٦٦٨. الإمام أحمد : المسند جـ ٢٨ صـ ٤٥٠. النسائي : السنن الكبرى جـ ١ صـ ٢٧٣.

(١٠) هذا قول ابن تيمية . انظر زين الدين الكرمي : شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور صـ ١٠٠– ١٠١ بتصرف .

أثر تقديس الأئمة في عقيدة الاستشفاء بتراب قبور الأئمة :

ومن السهل أن نتوقع ظهور عقيدة أخرى مرتبة على تقديس الأئمة ، وقبورهم ، ومشاهدهم المقدسة ، فقد جاء في كتب الشيعة الاثني عشرية عن الرضا – عليه السلام –:" إن أفضل ما يُفْطر عليه طين قبر الحسين " [١] ؛ لأن تراب قبره : " شفاء من كل داء ، وأمن من كل خوف " [٢] ، إلا الموت" [٣].

و لا تظن أن كل الطين كذلك ؛ فإنه لا يجوز أكل شيء من الطين على اختلاف أجناسه ، إلا طين قبر الحسين ، فإنه يجوز أن يأكل منه اليسير للاستشفاء به ، ولا يجوز الإكثار منه بحال [٤] .

بل هو الدواء الأكبر : فعن أبي عبد الله – عليه السلام – : " لو أن مريضاً من المؤمنين يعرف حق أبي عبد الله ، وحرمته أخذ له من طين قبر الحسين مثل رأس الأُنْمُلة ؛ كان له دواءٌ ، وشفاءٌ "[٥] ، وعنه قال : " حنّكوا أولادكم بتربة الحسين ، فإنها أمان " [٦] .

ولا يجوز الأكل منه إلا للاستشفاء فقط ، فعن أبي عبد الله – عليه السلام –: من أكل من طين قبر الحسين غير مستشف به ؛ فكأنما أكل من لحومنا ، فإذا احتاج أحدكم للأكل منه ؛ ليستشفي به ، فليقل : بسم الله ، وبالله ، اللهم رب هذه التربة المباركة الطاهرة ، ورب النور الذي أنزل فيه ، ورب الجسد الذي سكن فيه ، ورب الملائكة الموكلين به ، اجعله شفاءً لي من كذا وكذا ، وأجرع من الماء جرعة خلفه "[٧] ، وبجمع الطين مع الدعاء ، يكون هذا هو الدواء الشافي من كل داء ، فلا يمر على علة إلا هضمها [٨].

وهل يجوز تناوله للتطعيم ضد أي مرض متوقع ؟ الجواب : يجوز " قدر الحمصة للاستشفاء ، ولو من علة متوقعة ، وإن لم يكن به ألم في الحال " [٩] .

---

(١) علي بن بابويه : فقه الرضا صـ ٢١٠.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار جـ ١٠١ صـ ١١٩.

(٣) علي بن بابويه : فقه الرضا صـ ٣٤٥.

(٤) الشيخ الصدوق : النهاية صـ ٥٩٠. ابن إدريس الحلي : السرائر جـ ٣ صـ ١٢٤. المحقق الحلي : المختصر النافع ، نشر مؤسسة البعثة – طهران ، ط٣ ، ١٤١٠هـ صـ ٢٤٥.

(٥) قطب الدين الراوندي : الدعوات ، ط أمير – قم ، ط١ ، ١٤٠٧هـ صـ ١٨٥.

(٦) الطوسي : مصباح المتهجد صـ ٧٣٢. المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠١ صـ ١٢٤.

(٧) الطوسي : مصباح المتهجد صـ ٧٣٣.

(٨) قطب الدين الراوندي : الدعوات صـ ١٨٥.

(٩) ابن طي الفقعاني : الدر المنضود ، تحقيق : محمد بركت ، ط: أمير – قم ، ط١ ، ١٤١٨هـ صـ ٢٦١.

ولا تستغرب فإنها الحصن الحصين من كلّ خوف ، فما أن يحس الشيعي بألم المرض وشدته ، حتى يتجه إلى طينة الضريح ، فيتجه إليه في جنح الليل البهيم ، وليكن في آخره ، ويغتسل ، ويلبس أطهر ثيابه ، وإذا وصل فليقف عند الرأس ، ويصلي ، وإذا فرغ من صلاته سجد سجدة طويلة ، يكرر فيها كلمة واحدة ألف مرة ، هذه الكلمة : "شكرًا" ، ثم يقوم ، ويتعلق بالضريح ، ويقول : "يا مولاي يا ابن رسول الله : إني آخذ من تربتك بإذنك ، اللهم : فاجعلها شفاء من كل داء ، وعزًا من كل ذل ، وأمنًا من كل خوف ، وغنىً من كل فقر ، لي ولجميع المؤمنين ، وتستعمل منه وقت الحاجة مثل الحمصة ، فإنك تشفى – إن شاء الله – " [1].

وليس للشفاء فحسب بل يصطحبه معه في ظروف الخوف ، عن أبي عبد الله – عليه السلام – : "إذا خفت سلطانًا أو غير سلطان ؛ فلا تخرجنّ من منزلك إلا ومعك من طين قبر الحسين" [2] .

يقول الخميني [3] :" ولا يلحق به طين غير قبره حتى قبر النبي – صلى الله عليه وآله – والأئمة على الأقوى " [4] ، يعني : طينة قبر الحسين أفضل من طينة قبر النبي – ﷺ – ؛ فالفرع أفضل من الأصل .

وهذه الطينة المقدسة هي أمنية الحور العين ، ومنتهى مطلبهم ؛ ولذلك فإن الحور العين يطلبن من الملائكة حينما يهبطون إلى الأرض أن تكون هداياهن من طين قبر الحسين ، فقد جاء عن أئمتهم :" أن الحور العين إذا بَصُرْنَ بواحد من الأملاك يهبط إلى الأرض ؛ لأمر ما ، يستهدين منه السبح ، والترب من طين قبر الحسين " [5].

إذاً : فلنغلق كليات الطب ، والمستشفيات ، وعيادات الأطباء ، ومعها الصيدليات بالمرة ؛ فإن الشفاء كله في طينة الحسين التي أظن – والحمد لله – أنها تكفي الشيعة وحدهم ؛ فنحن لا نؤمن بهذا ! .

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ٩٨ صـ ١٣٧. السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ ٧ صـ ٤٦٠.

(٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ١٤ صـ ٥٢٥.الطوسي : الأمالي صـ ٣١٨. المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠١ صـ ١١٨.

(٣) الإمام الخميني : السيد مصطفى بن روح الله الموسوي الخميني المرشد الأعلى للثورة الإيرانية ، المولود سنة ١٣٢٠هـ ، درس في حوزة قم ، سافر لفرنسا ، ثم عاد بعد انتهاء حكم الشاه من آل بهلوي بإيران ، صاحب كتاب البيع ، وولاية الفقيه ، المتوفى ١٤٠٩هـ . انظر السيد اليزيدي : العروة الوثقى ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ،١٤١٩هـ جـ ١ صـ ١٠ .

(٤) السيد الخميني : تحرير الوسيلة جـ ٢ صـ ١٦٤ .

(٥) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٨ صـ ٥٢٥. الشيخ الطوسي : الأمالي صـ ٣١٨. الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٠ صـ ٣٤٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠١ صـ ١٣٥.

ولكن يفاجأ الشيعة بحديث ينقض كل هذا عن علي بن أبي طالب – عليه السلام – يقول : بعثني رسول الله – صلى الله عليه وآله – : " ألا أدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته " [(١)] ، ويستدرك صاحب الوسائل ؛ فيرد قائلاً :" إن هذا يشمل كل قبر غير قبر النبي – صلى الله عليه وآله – والأئمة ، وأن هذا النهي لمجرد الكراهة !" [(٢)] ، ولا أدري من أين جاء بهذه التفرقة[(٣)] ؟ .

أثر تقديس الأئمة : على توحيد الأسماء والصفات [(٤)]:

يعتقد الشيعة الاثنا عشرية : أنّ صفاته تعالى الثبوتية [(٥)] كلّها عين ذاته ، ليست زائدة عليها ، وليس وجودها إلاّ وجود الذات ، فقدرته من حيث الوجود حياته وحياته قدرته ، ثم هي مختلفة في معانيها ، لا في حقائقها ؛ لأنه لو كانت مختلفة في الوجود للزم تعدّد واجب الوجود ، ولانثلمت[(٦)] الوحدة الحقيقية ، وهذا ما ينافي عقيدة التوحيد .

وأمّا الصفات الثبوتية الإضافية كالخالقية ، والرازقية ، والتقدّم ، والعلّية ، فهي ترجع في حقيقتها إلى صفة واحدة حقيقية ، وهي القيّومية لمخلوقاته .

وأمّا الصفات السلبية التي تُسمّى بصفات الجلال ، فهي ترجع جميعها إلى سلب واحد هو سلب الإمكان عنه ، فإنّ سلب الإمكان لازمه ومعناه : سلب الجسمية ، والصورة ، والحركة ، والسكون ، والثقل ، والخفّة ، وما إلى ذلك ، وسلب كل نقص ، والله تعالى واحد من جميع الجهات ، لا تكثّر في ذاته المقدّسة ، ولا تركيب في حقيقة الواحد الصمد [(٧)].

---

(١) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٢ صـ ٨٦٩. الكليني : الفروع من الكافي جـ ٢ صـ ٢٢٧.

(٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٢ صـ ٨٦٩.

(٣) ونعجب لتحكيم قول غير المعصوم على قول المعصوم ، فأين الدليل ؟ .

(٤) صفات الله تعالى : تعني : التحلية ، والنعت ، واصطلاحاً : صفات توقيفية ، لا مجال فيها للاجتهاد ، والاستحسان ، فالواجب الوقوف عند ما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، وصفاته سبحانه كلها كمال على الحقيقة ، ليس فيها شبهة نقص ، ونثبتها ونمرها كما جائت بلا تكييف ، ولا تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تمثيل ، ولا تشبيه ؛ لأنها جاءت باثباتها نصوص الكتاب والسنة ، والعقل السليم لا يرفض الإقرار بها . انظر د علي الصلابي : عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين صـ ١٩ بتصرف .

(٥) الصفات الثبوتية : ما لا يدخل السلب في مفهومها ، والصفة الثبوتية متأخرة عن الوجود ؛ فإن قيام الصفة الموجودة بموصفها فرع لوجوده ، فوجود الصفة الثبوتية يستحيل أن يسبق وجود موصوفها سبقاً ذاتياً مثل السمع والبصر . انظر الإيجي : المواقف جـ ١صـ ٢٦١ ، جـ ١صـ ٣٣١.

(٦) انثلمت : انثلم الشيء : صار فيه صدع أو ثغرة . د أحمد مختار عبد الحميد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ١ صـ ٣٢٦ .

(٧) محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية الاثني عشرية صـ ٧٣ بتصرف .

عن أمير المؤمنين –عليه السلام– : " كمالُ الإخلاص لهُ نفيُ الصِفاتِ عنهُ ، لشهادةِ كلِّ صفة أنَّها غيرُ الموصوفِ ، وشهادةِ كلِّ موصوف أنَّه غيرُ الصفةِ ، فَمَن وَصَفَ الله سبحانه فَقد قرنَهُ ، وَمَن قرنهُ فَقد ثنّاهُ ، وَمَن ثنّاهُ فَقد جزّأَهُ ، وَمَن جزّأَهُ فَقد جَهِلَهُ " [(١)] .

وهذا تلفيق في المقدمات ليصل إلى نتيجة خاطئة ، فمقام الإمام علي – عليه السلام – يعلو على هذا فإن العلاقة بين الصفات والذات علاقة تلازم ، فالإيمان بالذات يستلزم الإيمان بالصفات ، وكذلك العكس ، لأنه لا يتصور وجود ذات مجردة عن الصفات ، ولا وجود صفة بدون ذات قائمة بها ، وإنما التصور للذات والصفات إنما هو تصور ذهني فقط [(٢)] .

لكن الشيعة الاثني عشرية تقول : نظام توحيده : نفي الصفات عنه [(٣)] ، ومعنى نفي الصفات عنه تعالى : أنه جل شأنه عالم قبل العلم بغير علم ، وقادر قبل القدرة بغير قدرة ، فلا يوجب نفي الصفات تعطيل في الذات ، بل معنى نفي الصفات عنه تعالى تنزيهه عن أن يكون ناقصاً بذاته مستكملاً بصفاته " [(٤)] ؛ فعن أبي إبراهيم – عليه السلام – : أول الديانة به : معرفته ، وكمال معرفته : توحيده ، وكمال توحيده : نفي الصفات عنه ، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة الموصوف أنه غير الصفة ، فمن وصف الله ؛ فقد حدَّه ، ومن حدَّه ؛ فقد عدَّه ، ومن عدَّه ، فقد أبطل أزله [(٥)] ، ومن قال: كيف ؟ فقد استوصفه ، ومن قال : فيم ؟ فقد ضمنه ، ومن قال علام ؟ فقد جهله ، ومن قال : أين ؟ فقد أخلا منه ، ومن قال ما هو ؟ فقد نعته ، ومن قال : إلام ؟ فقد غاياه ، عالم إذ لا معلوم ، وخالق إذ لا مخلوق ، ورب إذ لا مربوب [(٦)] ، ويبقى أن يقولوا : إلا إذ لا مألوه ! ولكن ستعلم الآن لما هذا الإنكار والنفي .

ثم ينسبون إلى الله – عز وجل – قول الإمام الجواد – عليه السلام – :" إن الأسماء والصفات مخلوقات " [(٧)] ، وينسون أن مايوصف بالمخلوق لا يكون إلا مخلوقاً ، أم أنهم يقصدون الأئمة ؟ .

---

(١) خطب الإمام علي : نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده جـ ١ صـ ١٥. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٤ صـ ٤٣.

(٢) د علي الصلابي : عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين صـ ١٠٩ – ١١٠ بتصرف .

(٣) الطوسي : الاقتصاد صـ ١٤. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ١ صـ ٤٣٨. وحيد الخراساني : منهاج الصالحين جـ ١ هامش صـ ٣٥.

(٤) السيد علي البهبهاني : الفوائد العلية والقواعد الكلية مما يبتني عليه كثير من معضلات مسائل الفقه والأصول ، نشر المطبعة العلمية – قم ، ط٢، ١٤٠٥هـ صـ ١٧٨ بتصرف .

(٥) الأزلي : ما لا ابتداء له وجودياً أو عدمياً ، وهو أعم من القديم ؛ لأن القديم موجود لا ابتداء لوجوده ، وإطلاق القديم ، والأزلي على الله باعتبار أنهما من أسمائه لا يصح ؛ لأنه لم يرد فيهما دليل ، أما إذا أطلقا من باب الإخبار فإنه يصح ؛ لأن هذا الباب أوسع من باب الأسماء والصفات . علاء الدين بن العطار : الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ، هامش صـ ١٢٥ بتصرف .

(٦) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٠– ١٤١ بتصرف .

(٧) الفيض الكاشاني : الوافي جـ ١ صـ ٤٧٣. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١١٦.

وعن أبي عبد الله – عليه السلام – : الله غاية من غياه ، والمغيى ، غير الغاية ، فالذاكر الله غير الله ، والله غير أسمائه ، وكل شيء وقع عليه اسم شيء سواه ؛ فهو مخلوق ، وقال تعالى : " وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا " [١] ، وقال: " قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى " [٢][٣].

وما يقال هذا : من أعظم الإلحاد وهو نفي معاني أسماءه ؛ ليتوصل بها إلى نفي الصفات ؛ لأنها لو تكن تدل على معاني ، وأوصاف لم يجز أن يخبر الله – ﷻ – ، ورسوله – ﷺ – عنها بمصادرها ، قال – ﷻ – :" إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ "[٤] فالقوي اسم لله ، ومعناه : من له القوة ، وهذه صفة لهذا الموصوف ؛ فهل يجرئ متجرئ أن يقول : إن الله أنزل ألفاظاً مجردة عن المعنى ؟ [٥] ، أم يتجرأ آخر فيقول : للعبد يسمع بسمعه ، ويبصر ببصره ؟ فإذا ما وصفناه بهذا ، قيل : هذا كمال ، فمن الذم أن يكون العبد لا يسمع ، ولا يبصر ، ومن الذم أن يعتمد على بصر غيره وسمع غيره ، فما بالك بمن نفى سمع الله ، وبصر الله بحجة التشبيه [٦] بالخلق ؟ وهو ليس كمثله شيء ، قال تعالى :" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ " [٧] فالأحد هو نفسه الصمد فأين التعدد ؟ فالأسماء الكثيرة لمسمًّى واحد سبحانه .

لكن مقصدهم يظهر من نفيهم عن الله صفات الكمال ، أن الهدف هو إهداء هذه الصفات لأئمتهم ، ديانةً وتعبداً لله بذلك! ، فها هي أم الإمام علي تقول لها الملائكة يوم مولده :" يا فاطمة : سميه علياً ؛ فهو عليٌّ ، والله العلي الأعلى يقول : شققت اسمه من اسمي " [٨] .

ويتفاخر الإمام علي – عليه السلام – فيقول :" أنا الذي أنحلني ربي اسمه " [١] ، وأنا أسماء الله الحسنى[٢] ، وأمثاله العليا ، وآياته الكبرى [٣] ، بل وولده أيضاً لهم أسماء الله الحسنى [٤] .

---

(١) سورة الأعراف : آية رقم ١٨٠.

(٢) سورة الإسراء : آية رقم ١١٠.

(٣) الشيخ الصدوق : التوحيد ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم ، دت صـ ٥٧ بتصرف .

(٤) سورة هود : آية رقم ٦٦.

(٥) د علي الصلابي : عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين صـ ١١٤ – ١١٥ بتصرف .

(٦) التشبيه : إقامة شيء مقام شيء ؛ لصفة جامعة بينهما ذاتية أو معنوية ، والتشبيه المنفي عن الله ما كان وصفه بشيء من خصائص المخلوقين ؛ بأن يجعل شيئاً من صفاته مشبهاً بخلقه ، أو العكس ، مثل : لله يد كأيدينا ، أو تشبيه عيسى – عليه السلام – بالله سبحانه في صفات الألوهية ، والفرق بينه وبين التمثيل أن التمثيل في كل صفة ، أما التشبيه في بعض الصفات . ابن العطار : الاعتقاد الخالص ، هامش صـ ١٢٩ بتصرف .

(٧) سورة الإخلاص : آية رقم ١ – ٢.

(٨) الشيخ الصدوق : الأمالي صـ ١٩٥. وللمؤلف : علل الشرائع جـ ١ صـ ١٣٦.

فما حكم عبادتنا عند أهل البيت ؟ يجيب أبو عبد الله – عليه السلام– فيقول : نحن – والله – الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا " (٥) .

ويبدأ تقسيم الأسماء رسول الله – ﷺ – فيقول :" سمانا الله بخمسة أسماء من أسماءه : فالله المحمود ، وأنا محمد ، والله العليُّ ، وهذا عليُّ ، والله فاطرٌ ، وهذه فاطمة ، والله ذو الإحسان ، وهذا الحسن ، والله المحسن ، وهذا الحسين " (٦) .

ومعنى أنهم أسماء الله الحسنى : يحتمل أنها ذواتهم ؛ لأن الاسم في اللغة العلامة ، وذواتهم القدسية علامات ظاهرة ؛ لوجود ذاته ، وصفاته ، وصفاتهم النورية بيّناتٌ واضحةٌ ؛ لتمام أفعاله وكمالاته ؛ لما فيهم من الفضل ، والكمال ، فهم مظاهر الحق ، وأسماؤه الحسنى ، وآياته الكبرى(٧) ؛ ولذلك أمر سبحانه عباده : أن يدعوه ، ويعبدوه بالتوسل بهم ، والتمسك بذيلهم ؛ ليخرجوا بإرشادهم عن تيه الضلالة والفساد ، ويسلكوا بهدايتهم سبيل الحق والرشاد" (٨).

ويبدأ الإمام علي أخذ حقوقه من صفات ربه فيقول : أنا عين الله ، وأنا يد الله (٩)، وأنا جنب الله ، وأنا باب الله " (١٠) ، وليس هو وحده بل بقية الأئمة ؛ فيجمل أمير المؤمنين – عليه السلام – :" نحن الاسم المخزون المكنون ، نحن الأسماء الحسنى ، التي إذا سئل بها الله أجاب " (١١) ، ويفصل أبو جعفر – عليه السلام – فيقول :" نحن حجة الله ، ونحن باب الله ، ونحن لسان الله ،

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٤٩. الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٣٤.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٤٧.

(٣) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ١ صـ ٢٦١.

(٤) يقول الحر العاملي :" الله مختص بالأسماء الحسنى لا تصدق على غيره " . انظر الحر العاملي : الفصول المهمة جـ ١ صـ ٢٠٢.

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ١٤٣- ١٤٤.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٤٢ .

(٧) يقول الحر العاملي:" إن معاني أسماء الله ﷻ لا تشبه شيئاً من معاني أسماء الخلق ". الحر العاملي : الفصول المهمة جـ ١ صـ ٢٠٦

(٨) مولي محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٢١ بتصرف.

(٩) حينما نسمي علي والأئمة : يد الله ، وجنب الله ، يرد علينا تسمية خالد بن الوليد – رضي الله عنه – بسيف الله المسلول ، الذي قال حين مات : " فلا نامت أعين الجبناء " حين تمنى أن يموت شهيداً ؛ فقيل : حتى لا يقول قائل : كسرت سيف الله بيدي ، ولذلك لقائل أن يقول : إن عبد الرحمن بن ملجم – عليه من الله ما يستحق – كسر يد الله ، أو عين الله ؛ حاشا لله ! . خالد محمد خالد : رجال حول الرسول ، نشر دار المؤيد ، دار الفكر – بيروت ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م صـ ٢٢٧.

(١٠) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٣ – ١٤٤ .

(١١) محمد الريشهري : موسوعة العقائد الإسلامية ، نشر دار الحديث – قم ، ط١ ، ١٤٢٥هـ / ١٣٨٣ش جـ ٣ صـ ٤٤١ – ٤٤٢.

ونحن وجه الله ، ونحن عين الله في خلقه ، ونحن ولاة أمر الله في عباده " [١] ، ولكن هناك صفات ذكرت هنا لم تذكر هناك .

فيجيب الشيعة بأن كل ما في الذكر الحكيم من آية تذكر فيها : العين ، والوجه ، واليد ، والجنب ، فالمراد بها : الولي [٢] ، وقال الباقر – عليه السلام – :" نحن جلال الله ، وكرامته "[٣] .

وقال الله – ﷺ– :" يا محمد عليٌّ الأول ، وعليٌّ الآخر ، والظاهر، والباطن ، وهو بكل شيء عليم " [٤] ، ويؤكد ذلك عليٌّ – عليه السلام – فيقول : " أنا الأول ، وأنا الآخر ، وأنا الظاهر ، وأنا الباطن ، وأنا يد الله ، وأذن الله[٥] ، وعين الله " [٦] ، فما الفرق بين الخالق ، والمخلوق إذاً يا عقلاء الشيعة؟ .

لكن الأئمة ينقضون هذه الروايات بنصيحة لكل منصف فيقولون :" ما دلك القرآن عليه من صفته – عز وجل – فاتبعه ليوصل بينك وبين معرفته ، وأتم به ، واستضيء بنور هدايته " [٧] ، فالمنهج كما قال أبو عبد الله – عليه السلام – :" المذهب الصحيح في توحيد الله ما نزل به القرآن من صفات الله ، ولا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان " [٨] ؛ فجاء الأمر من الكاظم – عليه السلام – :" صفوه بما وصف به نفسه ، وكفوا عما سوى ذلك " [٩] ، ويقول موسى بن جعفر – عليهما السلام – :" لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى في كتابه فتهلك "[١٠] ولكن الشيعة يصرون على نفي الصفة عن الله ومنحها للأئمة .

ثم يتلقف الحديث الحسين – عليه السلام – فيستكمل حقوقهم في أسماء وصفات ربهم سبحانه فيقول : " نحن الأولون ، ونحن الآخرون ، ونحن كلمة الله ، ونحن خاصة الله ، ونحن أحباء الله ، ونحن وجه الله ، ونحن جنب الله ، ونحن يمين الله ، ونحن أمناء الله ، ونحن خزنة وحي الله ،

---

(١) محمد بن حسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٨١ . الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٥ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١٧٣.

(٣) محمد الريشهري : موسوعة العقائد الإسلامية جـ ٣ صـ ٤٤٢.

(٤) شاذان بن جبرائيل القمي : الفضائل صـ ٦٩. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤١ صـ ١٨٠ .

(٥) لا يوجد دليل على وجود صفة الأذن لله تعالى .

(٦) لجنة الحديث بمعهد باقر العلوم:موسوعة شهادة المعصومين،ط اعتماد – قم،ط١، ١٣٨٠ش جـ ١ صـ١٠٢. العاملي:الانتصار جـ ٥ صـ ١٠٩.

(٧) الشيخ الصدوق : التوحيد صـ ٥٥ .ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ٦ صـ ٤٠٦.

(٨) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٠٠. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ١ صـ ٤٠٥.

(٩) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٠٢. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ١ صـ ٤١٠. بحار الأنوار جـ ٣ صـ ٢٦٦.

(١٠) الصدوق: التوحيد صـ ٧٦. الفتال النيسابوري : روضة الواعظين صـ ٣٥ .

وسدنة[1] غيب الله ، ونحن معدن التنزيل ، ومعنى التأويل ، وفي أبياتنا هبط جبرائيل ، ونحن محال قدس الله ، من آمن بنا ؛ آمن بالله ، ومن رد علينا ؛ رد على الله ، ومن شك فينا ؛ شك في الله ، ومن عرفنا ؛ عرف الله ، ومن تولى عنا ؛ تولى عن الله ، ومن أطاعنا ؛ أطاع الله [2] .

وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" إن الله سبحانه تفرد في وحدانيته ، ثم تكلم بكلمة[3] ؛ فصارت نوراً ، ثم خلق من ذلك النور : محمداً وعليا وعترته – عليهم السلام – ، ثم تكلم بكلمة روحاً ، وأسكنها في ذلك النور ، وأسكنه في أبداننا ، فنحن روح الله ، وكلمته ، احتجب بنا عن خلقه ، ثم خلق شيعتنا ، وإنما سمُّو شيعة ؛ لأنهم خلقوا من شعاع نورنا [4] ، وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" بنا عُبِد الله ، وبنا عُرِف الله ، وبنا وُحّد الله – تبارك وتعالى – ومحمد حجاب الله "[5] .

ولكن هل هذا هو قولهم الوحيد ؟ أم أن بعضهم يفسر قوله – ﷻ – :" أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ "[6] ،أنها : في ذات الله ، وفي طاعته [7] ، وقيل :" أي تقول يوم القيامة ما أشد ندمي وأسفي ، يا ليتني لم أهمل ما أمرني الله به من تنفيذ شرعه ودينه " [8] ، ويفسرها بعض علمائهم بأن جنب الله هو : علي بن أبي طالب والأئمة من بعده [9] .

ولكن الإمام علي يرد فيقول :" من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه ؛ فقد أعظم على الله الفرية "[10] .

ثم يسوون الأئمة بالله في العلم ؛ فيصفون الله بأن علمه بالجزئيات : علم حضوري " [1] ، وعلم أئمتهم " إذا وجدت هذه الشروط ، مع زوال المانع ، يقع للنفس علم حضوري إشراقي "[2] ؛ ففي

---

(١) السَّادِن : واحد سَدَنَةِ البيت الحرام وحجابها وبوابيها . انظر د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٢ص ١٠٥١.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٢٣ . رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ، تحقيق : السيد علي عاشور ، نشر مؤسسة الأعلمي – بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م صـ ٥٨. الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ١٠ صـ ٣٣٨ بتصرف .

(٣) يذكرنا ذلك بنص في إنجيل متى – مع الفارق في التشبيه – يقول :" في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان من عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان البدء عند الله... والكلمة صار جسداً . انظر إنجيل يوحنا : ١/١ – ١٤، نشر دار الكتاب المقدس – القاهرة ط ١٩٩٧م صـ ١٢٠.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٢٣-٢٤ بتصرف .

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٥.

(٦) سورة الزمر : آية رقم ٥٦.

(٧) الطوسي : الاقتصاد صـ ٣٩.

(٨) د سعدي أبو حبيب : القاموس الفقهي ، حرف الجيم صـ ٦٨.

(٩) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٨٢ .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤ صـ ٥٣. محمد صادق النجمي : أضواء على الصحيحين صـ ١٥٢ .

علم الشيء بذاته يتحد العاقل ، والمعقول ، والعقل في الوجود العيني ، وفي علمه بصفاته يتحد العقل ، والمعقول فيه [٣] .

ويزيد الأمر صعوبة في الفهم حين : يفسرون العلم الحضوري " بأنه : العلم بالأشياء قبل الإيجاد ، وهو عين الذات ، وعلم حضوري بها بعد الإيجاد ، وهو عين وجود الأشياء" [٤] .

وبالتالي " فإن كان أهل البيت هم الأئمة حقاً ، والخلفاء صدقاً ، فلابد أن يكونوا علماء بكل شيء علماً حضورياً ، فلا يجوز أن يسأل الإمام عن شيء مهما كان ، ولا يكون عنده علمه ، ولا يحدث شيء وهو غير خبير به ؛ لتكون لله تعالى به الحجة البالغة على خلقه ؛ ولأن صفات الإمام أكمل وأتم الصفات ، ولا تكون أتمها : ما لم يكن علمه حضورياً غير معلق بالإشاءة والإرادة ؛ لأن العلم المعلق على الإشاءة كمال لا أكمل ، وفضيلة لا أفضل " [٥] .

ويجعلون أقوال الأئمة هي أقوال الله تعالى ، حتى يكون السند موصولاً إلى الله ؛ ليصل الإمام إلى درجة التشريع ، ويكون تشريعه في منزلة تشريع الله – ﷻ – ؛ فقد جاء عن الصادق – عليه السلام – : حديثي حديث أبّي ، وحديث أبي حديث جدّي ، وحديث جدّي ، حديث علي بن أبي طالب ، وحديث علي حديث رسول الله ، وحديث رسول الله قول الله " [٦] .

فنتج عن هذا القياس ، وهذه المقدمات على سبيل القياس المفصول النتائج : أن حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول الله – عز وجل – ، ولا اختلاف في أقوالهم ، كما لا اختلاف في قوله – تعالى – على وجه الاتحاد[٧] .

---

(١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١ صـ ١١ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٨ صـ ٢٦٢ .

(٣) عضد الدين الإيجي : المواقف جـ ٢ صـ ٥٤ .

(٤) السيد الطباطبائي : تفسير الميزان ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، دت جـ ١٥ صـ ٢٥٣ .

(٥) الشيخ محمد حسين المظفر : علم الإمام صـ ١٥ – ١٧ بتصرف .

(٦) القاضي بن البراج : المهذب جـ ١صـ ٢٠ . الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية صـ ٧١. السيد جعفر المرتضى : زواج المتعة جـ ٣ صـ ٢٥٩. الكليني : أصول الكافي جـ ١صـ ٥٣.

(٧) الاتحاد : تصيير الذاتين أو الذوات ذات واحدة ، وقيل : امتزاج الشيئين واختلاطهما ، حتى يصيرا شيئاً واحداً ، وأما صيرورة شيء عين شيء آخر بأن يكون هناك زيد وعمرو مثلاً فيتحدان بأن يصير زيد بعينه عمر أو بالعكس ، وهذا ممتنع ؛ لأنهما بعد الاتحاد إن كانا موجودين كانا اثنين لا واحداً ، وإن كان أحدهما فقط موجوداً كان هذا فناء لأحدهما وبقاء لآخر ، وإن لم يكن شيء منهما موجوداً كان هذا فناء لهما وحدوث ثالث ؛ والكل بخلاف المفروض . وعند الصوفية : شهود الوجود الحق الواحد المطلق ؛ فيتحد به الكل ، من حيث كون كل شيء موجوداً به معدوماً بنفسه ، لا من حيث إن له وجوداً خاصاً اتحد به فإنه محال ، والاتحادية هم : قوم يزعمون أن الخالق اتحد بالمخلوق . ابن العطار : الاعتقاد الخالص هامش صـ ١٠٥. القاضي الأحمدي النكري : دستور العلماء جـ ١ صـ ٢٩.

والسبب في هذا الاتحاد : أن الله وضع العلم ، والأسرار في صدر النبي – ﷺ – ، ووضعه النبي – ﷺ – في صدر علي ، وهكذا من غير تفاوت واختلاف في الكمّية ، والكيفيّة ، وعلى هذا ظهر معنى الاتحاد بين علم الأئمة ، وقولهم وبين علم الله – ﷻ – وقوله [١].

ولكن يرد بعض علمائهم على هذا فيقول :" لا يحق لأحد من البشر – كائناً مَنْ كان – أن يشِّرع شيئاً من عندياته ، إذ أن التشريع هو لله وحده ، وعليه فلا يجوز مطلقاً تشريع القوانين لأي أحد من البشر بما فيهم من الأنبياء والأئمة ، فالقرآن هو المصدر الأول ، والرئيس من مصادر التشريع الإسلامي[٢] ، وإذا كان قول الإمام قول الله تعالى [٣] ، هل يدخل في قول الله ما قاله الأئمة على سبيل التقية ؟ [٤] .

وإذا كان كلام كل واحد من الأئمة هو قول الله – تعالى – وقول رسوله ؛ فيؤدي ذلك لعدم الوثوق بكلام الله وكلام رسوله ؛ وذلك لأن الأئمة يستخدمون التقية في أقوالهم ؛ فيشك في ظاهر كلامهم ، وينسحب الحكم مباشرة على الكتاب الذي فسروه ، والسنة التي بثوها في الناس [٥] .

ويسأل أمير المؤمنين – عليه السلام – سائل : إنا إذا كنا عندك سمعنا ما نسد به ديننا ، وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة لا ندري ما هي ؟ قال : أو قد فعلوها ؟ سمعت النبي – ﷺ – يقول :" أتاني جبريل فقال : يا محمد ، سيكون في أمتك فتّنةٌ ، قلت : فما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله ، فيه بيان ما قبلكم من خبر ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم " [٦] .

وقال رسول الله – ﷺ – :" إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم ؛ فعليكم بالقرآن [٧] ، وقال الرضا – عليه السلام – عن القرآن :" هو الحجة على كل إنسان " [٨] .

ولا يكتفي الشيعة الاثني عشرية بصفات الله بل ينتقلون لصفات القرآن ، والتوحيد ، والنبي ، والبشر ؛ فعن أمير المؤمنين – عليه السلام – " أنا الهادي ، وأنا المهتدي ، وأنا أبو اليتامى ،

---

(١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٢ص ٢٢٥.

(٢) عبد الله أحمد اليوسف : فلسفة الفكر الإسلامي ، نشر مؤسسة البلاغ – بيروت ، ط١، ١٤٢٣هـ ص ٩٨ – ١٠٠ بتصرف . السيد حسين يوسف المكي : معتقدات الشيعة عرض موضوعي ميسر ، نشر المؤسسة الدولية للدارسات والنشر – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ص ٣٨ .

(٣) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٢ ص ٢٢٦.

(٤) د إيمان العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية ص ٤٠٢.

(٥) المرجع السابق ص ٣٩١ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨٩ ص ٢٤ – ٢٥ . العياشي : تفسير العياشي جـ ١ ص ١٤ – ١٥ .

(٧) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ ص ٥٩٩ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨٩ ص ١٧ .

والمساكين ، وزوج الأرامل ، وأنا ملجأ كل ضعيف ، ومأمن كل خائف ، وأنا قائد المؤمنين إلى الجنة ، وأنا حبل الله المتين ، وأنا عروة الله الوثقى ، وكلمة التقوى [١] ، وعن أبى جعفر – عليه السلام –: ونحن الذين إلينا مختلف الملائكة ، وبنا تسقون الغيث ، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب ، فمن عرفنا ، ونصرنا ، وعرف حقنا ، وأخذ بأمرنا ؛ فهو من موالينا[٢] ، وهم " نور الله الذي يستضاء به ، ولا يطفأ ولا يخبو ، ووجه الله الذي لا يهلك " [٣] .

لذلك ينصحكم الرضا – عليه السلام – :" إذا نزلت بكم شدة ، فاستعينوا بنا على الله ، وهو قوله تعالى : " وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا[٤]"[٥] ، وناد الإمام وقل : " يا غياث المستغيثين ، ويا غاية الطالبين ، ويا كنز الراغبين ، ويا ذا القوة المتين ، ويا مطلق الأسير، ويا راحم الشيخ الكبير، ويا رازق الطفل الصغير، ويا قديم ، سبق قدمه كل قديم ، ويا عون من لا عون له ، ويا سند من لا سند له ، ويا ذخر من لا ذخر له ، ويا حرز من لا حرز له ، يا عون الضعفاء ، ويا كنز الفقراء ، إليك توجهت ، وبك توسلت ، بيض وجهي ، وفرج همي ، واكشف غمي "[٦] .

سبحان الله ! فما الذي بقي لله – ﷻ – حتى ندعو بهذه الكلمات لبشر من خلق الله تعالى .

وعن أبي عبد الله – عليه السلام –: " إن الله خلقنا ، فأحسن صورنا ، وجعلنا عينه على عباده ، ولسانه الناطق في خلقه ، ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة ، ووجهه الذي يؤتى منه "[٧].

ومن عجيب قولهم : إن الأئمة يتحدون بالله ، حيث جاء عن أبي جعفر – عليه السلام – : حين سئل عن تفسير قوله تعالى : "وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ "[٨] ، قال: إن الله تعالى

---

(١) الصدوق : التوحيد صـ ١٦٥.

(٢) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٨٢ .الشيخ الصدوق : كمال الدين و تمام النعمة ، تحقيق : علي أكبر غفاري ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بالحوزة العلمية – قم ، ١٤٠٥هـ صـ ٢٠٦.

(٣) السيد الگلپايگاني : أحكام وآداب الحج ، ط باقري وأمير – قم ، ط١ ، ١٤١٣هـ صـ ٥٤٢. السيد الگلپايگاني : مناسك الحج ، ط باقري – قم ، ط١ ، ١٤١٣هـ صـ ١٩٢. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٩٤.

(٤) سورة الأعراف : آية رقم ١٨٠ .

(٥) محمد الريشهري : موسوعة العقائد الإسلامية جـ ٣ صـ ٤٤٢. السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ ١٥ صـ ٢٤٨.

(٦) محمد بن جرير الطبري الشيعي :نوادر المعجزات ، نشر مؤسسة الإمام المهدي – قم ، ط١، ١٤١٠هـ صـ ٢٦. حسين بن عبد الوهاب : عيون المعجزات ، تحقيق : الشيخ صادق الكتبي ، نشر الحيدرية – النجف ، ١٣٦٩هـ /١٩٥٠م صـ ١٦.

(٧) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩١ صـ ٦ .

(٨) سورة البقرة : آية رقم ٥٧.

أمنع من أن يُظْلَم ، ولكن الله خلطنا بنفسه ، فجعل ظلمنا ظلمه " [1] ، وعن علي :" الإمام وكرٌ [2] لإرادة الله "[3] !.

ونقول وكلنا عجب مما فعل هؤلاء : إن الشيعة " قاموا بأعجب عملية سطو في التاريخ ، حينما انتزعوا صفات الله ، وقدموها بسخاء وعن طيب خاطر إلى الأئمة المعصومين ؛ لينزهوا الله – ﷻ – عن الصفات ، ويمنحوها للأئمة ، ولا ندري بالضبط أيهما الذي يراد تنزيهه عن مشابهة المخلوقين ؟ آلله أم الأئمة ؟ سبحان الله عما يصفون .

والأئمة نحسبهم – والله حسيبهم – لا يرضون بهذا ، ولو قيل عنهم ذلك في حياتهم ما تركوا القائل حتى يقيموا عليه الحد " [4] ، بل " إني لا أشك أن الإمام علياً لو كان يستمع إلى بعض هذه الفقرات ، وفيها إعطاء الأئمة صفات تفوق صفات البشر ، وتكون قريبة من صفات الله ، أو شريكة معه ؛ لأقام بنفسه الحد على قارئها وواضعها على السواء " [5] .

وهذا قليل عليهم حينما تعلم أن معصية الله عندهم أهون من معصية الأئمة ؛ فيزعمون أن الله – ﷻ – قال لآدم – عليه السلام – :" من عرف حق عليّ زكى وطهر ، ومن أنكر حقه لُعن ، وخاب ، أقسمت بعزتي أن أدخل الجنة من أطاعه – وإن عصاني – ، وأقسم بعزتي أن أدخل النار من عصاه – وإن أطاعني – " [6] ، بل الشرك معهم في الولاية شرك بالله تعالى ؛ فقوله – ﷻ – :" وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ "[7] ، أي :" لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية عليّ من بعدك "[8] ، وقوله – ﷻ – :" ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا " [9] ، عن أبي جعفر – عليه السلام – قال : " ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم – بأن

---

(١) الكليني : أصول الكافي جـ١ صـ ١٤٦.

(٢) الوكر : عش الطائر الذي يبيض فيه ويفرخ سواء أكان ذلك في جبل أم شجر أم غيرهما . المعجم الوسيط جـ ٢ صـ ١٠٥٣ .

(٣) حسن بن سليمان الحلي : المحتضر صـ ٢٣١ .

(٤) د أبو الفتوح الأنور: شيعة إيران وأصولها صـ ٢٨ .

(٥) د موسى الموسوي : الشيعة والتصحيح صـ ٩٥.

(٦) محمد بن أحمد القمي : مائة منقبة ، ط أمير – قم ، ط١، ١٤٠٧هـ صـ ٨٣. محمد بن الحسن القمي : العقد النضيد صـ ٨٢.

(٧) سورة الزمر : آية رقم ٦٥.

(٨) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٤٢٧. علي القمي : تفسير القمي ، ط مؤسسة الأعلمي– بيروت ، ط١، ١٤١٢هـ جـ ٢ صـ ٢٥١.

(٩) سورة غافر : آية رقم ١٢.

لعليّ ولاية – وإن يشرك به – من ليست له ولاية – تؤمنوا " [1] ، وقوله – ﷻ – : " أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ " [2] قال أبو عبد الله – عليه السلام – : " إمام هدىً مع إمام ضلالٍ في قرنٍ واحدٍ " [3] .

وهم الآن بإنكارهم لصفات الله – عز وجل – حاولوا إعطاء جمال الله بمراتبه الأربعة للأئمتهم ؛ فجماله سبحانه على أربع مراتب : جمال الذات ، وجمال الصفات ، وجمال الأفعال ، وجمال الأسماء ؛ فأسماؤه كلها حسنى ، وصفاته كلها صفات كمال ، وأفعاله كلها حكمة ، ومصلحة ، وعدل ، ورحمة ، وأما جمال الذات وما هو عليه ؛ فأمر لا يدركه سواه ، ولا يعلمه غيره ، وليس عند المخلوقين منه إلا تعريفات تعرف بها إلي من أكرمه من عباده ؛ فإن ذلك الجمال مصون عن الأغيار ، محجوب بستر الرداء والإزار ، كما قال رسوله فيما يحكى عنه الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري [4] .

وحاولوا أن يجعلوا توقير الأئمة في قلوب الناس مثل توقير الله – ﷻ – ؛ ولهذا قال بعض السلف ليعظم وقار الله في قلب أحدكم أن يذكره عند ما يستحي من ذكره فيقرن اسمه به ، فهذا من وقار الله ، ومن وقاره أن لا تعدل به شيئا من خلقه لا في اللفظ بحيث تقول والله وحياتك مالي إلا الله وأنت وما شاء الله وشئت ، ولا في الحب ، والتعظيم ، والإجلال ، ولا في الطاعة فتطيع المخلوق في أمره ونهيه كما تطيع الله ، بل أعظم كما عليه اكثر الظلمة والفجرة ، ولا في الخوف والرجاء ، ويجعله أهون الناظرين إليه ، ولا يستهين بحقه ويقول هو مبنى على المسامحة ، ولا يجعله على الفضلة ، ويقدم حق المخلوق عليه ، ولا يعطي الخلوق في مخاطبته قلبه ولبه ويعطى الله في خدمته بدنه ولسانه دون قلبه وروحه ولا يجعل مراد نفسه مقدما على مراد ربه ، فهذا كله من عدم وقار الله في القلب ومن كان كذلك فإن الله لا يلقى له في قلوب الناس وقارا ولا هيبة ، نسأل الله – عز وجل – العافية [5] .

سبحان الله : أما سمع هؤلاء ما قاله سيد الأولين والآخرين حين قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ – ﷺ – : مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ . قَالَ: " جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا؟ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ " [6] ، فأنكر علي الرجل أن يصفه بصفة من

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٣ صـ ٣٦٤.تفسير القمي جـ ٢ صـ ٢٥٦. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٤٢١.

(٢) سورة النمل : آية رقم ٦١.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٣ صـ ٣٩١.

(٤) ابن القيم الجوزيه : الفوائد ، نشر دار الإمام مالك ، دار المستقبل – الجزائر ، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م صـ ٢١١.

(٥) المصدر السابق صـ ٢١٩ بتصرف .

(٦) صححه الألباني . البخاري : الأدب المفرد ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، نشر دار البشائر الإسلامية – بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م صـ ٢٧٤. أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء جـ ٤ صـ ٩٩. البيهقي : السنن الكبرى جـ ٣ صـ ٣٠٧.

صفات الله – عز وجل – ، وقوله تعالى مبيناً حال من يستغيث بغير الله تعالى :" وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا " (١)، وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ ، فَقَالَ : " أَمَا إِنَّكَ لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، لَمْ يَضُرَّكَ " (٢)، وجاء خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى النَّبِيِّ – ﷺ – ، فَشَكَا إِلَيْهِ وَحْشَةً يَجِدُهَا، فَقَالَ لَهُ: " أَلَا أُعَلِّمُكَ مَا عَلَّمَنِي الرُّوحُ الْأَمِينُ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلَامُ –؟ " قَالَ : " إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ يَكِيدُكَ ، فَإِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ يَطْرُقُ إِلَّا بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ "(٣)، وفي رواية :" قُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ ، وَعِقَابِهِ ، وَشَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ " (٤) .

والسبب في عدم سؤالهم من دون الله بينه الله تعالى فقال :" قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا " (٥)، وقال تعالى مبيناً أنه لا يحتاج لأحد من خلقه :" قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "(٦) ، وكيف لا يعرف العباد ربهم و الله تعالى يقول :" قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ"(٧) ، وقال سبحانه :" مَنْ

---

(١) سورة الجن : آية رقم ٦ .

(٢) ابن حبان : صحيح ابن حبان ج ٣ ص ٢٩٨. مالك : الموطأ ج ٥ ص ١٣٨٧. مسلم : صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٨١.

(٣) البيهقي : شعب الإيمان ج ٦ ص ٣٩٠-٣٩١. أبو نعيم : حلية الأولياء ج ٥ ص ٣٧٧- ٣٧٨.

(٤) الإمام مالك : الموطأ ج ٥ ص ١٣٨٦. الترمذي : السنن ج ٥ ص ٥٤١. أبو داود : السنن ج ٤ ص ١٢ .

(٥) سورة فاطر : آية رقم ٤٠ – ٤١ .

(٦) سورة سبأ : آية رقم ٢٢ – ٢٤ .

(٧) سورة الأنعام : آية رقم ١٤٩ .

كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا"(١) فالله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى وحده لا يشاركه فيهما أحد من خلقه ؛ فليس كمثله شيء .

وهؤلاء ضلوا لأنهم تركوا ما دل عليه الكتاب والسنة من إثبات ما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، فإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه فنثبت لله تعالى ذاتاً لها صفات لا تشبه أي شيء من خلقه (٢).

من آثار التقديس في عقيدة الإمامة : جعل التشريع بيد الأئمة :

جعلت العقيدة الشيعية حق التشريع للأئمة ؛ حيث جعلوا :" تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن "(٣) ، ثم يرتقون مرتقاً صعباً فيقولون : " إن حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول الله – عز وجل – " (٤) .

ونتساءل هل يجوز أن نقول : قال تعالى مكان قولنا قال الإمام ؟ ؛ فيجيب شارح أصول الكافي " يجوز من سمع حديثا عن أبي عبد الله – عليه السلام – أن يرويه عن أبيه ، أو عن أحد من أجداده ، بل يجوز أن يقول : قال الله تعالى "(٥) .

وهذا يضعنا في مأزق صعب حين يأتي سائلٌ لأبي عبد الله – عليه السلام – فيسأله : " جعلتُ فداك يأتينا الرجل من قبلكم ، يُعْرفُ بالكذب ؛ فيحدث بالحديث ؛ فنستبشعه (٦) ؟ ، فقال أبو عبد الله – عليه السلام – يقول لك : إني قلت لليل إنه نهار ، أو للنهار إنه ليل ؟ قال : لا ، قال : فإن قال لك هذا أني قلته ، فلا تكذب به ؛ فإنك إنما تكذبني " (٧) .

وهذا يناقض أبسط قواعد المنطق : أن الشيء هو نفسه ، ولا يكون غيره ، بلا ثالث بينهما ، فكيف يكون الليل نهاراً ، والحق باطلاً ، أليس هذا من غبن العقل ، ونقصه (٨).

---

(١) سورة فاطر : آية رقم ١٠ .

(٢) عبد الرحمن آل الشيخ : فتح المجيد ، ط أم القرى ، نشر دار الدعوة – القاهرة ، ١٩٩٨م صـ ٣٤٢ – ٣٤٣ بتصرف .

(٣) الخميني : الحكومة الإسلامية صـ ١١٦-١١٧.

(٤) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٢ صـ ٢٢٥.

(٥) المصدر السابق جـ ٢ صـ ٢٢٦.

(٦) نستبشعه : بشع الطعام : صار طعمه كريهاً ، وبشع الفم : تغيرت رائحته ، وبشع الوجه : قبح منظره . المعجم الوسيط صـ ٥٨.

(٧) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٢ صـ ٢٢٦.

(٨) غبن رأيه : ضعف ونقص ، وغلبه الجهل . انظر المعجم الوسيط صـ ٦٤٣ – ٦٤٤ بتصرف .

وسأل أحد الرواة أبا عبد الله – عليه السلام – :" الحديث أسمعه منك أرويه عن أبيك [١] ، أو أسمعه عن أبيك أرويه عنك [٢] ؟ قال : سواء ، إلا أنك ترويه عن أبي أحب إلي ! بل ما سمعت مني فاروه عن أبي " [٣] ونقول : أليست الفتوى تتغير من حال التقية إلى حال الأمن ؟ فكيف نميز بينهما .

ولكن المثل يقول : إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً ؛ فنجدهم يتناقضون فيروون عن أبي عبد الله – عليه السلام – على نفسه ، فيقول لأتباعه :" إياكم : والكذب المفترع [٤] ؛ قيل : وما الكذب المفترع ؟ ، قال : أن يحدثك الرجل بالحديث ، فتتركه ، وترويه عن الذي حدثك عنه [٥] ، وفي رواية :" فترويه عن غير الذي حدثك به "[٦] ، فكيف يوفقون بين الحديثين ؟ .

وتعجب حين تقرأ أن الأئمة إذا ظهر القائم حكموا بحكم داود ، وآل سليمان ، ولا يسألون البينة [٧] – مع أن القرآن نسخ [٨] شرع كل من سبقه – ، بل يتوسع أكثر فيقول علي – عليه السلام – :" لو تمكنت من الأمر لحكمت لكل طائفة بكتابها "[٩] ، وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" من أحللنا له شيئا أصابه من أعمال الظالمين [١٠] ؛ فهو حلالٌ ، لأن الأئمة منَّا مفوض إليهم ، فما أحلوا فهو

---

(١) هذا الفعل : يسمى في علم مصطلح الحديث حديث ضعيف منقطع ، يعني : سقط من الإسناد رجل ، وهذا فتح الباب لهم أن يرووا ما شاءوا عن الأئمة ، ويتخيرون القائل من المعصومين بلا تورع . وعند الشيعة : يسمى المرسل وهو ما رواه عن المعصوم من لم يدركه بغير واسطة ، أو بواسطة نسيها ، أو تركها ، وقد يسمى منقطعاً ، ومقطوعاً بإسقاط واحد ، ومعضلاً بإسقاط أكثر . انظر الحافظ ابن كثير : الباعث صـ ٤٦. الشهيد الأول : ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة جـ ١ صـ ٤٨.

(٢) هذا يسمى في علم مصطلح الحديث رواية الأصاغر عن الأكابر ، من فوائده : أن لا يُتوهم أنّ المرويَّ عنه أفضلُ من الراوي ، أو أكبرُ ؛ لكونه الأغلب ، ومنها : أن لا يُظن في السند انقلابٌ . انظر محمد بن جماعة : المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي صـ ٧٧.

(٣) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٥١. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٨ صـ ٥٥.

(٤) المفترع : أي المخترع ، أو الحاجز بين الرجل وبين قبول روايته . انظر السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي صـ ٦٢. مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٢ صـ ٢٢٣.

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٥٢. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٨ صـ ٥٧.

(٦) الشيخ الصدوق : معاني الأخبار صـ ١٥٧.المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢ صـ ١٥٨.

(٧) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٩٣ .

(٨) سيأتي الكلام عن تعريفه في الفصل الخامس إن شاء الله تعالى .

(٩) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ١٨٠ .

(١٠) قصدهم بالظالمين : خلفاء الدولة الإسلامية ، وكأنهم ما سمعوا قول النبي – صلى الله عليه وسلم– : " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ بِي تَحْرِيمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لِي " ، وقوله : وَإِنِّي لَسْتُ أُحَرِّمُ حَلَالًا وَلَا أُحِلُّ حَرَامًا " وقال أيضاً :" الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَّا صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا،

حلال ، وما حرموا فهو حرام " [1] ، وعن الرضا – عليه السلام– : الناس عبيد لنا في الطاعة " [2] .

ويرد عليهم قوله – ﷻ – :" مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ"[3] .

ويرون عن رسول الله – ﷺ – : " إن الله لما خلق السماوات والأرض دعاهن فأجبنه ، فعرض عليهن نبوتي وولاية علي بن أبي طالب فقبلتاهما ، ثم خلق الخلق وفوض إلينا أمر الدين ، فالسعيد من سعد بنا ، والشقي من شقي بنا ، نحن المحلُّون لحلاله ، والمحرِّمون لحرامه [4] .

حتى ولو حكموا في الآية الواحدة بأحكام مختلفة ، فهم يقولون بالحكم وخلافه في مجلس واحد ، وعلينا السمع والطاعة بلا سؤال ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – : أنه سأله رجل عن آية من كتاب الله ؛ فأخبره بها ، ثم سأله آخر عن تلك الآية ؛ فأخبره بخلاف ما أخبر به الأول ، قال الراوي : فدخلني من ذلك ما شاء الله ، حتى كأن قلبي يشَّرح بالسكاكين ؛ فقلت في نفسي : تركتُ عالماً بالشام لا يخطئ في الواو ، ولا في شبهة ، وجئت إلى هذا يخطئ هذا الخطأ كلَّه ، فبيّنا أنا كذلك إذ دخل عليه آخر ، فسأله عن تلك الآية ، فأخبره بخلاف ما أخبرني ، وأخبر صاحبيَّ ؛ فسكنت نفسي ؛ فعلمت أن ذلك منه تقية ، ثم التفت إليه أبو عبد الله فقال : " إن الله فوض إلى سليمان– عليه السلام – فقال : " هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" [5] ، وفوض إلى نبيه – ﷺ – فقال : " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا "[6] ، فما فوَّض إلى رسول الله – ﷺ – فقد فوضه إلينا [7] .

أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا. انظر الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ١ صـ ٣٩٥ ، جـ ٤ صـ ١٩٠٣. أبو داود : السنن جـ ٢ صـ ٢٢٥ ، جـ ٣ صـ ٣٠٤.

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٣٣٤ .

(٢) المفيد : الأمالي صـ ٤٨. المجلسي : بحار الأنوار صـ ٢٥صـ ٢٧٩.

(٣) سورة آل عمران : آية رقم ٧٩ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٣٣٩.

(٥) سورة ص : آية رقم ٣٩.

(٦) سورة الحشر : آية رقم ٧.

(٧) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٢٦٨ .

وكان الواجب على الراوي أن يسأل الإمام عن حكم التقية ؟ ثم يطلب منه بيان أي الأقوال منها يعمل بها من هذه الأقوال المختلفة ؟ وهل فعل النبي – ﷺ – ذلك ؟ وهل هذا من كتمان العلم ؟ وهل الثلاثة من الشيعة أم من غيرهم حتى يتقيهم ؟ كل هذا قبل أن تسكن نفسه ! .

وهذا النوع هو الذي يسميه العلماء – إن أحسنًا الظن بهم – : تغير الفتوى بتغير الزمان ، أو بتغير الحال ، أو بتغير المكان ، أو بتغير الشخص ، أو بتغير النيات ، أو بتغير العوائد (مثل تغيير المنكر بما هو أنكر ، أو فعل حلال يؤدي إلى حرام) ، وليس المقصود بتغير الفتوى – كما يظنه البعض – التلاعب بالنصوص الشرعية ، والدعوة إلى الأمور المحرمة ، وهذا لا يصدر من إنسان عالم قرأ نصوص الكتاب والسنة ، وفكر في دين الله ، وشرع الله ، ولكن قد توجد أمور تقتضي تغير الأحكام كما ذكرنا .

ومن المعلوم عند أهل العلم أن تغيير الفتوى في المسألة الواحدة من العالم الواحد لابدَّ له من سبب صحيح ، وإذا أفتى في واقعة ثم تغيرت الواقعة ؛ وجب أن تتغير الفتوى تبعاً لتغير الواقعة [(١)] .

أثر تقديس الأئمة على عقيدة الإيمان بالرسل :

تعتقد الشيعة الاثنا عشرية :" أن الله تعالى لم يخلق خلقاً أفضل ، ولا أحب ، ولا أكرم من محمد والأئمة – صلوات الله عليهم – ، وبذلك أخذ الله الميثاق على النبيين في الذر [(٢)]؛ فعن علي – عليه السلام – أنه سمع قوله – ﷻ – :" وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ "[(٣)] ، قال: فبكى عليٌّ ، وقال : إني لأذكر الوقت الذي أخذ الله تعالى عليَّ فيه الميثاق [(٤)] ؛ فمرتبة الإمامة فوق مرتبة النبوة والرسالة ، والأئمة الأطهار فوق مرتبة أولي العزم من الرسل [(٥)] .

فأدى ذلك إلى أن فضلوا علياً على الأنبياء عامة في كل الأمور ، وتسوية الأئمة بالنبي – صلى الله عليه وسلم – في أمور متعددة منها : أن جعلوا النبي وعلي نفساً واحدة ؛ وذلك :" أن الله

---

(١) د حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة : يسألونك عن المعاملات المالية المعاصرة ، نشر المكتبة العلمية ، ودار الطيب – القدس ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م صـ ٦٢ بتصرف .

(٢) الشيخ الصدوق : الهداية صـ ٢٣ – ٢٤.

(٣) سورة الأعراف : آية رقم ١٧٢.

(٤) ابن المغازلي الْوَاسِطِيِّ : مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – صـ ٣٤٢.

(٥) الشيخ أحمد الرحماني الهمداني : الإمام علي بن أبي طالب – عليه السلام – صـ ٣٦٣ بتصرف .

تعالى حكم في آية المباهلة[1] لأمير المؤمنين بأنه نفس رسول الله – ﷺ – ومساواته للنبيّ في الكمال ، والعصمة من الآثام " [2] .

وكذلك أمير المؤمنين في علمه صنو النبي – ﷺ – حتى يملأ الفراغ الذي حصل بموته – ﷺ – [3] ؛ وبذلك :" استدل من حكم لأمير المؤمنين بأنه أفضل من سالف الأنبياء سوى نبي الهدى – ﷺ – [4] ؛ بدليل قوله – ﷺ – :" أعطاني الله خمساً ، وأعطى علياً خمساً : أعطاني جوامع الكلم ، وأعطى علياً جوامع العلم ، وجعلني نبياً ، وجعله وصياً ، وأعطاني الوحي ، وأعطاه الإلهام ، وأسرى بي إليه ، وفتح له أبواب السماء والحجب حتى نظر إليّ ، ونظرت إليه ، وأعطاني الكوثر ، وأعطاه السلسبيل[5] ؛ ولذلك فإن الدعوة إلى الإمامة مقرونة بدعوى الرسالة من أول يوم [6] .

ولكننا نفاجأ بأبي جعفر – عليه السلام – يُسأل : أنتم أفضل أم الأنبياء ؟ فقال : بل الأنبياء [7] .

ولكن عقيدتهم أنه لا ينفع الإقرار بالتوحيد مع جحد النبوة [8] ، فمن لم يقر بولاية عليّ لم ينفعه الإقرار بنبوة محمد – ﷺ – [9] ، وهذا باتفاق الإمامية [10] ؛ فعن رسول الله – ﷺ – :" عليٌّ منّي ، وأنا مِنْ عليّ " [11] ، كما أن النبي – ﷺ – وعلي مخلوقان من نور واحد ، متفقان بالصفات الفاضلة والمنافع " [12] .

---

(١) المباهلة : الملاعنة وهي أن يجمع القوم إذا اختلفوا في شيء ، فيقولون : لعنة الله على الظالم منا أو المبطل منا . وفي المغرب إذا اختلفوا في شيء اجتمعوا وقالوا : بهلة الله على الظالم ، والبهلة اللعنة . القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٣ صـ ١٤٠.

(٢) العلامة الحلي : المستجاد من الإرشاد صـ ١٠٨.

(٣) الشيخ جعفر السبحاني : العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت صـ ٢٠٠-٢٠٢ بتصرف .

(٤) الشيخ أحمد الرحماني الهمداني : الإمام علي بن أبي طالب – عليه السلام – صـ ٣٣٢-٣٣٣ بتصرف .

(٥) حسن بن سليمان الحلي : المحتضر صـ ١٩٣ .

(٦) محسن الخزازي : بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، ط٥ ،١٤١٨هـ جـ ٢صـ ١٢٣.

(٧) الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢ صـ ٢٢٣.الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٧٤.النوري الطبرسي : مستدرك الوسائل جـ١١صـ٣٢.

(٨) المحقق البحراني : البرهان في تفسير القران ، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ صـ ٢٤ . إحسان إلهي ظهير : الشيعة والقران صـ ٥١.

(٩) المحقق البحراني : البرهان في تفسير القران صـ ٢٥ . إحسان إلهي ظهير : الشيعة والقران صـ ٥١-٥٢ .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٣ صـ ٨٩ .

(١١) القاضي النعمان المغربي : دعائم الإسلام ، تحقيق : آصف بن علي أصغر فيضي ، نشر دار المعارف – القاهرة ،١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م جـ ١صـ ١٩. ابن أبي شيبة : المصنف جـ ٦ صـ ٣٧٢ – ٣٧٣.

(١٢) الشيخ أحمد الرحماني الهمداني : الإمام علي بن أبي طالب – عليه السلام – صـ ٣٦٢.

ومن تمام الاعتقاد أن الأنبياء لم يصلوا لمعالي الفضل إلا بولايتهم للأئمة ، فعن رسول الله – ﷺ –:" ما بعث الله نبياً إلا وقد دعا إلى ولايتك يا علي طائعاً أو كارهاً " [١] ، وعن علي بن محمد – عليه السلام –: إنما اتخذ الله تعالى إبراهيم خليلاً لكثرة صلاته على محمد وأهل بيته [٢] .

وكذلك حق عليّ على الأمة كحق النبي – ﷺ – ، فعن النبي – ﷺ – : ولقد أمرني ربي أن أفترض من حقك ما افترضه من حقي ، وإن لحقك مفروض على من آمن بي ، ولولاك لم يُعرف حزب الله ، وبك يعرف عدو الله ، ومن لم يلقه بولايتك لم يلقه بشيء ، ولقد أنزل الله – عز وجل – إلي : " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ " يعني في ولايتك يا علي " وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ " [٣] ، ولو لم أبلغ ما أمرت به من ولايتك لحبط عملي ، ومن لقي الله – عز وجل – بغير ولايتك ؛ فقد حبط عمله "[٤] ، لأن " حب علي بن أبي طالب – عليه السلام – ليس فيه رخصة " [٥] .

بل إنكار النبوة أخف شراً من إنكار الإمامة ؛ لأن الإمامة لطفٌ عامٌ ، والنبوة لطفٌ خاصٌ ؛ لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام ، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص [٦] ، فلا يمكن أن تخلو الأرض من حجة [٧] ، وحجتنا غائبة عنا فمن أين تأتي الهداية .

وهناك ما يؤيد ذلك من أن علياً – عليه السلام – أُعْطي ما لم يعطه محمد – ﷺ – ؛ فيقول عليٌّ عن نفسه :" أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي : علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب ، فلم يفتني ما سبقني ، ولم يعزب عني ما غاب عني " [٨] .

وعليه فإن منصب الإمام أهم من منصب النبوة ، والاعتراف بإمامة الإمام أعظم من الإقرار بنبوة النبي – ﷺ – وهي من الأصول لا من الفروع ؛ ولذا قال – ﷺ – : من مات ولم يعرف [١] إمام

---

(١) محمد بن حسين الصفار : بصائر الدرجات صـ ٩٢. المجلسي : بحار الأنوار جـ ١١صـ ٦٠.

(٢) حسن بن سليمان الحلي : المحتضر صـ ١٤٠ .

(٣) سورة المائدة : آية رقم ٦٧.

(٤) الشيخ الطوسي : الأمالي صـ ٥٨٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٤صـ ٦٥.

(٥) المحقق البحراني : البرهان في تفسير القرآن صـ ٢٢.

(٦) أحمد الرحماني الهمداني : الإمام علي بن أبي طالب صـ ٤٩٨ بتصرف . ابن المطهر الحلي : الألفين في إمامة أمير المؤمنين ، تعليق : محمد حسين المظفر ، ط المطبعة الحيدرية – النجف ، ١٣٧٢هـ جـ ١ صـ ٣ .

(٧) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٨٧.

(٨) الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٣ صـ ٥١٤. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٩٦. الصفار : بصائر الدرجات صـ ٢٢١.

زمانه مات ميتة الجاهلية ؛ لأن النبي – ﷺ – مع قطع النظر عن رسالته وإمامته لا يجب على الناس معرفته ، كمن كان نبياً على نفسه ، ولا يكون رسولاً إلى أحد ، ولا إماماً على الأمة ؛ لأن الإمامة مرتبة فوق الرسالة " [٢] .

والويل كل الويل لمن لم يقر بولايتهم حتى ولو كان نبياً فلا محاباة لأحد في ذلك : فإن يونس – عليه السلام – لقي ما لقي بسبب توقفه في ولاية علي ؛ فإن علي بن الحسين كلم حوت يونس فقال : ائتنا بالخبر، قال : يا سيدي! إن الله تعالى لم يبعث نبياً من آدم إلى أن صار جدك محمداً إلا وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت ، فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلص ، ومن توقف فيها ، وتتعتع في حملها ؛ لقيَّ ما لقيَّ آدمُ من المصيبة ، وما لقيَّ نوحٌ من الغرق ، وما لقيَّ إبراهيمُ من النار، وما لقيَّ يوسفُ من الجب ، وما لقيَّ أيوبُ من البلاء ، وما لقيَّ داودُ من الخطيئة ، إلى أن بعث الله يونس ؛ فأوحى الله إليه : أن يا يونس تول أمير المؤمنين ، فقال : كيف أتولى من لم أره ، ولم أعرفه ؛ فأمرني الله ؛ فالتقمته[٣][٤] ، ولا أدري أيُّ الذنوب فعلها أنبياء الله لينسبوا إليهم عقوبة قومهم ؟ .

والأئمة في العصمة والكمال كالأنبياء ؛ لأن كل نبي إمام ، وليس كل إمام نبياً ولا رسولاً[٥] ، ولا يجوز أن يخالف الإمام الثاني الإمام الأول ؛ لأنه إذا خالفه لابد أن يكون أحدهما مخطئاً ؛ والخطأ لا يجوز على الأئمة [٦]؛ لأنه لا يجوز من الأنبياء ، ولا الأئمة الكبائر ، ولا الصغائر في أحوال النبوة ، ولا الإمامة ، ولا فيما قبلها من الزمان [٧] .

وكذلك وجود علي تكملةٌ لحياة الأنبياء ؛ فعن أمير المؤمنين – عليه السلام – :" ما بعث الله نبياً إلا وأنا أقضي دينه ، وأنجز عداته ، ولقد اصطفاني ربي بالعلم والظفر ، ولقد وفدت إلى ربي

---

(١) القول بأن الكرامة في مجرد معرفة الإمام باطل ؛ لأن مجرد معرفة الإمام لا تحصل به كرامة ، إلا إذا اقترنت به طاعته ، فإن معرفة النبي – صلى الله عليه وسلم – مع عدم طاعته لا يعد إيماناً كاملاً ، وكان مستحقاً للوعيد بإجماع العقلاء من المسلمين ، فلا يقال : إن حب علي حسنة لا تضر معها سيئة ، فما الحاجة للعمل ؟ . انظر عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية صـ ٤٧ بتصرف .

(٢) أحمد الرحماني الهمداني : الإمام علي بن أبي طالب صـ ٥٠٠.

(٣) الشيخ العاملي : الانتصار جـ ٤ صـ ١٥٣.

(٤) عن الرضا – عليه السلام – قال :" قوله – عز وجل – :" وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ " يونس : ٨٧ ؛ إنما ظن أن الله – عز وجل – لا يضيق عليه رزقه ، ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان كافرا ". انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ١١صـ ٧٣.

(٥) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٣٢.

(٦) الشريف المرتضى : الناصريات ، تحقيق ونشر : مؤسسة الهدى – طهران ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م صـ ٤٦.

(٧) المصدر السابق صـ ٤٤٢.

اثني [1] عشر وفادة ؛ فعرفني نفسه ، وأعطاني مفاتيح الغيب " [2] ، ولأن محمداً – صلى الله عليه وسلم – يتوقف ختمه للنبوة على كون عليٍّ – عليه السلام – خاتم الوصيين ؛ إذ لو تختم الوصية لم تختم النبوة [3] .

ويصل التقديس إلى درجة إحراج الأنبياء ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – : إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان[4] العرش أين خليفة الله في أرضه ؟ فيقوم داود – عليه السلام – فيأتي النداء من عند الله – عز وجل – لسنا إياك أردنا – وإن كنت لله خليفة – ، ثم ينادي ثانية أين خليفة الله في أرضه ؟ فيقوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام – ؛ فيأتي النداء من قبل الله – عز وجل – يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب خليفة الله في أرضه ، وحجته على عباده ، فمن تعلق بحبله في دار الدنيا ؛ فليتعلق بحبله في هذا اليوم ؛ ليستضيء بنوره ، وليتبعه إلى الدرجات العلى من الجنان ؛ فيقوم أناس قد تعلقوا بحبله في الدنيا ؛ فيتبعونه إلى الجنة "[5] .

وعن الإمام علي – عليه السلام – أنه:" كنت من الأنبياء باطنياً ، ومع رسول الله ظاهراً " [6] ؛ ولذلك :" فإن النبي والأئمة الاثنا عشر – عليهم السلام – أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء ، والأوصياء السابقين ، والملائكة " [7] ، ويؤمن الشيعة أن أئمتهم : " أفضل من سائر الأنبياء ،

---

(١) هذا خطأ لغوي واضح يتنزه عنه مقام أمير المؤمنين ، وهو من أفصح العرب ، والصحيح أن يقال :" وفدت إلى ربي اثنتي عشرة وفادة ". قال ابن جني : وفي المذكر : عندي اثنا عشر رجلاً ، ورأيت اثني عشر رجلاً ، ومررت باثني عشر رجلاً ، وتجعله في الرفع بالألف ، وفي الجر والنصب بالياء ، وكذلك المؤنث تقول : عندي اثنتا عشرة امرأةً ، ورأيت اثنتي عشرة امرأةً ، ومررت باثنتي عشرة امرأةً . انظر أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي : كتاب اللمع في العربية ، تحقيق : فائز فارس ، دار الكتب الثقافية – الكويت ، ١٩٧٢م صـ ١٦٣ – ١٦٤.

(٢) المجلسي:بحار الأنوار جـ ٣٩صـ ٣٥٠. علي الشاهرودي:مستدرك سفينة البحار جـ ٩صـ ٥٢٠. فرات الكوفي : تفسير فرات الكوفي صـ ٦٧.

(٣) السيد حسين البروجردي : تفسير الصراط المستقيم ، تحقيق : غلام رضا مولانا البروجردي ، ط عترت ، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية – قم ، ط١، ١٤٢٢هـ جـ ٣ صـ ١٥١.

(٤) البُطْنان : جمع بطن من الأرض ، وعكسه : الظُّهْران . نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ١ صـ ٥٥٨.

(٥) الشيخ المفيد : الأمالي جـ ٤ صـ ١٥٣. الشيخ الطوسي : الأمالي صـ ٦٣. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣١ صـ ٦٥٢.

(٦) السيد الخميني : مصباح الهداية مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية صـ ١٥٣ .

(٧) الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة صـ ١٥١. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٢٦٧.

وهو الذي لا يرتاب فيه من تتبع أخبارهم على وجه الإذعان ، واليقين ، والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى ، وعليه عمدة الإمامية ، ولا يأبى ذلك إلا جاهل بالأخبار " [(١)] .

وجعلوا علم الأئمة أوسع من علم الأنبياء وأشمل ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – : إن عيسى – عليه السلام – أعطي حرفين ، وكان يعمل بهما ، وأعطي موسى بن عمران أربعة أحرف ، وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف ، وأعطي نوح خمسة عشر حرفاً ، وأعطي آدم خمسة وعشرون حرفاً ، وإنه جمع الله ذلك لمحمد – ﷺ – وأهل بيته "[(٢)] .

وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ، وإنما كان عند آصف [(٣)]منها حرف واحد ، فتكلم به ، فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس [(٤)] ، حتى تناول السرير بيده ، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين ، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً ، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده " [(٥)] فهم أفضل ممن الآن ؟ .

ولذلك لا تعجب حين تعلم أن الأئمة يقدرون على إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه ، والأبرص ، وجميع معجزات الأنبياء [(٦)] ، ومن إحياء الموتى : ما روي عن الإمام الباقر – عليه السلام – أنه صنع فيلاً من طين ، فركبه وطار في الهواء حتى ذهب إلى مكة ورجع عليه ، وروي أنه فعل ذلك مرتين ، مرة وحده ، ومرة مع أحد رواة أحاديثه [(٧)] ؛ وروي أنه أحيا موتى مقبرة الجبانة

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٢٩٧.

(٢) محمد بن حسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٢٢٨.

(٣) آصف بن برخيا بن شميعا : كاتب سليمان بن داود ، وكان يعرف اسم الله الأعظم ، المَعْنِي بقوله تعالى :" قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ" النمل/ ٤٠ ، على قول بعض المفسرين .انظر البغوي: تفسير البغوي صـ٩٦٢. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن جـ ٢ صـ ٢٣٢٢.

(٤) بلقيس : ملكة حازمة ، يمانية ، روي : أن سليمان – عليه السلام – تزوجها بعد إسلامها . انظر الزركلي : الأعلام جـ ١ صـ ٢٨٩.

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٢٣٠.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ صـ ٢٩ ، جـ ١٠٨ صـ ٣٨٠. الشيخ الصدوق : الهداية هامش صـ ٣٥ .

(٧) الذي ركب معه الفيل هو ابن قبيصة . انظر السيد هاشم البحراني : مدينة معاجز الأئمة الاثنا عشر ودلائل الحجج على البشر ، تحقيق : عزة الله المولائي ، ط فرور دين ، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية – قم ، ط١ ، ١٤١٤هـ جـ ٥ صـ ١٠ بتصرف. محمد بن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة ، ط البعثة – قم ، ط ١، ١٤١٣هـ صـ ٢٢٠. الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٨ صـ ٣٥٣.

بأجمعهم [1] ، وكذلك أحيا مائة ناقة مع كل واحدة فصيل[2] كلها سود الألوان [3] . واختاروا الأسود لقلته في الإبل ؛ لتكون المعجزة أعظم .

وانتهى بهم المطاف إلى أن يسيئوا إلى النبي – ﷺ – ، وخذ مثلا بما جاء عن الباقر – عليه السلام – " أنه – ﷺ – كان لا ينام حتى يقبل عرض وجه فاطمة ، ويضع وجهه بين ثديي فاطمة "، وفي رواية :" حتى يقبل عرض وجنة[4] فاطمة ، أو بين ثدييها "[5] ، وهذا لا يقول به أحد من علماء التربية .

ومن مصائبهم ما جاء في تفسير قوله تعالى : " ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا "[6] ، إن رسول الله – ﷺ – فسر الخيانة بقوله : " ما يعني بذلك إلا الفاحشة [7] ، والخيانة" [8][9] ، ويقصدون بذلك أزواج الأنبياء الطاهرات . قال ابن عباس – رضي الله عنه – : ما بغت امرأة نبي قط ، وإنما كانت خيانتهما : أنهما كانتا على غير دينهما ، فكانت امرأة نوح تقول للناس : إنه مجنون ، وإذا آمن به أحد أخبرت به الجبابرة ، وأما امرأة لوط : فإنها كانت تدل قومه على أضيافه إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار، وإذا نزل بالنهار دخنت ؛ ليعلم قومه أنه نزل به ضيف ، وقيل : أسرتا النفاق ، وأظهرتا الإيمان ، وقيل : كانتا كافرتين [10].

ومن عجائبهم أن سلسلة الرواة بين الأنبياء تحولت من الرجال إلى الحمير كما روي عن علي بن أبي طالب أنه قال عن حمار رسول الله – ﷺ – المسمى عُفيْراً : " إن ذلك الحمار كلم رسول الله

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤١ صـ ١٩٤ بتصرف. السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ١ صـ ٢٣٩.

(٢) فَصيل : جمعه فِصال وفُصْلان وفِصْلان: ولد الناقة أو البقرة بعد فِطامه. المعجم الوسيط صـ ٦٩١.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤١ صـ ١٩٨ بتصرف. قطب الدين الراوندي : الخرائج والجرائح جـ ١ صـ ٢١٣.

(٤) الوجنة : جزء لحميّ على جانبي الوجه ،أسفل العين وبين الأنف والأذن.د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٣ صـ ٢٤٠٦.

(٥) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ٣ صـ ١١٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٣صـ ٤٢ ،٥٥.

(٦) سورة التحريم : آية رقم ١٠.

(٧) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٤٠٢.

(٨) المصدر السابق جـ ٥ صـ ٣٥٠.

(٩) قال الحر العاملي :" وقد حذف الجملة من الكلام ؛ لعدم إمكان التصريح به ". انظر الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٢٠ صـ ٥٥٩. قلت سبحان الله : استحى الله – عز وجل – من التصريح باللفظ ، ولم يستح الكليني من الستر عليهما ؛ رعاية لمقام النبوة ! .

(١٠) الطبري : تفسير الطبري جـ ٢٨صـ ١٨١. البغوي : تفسير البغوي صـ ١٣٣٠. القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ٢ صـ ٣١١٢.

– ﷺ – فقال : بأبي أنت وأمي[1] إن أبي حدثني ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبيه : أنه كان مع نوح في السفينة ، فقام إليه نوح فمسح على كفله[2] ، ثم قال : يخرج من صلب هذا الحمار حمارٌ يركبه سيد النبيين ، وخاتمهم ، فالحمد لله الذي جعلني ذلك الحمار " [3] والسؤال : إذا أردنا أن نحكم على سند هذا الحديث بتعديل أو تجريح فمن أي كتب الرجال – أقصد الحيوان – نأتي به ؟ .

بل جعلوا النبي – ﷺ – يعمل مرضعاً للحسين – عليه السلام – فقد روي :" أن الحسين لم يرضع من فاطمة – عليها السلام – ولا من أنثى ، بل كان يؤتى به للنبي – ﷺ – فيضع إبهامه في فيه ، فيمص منها ما يكفيه اليومين والثلاث ، فنبت لحم الحسين من لحم رسول الله – ﷺ – ودمه " ، وفي رواية :" كان يلقمه لسانه ؛ فيمصه فيجزئ به " [4].

ونقول : فلماذا بحثوا للنبي – ﷺ – عن مرضعة ، ولماذا يرضع رسول الله – ﷺ – من امرأة مشركة ، ثم لا يرضع الحسين من سيدة نساء العالمين – عليها السلام – ففاته بذلك شرف الشرب من أطهر لبن .

ولا ينقضي العجب حين تسمعهم يقولون : إن الأنبياء – عليهم السلام – كانوا يتوسلون بالأئمة فإن : بني إسرائيل ومعهم موسى – عليه السلام – لما كانوا في زمن التيه ، فإذا أرادوا أن يهتدوا إلى الطريق ؛ كانوا يتوسلون بمحمد وآل محمد ، وحين استمر القتل فيهم يوم أمرهم الله بقتل أنفسهم ؛ ليتوب عليهم ، وفق الله بعضهم فتوسلوا بمحمد وآله ؛ فنودي موسى من السماء : أن كُفَّ القتل عنهم ؛ فقد سألني بعضهم مسألة ، وأقسم عليَّ قسماً ، لو أقسم به هؤلاء العابدون للعجل ، وسألني بعضهم العصمة حتى لا يعبدوه ؛ لوفقتهم ، وعصمتهم ، ولو أقسم عليَّ بها إبليس ؛ لهديته ، ولو أقسم عليَّ بها نمرود[5] ، وفرعون لنجيتهم "[6] .

ولما استسقى موسى – عليه السلام – لقومه دعا الله بحق محمد وآل بيته الطاهرين ؛ فأوحى الله إليه : أن اضرب بعصاك الحجر ؛ فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا[7] .

---

(١) ألا ترى أن قول الحمار هذا فيه من سوء الأدب ما يشمه من عنده مسحة علم في لغة العرب .

(٢) كفل الحمار : مثل عجيزة (مؤخرة) الإنسان . انظر رينهارت بيتر آن دُوزِي : تكملة المعاجم العربية جـ ٧ صـ ١٤٨.

(٣) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٢٣٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٧ صـ٤٠٥.

(٤) الكليني : أصول الكافي جـ١ صـ ٤٦٥. هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٣ صـ ٤٤٨. المجلسي : بحار الأنوار جـ٤٤صـ ١٩٨.

(٥) نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ، وقيل: بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، الذي حاج إبراهيم في ربه ، وهو أول جبار تجبر في الأرض ، وهو صاحب الصرح ببابل ، ويقال : نمروذ أيضاً. الطبري : تفسير الطبري جـ ٣ صـ ٢٥-٢٦.

(٦) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ٥ صـ ٢٣٢- ٢٣٥ بتصرف. المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٣ صـ ٢٣٥.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩١ صـ ٨-٩ بتصرف.

وعن أمير المؤمنين – عليه السلام – أنه : جاء جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وزمرة من الملائكة يشيعون جنازته ، وهم يقولون قدوس ، قدوس ، واللوح الذي وجد مكتوباً عليه قدوس هو : اللوح الذي ادخره نوح – ﷺ – لعلي بن أبي طالب [١].

ثم يصرّحون بفشل النبي – ﷺ – متحدين بذلك مشاعر محبيه فيقول الخميني :" وواضح أن النبي – ﷺ – لو كان قد بلغ بأمر الإمامة طبقاً لما أمر الله به ، وبذل المساعي في هذا المجال ؛ لما نشبت في البلدان الإسلامية كل هذه الاختلافات ، والمشاحنات ، والمعارك ، ولما ظهر خلافات في أصول الدين وفروعه "[٢] ؛ ولذلك كان ولابد أن يكمل الدين على أيدي اثنا عشر كوكباً منيراً يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر ، ويكمل بهم الدين ، وتتم بهم نعمة الهداية والإرشاد [٣] ، فأين ختم النبوة ؟ .

سبحانك هذا بهتان عظيم وقد قال تعالى :" الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" [٤] ، بل جعل النبي – ﷺ – طاعته سبب الوحدة ونبذ الفرقة فقال :" ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَانْتَهُوا، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ " [٥] ، وحتى يكمل دوره في الحياة أخبرنا :" مَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا أَمْرَكُمْ بِهِ اللهُ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ – وفي رواية : يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ – ، وَمَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا نَهَاكُمُ اللهُ عَنْهُ – وفي رواية : يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ – إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ قَدْ نَفَثَ فِي رَوْعِيَ أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ" [٦] ،

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – فَقَالَ : يَا عَلِيُّ إِنَّ فِيكَ مِنْ عِيسَى مَثَلًا أَبْغَضَتْهُ يَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ ، وَأَحَبَّتْهُ النَّصَارَى حَتَّى أَنْزَلُوهُ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي لَيْسَ بِهِ ، قَالَ عَلِيٌّ : وَإِنَّهُ يَهْلَكُ فِيَّ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ ، يَحْمِلُهُ عَلَى أَنْ يَبْهَتَنِي ، أَلَا وَإِنِّي لَسْتُ بِنَبِيٍّ ، وَلَا يُوحَى إِلَيَّ ، وَلَكِنْ أَعْمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ ، فَمَا أَمَرْتُكُمْ مِنْ طَاعَةٍ بِحَقٍّ ، عَلَيْكُمْ طَاعَتِي فِيمَا أَحْبَبْتُمْ

---

(١) السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٣ صـ ٦٣ – ٦٥ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٢ صـ ٢٣٥.

(٢) السيد الخميني : كشف الأسرار صـ ٥٥.

(٣) السيد الخميني : مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية صـ ٧.

(٤) سورة المائدة : آية رقم ٣ .

(٥) مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ١٨٣٠. ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١ صـ ١٩٨. البيهقي : السنن الكبرى جـ ١ صـ ٣٢٩.

(٦) البيهقي : شعب الإيمان جـ ٢ صـ ٤٠٦. والرواية الأخرى جـ ١٣ صـ ١٩. ابن أبي شيبة : المصنف جـ ٧ صـ ٧٩.

وَكَرِهْتُمْ ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ أَوْ غَيْرِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ؛ فَلَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ ، الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ [١].

ولا يزالون مختلفين ففضلوا الإمام علي على النبي – ﷺ – فقد رووا أن النبي – ﷺ – قال :" أُعطيت ثلاثاً ؛ وعلي مشاركيْ فيها – ولو جرأوا لقالوا : وعليٌّ أفضل مني فيها – ، وأُعطي عليٌّ ثلاثاً ، ولم أشاركه فيها ، فقيل : وما الثلاثة التي شاركك فيها ؟ قال : لواء الحمد لي ولعليّ ، وعليٌّ حامله ، والكوثر لي ولعلي ، وعليٌّ ساقيه ، والجنة والنار لي ، وعليٌّ قسيمهما ، وأما الثلاثة التي أُعطي علي ، ولم أشاركه فيها : أعطي علي شجاعة ، ولم أُعط مثلها[٢] ، وأُعطي فاطمة زوجة ، ولم أُعط مثلها ، وأُعطي الحسن والحسين ، ولم أُعط مثلهما " [٣] .

لكن الرسول– ﷺ – يرد على ذلك ويقول : " وبيدي لواء الحمد ، ولا فخر " [٤] فمتى يحمله عليٌّ ، والله تعالى يقول :" أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى * فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى" [٥] .

من آثار التقديس في عقيدة الإمامة : إثبات معجزات للأئمة :

أثبتت الشيعة معجزات لآل البيت ، لكل إمام على حدة ، ونكتفي ببعض ما ذكر من معجزات الإمام الحسن بن علي – عليه السلام – ، واخترناه لأنه أقل أهل البيت حديثاً عندهم ، نظراً لموقفه من معاوية رضي الله عنهما – في عام الجماعة ؛ ولتقيس بعد ذلك على غيره من الأئمة .

فمنها : أن الحسن – عليه السلام – صاح بنخلة ؛ فأجابته بالتلبية ، وسعت إليه كما يسعى الولد إلى والده ، وأخرج زمن النبي – ﷺ – من الصخرة عسلاً ، وكان الحسن إذا سار تظلُّه الطير ، وتجيبه إذا دعاها ، وقد علا يوماً في السماء حتى غاب ثلاثة أيام ، ثم نزل وعليه السكينة والوقار ، فقال : بروح آبائي نلت ما نلت ، وخرج في يوم ليستسقي ؛ فقال للناس : أيهم أحب إليكم اللؤلؤ أم المطر؟ فقالوا : ما أحببت ؛ فقال : على ألا يأخذ أحدكم لدنياه شيئاً ، فأتي بالمطر ، والبرد ، واللؤلؤ ، ثم أخذ يرسل الكواكب حيث أراد ؛ فتطير كالعصافير إلى مواضعها ، وكان في سفر إلى الشام وهو صائم ، فلما حان موعد الإفطار نزلت الملائكة بعشر موائد من السماء ، فيها من

---

(١) ابن الأعرابي : معجم ابن الأعرابي جـ ٢ ص ٧٦٦.

(٢) يرد عليه الإمام علي فيقول :"كنا إِذَا أَحْمَرَّ الْبَأْسُ ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ. انظر النسائي : السنن الكبرى جـ ٨ ص ٣٤. وصححه أبو يعلى الموصلي : مسند أبي يعلى جـ ١ ص ٢٥٨. محمد الريشهري : ميزان الحكمة جـ ٤ ص ٣٢٢٤. الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد جـ ٤ ص ٤٦.

(٣) الشيخ الطوسي : الأمالي ص ٣٤٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٩ ص ٨٩.

(٤) الإمام أحمد : المسند جـ ٤ ص ٣٣٠.

(٥) سورة النجم : آية رقم ٢٣-٢٤.

طعام الجنة ؛ فأكل هو ومن معه ، ثم رفعت بهيئتها ، ولم تنقص منها شيئاً ، وكان يشير إلى السماء ؛ فتنفتح أبوابها ، وينزل منها النور يملأ المدن ، وكان يضرب الأرض برجله ؛ فتظهر له البحور ، ويخرج منها الأسماك ، ويعطيها لمحبيه فيأكلون منها [1] . وهناك المزيد ! لمن أراد أن يعلم أن الأئمة كانت لهم هذه المعجزات الباهرة ، ثم هم : يغتصب منهم الناس الخلافة ، وتضرب أمهم وأبيهم ، ويسم الإمام الحسن ، ويقتل الإمام الحسين ، وزيد بن علي ، وابنه يحيى – رضي الله عنهم – ولا يستخدمون هذه الخوارق ، ويستعملون التقية ! .

أثر التقديس في الاعتقاد : بوجود أنبياء في زمن الفترة بين عيسى ونبينا – عليهما السلام – [2]:

ومن عقائدهم : تواصل إمامة الأئمة من أول آدم حتى قيام الساعة ، بحيث يملئون الفراغ بين النبي والنبي الذي يليه ، فيبقى الإمام إمام زمانه مع كونه ليس خليفة ، ولا أميراً للمؤمنين ، وحتى لو كان مختبئاً في سردابه ، فيجب على الأمة اليقين به وانتظار خروجه ، فلا يقطعون أمراً بغير إذنه .

فلما ختم الله – عز وجل – الرسالة بمحمد – ﷺ – لم يجز أن تخلو الأرض من حجة ، ووصي ، وهاد مذكر، يقوم بأمره ، ويؤدي عنه ما استودعه ، وما حفظه من دين الله ، فجعل الله ذلك سبباً لإمامة متسقة متصلة ؛ لأنه لا يجوز أن تخفى علي الأمة آثار الأنبياء ؛ فكما لا يجوز أن تخلو الأرض من إمام ؛ فلا يجوز أن يكون بين الإمام ومن يعقبه فترة ؛ كما لا يجوز أن تخلو الأرض من نبي !.

وأدَّي بهم القول بعدم خلو الأرض من إمام إلى القول بوجود أنبياء لا يعتقد بهم عموم المسلمين ، فقد ثبت عند الشيعة الاثني عشرية وجود أنبياء مستورين خائفين بين عيسى وبين النبي – عليهما السلام – ، منهم " خالد بن سنان العبسي "[3] ، الذي تواطأت الأخبار عندهم على ذكره ؛ فلا ينكره

---

(١) السيد هاشم البحراني : مدينة معاجز الأئمة الاثنا عشر ودلائل الحجج على البشر جـ ٣ صـ ٢٣١ – ٢٣٧ بتصرف

(٢) الفترة : المدة ما بين رسولين من رسل الله ، قال تعالى : " على فترة من الرسل " المائدة : ١٩ ، وهي مدة لا يبعث فيها رسول . انظر نشوان بن سعيد الحميرى اليمني : شمس العلوم جـ ٨ صـ ٥٠٨١. ابن حبان :صحيح ابن حبان جـ ١٦ صـ ٣٥٦.

(٣) قالت الاثنا عشرية : " إنه نبي أهل الرس ، وهو نبي غير رسول ، وبينه وبين مبعث نبينا خمسون سنة ، وهو الذي رد نار الحرتين بكهفها ، وكانت ببلاد عبس ، دعا قومه فأبوا أن يؤمنوا ، وكانت نار يقال لها : الحدثان تأتيهم كل سنة فتأكل بعضهم ، وكانت تخرج في وقت معلوم ، فقال لهم : إن رددتها عنكم تؤمنوا ، قالوا : نعم ، فجاءت فاستقبلها بثوبه فردها ، ثم تبعها حتى دخلت كهفها ، ودخل معها ، وجلسوا على باب الكهف وهم يرون ألا يخرج أبداً ، فخرج وهو يقول : هذا هذا ، وكل هذا ، من ذا زعمت بنو عبس أني لا أخرج ، وجبيني يندى ، ثم قال : تؤمنوا بي ؟ قالوا : لا ، قال: فإني ميت يوم كذا وكذا ، فإذا أنا مت ، فادفنوني فإنها ستجيء عانة (

منكر لشهرة أخباره عندهم ، كما أن ابنته أدركت رسول الله – ﷺ – ودخلت عليه ؛ فرحب بها ، وقال : "هذه ابنة نبي ضيعه قومه ، خالد بن سنان العبسي " ؛ وذلك ليعلم الخلق أن الله لم يتركهم سدى ، وأنه لطف بهم بالنبوة ، ثم بالإمامة بعد ختم النبوة ، ولولا النص في القرآن ؛ لما قلنا بختم النبوة [1] .

ونرد عليهم بما روي عن أبي عبد الله – عليه السلام – كانت الأرض ، وليس فيها رسول ، ولا نبي ، ولا حجة ، وذلك بين آدم ، ونوح في الفترة . ولو سألت هؤلاء عن هذا ؛ لقالوا : لن تخلو الأرض من حجة ، وكذبوا ؛ إنما ذلك شيء بدا الله – عز وجل– فيه ؛ فبعث الله النبيين مبشرين ، ومنذرين ، وقد كان بين عيسى ، ومحمد – عليهما السلام – فترة من الزمان ، ولم يكن في الأرض نبي ، ولا رسول ، ولا عالم ، فبعث الله محمداً – ﷺ – بشيراً ، ونذيراً ، وداعيا إلى الله [2] ، وعن رسول الله – ﷺ – : " أنا أولى النَّاس بعِيسَى ، وليس بَيْنَنَا نبي " [3].

وهو يرد هنا على ما روي من أن بين عيسى ومحمد – عليهما السلام – أربعةٌ من الأنبياء ؛ ثلاثةٌ من بني إسرائيل ، وواحدٌ من العرب ، وهو خالد بن سِنَان العَبْسي [4] ؛ لأن النكرة في سياق النفي تعم [5] ، فلم يكن بعد عيسى – عليه السلام – إلا رسول الله – ﷺ –[6].

وأما خالد بن سنان العبسي فقد تردد فيه الكثير ، وبعضهم لم يثبته بل هو متنبئ [7] ، وبعضهم قال : إنه كان قبل عيسى [1] .

قطيع) من حمر وحشية يقدمها عير أبتر ، حتى يقف على قبري ، فانبشوني ، وسلوني عما شئتم ، فلما مات دفنوه ، وجاءت العانة ، واجتمعوا ، وجاءوا يريدون نبشه ، فقالوا : ما آمنتم به في حياته ، فكيف تؤمنوا به بعد موته ، ولئن نبشتموه ؛ ليكون سبة عليكم فاتركوه ، فتركوه " . انظر الكليني : الكافي جـ ٨ ص ٣٤٢ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩ ص ١٣٧. الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٦٥٩. قطب الدين الراوندي : الخرائج والجرائح جـ ٢ ص ٩٥ . و الشيخ الطبرسي : الاحتجاج جـ ٢ ص ٩١. كلها بتصرف .

(١) الشيخ علي البحراني : منار الهدى في النص على إمامة الاثني عشر ، تحقيق : السيد عبد الزهراء الخطيب ، ط دار المنتظر – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥ /١٩٨٥م ص ٥٢ – ٥٥ بتصرف.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤ هامش ص ١٢٥.

(٣) صححه الألباني . ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١٤ ص ٣١٦. مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٨٣٧.

(٤) ابن عادل الدمشقي : تفسير اللباب في علوم الكتاب ،ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م جـ ٧ ص ٢٦٦.

(٥) ابن عجيبة : تفسير البحر المديد ، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م جـ ٢ ص ١٦٠.

(٦) أبو السعود : تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ط دار إحياء التراث العربي– بيروت ، دت جـ ٣ ص ٢٢.

(٧) أبو نعيم : معرفة الصحابة جـ ٥ ص ٢٣٨.

لكن في التواريخ إثباته [٢] . نقشت له الشيعة أبواباً ، وصححوا أنه من الأنبياء ، وأنه قبل عيسى ؛ وعلى هذا فالمراد ببنته الجائية إلى الرسول – ﷺ – بنته بالواسطة لا البنت الصلبية ، إذ بقاؤها بعيدٌ جداً [٣] .

ومن معجزات خالد ما جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن الله تعالى خلق في زمن موسى – عليه السلام– طائرة اسمها العنقاء ، لها أربعة أجنحة من كل جانب ، ووجهها كوجه الإنسان ، وخلق لها ذكراً مثلها ، وأوحى إليه : أني خلقت طائرين عجيبين ، وجعلت رزقهما في الوحوش التي حول بيت المقدس ، وآنستك بهما ، وجعلتهما زيادة فيما فضلت به بني إسرائيل ، فتناسلا ، وكثر نسلهما ، فلما توفي موسى – عليه السلام – انتقلت فوقعت بنجد[٤] ، والحجاز[٥]، فلم تزل تأكل الوحش ، وتخطف الصبيان ، إلى أن نُبِّئَ خالد بن سنان بين عيسى ومحمد – عليهما السلام– ، فشكوها إليه ، فدعا الله ، فقطع نسلها ، وانقرضت ، والله أعلم [٦] .

والصحيح : أن العرب لم يأتهم من عهد إسماعيل – عليه السلام– نبيٌّ منهم ، بل لم يرسل إليهم نبيٌ مطلقاً غير النبي – ﷺ – على الأظهر ، وخالد عند الأكثرين ليس بنبي ، وخبر ورود بنتٌ له

---

(١) ابن ماكولا : كتاب الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى ، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ جـ ٧ صـ ٣١. وانظر شمس الدين الدمشقي : توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م جـ ٦ صـ ٩١.

(٢) قال الزركلي : خالد بن سنان : حكيم من أنبياء العرب في الجاهلية ، يدعو الناس إلى دين عيسى ، والرواة مجمعون على أن خالداً دخل ناراً فانطفأت ، واختلفوا في مكانها ، وقالوا : لم يكن في بني إسماعيل نبي غيره قبل محمد – صلى الله عليه وسلم – ، كان بعد المسيح بثلاثمائة سنة ، وقيل : إن خالداً لم يكن يقرأ كتاباً ، ولا يدعي شريعة ، وإنما كانت نبوته مشابهة لنبوة جماعة من أنبياء بني إسرائيل ؛ الذين لم تكن لهم كتب ، ولا شرائع ، إنما ينهون عن الشرك ، ويأمرون بالتوحيد ، وإن صح هذا ، فالوافدة على النبي من حفيداته . انظر الأعلام للزركلي جـ ٢ صـ ٢٩٧.

(٣) الألوسي : تفسير روح المعاني ، ط دار الفكر – بيروت ، ١٤٠٣هـ جـ ٦ صـ ١٠٤.

(٤) نجد : ما بين الحجاز إلى الشام إلى العذيب، فالطائف من نجد ، والمدينة من نجد ، وأرض اليمامة والبحرين إلى عمان إلى العروض . انظر محمد بن عبد المنعم الحِميري : الروض المعطار في خبر الأقطار جـ ١ صـ ٥٧٢.

(٥) الحجاز : سمي الحجاز حجازاً لأنه حجز بين الغور والشام ، وقيل : حجز بين نجد والسراة ، وقالوا : بلاد العرب من الجزيرة التي نزلوها على خمسة أقسام : تهامة ، والحجاز ، ونجد ، والعروض ، واليمن ، وجبل السراة هو الحد بين تهامة ونجد ، لأنه أقبل من اليمن ، وهو أعظم جبال العرب حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازاً . انظر محمد بن عبد المنعم الحِميري : الروض المعطار جـ ١ صـ ١٨٨.

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان جـ ٣ صـ ١٠٢.

عجوز على النبي – ﷺ – فسمعته يقرأ : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " الإخلاص ؛ فقالت : كان أبي يقولها[١] ، ونحوه من الأخبار ممَّا للحفاظ فيه مقال لا يصلح معه هذا الحديث للاستدلال [٢] .

وقيل : معجزة خالد أنه وَقَعَ فِي بَعْض بِلَاد الْحِجَاز فِي الْجَاهِلِيَّة ناراً ظَهَرَتْ بِنَوَاحِي الْمَدِينَة فِي زَمَن خَالِد ، وكان جماعة من العرب يعبدونها مضاهاة للمجوس ، فقال : أنا أقتُلُ هذه النار، كيلا تَعبُدَها العرب فَقَامَ فِي أَمْرِهَا حَتَّى أَخْمَدَهَا ، وَمَاتَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وهو معدود من شعراء الجاهلية [٣] ، وكان خالد بعث مبشراً بمحمد – ﷺ – فيحتمل أنه نبيٌّ مرسل [٤] ، وقيل : ولم يكن نبياً ، ولا مشهوراً [٥] .

والأشبه : أنه كان رجلاً صالحاً له أحوال وكرامات ؛ لأن الله – ﷻ – يقول :" لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ [٦]" [٧] ، ومجمل الأحاديث الواردة في نبوة خالد تدور بين الضعف ، والوضع[٨] . بل ادعوا وجود نبي آخر يدعى : حنظلة بن صفوان[٩] نبيُّ أهل الرسّ ، كان في زمن الفترة بين عيسى والنبي – عليهما السلام– ، وقيل : إن أهل الرسِّ كان بأرضهم جبل يقال له : " رمخ "

---

(١) الحديث رجاله ثقات إلا أنه مرسل ، قال الفضل الشيباني : دخلت على أبي حمزة السكري ؛ فحدثته بهذا عن الكلبي ، فقال : استغفر الله ، استغفر الله . وقال القاضي عياض : وخالد بن سنان يقال : إنه نبي أهل الرس ، ضعفه أبو حاتم الرازي ، ويقال : إن أهل المغرب رأوا في أعلى جبل في غار هناك رجلًا عليه صوف أبيض ، ورأسه على يديه كأنه نائم لم يتغير منه شيء ، وإن أهل تلك الناحية يشهدون أنه خالد بن سنان ، وشهادة أهل تلك الناحية بذلك مردودة ، فأين بلاد بني عبس من جبال المغرب . انظر ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق:علي محمد البجاوي ، نشر دار الجيل – بيروت ، ط١، ١٤١٢هـ جـ ٢ صـ ٢٧٠–٢٧٣ بتصرف.

(٢) الألوسي : تفسير روح المعاني جـ ٢١ صـ ١١٩.

(٣) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري جـ ١٣ صـ ٩٣.

(٤) أبو العباس القسطلاني : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ،ط المطبعة الكبرى الأميرية – القاهرة، ط٧، ١٣٢٣هـ جـ ٦ صـ ٢٣٩.

(٥) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ١ صـ ٣٨٩. أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي : ذيل ميزان الاعتدال ، تحقيق : علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م صـ ٢٢٢.

(٦) سورة القصص : آية رقم ٤٦. وسورة السجدة : آية رقم ٣.

(٧) الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٢ صـ ٢١١–٢١٢.

(٨) أبُو طالب القضاعي الأندلسيّ الطّرطوشيّ : تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل ، تحقيق : مصطفى باحو ، ط دار الإمام مالك ، أبو ظبي – الإمارات ، ط١ ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م جـ ٢ هامش صـ ٥٨٢.

(٩) عن ابن عباس : بعث الله إلى أهل الرس نبياً منهم يقال له : حنظلة بن صفوان ؛ فكذبوه ؛ وقتلوه فأوحى الله تعالى إلى نبي كان مع بختنصر يقال له : أرميا بن برخيا : مُر بختنصر يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم فيقتلهم بما صنعوا بنبيهم ، و روي أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " ذاك نبي أضاعه قومه " ، وذلك أنه قال لقومه : ادفنوني فإذا جاءت الظباء بعد ثلاث ؛ فأخرجوني فسأنبئكم بما أُمرت ؛ فجاءت الظباء إلى قبره بعد ثلاث فلم يخرجوه ، وقالوا تتحدث العرب عنا إنا نبشنا موتانا ، وأتت بنته رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقرأ : "قل هو الله أحد " فقالت : قد كان أبي يقرأ هذا ولا يضبط ذكر من سلف من الأنبياء لكثرتهم وقول الله تعالى لنبيه

صاعد في السماء قدر ميل ، وكان به طيور كثيرة ، وكانت العنقاء طائرة عظيمة الخلق ، وكانت تأتي في السنة مرة هذا الجبل ؛ فتلتقط طيره ، فجاعت في بعض السنين ، وأعوزها[1] الطير ؛ فانقضت على صبي ؛ فذهبت به ، فسميت : " عنقاء مغرباً " لإبعادها بما تذهب به ، ثم ذهبت بجارية أخرى ، فشكا أهل الرس إلى نبيهم حنظلة بن صفوان ؛ فدعا عليها ، فأصابتها صاعقة ؛ فاحترقت ، والله أعلم[2] .

والظاهر – والله أعلم – أن هذا من الأساطير ؛ لأن اتحاد معجزتيهما يوحي بالاختلاق ، والاضطراب ، ثم ما الفائدة من التمسك بهذين النبيين غير أمنية الشيعة إثبات دوام الإمامة ؟ .

أثر تقديس الأئمة : على عقيدة الإيمان باليوم الآخر عند الشيعة الاثني عشرية :

يظهر تقديس الأئمة في عقيدة اليوم الآخر في كل مراحل ومنازل هذا اليوم العظيم الذي يبدأ من موت الإنسان ، وينتهي بدخول الجنة أو النار ، ولهذا التقديس معالم تظهر في أشياء منها :

أولا : وجوب تلقين المحتضر أسماء الأئمة : عن أبي جعفر – عليه السلام –:" لقنوا موتاكم عند الموت شهادة أن لا إله إلا الله ، والولاية " [3] ، فإذا حضرت الشيعي الوفاة ؛ فالواجب على من يحضره أن يلقنه : شهادة أن لا لإله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمد عبده ورسوله ، وأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ولي الله القائم بالحق ، ويسمي له الأئمة واحداً واحداً ؛ ليقر ويختم بذلك أعماله [4] ، وكذلك يفعل به عند دفنه ، فإذا فعل ذلك ؛ كفي المسألة بعد الدفن – إن شاء الله – [5] ، ويختم صلاة الجنازة بالسلام على الأئمة ، والسلام على عباد الله الصالحين بدلاً من السلام عليكم ورحمة الله [6] .

صلى الله تعالى عليه وسلم : " منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك " غافر : ٧٨، والله تعالى أعلم . انظر الماوردي : أعلام النبوة ، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي ، نشر دار الكتاب العربي – بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧م صـ ٥٤. الحافظ ابن كثير : السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، نشر دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧١م جـ ١ صـ ١٠٦. ولابن كثير : قصص الأنبياء جـ ١ صـ ٣٧٦. البداية والنهاية جـ ١ صـ ٢٢٧.

(١) أعوز : احتاج الشيء فلم يوجد مع الحاجة إليه . د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٢ صـ ١٥٧٥.

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان جـ ٣ صـ ١٠٢.

(٣) الكليني : الفروع من الكافي جـ ٣ صـ ٨٢ .الشيخ الطوسي : تهذيب الأحكام جـ ١ صـ ١٩٥.الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٢ صـ ٤٢٢. قطب الدين الراوندي : الدعوات صـ ٢٤٧. المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٣ صـ ٣٦١.

(٤) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٧٣.

(٥) المصدر السابق صـ ٨١.

(٦) المصدر السابق صـ ١١٤.

وقد جاء عن الصادق – عليه السلام – أنه قال لأحد الشيعة : " دع ما أنت عليه من الذنب ؛ وأضمن لك على الله الجنة " ، فلما احتضر قال :" قد وفَّى الصادق لنا" (١) .

ثانيا : الاعتقاد بأن رسول الله – ﷺ – والأئمة يشاهدون وفاة شيعتهم : فالأئمة الماضون ، والمؤمنون ينَّعمون ويرزقون ، فإذا زيرت قبورهم أو صُليَّ عليهم أبلغهم الله ؛ فكانوا بالإجماع له سامعين مشاهدين ، وقد روي أن سيدنا رسول الله – ﷺ – وأمير المؤمنين وآلهما – عليهم السلام – يحضران عند كل ميت وقت قبض روحه في شرق الأرض وغربها ، ولكن كذَّبه بعضهم ؛ بأن هذا من المحال ؛ إذ لا يعقل أن يكونوا – صلوات الله عليهم – في الشرق والغرب في وقت واحد ، ولكن يمكن أن نؤول ذلك بتصوير الله لهم ؛ ليبشروا المُوالى لهم ، ويحذروا المعادي لهم (٢) إذاً يشهدون غير الشيعة أيضاً .

ورؤية المحتضرين رسول الله – ﷺ – وأمير المؤمنين عند الوفاة من الأبواب التي أجمع عليه أهل الإمامة ، وتواتر الخبر به عن الصادقين من الأئمة (٣) ، وقال الله – ﷻ – : " وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" (٤) ؛ يعني بالمؤمنين : الأئمة بلا شك في صحته ، ولا ارتياب"(٥) .

ثالثا : الاعتقاد بأن الدار الآخرة بما فيها ملكٌ لهم : فعن علي – عليه السلام – :" بي وعلى يدي تقوم الساعة "(٦) ؛ حتى أن أمير المؤمنين لم يجد لسيدة نساء العالمين مهراً أغلى من الجنة والنار مع ربع الدنيا ؛ عن أبي عبد الله – عليه السلام – : إن الله تعالى أمهر فاطمة – عليها السلام – ربع الدنيا ، وأمهرها الجنة والنار، تدخل أعداءها النار ، وتدخل أولياءها الجنة "(٧) .

مع أن فاطمة – رضي الله عنها – قالت للنبي – ﷺ – معترضة :" يَا رَسُولَ اللَّهِ ، زَوَّجْتَنِي حَمْشَ السَّاقَيْنِ(٨) ، عَظِيمَ الْبَطْنِ ، أَعْمَشَ الْعَيْنِ ، قَالَ: «زَوَّجْتُكَ أَقْدَمَ أُمَّتِي سِلْمًا ، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا ، وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمً "(٩) ، فبماذا ترد الشيعة ؛ سيقولون : نواصب .

---

(١) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٤٧٤ بتصرف . الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ١١٢ بتصرف .

(٢) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ١ صـ ٢٨٠.

(٣) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٧٦.

(٤) سورة التوبة : آية رقم ١٠٥ .

(٥) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٧٩.

(٦) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٥ صـ ٢٩٥.

(٧) الشيخ الطوسي : الأمالي صـ ٦٦٨. ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ٣ صـ ١٢٨.

(٨) حمش الساقين : الدقيق القوائم . انظر نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ٣ صـ ١٥٦٥.

(٩) ضعيف . ابن أبي شيبة : المصنف جـ ٦ صـ ٣٧٤.

ويقول أبو عبد الله – عليه السلام – :" إلينا الصراط ، وإلينا الميزان ، وإلينا حساب شيعتنا " [١] ، وعن الرضا – عليه السلام – : يقف عليٌّ أمام النار يوم القيامة ، ويقول لها :" هذا لي ، وهذا لك "[٢] ؛ لأن " أمير المؤمنين ديان الناس يوم القيامة "[٣] ، وعن أبي الحسن – عليه السلام – :" إلينا إياب الخلق ، وعلينا حسابهم ، فما كان لهم من ذنب فيما ينهم وبين الله : حتمنا على الله في تركه ؛ فأجابنا إلى ذلك ، وما كان بينه وبين الناس استوهبناه منهم ، وأجابوا إلى ذلك ، وعوضهم الله "[٤] .

ولكننا نحب أن نسوي بين الخلفاء الأربعة في الفضل فعن رسول الله – ﷺ – " يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ أَيْنَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ؟ فَيُؤْتَى بِأَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، وَعُثْمَانَ ، وَعَلِيٍّ ؛ فَيُقَالُ لِأَبِي بَكْرٍ: قِفْ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَأَدْخِلْ مَنْ شِئْتَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ، وَارْدَعْ مَنْ شِئْتَ بِعِلْمِ اللَّهِ ، وَيُقَالُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : قِفْ عِنْدَ الْمِيزَانِ فَثَقِّلْ مَنْ شِئْتَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ، وَخَفِّفْ مَنْ شِئْتَ بِعِلْمِ اللَّهِ ، وَيُكْسَى عُثْمَانُ حُلَّتَيْنِ فَيُقَالُ لَهُ : الْبَسْهُمَا فَإِنِّي خَلَقْتُهُمَا وَادَّخَرْتُهُمَا حِينَ أَنْشَأْتُ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيُعْطَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَصَا عَوْسَجٍ[٥] مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي غَرَسَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ : ذُدِ النَّاسَ عَنِ الْحَوْضِ "، فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ : لَقَدْ سَاوَى اللَّهُ بَيْنَهُمْ فِي الْفَضْلِ وَالْكَرَامَةِ "[٦] .

ولكن الشيعة تؤمن بأن الآخرة ملك الأئمة ؛ فتجعل من مناسك زيارة قبورهم دعاء :" إياب الخلق إليكم ، وحسابهم عليكم ، وفصل الخطاب[٧] عندكم " [١] ، قال – ﷻ – :" إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ " [٢].

---

(١) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٢٨٥ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٧ص ٧٨. الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين ، تحقيق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، نشر مؤسسة إسماعيليان – قم ، ط٤ ، ١٤١٢هـ /١٣٧٠ ش جـ ٥ ص ٥٦٩.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩ ص ١٩٤. الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ١ص ٢٣٩.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٩ ص ٢٠٠.

(٤) الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ ص ١٦٢. ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ٢ ص ٣٠٢.

(٥) عَوْسَج : جنس نبات شائك من الفصيلة الباذنجانيَّة ، له ثمر مدوَّر كأنَّه خرز العقيق يسمى : المِصَع ، ينفع في كثير من الأمراض ، والغرقد : كبار العوسج . د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٢ ص ١٥٧٥. نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ٧ ص ٤٥٣٢.

(٦) البزَّاز: الفوائد (الغيلانيات) ، تحقيق : حلمي كامل ، نشر دار ابن الجوزي – الرياض ، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ص ١٠٧ – ١٠٨.

(٧) فصل الخطاب : قال ابن عباس : بيان الكلام ، وقال ابن مسعود ، والحسن ، والكلبي ، ومقاتل : علم الحكم والتبصر في القضاء. وقال علي بن أبي طالب : هو أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر، لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به. ويروى ذلك عن أبيّ بن

بل إن من أصول الإيمان عندهم : الاعتقاد بأن حساب جميع الخلائق يوم القيامة إلى الأئمة " [٣]
.

لكن هناك فرصة للنجاة : قال رسول الله – ﷺ – :" لو اجتمعت الخلائق على حب علي بن أبي طالب ما خلق الله تعالى النار [٤]، وقال لعليّ : " ولكنت أنت وشيعتك الفائزون يوم القيامة "[٥] .

رابعاً : الاعتقاد بأن رسول الله – ﷺ – والأئمة يشفعون يوم القيامة في مذنبي الشيعة خاصة :

على هذا القول إجماع الإمامية إلا من شذ منهم ، وقد نطق به القرآن ، وتظاهرت به الأخبار"[٦] ، يقول الرضا – عليه السلام – : " إذا كان يوم القيامة ولينا حساب شيعتنا ، فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله : حكمنا فيها ؛ فأجابنا ، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبين الناس استوهبناه ؛ فوهبت لنا ، ومن كانت مظلمته بينه وبيننا كنَّا أحق مَنْ عفى وصفح " [٧].

خامساً : الاعتقاد بأن الجنة والنار بيد علي وأن الله خلق الجنة من نور الحسين [٨] ؛ فعن رسول الله – ﷺ – :" لا يدخل الجنة إلا من جاء بجوار علي بن أبي طالب "[٩]، وعنه أيضاً :" إذا كان يوم القيامة أمر الله جبرائيل أن يجلس على باب الجنة ، فلا يدخلها إلا من معه براءة من العذاب من علي بن أبي طالب " ، وعنه أيضا :" إذا كان يوم القيامة ، ونصب الصراط على شفير جهنم ، لم يجز عليه إلا من كان معه كتاب من علي بن أبي طالب " ، وعنه أيضا :" حب علي حسنة لا يضر معها سيئة ، وبغض علي سيئة لا تنفع معها حسنة " ، وعنه أيضاً :" من

كعب قال : "فصل الخطاب": الشهود والأيمان . وهو قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح . وروي عن الشعبي: أن فصل الخطاب: هو قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه: "أما بعد" إذا أراد الشروع في كلام آخر . انظر البغوي : تفسير البغوي صـ ١١٠٧.

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٧ صـ ٣٤٤. الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ١ صـ ٣٠٦. النوري الطبرسي : مستدرك الوسائل جـ ١٠ صـ ٤٢٠. الشيخ الصدوق : من لا يحضره الفقيه جـ ٢ صـ ٦١٢.

(٢) سورة الغاشية : آية رقم ٢٥ – ٢٦ .

(٣) الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة جـ ١ صـ ١٧١. والمصدر نفسه جـ ١ صـ ٤٤٦.

(٤) الشيخ جعفر كاشف الغطاء : كشف الغطاء عن مبهمات شريعة الغراء جـ ١ صـ ١٧.

(٥) شاذان بن جبرائيل القمي : الفضائل صـ ١١٢. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٩ صـ ٢٤٨.

(٦) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٧٩– ٨٠.

(٧) الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ٢ صـ ٣٧٢. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨ صـ ٤٠.

(٨) محمد باقر الكاجوري:الخصائص الفاطمية،ترجمة:سيد أشرف،ط شريعت – انتشارات الشريف الرضى – قم ، ط١، ١٣٨٠هـ صـ ٥٤٩.

(٩) عن سلمان – رضي الله عنه – قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إِلَّا بِجَوَازٍ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ أَدْخِلُوهُ جَنَّةً عَالِيَةً قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ " . انظر ابن الأعرابي : معجم ابن الأعرابي جـ ٢ صـ ٦٠٣.

أحب علياً قُبِل الله صلاته ، وصومه ، واستجاب دعائه ، ألا ومن أحب علياً ؛ أعطاه الله بكل عرق في بدنه مدينة في الجنة ، ألا ومن أحب آل محمد ؛ فأنا كفيله في الجنة مع الأنبياء ، ألا ومن أبغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله " ، وعنه أيضا :" من أغضب عليا بعدي فهو كافر ، وقد حارب الله ورسوله " [1] ، وعنه أيضا : يا علي : لا يبالي من مات يبغضك مات يهودياً أو نصرانياً " ، وقال : يا علي أنت صاحب حوضي [2] ، وعنه :" إن علي بن أبي طالب أول من يدخل الجنة ؛ لأنه يقدمني وبيده لوائي ، تحته آدم ، ومن دونه "[3] ، وعنه أنه – ﷺ – قال لعلي – رضي الله عنه – : يا علي سألت ربي فيك خمس خصال ؛ فأعطاني ، أما أولها : فسألت ربي أن أكون أول من تنشق عنه الأرض ، وأنفض التراب عن رأسي ، وأنت معي ؛ فأعطاني . وأما الثانية : فسألت ربي أن يقفني عند كفة الميزان ، وأنت معي ؛ فأعطاني . وأما الثالثة : فسألت ربي أن يجعلك في القيامة صاحب لوائي ؛ فأعطاني . وأما الرابعة : فسألت ربي أن يسقى أمتي من حوضي بيدك ؛ فأعطاني . وأما الخامسة : فسألت ربي أن يجعلك قائد أمتي إلى الجنة ؛ فأعطاني ، فالحمد لله الذي من علي بذلك [4] ، وعنه – صلى الله عليه وسلم – أنه رأي في ليلة المعراج : " على كل باب من أبواب الجنة الثمانية مكتوباً : لا اله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله " [5] .

وعند أهل السنة أن أول من يدخل الجنة هو رسول الله – ﷺ – [6] ، وبعده أبو بكر – رضي الله عنه – [7] ، وعنه – ﷺ – :" أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ، وَمُشَفَّعٍ ، بِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ ، تَحْتِي آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ " [8] ، وهو أول من يقرع باب

---

(١) جعفر كاشف الغطاء : كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء ، انتشارات مهدوي – أصفهان – إيران ، د ت جـ ١صـ ١٧بتصرف .

(٢) الإمام الرضا : مسند الإمام الرضا جـ ٧ صـ ١٠٢.

(٣) الشيخ الصدوق : الأمالي صـ ٣٥٤.

(٤) الشيخ الصدوق : الخصال صـ ٤٢٩ .

(٥) حسن بن سليمان الحلي : المحتضر صـ ١٨٩. قال أبو نعيم : تَفَرَّدَ بِهِ أَشْعَثُ ، وَكَادِحُ بْنُ رَحْمَةَ عَنْ مِسْعَرٍ: حلية الأولياء جـ ٧صـ ٢٥٦.

(٦) البيهقي : شعب الإيمان جـ ٣ صـ ٧٥. الدارمي : سنن الدارمي ، تحقيق : حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني – الرياض ، ط١، ١٤١٢هـ / ٢٠٠٠م جـ ١صـ ١٩٨.

(٧) ضعيف . أبو داود : سنن أبي داود جـ ٤ صـ ٢١٣.

(٨) صحيح . ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١٤صـ ٣٩٨. البيهقي : شعب الإيمان جـ ٣صـ ٧٤. الترمذي : سنن الترمذي جـ ٥صـ ٣٠٨.

الجنةفلا يفتح إلا له [1] ؛ قال – ﷺ – :" إِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْ جُمْجُمَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، آتِي بَابَ الْجَنَّةِ فَآخُذُ حَلْقَتَهُ ؛ فَيَقُولُ: مَنْ هَذَا ؟ فَأَقُولُ : أَنَا مُحَمَّدٌ ؛ فَيَفْتَحُونَ لِي فَأَدْخُلُ ، فَأَجِدُ الْجَبَّارُ مُسْتَقْبِلِي فَأَسْجُدْ لَهُ "[2].

وعند أهل السنة المكتوب على باب الجنة :" الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، وَالْقَرْضُ الْوَاحِدُ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ ؛ لِأَنَّ صَاحِبَ الْقَرْضِ لَا يَأْتِيكَ إِلَّا وَهُوَ مُحْتَاجٌ ، وَأَنَّ الصَّدَقَةَ رُبَّمَا وُضِعَتْ فِي غِنًى" [3] .

وعنه – ﷺ – :" عليٌّ معي في السنام الأعلى ، والذائد عن حوضي[4] ، وصاحب شفاعتي ، إن الله دافع إليَّ يوم القيامة لواءين لواء الحمد ولواء الشفاعة ، ولواء الشفاعة بيدي ، ولواء الحمد بيد علي ، وهو واقف على حوضي ، لا يسقي من حوضي من شتمه ، أو شتم أهل بيته ، ولا من قتله ، ولا من قتل أهل بيته" [5] ، وفي رواية :" صاحب لواء الحمد يسبقني به إلى الجنة ، وهو عون لي على مفاتيح خزائن الجنة "[6] .

وما المانع بأن نقول بما رويَ عن النبي – ﷺ – :" إِنَّ عَلَى حَوْضِي أَرْبَعَةَ أَرْكَانٍ ، فَأَوَّلُ رُكْنٍ مِنْهَا فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ، وَالرُّكْنُ الثَّانِي فِي يَدِ عُمَرَ ، وَالرُّكْنُ الثَّالِثُ فِي يَدِ عُثْمَانَ ، وَالرُّكْنُ الرَّابِعُ فِي يَدِ عَلِيٍّ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَأَبْغَضَ عُمَرَ لَمْ يَسْقِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَمَنْ أَحَبَّ عُمَرَ وَأَبْغَضَ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَسْقِهِ عُثْمَانُ ، وَمَنْ أَحَبَّ عُثْمَانَ وَأَبْغَضَ عَلِيًا لَمْ يَسْقِهِ عُثْمَانُ ، وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا وَأَبْغَضَ عُثْمَانَ لَمْ يَسْقِهِ عَلِيٌّ ، وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَبِي بَكْرٍ فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ ، وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي عُمَرَ فَقَدْ أَوْضَحَ السَّبِيلَ ، وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي عُثْمَانَ فَقَدِ اسْتَنَارَ بِنُورِ اللَّهِ ، وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي عَلِيٍّ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ، وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِي فَهُوَ مُؤْمِنٌ" [7] .

بل يروون عنه – ﷺ – : " الجنة تشتاق لثلاثة : علي بن أبي طالب ، وعمار ، وسلمان " [8] ، وكنا نود أن يكون أكثر الصحابة منهم لكن هيهات لهم الجنة من مبغضين لهم .

---

(١) مسلم : صحيح مسلم جـ ١ صـ ١٨٨. ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١٤صـ ٤٠٠.

(٢) صحيح . النسائي : سنن النسائي جـ ٧ صـ ١٣٦. الدارمي : سنن الدارمي جـ ١ صـ ١٩٨. البغوي : شرح السنة جـ ١٥ صـ ١٦٧.

(٣) البيهقي : شعب الإيمان جـ ٥صـ ١٨٩. أبو نعيم : حلية الأولياء جـ ٨ صـ ٣٣٣.

(٤) لم يرد تصريح عند أهل السنة بمن يذود الناس عن الحوض يوم القيامة . انظر صحيح مسلم جـ ١صـ ٢١٨. صحيح ابن حبان جـ ٣صـ ٣٢١.

(٥) النعمان المغربي:شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، تحقيق : محمد الجلالي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، دت جـ ٢صـ ٢٠١.

(٦) القاضي النعمان المغربي: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار جـ ٢ صـ ٤٦٤– ٤٦٥ بتصرف .

(٧) البزّار: الفوائد (الغيلانيات) صـ ١٠٦ – ١٠٧.

(٨) القاضي النعمان المغربي: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار جـ ٢ صـ ٤٦٤– ٤٦٥ بتصرف .

وهنا ينادي مناد يوم القيامة كما قال – ﷺ – :" هذا علي بن أبي طالب يدخل الجنة من يشاء ، وينادي مناد آخر : هذا علي بن أبي طالب صاحب النار يدخلها من يشاء " [1] ، وعنه :" إن حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب ، فإذا دقت الحلقة على الصفيحة طنت وقالت : يا علي" [2] .

وقال الله – عز وجل – لآدم – عليه السلام – :" خلقت الجنة لهم ، ولمن والاهم ، والنار لمن عاداهم ، لو أن عبداً من عبادي أتي بذنوب كالجبال الرواسي ، ثم توسل لي بحق هؤلاء ؛ لعفوت له ، فتوسل آدم بهم " [3] ، فلماذا العمل إذاً ؛ فالحب والولاية يكفيان لدخول الجنة عندهم .

وعن رسول الله – ﷺ – : في الجنة ثلاث درجات ، وفي النار ثلاث دركات ؛ فأعلى درجات الجنة : لمن أحبنا بقلبه ، ونصرنا بلسانه ويده ، وفي الدرجة الثانية : من أحبنا بقلبه ، ونصرنا بلسانه ، وفي الدرجة الثالثة : من أحبنا بقلبه ؛ وفي أسفل درك من النار : من أبغضنا بقلبه ، وأعان علينا بلسانه ويده ، وفي الدرك الثانية من النار : من أبغضنا بقلبه ، وأعان علينا بلسانه ، وفي الدرك الثالثة من النار : من أبغضنا بقلبه " [4] ونحن نعترف معهم بأنهم يستحقون أكثر من ذلك جنة وناراً ، ولا نعترض .

وماذا يقولون حين يسمعون أن سب عليّ – رضي الله عنه – كان يُعرض على الصحابة فيقول الواحد منهم :" مَعَاذَ اللَّهِ ، فَلَوْ وُضِعَ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِي ؛ عَلَى أَنْ أَسُبَّ عَلِيًّا مَا سَبَبْتُهُ أَبَدًا ؛ بَعْدَمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ – مَا سَمِعْتُ "[5] أي من مناقبه الجمة التي لا ينكرها إلا ناصب .

وعن رسول الله – ﷺ – :" ما من عبد ولا أمة يموت وفي قلبه مثقال حبة من خردل من حب علي إلا أدخله الله الجنة "[6] ، و" لا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين ، ولا يدخل النار إلا

---

(١) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٤٣٥. الشيخ الصدوق : علل الشرائع جـ ١صـ ١٦٤.

(٢)الصدوق:الأمالي صـ٦٨٥ ، علل الشرائع جـ ١صـ١٦٤.الفتال النيسابوري:روضة الواعظين صـ١١١.هاشم البحراني:مدينة المعاجزجـ٢صـ٣٦٢.

(٣) القاضي النعمان المغربي : شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار جـ ٣ صـ ٦ بتصرف . السيد علي الأبطحي : الإمام الحسين في أحاديث الفريقين ، ط أمير – قم ، ط١ ، ١٤١٨هـ جـ ٢ صـ ٣١٢ بتصرف .

(٤) أحمد بن محمد بن خالد البرقي : المحاسن جـ ١ صـ ١٥٣.

(٥) ابن أبي شيبة : المصنف جـ ٦ صـ ٣٧٣.

(٦) الطوسي : الأمالي صـ ٣٣٠.

من أبغضه من الأولين والآخرين" [1] ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام –:" من أحبكم على ما أنتم عليه دخل الجنة ، وإن لم يقل كما تقولون " [2]. فالحمد لله على حب أهل البيت !.

ونحن نحب علياً لأن النبي – ﷺ – أمرنا في شخص من أصحابه وهو بريدة [3] – رضي الله عنه – فقال :" يَا بُرَيْدَةُ تُبْغِضُ عَلِيًّا ؟ ، فَقُلْتُ: نَعَمْ ، فقَالَ : لَا تُبْغِضْهُ " [4] ، وفي رواية :" وَإِنْ كُنْتَ تُحِبُّهُ فَازْدَدْ لَهُ حُبًّا وفي رواية :" مَرَرْتُ مَعَ عَلِيٍّ إِلَى الْيَمَنِ ، فَرَأَيْتُ مِنْهُ جَفْوَةً ، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – : ذَكَرْتُ عَلِيًّا فَتَنَقَّصْتُهُ ، فَجَعَلَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – يَتَغَيَّرُ ؛ فَقَالَ : أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟ ، قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ [5]؛ فقال بريدة :" فَمَا كَانَ أَحَدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ – ﷺ – أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَلِيٍّ"[6] .

قُلْتُ : لَعَلَّ بُرَيْدَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – بِإِزْرَائِهِ عَلَى نَفْسِهِ ، يَصِيْرُ لَهُ عَمَلُهُ ذَلِكَ طَاعَةً وَجِهَاداً![7] ؛ لأن هذا يدل على إخلاصه : حين يذكر ما ينتقص به قدر نفسه ؛ ليرفع به قدر علي – رضي الله عنه –.

بل كان الصحابة – رضي الله عنهم – يتحدون من كان يُظَنُّ فيهم بُغْض علي بإظهار ما يظهر حبه مثل ما فعل ابن عباس – رضي الله عنه – حين كان في الحج فلم يسمع من الناس تلبية فسأل :" مَا لِي لَا أَسْمَعُ النَّاسَ يُلَبُّونَ ؟ قيل : يَخَافُونَ مِنْ مُعَاوِيَةَ ؛ فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ فُسْطَاطِهِ ، فَقَالَ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ تَرَكُوا السُّنَّةَ مِنْ بُغْضِ عَلِيٍّ "[8] ، ونحن ننأى بمعاوية عن هذا بدليل أن التلبية ما زالت إلى يومنا ، ولم نسمع بأن معاوية – رضي الله عنه – عاقب أحداً على التلبية ، ولم تتهم الشيعة معاوية بهذا ، بل صرح رسول الله – ﷺ فقال :" لَا يُبْغِضُ عَلِيًّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُحِبُّهُ مُنَافِقٌ "[9] ونحن نصدق علياً حين قال :" لَيُحِبُّنِي قَوْمٌ حَتَّى يَدْخُلُوا

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٩ صـ ١٩٥.

(٢) الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ صـ ٢٠٨٩ . الشيخ الطوسي : تهذيب الأحكام جـ ١ صـ ١٩٥.

(٣) بُرَيْدَةُ بنُ الحُصَيْبِ بنِ عَبْدِ اللهِ الأَسْلَمِيُّ : أَبُو عَبْدِ اللهِ ، و أَبُو سَهْلٍ ، وَأَبُو سَاسَانَ ، وَأَبُو الحُصَيْبِ ، أَسْلَمَ عَامَ الهِجْرَةِ ، وَشَهِدَ غَزْوَةَ خَيْبَرَ، وَالفَتْحَ، وَكَانَ مَعَهُ اللِّوَاءُ ، مات : ٦٣هـ أو ٦٢هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ٤٦٩– ٤٧٠.

(٤) البخاري : صحيح البخاري جـ ٥ صـ ١٦٣. البيهقي : السنن الكبرى جـ ٦ صـ ٥٥٦.

(٥) ابن أبي شيبة : المصنف جـ ٦ صـ ٣٧٤.

(٦) النسائي : سنن النسائي الكبرى جـ ٤ صـ ١٥١.

(٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ٤٧٠.

(٨) البيهقي : السنن الكبرى جـ ٥ صـ ١٨٣. النسائي : سنن النسائي الكبرى جـ ٧ صـ ٤٤٣.

(٩) ابن أبي شيبة : المصنف جـ ٦ صـ ٣٧٢.

النَّارَ فِي حُبِّي ، وَلَيُبْغِضُنِي قَوْمٌ حَتَّى يَدْخُلُوا النَّارَ فِي بُغْضِي" ، وقال :" يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ: مُفْرِطٌ فِي حُبِّي وَمُفْرِطٌ فِي بُغْضِي "[١].

وكانت الصحابة تدافع عن علي ولا يخافون في ذلك لومة لائم ؛ فهذا ابن عمر [٢] – رضي الله عنه – جَاءَهُ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ[٣] فَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْغَضُ عَلِيًّا، قَالَ : فَرَفَعَ إِلَيْهِ ابْنُ عُمَرَ رَأْسَهُ فَقَالَ: أَبْغَضَكَ اللَّهُ ، تُبْغِضُ رَجُلًا سَابِقَةٌ مِنْ سَوَابِقِهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، ثم قال رجل من أصحاب النبي – ﷺ – : لَقَدْ جَاءَ فِي عَلِيٍّ مِنَ الْمَنَاقِبِ مَا لَوْ أَنَّ مَنْقَبًا مِنْهَا قُسِمَ بَيْنَ النَّاسِ لَأَوْسَعَهُمْ خَيْرًا[٤] ؛ ولذلك نقف في صف علي حين صَعِدَ عَلِيٌّ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: " اللَّهُمَّ الْعَنْ كُلَّ مُبْغِضٍ لَنَا ، قَالَ: وَكُلَّ مُحِبٍّ لَنَا غَالٍ "[٥] ، لكنها سنة الله الماضية التي أخبر بها النبيُّ – ﷺ – علياً فقال :" سَتَلْقَى بَعْدِي جَهْدًا ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فِي سَلَامَةٍ فِي دِينِي ؟ قَالَ : نَعَمْ "[٦] .

سادساً : الاعتقاد بأن ملك الموت لا يقبض روح علي : قال رسول الله – ﷺ – : ليلة أسري بي إلى السماء ، ما مررت بملأ من الملائكة إلا سألني عن علي ، حتى ظننت أن اسمه أشهر من اسمي ، فلما رقيت إلى السماء السابعة ، إذا أنا بملك لم أر في الملائكة أعظم منه خلقاً ، وهو جالس على منبر من نور ينظر في لوح ، فلما مثلت بين يديه ارتعدت فرائصي ، فقال لي جبرائيل : لا روع عليك يا محمد ، هذا ملك الموت ، أدن منه فسلم عليه ؛ فدنوت وسلمت ؛ فرد علي السلام

---

(١) المرجع السابق جـ ٦ صـ ٣٧٤.

(٢) عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ بنِ نُفَيْلٍ العَدَوِيُّ : أَسْلَمَ وَهُوَ صَغِيْرٌ، ثُمَّ هَاجَرَ مَعَ أَبِيْهِ لَمْ يَحْتَلِمْ ، وَاسْتُصْغِرَ يَوْمَ أُحُدٍ وله ١٤ سنة ، فَأَوَّلُ غَزَوَاتِهِ الخَنْدَقُ ، وَهُوَ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، رَوَى عِلْماً كَثِيْراً نَافِعاً ، لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ ، قَالُوا له : إِنَّكَ سَيِّدُ النَّاسِ وَابْنُ سَيِّدِهِم ، فَاخرُجْ يُبَايِعْ لَكَ النَّاسُ ؛ فَقَالَ : لَئِنِ اسْتَطَعْتُ لاَ يُهْرَاقُ فِيَّ مِحْجَمَةٌ ؛ قَالُوا : لَتَخْرُجَنَّ أَوْ لَنُقْتَلَنَّ عَلَى فِرَاشِكَ ؛ فَأَعَادَ قَوْلَهُ ؛ قَالَ الحَسَنُ : أَطْمَعُوْهُ ، وَخَوَّفُوهُ ، فَمَا قَدِرُوا عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ ، مات ٧٣هـ ، وله من العمر ٨٥ أو ٨٧ عاماً . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ٢٠٤ -٣٤٠.

(٣) نَافِعُ بنُ الأَزْرَقِ بن قيس : الحنفي ، البكري ، الوائلي ، الحروري ، أبو راشد ، رأس الازارقة ،كان أمير قومه وفقيههم ، من أهل البصرة ، صحب في أول أمره ابن عباس ، وكان من قواد الثورة على عثمان ،كفَّر علياً وعثمان ، وصوب ابن ملجم ، وأباح قتل أطفال المخالفين ونسائهم ، وأسقط رجم الزاني ، وجوز الكفر على الأنبياء ، خرج على يزيد بن معاوية سنة ٥٥هـ ، ومعه بعض الخوارج ؛ فاستولوا على الأهوارز وما وراءها من بلاد فارس في ثلاثين ألف فارس ، فبقيت الحرب ١٩ سنة حتى فرغ منهم الحجاج ، لكنه قتل يوم (دولاب) على مقربة من الاهواز سنة ٦٥هـ / ٦٨٥م. الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٠١-١٠٤. الزركلي : الأعلام جـ ٧ صـ ٣٥١- ٣٥٢ .

(٤) ابن أبي شيبة : المصنف جـ ٦ صـ ٣٧٣.

(٥) المرجع السابق جـ ٦ صـ ٣٧٤.

(٦) المرجع السابق جـ ٦ صـ ٣٧٢.

، وقال : يا محمد ما فعل علي ، فقلت حبيبي ملك الموت هل تعرفون علياً ؟ فقال : والذي بعثك بالحق ، واصطفاك بالرسالة من الخلق : ما في السموات موضع ، ولا في الأرض موضع : إلا واسمك واسم عليّ مكتوبٌ عليه ، وإني لأتولى قبض أرواح الخلايق بيدي ما خلاك وعلياً ، فإن الله يتولى ذلك ، وإني لم اقبض أرواحكما إكراماً لكما [1].

ولكن أهل السنة يعتقدون أن ملك الموت يقبض أرواح الناس جميعاً حتى الأنبياء كما جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى – عليه السلام – لِيَقْبِضَ رُوحَهُ [2] ، وجاء لآدم – عليه السلام –[3] .

سابعاً : علي في الآخرة أعظم حظاً من النبي – ﷺ – : فعن رسول الله – ﷺ –: أيها الناس نحن في القيامة ركبان أربعة ليس غيرنا ، فقال له قائل : بأبي أنت وأمي يا رسول الله من الركبان؟ فقال : أنا على البراق ، وأخي صالح على ناقة الله التي عقرها قومه ، وابنتي فاطمة على ناقتي العضباء ، وعلي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنة ، وعلى رأسه تاج من نور[4] ، وعن جعفر بن محمد – عليه السلام – يقول :" ثم يؤت بنا ؛ فنجلس على عرش ربنا " [5] ، فعلي يركب من الجنة وعلى رأسه تاج منها ، والنبي يركب من الدنيا ولا يلبس التاج فهو خير من كل الراكبين ! .

ثامناً : حبهم ينجي يوم القيامة : عن رسول الله – ﷺ – : حبنا أهل البيت ينفع في سبعة مواطن : عند الله ، وعند الموت ، وعند القبر ، ويوم الحشر ، وعند الحوض ، وعند الميزان ، وعند الصراط "[6]، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" إن حبنا أهل البيت ليحُطُ الذنوب عن العباد كما يحط الريح الشديدة الورق عن الشجر"[7] ، وعن رسول الله – ﷺ – : يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب ، ثم قال لعلي : هم شيعتك ، وأنت إمامهم[8] ، وعن علي – عليه السلام – قال : من أحبني رآني يوم القيامة حيث يحب ، ومن أبغضني رآني يوم

---

(١) حسن بن سليمان الحلي : المحتضر ص ١٤٠.

(٢) مسلم : صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٤٣. ابن حبان : صحيح ابن حبان ج ١٤ ص ١١٦. البغوي : شرح السنة ج ٥ ص ٢٦٥.

(٣) صحيح . الترمذي : سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٦٧. أبو يعلى الموصلي : مسند أبي يعلى ج ١٢ ص ٨ .

(٤) المصدر السابق ص ١٤٨-١٤٩.

(٥) العياشي : تفسير العياشي ، نشر مؤسسة الأعلمي– بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ ج ٢ ص ٣١٢. الحويزي : تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٢١٠.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٥٨. أحمد بن محمد بن خالد البرقي : المحاسن ج ١ ص ١٥٢.

(٧) الشيخ الصدوق : ثواب الأعمال ص ١٨٧. القاضي النعماني المغربي : شرح الأخبار ج ٢ ص ٥١٣.

(٨) الشيخ المفيد : الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ج ١ ص ٤٢.

القيامة حيث يكره " [١] ، وعن علي – عليه السلام – : شكوت إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله –حسد الناس إياي ؟ فقال : يا علي : إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا ، وأنت ، والحسن ، والحسين ، وذريتنا خلف ظهورنا ، وأحباؤنا خلف ذريتنا ، وأشياعنا عن أيماننا ، وشمائلنا" [٢] ، وعن رسول الله – ﷺ – : فإذا كان يوم القيامة دُعِيَّ الناسُ بأمهاتهم ، إلا شيعتك فإنهم يدعون بأسماء أبائهم لطيب مولدهم [٣] ، فالحمد لله نحن نحب علياً– رضي الله عنه–.

تاسعاً : علي يشهد جنازة جسده : روي أن أمير المؤمنين لما مات ، وحمل الحسن ، والحسين جنازته ، رأياه يخاطبهما في الطريق ، ولما وصلا إلى القبر بالكوفة إذا بفارس ملثم يقول لهما : أنتما الحسن ، والحسين رضيعا العصمة ، والوحي ، والتنزيل ، خليفتا أمير المؤمنين ، وسيد الوصيين؟ قالا : نعم ، قال : سلماه إلي وامضيا في دعة[٤] الله ، فقال له الحسن : إنه أوصى إلينا ألَّا نسلمه إلا إلى أحد رجلين : جبرائيل أو الخضر فمن أنت ؟ فكشف النقاب فإذا هو أمير المؤمنين ، ثم قال : يا أبا محمد إنه لا تموت نفس إلا ويشهدها أمير المؤمنين أفما يشهد جسده [٥].

وهذا يضاد العصمة من وجوه منها : أنه أخبر بشيء فلم يحدث ، وأنه نسي أن يخبرهما بهذا ، وعدم علمهما بالغيب ينقض عقيدة الشيعة في علم الأئمة ! .

عاشراً : جعلوا الإمام علي من علامات الساعة وهو أول من يسأل عنه العباد : فعن أمير المؤمنين – عليه السلام – :" أنا دابة الأرض " [٦] ، وهو : أنف المهدي ، وعينيه [٧] ، والباب ذو العذاب الشديد [٨] .

وعن الرضا – عليه السلام – :" أول ما يسأل عنه العبد : حبنا أهل البيت " [٩] ، وعن رسول الله – ﷺ – : لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ ص ١٥٧ .

(٢) الشيخ المفيد : الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد جـ ١ ص ٤٣.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ ص ١٥٠.

(٤) دَعَة : يُسر، ونعمة ، وخير وفير ، وصحّة ، ورخاء ، وسعة رزق . انظر د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٣ ص ٢٢٤٢.

(٥) السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٣ ص ٦١ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٢ ص ٣٠٠.

(٦) السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٣ ص ٩٣. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٩ ص ٢٤٣.

(٧) السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٣ ص ٩٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ ص ١١٠.

(٨) السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٣ ص ٩٧.

(٩) الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ١ ص ٦٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ ص ٧٩.

فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه [١] ، وعن حبنا أهل البيت "[٢]، كما يُسْأل في القبر :" عن عقائده ، ومن يعتقده من الأئمة واحدا بعد واحد [٣]، فإن لم يجب عن واحد منهم ؛ يضربانه بعمود من نار؛ يمتلئ قبره ناراً إلى يوم القيامة " [٤].

وهؤلاء لم يسمعوا بقوله تعالى على لسان نبيه – ﷺ – :" قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ "[٥]، ولا بقوله – ﷺ – :" لَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ وَعَلَيْهِ حَسَكٌ ، وَكَلَالِيبُ ، وَخَطَاطِيفُ تَخْطَفُ النَّاسَ يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَبِجَنْبَتَيْهِ مَلَائِكَةٌ ، يَقُولُونَ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ " [٦] ، وفي رواية :" فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُهُ، وَدَعْوَةُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ " [٧] ، فإذا كان هذا حال الرسل والملائكة فما بالنا نحن يومها ! بل في رواية :" وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ " [٨] ، فهل هناك أحد بعد النبي – ﷺ – يشعر بالأمان في هذا اليوم ؟ نسأل الله السلامة والعافية .

<u>أثر تقديس الأئمة على عقيدة الإيمان بالملائكة :</u>

تطور التقديس من المحسوس إلى المعقول ، ومن علم المشاهدة والعيان ، إلى علم الغيب والكتمان ، فقدسوا الأئمة على الملائكة من عدة وجوه من أهمها :

---

(١) ولكن الصحيح : قال النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " مَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ " . انظر البيهقي : شعب الإيمان جـ ٣ صـ ٢٧٩ – ٢٨٠.

(٢) الشيخ الصدوق : الخصال صـ ٢٥٣.ابن شعبة الحراني : تحف العقول ، تحقيق : علي أكبر غفاري ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ / ١٣٦٣ش صـ ٥٦.

(٣) عَنِ الْبَرَاءِ ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال في ذكر المؤمن : فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ: وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللهِ، وقال فِي ذِكْرِ الْكَافِرِ :" فَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ يثيرَانِ الْأَرْضَ بِأَنْيَابِهِمَا ، وَيُلْحِقَانِ الْأَرْضَ بِأَشْفَاهِمَا ، أَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ ، وَأَبْصَارِهِمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ ، فَيُجْلِسَانِهِ ، ثُمَّ يَقُولَانِ لَهُ : يَا هَذَا مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، فَيُنَادَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ: لَا دَرَيْتَ ، وَيَضْرِبَانِهِ بِمِرْزَبَّةٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا مَنْ بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ لَمْ يُقِلُّوهَا ، يَشْتَعِلُ مِنْهَا قَبْرُهُ نَارًا ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ". البيهقي : شعب الإيمان جـ ١ صـ ٦١٥ ، جـ ١ صـ ٦١١. الترمذي: السنن جـ ٤صـ ٦٣٩. أبو داود: السنن جـ ٤صـ ٢٣٩. النسائي: السنن الكبرى جـ ١٠صـ ١٣٩.

(٤) المجلسي : العقائد صـ ٦٨.

(٥) سورة الأحقاف : آية رقم ٩ .

(٦) الترمذي : السنن جـ ٤ صـ ٦٩١. ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١٦ صـ ٣٨٤. البيهقي : شعب الإيمان جـ ١ صـ ٥٧٠.

(٧) مسلم : صحيح مسلم جـ ١ صـ ١٦٥. ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١٦ صـ ٤٥٠. النسائي : السنن الكبرى جـ ١٠ صـ ٢٥٥.

(٨) مسلم : صحيح مسلم جـ ١ صـ ١٨٦.

أولاً : أن الملائكة خدمٌ ووكالة أنباء ورفاهيةً لعلي وأولاده – عليهم السلام – : عن رسول الله – ﷺ – لعلي :" بخ بخ من كان خادمه جبريل "[١] ، وعن أبى عبد الله – عليه السلام– : "إن الملائكة لتتنزل علينا في رحالنا ، وتتقلب على فرشنا ، وتحضر موائدنا ، وتأتينا من كل نبات في زمانه رطب ويابس ، وتقلب علينا أجنحتها ، وتقلب أجنحتها على صبياننا ، وتمنع الدواب أن تصل إلينا ، وتأتينا في وقت كل صلاة لتصليها معنا ، وما من يوم يأتي علينا ، ولا ليل إلا وأخبار أهل الأرض عندنا ، وما يحدث فيها [٢] ؛ بل الملائكة : " خدمنا وخدم محبينا "[٣] ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – : إن الملائكة تلاعب صبيان الأئمة ، وتنام على بسطهم ، ويلتقطون من ريشها [٤] ، يا لهنائهم ! .

وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" والله إن في السماء لسبعين صفاً من الملائكة ، لو اجتمع أهل الأرض كلهم يحصون عدد كل صف منهم ما أحصوهم ، وإنهم ليدينون بولايتنا" [٥] ومت حكم الباقي ؟ .

ثانياً : تأخذ الأئمة وظائف الملائكة : فعن أمير المؤمنين – عليه السلام – :" وإن منَّا لحملة العرش يوم القيامة : محمد ، وعلي ، والحسن ، والحسين ، ومن شاء الله " [٦] ، والأئمة هم :" الصافُّون ، والمسبّحون ، وصاحب المقام المعلوم ، وحملة عرش الرحمن ، والسفرة الكرام البررة " [٧].

ولم يسمعوا ما جاء عن النبي – ﷺ – حين يتحدث عن خلق حملة العرش فقال :" أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ " [٨] ، وفي رواية :" أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى ، عَلَى قَرْنِهِ الْعَرْشُ ، وَمِنْ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ بِخَفَقَانِ الطَّيْرِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ

---

(١) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ١١٦.

(٢) الشيخ الجواهري:جواهر الكلام جـ ١٣ هامش صـ ٧٢. المجلسي: بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٣٧٤. الصفار:بصائر الدرجات صـ ١٤٤.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٣٤٤.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٩ صـ ١٨٦ . قطب الدين الراوندي : الخرائج والجرائح جـ ٢ صـ ٨٥١ .

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٤٣٨.

(٦) الأصول الستة عشر من الأصول الأولية : مجموعة من كتب الرواية الأولية في عصر الأئمة المعصومين ، تحقيق : ضياء الدين المحمودي ، بمساعدة نعمة الله الجليلي ، مهدي غلام علي ، نشر دار الحديث – قم ، ط١ ، ١٤٢٣هـ /١٣٨١ش صـ ٢٦٩ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٤ صـ ٨٧. الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ٤ صـ٤٣٤.

(٨) صححه الألباني . أبو داود : السنن جـ ٤ صـ ٢٣٢. الشيخ الألباني : صحيح الجامع جـ ١ صـ ٢٠٩.

"[1]؛ أظن أن ذلك بسبب ثقل عرش الرحمن فما بالك بقوة أجسامهم ، وإلا فليقولوا : إن الأئمة أقوى من هذا الملك .

وقال – ﷺ – : أذن لي ؛ ليفيد أن علم الغيب مختص به تعالى لكنه يُطْلع منه من شاء على ما شاء.

ثالثاً : باسمهم تقدس الملائكة : قال تعالى :" وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ " [2] ، والمعنى : تقدس ، وتنزه ، وتذكر بالخير بيوت الأئمة ، وقبورهم ، ومواضع آثارهم [3] ، وعن رسول الله – ﷺ – :" كانت الملائكة لا تعرف تسبيحاً ، ولا تقديساً ، من قبل تسبيحنا ، وتسبيح شيعتنا " [4] .

رابعاً : عليٌّ معلم لجبريل وباسمه تتزين الملائكة : لأنهم وإن بلغوا بالملكية فضلاً ، فالأئمة من آل محمد – ﷺ – أفضل منهم ، وأعظم ثواباً عند الله "[5] ، ولولا عليٌّ – عليه السلام – ما عرف جبريل اسم نفسه ، ولا عرف ربه عن رسول الله – ﷺ – : إن جبريل قال له عن علي : " إن له عليَّ حق التعليم ! فقال له النبي – ﷺ – : وكيف ذلك ؟ فقال : لما خلقني الله تعالى سألني من أنت ؟ ومن أنا ؟ وما اسمي ؟ فتحيرت ، ثم حضر هذا الشاب في عالم الأنوار ، وعلّمني الجواب ، فقال : قل أنت ربي الجليل ، واسمك الجميل ، وأنا العبد الذليل ، واسمي جبرائيل " [6] . الله أكبر .!

والملائكة تتزين باسم عليّ ؛ عن النبي – ﷺ – : أن على أحد جناحي جبرائيل مكتوب : لا اله إلا الله ، محمد النبي ، وعلى الآخر: لا اله إلا الله علي الوصي [7] .

خامساً: الله تعالى خلق جميع ما خلق ومنها الملائكة للنبي ولأهل بيته [8] ، فالأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والرسل[9]، ولذلك فهم أفضل من الملائكة [1] ، والدليل إجماع

---

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء جـ ٣ صـ ١٥٨. صححه الشيخ الألباني : صحيح الجامع جـ ١ صـ ٢٠٨.

(٢) سورة النور : آية رقم ٤٤

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٨ صـ ١٥٦.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٣٤٤ . الشيخ محمد السبزواري : معارج اليقين في أصول الدين صـ ٤٦.

(٥) السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٢ صـ ٣٨.

(٦) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين هامش صـ ١٠٦.السيد هاشم البحراني : غاية المرام جـ ٣ هامش صـ ١٧ بتصرف .

(٧) حسن بن سليمان الحلي : المحتضر صـ ١٨٩.

(٨) يقول الحر العاملي :" إن الله خالق الخلق من غير حاجة به إليهم ، ولا غرض في خلقهم يعود إليه " . انظر الشيخ الصدوق : الهداية في الأصول والفروع صـ ٢٥. الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة " تكملة الوسائل " جـ ١ صـ ٢١٧.

(٩) الشيخ الصدوق : الهداية في الأصول والفروع صـ ٣٣.

إجماع الشيعة الإمامية [2] ، بل تركوا التسبيح سبع سنين لسبب مهم تُرى ما هو ؟ الجواب : قال رسول الله – ﷺ – : صلت الملائكة عليَّ ، وعلى عليٍّ سبع سنين [3] ، ولما قتل الحسين – رحمه الله – " بكته الملائكة ، وأمطرت السماء دماً لأجله ، وناح عليه أهل الجنان [4] " [5] ، وقالت الملائكة : يفعل هذا بالحسين صفيك وابن نبيك ؟ فأقام الله ظل القائم ، وقال : بهذا انتقم لهذا [6] فاستراحت الملائكة .

سادساً : الملائكة تزور قبر علي والأئمة [7]: لأن " الملائكة شكت إلى الله حبَّها لعلي ؛ فخلق الله ملكاً من نور علي ، على صورة علي ، فالملائكة تزوره كل جمعة ، يسبحون الله تعالى ، ويقدسونه ، ويهدون ثوابه لمحبّي علي" [8] ، وعن عليٍ – عليه السلام – : من خرج إلى قبر الحسين عارفاً بحقه غير مستكبر ، صحبه ألف ملك عن يمينه ، وألف ملك عن يساره ، وكتب له ألف حجة ، وألف عمرة مع نبي أو وصي نبي " [9] ، و" من عرف فضل يوم الغدير صافحته الملائكة " [10] ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" وَكَّلَ الله بقبر الحسين أربعة آلاف ملك ، شعثٌ ، غبرٌ ، يبكونه إلى يوم القيامة ، فمن زاره شيعوه حتى يبلغوه مأمنه ، وإن مرض عادوه غدوة وعشية ، وإن مات شهدوا جنازته ، واستغفروا له إلى يوم القيامة " [11] ، وفي رواية :" أربعة آلاف إلى زوال الشمس[12]، وأربعة أخرى حتى يطلع الفجر" [1] ، وفي رواية :" سبعين ألف ملك " [2]

---

(١) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ١٦.

(٢) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ١ صـ ١٠٩.

(٣) الشيخ المفيد : الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد جـ ١ صـ ٣٠-٣١.

(٤) كيف ذلك ؟ وأهل الجنة لا يصيبهم فيها هم ، ولا حزن ، ولا غم ، بوعد ربهم لهم ؛ فهل أخلف الله وعده أم يقولون على الله ما لا يعلمون .

(٥) الشيخ الصدوق : الهداية في الأصول والفروع صـ ١٦٣. الشيخ الطوسي : مصباح المتهجد صـ ٧١٦.

(٦) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٤٦٥.

(٧) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٤٦٢.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٨ صـ ٣٨٦. الشيخ الأميني : الغدير جـ ٢ صـ ٣٢٠ بتصرف .

(٩) الشيخ الطوسي : مصباح المتهجد صـ ٧١٦.

(١٠) المصدر السابق صـ ٧٣٨.

(١١) الكليني : فروع الكافي جـ ٤ صـ ٥٨١ ، صـ ٥٨٨ .الصدوق : ثواب الأعمال صـ ٨٧. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٠صـ ٣٢٢.

(١٢) يظهر أن توقيت تغيير الملائكة عندهم غير توقيت أهل السنة فقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ

[2] ، وفي رواية :" يصلون عنده ؛ الصلاة الواحدة من صلاتهم تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميين ، يكون ثواب صلاتهم ، وأجر ذلك لمن زار قبره" [3] .

سابعاً : أن الملائكة خلقت من نور وجه علي : فعن رسول الله – ﷺ – : " خلق الله من نور وجه علي بن أبي طالب سبعين ألف ملك ، يستغفرون له ، ولشيعته ، ولمحبيه إلى يوم القيامة "[4].

والغريب أنه لم يخلق من نور وجه النبي – ﷺ – أحداً من الملائكة ، ولم يرد ذلك في صريح أحاديثهم ، ولم يسمعوا حديث النبي – ﷺ – :" خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ "[5] ولم يحدد النبي – ﷺ – نوع هذا النور .

ثامناً : أن الملائكة تتنزل عليهم ليلة القدر : فيهم الروح الأعظم ، وتعرض أعمالهم على الإمام القائم كل حسب ما قدر له [6] . ويقول أبو إبراهيم – عليه السلام – :" ما من ملك يهبط في أمر إلا بدأ بالإمام ، فعرض ذلك عليه ، وإن مختلف الملائكة من عند الله إلى صاحب هذا الأمر [7] .

تاسعاً : الملائكة أخوة لعلي بل هم من محبيه : قال رسول الله – ﷺ – : " أول من اتخذ علي بن أبي طالب أخاً من أهل السماء : إسرافيل ، ثم ميكائيل ، ثم جبرائيل ، وأول من أحبه من أهل السماء : حملة العرش ، ثم رضوان خازن الجنان ، ثم ملك الموت ، وإن ملك الموت يترحم على محبي علي بن أبي طالب كما يترحم على الأنبياء " [8].

عاشراً : الملائكة تواسيهم : فقد جاء جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وزمرة من الملائكة – عليهم السلام – يشيعون جنازة علي ، وهم يقولون قدوس ، وأعان الملائكةُ الحسن والحسين في

عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ " . انظر صحيح مسلم جـ ١صـ ٤٣٩. صحيح ابن حبان جـ ٥صـ ٢٩.سنن النسائي جـ ١صـ ٢٥٧.

(١) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٠ صـ ٢٤٣ .

(٢) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٠ صـ ٢٤١.

(٣) السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٤ صـ ١٥٩.

(٤) محمد بن أحمد القمي : مائة منقبة صـ ٤٢،صـ ١٤٨. حسن بن سليمان الحلي : المحتضر صـ ١٧١. هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٣ صـ ٣٥. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٣ صـ ٣٢٠، جـ ٤٠ صـ ١٢٥. ابن شهر آشوب : مناقب علي بن أبي طالب جـ ٢ صـ ٢٧٩.

(٥) مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ٢٢٩٤. صحيح ابن حبان جـ ١٤ صـ ٢٥. البيهقي : شعب الإيمان جـ ١صـ ٣٠١.

(٦) عباس القمي : مفاتيح الجنان ، ط مكتبة الرسول – بيروت ، ١٤١٨هـ صـ ٣٠٧.

(٧) قطب الدين الرواندي : الخرائج والجرائح جـ ٢ صـ ٨٥٠ .

(٨) محمد بن الحسن القمي : العقد النضيد والدر الفريد صـ ٨٤.

الغسل والتكفين [1] ، وهذه الزهراء مكثت بعد النبي – ﷺ – خمسة وسبعين يوماً ، فأرسل الله إليها جبرائيل يسليها ، ويعزيها ، ويحدثها عن أبيها ، وعمَّا يحدث لذريتها إلى يوم القيامة ، وكان عليٌّ يكتب ما سمع حتى جاء به مصحف قدر القرآن ثلاث مرات ، ليس فيه شيء من حلال ولا حرام ، ولكن فيه علم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن إلى يوم القيامة [2].

حادي عشر : الملائكة تخلق وترزق ولكنها ليست كالأئمة في السمع والطاعة : عن أبي جعفر – عليه السلام– :" إن الله فوض الأمر إلى ملك من الملائكة [3] فخلق سبع سموات وسبع أرضين وأشياء ، فلما رأى الأشياء قد انقادت له ، قال : من مثلي ؟ فأرسل الله عليه نويرة من نار مثل أُنلمة ، فاستقبلها بجميع ما خلق ، فتخللت لذلك حتى وصلت إليه ، لمَّا دخله العجب " [4] .

ثاني عشر: الملائكة والرسل منهم من هو غير معصوم ؛ لذلك عليٌّ قاضيهم : فظاهر المذهب أن إبليس كان من جملة الملائكة ، وإنما عصى بترك السجود ، وليس جميع الملائكة معصومين ، بل نقطع على أن الرسل منهم كذلك ، والباقي يجوز عليهم الخطأ ، وهو مذهب كثير من المفسرين والعلماء " [5] .

فقد روي عن فاطمة – صلوات الله عليها – قالت عن علي أنه : " عَرج به جبرائيل إلى السماء ، فقيل : في ماذا ؟ قالت : إن نفراً من الملائكة تشاجروا في شيء ، فسألوا حَكَماً من الآدميين ، فأوحى الله إليهم : أن تخيروا ، فاختاروا علي بن أبي طالب " [6] .

وعن أبي عبد الله – عليه السلام –: إن الله عرض ولاية أمير المؤمنين فقبلها الملائكة ، وأباها ملك يقال له : فُطْرُس ، فكسر الله جناحه ، فلما ولد الحسين ، نزل مع جبريل ؛ ليهنئ النبي – ﷺ – فأمره أن يتمسح ويتمرغ بمهد الحسين ؛ لكي يشفى ، فقال رسول الله – ﷺ – :" فنظرت إلى

---

(١) السيد هاشم البحراني : مدينة معاجز الأئمة الاثنا عشر ودلائل الحجج على البشر ج ٣ صـ ٦٣ – ٦٥ بتصرف.

(٢) السيد جعفر مرتضى : خلفيات كتاب مأساة الزهراء ، نشر دار السيرة – بيروت ، ط٥ ، ١٤٢٢هـ جـ ١ صـ ٣٥٥ .

(٣) عن أمير المؤمنين – عليهما السلام – قال عن الدنيا :" لم يكونها لتشديد سلطان ، ولا خوف من زوال ، ولا نقصان ، ولا استعانة على ضد مناوئ ، ولا ند مكاثر ، ولا شريك مكابر ؛ بل خلائق مربوبون ، وعباد داخرون " . انظر الحر العاملي : الفصول المهمة جـ ١ صـ ٢١٧.

(٤) المصدر السابق جـ ١ صـ ٢٥٨.

(٥) الشيخ الطوسي : الرسائل العشرة (رسائل الشيخ الطوسي) ، ط مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، دت صـ ٣٢٧.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٩ صـ ١٥٠. السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ١ صـ ٩٢.

ريشه ؛ وإنه ليطلع ، ويجري فيه الدم ، ويطول حتى لحق بجناحه الآخر "[1] ، وهل الملائكة خلقت من لحم ودم ! .

وسيأتي الرد – إن شاء الله تعالى – عن هذا في فصل العصمة .

أثر تقديس الأئمة على عقيدة الإيمان بالكتب السماوية :

تقدس الشيعة الاثنا عشرية الأئمة أعظم من تقديسهم للكتب السماوية التي نزلت من عند الله تعالى على رسله – عليهم السلام – فاعتقدت هذه الفرقة بأن الأئمة عندهم كتب الأنبياء جميعاً ؛ فعن " أبي عبد الله – عليه السلام – : إن داود – ﷺ – ورث الأنبياء ، وإن سليمان – ﷺ – ورث داود– ﷺ – ، وإن محمداً – ﷺ – ورث سليمان ، وما هناك ، وإنّا ورثنا محمداً– ﷺ – ، وإن عندنا صحف إبراهيم – ﷺ – ، وألواح موسى – ﷺ – ، وليس هذا هو العلم بل هو الأثر ، إنما العلم ما حدث بالليل والنهار يوما بيوم ، وساعة بساعة "[2] ، فكأنما علم الأنبياء آثار العلم ، وأما الأئمة فعلموا العلم نفسه ! .

ولا تسغرب فقد جاء ذكرهم في التوراة ، فعن رسول الله – ﷺ – : ولدي محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف في التوراة بالباقر"[3] ، ولو قورنوا بأهل التوراة والإنجيل ، كانوا أعلم من أهل التوراة بتوراتهم ، ومن أهل الإنجيل بإنجيلهم ، وأهل الفرقان بفرقانهم ، وأهل الزبور بزبورهم [4] .

ولما بويع أمير المؤمنين– عليه السلام– بالخلافة خرج إلى المسجد ، معتمَّاً لعمامة رسول الله – ﷺ – لابساً بردته ، فصعد المنبر ، وقال : يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين ، أما والله لو ثُنِي لي الوسادة ؛ لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم ، وبين أهل الزبور بزبورهم ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم ، حتى ينهى كل كتاب من هذه الكتب ، فوالذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها ، وفيم نزلت ، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها ، وخاصها من عامها ، ومحكمها [5] من

---

(١) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٨٨. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ ص ٢٤٠ – ٢٤١ بتصرف .

(٢) محمد بن حسن الصفار : بصائر الدرجات ص ١٥٢.

(٣) محمد الريشهري : ميزان الحكمة ، ط دار الحديث – قم ، ط١ ، ١٤١٩هـ جـ ١ ص١٦٣.

(٤) محمد بن حسن الصفار : بصائر الدرجات ص ١٥٥.

(٥) المحكم : البين الواضح المعنى الظاهر الدلالة إما بنفسه أو غيره . ابن العطار : الاعتقاد الخالص هامش ص ٢٠٧.

متشابهها [1] ، ومكيها من مدنيها ، والله ما من فئة تضل أو تهدى ، إلا وأنا أعرف قائدها ، وسائقها ، وناعقها إلى يوم القيامة " [2] .

فالأئمة – عليهم السلام – بالنسبة لعلمه سبحانه :" موضع سره ، ولجأ أمره ، وعيبة علمه ، وموئل حكمه وكهوف كتبه ، وجبال دينه ، بهم أقام انحناء ظهره ، وأذهب ارتعاد فرائصه " [3] .

والصحيح : أن الضمائر كلها تعود لله تعالى إلا أخر ضميرين " [4] ، وقيل : الهاء في ظهره ، وفرائصه ترجع إلى الدين [5] .

ولا تستغرب فالآتي أشد فإن علياً كان يعرف هذه الكتب قبل أن تخلق السموات والأرض وقرأها من غير تعليم حين وقع على ظهر هذه الأرض من بطن أمه ؛ فاسمع لما يقول رسول الله – ﷺ – : " وقد علمتم جميعاً أن الله خلقني وعلياً نوراً واحداً ، وإنا كنا في صلب آدم نسبّح الله تعالى ، ثم نقلنا إلى أصلاب الرجال ، وأرحام النساء ، يسمع تسبيحنا في الظهور والبطون في كل عهد وعصر إلى عبد المطلب ، ثم افترق نورنا : فصار نصفه في عبد الله ، ونصفه في أبى طالب عمّى ، ولقد هبط حبيبي جبرائيل في وقت ولادة علي ، فقال لي : يا حبيب الله ، الله يقرأك السلام ، ويهنيك بولادة أخيك علي ، ويقول : هذا أوان ظهور نُبوتك ، وإعلان وحيك ، وكشف رسالتك ، إذ أيدتك بأخيك ، ووزيرك ، وصنْوك ، وخليفتك ، ومن شددت به أزرك ، وأعليت به ذكرك ؛ فقمت مبادراً ، فوجدت فاطمة بنت أسد[6] جاءها المخاض ، فإذا بعلي مائلاً على يدي ، واضعاً

---

(١) المتشابه : ما احتمل عدة أوجه ، فغمض معناه ؛ فيحتاج إلى ترجيح . ابن العطار : الاعتقاد الخالص هامش صـ ٢٠٧.

(٢) الشيخ المفيد : الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد جـ ١ صـ ٣٤-٣٥.

(٣) الشيخ محمد باقر المحمودي : نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ، ط مطبعة النعمان – النجف ، ط١ ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م جـ ٨ صـ ٣٨٦. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٣ صـ ١١٧.

(٤) الشيخ الأحمدي الميانجي : مكاتيب الرسول ، ط دار الحديث – طهران ، ط١ ، ١٤١٩هـ جـ ٢ صـ ٩ .

(٥) شيث بن آدم : نبي الله – عليه السلام – ، وكان عمر آدم يوم ولد له مائة وثلاثين سنة ، ومعنى شيث : هبة الله ، وسمياه بذلك لأنهما رزقاه بعد أن قتل هابيل ، وعاش ٩٧٢ سنة ، وفي الحديث : " إن الله أنزل مائة صحيفة ، وأربع صحف ، على شيث خمسين صحيفة " ، ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث ، وعلمه ساعات الليل والنهار ، وعبادات تلك الساعات ، وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك . ويقال إن أنساب بني آدم اليوم كلها تنتهى إلى شيث . الحافظ ابن كثير : قصص الأنبياء ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، مطبعة دار التأليف ، نشر دار الكتب الحديثة – القاهرة ، ط١ ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م صـ ٦١ – ٦٩ بتصرف.

(٦) فاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيٍّ الهَاشِمِيَّةُ : وَالِدَةُ عَلِيٍّ ، حَمَاةُ فَاطِمَةَ، كَانَتْ مِنَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلِ، وَهِيَ أَوَّلُ هَاشِمِيَّةٍ وَلَدَتْ هَاشِمِيّاً. لَمَّا مَاتَتْ أَلْبَسَهَا النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – قَمِيْصَهُ، لِتُكْسَى مِنْ حُلَلِ الجَنَّةِ .الذهبي:سير أعلام النبلاء جـ ٣صـ ١٠٠.

يده اليمنى في أذنه اليمنى ، وهو يؤذن [1] ، ويقيم بالحنيفية[2] ، ويشهد بوحدانية الله ، وبرسالتي ، ثم قال لي : يا رسول الله اقرأ ، قلت : اقرأ ، فو الذي نفس محمد بيده ، لقد ابتدأ بالصحف التي أنزلها الله – عز وجل – على آدم ، فقام بها شيث [3] ، فتلاها من أول حرف فيها إلى آخر حرف فيها ، حتى لو حضر بها شيث ؛ لأقرَّ له : إنه أحفظ له منه ، ثم قرأ توراة موسى حتى لو حضره موسى ؛ لأقرَّ : بأنه أحفظ لها منه ، ثم قرأ زبور داود حتى لو حضره داود ؛ لأقرَّ : بأنه أحفظ لها منه ، ثم قرأ إنجيل عيسى حتى لو حضر عيسى ؛ لأقرَّ : بأنه أحفظ لها منه ، ثم قرأ القرآن الذي أنزله الله عليَّ من أوله إلى آخره ، فوجدته يحفظ كحفظي له الساعة من غير أن اسمع منه آية ، ثم خاطبني ، وخاطبته بما يخاطب الأنبياء والأوصياء ، ثم عاد إلى حال طفوليته [4] ، وأنت ترى أن علياً نزل القرآن عليه قبل النبي – ﷺ – جملة واحدة ، فلماذا كان النبي – ﷺ – حن تعرض له مسألة ينتظر الوحي ؛ ليرد على أسئلة السائلين ؟ أما كان من الأفضل أن يسأل علياً فيجيب ؟ ويبلغ هذا الوحي الموثوق به .

وعن أبي الحسن – عليه السلام – : أنه قرأ الإنجيل أمام نصراني يقال له : بريه ؛ فقال بريه : إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك ، فآمن بريه ، وحسن إيمانه ، ثم سأل سائل فقال : أنَّى لكم التوراة ، والإنجيل ، وكتب الأنبياء ؟ قال : هي عندنا وراثة ، نقرؤها كما قرؤوها ، ونقولها كما قالوها ، إن الله لا يجعل حجة في أرضه يسأل عن شيء ؛ فيقول : لا أدري " [5].

فلماذا قال رسول الله – ﷺ – لا أدري ولم يستح حين سئل :" أَيُّ الْبِقَاعِ شَرٌّ؟ قَالَ : " لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ جِبْرِيلَ " فَسَأَلَ جِبْرِيلَ ، فَقَالَ : لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ مِيكَائِيلَ ، وفي رواية : ربي ، فَجَاءَ فَقَالَ : " خَيْرُ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ ، وَشَرُّهَا الْأَسْوَاقُ " [6] ، وقالها حين تحدث عن يوم القيامة :" يُنْفَخُ

---

(١) هذا يتناقض مع حديث : كَانَ المسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا المدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ ، فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلاَةَ لَيْسَ يُنَادَى لَهَا ، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ بُوقًا مِثْلَ قَرْنِ اليَهُودِ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَوَلاَ تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلاَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا بِلاَلُ قُمْ فَنَادِ بِالصَّلاَةِ . البخاري : صحيح البخاري ج ١ ص ١٢٤ – ١٢٥.

(٢) الحنيفية : ملة الإسلام والشَّرع المبعوث به الرُّسل جميعاً المبنيّ على التّوحيد . د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة ج ١ ص ٥٧٣.

(٣) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٣٨.

(٤) الفتال النيسابوري : روضة الواعظين ، تحقيق : محمد مهدي الخرساني ، منشورات الشريف الرضى- قم ، دت ص ٨٣ – ٨٤ . أبو عبد الله الخصيبي : الهداية الكبرى ص ١٠١. هاشم البحراني : حلية الأبرار ، تحقيق : الشيخ غلام رضا مولانا البروجردي ، ط بهمن – قم ، ط١، ١٤١٤هـ ج ٢ ص ٥٨. المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٢.

(٥) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٢٧. السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ٦ ص ٣٨٠.

(٦) صحيح . البيهقي : السنن الكبرى ج ٣ص ٩٢ ، ج ٧ ص ٨١. ابن حبان : صحيح ابن حبان ج ٤ص ٤٧٦.

فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ أَمْ رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلِي " [1]، وفي حديث الدجال :" فَيَمْكُثُ فِيهِمْ أَرْبَعِينَ ، لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا ، أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا "[2] ، وفي حديث المعراج :" ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى أَتَى بِي سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ " [3] ، وحديث الخمر :" يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِنَّ اللهَ يُعَرِّضُ عَنِ الْخَمْرَ تَعْرِيضًا ، لَا أَدْرِي لَعَلَّهُ سَيَنْزِلُ فِيهَا أَمْرٌ " [4] ، فالأئمة على ما مر أفضل من النبي – ﷺ – كما ترى .

ثم لا يتداركون أنفسهم حتى ينسبوا لهذه الكتب ما يخالف قواعد الإسلام التي لا خلاف عليها ، مثل ما رُويَ عن أبي جعفر– عليه السلام– : أنه أخرج كتاباً غليظاً لسائل عن شيء في المواريث ، فنظر السائل لها ؛ فعلم أنها من كتب الأولين ، وإذا فيها خلاف ما بأيدي الناس من الصلة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإذا عامته كذلك ؛ فسأله أبو جعفر : عمَّا قرأ ؛ فقال السائل : باطل ؛ فقال أبو جعفر : هو الحق ، إملاءُ رسول الله ، وخطُ عليٍّ ، ولا تشُكَّن في ذلك " [5].

<u>أثر تقديس الأئمة في الاعتقاد بنزول كتب على الأئمة غير القرآن الكريم :</u>

يتعجب الإنسان حين يعلم أن علياً كان يتلقى الوحي من جبريل – عليه السلام – عند الضرورة بدلاً من النبي – ﷺ – ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" دعا رسول الله – ﷺ – علياً ، ودعا بدفتر فأملى عليه رسول الله – ﷺ – بطنه ، وأُغْميَ عليه ، فأملى عليه جبريل – عليه السلام – ظهره ، فانتبه رسول الله – ﷺ – ؛ فقال : من أملى عليك هذا يا علي ؟ فقال : أنت يا

---

(١) صحيح . البيهقي : شعب الإيمان جـ ١ صـ ٥٣٢. ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١٦ صـ ٣٠١. البغوي : شرح السنة جـ ١٥صـ ١٠٥.

(٢) مسلم : صحيح مسلم جـ ٤صـ ٢٢٥٨. ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١٦صـ ٣٥٠. البيهقي : شعب الإيمان جـ ١صـ ٥٣٠.

(٣) البخاري : صحيح البخاري جـ ١صـ ٧٨. مسلم : صحيح مسلم جـ ١صـ ١٤٨. ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١٦ صـ ٤٢١.

(٤) البيهقي : شعب الإيمان جـ ٧ صـ ٣٩٣ – ٣٩٤.

(٥) الكليني : الفروع من الكافي جـ ٧ صـ ٩٣-٩٥ بتصرف.

رسول الله [١] ؛ فقال : أنا أمليت عليك بطنه ، وجبرائيل – عليه السلام – أملى عليك ظهره ، وكان قرآنا يملي عليه " [٢] . الله أكبر ! .

ونقول : لا يجوز عقلاً أن يُغمى على النبي – ﷺ – في حال نزول الوحي ؛ لأسباب منها : أنه لم يرد عن أحد حدوث ذلك مع اشتداد الوحي عليه كما جاء عن عُبَادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال :" فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ، وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ الْوَحْيُ تَرَبَّدَ وَجْهُهُ ، وَكَرَبَ لِذَلِكَ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ "[٣] ، وفي حديث عمر– رضي الله عنه – ": فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ لَهُ غَطِيطٌ[٤] كَغَطِيطِ الْبَكْرِ"[٥] ، وكَانَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ – إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ يُعَالِجُ مِنْ ذَلِكَ شِدَّةً "[٦] ، ولكن لم يقل أحد بأنه أُغْمي عليه ، مع ما في ذلك من نقص في عصمة النبي – ﷺ – ؛ فهو المعد من قبل الله – عز وجل – لتلقي الوحي بإجماع الأمة ، فكيف يغمى عليه ساعة الإيحاء ألا يوجد وقت أنسب من ذلك الوقت ؟ .

ثم إن السنة والشيعة مجمعون على أن من روى حديثاً لم يسمعه من شيخه كان هذا الحديث ضعيفاً بإجماع علماء الحديث ؛ فما بالك بمن يروى الوحي عن جبريل – عليه السلام – ولم يسمع منه مباشرة ، ثم أنه لم ينبه على ذلك بأن قال : هذا سمعته بواسطة عليّ عن جبريل – عليهما السلام – .

ومن تكريم الله لأهل البيت عند الشيعة أنه لم يكتف بنزول القرآن عليهم ، بل وتفضل عليهم بكتب لم تنزل على من قبلهم : قال أبو عبد الله – عليه السلام – : وإن عندنا الجفر[٧] الأحمر ، والجفر الأبيض ، ومصحف فاطمة ، وان عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه ؛ فسئل

---

(١) ألا يعد هذا إخباراً بغير الحقيقة إن كان الإمام علي يعرف أن من أملاه جبريل – عليه السلام – ، وإن لم يكن يعلم فهو لا يعلم الغيب – كما يزعمون – ، وإن كان سهواً منه فلم يميز الصوت ؛ فهو خرق للعصمة !.

(٢) الشيخ المفيد : الاختصاص ص ٢٧٥. الأحمدي الميانجي : مكاتيب الرسول جـ ٢ ص ٣٦.

(٣) النسائي : سنن النسائي جـ ٧ ص ٢٤٢. ابن الأعرابي : معجم ابن الأعرابي جـ ٣ ص ١٠٥٨. البيهقي : السنن الكبرى جـ ٧ ص ٨٤.

(٤) النسائي : سنن النسائي جـ ٧ ص ٢٤١.

(٥) مسلم : صحيح مسلم جـ ٢ ص ٨٣٦. البيهقي : السنن الكبرى جـ ٥ ص ٨٩. صحيح البخاري بدون ذكر الغطيط جـ ٣ ص ١٧.

(٦) غطّ المخنوقُ : ردّد النفسَ في خياشيمه، وصات حتى يسمعه من حوله ، والبَكْر هو: الفتى من الابل . د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٢ ص ١٦٧٢. النووي : شرح النووي على صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢١٥.

(٧) الجَفْرُ : قطعة جلد كتب فيها علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أو جعفر الصادق – رحمه الله – الأحداث قبل وقوعها ، وقيل : جلد ثور مملوء علماً ، وعلم الجفر : علم يبحث فيه عن الحروف من حيث دلالتها على أحداث العالم ، والجفر : الشفرة . انظر المعجم الوسيط : ص ١٢٦ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٣ ص ٧٩ .

: عن تفسير هذا الكلام ، فقال : وأما الجفر الأحمر : فوعاءٌ فيه سلاحُ رسول الله – ﷺ – ، ولنْ يخرجَ حتى يقوم قائمنا أهل البيت ، وأما الجفْرُ الأبيضُ : فوعاءٌ فيه توراة موسى ، وإنجيل عيسى ، وزبور داود ، وكتب الله الأولى ، وأما مصحف فاطمة – صلوات الله عليها – : ففيه ما يكونُ من حادثٍ ، وأسماء كل من يملك إلى أن تقوم الساعة ، وأما الجامعة : فهي كتاب طوله سبعون ذراعاً ، إملاءُ رسول الله – ﷺ – وخطُ أمير المؤمنين – عليه السلام – بيده ، –والله : فيه جميع ما يحتاج الناس إلى يوم القيامة [1] ، وفي رواية عنه :" ومصحف فاطمة ما أزْعُمُ أنَّ فيه قُرآناً ، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ، ولا نحتاج إلى أحد ، حتى إن فيه الجلدة ، ونصف الجلدة ، وثلث الجلدة ، وربع الجلدة ، وأرش الخدش[2] [3].

ولماذا لا ينزل الوحي على فاطمة – رضي الله عنها – فهناك الأعجب : فقد دخل النبي – ﷺ – على خديجة – رضي الله عنها – يوماً ، وكانت حاملاً بالسيدة الزهراء – عليها السلام – ، فسمعها تتحدث وهي وحدها ؛ فسألها : مع مَنْ تتحدثين ؟ ؛ فقالت : الجنين الذي في بطني يُؤْنِسُنِي ويُحَدِّثُنِي ! ؛ ولذلك سُميت فاطمة : المحدثة ؛ لأن الملائكة كانت تتنزل عليها ، وتحدثها ، وتحدثهم [4] .

وقد رجح بعض العلماء أن هذه الكتب ما هي إلا تفسير لكتاب الله ، نقلها الشيعة عن آل البيت ، وبعضهم حكم عليها بأنها أوهامٌ ، وأباطيلٌ ، لا ثبوت لها إلا في عقول الشيعة [5].

وإذا كانوا يقصدون أن هذا الصحف تفسيرٌ وشرحٌ للقرآن ، فلماذا يسمونه مصحفاً ؟ وفي أي لغة تتساوى كلمة المصحف في المعنى مع كلمة التفسير ، أو التأويل ، أو الشرح ؟ [6] .

وتجد منهم من يقطع أن مصحف فاطمة كلام الله – عز وجل – وإن كان ليس قرآناً – مثل الأحاديث القدسية – ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" وخَلَّفَتْ فاطمةُ مصحفاً ، ما هو قرآنٌ

---

(١) الفتال النيسابوري: روضة الواعظين صـ ٢١٠ – ٢١١. المفيد : الإرشاد جـ ٢ صـ ١٨٦. الطبرسي : الاحتجاج جـ ٢ صـ ١٣٤. قطب الدين الرواندي : الخرائج والجرائح جـ ٢ صـ ٨٩٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ١٨. الصدوق : الخصال صـ ٦٤٨ – ٦٤٩.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٤١– ٤٢ بتصرف .

(٣) أرش الخدش : اسم للمال الواجب على ما دون النفس ، أو تعويض على الجرح ، والذي يقدرها القاضي . انظر نشوان الحميرى : شمس العلوم جـ ١صـ ٢٢٧، جـ ٣ صـ ١٩٢٠. الموسوعة الفقهية الكويتية جـ ٢صـ ٤٢. الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١صـ ٥٥.

(٤) محمد فاضل المسعودي : الأسرار الفاطمية ، نشر مؤسسة الأنوار الفاطمية – بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٣هـ صـ ٤١٣ بتصرف .

(٥) د محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون جـ ٢ صـ ١٧ .

(٦) د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية صـ ١٧٦.

، ولكنَّه كلامٌ من كلام الله ، أنزله عليها ، إملاءُ رسول الله – ﷺ – ، وخطُّ علي – عليه السلام – .[1]

ولكن هذا الكلام فيه زيادة على ما في القرآن الكريم ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" ثم أتى الوحي إلى النبي – ﷺ – فقال : سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ* لِلْكَافِرِينَ (بولاية علي) لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ " [2] ؛ فقيل له : جُعِلْتُ فداك : إنَّا لا نَقْرَؤها هكذا ، فقال : هكذا والله نزل بها جبرائيل على محمد – صلى الله عليه وآله – ، وهكذا هو – والله – مثبتٌ في مصحف فاطمة – عليها السلام – " [3] ؛ فيدل ذلك على أنه نزل في زمان النبي – ﷺ – وليس بعد موته كما سنرى ! .

ويرد بعض علماء الشيعة أن يكون ذلك المصحف قرآناً [4] ؛ فيقول : المراد بمصحف فاطمة : أن ملكاً من الملائكة كان ينزل عليها بعد وفاة أبيها – ﷺ – ، ويسليها ، ويحدثها بما يكون من الأمور، وكان علي – عليه السلام – يكتب ذلك الحديث ، فسُمّي ما كتبه بمصحف فاطمة ؛ فهو ليس قرآنا كما توهم البعض ، ولا كتاباً مشتملاً على الأحكام ، ولا غرابة في حديث الملائكة مع الزهراء ، فقد ذكر القرآن أن الملائكة حدثت مريم ابنة عمران :" وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ" [5] ، ومن المعلوم أفضلية الزهراء – عليها السلام – على مريم ، كما ورد في النصوص المعتبرة [6] : من أن مريم سيدة نساء عالمها ، وأن فاطمة سيدة نساء العالمين [7] .

---

(١) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ١٧٦. السيد مرتضى العسكري : معالم المدرستين ج ٢ ص ٣١٢.

(٢) سورة المعارج : آية رقم ١ – ٢.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٧ ص ١٧٦ . الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٥٨.

(٤) الصدوق : الخصال ص ٥٢٨. الصدوق : معاني الأخبار ص ١٠٣. المفيد : الإرشاد ج ٢ ص ١٨٦. أبو علي الطبرسي : إعلام الورى بأعلام الهدى ، ط ستارة ، نشر مؤسسة آل البيت – قم ، ط١ ، ١٤١٧هـ ج ١ ص ٥٣٦. الفتال النيسابوري : روضة الواعظين ص ٢١١. قطب الدين الراوندي : الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٨٩٤. ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٧٤.

(٥) سورة آل عمران : آية رقم ٤٢.

(٦) الاعتبارات : عملية البحث عن أطراف الحديث ، وطرقه ، وألفاظه . فالحديث المعتبر هو الذي يكون لكل راو أكثر من شيخ ، وكل شيخ يروي عن شيخ غير شيخ الآخر ، وقد يكون لكل شيخ لفظ مختلف عن شيخ آخر ؛ فيخدم المعنى الآخر أو يخالفه ، وهذا يدل على كثرة الناقلين للحديث من الرواة . والتساهل في اعتبارات الروايات إنما يقل خطره ، بل ربما يتلاشى أثره ، إذا كان الحديث له أصل ثابت قائم بنفسه يُرجع إليه ، فإن الحديث الصحيح لذاته أو الحسن لذاته ليس في حاجة إلى شاهد أو متابع يُقوي ثبوته ، فما جاء له من شواهد ومتابعات غير ناهضة ، ولا معتبرة ، إن لم تنفعه لن تضره . الحافظ ابن كثير : الباعث الحثيث ص ٥٣ – ٥٤ .

(٧) السيد الخوئي : صراط النجاة ج ٣ص ٤٤١. ابن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة ص ١٠٥. هادي النجفي : موسوعة أحاديث أهل البيت ج١٠ ص ٣٠٣.

ويؤكد ذلك ما جاء عن أبي عبد الله – عليه السلام – :" مصحف فاطمة ما فيه شيء من كتاب الله ، وإنما هو شيء أُلْقِيَّ عليها بعد موت أبيها – صلى الله عليهما – " [١] .

وعن أبى الحسن – عليه السلام – : " إنما هلك من كان قبلكم بالقياس ، وإن الله لم يقبض نبيه حتى أكمل له جميع دينه في حلاله وحرامه ، فجاءكم ممَّا تحتاجون إليه في حياته ، وتستغيثون به ، وبأهل بيته بعد موته ، وإنه مصحف عند أهل بيته حتى إن فيه لأرش خدش الكف [٢].

ويُظْهِرُ سبب نزول هذا المصحف أبو عبد الله – عليه السلام – حين يسأله أحد الشيعة : " عن الجفر، فقال : هو جلدُ ثورٍ مملوءٌ علماً ، قال له : ما الجامعة ؟ قال : تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم[٣] ، فيها كل ما يحتاج الناس إليه ، وليس من قضية إلا وهي فيها ، حتى أرش الخدش ، قال : فمصحف فاطمة ؟ قال : فسكت طويلاً ، ثم قال : إنكم لتبحثون عمَّا تريدون ، وعما لا تريدون ، إن فاطمة مكثت بعد رسول الله – ﷺ – خمسةً وسبعين يوماً ، وقد كان دخلها حزنٌ شديدٌ على أبيها ، وكان جبرائيل يأتيها ؛ فيحسن عزاءها على أبيها ، وكان عليٌّ يكتب ذلك ، فهذا مصحف فاطمة – عليها السلام – ، وهذا وجه تسميتها : بالحوراء الإنسية " [٤].

ويبين قدره أبو عبد الله – عليه السلام – فيقول : وإن عندنا لمصحف فاطمة ، وما يدريهم ما مصحف فاطمة ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم من حرفٌ ، إنما هو شيء أملاه الله ، وأوحيَّ إليها " [٥] .

وعندهم الجفر الأحمر ، وما يدريك ما الجفر؟ قال : السلاح ؛ وذلك إنها تفتح للدم يفتحها صاحب السيف للقتل [٦] ؛ يعني بصاحب السيف : المهدي .

وهناك الجفر الجامعة : وهي اسم لكتاب منسوب إلى جعفر الصادق وهو : عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر ، المحتوي على كل ما كان ، وما يكون ، كلياً ، وجزئياً [٧].

---

(١) على النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٦ ص ٢٠٧.

(٢) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٣٢٧.

(٣) الأديم : الجلد . انظر نشوان بن سعيد الحميرى اليمني : شمس العلوم جـ ١ ص ٢١٠.

(٤) الشيخ وحيد الخراساني : منهاج الصالحين جـ ١ص ٣٠٠.

(٥) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ١٧٢.

(٦) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ١٦٩.

(٧) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت ، دت جـ ١ ص ٥٧٧-٥٩١ بتصرف .

وهناك صحيفة أخرى : عن أبي عبد الله – عليه السلام – أنه حكي له بعض الشيعة يوماً :" أشهد بالله أني دخلت على أمك فاطمة في حياة رسول الله – ﷺ – فهنيتها بولادة الحسين ، ورأيت في يدها لوحاً أخضراً ، ظننت أنه من زمرد ، ورأيت فيه كتاباً أبيضاً ، وفيه : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّ الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من الله العزيز الحكيم ، لمحمد نبيه ، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين " [1] .

وهناك صحيفة أخرى : قال أحد رواتهم :" دخلت على مولاتي فاطمة بنت رسول الله – ﷺ – ؛ لأهنئها بمولودها الحسين – عليه السلام – ، فإذا بيدها صحيفةٌ بيضاءٌ مِنْ دُرة ، فقلت لها : يا سيدة النساء ما هذه الصحيفة التي أراها معك ؟ قالت : فيها أسماء الأئمة من ولدي ، قال لها : ناوليني لأنظر فيها ، قالت : لولا النهي لكنت أفعل ، لكنَّه قد نهي أن يمسها إلا نبيٌّ ، أو وصيُ نبيٍّ ، أو أهلُ بيت نبي" [2].

وعن أبي عبد الله – عليه السلام – : أما والله عندنا مالا نحتاج إلى الناس ، وإن الناس ليحتاجون إلينا ، إن عندنا الصحيفة سبعون ذراعاً ، بخط على ، وإملاء رسول الله – ﷺ – فيها من كل حلال وحرام ، إنكم لتأتوننا فتدخلون علينا ؛ فنعرف خياركم من شراركم [3] ، أي : من هذه الصحيفة .

وهناك الصحيفة الجامعة والوسطى : عن أبي عبد الله – عليه السلام – أنه قال لأحد الشيعة يوماً : اعلم أن أسماء أبنائك عندنا في الصحيفة الجامعة ، والوسطى ، مُثْبَتَان مُسَمَّيان مع أسماء شيعتنا ، وأسماء آبائهم ، وأمهاتهم ، وقبائلهم ، وعشائرهم ، مُصوَّران ، مُجلَّيان ، وأجدادهم ، وأولادهم ، وما يلدون إلى يوم القيامة ، رجلاً رجلاً ، وامرأةً امرأةً ، وهي صحيفة صفراء ، مدروجة ، مخطوطة بالنور لا بحبر ، قال الراوي : فرجعت من المدينة ، ودخلت الكوفة ، فولد لي والله ولدان ، وابنتان في الأوقات التي قال عنها ، فكان هذا من دلائله – عليه السلام– [4] .

وهناك الناموس : فقد جاءت امرأةٌ لأبي عبد الله – عليه السلام– فقالت : إن لي ابن أخ ، وهو يعرف فضلكم ، وأنا أحب أن تعلمني أمن شيعتكم ؟ قال : وما اسمه ؟ قالت : فلان بن فلان ، فقال : يا فلانة هات الناموس ؛ فجاءت بصحيفة تحملها كبيرة ، فنشرها ، ثم نظر فيها ، فقال :

---

(١) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٥٢٧ بتصرف . الحسين بن حمدان الخصيبي : الهداية الكبرى صـ ٣٦٥ .

(٢) الراوي هو جابر بن عبد الله . انظر الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ٢ صـ ٤٧. الشيخ الطبرسي : الاحتجاج جـ ٢ صـ ١٣٦.

(٣) محمد بن الحسن الصفار: بصائر الدرجات صـ ١٦٢. الحر العاملي: وسائل الشيعة جـ ١ صـ ٦. المجلسي: بحار الأنوار جـ١٠صـ ٢٥٤.

(٤) الحسين بن حمدان الخصيبي : الهداية الكبرى صـ ٢٥٣. ابن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة صـ ٢٦٣. السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٥ صـ ٤٣٦. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٧صـ ١٤٣.

نعم ، هو ذا اسمه ، واسم أبيه هيهنا [1]، وعن الرضا –عليه السلام – : إن شيعتنا مكتوبون بأسمائهم ، وأسماء آبائهم أخذ الله علينا ، وعليهم الميثاق ، يردون موردنا ، ويدخلون مدخلنا ، ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم ، أي والله في الناموس [2] .

وهناك صحف كثيرة : منها العبيطة : عن علي – عليه السلام – : وأيم الله لو أنشط ، ويؤذن لي ؛ لحدثتكم حتى يحول الحول لا أعيد حرفاً ، وأيم الله : إن عندي لصحفٌ كثيرةٌ قطايع رسول الله – صلى الله عليه وآله – وأهل بيته ، وإن فيها لصحيفة ، يقال له : العبيطة [3]، وما ورد على العرب أشد عليهم منها ، وإن فيها لستين قبيلة من العرب مبهرجة [4] ، مالها في دين الله من نصيب [5].

وهناك صحف الأختام : عن أبي عبد الله – عليه السلام – : إن جبرائيل أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بصحيفة مختومة بسبع خواتيم [6] من ذهب ، وأمر إذا حضره أجله أن يدفعها إلى علي ؛ فيعمل بما فيه ، ولا يجوزه إلى غيره ، وأن يأمر كل وصى من بعده أن يفك خاتمه ، ويعمل بما فيه [7] .

ولعل هذه الصحيفة هي التي نزلت على الرسول – ﷺ – قبل وفاته ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" إن الله – عز وجل – أنزل على نبيه – ﷺ – كتاباً قبل وفاته ، فقال جبرائيل: يا محمد هذه وصيتك إلى النجبة من أهلك ، قال : وما النجبة ، فقال : علي وولده – عليهم السلام – وكان عليه خواتيم من ذهب ، فدفعه النبي – ﷺ – إلى أمير المؤمنين ، وأمره أن يَفُكَ خاتمه ، ويعمل بما فيه "[8].

---

(١) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ١٩٠.

(٢) المصدر السابق صـ ١٩٣.

(٣) العبيطة : من الإبل: ما ذُبح من غير علة ولا كسر ، وهي سَمِينة فَتِيَّةٌ . نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ٧ صـ ٤٣٣٦.

(٤) مبهرجة : بَهرَجَ الكلامَ : زيَّفَه ، وخرج به عن الحدّ المألوف وزوّقه ، وزيّنه ، وزخرفه ، والبَهارِجُ : الباطل ، والمبهرج : الذي لا يعرف جيِّد الرأي من الرديء ، والتافه قليل النّفع . د أحمد مختار عبد الحميد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، مادة بهرج جـ ١ صـ ٢٥٥.

(٥) محمد بن الحسن الصفار: بصائر الدرجات صـ ١٦٩.

(٦) هنا تناقض : الشيعة الاثنا عشرية تقول : إن عدد الأئمة أثني عشر إماماً ، وهنا : سبع خواتيم ، يعني : أن عدد الأئمة سبعة فقط ، فأين خواتيم الباقين ؟ أم أن جبريل اكتفى بالسبعة ؟ أم أن النبي نسي أو علي أو الراوي نسي العدد ؟ فأين العصمة ، يا أهل العصمة .

(٧) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ١٧٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٣٧. السيد مرتضى العسكري : معالم المدرستين ، جـ ٢ صـ ٣٠٦. الأحمدي الميانجي : مكاتيب الرسول جـ ٢ صـ ٦١.

(٨) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٢٨٠. الميرزا النوري : خاتمة المستدرك جـ ٥ صـ ٦٩.

بل هي اثنتا عشرة صحيفة : فعن رسول الله – ﷺ – :" إن الله – تبارك وتعالى – أنزل على اثني عشر خاتماً ، واثنتي عشرة صحيفة ، اسم كل إمام على خاتمه ، وصفته في صحيفته "[١] .

وهناك صحيفة ذؤابة سيف النبي – ﷺ – ؛ فعن الصادق– عليه السلام – : وُجِد في ذؤابة سيف رسول الله – ﷺ – صحيفة فإذا فيها مكتوب : بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ : إن أعتى الناس على الله يوم القيامة من قتل غير قاتله ، وضرب غير ضاربه [٢] ، ولا ندري ما هذا أهو قرآنٌ أم حديث ؟ .

وهناك صحيفة ذؤابة[٣] سيف علي ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام –: كان في ذؤابة سيف على صحيفة صغيرة ، وإن علياً دعا ابنه الحسن ؛ فدفعها إليه ، ودفع إليه سكيناً ، وقال له : افتحها ، فلم يستطع أن يفتحها ، ففتحها له ، ثم قال له : اقرأ ، فقرأ الحسن الألف ، والباء ، والسين ، واللام ، وحرفاً بعد حرف ، ثم طواها ، فدفعها إلى ابنه الحسين ، فلم يقدر أن يفتحها ؛ ففتحها له ، ثم قال له : اقرأ يا بني ، فقرأها كما قرأ الحسن ، ثم طواها فدفعها إلى ابنه ابن الحنفية ، فلم يقدر أن يفتحها ؛ ففتحها له فقال له : اقرأ ، فلم يستخرج منها شيئاً ، فأخذها وطواها ، ثم علقها في ذؤابة السيف ؛ فقيل لأبي عبد الله : وأي شيء كان في تلك الصحيفة ؟ قال : هي الأحرف التي يفتح كل حرفٍ ألف حرف ، وما خرج منها إلا حرفان إلى الساعة [٤] .

وعندهم ألف حرف بل ألوف : فعن أبي جعفر – عليه السلام – :" إن الله علم علياً ألف حرف ، كل حرف يفتح ألف حرف ، والألف حرف ، كل حرف منها يفتح ألف حرف [٥] يا لجهلنا المدقع ! .

وهناك مصحف علي : ويعترف الاثني عشرية بذلك ؛ فيقولون :" إن وجود مصحف لأمير المؤمنين يغاير القرآن الموجود في ترتيب السور ممَّا لا ينبغي الشك فيه ، وتسالم العلماء الأعلام على وجوده أغنانا عن التكلف لإثباته ، كما أن اشتمال قرآنه – عليه السلام – على زيادات ليست

---

(١) قطب الدين الراوندي : الخرائج والجرائح جـ ٣ صـ ١١٦٧. الشيخ الأميني : الغدير جـ ٣ صـ ٢٨٣.

(٢) الفاضل الهندي : كشف اللثام عن قواعد الأحكام ، تحقيق و نشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، ١٤٢٤هـ جـ١١صـ ٥. الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٤٢ صـ ٩. زيد بن علي : مسند زيد بن علي ، نشر دار مكتبة الحياة – بيروت ، دت صـ ٤٥٧. الحميري القمي : قرب الإسناد ، ط مهر – قم ، ط١ ، ١٤١٣هـ صـ ٢٥٨. الكليني : الروضة من الكافي جـ ٧ صـ ٢٧٤.

(٣) ذؤابة السيف : سِنُّه ، وموضع الوخْز منه ، وهي عِلاقَةُ قائِمِة تستخدم لتعليق السيف وتكون في طرفه . انظر نشوان بن سعيد الحميرى اليمني : شمس العلوم جـ ٤ صـ ٢٣٢٤، جـ ٩ صـ ٥٨٧٥. د أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ١ صـ ٧٩٩.

(٤) محمد بن الحسن الصفار: بصائر الدرجات صـ ٣٢٧. الشيخ المفيد : الاختصاص صـ ٢٨٤.المجلسي:بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٥٦.

(٥) الفاضل الهندي : كشف اللثام عن قواعد الأحكام جـ١١ صـ ٥. الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٤٢ صـ ٩. زيد بن علي : مسند زيد بن علي صـ ٤٥٧. الحميري القمي : قرب الإسناد صـ ٢٥٨. الكليني : الفروع من الكافي جـ ٧ صـ ٢٧٤.

في القرآن الموجود – وإن كان صحيحاً – إلا أنه لا دلالة في ذلك على أن هذه الزيادات كانت من القرآن ، وقد أسقطت منه بالتحريف ، بل الصحيح : أن تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل "[١] ، فلماذا تسموه مصحفاً .

وهناك صحيفة سيد الساجدين لعلي بن الحسين زين العابدين – عليه السلام – وقد اهتمت الشيعة بطباعتها ، وشرحها حتى وصلت شرواحاتها إلى أكثر من ٥٢ شرحاً ، وكل هذا الاهتمام ؛ لأن هذه الصحيفة – حسب زعمهم – شقيقة القرآن في القدسية ، والتعظيم ، فهم يسمُّونها بأخت القرآن ، وإنجيل أهل البيت ، وزبور آل محمد ، وتحتوي على ٥٤ دعاءً [٢] .

مع كون الرضا – عليه السلام – قال مخاطباً الشيعة جميعاً : " وشريعة محمد – ﷺ – لا تنسخ إلى يوم القيامة ، ولا نبي بعده إلى يوم القيامة ، فمن ادعى بعد نبينا ، أو أتى بعد القرآن بكتاب ؛ فدمه مباح [٣] لكل من سمع ذلك منه [٤] .

والسؤال الآن أليس من لطف الله – ﷻ – أن يخرج الأئمة هذه الصحف ، حتى يهتدي بها الضال ، ويتثبت بها الشيعة ومن والاهم ، أم من اللطف إخفاء الوحي عن الناس ؛ فيهلكوا ؟ وقد قال رسول الله – ﷺ – :" من سئل عن علم ؛ فكتمه ، ألجم يوم القيامة بلجام من نار [٥] .

أم أن هذه الصحف فيها ما يستحي من ذكره الشيعة ؟ وحتى لو كان فيه ذلك لا يجوز لهم كتمانه فقد قَالَ اللهُ – ﷻ – : " وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ[٦] لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ "[٧] ؛ فَأَخْبَرَنَا أَنَّ شَرْطَهُ عَزَّ وجَلَّ عَلَى مَنْ آتَاهُ الْكِتَابَ أَنْ يُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ ولَا يَكْتُمَهُ فَتَبَيَّنَ أَنَّ عِلْمَ الدِّينِ مَحْمُولٌ عَلَى أَهْلِهِ عَلَى شَرِيطَةِ الْأَدَاءِ إِلَى مَنْ تَعَرَّضَ لَهُ ، لَا عَلَى أَنْ يَنْفَرِدَ بِهِ حَامِلُهُ ، وَيَرْوِيهِ عَنْ غَيْرِهِ فقط ، وَقَالَ تعالى: "فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" [٨] ؛ فَلَمَّا

---

(١) السيد الخوئي : البيان في تفسير القرآن ص ٢٢٣ .

(٢) ابن طاووس الحسني : فتح الأبواب ، تحقيق : حامد الخفاف ، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ص ٧٦. محمد رضا مظفر : عقائد الإمامية الاثني عشرية ص ٩٥ – ٩٦ بتصرف .

(٣) المباح : ما خير الشارع المكلف بين فعله وتركه ، تخييراً من غير بدل ، ومن غير مدح ، ولا ذم ؛ فاستوى طرفي الفعل والترك . انظر د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ص ١٣٤. أيمن موسى : غاية المأمول ص ١٢٨ – ١٢٩. المحقق النراقي : عوائد الأيام ص ٣٧٠.

(٤) الشيخ الصدوق : علل الشرائع جـ ١ ص ١٢٢ – ١٢٣. ولنفس المؤلف : عيون أخبار الرضا جـ ١ ص ٨٦ – ٨٧ .

(٥) الشيخ الطبرسي : مجمع البيان جـ ١ ص ٣٥٠. صحيح . البيهقي : شعب الإيمان جـ ٣ص ٢٥٣. أبو داود : السنن جـ ٣ ص ٣٢١.

(٦) قال الكلبي : هم اليهود . انظر شعب الإيمان جـ ٧ ص ١٦٤. فمن فعل ذلك فقد تشبه بهم ، نعوذ بالله من ذلك .

(٧) سورة آل عمران : آية رقم ١٨٧.

(٨) الشيخ الطبرسي : مجمع البيان جـ ١ ص ٣٥٠. صحيح . البيهقي : شعب الإيمان جـ ٣ص ٢٥٣. أبو داود : السنن جـ ٣ ص ٣٢١.

أَمَرَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنْ يَسْأَلَ الْعَالِمَ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْعَالِمَ إِذَا سُئِلَ عَلَيْهِ أَنْ يُجِيبَ [١] ، ولا يجوز له أن يكتم العلم عمن سأله .

وقد سُئل عليٌّ – رضي الله عنه – "ما كَانَ النَّبِيُّ – ﷺ – يُسِرُّ إِلَيْكَ ؛ فَغَضِبَ ، وَقَالَ : مَا كَانَ النَّبِيُّ – ﷺ – يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُهُ النَّاسَ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ :" لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ" [٢] ، وهذا دليل على أن أحكام النبي – ﷺ – وتشريعاته كانت ظاهرة ، ولم يكتم عن الصحابة شيئاً ؛ كما قالت عَائِشَةَ – رضي الله عنها – : " لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – كَاتِمًا شَيْئًا مِنَ الوَحْيِ ؛ لَكَتَمَ هَذِهِ الآيَةَ :" وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ – بِالْعِتْقِ فَأَعْتَقْتَهُ – أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ – إِلَى قَوْلِهِ – وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا " [٣][٤] .

أثر تقديس الأئمة في تقديس فقهاء الشيعة الاثنا عشرية :

من المرتكز عند المتشرعة : لزوم حصول المفتي على ملكة عالية من العدالة تقترب من العصمة ، يحتاج إحرازها فيه إلى تجربة قاسية لا يقوى عليها إلا أقل القليل ، تبلغ بالشخص مرتبة القدسية في نفوس الناس تناسب استئمانه على الأحكام " [٥].

ولقد جاء مدح فقهاء الشيعة – كما روت رواتهم – على لسانه – ﷺ – فقال : " علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل " [٦]، وقال : " أفتخر يوم القيامة بعلماء أمتي ، فأقول علماء أمتي كسائر الأنبياء قبلي " [٧] ؛ لأن أنبياء بني إسرائيل كان يجتمع منهم في العصر الواحد ألوف ، والآن لا يوجد من العلماء إلا واحد بعد الواحد [٨] .

---

(١) البيهقي : شعب الإيمان جـ ٣ صـ ٢٤٥ .

(٢) مسلم : صحيح مسلم جـ ٣ صـ ١٥٦٧ .

(٣) سورة الأحزاب : آية رقم ٣٧ – ٤٧.

(٤) البخاري : صحيح البخاري جـ ٦ صـ ١١٧. مسلم : صحيح مسلم جـ ١ صـ ١٦٠ . الترمذي : سنن الترمذي جـ ٥ صـ ٣٥٣.

(٥) سورة النحل : آية رقم ٤٣.

(٦) الحلي : تحرير الأحكام جـ ١صـ ٣٨. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢ صـ ٢٢ . المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١١ صـ ٢٠٧. السيد محمد مهدي بحر العلوم : بلغة الفقيه جـ٣ هامش صـ ٢٢٨.

(٧) المحقق النراقي : عوائد الأيام صـ ٥٣٢.

(٨) الشهيد الثاني : منية المريد في أدب المفيد والمستفيد ، تحقيق : رضا المختاري ، ط مكتب الإعلام الإسلامي – قم ، ط١ ، ١٤٠٩هـ / ١٣٦٨ش صـ ١٨٢.

ومن عظيم قدرهم كما يزعمون أنهم لولاهم لعاد الناس جميعاً إلى الردة ؛ فعن علي بن محمد – عليه السلام – :" لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا من العلماء الداعين إليه ، والدالين عليه ؛ لما بقي أحد إلا ارتد عن الدين ، أولئك هم الأفضلون عند الله "(١) .

وعن القائم – عليه السلام – مخاطباً الناس :" هم حجتي عليكم ، وأنا حجة الله " (٢) ، وعن علي – عليه السلام – :" مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله ، الأمناء على حلاله وحرامه " (٣) .

ولكن لا يستطيع أحد منهم أن يدعي الولاية لنفسه ولا لغيره ، لأن كل راية ترفع قبل راية القائم ؛ فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله – عز وجل – (٤) ؛ وإن كان رافعها يدعوا إلى الحق (٥) .

بل من أبرز معالم الفقه الشيعي : ابتعاده عن أسلوب القياس (٦) ، وطريقة الاستحسان (٧) ، وإهماله ما يُدْعى بالمصالح المرسلة (٨) ، والتقدم بفن الاستنباط (٩) خطىً واسعةً نحو الأمام ، وتعد حيوية الفقه الشيعي ، ومسايرته لروح العصر معلماً ثالثاً ، فالاجتهاد في ضوء القواعد الفقهية الإمامية

---

(١) المحقق النراقي : عوائد الأيام صـ ٥٣٣. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢ صـ ٢-٣ .

(٢) الطوسي : الغيبة صـ ١٧٧ . الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٢٧ صـ ١٤٠. الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٤٨٤.

(٣) السيد الخميني : البيع جـ ٢ صـ ٦٥١.

(٤) الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ صـ ٢٩٥. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٥ صـ ٥٢.المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٨ صـ ٢٥٤.

(٥) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١٢ صـ ٤١٢.

(٦) القياس : مساواة فرع لأصل في علة الحكم ، وقد خالف فيه الجعفرية والظاهرية فلم يقولوا به ، ومثاله : إلحاق واقعة لا نص على حكمها بواقعة ورد نص بحكمها ؛ لتساوي الواقعتين في العلة ، مثل قياس المخدرات على الخمر لجامع السكر فيهما . انظر د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه صـ ٥٩ بتصرف . أيمن بن علي موسى : غاية المأمول صـ ١٨٦ بتصرف .

(٧) الاستحسان : عدول المجتهد عن مقتضى قياس جلي إلى مقتضى قياس خفي ، أو عن حكم كلي إلى حكم استثنائي ؛ لدليل انقدح في عقله رجَّحَ لديه هذا ، مثل نهي الشارع عن بيع المعدوم ، ورخص عن طريق الاستحسان في السلم ، والإجارة ، والمزارعة ، والمساقاة ، والاستصناع ، وكلها عقود معدومة المنفعة وقت العقد . انظر د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه صـ ٨٨ – ٩٠ بتصرف .

(٨) المصالح المرسلة : المصلحة التي لم يشرع الشارع حكماً لتحقيقها ، ولم يدل دليل شرعي على اعتبارها ، أو إلغائها ، وسميت مطلقة : لأنها لم تقيد بدليل اعتبار ، أو دليل إلغاء ، مثل اتخاذ السجون ، أو إبقاء الأرض الزراعية التي فتحها المسلمون في أيدي أهلها ، ووضع الخراج عليها . انظر د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه صـ ٩٣ بتصرف .

(٩) الاستنباط : استخراج الحكم أو العلّة ، إذا لم يكونا منصوصين عليهما ، ولا مجمعاً عليهما بنوعٍ من الاجتهاد ؛ فيستخرج الحكم بالقياس ، أو الاستدلال ، أو الاستحسان ، أو نحوها ، وتستخرج العلّة بالتّقسيم ، والسّبر ، أو المناسبة ، أو غيرها ممّا يعرف بمسالك العلّة . أو بمعنى : استخراج الحكم بالتّفريع على نصّ الإمام في صورةٍ مشابهةٍ ، أو على أصول إمام المذهب كالقواعد الكلّيّة الّتي يأخذ بها ، أو الشّرع ، أو العقل ، من غير أن يكون الحكم منصوصاً عليه من الإمام . انظر الموسوعة الفقهية الكويتية جـ ٥ صـ ١٢٤ بتصرف .

يحتم على الفقيه الشيعي متابعة مستجدات القضايا ، واستنباط أحكامها الشرعية ، ومن ثم تضاعف عدد المجتهدين ؛ من أجل أن تكون أجوبة جاهزة لمختلف المسائل والقضايا التي تهم المجتمع الإسلامي ، وهم مهما بلغت منزلتهم ، وسمت مرتبتهم ليسوا بفوق أن يخطئوا ، وإن العصمة لأهل البيت – عليهم السلام – الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً [١].

ويحسن بنا أن ننبه إلى أن بعض الفقهاء والمراجع الدينية يزعمون : أنهم من نسل أهل البيت ؛ فترى أحدهم يروي لك سلسلة نسبه إلى الكاظم ، حتى أصبحت شجرة الأنساب تباع وتشترى في الحوزة [٢]، فمن أراد الحصول على شرف النسبة لأهل البيت ، فما عليه إلا أن يأتي بأخته ، أو امرأته – إذا كانت جميلة – إلى أحد السادة ؛ ليتمتَّع بها ، أو أن يأتيه بمبلغ من المال ، وهذا أمر معروف في الحوزة [٣] .

ومع تحفظنا على هذا الكلام عرضناه من باب أن القائل كان فقيهاً معتمداً في حوزاتهم العلمية .

المنهج النقدي لتقديس الفقهاء : يهدم الخميني تقديس الفقهاء في المذهب الشيعي ؛ فيقول : " ومن هنا فقد حطم الشيعة عقدة القداسة : قداسة الرجال غير المعصومين ، والجمود على رأي عالم معين مهما عظم شأنه ؛ فبقي المجتمع الشيعي ينبض بالحياة ، ما دام لا يجيز فقهاؤه تقليد المجتهد الميت ، حتى لو كان أعلم من الأحياء ، إلا في نطاق ضيق محدود ؛ فالحياة شرطٌ حيويٌ في جواز إتباع رأي المفتي ، ومرجع التقليد ، فلا يصح تقليد الميت ، والانصراف عن تقليد المجتهد الحي [٤] .

وهذا يخالف ما جاء عن عبد الله بن مسعود [٥] – رضي الله عنه – : " من كان مستناً ، فليستن بمن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – كانوا أفضل هذه الأمة ، أبرها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، ولإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم على آثارهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ،

---

(١) الخميني : الاجتهاد والتقليد ، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ، ط مؤسسة العروج – طهران ، ط١ ، ١٤١٨هـ / ١٣٧٦ ش صـ ٥–٧ بتصرف.

(٢) حَوْزَة الشَّيخ : مجلسه الذي يلقي على مريديه فيه العلم . د أحمد ختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ١ صـ ٥٨١.

(٣) د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ صـ ٦٧.

(٤) السيد الخميني : الاجتهاد والتقليد صـ ٧–٨ .

(٥) عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُوْدِ : بن غَافِلِ بن حَبِيْبٍ الهُذَلِيُّ الإِمَامُ ، فَقِيْهُ الأُمَّةِ ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، المكِّيُّ، المهَاجِرِيُّ ، البَدْرِيُّ ، حَلِيْفُ بَنِي زُهْرَةَ ، مِنَ السَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ ، وَهَاجَرَ الهِجْرَتَيْنِ ، وَكَانَ يَوْمَ اليَرْمُوْكِ عَلَى النَّفْلِ ، وَمَنَاقِبُهُ غَزِيْرَةٌ ، رَوَى عِلْماً كَثِيْراً ، ماتَ بِالمدِيْنَةِ ، وَدُفِنَ بِالبَقِيْعِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاَثِيْنَ ، وقيل : سَنَةَ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِيْنَ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١ صـ ٤٦١ –٥٠٠.

وسيرهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم " (١) ، وفي رواية : " أَلاَ لاَ يُقَلِّدَنَّ رَجُلٌ رَجُلاً دِينَهُ ، فَإِنْ آمَنَ آمَنَ ، وَإِنْ كَفَرَ كَفَرَ ، فَإِنْ كَانَ مُقَلِّدًا – لاَ مَحَالَةَ – فَلْيُقَلِّدِ الْمَيِّتَ ، وَيَتْرُكِ الحي ؛ فَإِنَّ الحي لاَ تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ (٢) .

ومع ذلك يقول الخميني :" إن الفقيه الرافضي بمنزلة موسى وعيسى " (٣) ، ويفضل بعضهم الخميني على موسى – عليه السلام – فيقول في بعض أحكام الخميني مادحاً عقله الراجح في بعض كلماته :" وليست هذه الكلمات مجرد سَوْرَة من سورات(٤) الغضب كما فعل موسى – عليه السلام – حين ألقي الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره ، بل تُنْبني أيضا على العلم ، والمنطق الصارم ، دون أن تلفحه نار العاطفة " (٥) ، هكذا يتحدث عن الخميني مقارنةً بأحد أولي العزم من الرسل ! .

أثر تقديس الأئمة في تقديس الشيعة لمذهبهم :

بالنظر في كتب التشيع المعتبرة : ترى أن الشيعة يقدسون مذهبهم تقديساً ، واضحاً ، جلياً ؛ تبعاً لتقديسهم لأئمتهم ، ويصفون أنفسهم بصفات التقديس ، والتعظيم ومن أمثلة هذه الأوصاف :-

أولها : هم سبيل الله فعن الصادق – عليه السلام – أنه سئل عن رجل أوصى بمال في سبيل الله ؛ فقال : " سبيل الله شيعتنا "(٦).

ثانيها : تقديس إجماعهم بوصفه بأنه حجة بصرف النظر عن دليلهم :" فإذا أجمعوا على شيء ؛ قطعنا على صحته ، وليس علينا أن نعلم دليلهم الذي أجمعوا لأجله ما هو بعينه ، فإن ذلك عنَّا موضوع ؛ لأن حجتنا التي عليها نعتمد هي : إجماعهم ، لا ما لأجله كان إجماعهم (٧) ، أي :

---

(١) الخطيب التبريزي : مشكاة المصابيح ، تحقيق : الألباني ، ط المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م جـ ١صـ ٤٢.

(٢) البيهقي : السنن الكبرى جـ ١٠ صـ ١٩٨.

(٣) السيد الخميني : الحكومة الإسلامية صـ ٩٥.

(٤) سورة من سورات الغضب : شِدّة ، حِدّة ، هياج الغضب . د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٢ صـ ١١٣٣.

(٥) هذا نص مغنية بحروفه ، وهو يفيد كما يظهر أن الخميني أكمل من نبي الله موسى – عليه الصلاة والسلام – ، وأن فعل الخميني مبني على العلم والمنطق ، بينما كان فعل موسى مبنياً على الغضب والعاطفة ! وحاشاه من نبي كريم . انظر سامح عباس الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الاثني عشرية صـ ١٤٨.معلقا على محمد جواد مغنية : الخميني والدولة الإسلامية صـ ١٠٧.

(٦) الشيخ الصدوق : الهداية صـ ٣٢٢. ابن مطهر الحلي : تذكرة الفقهاء جـ ٢ صـ ٤٧٣.

(٧) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى صـ ٢٠.

بغض النظر عن دليلهم الذي أجمعوا لأجله ، لكنَّا نقول : أن القطع بالصحة عند أهل السنة يكون بدليل الإجماع لا بنفس الإجماع ، والدليل هو المعول عليه [1] .

ثالثها : هم وحدهم أطهر الأنساب : عن أبي عبد الله – عليه السلام– أنه سئل : من أين دخل على الناس الزنا ، قال : " من قبل خمسنا أهل البيت ، إلا شيعتنا الأطيبين فإنه محلل لهم لميلادهم " [2]، وصرح بذلك الخميني ؛ فقال :" إن أبا جعفر – عليه السلام – سئل : عن بعض أصحابه يفترون ويقذفون من خالفهم ؟ فقال : " إن الناس كلهم أولاد بغاة ما خلا شيعتنا " ، ثم قال الخميني : والظاهر منها جواز الافتراء ، والقذف عليهم[3] ، لكن الكف أحسن وأجمل [4] .

وعن رسول الله – ﷺ – :" لا يبغضك يا علي إلا ولد الزنا "[5] ؛ ولذلك كان يعرف طيب المولد بحب علي ، ويعرف ولد الزنا ببغض علي [6] .

وأما أمهات أولاد غير الشيعة فعواهر إلى يوم القيامة ؛ لأن كلهن مال الإمام – عليه السلام – على المشهور[7] بين الأصحاب ، أو خمسهن على قول ؛ فنكاحهن بغير ولي – وهو الإمام – باطل ؛ لأنه ولي المسلمين والمسلمات ، وأولى بهم من أنفسهم ، فإذا لم يرض بنكاحهن بسخطه عليهن ، كان نكاحهن باطلاً ، ومن ثم ورد في بعض الأخبار : أن كلهم من أولاد الزنا ، وطلاقهن ليس له عدة ؛ لأن الزواج باطلٌ ؛ فبطلت العدة ، كما يظهر من مراجعة أصول وفروع

---

(١) الشوكاني : إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول ، تحقيق : أحمد عزو عناية ، دار الكتاب العربي – دمشق ، ط١ ، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م جـ ١ صـ ٣٩٤. الزركشي : المحيط في أصول الفقه ، تحقيق : محمد محمد تامر ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م جـ ٤ صـ ٢٢.

(٢) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٢٨.

(٣) قلت : معاذ الله أن يصدر هذا عن واحد من آل بيت نبينا – عليهم السلام – .

(٤) السيد الخميني : المكاسب المحرمة ، ط مؤسسة إسماعيليان – قم ، ط٣ ، ١٤١٠هـ / ١٣٦٨ش جـ ١ صـ ٢٥٢.

(٥) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٥ صـ ١٩١. الشيخ الأميني : الغدير جـ ٤ صـ ٣٢٢.

(٦) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٦ صـ ٦٩بتصرف. أحمد الرحماني الهمداني : الإمام علي بن أبي طالب صـ١٥٨– ١٥٩ بنحوه .

(٧) القول المشهور : مصطلح فقهي يغلب استعماله في المذهب الشافعي ، ومعناه يقترب من القول الأظهر عند الشافعية أيضاً ، فهما قولان أدلتهما قوية ، وقد يرجح أحدهما ، فإن قوي الخلاف ؛ لقوة مدركه فالأظهر المشعر بظهور المقابلة ، وإن ضعف الخلاف فالمشهور المشعر بغرابة مقابله ، وعند الشيعة: ما اشتهر العمل به بين علماء الشيعة الاثني عشرية ، وبه يفرقون بين التقية والعزيمة . انظر د علي جمعة : المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية صـ ٦٢ بتصرف . الشهيد الأول : ذكرى الشيعة جـ ١صـ ٤٨. د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية صـ ١٦٥.

العامة ، لكن يرخص للشيعي أن يتزوج نسائهم ، وإن لم يكن طلاقهن غير صحيح على مذهب الشيعة [1] ، سبحان الله .

وقال رسول الله – ﷺ – : لعلى – عليه السلام – : ألا أسرك ؟ ألا أمنحك ؟ ألا أبشرك ؟ فقال : بلى يا رسول الله بشرني ! قال : فإني خُلقت أنا وأنت من طينة واحدة ، ففضلت منها فضلة ؛ فخلق الله منها شيعتنا ، فإذا كان يوم القيامة : دعي الناس بأسماء أمهاتهم سوى شيعتنا ، فإنهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مولدهم[2] ، ولكن أهل السنة يروون أن جميع المؤمنين يناديهم الملائكة عند موتهم باسمهم واسماء آبائهم كما قال رسول الله – ﷺ – في حديث خروج روح المؤمن :" فَلَا يَمُرُّونَ بِمَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا : مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّذِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا " [3] ، ويحصل ذلك عند الصلاة على أعظم مخلوق قال – ﷺ – :" إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَانِي مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَقُومُ عَلَى قَبْرِي إِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا يُصَلِّي عَبْدٌ عَلَيَّ صَلَاةً إِلَّا قَالَ: يَا أَحْمَدُ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ يُصَلِّي عَلَيْكَ يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ فَيُصَلِّي اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَانَهَا عَشْرًا " [4] ، وفي عرصات القيامة ينادى على صحاب الحق باسمه واسم أبيه ؛ قال رسول الله – ﷺ – :" إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ ، فَقِيلَ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ " [5] ، فليست الشيعة وحدهم .

رابعها : هم الناجون ؛ لأن الناس كلهم هلكى سوى الشيعة ؛ فعن أبي جعفر – عليه السلام –: " هلك الناس في بطونهم ، وفروجهم ؛ لأنهم لم يؤدوا إلينا حقنا ، ألا وإن شيعتنا من ذلك وآبائهم في حل" [6] ، وقال النبي – ﷺ – عن علي وشيعته : والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ، فكان أصحاب محمد – ﷺ – إذا أقبل قالوا : قد جاء خير البرية [7] ، وقال ابن عباس

(١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١٢ صـ ٧٩ بتصرف.

(٢) الشيخ المفيد : الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد جـ ١ صـ ٤٤.

(٣) البيهقي : شعب الإيمان جـ ١ صـ ٦١٠. ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ٧ صـ ٢٨٥.

(٤) ابن الأعرابي : معجم ابن الأعرابي جـ ١ صـ ٨٤.

(٥) مسلم : صحيح مسلم جـ ٣ صـ ١٣٥٩. أبو داود : السنن جـ ٣ صـ ٨٢. النسائي : السنن الكبرى جـ ٨ صـ ٧٧.

(٦) السيد الخميني : المكاسب المحرمة جـ ١ صـ ٢٨٢. العلامة الحلي : مختلف الشيعة جـ ٣ صـ ٣٤٦.

(٧) ابْنِ أَخِي مِيْمِي : فوائد ابن أخي ميمي الدقاق ، تحقيق : نبيل سعد الدين جرار ، نشر دار أضواء السلف – الرياض ، ط١ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م صـ ٢١٤ . أبو الطيب القِنَّوجي: فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، نشر المكتبة العصريَّة ، صَيدَا – بَيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م جـ ١٥صـ ٣٣٧ . السيوطي : الدر المنثور ، نشر دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٣م جـ ٨ صـ ٧٠٢ بتصرف .

لمعاوية – رضي الله عنهما – : أتدري لم سميت فاطمة فاطمة ؟ قال : لا ، قال : لأنها فطمت هي وشيعتها من النار ، سمعت رسول الله – صلى الله عليه وآله – يقوله " [1] .

خامسها : فضل زيارة الصالحين من الشيعة يعدل فضل زيارة أئمتهم : عن موسى بن جعفر – عليهما السلام – :" من لم يستطع أن يزورنا ؛ فليزر صالحي شيعتنا ؛ يكتب له ثواب زيارتنا " [2] .

سادسها : هم المتقون ، الصديقون ، الشهداء ؛ لأن كل كلمة في القرآن توحي بالتقوى ، فالمقصود بها الشيعة [3] ، وعن الحسين بن علي –عليهما السلام – :" ما من شيعتنا إلا صديق شهيد ، فقيل له كيف ذلك ، وهم يموتون على فراشهم ؟ فقال : " أما تتلو كتاب الله :" وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ " [4][5] ؛ ولأنهم كما قال أبو جعفر– عليه السلام – : " ما على فطرة إبراهيم – عليه السلام – غيرنا ، وغير شيعتنا "[6] ، وفي تفسير قوله – ﷻ – :" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ " [7] عن رسول الله – ﷺ – : " أنت يا علي ، وشيعتك "[8].

سابعها : الملائكة تصاحبهم وتحفظهم : عن أبي جعفر – عليه السلام – :" ما من عبد من شيعتنا يقوم إلى الصلاة ، إلا اكتنفته بعدد من خالفه ملائكة يصلون خلفه ، ويدعون الله تعالى له ، حتى يفرغ من صلاته "[9] ، ولكن أبا جعفر لم يحدد نوع الخلاف أو خلاف تضاد أم خلاف تنوع ؟ .

ثامنها : بركة أرواحهم إلهية : فعن أبي عبد الله – عليه السلام – عن أبيه : " والله ما من عبد من شيعتنا ينام ، إلا أصعد الله روحه إلى السماء ، فيبارك عليها ، فإن كان قد أتى عليها أجلها ، جعلها في كنوز رحمته ، وفي رياض جنته ، وفي ظل عرشه ، وإن كان متأخراً ، بعث بها مع

---

(١) الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ١ صـ ٧٧.

(٢) العلامة الحلي : مختلف الشيعة جـ ٣ صـ ٤٩١.

(٣) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة جـ ٢ صـ ١٨٣.

(٤) سورة الحديد : آية رقم ١٩ .

(٥) قطب الدين الراوندي : سلوة الحزين (الدعوات) ، ط أمير – قم ، ط١ ، ١٤٠٧هـ صـ ٢٤٢ .

(٦) المحقق الكركي : الخراجيات (قاطعة اللجاج في تحقيق حل الخراج) ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي – قم ، ط١ ، ١٤١٣هـ صـ ٥٨. الفاضل القطيفي : السراج الوهاج ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤١٣هـ صـ ٤٩.

(٧) سورة البينة : آية رقم ٧.

(٨) إسناده مرسل وابن حميد متهم بالكذب : انظر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تفسير الطبري جـ ١٦ صـ ٢٩٠ ..

(٩) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٦ صـ ٧.

أمنته من الملائكة ، ليردها إلى الجسد الذي خرجت منه ؛ لتسكن فيه " ، وعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : إن الملائكة ينظرون إلى أرواح الشيعة كما ينظر الناس للهلال ؛ شوقا إليهم ؛ لما يرون من منزلتهم عند الله [1].

لكنها تتأدب معهم ، فلا تحضر مجالسهم الخاصة ، عن أبي عبد الله – عليه السلام – :" إذا قعدا يتحدثان ، قالت الحفظة بعضها لبعض: اعتزلوا بنا لعل لهما سراً ، وقد ستر الله عليهما " [2].

تاسعهاً : شفاعة الأئمة خاصة بالشيعة : عن الصادق – عليه السلام – : " شفاعتنا لأهل الكبائر من شيعتنا "[3].

عاشرهاً : هم وحدهم من يستحق النظر إليهم من الأئمة : فعن أبي عبد الله – عليه السلام– أنه أتاه رجل فقال له :" أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنين– عليه السلام – فقال : بئس ما صنعت ، لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك ، ألا تزور من يزوره الله مع الملائكة ، وتزوره الأنبياء ، ويزوره المؤمنون "[4].

الحادية عشر: هم الناس : قال الرضا – عليه السلام – : الناس هم شيعتنا ؛ ليميزهم عن أمة محمد – ﷺ – وغيرها من الأمم [5] فغيرهم ليسوا بناس ، ولا أدري ما هم ؟ .

الثانية عشر: هم الأمناء المطهرون : عن أبي الحسن –عليه السلام – : " لا تأخذن معالم دينك عن غير شيعتنا ، فإنك إن تعديتهم ، أخذت دينك عن الخائنين "[6] ، وفي تفسير قوله – جل جلاله– : " وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ " [7] أي : شيعتنا مطهرون [8] .

الثالثة عشر : هم سبب الطاعات وحدهم : عن الباقر – عليه السلام – : خلق الله طينة الشيعة ، وطينة الناصب ، وأن الله مزج بينهما ، فما رأيته من شيعتنا من : زنا ، أومن لواط ، أومن ترك صلاة أو صيام أو حج أو جهاد أو خيانة أو كبيرة من هذه الكبائر ، فهو من طينة الناصب ،

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٨ ص ٥٤ – ٥٥ بتصرف .

(٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٨ ص ٥٦٢.

(٣) الميرزا القمي: غنائم الأيام، تحقيق: عباس تبريزيان، نشر الإعلام الإسلامي– خراسان– إيران، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٣٧٦ش جـ ٢ص ٣٣.

(٤) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٢٠ص ٩.

(٥) آقا رضا الهمداني : مصباح الفقيه ، ط حيدري – طهران ، دت جـ ١ ص ٣٤٤.

(٦) السيد الخوئي : الاجتهاد والتقليد ، ط صدر ، نشر دار الهادي – قم ، ط٣ ، ١٤١٠هـ ص ٢١٩.

(٧) سورة المدثر : آية رقم ٤.

(٨) السيد الخوئي : كتاب الطهارة ، ط بهرام – قم ، ط٢ ، دت جـ ١ هامش ص ٤٦.

وعنصره الذي مزج فيه ؛ لأن من عنصر الناصب وطينته : اكتساب المآثم والفواحش والكبائر، وما رأيت من الناصب ، ومواظبته على الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وأبواب البر ، فهو من طينة المؤمن الذي مزج فيه ؛ لأن من عنصر المؤمن اكتساب الحسنات ، واستعمال الخير ، واجتناب المآثم "[1] .

الرابعة عشر : المغفرة للشيعة ومحبيهم : " عن رسول الله ﷺ : يا علي إن الله قد غفر لك ، ولذريتك ، ولشيعتك ، ولمحبي شيعتك ، ولمحبي محبي شيعتك ؛ فأبشر "[2] .

الخامسة عشر : هم الموصولون بالله وبرسوله وآل بيته في الآخرة : عن علي – عليه السلام – : يوم القيامة أنا آخذ بحجزة الله ، ونحن آخذون بحجزة [3] نبينا ، وشيعتنا آخذون بحجزتنا " [4] .

السادسة عشر : لهم عشر خصال : عن علي – عليه السلام – : قال رسول الله – صلى الله عليه واله – : يا علي بشر شيعتك وأنصارك بخصال عشر : أولها : طيب المولد ، وثانيها : حسن إيمانهم بالله ، وثالثها : حب الله – عز وجل– لهم ، ورابعها: الفسحة في قبورهم ، وخامسها: النور على الصراط بين أعينهم ، وسادسها: نزع الفقر من بين أعينهم ، وغنى قلوبهم ، وسابعها : المقت من الله – عز وجل – لأعدائهم ، وثامنها : الأمن من الجذام ، والبرص ، والجنون ، وتاسعها: انحطاط الذنوب والسيئات عنهم ، وعاشرها : هم معي في الجنة ، وأنا معهم [5] .

السابعة عشر: رجعتهم من قبورهم : إلى غير ذلك من الخصوصيات التي شرفهم الله بها ، وميزهم عن أبناء نوعهم في أول الخلق ، ودار الدنيا ، دار الآخرة ، مما لا يحصيه إلا المعطى " [6] .

الثامنة عشر: لهم فردوس الجنة : قال رسول الله – ﷺ – لعلي– عليه السلام –: إذا كان الغد كلم الشمس ؛ لتعرف كرامتك على الله تعالى ، فلما كانت الغداة ، جاء علي إلى مشرق الشمس حين طلعت ، فقال : السلام عليك أيها العبد المطيع لربه ، فقالت الشمس : وعليك يا أخا رسول

---

(١) الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين جـ ٥ صـ ١٦٤ بتصرف .

(٢) الإمام زيد بن علي : مسند زيد بن علي صـ ٤٥٦.

(٣) الحجزة : موضع شد الإزار من الوسط ، وموضع التكة من السراويل ، ويقال : أخذ بحجزته : واستعان به. المعجم الوسيط صـ ١٥٨.

(٤) الشيخ الصدوق : التوحيد صـ ١٦٥.

(٥) الشيخ الصدوق: الخصال صـ ٤٢٩ .

(٦) حسن بن سليمان الحلي: المحتضر صـ ٣٣.

الله ووصيه السلام ، أبشر فإن رب العزة يقرئك السلام ، ويقول لك : أبشر فإن لك ، ومحبيك وشيعتك ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر [1] ؛ فهنيئا لهم .

والسؤال : فكيف يرد الشيعة على ما رماه به أئمتهم في كتبهم المعتمدة :

قال الإمام علي – عليه السلام – لهم :" يا أشباه الرجال ، ولا رجال ، حلوم الأطفال ، وعقول ربات الحجال[2] ، لوددت أني لم أركم ، ولم أعرفكم ، معرفةً والله جلبت ندماً ، وأعقبت ذماً ، قاتلكم الله ، لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم صدري غيظاً "[3] .

وفي رواية :" والله لقد أفسدتم علي رأيي بالعصيان "[4] ، وفي رواية :" الله يعلم لقد سئمت الحياة بين أظهركم ، ولوددت أن الله يقبضني إلى رحمته من بينكم "[5] .

وقال لهم :" أف لكم ، لقد سئمت عتابكم " [6] ، وقال أيضاً :" ما أنتم لي بثقة ، وما أنتم بركن يمال بكم ، ولا زوافر[7] عز يفتقر إليكم ، ما أنتم إلا كابل ضل رعاتها"[8] ، وقال :" أبيتم علي إباء المخالفين الجفاة ، والمنابذين العصاة " [9] ، وقال :" منيت بمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت " [10] .

وقال الحسين – عليه السلام – :" اللهم إن متعتهم إلى حين ، ففرقهم فرقاً ، واجعلهم طرائق قدداً ، ولا ترض الولاة عنهم أبداً ، فإنهم دعونا لينصرونا ، ثم عدوا علينا فقتلونا " [11] ، وقال :" يزعمون أنهم لي شيعة ، ابتغوا قتلي ، وانتهبوا ثقلي ، وأخذوا مالي ، والله لإن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي ، وأؤمن به في أهلي ، خير من أن يقتلوني ، فتضيع أهل بيتي وأهلي ، والله لو قاتلت

---

(١) المصدر السابق صـ ١٨٧.

(٢) ربَّات الحجال : النساء . انظر د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة ، مادة ح ج ل جـ ١ صـ ٤٤٩.

(٣) الكليني : فروع الكافي جـ ٥ صـ ٦. الشيخ المفيد : الإرشاد جـ ١ صـ ٢٧٩.

(٤) الشيخ الصدوق : معاني الأخبار صـ ٣١٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٤ صـ ٦٥.

(٥) الكليني : فروع الكافي جـ ٥ صـ ٦. الشيخ المفيد : الإرشاد جـ ١ صـ ٢٧٧ بنحوه .

(٦) خطب الإمام علي : نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده جـ ١ صـ ٨٢ .

(٧) الزوافر : الإماء تحمل القرب ، الواحدة: زافرة . انظر نشوان بن سعيد الحميرى اليمني : شمس العلوم جـ ٥ صـ ٢٨٠٨ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٤ صـ ٧٤. خطب الأمام علي شرح الشيخ محمد عبده : نهج البلاغة جـ ١ صـ ٨٣ .

(٩) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٣ صـ ٣٢٢. خطب الأمام علي : نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده : جـ ١ صـ ٨٥ .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٤ صـ ٣٢. خطب الأمام علي : نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده : جـ ١ صـ ٩٠ .

(١١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٥ صـ ٤٣ . الشيخ المفيد : الإرشاد جـ ٢ صـ ١١٠– ١١١.

معاوية ؛ لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً " [1] ؛ ولا تعجب فقد " بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفاً ، غدروا به ، وخرجوا عليه ، وبيعته في أعناقهم ، فقتلوه " [2].

ولما سمع زين العابدين – عليه السلام– نساء الكوفة ورجالها يبكون ، قال :" إن هؤلاء يبكون علينا ، فمن قتلنا غيرهم " [3] ، وقال لأهل العراق :" هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه ، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق ، ثم قاتلتموه وخذلتموه ، بأية عين تنظرون إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله – وهو يقول لكم : قاتلتم عترتي ، وانتهكتم حرمتي ، فلستم من أمتي " [4].

وقال الباقر – عليه السلام – :" لو كان الناس كلهم لنا شيعة ، لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكاكاً والربع الآخر أحمق " [5] ، وعنه :" لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واصفة ، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين ، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد ، إنهم طالما اتكئوا على الأرائك ، فقالوا : نحن شيعة علي " [6] ؛ وواصفة أي : قائلين بالتشيع [7].

<u>أثر تقديس الأئمة في عقيدة الإيمان بالجن :</u>

واستكمالاً لمسلسل التقديس وانتقاله من المشاهدة والحضور إلى عالم الغيب والمستور يظهر أثر تقديس الأئمة في عقيدة الإيمان بالجن في عدة جوانب من أهمها :

أولا : إبليس يحب علي ، ويستغيث بأهل البيت : كما جاء عن علي – عليه السلام –: كنت جالساً عند الكعبة ، وإذا شيخ محدودب قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، وفي يده عكازه ، فدنا إلى النبي – ﷺ – وهو مسند ظهره إلى الكعبة ، فقال : يا رسول الله أدع الله لي بالمغفرة ، فقال النبي – ﷺ – : خاب سعيك يا شيخ ، وضل عملك ، فلمَّا تولى الشيخ قال – ﷺ – : يا أبا الحسن أتعرفه ؟ ، قلت : اللهم لا[8] ، قال : ذلك اللعين إبليس ، قال : فعدوت خلفه حتى لحقته ، وصرعته إلى الأرض ، وجلست على صدره ، ووضعت يدي في حلقه لأخنقه ؛ فقال لي : لا تفعل يا أبا الحسن ، فإني من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ، ووالله يا علي إني لأحبك جداً ،

---

(١) الشيخ الطبرسي : الاحتجاج جـ ٢ صـ ١٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٤ صـ ٢٠.

(٢) السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ١ صـ ٢٦.

(٣) الشيخ الطبرسي : الاحتجاج جـ ٢ صـ ٢٩. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٥ صـ ١٦٢.

(٤) الشيخ الطبرسي : الاحتجاج جـ ٢ صـ ٣٢. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٥ صـ ١١٣.

(٥) الميرزا النوري : خاتمة المستدرك جـ ٥ صـ ٢٨٥. السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٥ صـ ١٩٨.

(٦) الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ صـ ٢٢٨. محمد الريشهري : ميزان الحكمة جـ ٢ صـ ١٥٤.

(٧) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١٢ صـ ٣٠٥.

(٨) هذا يتناقض مع عقيدة أن الأئمة يعلمون الغيب ، فهم يعتقدون أن الإمام لا يُسال على شيء فيقول لا أدري .

وما أبغضك أحد إلا شركت أباه في أمه ، فصار ولد الزنا ، فضحكت ، وخليت سبيله " [١] ؛ ولذا فلابد أنْ نحكم لإبليس بعلم الغيب .

ولما كان رسول الله – ﷺ – في منى ، إذ أبصر الصحابة رجلاً ساجداً ، وراكعاً ، ومتضرعاً ، فقالوا : يا رسول الله ما أحسن صلاته ، فقال رسول الله – ﷺ – : هو الذي أخرج أباكم من الجنة ؛ فمضى إليه عليٌّ – عليه السلام – غير مكترث ، فهزه هزة أدخل أضلاعه اليمنى في اليسرى ، واليسرى في اليمنى ، ثم قال : لأقتلنك إن شاء الله ، فقال : لا تقدر على ذلك إلى أجل معلوم من عند ربي ، مالك تريد قتلي ؟ فو الله ما أبغضك أحد ، إلا سبقت نطفتي إلى رحم أمه قبل نطفة أبيه[٢] ، ولقد شاركت مبغضيك في الأموال والأولاد ، وهو قوله – ﷻ – في محكم كتابه : " وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ" [٣] ، قال النبي – ﷺ – : صدق يا علي ، لا يبغضك من قريش إلا سِفَاحِيٌّ ، ولا من الأنصار إلا يهودي ، ولا من العرب إلا دعي ، ولا من سائر الناس إلا شقي ، ولا من النساء إلا سلقلقية – وهي التي تحيض من دبرها – ثم أطرق ملياً ، ثم رفع رأسه ، فقال : معاشر الأنصار اعرضوا أولادكم على محبة علي ، فكان الصحابة يعرضون حب عليّ على أولادهم ، فمن أحب علياً علموا أنه من أولادهم ، ومن أبغض علياً انتفوا منه "[٤] ، وقد لقي عليٌّ – عليه السلام – أحد أبناء إبليس ، وتاب على يديه ، وأسلم [٥] .

ولقد أتت جنية تسمى : عفراء للنبي – ﷺ – فسألها : عن أعجب ما رأت ؛ فقالت : رأيت إبليس في البحر على صخرة بيضاء ، ماداً يديه إلى السماء ، وهو يقول : إلهي إذا بررت قسمك وأدخلتني نار جهنم ، فأسألك بحق محمد ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ألا خلصتني منها ، وحشرتني معهم ، فقالت له الجنية : يا حارث ما هذه الأسماء التي تدعوا بها ؟ ، قال لها : رأيتها على ساق العرش من قبل أن يخلق الله آدم بسبعة آلاف سنة ؛ فعلمت أنهم أكرم الخلق

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ صـ ١٤٨ . الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ١ صـ ٧٧.

(٢) لقد تحول إبليس إلى شيعي يعلم الغيب ويفرق الناس لزان وطاهر ! .

(٣) سورة الإسراء : آية رقم ٦٦.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ صـ ١٥١. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٩ صـ ١٦٤. النوري الطبرسي : مستدرك الوسائل جـ ٢ صـ ٣٩.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٩ صـ ١٦٤.

على الله – عز وجل – فأنا أسأله بحقهم ، فقال النبي– ﷺ – والله لو أقسم أهل الأرض بهذه الأسماء لأجابهم [1]. فلما استثنى الله – ﷻ – إبليس ؟.

ثانيا : عليٌّ يأخذ العهود من الجن عن أبي عبد الله – عليه السلام – : يوم النيروز هو اليوم الذي وجه فيه رسول الله – ﷺ – علياً – عليه السلام – إلى وادي الجن ، فأخذ عليهم العهود والمواثيق [2] .

من الغريب ان عيد النيروز عيد فارسي باعتراف الشيعة ، وهو يوم العاشر من أيار [3] ، وقيل : هو عيد رأس السنة الفارسية وهو يوم التاسع من شباط [4] ، ويدعون أن فيه أخذ الله تعالى الميثاق على الذر في الأزل ، وهو أول يوم طلعت فيه الشمس ، وفيه نجا الله نوح ، وحطم إبراهيم الأصنام ، وفيه نزل الوحي على النبي – ﷺ – [5] ؛ ولذلك هو يوم عظيم القدر عندهم مع أنه تعيينه في السنة غامض مع أن معرفته أمر مهم ؛ لأنه اليوم الذي أخذ فيه النبي – ﷺ – الولاية لأمير المؤمنين في غدير خم [6] .

ثالثا : عليٌّ حكمٌ بين الجن : روي أن أمير المؤمنين – عليه السلام – ظهر له ثعبان من جانب المنبر وهو يخطب ، ودنا منه ؛ فارتاع الناس لذلك ، فأومأ إليهم دعوه ، وانحنى إليه ، وتطاول الثعبان حتى التقم أذنه ، ونق نقيقاً [7] سمعه كثير منهم ، وأخذ عليٌّ يحرك شفتيه ، والثعبان مصغٍ إليه ، ثم انصرف الثعبان ؛ فسألوا علياً ؛ فقال : إنما هو حاكم من حكام الجن التبست عليه قضية ، فصار إليَّ يستفهمني عنها ، فأفهمته إياها ، ودعا لي بخير، وانصرف [8] .

---

(١) الصدوق : الخصال صـ ٦٣٨– ٦٣٩ بتصرف. الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ٥صـ ٢٣٢. المجلسي: بحار الأنوار جـ ١٨صـ ٨٣.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٩ صـ ١٧٧ . ابن فهد الحلي : المهذب البارع ، تحقيق : الشيخ مجتبى العراقي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ١٤٠٧هـ جـ ١ شرح صـ ١٩٥.

(٣) ابن إدريس الحلي : السرائر جـ ١ صـ ٣١٥. المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٤ صـ ٢١٢. الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ صـ ٤١.

(٤) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٤ صـ ٢١٣. ابن فهد الحلي : المهذب البارع جـ ١ شرح صـ ١٩٢.

(٥) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٤ صـ ٢١٥. ابن فهد الحلي : المهذب البارع جـ ١ شرح صـ ١٩٥ – ١٩٦.

(٦) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٤ صـ ٢١٢.

(٧) النقيق : صوت الضفادع والعقارب والدجاج والحجل واليعاقيب ونحوها . انظر نشوان اليمني : شمس العلوم جـ ١٠صـ ٦٤٥٠ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٩ صـ ١٧٨ بتصرف.

وشكت الجن إلى علي – رضي الله عنه – مأكلهم ؛ فقال : ألم أبح لكم الروث ، والعظام [1] ، فقالوا : يا أمير المؤمنين على ألا يُسْتَجْمَرَ بها ، فقال : لكم ذلك ، فقالوا : يا أمير المؤمنين فإن الشمس تضر بأطفالنا ، فأمر أمير المؤمنين – عليه السلام – الشمس أن ترجع فرجعت ، وأخذ عليها العهد ألا تضر بأولاد المؤمنين من الجن والإنس [2] .

وكذلك ما جاء عن النبي – ﷺ – أنه جاءه رجل من الجن أسمه عُطْرُفَة ، وقع بين قومه وبين قوم من الجن خلاف ، فجاء للنبي – ﷺ – ليبعث معه من يحكم بينهم ، فبعث النبي – ﷺ – علياً ، فتقلد سيفه ، وانشقت الأرض ، ودخلا فيها ، وتأخر عليٌ حتى يأس الناس من عودته ، فما حان المغرب خرج وسيفه يقطر دماً ، فقام النبي – ﷺ – وقبله بين عينيه ، وقال : ما الذي حبسك عني ؟ فقال : صرت إلى جن كثيرة قد بغوا على عطرفة ، فدعوتهم إلى ثلاث خصال : الإيمان بالله ، والإقرار بنبوتك ، والجزية[3] ، فأبوا ، وسألتهم الصلح مع عطرفة ، فأبوا ؛ فوضعت سيفي فيهم ، وقتلت منهم ثمانين ألفاً ، فلمَّا نظروا ما حل بهم ، طلبوا الأمان والصلح ، ثم آمنوا وصاروا إخواناً وزال الخلاف " [4].

رابعا : الجن يتمنون الشهادة في سبيل الحسين لأن أهل البيت هم من يعينون ملوكهم : روي عن الحسين – عليه السلام – : أن جنياً يسمى : زُعْفُر جاءه يوم كربلاء ، فقال : أنا سلطان الجن بعد أبي الذي عينه أمير المؤمنين سلطاناً على الجن ، وإني استأذنك أن أقاتل أعدائك ، فقال الحسين – عليه السلام– : لا ، إنكم ترونهم ، ولا يرونكم ، فقال زعفر: نحن نتصور بصورهم ، إن قتلنا كنا شهداء في سبيلك ، فقال الحسين : جزاك الله خيراً يا زعفر ؛ فإني قد

---

(١) ثبت أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : إِنَّهُ قَدْ أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ ، فَذَهَبْتُ مَعَهُ ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ ، فَانْطَلَقَ حَتَّى أَرَانَا نِيرَانَهُمْ وَآثَارَهُمْ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الزَّادِ، فَقَالَ: لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ طَعَامٍ يُذْكَرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا، وَكُلُّ بَعْرٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا، فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْجِنِّ . انظر مسلم : صحيح مسلم ج ١ ص ٣٣٢. ابن حبان : صحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٤٦١. الترمذي : السنن ج ٥ ص ٣٨٢.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٩ ص ١٨٥ .

(٣) الجزية : اسم لما يؤخذ من أهل الذمة ، سميت بذلك لأنها تجزي عن الذمي ، أي : إذا قبلها سقط عنه القتل ، وللإمام أن يفرض على الفقير المعتمل كل سنة ١٢ درهما ، وعلى وسط الحال ضعفه وعلى المكثر ضعفه . الأحمدي نكري : دستور العلماء ج ١ص ٢٧٣.

(٤) ابن جرير الطبري الشيعي : نوادر المعجزات ص ٥٣–٥٥ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٨ص ٨٦ بتصرف . الطبرسي : الاحتجاج ج ١ ص ١٦٨بتصرف .

سئمت من الدنيا ، ورأيت في الطيف أني ألقى الله تعالى في هذا اليوم شهيداً مجندلاً ، فارجع ، ولا تتعرض لهؤلاء "[1] .

خامسا : وفودهم تأتي لتسأل الأئمة لأنهم حجة على الجن والإنس : عن أبي جعفر – عليه السلام – : أنه كان عنده رجال ، فلمَّا خرجوا قال : هؤلاء وفد شيعتنا من الجن ، جاءوا يسألوننا عن معالم دينهم ، أما علمت أن الإمام حجة على الجن والإنس[2] ، وفي رواية : " أولئك أخوانكم من الجن ، أتونا يستفتوننا في حلالهم ، وحرامهم ، كما تأتونا ، وتستفتوننا في حلالكم ، وحرامكم " [3] .

سادسا : يتمثلون بصورة بنات الأئمة : من أجل أن تُكذّب الاثنا عشرية قصة زواج أم كلثوم بنت علي من عمر – رضي الله عنهم – [4] ، حيث قالوا بأن هذه القصة من وضع الكذابين [5] ، ثم تناقضوا وقالوا : وقع العقد ولم يكن دخول [6] ، بينما يدعي البعض أنها أنجبت منه – رضي الله عنها – [7] ، ومن تناقضهم أن ألَّف بعض علمائهم كتباً كاملاً ليكذب هذه القصة سماه : ظلامة أم كلثوم[8] ، ولكنه ما سمع ما حكوه عن علي – عليه السلام – : أن فلاناً – يعني عمر –[9] خطب أم كلثوم ، وهدده إن لم يزوجها له ليمنعنه السقاية وزمزم فأرسل أمير المؤمنين – عليه السلام – إلى جنية من أهل نجران يهودية ، يقال لها : سحيقة بنت حريرية ، فأمرها فتمثلت في مثال أم كلثوم ، وحجبت الأبصار عن أم كلثوم ، وبعث بها إلى الرجل فلم تزل عنده حتى استراب بها

---

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم : موسوعة كلمات الإمام الحسين ، نشر دار المعروف للطباعة – قم ، ط٣ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م صـ ٥٨١. السيد علي البروجردي : طرائف المقال ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم ، ط١ ، ١٤١٠هـ جـ ٢ صـ ٦٧٩.

(٢) الصفار : بصائر الدرجات صـ ١٦٦ بتصرف . حسين بن عبد الوهاب : عيون المعاجز ، ط الحيدرية – النجف ، ١٣٦٩هـ صـ ٧٥ بتصرف .

(٣) محمد بن حسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ١١٧. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٣ صـ ٦٣٨.

(٤) العلامة ابن مطهر الحلي : مختلف الشيعة جـ ٢ صـ ٣٠٨ . العاملي : الانتصار جـ ٦ صـ ٤٥٤.

(٥) خالد البغدادي : تصحيح القراءة في نهج البلاغة ، ط ستارة ، نشر مركز الأبحاث العقائدية – قم ، ١٤٢٧هـ صـ ١١٠.

(٦) جعفر مرتضى العاملي : مختصر مفيد ، نشر المركز الإسلامي الدراسات – بيروت ، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م جـ ١٠صـ ٩٣.

(٧) العاملي : الانتصار جـ ٦صـ ٤٥٣. جعفر مرتضى العاملي : مختصر مفيد جـ ١٣صـ ١٩٤.

(٨) كتاب ظلامة أم كلثوم تأليف السيد جعفر مرتضى العاملي ، نشر المركز الإسلامي للدراسات – بيروت ، طبعته الأولى بتاريخ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م في ١٤٧ صفحة : والكتاب مليء بالسب لعمر – رضي الله عنه – وتكذيب قصة دخوله بها وانجاب أولاد .

(٩) المجلسي: ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، تحقيق:مهدي الرجائي،ط الخيام،نشر مكتبة آية الله المرعشي – قم ، ١٤٠٧هـ جـ١٣صـ٣١١.

يوماً ؛ فقال : ما في الأرض أسحر من بني هاشم ، فقتل وورثته ، وانصرفت إلى نجران ، وأظهر أمير المؤمنين – عليه السلام – أم كلثوم [1].

وما دامت لم تتزوجه فكيف يروون عن أبي عبد الله – عليه السلام – : أن أم كلثوم – رضي الله عنها – لما توفي عمر – رضي الله عنه – أتاها عليٌّ فذهب بها إلى بيته لتعتد فيه" [2] ، وكيف يعترف أيضا فيقول :" ذاك فرج غصبناه[3] " [4]، وعن الصادق – عليه السلام – :" هو أول فرج غصبناه [5]، وإن ذلك لم يكن أشد ، وأعظم ، وأفضح من غصب الخلافة "[6] ، بعضهم يقول : غصب ظاهراً [7] .

وإذا ثبتت القصة " يلزم الشيعة أحد أمرين أحلاهما مر: الأول : أن علياً – رضي الله عنه – غير معصوم ؛ لأنه زوج ابنته من كافر! وهذا ما يناقض أساسيات المذهب ، ويترتب عليه أن غيره من الأئمة غير معصومين ، والثاني : أن عمر– رضي الله عنه – مسلم ! فقد ارتضى عليٌّ مصاهرته ، وهذان جوابان محيران[8][9].

---

(١) قطب الدين الرواندي : الخرائج والجرائح جـ ٢ صـ ٨٢٥-٨٢٦ بتصرف . السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٣ صـ ٢٠٣ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٢ صـ ٨٨ بتصرف ، جـ ١٠٩ صـ ٥٨ .

(٢) الشيخ المفيد: المسائل السرورية هامش صـ ٨٦. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٢٣ صـ ١٢١٥.المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٢٥صـ ٤٧٢. الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٣٢ صـ ٢٨٠. الكليني : فروع الكافي جـ ٦ صـ ١١٦. الشيخ الطوسي : الاستبصار جـ ٣ صـ ٣٥٢.

(٣) ونسأل قائل هذا الكلام : هل تزوج عمر أم كلثوم زواجاً شرعياً أم اغتصبها غصباً ؟ إن الكلام المنسوب إلى الصادق – عليه السلام – واضح المعنى ، فهل يقول أبو عبد الله مثل هذا الكلام الباطل عن ابنة المرتضى – عليه السلام – ؟ ثم لو كان عمر اغتصب أم كلثوم فكيف رضي أبوها أسد الله ، وذو الفقار ، وفتى قريش بذلك ؟ . انظر د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ صـ ٢٥.

(٤) الكليني : الفروع من الكافي جـ ٥ صـ ٣٤٧. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٤ صـ ٤٣٣.

(٥) من يفهم العربية يعلم أن هذه الجملة مخجلة تخدش الحياء ، ولا تخرج من إنسان مهذب ، كما أنها تلصق تهم لعلي – رضي الله عنه – وهي الجبن ، والتبلد ، والخلو من النخوة ، وكذلك اتهام لكل من علي ، وعمر على إجبار أم كلثوم على زواج ليست براضية عنه ، نستغفر الله ! . الشيخ محمد منظور نعماني : الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام ، ترجمة : د سمير إبراهيم ، ط عبير للكتاب – حلوان ١٩٨٦م صـ ١٦٩ بتصرف.

(٦) التبريزي الأنصاري : اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء ، تحقيق : هاشم الميلاني ، نشر مؤسسة الهادي – قم ، ط١ ، ١٤١٨هـ صـ ٢٨١.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٢ صـ ١٠٦.

(٨) سليمان بن صالح الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق صـ ٩-١٠.

(٩) لم تكن هذه هي حادثة النسب الوحيدة بين آل البيت وأولاد الصحابة ، فقد تزوجت السيدة سكينة بنت الحسين من مصعب بن الزبير بن العوام ، وتزوجت بعده من عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، وتزوجت فاطمة بنت الحسين من عبد الله بن

وإذا عُرض هذا الحق على منصف من الشيعة قبل ذلك ؛ كما عرض هذا الزواج على معز الدولة بن بويه[1] حين اجتمع ببعض العلماء ، فكلمه في السنة ، وأخبره أن علياً زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب ، فقال : والله ما سمعت بهذا قط ، ورجع إلى السنة ، ومتابعتها ، ورد كثيراً من المظالم ، وتصدق بكثير من ماله ، وأعتق طائفة كثيرة من مماليكه [2] .

سابعا : يعتقدون بأن هناك من الأنس نوع من الجن مثل الأكراد[3] : عن الصادق – عليه السلام –: " الأكراد حيٌّ من أحياء الجن ، كشف الله عنهم الغطاء ؛ فلا تخالطوهم " [4].

ثامنا : الجن خدمهم : الأئمة لهم أتباع من الجن ، كما أن لهم أتباعٌ من الإنس [5] ، وأتباعهم من الجن أطوع من الإنس [6] ، إذا أرادوا السرعة بعثوهم في حاجاتهم [7].

تاسعا : يستغيثون بالجن : عن علي – عليه السلام – قال :" من ضل منكم في سفر ، أو خاف على نفسه ؛ فلينادي : يا صالح أغثني ، فإن في إخوانكم من الجن جنياً يسمى : صالحاً يسيح في البلاد ؛ لمكانكم محتسباً نفسه لكم ، فإذا سمع الصوت أجاب ، وأرشد الضال منكم ، وحبس عليه دابته " [8] .

عمرو بن عثمان ، وتزوج الوليد بن عبد الملك من السيدة نفيسة بنت زيد بن علي . انظر د حمزة النشرتي وآخرون : سيرة آل البيت نشر مكتبة النشرتي – القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م جـ ٣ صـ ٢٥ ، جـ ٣ صـ ٢٧ ، جـ ٣ صـ ٤٢ ، جـ ٣ صـ ٧٥.

(١) معز الدولة بن بويه : أبو الحسن أحمد بن بويه بن فناخسرو بن تمام ، من سلالة سابور ذي الأكتاف الساساني ، ولد ٣٠٣هـ / ٩١٥ م ، من ملوك بني بويه في العراق ، فارسي الأصل ، مستعرب ، ويقال : له الاقطع ؛ لأن يده اليسرى قطعت في معركة مع الأكراد ، تولى في صباه كرمان ، وسجستان ، والأهواز ، تبعا لأخيه عماد الدولة ، ثم امتلك بغداد سنة ٣٣٤هـ في خلافة المستكفي ، ودام ملكه في العراق ٢٢ سنة ، وتوفي ببغداد ٣٥٦هـ / ٩٦٧م . انظر الزركلي : الأعلام جـ ١ صـ ١٠٥.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ صـ ٢٩٧ . د إيمان العلواني : مصادر التلقي والاستدلال العقدي عند الشيعة الإمامية صـ ٥٤٨.

(٣) الأكراد : شعب يسكن هضبة فسيحة في آسيا الوسطى ، مواطنهم موزعة بين تركيا ، وإيران ، والعراق ، والشام ، وغيرها ، وقد يطلق عليهم لفظَ الأعراب ، لأنه في الأصل اسم لسكان باديةِ العَرَبِ ، ولكلُّ أمَّةٍ حاضرة وبادية ، فباديةُ العَرَب الأعراب ، وبادية الروم الأرْمَن ، وباديةُ الفُرْس الأكْرَاد ، وباديةُ التُرْكِ التركُمَان ، فسائر سكان البوادي لهم حكم الأعراب . المعجم الوجيز صـ ٥٣٠ بتصرف .

(٤) الحلي : تذكرة الفقهاء جـ ١٢ صـ ١٧٨. الكليني : الفروع من الكافي جـ ٥ صـ ١٥٨. المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠٠ صـ ٨٣.

(٥) محمد بن حسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ١٢٢. الكليني : أصول الكافي جـ ١صـ ٣٩٥. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٨ صـ ٤١٠. الشيخ الصدوق : الخصال صـ ٦١٨.

(٦) محمد بن حسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ١٢٣. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ صـ ٢٢ .

(٧) قطب الدين الراوندي : الخرائج والجرائح جـ ٢ صـ ٨٥٣. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ صـ ٢٣.

(٨) الشيخ الصدوق : الخصال صـ ٦١٨. ابن شعبة الحراني : تحف العقول صـ ١٠٨. المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠ صـ ٩٧.

وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" ولينادي إذا ضل في طريق البر : يا صالح ، يا أبا صالح أرشدونا رحمكم الله ، وفي طريق البحر: يا حمزة [1] ، وقد جربها بعض الشيعة بناء على وصية أبي عبد الله فكانت الجن تأتيهم ، وتقول لهم : الطريق يمنة أو يسرة ، فوجدوها كما قالت الجن [2] .

وجاء عن أبي جعفر – عليه السلام – :" من نفرت له دابة ، فقال هذه الكلمات : يا عباد الله الصالحين أمسكوا علي رحمكم الله : { بان في ع ح و يا هـ ي ح ح } ، إن البر موكول به في حرج ، والبحر موكول به :{ هـ ح ح } . قال الراوي : قلت هذا في بغال ضلت لي فجمعها الله لي " [3].

مع أن الله يقول :" وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا"[4] ، وسبب نزولها كما يقول أبو جعفر – عليه السلام – :" كان الرجل ينطلق إلى الكاهن الذي يوحي إليه الشيطان ، فيقول : قل لشيطانك : فلان قد عاذ بك " [5] ، ويقول رسول الله – ﷺ – :" إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله " [6] ، فالله سبحانه أولى بالجميل من خلقه لنتوجه إليه سبحانه وحده .

محاربة الأئمة للغلو في تقديسهم ومنهجهم في نقده :

الغلو هو أمر مرفوض لدى كل الفرق الإسلامية ، وكراهية الغلو تنبعث من تحذير القرآن والسنة النبوية منه ، وتاريخ الغلو مع تاريخ الانحراف توأمان ؛ ولهذا فنحن لا نستطيع أن نجد انحرافاً من دون أن يكون مبدأه ومنشأه ظهور الغلو [7] ؛ فإن الغلو في حب الرجل يخلق له فضائل مفتراه تبعد جداً عن ساحة النبي الأقدس – ﷺ – أن يبوح بشيء منها ؛ وإنما يد الافتعال تنسج له مناقب يندى لها جبين الإنسانية [8].

---

(١) السيد اليزيدي : العروة الوثقى جـ ٤ صـ ٣٣٤. الشيخ الصدوق : من لا يحضره الفقيه جـ ٢ صـ ٢٩٨.

(٢) أحمد بن محمد بن خالد البرقي : المحاسن جـ ٢ صـ ٣٦٢ . والمصدر نفسه جـ ٢ صـ ٣٨٠ .

(٣) أحمد بن محمد بن خالد البرقي : المحاسن جـ ٢ صـ ٣٦٣ . الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ٨ صـ ٢٣٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٢ صـ ١٢٣. السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ ١٦ صـ ٥٠٨.

(٤) سورة الجن : آية رقم ٦.

(٥) السيد الطباطبائي : تفسير الميزان جـ ٢٠ صـ ٤٨. الفيض الكاشاني : التفسير الأصفى جـ ٢ صـ ١٣٦١.

(٦) قطب الدين الراوندي : سلوة الحزين " الدعوات " صـ ١٢٩. البيهقي : شعب الإيمان جـ ١ صـ ٣٧٤. الترمذي : السنن جـ ٤ صـ ٦٦٧.

(٧) د عصام علي يحيى العماد : المنهج الجديد والصحيح في الحوار مع الوهابيين صـ ٨٢ بتصرف .

(٨) الشيخ الأميني : الغدير جـ ١١ صـ ٧٥ بتصرف .

ونحن حين ننكر الغلو في حب الأئمة نقصد بالتأكيد الخروج عن الحق ، واتباع الهوى حتى يصبح المحبوب هو الإله المعبود فهذا كفر وشرك لا يقول به أي مسلم يعتقد برسالة الإسلام ، ونبوة محمد – ﷺ – ، وقد وضع الرسول – ﷺ – حدوداً لهذا الحب فقال للإمام علي – عليه السلام – :" يهلك فيك اثنان : محب غال ، ومبغض " وقال :" يا علي إن فيك مثلاً من عيسى بن مريم أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه ، وأحبه النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها ، والشيعة الأوائل في حب علي والأئمة لم يغالوا بل أنزلوهم منزلتهم التي أنزلهم رسول الله – ﷺ – إياها[1].

وعلى هذا كان التشيع الصحيح المعتدل حتى جاء الشيطان فألقى لهم أصلاً صحيحاً وهو حب آل البيت ثم طرأت عليهم التلبيسات من عدم الفهم حتى ضلوا ، وأكثر ما ظهر ذلك في الشيعة ، ولا سيما في الإمامية منهم ؛ فدخلت عليهم شياطين الجن أولاً بحب آل البيت ، واستفراغ الحب فيهم ، ورأوا في ذلك أسنى القربات إلى الله – وكذلك هو لو وقفوا ، ولا يزيدون عليه – إلا أنهم تعدوا من حب آل البيت إلى طريقين : منهم من تعدى إلى بغض الصحابة وسبهم ؛ حيث لم يقدموهم ، وتخيلوا أن أهل البيت أولى بهذه المناصب الدنيوية ؛ فكان منهم ما قد عرف واستفاض ، وطائفة زادت إلى سب الصحابة في رسول الله – ﷺ – وفي جبريل – عليه السلام – وفي الله – ﷻ – ؛ حيث لم ينصوا على رتبتهم وتقديمهم في الخلافة للناس ، فانظر ما أدى إليه الغلو في الدين [2].

هذا وللأئمة – عليهم السلام– خط واضح في إنكار هذه العقائد ، وكانوا كثيراً ما يؤكدون على التزام هذا الخط ، وأنهم لا يتقون فيه أحداً ، ومن خط الأئمة – عليهم السلام – محاربة الغلو فيهم ، وتكفير القائل به ، ولم يعهد عن أحد منهم إلا الإقرار بالعبودية لله ، ونهاية الخضوع له ؛ الذي فاقوا فيه الناس[3] ، فكانت الشيعة والسنة على السواء خلال القرون الأولى في الكوفة ينبذون ، ويحاربون الغلاة حتى انقرضت معظم عقائدهم[4] .

ومن ذلك الخط : النهي عن الحلف بهم ، فلا يجوز لأحد أن يحلف برسول الله – ﷺ – ، ولا بأمير المؤمنين ، ولا بأحد من الأئمة – عليهم السلام – ، فإن حلف بواحد ممن ذكرناه فقد أخطأ

---

(١) د محمد التيجاني : لأكون مع الصادقين ، نشر مؤسسة أنصاريان – قم ، دت صـ ٢٢٥ – ٢٢٦ بتصرف .

(٢) محيي الدين بن عربي : الفتوحات المكية ، تحقيق وتقديم : د . عثمان يحي ، نشر المكتبة العربية ، يصدرها : المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، بالتعاون مع معهد الدراسات العليا في السوربون ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م جـ ٤صـ ٢٨٠ – ٢٨١.

(٣) علي بن بابويه : فقه الرضا صـ ٢٧.

(٤) د عصام علي يحي العماد : المنهج الجديد والصحيح في الحوار مع الوهابيين صـ ٧٥ بتصرف .

[1] ؛ لقوله – ﷺ – :" من حلف بغير الله فقد أشرك " وفي رواية :" كفر " [2] ، وفي رواية :" فليس من الله في شيء " [3] ؛ وعليه فلا ينعقد يمينه [4] ، فأين الآن عوامُّ الشيعة الذين يحلفون بالحسين وغيره .

وهذا علي – رضي الله عنه – يقول للصحابة في عصره :" فلا تكفوا عني مقالة بحق ، أو مشورة بعدل ، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ، ولا آمن ذلك من فعلي ، إلا أن يكفيني الله من نفسي ما هو أملك به مني ، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره " [5] .

ويدعوا على شيعته من أهل الكوفة بعدما غلوا فيه قائلا :" اللهم إني قد مللتهم ، وملوني ، وسئمتهم ، وسئموني ، اللهم فأبدلني بهم خيراً منهم ، وأبدلهم بي شراً مني " [6] .

وعن أبي الحسن – عليه السلام – :" إن الله غضب على الشيعة ، فخيرني نفسي ، أو هم ، فوقيتهم – والله – بنفسي" [7] ؛ وذلك :" لكثرة مخالفتهم ، وقلة إطاعتهم ، وعدم نصرتهم للإمام الحق "[8] .

ومع صفاتهم المخزية ، يجمع لهم أبو جعفر – عليه السلام – صفة أخرى وهي أنهم : " قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا ؛ فليس أولئك منا ، ولسنا منهم " [9].

وينقض الإمام علي نظرية النص عليه ، ونظرية الوصية ، والعصمة ، ويؤكد نظرية الشورى ؛ فيقول :" والواجب في حكم الله ، وحكم الإسلام على المسلمين بعدما يموت إمامهم ، أو يقتل أن لا يعملوا عملاً ، ولا يحدثوا حدثاً ، ولا يقدموا يداً ، ولا رجلاً ، ولا يبدءون بشيءٍ قبل أن يختاروا

---

(١) الشيخ المفيد : المقنعة ص ٥٥٨.

(٢) الشيخ الطوسي : المبسوط جـ ٦ ص ١٩٢. الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٤٠ ص ٢٢٧.

٣) الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٥ ص ١٠٧٢. الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٣٥ ص ٢٢٩.

(٤) العلامة الحلي : قواعد الأحكام جـ ٣ص ١٧٦. ابن العلامة : إيضاح الفوائد جـ ٣ص ٤٢٥. المحقق الكركي : رسائل الكركي جـ١ ص ٣٠٣.

(٥) الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ ص ٣٥٦. الميرجهاني : مصباح البلاغة جـ ٢ ص ٦٩.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠ ص ٣٧٩.

(٧) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي ص ٢٠٤.

(٨) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٦ ص ٤١.

(٩) الشيخ هادي النجفي : موسوعة أحاديث أهل البيت جـ ٥ ص ٤٧٠.

لأنفسهم إماماً ، عفيفاً ، وعالماً ، ورعاً ، عارفاً بالقضاء ، والسنة ، يجمع أمرهم ، ويحكم بينهم " [(١)].

ويقول وهو في سياقة الموت ، حين قال له بعض الحضور : أوصي ، فقال أمير المؤمنين – عليه السلام – :" ما أوصى رسول الله – ﷺ – فأوصي ، ولكن إن أراد الله بالناس خيراً ؛ فسيجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم " [(٢)] .

وقد قيل لرسول الله – ﷺ – : أوصي ، فقال :" أما إني قد أرى مكانه ، ولو فعلت لتفرقتم عنه ، كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران " [(٣)] ، وفي رواية عن أمير المؤمنين – عليه السلام – قال :" دخلنا على رسول الله – ﷺ – فقلنا : يا رسول الله استخلف علينا ، قال : لا ، إن يعلم الله فيكم خيراً ، يول عليكم خيركم ، فقال علي – كرم الله وجهه – : فعلم الله فينا خيراً ، فولى علينا أبا بكر" [(٤)] .

وقيل لعلي – رضي الله عنه – : إن فقدناك ، فلا نفقد أن نبايع الحسن ، فقال : " لا آمركم ، ولا أنهاكم أنتم أبصر "[(٥)] ، ثم نظر إلى الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية – رضي الله عنهم – وأوصاهم بتقوى الله وقال :" أن لا تبغوا الدنيا ، وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شيء منها زوي عنكما " [(٦)] ، ولم يذكر من أمر الوصية شيئاً ؛ فكيف يترك أمراً من أركان الدين بل أعظمها، ولا يعرف بالإمام بعده .

---

(١) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ٦ صـ ١٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨٦ صـ ١٩٦. الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية جـ ١صـ ١٣.

(٢) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ٢صـ ٤٠ . محمد طاهر القمي الشيرازي : الأربعين صـ ٥٠٥. الإيجي : المواقف جـ ٣ صـ ٦٢٤.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٢ صـ ١٧٠ . الشيخ الأميني : الغدير جـ ٢ صـ ٣١٩. الشريف المرتضى : الشافي في الإمامة جـ ٣ صـ ٩٣.

(٤) الشهيد نور الله التستري : الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة ، تحقيق : السيد جلال الدين المحدث ، نشر مكتبة نهضت – طهران ، ١٣٧٦هـ صـ ١٩٧. الشيخ الأميني : الغدير جـ ٨ صـ ٣٩. المتقي الهندي : كنز العمال جـ ١٣ صـ ١٨٩.

(٥) ابن الدمشقي : جواهر المطالب في مناقب الإمام علي – عليه السلام – ، تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي ، ط پاسدار إسلام ، نشر جمع إحياء الثقافة الإسلامية – قم ، ط١ ، ١٤١٦هـ جـ ٢ صـ ٩٢.

(٦) الشيخ المحمودي : نهج السعادة جـ ٢ صـ ٧٣٣. عبد الحليم الجندي : الإمام جعفر الصادق صـ ٣٥.

ويُسْأَلُ – رضي الله عنه – : عمن قاتله من أهل الجمل أمشركون هم ؟ قال : من الشرك فروا ، قيل : أمنافقون هم ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً ، قيل : فما هم ؟ قال : إخواننا بغوا علينا ، فنصرنا عليهم [1] ، ولم يقل : أنهم اعتصبوا الخلافة من ومن ولدي .

ويسب بعضُ جنده أهلَ الشام في وقعة صفين ، فيقول لهم :" إني أكره لكم أن تكونوا سبابين " [2].

وقد اشترط الحسن على معاوية – رضي الله عنهما – عندما عقد الصلح في عام الجماعة : أنه ليس له أن يعهد لأحد بعده ، وأن يكون الأمر شورى بين المسلمين [3] ، وفي رواية :" وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ الحَسَنُ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ الأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ، فَالْتَزَمَ ذَلِكَ كُلَّهُ مُعَاوِيَةُ " [4] ، ولم يذكر أيضاً النص على خلافته .

وبعد مقتل الحسين – عليه السلام – خلف بعده علي بن الحسين – عليه السلام – وكانت سنه أقل من عشرين سنة " ثم انقبض عن الناس فلم يلق أحداً ، ولا يلقاه إلا خواص أصحابه ، وكان في نهاية العبادة ، ولم يخرج عنه من العلم إلا يسيراً " [5].

ودخل رجل على الإمام أبي عبد الله – عليه السلام – فقال :" إن ناساً يأتوننا يزعمون أن فيكم أهل البيت : إمام مفترض الطاعة ، قال : ما أعرف ذلك في أهل بيتي ، قالوا : يا أبا عبد الله يزعمون أنك أنت هو ؟ قال : ما قلت لهم ذلك " [6].

ودخل عليه رجلان من الزيدية فسألاه :" أفيكم إمام مفترض الطاعة ؛ فقال : لا ؛ فقالا : قد أخبرنا عنك الثقات : أنك تفتي وتقر وتقول به ونسميهم لك فلان وفلان وهم أصحاب ورع وتشمير

---

(١) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ج ١١ ص ٦٨. السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ٨٨.

(٢) خطب الإمام علي شرح الشيخ محمد عبده : نهج البلاغة ج ٢ ص ١٨٥.المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٢ ص ٥٦١.

(٣) الحلبي : السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥٩. الشيخ جعفر النقدي : الأنوار العلوية ، نشر المكتبة الحيدرية – النجف ، ط٢ ، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م ص ٢٥٣. السيد المرعشي : شرح إحقاق الحق ج ٣٣ص ٥٣٢. د نبيلة عبد المنعم داوود : نشأة الشيعة الإمامية ص ٧٠.

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٧٨. نذير يحيى الحسني : دفاع عن التشيع ، ط نهضت ، نشر المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد – قم ، ط ١ ، ١٤٢١هـ ص ١٨١.

(٥) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٩١. السيد محمد رضا الجلالي : جهاد الإمام السجاد ، ط شمشاد ، نشر دار الحديث – قم ، ط ١، ١٤١٨هـ ص ٦٤. الفيض الكاشاني : المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ، تحقيق : علي أكبر غفاري ، ط مهر ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ١٣٨٣هـ ج ١ ص ٢٤٤.

(٦) محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ١٩٦. المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٢٠٥. المازندراني : شرح أصول الكافي ج ٥ ص ٣٢٣.

وهم ممن لا يكذب ؛ فغضب أبو عبد الله فقال : ما أمرتهم بهذا " [1] ، ثم يحملون هذا على التقية .

ويستنكر بعض اهل البيت من أولاد الحسن أن تكون الإمامة في ولد الحسين فقط ، فيقول :" كيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون الحسن ، وهما سيدا شباب أهل الجنة ؟ وهما في الفضل سواء ، إلا أن للحسن على الحسين فضلا بالكبر ، وكان الواجب أن تكون الإمامة إذن في الأفضل " [2].

ويعترف الإمام زيد بن علي بعدم علمه بإمامة أبيه زين العابدين ، فقال : لمن أخبره بذلك :" كنت أجلس مع أبي ، ويبرد لي اللقمة الحارة حتى تبرد شفقة عليَّ ، ولم يشفق علي من حر النار ، إذ أخبرك بالدين ، ولم يخبرني به ؟ ! [3] . يعني أخبره بإمامته ، ولم يخبر ابنه ! .

وحول حصر عدد الأئمة في اثني عشر إماماً نقل عن أمير المؤمنين – عليه السلام – قول النبي – ﷺ – :" أنت واثنا عشر من ولدك أئمة الحق " ولم يرو هذا الخبر إلا سليم بن قيس [4] ، " والصواب في الجواب ما تقدم في سليم عن الشيخ المفيد أن الكتاب دُسَّ فيه ، فالعمل به بما لم يقم عليه دليل غير جائز [5] ، وقد ظهر هذا الكتاب في القرن الرابع الهجري ، وفيه قائمة بأسماء الأئمة الاثني عشر ، مع زعم أنها كانت معروفة في عهد الرسالة ، ولعل هذا الكتاب من أهم عوامل تكون المذهب الاثني عشري ، وإذا كان سليم هذا ضعيف عندهم فكيف نعتمد على رواياته .

قال المفيد :" أنه غير موثوق به ، ولا يجوز العمل على أكثره ، وقد حصل فيه تخليطٌ ، وتدليس ، فينبغي للمتدين أن يتجنب العمل بكل ما فيه ، ولا يعول على جملته ، والتقليد لروايته " [6] ،

---

(١) محمد تقي المجلسي (الأول) : روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ، تحقيق : السيد حسين الموسوي الكرماني ، والشيخ علي پناه الاشتهاردي ، ط المكتبة العلمية – قم ، ١٣٩٩هـ جـ ١٣ صـ ٢٤١. الفيض الكاشاني : الوافي جـ ٣ صـ ٥٦٨. الصفار : البصائر صـ ١٩٤. الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٢٣٢. مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٥ صـ ٣٢٣.

(٢) الشيخ الصدوق : علل الشرائع جـ ١ صـ ٢٠٩.

(٣) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٧٤. الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١١ صـ ٣٢.

(٤) المسعودي : التنبيه والإشراف صـ ١٩٩.

(٥) الشيخ محمد تقي التستري : قاموس الرجال ، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤٢٢هـ جـ ١٠ صـ ٥٠٠ .

(٦) الشيخ المفيد : تصحيح اعتقاد الإمامية ، تحقيق : حسين دركاهي ، نشر دار المفيد – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ صـ ١٤٩. الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية جـ ١ صـ ١٨٢. السيد هاشم الهاشمي : حوار مع فضل الله حول الزهراء ، ط الشريعة ، نشر دار الهدى – قم ، ط٢، ١٤٢٢هـ صـ ٤١٦.

والكتاب موضوع لا مرية فيه ، وعلى ذلك علامات شافية ، ومنها أن عدد الأئمة فيه ثلاثة عشر [١].

وهناك ما يقلل العدد ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – : إن جبرائيل – عليه السلام – أتى رسول الله – ﷺ – بصحيفة مختومة بسبع خواتيم [٢] من ذهب ، وأمر إذا حضره أجله أن يدفعها إلى على بن أبي طالب ؛ فيعمل بما فيه ، ولا يجوزه إلى غيره ، وأن يأمر كل وصى من بعده أن يفك خاتمه ، ويعمل بما فيه ، ولا يجوز غيره [٣] فهذه سبع فأين بقية الخواتيم .

وعقيدة الغيبة ينقضها ما روي عن أبي عبد الله – عليه السلام– :" من مات وليس عليه إمامٌ حيٌّ ظاهرٌ مات ميتة جاهلية ، فقيل له : إمامٌ حيٌّ ، جعلت فداك ؟ قال : إمامٌ حيٌّ "[٤] .

وعن العبد الصالح – عليه السلام – :" إن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حيٌّ يعرف " [٥] ، وعن أبي جعفر – عليه السلام – : لا تبقى الأرض بغير إمام ظاهر" [٦] ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" لا تخلو الأرض من عالم منكم حيٌّ ظاهرٌ ، تفزع إليه الناس في حلالهم وحرامهم " [٧] ، وعن رسول الله – ﷺ – :" من مات وليس له إمام يسمع له ويطيع ، مات ميتة جاهلية " [٨] .

فنحن نحتج الآن عليكم بأقوال النبي – ﷺ – والأئمة الصادق ، والكاظم ، والرضا – عليهم السلام – فمن منا أهل الجاهلية ؟ ومن منا يتبع الإمام الظاهر ، ويسمع له ، ويطيع ؟ [٩] .

---

(١) الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية جـ ١ صـ ١٨٢.

(٢) هنا تناقض : الشيعة الاثنا عشرية تقول : إن عدد الأئمة أثني عشر إماما ، وهنا العدد : سبع خواتيم ، يعني : أن عدد الأئمة سبعة فقط ، فأين خواتيم الباقين ؟ أم أن جبريل اكتفى بالسبعة ؟ أم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – نسي أو علي أو الراوي نسي العدد ؟ فإن كان نسي فهو قدح في العصمة ، وإن لم ينس فلم يبين في وقت الحاجة فهو نقص في البلاغ ، وهو مناف لتمام الدين وكمال النعمة .

(٣) محمد بن الحسن الصفار: بصائر الدرجات صـ ١٧٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٣٧. السيد مرتضى العسكري : معالم المدرستين جـ ٢صـ ٣٠٦.الأحمدي الميانجي : مكاتيب الرسول جـ ٢ صـ ٦١.

(٤) الشيخ المفيد : الاختصاص صـ ٢٦٩. الشيخ المنتظري : نظام الحكم في الإسلام صـ ٨٢. الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية جـ ١ صـ ١٩٦. الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٨ صـ ١٧٧.

(٥) الشيخ المفيد : الاختصاص صـ ٢٦٩. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٣ صـ ٢ .

(٦) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٥٠٦ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٣ صـ ٥١.

(٧) محمد بن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة صـ ٤٣٣ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٣ صـ ٥١.

(٨) الشيخ المفيد : الاختصاص صـ ٢٦٩. الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٨ صـ ١٧٧.

(٩) د عمر عبد الله كامل : رسالة إلى إخواننا الشيعة الإمامية صـ ١٠٥.

الفصل الثاني

التقديس

وأثره في

عقيدة العصمة

الفصل الثاني

التقديس وأثره فى عقيدة العصمة

من أهم عقائد الشيعة الاثني عشرية : عصمة الأنبياء والأئمة – عليهم السلام – ، وتبنى هذه العقيدة على طهارتهم من الذنوب ، وفاسد الأخلاق ، وهذه المنزلة موجبة لمزيد فضلهم ، وعصمتهم ، وتقديسهم ، وتنزههم عن الصغائر والكبائر ، وكل ما يخل بمكانتهم في قلوب الناس من دناءات الأحوال ، وخسيس الطباع [(١)] .

فعلي والأئمة– عليهم السلام – : مولدون على الفطرة السوية ، وكل إمام منهم منذ ولد لم يواقع قبيحاً ، ولا كان كافراً طرفة عين قط ، ولا مخطئاً ، ولا غالطاً في شيء من الأشياء المتعلقة بالدين ، وهذا تفسير الإمامية " [(٢)] .

وكلام الأئمة موثوق به ، لا مرية فيه ، ولا شك ، ودرجته فوق كلام جميع المخلوقين ! ، بإجماع علماء النجف حين يصفون كلام علي – رضي الله عنه – وبلاغته ؛ فيقولون :" بأنه فوق كلام المخلوق ، ودون كلام الخالق " [(٣)] .

فهيا لنلقي الضوء على هذه العقيدة وكيف أثر التقديس فيها باعتبارها أصل من أصول عقيدة الإمامة عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية .

أولا : تعريف العصمة في اللغة :

العصمة في اللغة : المَنْعُ ، وما يعتصم به الإنسان عن الوقوع فيما يكره ، والعصمة من الله : التوفيق الذي يسلم به الإنسان مما يكره ، إذا أتى بالطاعة ؛ فتسمى : توفيقاً ، وعصمةً ، فجميع المؤمنين من الملائكة ، والنبيين ، والأئمة : معصومون ؛ لأنهم متمسكون بطاعة الله [(٤)] .

وفي التنزيل:" لا عاصِمَ اليومَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إلا مَنْ رَحِمَ" [(٥)] ، أي : لا مَعْصومَ إلا المَرْحومُ ، والعَصْمة الحِفْظُ ، واعْتَصَمْتُ بالله : إذا امتنعْتَ بلُطْفِه من المَعْصِية ، قال الله – عز وجل –

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٦ ص ٢٤١ بتصرف .

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ٤ ص ١١٥–١١٦ بتصرف .

(٣) علي حسين العاملي : بحوث في فقه الرجال ، نشر مؤسسة العروة الوثقى – قم ، ط٢ ، ١٤١٤هـ ص ١٤٤.

(٤) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٣٤–١٣٥بتصرف .

(٥) سورة هود : آية رقم ٤٤.

حكايةً عن امرأة العزيز[١] :" رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ" [٢] ، أي : تَأَبَّى عليها ، ولم يُجِبها إلى ما طلبَتْ ، وفي الحديث :" مَنْ كانت عِصْمتُه لا إلهَ إلا اللهُ "[٣] ، أي : ما يَعْصِمُه من المَهالِكِ يوم القيام ، والاعْتِصامُ : الامْتِساكُ بالشيء ، وعِصْمةٌ للأَرامِل : يَمْنعُهن من الضَّياعِ والحاجةِ [٤] .

وقيل :" الطهارة من الرجس "[٥] ، والتنزه عن الخطأ ، والخطيئة ، مع القدرة على ارتكابها ، والقيد ، والوثاق ، والميثاق ، والرابطة ، ومنه معصوم الدم ، أي : لا يجوز قتله "[٦] .

والعصمة : الزوال ، والذهاب ، والاستحالة [٧] ، والعصمة بين اثنين : ما يمنع من لحوق الأذى بأحدهما ، فانقطاع العصمة بين اثنين : زوال المنعة [٨] .

تعريف العصمة في عرف الشيعة الاثني عشرية :

اختلفت الآراء حول تعريف العصمة عرفا[٩] ، فقيل : ملكة اجتناب المعاصي ، مع التمكن منها [١٠] ، وقيل : هي ملكة تمنع الفجور ، ويحصل بها العلم بمثالب المعاصي ، ومناقب الطاعات ، وقيل : هي فيض إلهي يقوى به العبد على تحري الخير ، وتجنب الشر[١١] ، حتى يصير كمانع له من باطنه ، وإن لم يكن محسوساً[١٢] ، وقيل: ما يعصم من المهالك يوم القيامة [١٣].

---

(١) امرأة العزيز : اسمها راعيل ، أو رعائيل ، أو زليخا ، واسم العزيز : قطفير ، وقيل : إطفير بن روحيب ، وكان على خزائن مصر . انظر الطبري : تفسير الطبري جـ ١٢ صـ ١٨٤بتصرف . البغوي : تفسير البغوي صـ ٦٤٠.

(٢) سورة يوسف : آية رقم ٣٢.

(٣) المتقي الهندي : كنز العمال جـ ١٥ صـ ٨٦٩.

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، مادة عصم جـ ٤ صـ ٢٩٧٦بتصرف . الشريف المرتضى : رسائل الشريف المرتضى جـ ٣ صـ ٣٢٦.

(٥) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٢٢ صـ ١١٠.

(٦) د أحمد فتح الله : معجم ألفاظ الفقه الجعفري ، باب العين صـ ٢٩١. محمد قلعجي : معجم لغة الفقهاء ، ط دار النفائس – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م باب وقاية ، عصمة صـ ٣١٤.

(٧) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١٠ صـ ٤٨٥.

(٨) الشيخ الأنصاري : المكاسب جـ٢ صـ ٢٩٣.

(٩) السيد علي خان المدني الشيرازي : رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين ، تحقيق : السيد محسن الحسيني الأميني ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط٤ ، ١٤١٥هـ جـ ٧ شرح صـ ٢٣٢.

(١٠) الجرجاني : التعريفات صـ ١٩٥.

(١١) السيد علي خان المدني الشيرازي : رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين جـ ٤ شرح صـ ١٢٣.

(١٢) المصدر السابق جـ ٧ شرح صـ ٨٣.

(١٣) الشيخ الأنصاري : المكاسب جـ٢ صـ ٢٩٣.

وجملة معناها عرفاً : أن الأئمة معصومون من الصغائر والكبائر في كل حياتهم ، ولا يجوز عليهم شيء من الخطأ والنسيان " [١].

ومن خلال التعريفات اللغوية والعرفية نرى اختلافهم في تصور العصمة ؛ الذي يتبعه اختلافهم في مسألة مهمة عندهم وهي : العصمة من فعل العبد أم من فعل الرب ؟ .

ولكن الإشكال يحل بما جاء عن أهل السنة : أجمعوا على أنه تعالى قدر أفعال جميع الخلق وآجالهم وأرزاقهم قبل خلقه لهم ، وأنه الخالق لجميع أفعال العباد ، فالطاعة يرضاها ، والمعصية يأباها ، وأراد أن تكون مذمومة منهم ، ويكونون مذمومين بها ، وأجمعوا على أنه تفضل على بعض خلقه بالتوفيق والهدى ، وحبب إليهم الإيمان ، وكره إليهم الكفر ، والفسوق ، والعصيان ، وأجمعوا على أنه تعالى لم يتفضل على بعض خلقه ، ولا تولى توفيقهم ، بل حال بينهم وبين عصمته ، وتركهم من توفيقه ، وأضلهم ، وليس بواجب عليه أن يساوي بينهم في ذلك ، وأجمعوا على أن الإنسان لا يكسب شيئا من إلا بقدرة تخصه في حال وجوده [٢] .

قَالَ النَّبِيُّ – ﷺ – : " كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ [٣] ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ ؛ فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ، فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ " [٤] ، ثُمَّ قَرَأَ – ﷺ – :" أَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى[٥]" [٦] ، وقَالَ – ﷻ – : " مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا " [٧] ، وَقَالَ – ﷻ – :"فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ" [٨] [٩] .

---

(١) د محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون جـ ٢ صـ ٩ .

(٢) الحسن بن علي القطان الفاسي : الإقناع في مسائل الإجماع ، تحقيق : د فاروق حمادة ، ط دار القلم – دمشق ، نشر وزارة الأوقاف القطرية – الدوحة ، ط١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م صـ ٨٢-٨٨ بتصرف.

(٣) الإمام أحمد : المسند جـ ٣٣ صـ ١٠٣ . الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ٢٠٣٩.

(٤) الإمام أحمد : المسند جـ ٢٧ صـ ١٨٩ . الإمام البخاري : صحيح البخاري جـ ٤ صـ ١٨٩١.

(٥) سورة الليل : آيات رقم ٥ – ١٠ .

(٦) الإمام أحمد : المسند جـ ٢ صـ ٥٦ . الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ٢٠٤٠. أبو داود : السنن جـ ٤ صـ ٢٢٢.

(٧) سورة الإسراء : آيات رقم ١٨ – ٢٠ .

(٨) سورة الفجر : آيات رقم ١٤ – ١٥ .

(٩) الإمام ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ٨ صـ ٧٤ - ٧٥ بتصرف .

ثانيا : تعريف العصمة في اصطلاح الشيعة الاثني عشرية :

العصمة عند الاثني عشرية تمثل طهارة تامة عن الذنب ، والخطأ ، والسهو ، والنسيان ، هذه الطهارة ملازمة لقوة قدسية ، ملكوتية تتلخص في كلمة واحدة هي : " العصمة "(١) .

والشيعة يعتبرون : أن الإمام بمثابة النبي – ﷺ – المعصوم من جميع الرذائل ، والفواحش ، ما ظهر منها ، وما بطن ، من سن الطفولة إلى الموت عمداً ، وسهواً " (٢).

ويعرفها الإمام الحسين – عليه السلام – : " حين سُئل : عن معنى كون الإمام معصوماً ؟ فقال : هو المعتصم بحبل الله ، وحبل الله : هو القرآن ، لا يفترقان إلى يوم القيامة ، والإمام يهدي إلى القرآن ، والقرآن يهدي إلى الإمام ، وذلك قول الله – عز وجل – : " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ " (٣) ، أي : أن معصوميته بسبب اعتصامه بالقرآن ، وعدم مفارقته عنه ، والملة التي هي أقوم : هو ما دعا إليه الإمام ؛ لأنه أقوم من دعا إلى الشريعة " (٤) .

وقد عرف المتكلمون من الشيعة العصمة بتعريفات ، منها ما جاء عن المفيد : " بأنها الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبائح ، عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقه ، فالمعصوم هو : من يمتنع باختياره عن فعل الذنوب (٥) ، فهي القوة النفسانية الحاجزة بينه وبين المعصية " (٦) .

بينما يعرفها بعضهم بأنها :" لطفٌ يفعله الله بالمكلف ، بحيث يمتنع منه وقوع المعصية ، وترك الطاعة ، مع قدرته عليهما (٧) ؛ لأنه لو عُهِدَ منه في سالف عمره سهوٌ أو نسيانٌ ؛ لارتفع الوثوق عن إخباراته ، ولو عهد منه خطيئة ؛ لنفرت العقول من متابعته فتبطل فائدة البعثة " (٨)، فلا يكون له داعية المعصية حينئذ (٩) ، بشرط أن لا ينتهي فعل ذلك الأمر لأحد إلى الإلجاء" (١).

---

(١) السيد علي البهبهاني : الفوائد العلية والقواعد الكلية التي يبتنى عليه كثير من معضلات الفقه والأصول ، ط المطبعة العلمية – قم ، نشر مكتبة دار العلم – أهواز – إيران ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ جـ ١ صـ ١٨٢.

(٢) د مصطفى غالب : الإمامة وقائم القيامة ، ط مكتبة الهلال – بيروت ، ١٩٨١م صـ ١٠٧.

(٣) سورة الإسراء : آية رقم ٩.

(٤) الشيخ الصدوق : معاني الأخبار صـ ١٣٢ بتصرف.

(٥) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ١٦٤ .

(٦) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٥ صـ ٢٤٩ .

(٧) السيد علي خان المدني الشيرازي : رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين جـ ٥ شرح صـ ٥٣١.

(٨) الشيخ المفيد : النكت الاعتقادية صـ ٣٧ . الشيخ محمد حسين الحاج : حقوق آل البيت في الكتاب والسنة باتفاق الأمة ، ط مهر – قم ، ط١ ، ١٤١٥هـ صـ ٣١. الشريف المرتضى : رسائل الشريف المرتضى جـ ٣ صـ ٣٢٣.

(٩) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ١٦٤ .

مفهوم ومقومات العصمة عند الاثني عشرية :

فسر علماء الاثنا عشرية العصمة بعدة مفاهيم منها :

الأول : أنها أمور يفعلها الله بالمكلف ، فلا يفعل المعصية ، اقتضاء لا يبلغ حد الإيجاب ، وهذه الأمور أربعة أشياء ، أولها : أن يكون لنفس الإنسان ملكة مانعة من الفجور داعية إلى العفة . وثانيها : العلم بمثالب المعصية ، ومناقب الطاعة . وثالثها : تأكيد ذلك العلم بالوحي ، والبيان من الله تعالى . ورابعها : أنه متى صدر عنه خطأ من باب النسيان ، والسهو لم يترك مهملاً ، بل يعاقب ، وينبه ، ويضيق عليه العذر . فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة ، كان الشخص معصوماً عن المعاصي لا محالة [٢] .

الثاني : أن يبلغ الإمام أو النبي حداً من العلم واليقين ، بحيث لا تنقدح في نفسه إرادة المعصية ، مع كونه قادراً عليها ، وهذا أمر ممكن وواقع ، فإن كثيراً من الناس معصوم عن فعل القبائح التي لا تليق بهم ؛ ككشف العورة في الطريق ، ومن المحال كون العصمة جبرية [٣] منافية لاختيار المعصوم ، وإلا لكان تكليف المعصوم باطلاً ؛ لكونه تكليفاً بغير المقدور ، مع أن كون المعصومين مكلفين ، أمر ثابت بالضرورة [٤] .

الثالث :" لطف خفي ، يمتنع من أفيض عليه معه عن فعل القبائح ، والإخلال بالواجبات ، لا على جهة الوجوب الرافع للقدرة ، بل معنى أنه إذا فعله الله بالمكلف اختار الطاعات ، واجتنب المعاصي البتة ، وحينئذ يكون وقوع المعصية عن المعصوم ممكنا بالنظر إلى قدرته ، ممتنعا بالنظر إلى عدم داعيه ، ووجود صارفه ؛ فالمعصية – وإن كانت ممكنة بحسب الإمكان الذاتي – لكنها غير ممكنه بحسب الإمكان الوقوعي [٥] .

---

(١) الشريف المرتضى : رسائل الشريف المرتضى جـ ٢صـ ٢٧٧. محمد حسين الحاج : حقوق آل البيت في الكتاب والسنة صـ ٣٢.

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ٧ صـ ٧-٨ بتصرف.

(٣) الجبر : افراط في تفويض الأمور إلى الله تعالى بحيث يصير العبد بمنزلة جماد لا إرادة له ولا اختيار له . والقدر تفريط في ذلك بحيث يصير العبد خالقا لأفعاله مستقلا في إيجاد الشرور والقبائح . القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١ صـ ٢٦٢ .

(٤) الميرزا جواد التبريزي : صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات ، جمع : موسى مفيد الدين عاصي العاملي ، ط المركز الثقافي أمين – قم ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م جـ ٣ صـ ٤٤٥.

(٥) الشيخ سليمان الماحوزي البحراني : الأربعون حديثاً في إثبات إمامة أمير المؤمنين ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ، ط أمير– قم ، ط١، ١٤١٧هـ صـ ٤٨ -٤٩.

رابعاً : قوة تكوينية في العقل والعلم ، موهوبة من الله لمن شاء من عباده ، تمنع من اقتراف المعاصي ، مع قدرتهم عليها ؛ لأنهم إن لم يكونوا قادرين عليها ، لا فخر ، ولا فضل لهم في اجتنابها ؛ لأنهم غير قادرين أصلاً على اقترافها [١] .

مكانة العصمة وأهميتها عند الشيعة الاثني عشرية :

تعد العصمة :" الكمال المطلق للنفس ، وتحريرها التام من كل نزعة من نزعات الهوى ، والغرور ، والطيش ، والامتناع من اقتراف أية جريمة ، أو ذنب ، سواء أكان على سبيل العمد ، أم السهو ؛ لذا لا يتصف بها إلا : من اختاره الله لأداء رسالته ، وهداية عباده ، نبيا كان أو إماما "[٢] .

وتظهر أهمية العصمة : في كونها شرطٌ أساسيٌ في من ينوب عن النبي – ﷺ – بعد موته ؛ لاستكمال الإنذار ؛ ذلك لأن : " النبي – ﷺ – لم يكتف بإنذار من بعده إلا بنائب يبلغ عنه ، كما أنه في زمانه – ﷺ – بعث قوماً لإنذار من بَعُدَ عنه ، والفرق بين بعثه في حال الحياة ، والمنذر بعد الوفاة : أن في الأول لم يشترط العصمة ، بخلاف الثاني ؛ لأنه إن ظهر منهم فسق في حياته ، كان يمكنه عزلهم ، بخلاف ما بعد الوفاة [٣] .

كما تظهر أهمية العصمة : في حفظ الشريعة ؛ " لأن خلوه من العصمة مناف لكونه حافظاً للشريعة ، وكان المحوج إليه : جواز الخطأ على غيره ، فلولا عصمته لكان ما أحوج إليه حاصلًا فيه ، فلا مزية له على غيره ، فلابد من معصوم متميز عن غيره بذلك ، حتى يكون في الاحتجاج به قطعي الثبوت ، محفوظاً من الخطأ ، والزلل في الشريعة ، فإذا ثبت عصمته : فلابد من كونه أفضل الرعية باطناً ، أي : أكثرهم ثوابا ، وأعلى منزلة عند الله ؛ لأنه معصوم مستحق من المدح ، والتعظيم مطلقهما ؛ فوجب طاعته " [٤] ، ولو جاز عليهم الخطأ ؛ لكان خطأهم أكبر من غيرهم ، إذ أن خطأَ الكبارِ كبارٌ [٥] .

وتتحدد مكانة العصمة : حين نعلم قدر الأئمة ، مضاهاة مع القرآن الكريم " فقد خلف النبي – ﷺ – في أمته الإسلامية وديعتين عظيمتين ، هما : الكتاب ، والعترة ، وأمر بالتمسك بهما إلى

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٩٣.

(٢) هاشم معروف الحسني : دراسات في الحديث والمحدثين ، ط دار التعارف للمطبوعات – بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م صـ ١٠٥-١٠٦ بتصرف.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٩٣.

(٤) أبو المجد الحلبي : إشارة السبق إلى معرفة الحق ، تحقيق : الشيخ إبراهيم بهادري ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤١٤هـ صـ ٤٨ بتصرف .

(٥) العلامة الحلي : الرسالة السعدية ، تحقيق : عبد الحسين محمد علي بقال ، ط بهمن – قم ، ط١ ، ١٤١٠هـ صـ ٢٩.

يوم القيامة ؛ وهذا يعرب عن : أن العترة كالقرآن الكريم في العصمة ، والمصونية من الخطأ والزلل ، فإن جعل العترة قريناً للقرآن يعرب عن أنه مثله . وقد وصف الله كتابه بقوله تعالى :" وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ "[(١)] ، ويعرب أيضاً : عن أن الملجأ للأمة بعد النبي – ﷺ – هو القرآن والعترة ، وأن هذين المصدرين هما العامل الوحيد للوحدة ، والاتفاق ، والتآخي ، والاتحاد " [(٢)] .

حكم منكر عصمة الأنبياء – عليهم السلام – :

من دان بالوحدانية وصحة نبوة نبينا – ﷺ – ولكن جوز على الأنبياء فيما أتوا به المعصية ، وادّعى في ذلك المصلحة بزعمه ، أو لم يدّعها ، فهو : كافر بإجماع ؛ كالمتفلسفة [(٣)] والروافض ، وغلاة المتصوفة [(٤)]، وأصحاب الإباحة [(٥)] .

فمضمون أقوالهم : إبطال الشرائع ، وتعطيل الأوامر والنواهي ، وتكذيب الرسل ، والارتياب فيما أتوا به ، وكذلك من أضاف إلى النبي – ﷺ – تعمد الكذب فيما بلغه ، وأخبر به ، أو شك في صدقه ، أو سبه ، أو قال لم يبلغ ، أو استخف به ، أو بأحد من الأنبياء ، أو أزرى عليهم ، أو آذاهم ، أو قتل نبياً ، أو حاربه فهو: كافر بإجماع .

والرافضة القائلون : بمشاركة علي في الرسالة للنبي – ﷺ – وكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة ، أو من ادّعى النبوة لنفسه ، أو جوز اكتسابها ، والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها ، وكذلك من ادّعى أنه يوحى إليه ، وإن لم يدع النبوة ، مكذبون للنبي– ﷺ – لأنه أخبر أنه خاتم النبيين ، وأنه لا نبي بعده ، وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره ، ولا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعاً ، إجماعاً ، وسمعاً ، والله أعلم [(٦)] .

من هم المعصومون عند الشيعة الاثني عشرية :

---

(١) سورة فصلت : آية رقم ٤٠ .

(٢) يحيى بن سعيد الحلي : الجامع للشرايع ص ٣ – ٤ بتصرف .

(٣) المتفلسفة : القائلون بقدم العالم ، وإنكار النبوات ، وإنكار البعث الجسماني ، المعروفون بخروجهم عن ديانات الأنبياء ، إلا من أخذ علمه من مشكاة النبوة ، أو لم يعارض الشرع . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ص ٢٧٧–٢٧٨ بتصرف.

(٤) غلاة المتصوفة : فرق شتى يجمعهم القول بالحلول ، والاتحاد ، وبمشاهدة الله جهراً ، ووحدة الوجود ، وإسقاط الشرائع ، وتحليل المحرمات ، كالحلاجية . انظر الأشعري : مقالات الإسلاميين ص ٢٧٨–٢٨٨. البغدادي : الفرق بين الفرق ص٢٦٠–٢٦٤.

(٥) أصحاب الإباحة : الذين استباحوا المحرمات ، منهم : قبل الإسلام مثل المزدكية القائلين : بالشراكة في الأموال والنساء ، ومنهم بعد الإسلام مثل البابكية ، والمازيارية المعروفون بالمحمرة ، وقيل : هم الملاحدة . انظر البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٦٦.

(٦) علاء الدين بن العطار : الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ص ٢١٧–٢٢٦بتصرف .

والمعصوم عند الشيعة الإمامية أربعة عشر شخصاً هم : النبي – ﷺ – وفاطمة الزهراء – عليها السلام – ، واثني عشر إماماً " [١] .

ويصرح النبي – ﷺ – بمساواة السيدة فاطمة لعلي – رضي الله عنهما – فيقول :" ما سوَّى الله قط امرأة برجل ، إلا ما كان من تسوية الله – عز وجل – فاطمة لعلي– عليهما السلام– . بل " ألحق الله فاطمة بمحمد ، وعلي – عليهم السلام – [٢] ؛ لأن العصمة التي ذكرها الله في آية التطهير : مختصة بالنبي – ﷺ – وفاطمة ، والأئمة – عليهم السلام – [٣] .

ولذلك :" فجميع المؤمنين من الملائكة ، والنبيين ، والأئمة المعصومين عصموا ؛ لأنهم متمسكون بطاعة الله تعالى ؛ وهذه جملة من القول في العصمة ، ما أظن أحداً يخالف في حقيقتها ، وإنما الخلاف في حكمها ، كيف تجب ؟ وعلى أي وجه تقع ؟ " [٤] .

وأجمعت الإمامية كافة : على أن الأنبياء ، والرسل ، والأئمة ، والملائكة معصومون عن الصغائر ، والكبائر ، منزهون عن المعاصي قبل النبوة وبعدها ، على سبيل العمد ، والنسيان ، وعن كل رذيلة ، ومنقصة ، وما يدل على الخسة ، والضعة "[٥] ، ومن كل دنس ، وأنهم لا يذنبون ذنباً ، لا صغيراً ، ولا كبيراً ، ولا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم ، فقد جهلهم ، ومن جهلهم فهو كافر"[٦] .

وينقض هذا ما قاله الطوسي في رسائله : من أن ظاهر المذهب أن إبليس كان من جملة الملائكة ، وإنما عصى بترك السجود ، وليس جميع الملائكة معصومين ، بل نقطع على أن الرسل منهم كذلك ، والباقي يجوز عليهم الخطأ ، وهو مذهب كثير من المفسرين والعلماء " [٧] .

فأثبت عدم العصمة للملائكة بأدلة منها : روي عن فاطمة – صلوات الله عليها – قالت عن علي أنه : " عَرج به جبرائيل إلى السماء ، فقيل : في ماذا ؟ قالت : إن نفراً من الملائكة تشاجروا في شيء ، فسألوا حَكَماً من الآدميين ، فأوحى الله إليهم : أن تخيروا ، فاختاروا علي " [١] .

---

(١) ابن البطريق : العمدة " عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار " ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤٠٧هـ صـ ٤٥.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٧ صـ ٤٨ – ٤٩ بتصرف.

(٣) الميرزا جواد التبريزي : صراط النجاة جـ ٣صـ ٤٢٥.

(٤) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ١٣٥ .

(٥) السيد علي الميلاني : العصمة ، ط مركز الأبحاث العقائدية – قم ، ط١ ، ١٤٢١هـ صـ ٩-١١.

(٦) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية صـ ٩٦ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٧صـ ٩٥.

(٧) الشيخ الطوسي : الرسائل العشرة (رسائل الشيخ الطوسي) صـ ٣٢٧.

وعن أبي عبد الله – عليه السلام –: إن الله عرض ولاية أمير المؤمنين فقبلها الملائكة ، وأباها ملك يقال له : فُطْرُس ، فكسر الله جناحه ، فلما ولد الحسين ، نزل مع جبريل ؛ ليهنئ النبي – ﷺ – فأمره أن يتمسح ويتمرغ بمهد الحسين ؛ لكي يشفى ، فقال رسول الله – ﷺ – :" فنظرت إلى ريشه ؛ وإنه ليطلع ، ويجري فيه الدم ، ويطول حتى لحق بجناحه الآخر "[٢].

حكم العصمة عند الشيعة الاثني عشرية وما الذي يترتب عليه ؟ :

إذا كانت العصمة من الله – تعالى – لحججه هي : التوفيق ، واللطف ، والاعتصام من الحجج بها عن الذنوب ، والغلط في دين الله ؛ وإذا كانت العصمة تفضل من الله على من علم أنه يتمسك بعصمته [٣] ، وإذا كان اللطف في الواجب واجب ، وفي الندب ندب ، وعصمة الأنبياء مطلقة بالنسبة إلى جميع الأوقات ، وجميع ما منه العصمة واجبة ؛ بناء على ذلك يجب أن يكون الإمام معصوما من الله [٤] ؛ لثبوت تنزيه الله لهم ، وإذهاب الرجس عنهم "[٥] .

لذا يعتقد الشيعة الاثنا عشرية : أن من الواجب على الله – ﷻ – أن يجعل الإمام معصوماً ، ويجب على النبي – ﷺ – الإمام السابق أن ينص عليه ، وعلى عصمته ؛ لأن العصمة من الأمور الخفية التي لا تعلم إلا بالنص " [٦] .

ويجب على كل مكلف أن يعرف إمام زمانه ، ويعتقد إمامته ، وفرض طاعته ، وأنه أفضل أهل عصره ، وسيد قومه ، وأنهم في العصمة ، والكمال كالأنبياء – عليهم السلام – [٧] .

والسؤال هنا : هل " إذا أخطأ الإمام في بعض أحكامه ، أو نسيه ، لم تفسد إمامته ؟ قالوا : لا ؛ لأن الإمام معصوم ، وأنه لا يحكم بالاجتهاد ، بل بالنص ، والعلم ، وعلى هذين الأصلين لا يجوز أن يخالف الإمام الثاني الإمام الأول ؛ لأنه إذا خالفه لابد أن يكون أحدهما مخطئا ، والخطأ لا يجوز على الأئمة [٨] ؛ وأثبتنا عدم تعبد النبي – صلى الله عليه وآله – بالاجتهاد ، لما كان يأتيه من الوحي ، سواء كان قرآنا أو سنة ، فكلامه كله وحي ، وحكم العمل به كحكم الوحي

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٩ صـ ١٥٠. السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ١ صـ ٩٢.

(٢) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٨٨. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٢٤٠ – ٢٤١ بتصرف .

(٣) الشيخ المفيد : تصحيح اعتقاد الإمامية صـ ١٢٨. المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٧صـ ٩٥.

(٤) أبو المجد الحلبي : إشارة السبق إلى معرفة الحق صـ ٣٩.

(٥) السيد علي الميلاني : العصمة صـ ١٤.

(٦) الشيخ الصدوق : معاني الأخبار صـ ١٣٦. الشريف المرتضى : رسائل الشريف المرتضى جـ ٣ صـ ٢٠ .

(٧) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٣٢.

(٨) الشريف المرتضى : الناصريات صـ ٤٦ بتصرف .

القرآني ، فالقول بجواز الخطأ في الاجتهاد باطل [١] ؛ ولأنه لا يجوز من الأنبياء ، ولا الأئمة الكبائر ، ولا الصغائر في أحوال النبوة ، ولا الإمامة ، ولا فيما قبلها من الزمان [٢] .

ومع ذلك فإن :" الإمامية يجوزون التقية على الإمام ، وأما السهو ، والنسيان ؛ فلا يجوزنهما عليهم فيما يؤدونه عن الله ، وأما ما سواه ، فقد جوزوا عليهم أن ينسوه ، ويسهوا عنه ، ما لم يؤدي إلى إخلال بالعقل ، وكيف لا ؟ وقد جوزوا عليهم النوم والإغماء ، وهما من السهو" [٣] .

فإذا وجبت العصمة ، صار لهم من الحق على الأمة ما للنبي – ﷺ – بل وجب إجبار الناس إذا أعرضوا عن زيارتهم – عليهم السلام – ولا مشقة ، والعذر منفي هنا ، خشية الوقع في الجفاء [٤].

وإذا تقرر ذلك : فإنه لا يجوز الاجتهاد أمام النص من أهل بيت العصمة ، فبسبب ذلك كثرت الخلافات ، وتباعدت الآراء ، ولو أنهم رجعوا إليهم ؛ لانهالت البركات عليهم من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم ، ولكن ابتعدوا ؛ فتفارقوا ، واختلفوا [٥] .

وصفوة الكلام : إنه بعد الإقرار بالتوحيد وشؤونه ، فإثبات صفة غير مختصة بالله تعالى لأحد من الناس ، سواء أكان واجداً لها كإثبات العصمة ، أو العلم بخفايا الأمور ، أو المعجزة ، أو الشفاعة ، أو كونه مستجاب الدعوة ؛ للأئمة – عليهم السلام – ؛ لا يوجب الكفر ، ولا يقتضي خللاً في التوحيد ؛ لأنها ثابتة لهم بإذن الله ومشيئته ، بعد إمكان تحققها لغير الله "[٦] .

فكيف تكون العصمة " من ضروريات المذهب ، الذي يقتضي إنكارها الكفر؟ " [٧] . وهي كما يدعون لا تقتضي خللاً في التوحيد ؟ ! .

<u>علاقة العصمة ببشرية المعصوم :</u>

" الظاهر أن الأنبياء والأئمة كانوا كاملين في عالم الذر ، ويتكلمون في بطون أمهاتهم ، وعند ولادتهم ؛ لأن الله تعالى مع أنه أكمل أرواحهم في عالم الذر ، على وجه الإعجاز ، جعلهم

---

(١) الشيخ محمد صادق النجمي : أضواء على الصحيحين صـ ٢٥٩.

(٢) الشريف المرتضى : الناصريات صـ ٤٤٢.

(٣) المحقق الأردبيلي : زبدة البيان في أحكام القرآن ، تحقيق : محمد باقر البهبودي ، نشر المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية – طهران ، دت صـ ٣٤٠ .

(٤) الفاضل الآبي : كشف الرموز في شرح المختصر النافع ، تحقيق : الشيخ علي پناه الإشتهاردي ، الحاج آغا حسين اليزدي ، ط مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ١٤٠٨هـ جـ ١صـ ٣٨٨ .

(٥) العلامة الحلي: تذكرة الفقهاء جـ ١ صـ ١٦.

(٦) السيد الگلپايگاني : نتائج الأفكار صـ ٢٠٣.

(٧) الجواهري : جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام جـ ٢٨ صـ ٣٩.

مشاركين مع سائر الخلق في النمو ، وحالة الصبا ، والرضاع ، والبلوغ – وإن كان بلوغهم لكمال عقولهم قبل غيرهم ، ولم يكلفهم في حال رضاعهم ، وعدم تمكنهم من المشي والقيام بالصلاة وغيرها ، فإذا صاروا في حد يتأتى ظاهراً منهم الأفعال والتروك ، لا يصدر منهم معصية فعلاً ، وتركاً ، وعمداً ، وسهواً ، وحالة النوم أيضاً مثل ذلك ، ولا يشمل السهو تلك الحال" (1) .

ثم يتراجع حين يفجأه حديث يدل على أن النبي – ﷺ – نام عن صلاة الفجر ؛ ويقول :" فمن هذه الجهة يمكن التوقف في تلك الأخبار ؛ مع اشتهار القصة بين المخالفين ، واحتمال صدورها تقية ، ويمكن الجواب عن الإشكال بوجوه منها ؛ **الأول** : أن تكون تلك الحالة في غالب منامه – ﷺ – وقد يغلب الله عليه النوم لمصلحة ؛ فلا يدري ما يقع ، ويكون في نومه ذلك كسائر الناس ، كما يشعر به بعض تلك الأخبار. **الثاني** : أن يكون مطلعا على ما يقع ، لكن لا يكون في تلك الحال مكلفاً بإيقاع العبادات ؛ فإن معظم تكاليفهم تابع لتكاليف سائر الخلق ؛ فإنهم كانوا يعلمون كفر المنافقين ، ونجاسة أكثر الخلق ، وأكثر الأشياء ، وما يقع عليهم وعلى غيرهم من المصائب وغيرها ، ولم يكونوا مكلفين بالعمل بهذا العلم . **الثالث** : أنه كان مأموراً في ذلك الوقت من الله بترك الصلاة ؛ لمصلحة ، مع علمه بدخول الوقت ، وخروجه . **الرابع** : لا ينافي اطلاعه في النوم على الأمور ، عدم قدرته على القيام ، ما لم تزل عنه تلك الحالة ؛ فإن الاطلاع من الروح ، والنوم من أحوال الجسد (2) .

<u>أقسام الناس بحسب العصمة :</u>

ينقسم الناس في العصمة على حسب الاستعداد النفسي لكل شخص ؛ " لأن الناس مختلفون في الاجتناب عن المعاصي : ففرقة منهم يعصون الله كثيراً ، وهو فاسق متهتك . وفرقة لا يعصون الله إلا شاذاً ، نادراً ، وأحياناً ، وهو العادل . وثلة من الناس لا يعصون الله تعالى أبداً ، ولا يخرجون عن زي العبودية ، ومنهاج الطاعة ، حتى ولو في آن من الآنات ، وحين من الأحيان ، ومن كان كذلك فهو المعصوم ، وهذا المقام " مقام العصمة "(3) .

---

(1) قال المجلسي : مع أن نومه – صلى الله عليه وآله –كيقظته ، ويعلم في النوم ما يعلم في اليقظة ، فكيف ترك الصلاة مع علمه بدخول الوقت ، وخروجه ، فيحتمل صدور هذه القصة من باب التقية ! . المجلسي :بحار الأنوار جـ ١٧ص ١٢٠-١٢١.

(2) المصدر السابق جـ ١٧ص ١٢١.

(3) السيد الگلپايگاني : نتائج الأفكار ، ط أمير – قم ، ط١ ، ١٤١٣هـ صـ ٢٠٣.

فإن قيل : إذا كان تفسير العصمة كما ذكرتم ، فهلا عصم الله جميع المكلفين ؟ وفعل بهم ما يختارون عنده الامتناع من القبائح ؟ قلنا : كل من علم الله أن له لطفاً ، يختار عنده الامتناع من القبائح ، فإنه لابد أن يفعل به هذا اللطف ، وإن لم يكن نبياً ، ولا إماماً[1] .

وهذه حيدة عن الجواب إلى مسألة أخرى ؛ لأنا سألنا عن غير المعصومين لا عن المعصومين .

هل تشترط العصمة في ولاة أمر المسلمين في عصر الغيبة ؟ :

لا يخفى أنه لو قيل بذلك ، فكأنه صار نقضاً لما أثبتناه من ضرورة الحكومة الإسلامية في عصر الغيبة ، وصلاحية الفقيه لها ، مع أنه لا يكون معصوماً قطعاً ، ولا يصح الاستدلال لهذه المسألة المطلقة بالأخبار التي تثبت عصمة الأنبياء ، وأوصيائهم والأئمة الاثني عشر بالخصوص ، ففي بعضها " الأنبياء وأوصيائهم لا ذنوب لهم ؛ لأنهم معصومون مطهرون "[2] ، وفي بعضها " علي – عليه السلام – وولده من بعده معصومون " [3] ، ولا من الأخبار التي يستفاد منها اعتبار العصمة في الإمام بنحو الإطلاق ؛ لأن المراد بالإمام في هذه الأخبار هو الإمام المنصوب من قِبل الله تعالى ، ومن قِبل النبي – ﷺ – مباشرة ، باسمه ، وشخصه ، منها خبر " أبي عبد الله – عليه السلام – قال : عشر خصال من صفات الإمام منها : العصمة ، والنصوص ؛ وإذا ثبت عموم طاعة المعصوم بطل توجيه الطاعة ، والعصمة إلى أمراء السرايا ؛ لارتفاع عصمتهم ، واختصاص طاعتهم فيما لا يكون فيه محظور شرعي "[4] .

وعلى هذا نلتزم بعدم اعتبار العصمة في الوالي في عصر الغيبة لعدم دليل نقلي لها ، ولا يحكم العقل بأزيد من العدالة والأمانة ؛ ولأن : أصول مسؤوليات الإمام ثلاثة : بيان أحكام الله تعالى وحفظها ، إجراء أحكام الله وقوانينه ، وإدارة أمر القضاء ، وفصل الخصومات ، وكل واحد من هذه الشؤون الثلاثة اتسعت دائرته بسعة أراضي الإسلام وبلاده ، والإمام المعصوم أيضا لم يكن يتمكن من مباشرة جميع الأعمال[5] ، فلا محالة يفوض كل أمر إلى شخص ، أو مؤسسة ، وقد دلت الأخبار على إحالة الفتيا إلى رجال أُخَر من فقهاء الأصحاب ، وكذا أمر القضاء ، فكذلك لا

---

(١) المصدر السابق : جـ ١٧ ص ٩٥.

(٢) المصدر السابق : جـ ٢٥ص ١٩١.

(٣) المصدر السابق : جـ ٢٥ص ١٤٠ بتصرف .

(٤) المصدر السابق : جـ ٢٣ ص ٢٩٧.

(٥) أليس الإمام له الدنيا والآخرة ، ويعلم الغيب ، وعنده معجزات ؛ فلماذا لا يستطيع إدارة البلاد وحده ؟ .

مانع من تصدي الفقهاء للأعمال الثلاثة في عصر الغيبة ، بل يوجب الأصحاب ذلك ، مع تطرق احتمال خطئهم ، وعدم كونهم معصومين [1] .

وهو ما يقوله أهل السنة : فلو اشترطنا العصمة ؛ لأدى ذلك إلى سد باب الشهادة ، وهو مفتوح ، أما إذا أصر علي صغيرة ، وفرح بها ، أو استخف فهي كبيرة ؛ لأن الصغيرة تأخذ حكم الكبيرة بالإصرار ، ولكنه إن اجتنب الكبائر كلها ، وغلب صوابه على صغائره ؛ فهو عدل حتى لو ارتكب كبيرة تسقط عدالته ، ويكون ستره أكثر من هتكه ، وصوابه أكثر من خطئه ، ومروءته ظاهرة ، ويستعمل الصدق ، ويتجنب الكذب ديانة ومروءة ، وليس لكمال العدالة حد يدرك مداه ، ويُكْتَفَى لقبولها بأدناه ، كي لا تضيع الحقوق [2] .

ولم يشترط الفقهاء في الإمام الأعظم حال عقد الإمامة له كونه معصوماً ؛ لأن العصمة للأنبياء ؛ لذلك فإنه لا ينعزل بالفسق في الأصح [3] [4] .

من أول من قال بعصمة الأئمة ؟ :

يترجح عند البعض : إن أول من قال بالعصمة هو ابن سبأ المتوفى (٤٠هـ) ، ولكن من الباحثين قالوا : بأنه لم يرد نصٌ عن ابن سبأ يتحدث فيه عن عصمة الأئمة ، وقيل : إن القول بالعصمة لم يعرف إلا على يد هشام بن الحكم المتوفي (١٩٠هـ) ، ويؤيد هذا : أن القول بالعصمة نشأ ، وظهر في عصر جعفر الصادق ؛ لأن هشام من المعاصرين له [5] ، والله أعلم .

أدلة الشيعة الاثني عشرية على عصمة الأئمة :

من أهم أدلتهم قوله – ﷻ – :" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا [6] ، وعن النبي – ﷺ– :" المودة في قلوب المؤمنين هي : العصمة" [7] .

---

(١) الشيخ المنتظري : نظام الحكم في الإسلام صـ ١٣٢-١٣٣ بتصرف .

(٢) علاء الدين بن عابدين : حاشية قرة عيون الأخيار تكملة رد المحتار إلى الدر المختار ، نشر دار الفكر – بيروت ، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م جـ ١ صـ ٥٢٨ بتصرف.

(٣) الأصح أو الصحيح : مصطلح للشافعية ، وخاصة للنووي في المنهاج ، وهو وجه من وجهين ، أو وجوه لأصحاب الشافعي يستخرجونها من كلامه ، وقد يجتهدون في بعضها ، فإن قوي الخلاف ؛ قالوا : الأصح المشعر بصحة مقابله ، وإلا قالوا : الصحيح . انظر د علي جمعة محمد : المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية صـ ٦٢ – ٦٣ .

(٤) محمد بن أحمد الشربيني : مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م جـ ٤ صـ ١٣٠-١٣٢ بتصرف .

(٥) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية جـ ٢ صـ ٧٧٧ بتصرف .

(٦) سورة مريم : آية رقم ٩٦.

(٧) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ١صـ ٢١٥ .

وعن علي بن الحسين – عليهما السلام –: " الإمام منا لا يكون إلا معصوماً ، وليست العصمة في ظاهر الخلقة ، فيعرف بها ، فلذلك لا يكون إلا منصوصاً "[1] أي : عليه ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – : "من صفات الإمام العصمة " [2] ، بل كل ما ورد في وجوب عصمة النبي – ﷺ – هي أدلة عصمة الأئمة ؛ فبقاء الإمام بقاء للشريعة [3] . وغيرها في ثنايا الفصل .

<u>الأدلة العقلية على وجوب عصمة الأئمة – عليهم السلام – :</u>

من أهم أدلة العقل : هو وفور علم الأئمة فلأجله يستحقون العصمة ؛ فعن أبي جعفر – عليه السلام – :" الله أجل ، وأعز ، وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه " [4] ؛ ولذلك :" إن الله جمع لمحمد – ﷺ – علم النبيين ، وجمع ذلك كله عند أمير المؤمنين "[5] ، عن أبي جعفر – عليه السلام – :" إن لله – عز وجل – علمين : علمه لا يعلمه إلا هو ، وعلم علمه ملائكته ورسله ؛ فما علمه ملائكته ورسله : نحن نعلمه " [6] .

ثانياً : إن مقتضى وجوب الإمامة ، ونصب الإمام جواز الخطأ على الأمة ؛ المستلزم لاختلال النظام ، فإن الضرورة قاضية بأن الاجتماع مظنة التنازع ، والتغالب [7] ، وعلة الحاجة إليه أن يكون لطفاً للرعية في الصلاح ، ليصدها عن ارتكاب القبائح والفساد ، ويردها إلى فعل الواجب والسداد ، وهذا يقتضي أن لا تكون علة الحاجة موجودة فيه [8] ، فلو جاز عليه الخطأ ؛ لافتقر إلى إمام آخر يسدده ، وينقل الكلام إليه ، ويتسلسل[9] ، أو يثبت المطلوب ، وهو وجوب عصمة الإمام من الزلل أو الخطأ ؛ ولأنه حافظ للشرع ، فلو لم يكن معصوماً لم يؤمن عليه الزيادة فيه ، والنقصان منه [10] ؛ فيجب أن يكون الإمام له من الصفات ما ليس لغيره من البشر ، حتى يستطيع أن يعصمهم من الضلال بعصمته منه .

---

(١) الشيخ المنتظري : نظام الحكم في الإسلام ص١٣٤ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١٩٤.

(٢) الشيخ المنتظري : نظام الحكم في الإسلام ص١٤٣ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١٤٠.

(٣) الميرزا جواد التبريزي : صراط النجاة جـ ٢صـ ٤٤٧.

(٤) الكليني : الأصول من الكافي جـ١ صـ ٢٦٢.

(٥) المصدر السابق جـ١ صـ ٢٢٣.

(٦) المصدر السابق جـ١ صـ ٢٦٥.

(٧) الشيخ المنتظري : نظام الحكم في الإسلام صـ١٠٣– ١٠٥ بتصرف .

(٨) أبو الفتح الكراجي : كنز الفوائد صـ ١٦١ .

(٩) التسلسل : ترتب أمور غير متناهية مجتمعة في الوجود . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١ صـ ١٩٨.

(١٠) الشيخ المفيد : النكت الاعتقادية صـ ٤٠ .

ثالثاً : لأن الإمام لابد أن يكون أفضل أهل زمانه ، حتى يتحقق له التمييز عن غيره ، والعصمة أعظم آيات التمييز ، وحتى يكون منزهاً عن القبائح ، حتى لا يكون مستحقاً للاهانة ، والإنكار عليه ؛ فيسقط محله من قلوب العامة ؛ فتبطل فائدة نصبه " [١] .

رابعاً :" هل تقبل عقولكم أن نبينا – ﷺ – علم الله تعالى أنه يفتح في حياته قريات وحصوناً صغيرة ، ويسلم على يديه نفوس يسيرة ؛ فيجعله الله – ﷻ – معصوماً ، ثم يعلم أن بعد وفاته يحتاج الناس إلى رئيس ، يفتح أضعاف ما فتحه من البلاد ، ويسلم من الأمم أضعاف من أسلم على يده ، ويقع الخلاف بينهم ، وينقطع الوحي عنهم ، ولا يكون الذي قام مقامه في الأثقال الزائدة ، يوثق منه بالعدل ، وترك الأعمال الفاسدة " [٢] ؛ فثبتت له العصمة .

خامساً : إن الله نصب الإمام ليكون حجة على عباده ، فإذا لم يتصف الإمام بالعصمة من كل سهو وخطأ ، كان من الممكن أن يقع منه الخطأ عمداً ، أو نسياناً ، أو سهواً ؛ فلا يكون قوله وفعله حجة على العباد ، أو يكون فعل الحرام في حقه ليس عيباً ، أو لا غضاضة فيه ، أو يفعل أحد من رعيته نفس الفعل ، فلا ينكر عليه ، فيكون هذا تقريراً للخطأ ، وكل هذا غير مسلم به في حق الحجة الذي نصبه الله ليقتدي الناس به [٣] ؛ ولولا استحقاقه العصمة ؛ لصارت الطاعة منه معصية ، والمعصية طاعة ؛ لأنهم الناس إن أطاعوه عصوا الله ، والعكس ، وهذا مستحيل ، فوجبت العصمة للإمام " [٤] ، ولو فعل الخطيئة ، فإما أن يجب الإنكار عليه أو لا ، فإن وجب عليه الإنكار سقط محله من القلوب ، ولم يتبع ، والغرض من نصبه إتباعه ، وإن لم يجب الإنكار عليه ، سقط وجوب النهي عن المنكر وهو باطل [٥] .

سادساً : لا ريب أن الله سبحانه قد أوجب على البشر كلهم تحصيل مقام العصمة ؛ من حيث أنه لا يرضى منهم بارتكاب ولو مخالفة واحدة مهما كانت صغيرة ، طيلة حياتهم ، من حين البلوغ إلى يوم الممات ؛ بل هو أوعدهم بالعقاب ، وأمتن عليهم بالعفو عن كثير ، ولا يكون عفو إلا بثبوت العقوبة ، وليست العصمة أكثر من ذلك " [٦] .

هل العصمة تقتضي الإجبار أم حرية الاختيار للمعصوم ؟ :

---

(١) الشيخ المنتظري : نظام الحكم في الإسلام ص١٠٣- ١٠٥ بتصرف .

(٢) السيد ابن طاووس: كشف المحجة لثمرة المهجة ، ط المطبعة الحيدرية – النجف ، ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م ص ٤٠.

(٣) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٥ الهامش ص ٢٣٦.

(٤) أبو الفتح الكراجي : كنز الفوائد ص ١٦٢ .

(٥) الشيخ المفيد : النكت الاعتقادية ص ٤٠ .

(٦) السيد جعفر مرتضى العاملي : زواج المتعة جـ ٣ ص٢٦٤-٢٦٥.

يجيب علماء الاثنا عشرية : بأن العصمة مؤكدة للاختيار لا منافية له ، وفرق بين أن نحكم قطعاً بعدم إمكان صدور المعصية منه رأساً ؛ لأنه لا يريدها ، وبين أن نحكم بعدم إمكان إرادته لها ؛ لعدم إمكان صدورها منه [١] .

إذ العصمة من الله تعالى لحججه هي التوفيق ، واللطف ، وتفضل من الله تعالى على من علم أنه يتمسك بعصمته ، والاعتصام فعل المعتصم ، وليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح ، ولا مضطرة للمعصوم إلى الحسن ، ولا ملجئة له إليه ، بل هي الشيء الذي يعلم الله تعالى أنه إذا فعله بعبد من عبيده لم يؤثر معه معصيته له ، وليس كل الخلق يعلم هذا من حاله ، بل المعلوم منهم ذلك هم الصفوة والأخيار ، قال تعالى :" إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى " [٢] ، وقال تعالى :" وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ " [٣] ، والأنبياء والأئمة معصومون في حال نبوتهم وإمامتهم ، من الكبائر كلها ، ومن الصغائر [٤] .

ولو كانت العصمة جبرية منافية لاختيار المعصوم ؛ لكان تكليف المعصوم بأمره بالطاعة ، ونهيه عن المعصية باطلاً ؛ لكونه تكليفاً بغير المقدور ، مع أن كون المعصومين مكلفين أمر ثابت بالضرورة ، ويؤكده ظاهر القرآن الكريم قال تعالى:" لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ "[٥] ونحوها "[٦].

فإن قيل :" معصوم اسم مفعول ؛ فيكون مجبوراً على ترك العصيان في كل آن ، ولا فخر في ذلك على إنسان ؟ قلنا : العصمة الملجئة من الله إنما هي من الغلط والنسيان ، وأما العصمة التي لا يقع منها عصيان ؛ فهي لطف يفعله الله ، لا يوجب الإجبار ؛ فالمعصوم يترك الذنوب ؛ إما للطف من نفسه بزيادة عقله ، وعلمه ، ومداومته على الفكر في أمور معاده ، وملازمته على الطاعات ، بخلاف غيره ، وإما من الله تفضلاً لا يوجب مشاركة غيره فيه ؛ لكونه زايداً على القدر الواجب عليه [٧] .

---

(١) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ، تذييل العلامة الزنجاني صـ ٣١٦ .

(٢) سورة الأنبياء : آية رقم ١٠١.

(٣) سورة الدخان : آية رقم ٣٢.

(٤) الشيخ المفيد : تصحيح اعتقاد الإمامية صـ ١٢٨– ١٢٩.

(٥) سورة الزمر : آية رقم ٦٥.

(٦)الميرزا جواد التبريزي : صراط النجاة جـ ٣ صـ ٤٤٥.

(٧) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم إلى معرفة من يستحق التقديم جـ ١ صـ ١١٦.

وإنما استحق المعصوم العصمة بكسبه أسبابها ، وباقي الرعية ليس ذلك فيهم ، ولا يقال : الأنفس متساوية ، فهذا ترجيح بلا مرجح ؛ فنقول : يجوز للفاعل بالاختيار أن يرجح بلا مرجح ، ولو كانت الأفعال متساوية ؛ لعمل الجميع نفس العمل في نفس الوقت ، وهذا باطل ، وما دام ذلك لا يحدث ؛ فوجب القول بالاختيار للمعصوم وغير المعصوم [١].

وأصل العصمة في موضوع اللغة : المنع ، غير أن المتكلمين أجروا هذه اللفظة على : من امتنع باختياره عند اللطف الذي يفعله الله تعالى به [٢] ، فمعنى هذا أنه إذا فعله الله بالمكلف اختار الطاعات ، واجتنب المعاصي البتة ، وحينئذ يكون وقوع المعصية عن المعصوم ممكنا بالنظر إلى قدرته ، ممتنعا بالنظر إلى عدم داعيه ، ووجود صارفه ، فالمعصية وإن كانت ممكنة بحسب الإمكان الذاتي ، لكنها غير ممكنه بحسب الإمكان الوقوعي [٣] .

<u>هل يتمكن المعصوم من فعل المعصية أم هو مجبور على تركها ؟ :</u>

اختلف القائلون بالعصمة في أن المعصوم هل يتمكن من فعل المعصية أم لا ؟ :

فذهب قوم منهم إلى : عدم تمكنه من ذلك ، وذهب آخرون إلى : تمكنه منها .

أما الأولون فمنهم من قال : إن المعصوم مختص في بدنه أو نفسه بخاصية تقتضي امتناع إقدامه على المعصية . ومنهم من قال : إن العصمة هي القدرة على الطاعة ، وعدم القدرة على المعصية . وأما الآخرون الذين لم يسلبوا القدرة ، فمنهم من فسرها بأنه الأمر الذي يفعله الله تعالى بالعبد من الألطاف المقربة إلى الطاعات ، التي يعلم معها أنه لا يقدم على المعصية ، بشرط ألا ينتهي ذلك الأمر إلى الإلجاء . ومنهم من فسرها بأنها ملكة نفسانية ، لا يصدر عن صاحبها معها المعاصي .

وآخرون قالوا : العصمة لطف يفعله الله لصاحبها ، لا يكون له معه داع إلى ترك الطاعات ، وارتكاب المعصية ، وأسباب هذا اللطف أربعة :

أحدها : أن يكون لنفسه أو لبدنه خاصية تقتضي ملكة مانعة من الفجور وهذه الملكة مغايرة للفعل ، الثاني : أن يحصل له علم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات . الثالث : تأكيد هذه العلوم بتتابع الوحي أو الإلهام من الله تعالى . الرابع : مؤاخذته على ترك الأولى بحيث يعلم أنه لا يترك

---

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ١١٨.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٧ص ٩٤.

(٣) الشيخ سليمان الماحوزي البحراني : الأربعون حديثا في إثبات إمامة أمير المؤمنين ص٤٨-٤٩.

مهملا بل يضيق عليه الأمر في غير الواجب من الأمور الحسنة . فإذا اجتمعت هذه الأمور كان الإنسان معصوما .

والراجح : هو أن العصمة لا تنافي القدرة ، بل المعصوم قادر على فعل المعصية ، وإلا لما استحق المدح على ترك المعصية ، ولا الثواب ، ولبطل الثواب والعقاب في حقه ، فكان خارجاً عن التكليف ، وذلك باطل بالإجماع [١].

ويدل على ذلك قوله تعالى عن يحيى – عليه السلام – :" وَسَيِّدًا وَحَصُورًا "[٢] ، الحصور هو الممتنع من الوطء مع القدرة عليه ، واختار قوم هذا القول لوجهين ؛ أحدهما : لأن الكلام خرج مخرج الثناء ، وهذا أقرب إلى استحقاق الثناء ؛ لأن المدح يكون عن الفعل المكتسب ، دون الجبلة في الغالب ، والثاني : أنه أبعد من إلحاق الآفة بالأنبياء[٣] ؛ إذ يفهم من دعاء زكريا – عليه السلام – :" رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً " [٤] ؛ أنه يكون له منه أولاد طيبون [٥].

هل تنافي ولاية الفقيه اشتراط العصمة في الإمام :

يجيب أحد كبار علمائهم فيقول إن: " حكومة الفقيه وولايته هي من فروع ولاية الإمام ، وحكومته – عليه السلام – لا شيء في مقابلها ، حتى ينافي اشتراط العصمة[٦] .

آراء الفرق الإسلامية في عصمة الأنبياء – عليهم السلام – :

إعلم أنه ليس في الفرق الإسلامية من يوجب للأنبياء العصمة مطلقاً ، صغيرةً كانت ، أو كبيرةً ، قبل النبوة ، وبعدها إلا الشيعة الإمامية الاثني عشرية .

ثم اعلم أن الخلاف الواقع بين علماء الفريقين يرجع إلى أقسام أربعة : أحدها : ما يقع في باب العقائد ، وثانيها : ما يقع في باب التبليغ ، وثالثها : ما يقع في الأحكام والفتيا ، ورابعها : في أفعالهم وسيرهم – عليهم السلام – [٧] .

الأول : فيما يرجع إلى الاعتقاد كالشرك والكفر والضلال ، فلا خلاف بين المسلمين في نفي ذلك عنهم ، وأجمعت الأمة على عصمتهم عنها قبل النبوة وبعدها ، إلا ما يحكى عن بعض الخوارج

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٧ص ٩٣-٩٤.

(٢) سورة آل عمران : آية رقم ٣٩.

(٣) البغوي : تفسير البغوي صـ ٢٠٤. القرطبي : تفسير القرطبي جـ ١ صـ ٦٧٤.

(٤) سورة آل عمران : آية رقم ٣٩.

(٥) أبو بكر الجزائري : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير صـ ١٤٩.

(٦) الشيخ المفيد : أوائل المقالات تذييل العلامة الزنجاني صـ ٣٧٧ .

(٧) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ١٦٤- ١٦٥ بتصرف .

من الأزارقة [1] يرون : جواز صدور الذنب عنهم ؛ لأنهم يذهبون إلى تكفير مرتكبي الذنوب مطلقاً ، بل تجاوزوا إلى تجويز الكفر على الأنبياء ، فقالوا : يجوز أن يبعث الله نبياً علم أنه يكفر بعد نبوته ! [2] ؛ ونقول : قال تعالى عن شيعب – عليه السلام – :" قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا "[3] .

الثاني : أما فيما يرجع إلى تبليغ الرسالة ، وبيان الأحكام ، فقد اتفقت الأمة بل جميع أرباب الملل والشرائع : على وجوب عصمتهم عن الكذب ، والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ ، عمداً أو سهواً ، ونسب إلى بعض الأشاعرة [4] ، وهو أبو بكر الباقلاني [5] تجويز ذلك عليهم إذا كان من جهة السهو ، والنسيان ، وفلتات اللسان [6] ؛ ونقول قال تعالى :" وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى"[7] .

الثالث : أما ما يتعلق بالفتيا ، فأجمعوا على أنه لا يجوز خطأهم فيه عمداً ، ولا سهواً ، إلا شرذمةٌ قليلةٌ من العامة – [8] يعني : أهل السنة .

الرابع : أمَّا ما يتعلق بالأفعال ، وهو الذي يقع في أفعالهم فقد اختلفوا فيه على خمسة أقوال :

القول الأول : مذهب أصحابنا الإمامية : وهو أنه لا يصدر عنهم الذنب ، لا صغيرةً ، ولا كبيرةً ، ولا عمداً ، ولا نسياناً ، ولا لخطأ التأويل ، ولا للاسهاء من الله سبحانه ، ولم يخالف فيه إلا الصدوق [1] ، فإنه جوزا الإسهاء ، لا السهو الذي يكون من الشيطان .

---

(١) الأزارقة : من الخوارج ، أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق غلبوا على بلدان من فارس أيام ابن الزبير ، إلى أن هزمهم المهلب بن أبي صفرة في أيام الحجاج ، يكفرون علياً والصحابة ، وأباحوا قتل أطفال المخالفين ، ومنعوا التقية ، وجوزوا الكفر على الأنبياء بعد البعثة ، ويكفرون مرتكب الكبيرة ، ومخلد في النار . الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٠١-١٠٤. الأحمدي نكري: دستور العلماء ج ١ص ٥٦.

(٢) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٦٤-١٦٥ بتصرف .

(٣) سورة الأعراف : آية رقم ٨٨ – ٨٩ .

(٤) الأشاعرة : أصحاب أبي الحسن الأشعري ، أثبتوا لله بعض الصفات ، ولهم نظرية الكسب في فعل العبد ، ويحكمون النص في كل قضايا الاعتقاد ، ولهم تأويل في بعض الصفات ، والفرق بين الأشاعرة والأشعرية أن الأشعرية في مقابلة الماتريدية ، وهم الذين تبعوا أبا الحسن الأشعري . والأشاعرة في مقابلة المعتزلة شاملة للماتريدية ، والأشعرية . والأشاعرة إذا وقعت في مقابلة الحكماء فالمراد بها جميع المتكلمين . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ص ٧٨-٨٨ بتصرف . الأحمدي نكري : دستور العلماء ج ١ ص ٨٢.

(٥) الباقلاني : القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري ، الأشعري ، المتكلم ، المولود ٣٣٨هـ / ٩٥٠م سكن بغداد ، انتهت إليه رياسة الأشاعرة في زمانه ، وله تصانيف مشهورة ، توفي ٤٠٣هـ / ١٠١٣م . انظر المجلسي : بحار الأنوار ج ١١ هامش ص ٨٩ . الشهرستاني : الملل والنحل هامش ص ٨٠.

(٦) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٦٤-١٦٥ بتصرف .

(٧) سورة النجم : آية رقم ٣ – ٤ .

(٨) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٦٤-١٦٥ بتصرف .

ولكن ليس هذا مذهب كل الإمامية :" فالأنبياء والأئمة – صلوات الله عليهم – من بعدهم معصومون في حال نبوتهم ، وإمامتهم من الكبائر ، والصغائر كلها ، والعقل يجوز عليهم ترك مندوب إليه على غير التعمد ، لا للتقصير والعصيان ، ولا يجوز عليهم ترك مفترض إلا أن نبينا محمداً – صلى الله عليه وآله – والأئمة – صلوات الله عليهم– من بعده كانوا سالمين من ترك المندوب ، والمفترض قبل حال إمامتهم – عليهم السلام – وبعدها[٢].

القول الثاني : لا يجوز عليهم الكبائر ، ويجوز عليهم الصغائر ، إلا الصغائر الخسيسة المنفرة كسرقة حبة أو لقمة ، وكل ما ينسب فاعله إلى الدناءة والضعة ، وهذا قول أكثر المعتزلة [٣] .

القول الثالث : أنه لا يجوز أن يأتوا بصغيرةٍ ، ولا كبيرةٍ ، على جهة العمد ، لكن يجوز على جهة التأويل ، أو السهو ، وهو قول أبي علي الجبائي [٤] .

القول الرابع : أنه لا يقع منهم الذنب إلا على جهة السهو والخطأ ، لكنهم مأخوذون بما يقع منهم سهواً ، وإن كان موضوعاً عن أممهم ؛ لقوة معرفتهم ، وعلو رتبتهم ، وكثرة دلائلهم ، وإنهم يقدرون من التحفظ على ما لا يقدر عليه غيرهم ، وهو قول النظام [٥] ، وجعفر بن مبشر[٦] ، ومن تبعهما [٧] .

ونقول : إن ذنوب الأنبياء من باب : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، بمعنى أنهم لعلو شأنهم قد يؤاخذون بأشد مما يؤاخذ به غيرهم ، فترك الأفضل في حقهم يسمى ذنباً مثل قوله تعالى :" عَبَسَ

---

(١) يقول الصدوق : وليس سهو النبي – صلى الله عليه وآله –كسهونا ؛ لأن سهوه من الله إنما هو إسهاء ؛ ليعلم أنه بشر مخلوق ؛ فلا يتخذ رباً ومعبوداً دونه ، وليعلم الناس بسهوه حكم السهو ، وسهونا عن الشيطان ، وليس للشيطان على النبي – صلى الله عليه وآله – والأئمة سلطان . انظر الشيخ الصدوق : من لا يحضره الفقيه جـ ١ صـ ٣٦٠ بتصرف .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٧صـ ٩٧.

(٣) أجمع أهل السنة على عصمتهم من الصغائر المزرية ؛ لأن ذلك طعناً فيهم ، أما الصغائر غير المنفرة ؛ فهذا وقع الخلاف فيه ، وهو خلاف سائغ ، والراجح : عصمتهم من تعمد المعاصي عموماً. انظر د ياسر بهامي : المنة شرح اعتقاد أهل السنة صـ ٢٦٧ بتصرف .

(٤) الجبائي : أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَهَّابِ البَصْرِيُّ ، شَيْخُ المُعْتَزِلَةِ ، كان مُتوسِّعاً فِي العِلْمِ ، ذَلَّلَ علم الكَلاَمَ ، وَسهَّلَه ، وَكَانَ يَقِفُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعَلِيٍّ : أَيُّهُمَا أَفْضَلُ ؟ مَاتَ بِالبَصْرَةِ : ٣٠٣هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٤ صـ ١٨٣ – ١٨٤.

(٥) إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري ، أبو إسحاق النظام من أئمة المعتزلة ، تبحر في الفلسفة ، وانفرد بآراء تابعته فيها (النظامية) ، وأما شهرته بالنظام فأشياعه يقولون : إنما من إجادته نظم الكلام ، وخصومه يقولون : إنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة . عاشر النظام في شبابه قوماً من الثنوية ، والسمنية ، وملاحدة الفلاسفة ، وأخذ عنهم ، توفي ٢٣١هـ . انظر الزركلي : الأعلام جـ ١ صـ ٤٣ .

(٦) جعفر بن مبشر بن أحمد الثقفي : متكلم ، من كبار المعتزلة ، توفي ببغداد سنة ٢٣٤هـ . انظر الزركلي : الأعلام جـ ٢صـ ١٢٦.

(٧) وقوع المخالفة من الأنبياء ، وتسمية ذلك ذنباً لا نزاع فيه ؛ لأن القرآن صرح به ؛ كما قال تعالى :" لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ " ، الفتح : ٢ ، وقال تعالى :" وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى " ، طه : ١٢١. وإن كنا لا نسمي ذلك معصية ولكن الذنب في اللغة واسع المعني يشمل كل مخالفة حتى وإن دقت : من صغيرة وزلة .

وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى "[١] ، والخطأ مثل قوله تعالى :" فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ " [٢] ، والنسيان :" وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا "[٣] ؛ يسمى في حقهم ذنباً ، والفتور عن الذكر مثل قوله – ﷺ – : " إِنَّهُ لَيُغَانُ[٤] عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ في الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ " [٥] ، يسمى ذنباً ؛ ولكنهم يستغفرون الله – ﷻ – ويتوبون إليه منها[٦] .

القول الخامس : أنهم يجوز عليهم الكبائر ، والصغائر ، عمداً ، وسهواً ، وخطأً ، وهو قول الحشوية [٧] ، وكثير من أصحاب الحديث من العامة [٨] .

وهذا من باب الافتراء على أصحاب الحديث فإنهم لا يقولون بذلك ، فالجمهور من أهل السنة والفقهاء قائلون : بأنهم معصومون من ذلك من قبل الله ، معتصمون باختيارهم وكسبهم [٩] .

حال الأنبياء والأئمة قبل النبوة والإمامة :

والأنبياء والأئمة – صلوات الله عليهم – من بعدهم معصومون في حال نبوتهم وإمامتهم من الكبائر والصغائر كلها ، والعقل يجوز عليهم ترك مندوب إليه على غير التعمد للتقصير والعصيان ، ولا يجوز عليهم ترك مفترض ، إلا أن نبينا – ﷺ – والأئمة من بعده كانوا سالمين من ترك المندوب ، والمفترض قبل حال إمامتهم – عليهم السلام – وبعدها .

وأما الوصف لهم بالكمال في كل أحوالهم ، فإن المقطوع به كمالهم في جميع أحوالهم التي كانوا فيها حججاً لله تعالى على خلقه ، والأئمة كانوا حججا لله تعالى منذ أكمل عقولهم إلى أن قبضهم ، ولم يكن لهم قبل أحوال التكليف أحوال نقص ، وجهل ، وأنهم يجرون مجرى عيسى ويحيى –

---

(١) سورة عبس : آية رقم ١ – ٢ .

(٢) سورة القصص : آية رقم ١٥ .

(٣) سورة طه : آية رقم ١١٦ .

(٤) ليغان : ليغطى على القلب ، وتشمل الفترات ، والغفلات عن الذكر. انظر النووي : شرح مسلم جـ ١٧ صـ ٢٣ .

(٥) الإمام أحمد : المسند جـ ٣٠ صـ ٢٢٤. الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ٢٠٧٥.

(٦) د ياسر برهامي : المنة شرح اعتقاد أهل السنة صـ ٢٦٨ .

(٧) الحشوية : الذين يحشون الأحاديث التي لا أصل لها في المروية عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أي : يدخلونها فيها ، وجميع الحشوية يقولون : بالجبر والتشبيه ، وهو وصف يوصف به أصحاب الحديث كأحمد بن حنبل ؛ لتمسكهم بظاهر الأحاديث في الصفات ، وقبولهم خبر الواحد ! وهذا فيه نظر .انظر الشيخ المفيد : المسائل السرورية هامش صـ ٤٧ . والمحقق الحلي : المعتبر جـ ١ صـ ٢٩.

(٨) المجلسي: بحار الأنوار جـ ١١ صـ ٨٦-٩٠ بتصرف.

(٩) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ ٢ صـ ١٩٥- ١٩٧ بتصرف .

عليهما السلام– في حصول الكمال لهم مع صغر السن ، وقبل بلوغ الحلم ، وهذا أمر تجوزه العقول ، ولا تنكره ، وليس إلى تكذيب الأخبار سبيل [١] . وهذا أمر تجوزه العقول [٢] ، ولا تنكره .

والذي عليه المعتزلة ووافقهم الإمامية : أنه يجب أن ينزه النبي – ﷺ – قبل البعثة عما كان فيه تنفير عن الحق الذي يدعوا إليه ، وعما فيه غضاضة ، مثل الكفر أو الفسق ، وعيب مثل أن يكون حجَّاماً ، أو حائكاً ، أو حرفة يحتقرها الناس ، حتى يقع منه الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر موقع القبول ، وعدم الرد [٣] .

وقالت الخوارج : بجواز أن يكون النبي – ﷺ – كافراً قبل البعثة ، ولكن لم يقع ذلك ، بل قال بعضهم : لم يكن النبي – ﷺ – مؤمنا بالله قبل البعثة ، لقوله تعالى :" مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ" [٤] ، وقيل : كان على دين قومه أربعين سنة ، وقيل : أن النبي – ﷺ – يسلم يوم يبعث ، ولا يكون قبل ذلك مسلماً ، ونقول لهم : قال – ﷺ – : كُتِبْتَ نَبِيًّا وآدَمُ – عَلَيْهِ السَّلَام – بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ " [٥]، وفي رواية " كنت نبياً " [٦] ، وفي رواية :" جُعِلْتَ نَبِيًّا " [٧] . فمتى كان كافراً إذن أيها العقلاء ؟.

وجوز بعضهم : وقوع الكبيرة منهم قبل البعثة ، ولكن بشرط ألا يبعث حتى يتوب منها ، بدليل ما وقع من إخوة يوسف – عليه السلام – في قوله – ﷻ – :" اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ "[٨] .

ومنهم : من جوز عليهم وقوع الكبائر مطلقاً ، ومنهم من قال : على سبيل الندرة ، ثم يتوبون من قريب ، ولا يجوز عليهم الإصرار على المعصية ، ومنعت الإمامية ، وقوع الذنب منهم سواء كان كبيرةً ، أو صغيرةً ، عمداً ، أو سهواً ، ولا شبهةً ، ولا تأويلاً ، قبل النبوة ، وبعدها [٩] .

بما تثبت عصمة المعصوم عند الفرق الإسلامية :

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٧صـ ٩٧.

(٢) العقل يقول : إذا جاز أن يكون لهم فترة ، لم يكونوا معصومين فيها ؛ فبديهي أن يكون هذه حالة نقص فيهم ، لا تتناسب مع العصمة ؛ فانظر لتناقض النتيجة مع مقدمة الاستدلال .

(٣) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ٧ صـ ٩ – ١٠ بتصرف .

(٤) سورة الشورى : آية رقم ٥٢.

(٥) الإمام أحمد : المسند جـ ٣٤ صـ ٢٠٢ .

(٦) حديث صحيح عن ميسرة بن الفجر ، و أبي الجدعاء ، وابن عباس . الألباني : صحيح الجامع الصغير جـ ٢ صـ ٨٤٠.

(٧) الإمام أحمد : المسند جـ ٢٧ صـ ١٧٦ .

(٨) سورة يوسف : آية رقم ٩.

(٩) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ٧ صـ ٩ – ١٠ بتصرف .

اختلفت الفرق في ثبوت العصمة : فقالت أهل السنة والجماعة بثبوتها بالسمع ، حيث قالوا المعاصي جائزة في حق الأنبياء عقلاً ، مستحيلة عليهم سمعاً ، بعناية إلهيةٍ ، ورياضةٍ مكملةٍ . وقالت المعتزلة : تثبيت العصمة بالعقل ، وذلك من باب التحسين العقلي ، القاضي بنفور الناس من أهل المعاصي ، فيجب عقلاً خلو المرسلين منها ، حتى لا يقبح ذلك عقلاً عن المرسل إليهم فينصرفوا عنهم [1] .

وبالطبع نقلنا في فصل الإمامة : أن العصمة تثبت للأئمة عند الاثني عشرية بالنص من الله .

<u>متى يبدأ وقت العصمة للمعصوم :</u> اختلفوا على ثلاثة أقوال :

الأول : أنه من وقت ولادتهم ، إلى أن يلقوا الله سبحانه ، وهو مذهب الإمامية .

الثاني : من بلوغهم ، ولا يجوز عليهم الكفر والكبيرة قبل النبوة ، وهو مذهب كثير من المعتزلة .

الثالث: من وقت النبوة ، وأما قبله ؛ فيجوز صدور المعصية عنهم ، وهو قول أكثر الأشاعرة [2].

<u>هل يمكن أن يقع المعصوم فيما يخالف العصمة :</u>

العقل يجوز على الأنبياء ، والأئمة ترك مندوب إليه على غير التعمد للتقصير ، والعصيان ، ولا يجوز عليهم ترك مفترض ، إلا أن نبينا محمد – ﷺ – والأئمة من بعده كانوا سالمين من ترك المندوب ، والمفترض قبل حال إمامتهم وبعدها [3] .

فأما الوصف بالكمال في كل أحوالهم ، فنقطع لهم بالكمال والعصمة في أحوال النبوة والإمامة ، ونتوقف فيما قبل ذلك ، وهل كانت أحوال نبوة ، وإمامة أم لا [4].

ومن أمثلة ذلك ما قاله الإمام الرضا – عليه السلام – عن أدم وحواء – عليهما السلام – حين أكلا من الشجرة " فَأَكَلَا مِنْهَا" ثقة بيمينه بالله – يقصد إبليس حين " قَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ "[5] ، وكان ذلك من آدم – عليه السلام – قبل النبوة ، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق دخول النار ، وإنما كان من الصغائر الموهوبة ، التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم فلما اجتباه الله تعالى ، وجعله نبياً ، كان معصوماً لا يذنب صغيرةً ، ولا كبيرةً ، ولعل الإمام

---

(١) الإسنوي : نهاية السول في شرح منهاج الأصول ، تحقيق : الشيخ محمد بخيت المطيعي ، ط مطابع المعاهد الأزهرية – القاهرة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م جـ ٣ صـ ٦٢٩ بتصرف .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١١ صـ ٩٠-٩١.

(٣) الشيخ المفيد : تصحيح اعتقاد الإمامية صـ ١٢٩.

(٤) الشيخ المفيد : تصحيح اعتقاد الإمامية صـ ١٢٩- ١٣٠.

(٥) سورة الأعراف : آية رقم ٢١.

الرضا – صلوات الله عليه – أراد : بالصغائر الموهوبة : ترك المندوب ، وارتكاب المكروه من الفعل ، دون الفعل القبيح الصغير بالإضافة إلى ما هو أعظم منه " [1].

من آثار التقديس في عقيدة العصمة الاعتقاد بأن النبي ﷺ بعد النبوة لم يكن أمياً :

عنون الشيخ المفيد باباً بعنوان :" القول في أن النبي – ﷺ – بعد أن خصه الله بنبوته ، كان كاملاً يحسن الكتابة " ، ومن الدليل على ذلك : أن الله تعالى جعل النبي – ﷺ – حاكماً بين الخلق في جميع ما اختلفوا فيه ، فلابد أن يعلمه الحكم في ذلك ، وقد ثبت أن أمور الخلق قد يتعلق أكثرها بالكتابة ، فتثبت بها الحقوق ، وتبرؤ بها الذمم ، وتقوم بها البينات ، وتحفظ بها الديون ، وتحاط بها الأنساب ، وأنها فضل تشرف المتحلي به على العاطل منه ، وإذا صح أن الله قد جعل نبيه ؛ ثبت أنه كان عالماً بالكتابة محسناً لها .

وشيء آخر وهو أن النبي – ﷺ – لو كان لا يحسن الكتابة ولا يعرفها ؛ لكان محتاجاً في فهم ما تضمنته الكتب من العقود ، وغير ذلك إلى بعض رعيته ؛ ولو جاز أن يحوجه الله في بعض ما كلفه الحكم فيه إلى بعض رعيته ؛ لجاز أن يحوجه في جميع ما كلفه الحكم فيه إلى سواه ؛ وذلك مناف لصفاته ، ومضاد لحكمة باعثه ؛ فثبت أنه – ﷺ – كان يحسن الكتابة [2].

وشيء آخر وهو قوله تعالى : " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "[3] ، ومحال أن يعلمهم الكتاب وهو لا يحسنه ، كما يستحيل أن يعلمهم الحكمة وهو لا يعرفها [4]. وكم من معلم للقرآن وهو ماهر به وهو لا يقرأ ، ولا يكتب ، ولم يعب عليه أحد ذلك ، بل قد يكون كفيفاً ! .

ويدل على ذلك أيضا قوله – ﷻ – :" وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ "[5] ، فنفي عنه إحسان الكتابة ، وخطه قبل النبوة خاصة ، فأوجب بذلك إحسانه الكتابة بعد أن نبأه الله تعالى ، وهذا مذهب جماعة من الإمامية ، ويخالف فيه باقيهم ، وسائر المذاهب والفرق يدفعونه ، وينكرونه " [6] .

---

(١) الشيخ الطبرسي : الاحتجاج جـ ٢صـ ٢١٥-٢١٦ .

(٢) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ١٣٧ بتصرف .

(٣) سورة الجمعة : آية رقم ٢ .

(٤) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ١٣٧.

(٥) سورة العنكبوت : آية رقم ٤٨ .

(٦) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ١٣٧.

ولكن يوضح الإمام أبو جعفر – عليه السلام – معنى الأمي فقال :" وإنما سُمّيَ أمّيٌّ ؛ لأنه كان من مكة ، ومكة أم القرى ، لقوله تعالى : " وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا " [١] [٢] .

قال ابن عباس – رضي الله عنه – :" النبي الأمي هو : نبيكم كان أمياً ، لا يكتب ، ولا يقرأ ، ولا يحسب " [٣] ، ومع أنه – ﷺ – كان لا يكتب ، لكنه أوتي علم كل شيء ، حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط ، وحسن تصويرها ، وهذا – وإن لم تصح الرواية أنه – ﷺ – كتب – فلا يبعد أن يُرزَق علم هذا ، ويمنع الكتابة والقراءة ؛ وهو كما قال – ﷻ – : " رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ " [٤] لم يكتب ، ولم يقرأ ، ولا عرف بصحبة من هذه صفته ، ولا نشأ بين قوم لهم علم ، ولا قراءة لشيء من علومه التي جاء بها ، ولا عُرف هو قبل بشيء منها [٥] .

فهل الإعجاز في كون النبي – ﷺ – أتي بعلوم لم يسبقه بها أحد ، وهو مع ذلك أمي ؛ أم الإعجاز أن يأتي بهذه العلوم مع كونه متعلما ؟ .

<u>من آثار التقديس في عقيدة العصمة : الاعتقاد بأن الملائكة تفتخر بصحبة علي :</u>

عن فاطمة – عليها السلام –:" إن رسول الله – ﷺ – أخبرها : أن جبرائيل – عليه السلام – أخبره عن كاتبي علي من الملائكة أنهما لم يكتبا على عليٍّ ذنبا مذ صحباه " [٦].

وعن رسول الله – ﷺ– : " إن حافظي عليّ ليفتخران على سائر الحفظة ؛ بكونهما مع علي– عليه السلام – ؛ ذلك إنهما لم يصعدا إلى الله – عز وجل – منه بشيء فيسخطه " [٧] .

<u>من آثار التقديس في عقيدة العصمة : الاعتقاد بأن جميع الكتب السماوية عند الأئمة :</u>

يعتقد الشيعة أن الكتب السماوية كلها وصلت للنبي – ﷺ – يداً عن يد ، وكابراً عن كابر[٨]، وكانت محفوظة عنده ، ثم دفعها إلى المستحفظين من عقبه ، بعد انتهاء مدته ، ثم وجب عليه أن لا يضيعها بعده ، بدفعها إلى خليفته علي – عليه السلام – ؛ لتكون محفوظة عنده ، يدل على

---

(١) سورة الأنعام : آية رقم ٩٢.

(٢) الزنجاني: عقائد الإمامية الإثنى عشرية جـ ٢ صـ ١٧٤–١٧٥.

(٣) البغوي : تفسير البغوي صـ ٤٩٤. القرطبي : الجامع لأحكام القرآن صـ ١٣٢٨.

(٤) سورة الأعراف : آية رقم ١٥٨.

(٥) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ ١ صـ ٣٧٤ – ٣٧٥ بتصرف.

(٦) أبو الفتح الكراجي : كنز الفوائد صـ ١٦٢ .

(٧) الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة جـ ١ صـ ٤٤٣. أبو الفتح الكراجي : كنز الفوائد صـ ١٦٢ .

(٨) هل هذا يعني أن آباءه كانوا أنبياء ؟ أم أئمة ؟ .

ذلك ما روي عن أهل العصمة – عليهم السلام – من أن الله تعالى لم يرفع العلم الذي أنزله من لدن آدم إلى محمد – ﷺ – بل هو مخزون عند أهله [1].

من آثار التقديس في عقيدة العصمة اعتقاد مساواة الأئمة للقرآن في التشريع :

تعتقد الشيعة أن الرسول الأكرم – ﷺ – رحل وخلف في أمته الإسلامية وديعتين عظيمتين ، هما :" الكتاب والعترة " ، وأمر بالتمسك بهما إلى يوم القيامة ، حيث قال :" أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسكتم بهما ؛ لن تضلوا بعدي أبداً "[2] .

وهذا الحديث يعرب عن : أن العترة كالقرآن الكريم في العصمة ، والمصونية من الخطأ ، والزلل ، وقد وصف الله سبحانه كتابه بقوله :" وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ " [3][4] ؛ ولذلك فأن التمسك بهم أمان من الضلال " [5] .

مع اعترافهم أن " كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة " [6] فالسنة المعتبرة عند الشيعة : هي " سنة المعصومين " [7] ، ولا يأخذون إلا ما صح لهم من طريق أهل البيت عن جدهم " [8] فقط .

لأن كل شيء لم يخرج من عندهم ؛ فهو باطل " [9] ؛ لأن :" تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن " [10] . كما يقول أبو عبد الله – عليه السلام – :" حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله – صلى الله عليه وآله – ، وحديث رسول الله قول الله – عز وجل – " [11]. فهذا إسناد ذهبي .

---

(١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٦ صـ ١٣٣-١٣٤بتصرف.

(٢) المحقق الحلي : المعتبر جـ ١ صـ ٢٣.

(٣) سورة فصلت: آية رقم ٤٠-٤٢.

(٤) يحيى بن سعيد الحلي: الجامع للشرايع صـ ٤-٥.

(٥) أحمد بن عياش الجوهري : مقتضب الأثر في النص على الأئمة الإثنى عشر، ط المكتبة العلمية التابعة للمدرسة الفيضية – نشر مكتبة الطباطبائي – قم ، دت صـ ١٤.

(٦) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١١.

(٧) دستور الجمهورية الإيرانية : إصدار وزارة الإرشاد الإيرانية صـ ٢٠.

(٨) الشيخ جعفر السبحاني : أضواء على عقائد الشيعة الإمامية صـ ٥٦١.

(٩) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٦ صـ ٤٢٦.

(١٠) السيد الخميني : الحكومة الإسلامية صـ ١١٣.

(١١) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٥٣. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٨ صـ ٥٨.

وجوز الشيعة أن يروي " من سمع حديثا عن أبي عبد الله – عليه السلام – ، عن أبيه ، أو عن أحد من أجداده ، بل يجوز أن يقول : قال الله تعالى !"[1] . لا فرق بين قول الإمام وقول الله .

ولكن أمير المؤمنين – عليه السلام قال :" إذا حدثتم بحديث فأسندوه إلى الذي حدثكم به ، فإن كان حقاً فلكم ، وإن كان كذباً فعليه " [2] .

وطريق العلم في الشرعيات عند الاثني عشرية العصمة فيا ترى لمن : هي للأقوال التي قد قطع الدليل على صحتها ، كقول الله تعالى ، وقول الرسول – ﷺ – والأئمة الذين يجرون في العصمة مجراه ، فأما من نأى عنهم ، أو وجد بعدهم ، فمن الخبر المتواتر المفضي إلى العلم المزيل للشك والريب ، وعند فقد ظهور الإمام ، وعدم تمييز شخصه ، هو إجماع الفرقة المحقة وهي الإمامية ، والتي قد علمنا أن قول الإمام – وإن كان غير متميز الشخص – داخل في أقوالها وغير خارج عنها ، فإذا أطبقوا على مذهب من المذاهب ، علمنا أنه الحق الواضح ، والحجة القاطعة ؛لأن قول الإمام هو الحجة في جملة أقوالها ، فكأن الإمام قائله ، ومتفرد به [3].

وعليه " يلزم أن يكون الأئمة الذين يقومون مقام نبينا – ﷺ – يشاكلونه في العصمة ، والكمال والقدرة ، ، وأن لا فرق بينه – ﷺ – وبينهم إلا رتبة النبوة ؛ ليكون الدين كاملا " [4] .

وجملة القول في ذلك : أن المعيار في العلم بحسن الأشياء ، وقبحها ، وما يجب فعلها ، وتركها ؛ الشريعة المقدسة ، وما صدر في ذلك عن أهل بيت العصمة – صلوات الله عليهم –[5].

<u>من آثار التقديس في عقيدة العصمة : الاعتقاد بأن ثواب قراءة أسماء الأئمة أكثر ثواباً من قراءة القرآن ، وأن حبهم يساوي ثواب أعمال العباد كلها :</u>

حثنا النبي – ﷺ – على قراءة القرآن لما فيه من الأجر فحاولت الشيعة الاثنا عشرية صرف الناس عن تلاوته ؛ فنقلت عن رسول الله – ﷺ – أنه قال لأمير المؤمنين – عليه السلام – : مثلك مثل " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" [6] ، فإنه من قرأها ثلاث مرات ، فكأنما قرأ القرآن ، وكذلك من أحبك بقلبه ؛

---

(١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٢ صـ ٢٧٢.

(٢) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٥٢.

(٣) ابن إدريس الحلي : السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى ، ط مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط ٢ ، ١٤١٠هـ جـ ١ صـ ٤٨.

(٤) ابن جرير الطبري "الشيعي" : نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة ، ط مؤسسة الإمام المهدي – قم ، ط١ ، ١٤١٠هـ صـ١١.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٠ صـ ٦٣.

(٦) سورة الإخلاص : آية رقم ١.

كان له مثل ثلث ثواب أعمال العباد ، ومن أحبك بقلبه ، ونصرك بلسانه ؛ كان له مثل ثلثي أعمال العباد ، ومن أحبك بقلبه ، ونصرك بلسانه ويده ؛ كان له مثل ثواب أعمال العباد [1].

من آثار التقديس في عقيدة العصمة : الاعتقاد بأن القرآن ليس بحجة إلا بقول الأئمة [2] :

من أصول الشيعة : أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم ، وأن علياً كان قيم القرآن ، وكانت طاعته مفترضة ، فالقرآن في حاجة للإمام ؛ والسبب في ذلك : أن القرآن " يخاصم به المرجئ[3] ، والقدري ، والزنديق الذي لا يؤمن به ، حتى يغلب الرجال بخصومته ؛ فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم "[4] ، حتى تحداهم عليٌ فقال :" فاستنطقوه فلن ينطق ، لكن يخبرنا عنه "[5] .

بل تجرؤا فقالوا :" حكمة التدريج اقتضت بيان جملة من الأحكام ، وكتمان جملة ، ولكن النبي – ﷺ – أودعها عند أوصيائه ، كل وصي يعهد بها إلى الآخر ، لينشرها في الوقت المناسب لها ، حسب الحكمة ، من عام[6] مخصص[7]، أو مطلق[8] مقيد[9] ، أو مجمل[10] مبين[11]، إلى أمثال ذلك ،

---

(١) أبو جعفر البرقي : المحاسن ، تحقيق : السيد جلال الدين الحسيني ، نشر دار الكتب الإسلامية – طهران ، ١٣٧٠هـ / ١٣٣٠ش جـ ١ صـ ١٥٣.

(٢) أليست الشيعة تقول : بأن معظم روايات الكافي ضعيفة ؟ ! وليس لدينا صحيح إلا القرآن ؟ فكيف يدعون بعد هذا أن التفسير الإلهي للقرآن موجود في كتاب معظم رواياته ضعيفة . سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق صـ ٢١ – ٢٢.

(٣) المرجئة : فرقة قالت بتأخير العمل عن النية ، وأنه لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، ويوكلون الحكم في مرتكب الكبيرة إلى الله في الدنيا والآخرة . انظر الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١١٦.

(٤) الكليني : أصول الكافي جـ ١صـ ١٨٨ بتصرف . الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٨ صـ ١٤١ بتصرف .

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١صـ ٦١.

(٦) المجمل : لغة الشامل ، اصطلاحاً : اللفظ الدال على جميع أجزاء ماهية مدلوله ؛ فيجمع أنواع ، أو أجناس ، أو أفراد ، بلا حصر فيحتاج إلى غيره ليخصص نوعاً ، أو جنساً ، أو فرداً . أيمن بن علي موسى : غاية المأمول صـ ٣٦٢– ٣٦٣ بتصرف .

(٧) الخاص : لغة الإفراد ، اصطلاحاً : اللفظ الدال على مسمى واحد ؛ فيقصر حكم العام على بعض أفراده . مثل : الوصية جائزه لكل الأقارب ، ويخصصها : بغير الورثة . أيمن بن علي موسى : غاية المأمول في شرح البداية في الأصول صـ ٣٦٣ بتصرف .

(٨) المطلق : لغة ضد المقيد ، واصطلاحاً : ما كان شائعاً في جنسه ؛ فيدل على فرد غير معين ، مثل : الوصية جائزه في كل الحالات ، ويقيدها غير مضار . أيمن بن علي موسى : غاية المأمول في شرح البداية في الأصول صـ ٣٩٣ بتصرف .

(٩) المقيد : لغة ما يحد الحركة ، واصطلاحاً : ما قيد بوصف ، مثل عتق الرقبة في كفارة الظهار ، قيدت بالمؤمنة . أيمن بن علي موسى : غاية المأمول في شرح البداية في الأصول صـ ٣٩٤ بتصرف .

(١٠) المجمل : لغة المبهم ، اصطلاحاً : ما احتمل أكثر من معنى دون رجحان ؛ فيحتاج في فهم مراده إلى غيره ، إما بتعيينه ، أو بيان صفته ، أو مقداره ، مثل : لفظ القرء هل يعني (الحيض أم الطهر) فيحتاج تفسير معناها للفظ يوضح المراد منه . أيمن بن علي موسى : غاية المأمول في شرح البداية في الأصول صـ ٣٥٧– ٣٥٨ بتصرف .

(١١) المبين : لغة الموضح ، اصطلاحاً : ما دل على المعنى المراد ؛ فاستقل بنفسه في الدلالة على معناه ، مثل لفظ السماء . أيمن بن علي موسى : غاية المأمول في شرح البداية في الأصول صـ ٣٥٩ بتصرف .

فقد يذكر النبي – ﷺ – عاماً ، ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته ، وقد لا يذكره أصلاً ، بل يودعه عند وصيه إلى وقته " [١] .

إذن " القرآن ليس بحجة إلا بناطق ، مؤيد ، يعلم ظاهر القرآن وباطنه ، وباطن باطنه ، ويأتمر ، وينهى بالحق ؛ ولذلك ترى كل واحدة من الفرق المختلفة تتمسك بالقرآن ، وتخاصم به الأخرى ، وتحمله على المقاصد الباطلة ، فعلم من ذلك أن القرآن ليس بحجة مستقلة " [٢] .

عن جعفر الصادق – عليه السلام –:" إن الناس يكفيهم القرآن لو وجدوا له مفسراً ، وإن رسول الله – ﷺ – فسره لرجل واحد ، وهو علي بن أبي طالب "[٣] .

وحذر رسول الله – ﷺ – من طلب التفسير من غير علي – عليه السلام – فقال :" إن الله أنزل عليَّ القرآن ، وهو من خالفه ضل ، ومن يبتغي علمه عند غير عليّ هلك " [٤] ، وفي تفسير قوله تعالى :" لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ " [٥] يعني : " أنه لا يعلم حقايقة ، ودقايق أسراره إلا المُطَهَّرون من الذنوب ، وهم أصحاب العصمة ، أو المُطَهِّرون أسرارهم عما سوى الله[٦].

ومن الراجح : أن هذا القول يرجع لابن سبأ اليهودي حيث قال :" القرآن جزء من تسعة أجزاء ، وعلمه عند علي ؛ فنهاه علي " [٧] ، وفي رواية :" فنفاه عليٌّ بعدما هم به " [٨] .

وجاء عن علي أنه أنكر كل ذلك فقال :" والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن ، إلا فهماً يُعطى رجل في كتابه ، وما في هذه الصحيفة ، قيل له : وما في الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر " [٩] ، وفي رواية :" من زَعَمَ أَنَّ عِنْدَنَا شَيْئًا نَقْرَأُهُ إِلاَّ كِتَابَ اللَّهِ ، وَهَذِهِ الصَّحِيفَةَ – قَالَ وَصَحِيفَةٌ مُعَلَّقَةٌ فِى قِرَابِ سَيْفِهِ – فَقَدْ كَذَبَ" [١٠] .

---

(١) محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة أصولها صـ ٢٣٣.

(٢) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٥ صـ ٣٤٦– ٣٥١ بتصرف.

(٣) الكليني:أصول الكافي جـ ١صـ ٢٥. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٨ صـ ١٣١.

(٤) المجلسي:بحار الأنوار جـ ٧صـ ٣٠٢. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٩ صـ ٢٣.

(٥) سورة الواقعة : آية رقم ٧٩.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٧ صـ ٢٥٦.

(٧) السيد مرتضى العسكري : عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى ، نشر توحيد – قم ، ط٦ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م جـ٢ صـ ٢٣٤ نقلا عن الجوزجاني . الذهبي : ميزان الاعتدال ، نشر دار المعرفة – بيروت ، ط١ ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م جـ ٢ صـ ٤٢٦.

(٨) ابن حجر : لسان الميزان جـ ٣ صـ ٢٨٩.

(٩) المحقق الكركي : جامع المقاصد جـ ١ صـ ١٢.الشافعي : الأم ، نشر دار الفكر – بيروت ، ط ٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م جـ ٦ صـ ٤٠ . ابن البطريق : العمدة صـ ٣١٤.

(١٠) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٢ صـ ٩٩٥ ، جـ ٢ صـ ١١٤٧.

ويفند دعواهم : أن للقرآن ظهراً وبطناً قول أبي عبد الله – عليه السلام – حين سئل : هل روي عنكم أن الخمر ، والميسر ، والأنصاب ، والأزلام رجال ؟ فقال : ما كان الله – عز وجل – ليخاطب خلقه بما لا يعلمون (١) .

ولا خلاف بين الأصوليين من الشيعة على وجوب العمل بالقرآن الكريم في الأحكام الشرعية والاعتماد عليه ، وأما الأخباريون فالذي وقفنا عليه من كلام متأخريهم ما بين إفراط وتفريط ، فمنهم من منع فهم شيء منه مطلقاً ، حتى مثل قوله تعالى :" قل هو الله أحد " (٢) إلا بتفسير من أصحاب العصمة ، وبعضهم: يمنع من تفسير غير المحكم بالرأي ، ويجوزه فيما يكون ظاهر الدلالة (٣) ، ومنهم : من جوز ذلك مطلقاً ، حتى كاد يدعي المشاركة لأهل البيت – عليهم السلام – في تأويل مشكلاته ، وحل مبهماته (٤).

وذهب جمهور الجمهور– يعني أهل السنة – إلى جوازه للمجتهدين ، وأهل الرأي ، ومن ثم ترى تفاسيرهم للقرآن كثيرة (٥).

والتحقيق أن أخبار المنع أكثر عدداً ، وأصرح دلالة على عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا من بعد تفسيرها من الأئمة ؛ فهم الذين ورثوا الكتاب ، وهم الذين عناهم الله في قوله تعالى :" بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ " (٦) ، وهم الذين عندهم علم الكتاب ، وهم الراسخون في العلم الذين اصطفاهم الله لعلم تأويل الكتاب ، وجاء في الأخبار عنهم :" ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن " (٧) .

وقد سئل هشام بن الحكم أحد المناظرين له في حضور أبي عبد الله – عليه السلام – فقال : من الحجة بعد رسول الله – ﷺ – ؟ فقال : الكتاب والسنة ، فقال : فهل نفعنا الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا ؟ قال : نعم ، قال هشام : فلما اختلفنا أنا وأنت ؟ فقال أبو عبد الله –عليه السلام – مالك لا تتكلم ؟ فقال الرجل : إن قلت لم نختلف كذبت ، وإن قلت أن الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت ؛ لأنهما يحتملان الوجوه ، فما الحجة ؟ فقال هشام بن الحكم ، وأشار إلى

(١) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٢ صـ ١٢١. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٤ صـ ٣٠٠.

(٢) سورة الإخلاص : آية رقم ١.

(٣) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٢ صـ ٣٤٦.

(٤) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة جـ ١ صـ ٢٧.

(٥) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٢ صـ ٣٤٦.

(٦) سورة العنكبوت : آية رقم ٤٩ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨٩ صـ ٩١ . الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٢٧ صـ ١٩٢.

أبي عبد الله – عليه السلام – : هذا القاعد الذي تشد إليه الرحال ، ويخبرنا بأخبار السماء ، فقال السائل : أو ما يكفيهم القرآن ، قال – عليه السلام – : بلى لو وجدوا له مفسراً ، قال : أو ما فسره رسول الله – ﷺ – قال : بلى فسره لرجل واحد ، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل ، وإنما أراد الله بتعميته عليهم أن ينتهوا إلى بابه ، وصراطه ، ويعبدوه ، وينتهوا في قوله إلى طاعة القوَّامُ بكتابه ، والناطقين عن أمره ، وأن يستنبطوا ما احتاجوا إليه من ذلك عنهم لا عن أنفسهم [١].

فلا يعلم ما فيه من الأسرار الإلهية الربانية التي لا يهتدي إليها إلا ذوو العقول الكاملة ، والأذهان الثاقبة وهم أهل العصمة ؛ فإن علوم الكتاب بعضها ظاهر سهل المأخذ يعرفه أكثر العلماء بالتدبر والتأمل فيه ، وبعضها خفي لا يصل إليه إلا أولوا الألباب ، وذوو العقول الكاملة العارية عن شوائب النقصان "[٢].

وحديث الثقلين يشير إلى وجوب الرجوع في معاني الكتاب إليهم – صلوات الله عليهم – ، وإلا فإنه لو تم فهم بعض القرآن ، أو كله بدونهم لوجد الافتراق بين القرآن والعترة [٣].

ويقول أمير المؤمنين –عليه السلام –:" القرآن كتاب الله الصامت ، وأنا كتاب الله الناطق "[٤] ؛ ولذلك فالقرآن الكريم ، والسنة النبوية – على حد زعمهم– : "لا يعصمان من الضلالة ؛ فهما صامتان لا يتكلمان ، ويُحْمَلان على عدة وجوه [٥] ، فالأئمة " عندهم كنوز الرحمن ، ولديهم تفسير الأحاديث والقرآن ، وهم شعار الرسالة والنبوة " [٦] وهنا الفاجعة حين يفضل الإمام علي نفسه على القرآن والسنة – على حد زعمهم – وحاشاه أن يفعل ذلك ! .

وهذا رسول الله – ﷺ – يحذر الناس من إعمال العقل في كتاب الله بغير دليل ؛ فيقول : قال تعالى : " ما آمن بي من فسر برأيه كلامي ، وما عرفني من شبهني بخلقي ، وما على ديني من استعمل القياس في ديني " ، وكلام الله يشمل : الحديث القدسي أيضاً ، إلا أن الاختلاف بين

---

(١) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١ صـ ٢٧–٢٩ بتصرف .

(٢) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤١.

(٣) السيد نعمة الله الجزائري : نور البراهين أو أنيس الوحيد في شرح التوحيد ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤١٧هـ جـ ١ شرح صـ ١٨١.

(٤) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة جـ ١ صـ ٣٠.

(٥) محمد التيجاني : الشيعة هم أهل السنة ، ط شمس المشرق – بيروت ، نشر مؤسسة الفجر – لندن ، ط٢ ، ١٤١١هـ صـ ١٢٣.

(٦) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١ صـ ٢١٠.

علماء الإسلام إنما ورد في خصوص القرآن ؛ لما قاله – ﷺ – : من فسر القرآن برأيه ؛ فليتبوأ مقعده من النار[1] ، وفي رواية :" فقد افترى على الله الكذب " [2] ، وفي رواية :" فقد كفر "[3] .

ويقول محمد بن علي – عليهما السلام – :" وبنا فتح الله الإسلام ، وبنا يختمه ، فمنا يتعلمون ، فوا الله الذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ما علم الله في أحد إلا فينا ، وما يدرك ما عند الله إلا بنا " [4] ، كيف لا وقد قال أبو عبد الله – عليه السلام – :" وعلينا نزل كتاب الله " [5] .

فإذا دار الأمر بين التحفظ على قول الإمام ، وما نطق به القرآن ، " فلابد من اتباع الإمام " [6] ؛ لأن الله تعالى فوض للنبي – ﷺ – والأئمة أمر الدين [7] .

ومن الغريب أن تجد رواية أخرى يقول فيها الإمام علي – عليه السلام – :" وكتاب الله بين أظهركم ، ناطق ، لا يَعْيَى لسانه ، وبيت لا تهدم أركانه " [8] ، وعن الإمام الصادق – عليه السلام – عن القرآن :" حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد " [9].

ولهذا لم ينل هذا الكتاب العظيم اهتمام الشيعة الاثني عشرية ؛ فيمكن " لطالب العلوم الدينية في هذا الكيان أن يرتقي في مراتب العلم ، ويصل إلى أقصى غاياته – وهو : درجة الاجتهاد – من دون أن يكون قد تعرف على علوم القرآن ، وأسراره ، أو اهتم به ، ولو على مستوى التلاوة ، وحسن الأداء " [10] .

من آثار التقديس في عقيدة العصمة : بفسير القرآن بما يوافق مذهبهم :

---

(١) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة جـ ٦ صـ ٣٥٥.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٦ صـ ٢٢٧.

(٣) السيد نعمة الله الجزائري : نور البراهين أو أنيس الوحيد في شرح التوحيد جـ ١ شرح صـ ١٨١.

(٤) الشيخ الطبرسي : إعلام الورى بأعلام الهدى جـ ١ صـ ٥٠٨.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٢٤٧. محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٨١.

(٦) الميرزا جواد التبريزي : الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية، ط شريعت،نشر دار الصديقة الشهيدة – قم، ط٢ ، ١٣٨٢هـ صـ ١٨١.

(٧) لنظر هذه العقيدة انظر : الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٢٦٥ . الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٨ صـ ٣٢٣. الشيخ الصدوق : من لا يحضره الفقيه جـ ٤ صـ ٥٤٦ – ٥٤٧ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٣٤٨ – ٣٥٠.

(٨) د إيمان العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية صـ ٣١٥ ، نقلا عن بهج الصباغة للتستري .

(٩) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٥٩.

(١٠) جعفر الباقري : ثوابت ومتغيرات الحوزة العلمية ، نشر دار الصفوة – بيروت ، ١٩٩٤م صـ ١٠٩.

من الغريب أنه حتى القرآن الذي كان ينبغي أن يكون المرجع الجامع لنا ولهم على التقارب والوحدة ، قامت عقيدتهم على تأويل آياته ، وصرف معانيها إلى غير ما فهمه منها الصحابة عن النبي – ﷺ – وأئمة الإسلام من بعدهم [١].

فترى الشيعة الاثني عشرية فسروا القرآن بما يوافق مذهبهم حتى وإن خالف اللغة والعقل ، وهذه الأمثلة : تفسيرهم قوله تعالى :" وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ" [٢]، هي : عقب الحسين [٣] .

وقوله تعالى :" وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ [٤] التَّقْوَى "[٥] ولاية علي [٦] ، وأولاده هم الكوثر [٧][٨] ، و" حبل الله [٩]"[١٠] ولاية علي ، والأئمة من بعده [١١] ، وقوله تعالى :" خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ" [١٢] ، أراد بالزينة [١٣] معرفة الإمام ، وبالمساجد مطلق العبادة [١٤] ، والبيوت في قوله تعالى : " فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ" [١٥] بيوت الأئمة ، والرجال هم الأئمة في قوله تعالى :" رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ" [١٦] ، ومعنى إلهائهم : الجمع بين الذكر والتجارة [١٧].

---

(١) الشيخ محب الدين الخطيب : الخطوط العريضة لدين الشيعة صـ ٣٩. إحسان إلهي ظهير : الشيعة والقرآن صـ ٢٦ باختصار .

(٢) سورة الزخرف : آية رقم ٢٨. والكلمة الباقية هي : كلمة التوحيد . تفسير الجلالين صـ ١٠٠٢.

(٣) الشيخ الصدوق : الإمامة والتبصرة صـ ٤٩ . الشيخ الصدوق : الخصال صـ ٣٠٥. الشيخ الطوسي : الغيبة صـ ١٨٩.

(٤) كلمة التقوى : " لا إله إلا الله " . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٣ صـ ٣٥. الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١١ صـ ١٠٦.

(٥) سورة الفتح : آية رقم ٢٦.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٨ صـ ٣٩٢. الشيخ الماحوزي : كتاب الأربعين صـ ٢٧٩.

(٧) ابن شهر آشوب : مناقب علي بن أبي طالب جـ ٢ صـ ٤١.

(٨) الكوثر : نهر في الجنة . انظر الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ١ صـ ٤٣٨.

(٩) سورة آل عمران : آية رقم ١٠٣.

(١٠) حبل الله تعالى : دينه . انظر الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ١٣٥.

(١١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٦٥ صـ ١٣٥.

(١٢) سورة الأعراف آية رقم ٣١.

(١٣) الزينة : العمامة والرداء لصلاة العيدين ، والجمعة ، وقيل : التمشط للصلاة ، وقيل : ستر العورة . انظر الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٢٠٢. الشهيد الأول : ذكرى الشيعة جـ ١ صـ ١٥٨، جـ ٣ صـ ٥. انظر الشيخ الطوسي : المبسوط جـ ٥ صـ ٢٦٤.

(١٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٦٦ صـ ١٢ بتصرف .

(١٥) سورة النور : آية رقم ٣٦.

(١٦) سورة النور : آية رقم ٣٧.

(١٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٦٦ صـ ١٢ بتصرف .

وقوله تعالى :" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا " [١] ، " المودة في قلوب المؤمنين العصمة " [٢] ، وقوله تعالى :" سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ"[٣] وقوله تعالى:" يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا- يعني ولاية محمد – وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ [٤] بولاية علي "[٥] .

وتأويل المؤمنين والإيمان ، والمسلمين والإسلام ؛ بهم وبولايتهم ، وتأويل الكفار ، والمشركين ، والكفر ، والشرك ، والجبت ، والطاغوت ، واللات، والعزى، والأصنام؛ بأعدائهم ومخالفيهم " [٦] ، وشيعتهم أصحاب اليمين ، وأعدائهم الفجار ، والأشرار ، وأصحاب الشمال " [٧] .

وولايتهم العدل ، والمعروف ، والإحسان ، والقسط ، والميزان ، وترك ولايتهم الكفر ، والفسوق والعصيان ، والفحشاء ، والمنكر، والبغي " [٨].

والأئمة الصلاة، والزكاة، والحج، والصيام، وسائر الطاعات، وأعداؤهم الفواحش ، والمعاصي "[٩].

والأئمة آيات الله ، وبيناته ، وكتابه [١٠] ، والسبع المثاني " [١١] ، والصافون ، والمسبحون ، وصاحب المقام المعلوم ، وحملة عرش الرحمن ، والسفرة الكرام البررة "[١٢] ، وكلمات الله [١٣] ، وحرمات الله "[١٤] ، والمظلومون ، والمستضعفون ، وأهل الأعراف ، والوالدين ، والولد ، والأرحام ، وذوي القربى [١٥] ، والماء المعين ، والبئر المعطلة ، والقصر المشيد ، والسحاب ، والمطر ، والظل ، والفواكه وسائر المنافع بعلمهم وبركاتهم "[١٦] ، وجنب الله ، وروحه ، ويده [١] ، وحزب الله ،

---

(١) سورة مريم : آية رقم ٩٦.

(٢) ابن شهر آشوب : مناقب علي بن أبي طالب جـ ١ ص ٢١٥.

(٣) سورة سبأ : آية رقم ١٨.

(٤) سورة النحل آية رقم ٨٣.

(٥) ابن شهر آشوب : مناقب علي بن أبي طالب جـ ١ ص ٢١٥.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٣ ص ٣٥٤-٣٩٠ ، جـ ٢٤ ص ٣٠٣.

(٧) المصدر السابق جـ ٢٤ ص ١.

(٨) المصدر السابق جـ ٢٤ ص ١٨٧.

(٩) المصدر السابق جـ ٢٤ ص ٢٨٦.

(١٠) المصدر السابق جـ ٢٣ ص ٢٠٦ .

(١١) المصدر السابق جـ ٢٤ ص ١١٤.

(١٢) المصدر السابق جـ ٢٤ ص ٨٧ .

(١٣) المصدر السابق جـ ٢٤ ص ١٧٣ .

(١٤) المصدر السابق جـ ٢٤ ص ١٨٥ .

(١٥) المصدر السابق جـ ٢٤ ص ٢٥٧ .

(١٦) المصدر السابق جـ ٢٤ ص ١٠٠.

وبقيته ، وكعبته ، وقبلته " [٢] ، والبحر ، واللؤلؤ ، والمرجان " [٣] ، والنحل [٤] ، والأيام ، والشهور [٥] .

وأقول : هل اشمأز قلبك ؟ صدقت فقد قال أبو عبد الله – عليه السلام – :" إن حديثنا تشمئز منه القلوب ، فمن عرف فزيدوهم ، ومن أنكر فذروهم " [٦] وأنا مضطر لطاعة أبي عبد الله – وإن كنت أطلت لأسأل : ما بقي في القرآن لتفسره الشيعة الاثنا عشرية بأئمتهم ؟ ! .

من آثار التقديس في عقيدة العصمة : إنكار القراءات :

يقول بعض الشيعة الاثني عشرية : أن القراءات السبع أو العشر لم تمس كرامة القرآن رأساً ، ولم يعتن المسلمون بها وبقرائها ، فترى أن القراء تلاعبوا بالقرآن كما شاءوا ، ولكن لم يمس كرامة القرآن هذا التلاعب الفضيح ، وهذا الدس القبيح ، وهو أدل دليل على عدم الأساس لتواتر القراءات – إن كان المراد تواترها عن النبي – ﷺ –مؤيداً بحديث وضعه بعض أهل الضلال والجهل ، وقد كذبه أولياء العصمة حين سئل أبو عبد الله – عليه السلام – : إن الناس يقولون : إن القرآن نزل على سبعة أحرف ؟ فقال : " كذبوا أعداء الله ، ولكنه نزل على حروف واحد ، من عند واحد " [٧] ؛ لأن كلاً من القراء – على ما حكي عنهم – استبد برأيه ، بترجيحات أدبية ، وكلما دخلت أمة لعنت أختها ، وظني أن سوق القراءة لما كان رائجاً ، حاول كل قارئ منهم ترويج مطامعه ، والله تعالى بريء من المشركين ورسوله – ﷺ – [٨].

فالمتواتر هو القرآن الكريم الموجود بين أيدي المسلمين وغيرهم ، وأما غيره من القراءات ، والدعوى ؛ فخرافات فوق خرافات ، ظلمات بعضها فوق بعض ؛ لأنا لو عملنا بهذه القراءات لحدث التعارض الظاهر بين آيات القرآن [٩] .

---

(١) المصدر السابق جـ ٢٤ صـ ١٩١.

(٢) المصدر السابق جـ ٢٤ صـ ٢١١.

(٣) المصدر السابق جـ ٢٤ صـ ٩٧.

(٤) المصدر السابق جـ ٢٤ صـ ١١٠ .

(٥) المصدر السابق جـ ٢٤ صـ ٢٣٨ .

(٦) المصدر السابق جـ ٢ صـ ١٢٩.

(٧) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٩ صـ ٢٩٤. الشيخ المفيد : المسائل السرورية هامش صـ ٨١.

(٨) الإمام الخميني : كتاب الطهارة ، ط مهر – قم ، دت جـ ١ صـ ١٤٢-١٤٣ بتصرف.

(٩) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣١ صـ ٢٠٩.

ثم يجد من يرد عليهم فيقول : " أخي العزيز ! إن العلم بظهر الكتاب ، وبطنه لا يحصل بالاكتساب ، وإنما هو موهبة جليلة ، لا يليق بها إلا من اجتمعت فيه الفضائل الكريمة ، منها العصمة والطهارة ، يؤتيها الله من يشاء ، حسب مراتب استعداده ؛ ولذا اختلف نصيب الأنبياء في العلم والكمال ، فمنهم من أوتي حرفاً واحداً ، ومنهم من أوتي حرفين ، أو ثلاثة ، أو أزيد ، ولم يؤت الجميع أحد من الأنبياء وأوصيائهم – عليهم السلام – إلا نبينا – ﷺ – وأوصيائه – صلى الله عليهم أجمعين – [1].

والسؤال : أيهم أعظم جرماً : من قرأ الكلمة بمعان متقاربة ؟ أمَّن فسرها بمعنى لم يؤيده عقل ، ولا نقل ، ولا لغة ؟ أمَّن زاد في القرآن المتواتر ألفاظاً من بنيات أفكاره ؟ .

من آثار التقديس في عقيدة العصمة : اختلاف الشيعة في وقوع التحريف في القرآن الكريم :

من الغريب أنه حتى القرآن الذي كان ينبغي أن يكون المرجع الجامع لنا ولهم على التقارب والوحدة ، قامت عقيدتهم على تأويل آياته ، وصرف معانيها إلى غير ما فهمه منها الصحابة عن النبي – ﷺ – وأئمة الإسلام من بعدهم [2].

فالشيعة يعتقدون أن نزول القرآن لشيئين لا ثالث لهما : " أحدهما : الثناء على علي بن أبي طالب ، ومدحه وإعلاء شأنه وذريته . والثاني : ثلب أصحاب رسول الله – ﷺ – وذكر معايبهم ؛ ولهذا قالوا : إنه ضاع من القرآن ثلثاه ، أو ربعه ، أو ثلاثة أرباعه" [3].

وهم في طريقهم للقول بالتحريف يعترفون بوقوع :" الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد – أي في رواياتهم – حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده ، ولا يسلم الحديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه ، حتى عد مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا ، وتطرقوا من ذلك إلى إبطال معتقدنا " [4].

ولما تعرض الشيعة للانتقاد لعدم وجود أسماء الأئمة كان تقديسهم للأئمة أعظم من تقديسهم للقرآن فلم يتورعوا أن ينسبوا للقرآن التحريف بدلاً من نسبة النقص إلى مذهبهم ! .

---

(١) الشيخ أحمد الرحماني الهمداني : الإمام علي بن أبي طالب – عليه السلام – صـ ٢٦١.

(٢) الشيخ محب الدين الخطيب : الخطوط العريضة لدين الشيعة صـ ٣٩. إحسان إلهي ظهير : الشيعة والقرآن صـ ٢٦ باختصار .

(٣) عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية صـ ٨ .

(٤) الطوسي : تهذيب الأحكام جـ ١صـ ٢. ابن طاووس : اليقين صـ ١٧. محمد أمين الإسترآبادي ، نور الدين العاملي : الفوائد المدنية والشواهد المكية ، تحقيق : رحمة الله الأراكي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١، ١٤٢٤هـ صـ ٩٤.

وانقسم الشيعة إلى قسمين من حيث الاعتقاد بحفظ كتاب الله من التحريف والتغيير والتبديل : فمنهم من يعتقد بتحريف القرآن [١] كشيخهم المفيد الذي يقول : واتفقوا على أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن ، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي – صلى الله عليه وآله – [٢] ، ويصرح المفيد فيقول :" سيأتي أخبار مستفيضة ؛ بأنه سقط من القرآن الكريم آيات كثيرة " [٣] ، ومنهم من يرد عليه فيقول: " ظاهر كلام الشيخ في مسألة التحريف لا يخلو عن تهافت ، يعرف بالرجوع إلى القول ، فإنه وإن أكد رأيه المذكور هيهنا في تأليف القرآن ، لكنه تردد بل مال إلى عدم التحريف ؛ بمعنى الزيادة والنقصان [٤] .

والسبب في القول بالتحريف أنهم يعتقدون أن معظم القرآن نزل في أهل البيت ، وأعدائهم ، ولما لم يجدوا ذلك ؛ تأولوا الآيات حتى يؤيدوا مذهبهم ، لكن الناس قالوا كيف يكون الأمر بهذه الأهمية ، ثم لا يصرح به في القرآن ؛ فلم يجدوا طريقة أسهل من القول بالتحريف [٥]؛ فلا خير في دين لم يستند لهذا البيت ، الذي قرنه رسول الله – ﷺ – مع كتابه المجيد ، وجعلهما سبب الهداية للبشر ، ما إن تمسكوا بهما ، ولن ينفك بعضهما عن بعض [٦].

ويستدلون على التحريف بروايات منها : أن أبا جعفر – عليه السلام – سئل عن قول الله :" وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ " [٧] فكيف يؤمن موسى بعيسى وينصره ولم يدركه ، وكيف يؤمن عيسى بمحمد – صلى الله عليه وآله – وينصره ، ولم يدركه ؟ فقال :" إن القرآن قد طرح منه آي كثيرة ، ولم يزد فيه إلا حروف أخطأت بها الكتبة ، وتوهمها الرجال ، وهذا وهم " [٨] .

وعن أبي عبد الله – عليه السلام – : " إن القرآن الذي جاء به جبرائيل – عليه السلام – إلى محمد – ﷺ – سبعة عشر ألف آية " [٩] ، وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" نزل القرآن أربعة أرباع ،

---

(١) مثل ما قرره الشريف المرتضى : الآيات الناسخة والمنسوخة من رواية أبي عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني ، تحقيق : علي جهاد الحساني ، نشر مؤسسة البلاغ – بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ صـ ٤٩ – ٥٠ .

(٢) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٤٦.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٥ صـ ٢٣٥.

(٤) انظر تعليق الشيخ : إبراهيم الأنصاري على قول الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٢٩٣ بتصرف .

(٥) د محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون جـ ٢ صـ ٢٨ .

(٦) إحسان إلهي ظهير : الشيعة والقرآن صـ ٣٥بتصرف ، نقلا عن كتاب الشيعة والسنة في الميزان.

(٧) سورة آل عمران : آية رقم ٨١.

(٨) الميرزا محمد المشهدي : تفسير كنز الدقائق جـ ٢ صـ ١٤٠ .

(٩) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٦٣٤.

ربع فينا ، وربع في عدونا ، وربع سنن وأمثال ، وربع فرائض وأحكام " [1] ، وعن أمير المؤمنين :" نزل القرآن أثلاثا : ثلث فينا وفي عدونا ، وثلث سنن وأمثال ، وثلث فرائض وأحكام "[2].

لكن يقول بعض الاثني عشرية : أن هذا العدد الكبير إنما هو وحي ، ليس بقرآن ، لو جمع مع القرآن ؛ لوصل لهذا العدد [3] .

ولكن يرد عليه الآخر مستدلا بقول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – مرفوعاً[4] :" القرآن ألف ألف وسبعة وعشرون ألف حرف " [5] ؛ بينما القرآن الذي بين أيدينا لا يبلغ ثلث هذا المقدار ، وعليه فقد سقط من القرآن أكثر من ثلثيه أو نقص قريب من ثلثيه " [6] .

ويقول أحدهم :" ولا يخفى أن هذا الخبر ، وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره ، وعندي أن هذه الأخبار في هذا الباب متواترة معنى ، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد على الأخبار رأساً " [7] ؛ وما هذا إلا لبيان بالغ الاحترام ، والتقدير ، والإحسان ، والتقديس لمن يقول بتحريف كتاب الله – ﷻ – [8] .

وقد قرأ رجل على أبي عبد الله – عليه السلام– حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس ، فقال أبو عبد الله – عليه السلام – : كُفَّ عن هذه القراءة ، اقرأ كما يقرأ الناس ، حتى يقوم القائم فإذا قام القائم – عليه السلام – ، قرأ كتاب الله – عز وجل – على حد ، وأخرج المصحف الذي كتبه علي – عليه السلام– يوم خرج إلى الناس حين فرغ منه وكتبه ، فقال لهم : هذا كتاب الله

---

(١) المصدر السابق جـ ٢ صـ ٦٢٧ .

(٢) المصدر السابق جـ٢ صـ ٦٢٨ بتصرف .

(٣) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية صـ ٨٥.

(٤) الحديث المرفوع عند أهل السنة : ما يضيفه الراوي للنبي – صلى الله عليه وسلم – ويقابله الموقوف ، وهو : ما روي عن الصحابي ، لم يضيفه للنبي ، أما عند الشيعة : فله إطلاقان ؛ الأول : ما سقط من وسط إسناده أو آخره واحداً أو أكثر مع التصريح بلفظ الرفع ، والثاني : ما أضيف إلى المعصوم من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، ويقابله الموقوف : ما يروى عن صاحب للمعصوم سواء كان نبياً أو إماماً مع الوقوف عليه ، وقيل : يمكن أن يقف على غير مصاحب للمعصوم ، وقد يطلق عليه الأثر إن كان صحابيا لنبي . الشهيد الأول : ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة جـ ١ صـ ٤٨. د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية عرض ونقد صـ ٢٠٥ بتصرف .

(٥) السيد الخوئي : البيان في تفسير القرآن صـ ٢٠٣. السيد مير محمدي زرندي : بحوث في تاريخ القرآن وعلومه صـ ٢٧٩. الشيخ على الكوراني العاملي : ألف سؤال وإشكال ، نشر دار الهدى – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م جـ ١ صـ ٣٨٦.

(٦) السيد مير محمدي زرندي : بحوث في تاريخ القرآن وعلومه ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ صـ ٢٧٩.

(٧) الشيخ العاملي : الانتصار جـ ٣ صـ ٣٠٧.

(٨) د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية صـ ١٨٤ بتصرف .

– عز وجل – كما أنزله الله على محمد – ﷺ – وقد جمعته من اللوحين ، فقالوا : هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه ، فقال : أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا ، أبداً إنما كان على أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه [1] .

يقول القمي[2] في مقدمة تفسيره : " فالقرآن منه ناسخ ، ومنسوخ ، ومنه محكم ، ومنه متشابه ، ومنه عام ، ومنه خاص ، ومنه تقديم وتأخير ، ومنه منقطع ، ومنه معطوف ، ومنه حرف مكان حرف ، ومنه على خلاف ما أنزل الله " [3] .

وعن أبي جعفر – عليه السلام – : " أما كتاب الله فقد حرفوا ، وأما الكعبة فهدموا ، وأما العترة فقتلوا ، وكل ودائع الله فقد تبرءوا " [4] ، ولما جلس أمير المؤمنين – عليه السلام – على سرير الخلافة لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن ، وإخفاء هذا لما فيه من إظهار الشنعة[5] .

<u>الأدلة العقلية والنقلية على تحريف القرآن الكريم عند الشيعة الاثني عشرية :</u>

في مخطوط لكتاب " فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب " [6] ، يقول مؤلفه :" الباب الأول : في ذكر ما يدل أو ما استدلوا به على وقوع التغيير والنقصان في القرآن ؛ الدليل **الأول : مركب من أمور أ**– وقوع التحريف في التوراة ، والإنجيل بطرز حسن لطيف . **ب**– في أن كل ما وقع في الأمم السالفة يقع في هذه الأمة . **ج**– في ذكر موارد شبه فيها بعض هذه الأمة بنظيره في الأمم السابقة ، مدحا أو قدحا . **د**– في أخبار خاصة فيها دلالة على كون القرآن كالتوراة ، والإنجيل في وقوع التغيير فيه . **الثاني** : أن كيفية جمع القرآن مستلزمة عادة لوقوع التغيير ، والتحريف فيه ، وفيه إجمال حال كتاب الوحي . **الثالث** : في إبطال وجود منسوخ التلاوة ، وأن ما ذكروه مثالاً له لابد وأن يكون مما نقص من القرآن . **الرابع** : في أنه كان لأمير المؤمنين – عليه السلام – قرآناً مخصوصاً يخالف الموجود في الترتيب ، وفيه زيادة ليست من الأحاديث القدسية ، ولا من التفسير والتأويل . **الخامس** : أنه كان لعبد الله بن مسعود مصحفاً ،

---

(١) الكليني : أصول الكافي جـ٢ صـ ٦٣٣.

(٢) القمي : علي بن إبراهيم ، من شيوخ الكليني ، ثقة في الحديث ، ثبت ، معتمد ، صحيح المذهب ، سمع فأكثر ، وصنف كتباً ، وله كتاب التفسير . انظر النجاشي : رجال النجاشي صـ١٨٣. إحسان إلهي ظهير : الشيعة والقرآن صـ ٤١.

(٣) القمي : تفسير القمي جـ١ صـ ٥.

(٤) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٤٣٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٣ صـ ١٤١.

(٥) الشيخ نعمة الله الجزائري : الأنوار النعمانية جـ ٢صـ ٣٦٢ .

(٦) حسين النوري الطبرسي : فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب : مخطوط بالمكتبة المركزية – الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ، رقم ٤٥٠٩٣ .

معتبرا فيه ما ليس في القرآن الموجود . **السادس** : أن الموجود غير مشتمل لتمام ما في مصحف أُبي [1] المعتبر عندنا . **السابع** : أن ابن عفان لما جمع القرآن ثانياً ، أسقط بعض الكلمات ، والآيات ، وفيه كيفية جمعه ، وبعض ما أسقط ، واختلاف مصاحفه ، وما أخطأ فيه الكتاب . **الثامن** : في أخبار كثيرة دالة صريحاً على وقوع النقصان ، زيادة على ما رواها المخالفون . **التاسع** : أنه تعالى ذكر أسامي أوصيائه ، وشمائله في كتبه المباركة السالفة ، فلابد أن يذكرها في كتابه المهيمن عليها ، وفيه ما وصل إلينا من ذكرهم – عليهم السلام – في المصاحف الأولى ، مما لم يجمع في كتاب . **العاشر**: إثبات اختلاف القراء في الحروف والكلمات وغيرها ، وإبطال نزوله على غير وجه واحد ، وفيه شرح أحوال القراء ، وإثبات وجود التدليس في أسانيدهم . **الحادي عشر**: في أخبار كثيرة دالة صريحاً على وقوع النقصان في القرآن عموماً . **الثاني عشر** : في أخبار خاصة رتبناها على ترتيب سور القرآن [2] .

ثم بعد هذا الملخص للكتاب بدأ المؤلف يفرد كل دليل بفصل منفرد جمع فيه الروايات الدالة على صحة ما يعتقده في تحريف الكتاب ، وقد أحسن الكاتب الباكستاني : إحسان إلهي ظهير تفصيل هذه الروايات على حسب ما ذكرها المؤلف في كتابه ، ثم أتبعه بفصل كامل مرتب على ترتيب سور القرآن الكريم ، مبيناً فيه الآيات التي وقع فيها التحريف [3].

وما روي عن أبي الحسن – عليه السلام – أنه دفع مصحفاً لأحد الرواة ، وقال له :" لا تنظر فيه ففتحه ، وقرأ فيه " لم يكن الذين كفروا " ، فوجد فيها اسم سبعين رجلاً من قريش ، بأسمائهم ، وأسماء آبائهم "[4].

يا ليته أخبر ببعضهم حتى نعلم من هم هؤلاء الكافرين . واتهموا الصحابة بأنهم غيروا بعض القرآن ، وحرفوا بعضه ، واعتبروا ذلك من موجبات الحكم بكفرهم ، وخروجهم عن الإسلام [5] .

ويقول الشيخ المفيد :" إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد – صلى الله عليه وآله باختلاف القرآن ، وما أحدثه بعض الطاعنين فيه من الحذف والنقصان " [1] ، و نسب ذلك لكبار الصحابة بأنهم :" خالفوا في كثير من تأليف القرآن [2] .

---

(١) أُبَيُّ بنُ كَعْبِ بنِ قَيْسِ بنِ عُبَيْدٍ : سَيِّدُ القُرَّاءِ ، أَبُو مُنْذِرٍ الأَنْصَارِيُّ ، المَدَنِيُّ ، المُقْرِئُ ، البَدْرِيُّ . جَمَعَ القُرْآنَ ، اشترك في جمع القرآن ، ونسخه ، مات ٢١هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١ صـ ٣٨٩ – ٤٠٢ . الزركلي : الأعلام جـ ١ صـ ٨٢.

(٢) رجب البرسي : فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب صـ ١ – ٢ بتصرف .

(٣) انظر إحسان إلهي ظهير : الشيعة والقرآن ، ط دار ابن حزم – القاهرة ، ط١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م صـ ١٢٤– ٣١٨.

(٤) الكليني : أصول الكافي جـ٢ صـ ٦٣١.

(٥) البغدادي : الفرق بين الفرق صـ ٣٢٧ .

ويوجد من كتاب الشيعة من يتبرأ من هذا القول[٣] مع تناقض غيره وادعاءه الإجماع على تحريف القرآن [٤] مع أن غيره يقطع بتأليف القرآن وأنه غير ما أنزل الله – عز وجل – "[٥] ، بل وصل الأمر إلى أن ألف أكثر من مؤلف منهم كتابا أسماه " فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب " ومن هؤلاء الطبرسي [٦] الذي يقول في كتابه :" قال المهدي – عليه السلام – لما انتقل الرسول – صلى الله عليه وآله – من دار الفناء ، وفعل صنما قريش – أبو بكر وعمر – ما فعلا من غصب الخلافة [٧] جمع أمير المؤمنين – عليه السلام – القرآن كله ، ففتحه أبو بكر ، فخرج في أول صفحة فتحها فضايح القوم ، فقال له عمر – فرعون هذه الأمة ونمرودها –: لسنا محتاجين إلى قرآنك ، فانصرف علي وهو يقول : فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمنا قليلاً فبئس ما يشترون ، فجمع أبو بكر ومن معه القرآن [٨] .

وعن أبي جعفر – عليه السلام – : ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب ، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب [٩] ، والأئمة من بعده [١٠] ؛ ولذلك إذا بحث بين علماء الشيعة وأبنائهم في العراق وإيران ، لا تجد من يحفظ القرآن ، ولا حتى من يستطيع أن يقيم حروفه بلسانه ، ولا يعرف وجوه أداءه إلا قليلاً[١١] ، ثم يتطاولون فيقول أحدهم :" أتريدون منا أن نتحد على قرآن يتضمن حكاية عن بقرة ؟ وقصة غرامية كقصة يوسف؟ وهل مثل هذه الحكايات العجائزية تسمى قرآنا؟ " [١٢] .

---

(١) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٥٤ .

(٢) المصدر السابق صـ ١٣ .

(٣) الشيخ الصدوق : الاعتقادات صـ ١٠١ .

(٤) الطبرسي : الاحتجاج صـ ١٤ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٢ صـ ٦٦. مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١١ صـ ٧٦.

(٦) حسين النوري الطبرسي : ولد ١٢٥٤هـ بطبرستان ، توفي بالنجف ١٣٢٠ هـ ، يلقبونه بإمام أئمتهم ، ألف كتاب فصل الخطاب عام ١٢٩٢هـ ، وطبع في إيران . انظر سامح عباس الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الإثنى عشرية صـ ١٧٣ .

(٧) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ هامش صـ ٢٠٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ١ صـ ٧٩.

(٨) الطبرسي : الاحتجاج جـ ١ صـ ٢٢٥–٢٢٨ بتصرف .

(٩) عندما تولى علي – رضي الله عنه – لم نجده خالف الخلفاء الراشدين قبله ؛ فلم يخرج للناس قرآنا غير الذي عندهم ، ولم ينكر على أحد منهم شيئا ... فلو كانوا كفاراً ؛ فلماذا لم يبين ذلك ، والسلطة كانت في يده ؟ فهل هو خائن للأمة ، ولم يبين لهم الأمر ، أم سكت على إخفاء الشرع ؛ وحاشاه من ذلك . انظر سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق صـ ٢٢ – ٢٣ بتصرف.

(١٠) الكليني : أصول الكافي جـ١ صـ ٢٢٨.

(١١) موسى جار الله : الوشيعة في نقد عقائد الشيعة – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ، ١٩٧٧م صـ ١٢٥.

(١٢) إبراهيم الجبهان : تبديد الظلام وتنبيه النيام صـ ١١. نقلاً عن خطبة " عبد الرزاق البصير " بالكويت ، وهو من دعاة الإمامية.

وها هنا سؤالان محرجان للشيعة الاثني عشرية :

الأول : ما دام أبا بكر وعمر قد حرفا هذه الآيات ، فلماذا لم يقم علي بعد أن صار خليفة للمسلمين بتوضيح هذا الأمر؟ أو على الأقل إعادة هذه الآيات في القرآن كما أنزلت ؟ ! لا يجرُئ اللسان أن ينطق قول : أن علياً قد جبن عن ذلك فحاشاه ! .

الثاني : أن بعض هذه الآيات التي حرفت تخبرنا صراحة بأن هذا لن يكون ، فتأملوا قولهم :" فبدل الذين ظلموا آل محمد حقهم قولاً غير الذي قيل لهم ؛ فأنزلنا على الذين ظلموا آل محمد حقهم رجزا من السماء بما كانوا يفسقون " ، فمتى وقع هذا الرجز ، فأين صبرهم على سنن الله في كونه ؟ ولكنهم لا يعلمون أن الرجز هذا نزل فعلاً ، ولن ينزل ثانية ؛ لأنه فعل ماض [١].

ونجيب : أن الإمام علي – رضي الله عنه – بقي خليفة ما يزيد عن أربعة أعوام وستة أشهر ، ولم يخرج القرآن ، ولم يبين مواضع التحريف ، وهو يصلي بالناس إماماً ، لم يقرأ بآية في الصلاة غير التي في المصحف ، فمن نتبع المعصوم أم من يدعون التحريف .

ولكن نقول للجميع اسمعوا لأحد الشيعة وهو يقول :" وبغض النظر عن مناقشة سند هذه الرواية ، فإنها لا تخرج إلا من طريق واحد ، وفي الكافي فقط دون جميع كتب الحديث الشيعية ، فهي إذن من أخبار الآحاد ، كما أنها مخرجة في باب النوادر ، والنادر هو الشاذ [٢] الذي لا عمل عليه ، وقد ورد تصريح الإمام الصادق – عليه السلام – في الكافي نفسه بترك الشاذ الذي ليس بمشهور [٣] ، والأخذ بالمجمع عليه ؛ لأن المجمع عليه لا ريب فيه [٤] .

وهذا يعني أن صاحب الكافي على بينة من شذوذ الرواية ، ولذلك وضعها في باب النادر الشاذ مع كونه لم يصرح بصحة كل ما في الكافي ، وأضف لذلك كون كثير من علماء الطائفة ينفون التحريف عن القرآن ، فيتبين من ذلك أن الاثني عشرية لا تقول بالتحريف ، ونحن لا نسلم أن

---

(١) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق صـ ٤٩ – ٥٠ بتصرف .

(٢) الحديث الشاذ أو النادر عند الشيعة : ما خالف المشهور ، وهو ما روى الثقة إذا خالف المشهور ، فإن كان غير ثقة وله إسناد واحد وخالف الثقات كان منكراً . وقال الشافعي : يروي الثقة حديثاً يخالف ما روى الناس . الشهيد الأول : ذكرى الشيعة جـ ١ صـ ٤٨ – ٤٩. د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية صـ ٢١٨. الحافظ ابن كثير : الباعث الحثيث صـ ٥١ – ٥٢.

(٣) الحديث المشهور عند الشيعة : ما زادت رواته عن ثلاثة في كل طبقة ، أو في بعضها ، ويسمى المستفيض ، وقد يطلق على ما اشتهر العمل به . الشهيد الأول : ذكرى الشيعة جـ ١ صـ ٤٨. د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية صـ ١٦٥.

(٤) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٦٨.

نص الكافي لم يخطئ فيه نُسَّاخُ الكافي ، فكأن الناسخ استقل العدد سبعة آلاف ، فكتب بدلاً منه سبعة عشر ألف آية [1] يا سبحان الله ! .

ويأتي من يكذب هذه الروايات فيقول :" الأدلة تدل على إثبات حجية الكتاب الموجود ، والوثوق به إذ من الممكن أن يكون الساقط غير مخل سقوطه في ظهور الباقي فيما يراد منه [2].

ويقول آخر :" بعض هذه الروايات الدالة على التحريف لها جانب التفسير ، أي : أنها تفسير الآية ؛ غير أن البعض تصور أن ذلك التفسير ، والتطبيق هو جزء من القرآن الكريم ، وقد حذف أو سقط من القرآن الكريم [3] .

ويقول الشيخ الصدوق :" اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد – ﷺ – هو ما بين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشر سورة ، ومن نسب إلينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب " [4] ؛ لأن القرآن العزيز :" لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف ، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبي ، ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق ، أو مغالط ، أو مشتبه ، وكلهم على غير هدى " [5].

بل وقد ينسبون اتهام الشيعة باعتقاد تحريف القرآن إلى أهل السنة فيقول بعضهم : ومن عجائب الدهر أن تظهر شرذمة في عصرنا ، تتهم شيعة أهل البيت بأنهم يقولون بتحريف القرآن ، وأن عندنا قرآناً آخر غير ما في أيدي عامة المسلمين ، فتصدى لهم علماء الشيعة وكتّابهم ، وردوا عليهم كذبهم ، واثبتوا لهم أن الشيعة هم حفظة القرآن ، وأن القائلين بتحريف القرآن هم الذين خالفوا أهل البيت – عليهم السلام – وشيعتهم "[6].

وحول قول الإمام الصادق – عليه السلام – : " كل شيء مردود إلى كتاب الله والسنة ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف "[7] ، يقول آخر :" لعمري إن ما جاء ظاهره يشير إلى وقوع

---

(١) مركز الرسالة : مطارحات في الفكر والعقيدة ، نشر ستارة – قم ، ط١ ، ١٤١٨هـ صـ ١٠٩ – ١١١ بتصرف.

(٢) السيد مير محمدي زرندي : بحوث في تاريخ القرآن وعلومه صـ ٢٨٢.

(٣) الشيخ جعفر السبحاني : العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت ، ترجمة : جعفر الهادي ، ط اعتماد ، نشر مؤسسة الإمام الصادق – قم ، ط١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م صـ ١٧٣.

(٤) الشيخ الصدوق : الاعتقادات صـ ٨٤.

(٥) محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية باب عقيدتنا في القرآن الكريم صـ ٥٩.

(٦) محمد زكريا اللامردي (محامي أهل البيت) : فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب ، ط مؤسسة النجف الأشرف – ألمانيا ، ط١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ، مقدمة الشيخ : علي الكوراني صـ ٧-٨.

(٧) الكليني : الأصول من الكافي جـ ١ صـ ٦٩.

التحريف ، فإنه يؤول ، وإلا فليس له نصيب في البقاء ، وكثير من أمثال هذا يكبوا فيه من لا يمعن النظر ، ويهوى الغرة ، ولا نحسبه إلا بعيداً عن علم الرواية ، أو عرضت له شبهة ، فالطائفة لا تنفي وقوع التحريف لمعنى القرآن ، والآيات الشريفة "[1].

وبعد ذلك بدأ مؤلف كتاب" فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب" يسوق الروايات الواردة عندهم في كتبهم ، ويأتي بردود عليها ليثبت أن القرآن لم يقع فيه تحريف ولا تبديل[2].

ويكذب بعض علماء الشيعة ذلك فيقول :" إن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى ، والأخبار الواردة من طرقنا أو من طرقهم – أي العامة – الظاهرة في نقصه ، أو تحريفه ، ضعيفة شاذة ، وأخبار آحاد ، لا تفيد علماً ، ولا عملاً ، فإما أن تؤل بنحو من الاعتبار ، أو يضرب بها الجدار[3] ، وهذه فرق الشيعة وفي مقدمتهم الإمامية مجمعة على أن ما بين الدفتين هو ذلك الكتاب الذي ريب فيه [4] ، لم يزد فيه ، ولم ينقص ، فكلما ورد خبر شاذ ، أو قول نادر ، تدل على خلافه ، فهو عندنا مطروح لا نعبأ به ، ونرد علم الخبر الوارد فيه إلى أهله [5] ؛ لذلك فهذه الروايات " لا تعارض المعلوم القطعي " [6] من عدم تحريف القرآن .

لأنه متواتر : وإذا ثبت تواتره ، فهو مأمون من الاختلال ، مع أنه مضبوط في الكتب ، حتى أنه معدود حرفاً حرفاً ، وحركةً حركةً ، وكذا الكتابة وغيرها مما يفيد الظن الغالب ، بل العلم بعدم الزيادة على ذلك والنقص "[7] .

ويريح الجميع من يقول :" والحق أنه لا أثر لهذا الاختلاف ؛ إذ الظاهر تحقق الإجماع على وجوب العمل بما في أيدينا ، سواء كان مغيراً ، أو لا ، وفي بعض الأخبار تصريح بوجوب العمل به ، إلى ظهور القائم من آل محمد – ﷺ – [8] .

---

(١) محمد زكريا اللامردي : فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب ، مقدمة الشيخ : حمزة حسن الحواج صـ ١١.

(٢) المصدر السابق صـ ٩٣ – ١٠٩ .

(٣) حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها صـ ٢٢٠ بتصرف . العاملي : الانتصار جـ ٣ صـ ٣٢٠. الطبرسي : الاحتجاج جـ ١ هامش صـ ٣٧٨ بتصرف .

(٤) الشيخ الأميني : الغدير جـ ٣ صـ ١٠١ . محمد جواد مغنية : الشيعة في الميزان صـ ٥٨.

(٥) تعليق : الميرزا أبو الحسن الشعراني . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٣هامش صـ ١٠٧بتصرف .

(٦) المصدر السابق جـ ١٩ هامش صـ ٢٨٤ بتصرف.

(٧) المحقق الأردبيلي : مجمع الفائدة جـ ٢ شرح صـ ٢١٨ .

(٨) الفاضل التوني : الوافية في أصول الفقه ، تحقيق : محمد حسين الرضوي الكشميري ، ط مؤسسة إسماعيليان ، نشر مؤسسة مجمع الفكر الإسلامي – قم ، ط١ ، ١٤١٢هـ صـ ١٤٨ .

فالكلام في زيادته ونقصانه ؛ فمما لا يليق به ؛ لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها. وأما النقصان منه فالظاهر أيضا من مذاهب المسلمين خلافه ، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا ، وهو الذي نصره الشريف المرتضى – رضي الله عنه – وغيره [١] ، وهو الظاهر من الروايات ، غير أنه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن ، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع طريقها الآحاد ولا يستوجب علماً ، فالأولى الإعراض عنها ، وترك التشاغل بها، لأنه لا يمكنه تأويلها ، ولو صحت لما كان ذلك طعناً على ما هو موجود بين الدّفتين ، فإن ذلك معلوم صحته لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه ، وروايتنا متناصرة على قراءته ، والتمسك بما فيه ، وردّ ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه ، وعرضها عليه ، فما وافقه عوّل عليه ، وما خالفه يجتنب ولم يلتفت إليه [٢] .

ولذلك :" أجمع المسلمون من الشيعة والسنة عملاً على أن ما بين دفتي المصحف هو تمام القرآن الشريف ، كما يشهد بذلك المصاحف المنتشرة في جميع بلاد الإسلام ، والمتداولة بين المسلمين قاطبة " [٣]، وفوق ذلك أن الإمام علي – رضي الله عنه – احتج بالقرآن على أهل الجمل ، ودعا إليه في التحكيم على أهل صفين ، فلو كان في القرآن ما ليس منه ، أو أنه لم يشتمل على كل القرآن لما صح به الاحتجاج ، ولا قبوله في التحكيم [٤] .

ومما يبين كذب الروافض في ذلك أن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – الذي هو عند بعضهم إله خالق ، وعند بعضهم نبي ناطق ، وعند سائرهم أمام معصوم مفروضة طاعته ، وُلِيَ الأمرَ ، وملك ، فبقي خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفةً مطاعاً ظاهر الأمر ، ساكناً بالكوفة ، مالكاً للدنيا حاشى الشام ، ومصر إلى الفرات ، والقرآن يقرأ في المساجد في كل مكان ، وهو يؤم الناس به ، والمصاحف معه وبين يديه ، فلو رأى فيه تبديلاً – كما تقول الرافضة – وكان يقرهم

---

(١) ممن رد روايات التحريف : أبو جعفر ابن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ) ، السيد المرتضى علي الموسوي (ت ٤٣٦ هـ)، شيخ الطائفة الطوسي (ت ٤٦١ هـ)، أبو علي الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، السيد ابن طاوس (ت ٦٤٤ هـ) ، ملا محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ) ، محمد بهاء الدين العاملي البهائي (ت ١٠٣٠ هـ) ، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ) ، المحقق زين الدين البياضي ، القاضي سيد نور الله التستري ، ضافة إلى عدد من علماء الشيعة ومراجعهم المعاصرين كالسيد كاشف الغطاء، ومحمد جواد البلاغي، ومهدي الطباطبائي، والسيد محسن الأمين العاملي، ومحمد مهدي الشيرازي، وشهاب الدين النجفي مرعشي، والسيد عبد الحسين شرف الدين العاملي، والسيد محمد رضا الكلبايكاني، والسيد آية الله الخميني، وغيرهم كثير . انظر محمد حبش : : القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية صـ ٥٧ ، نقلاً عن رسول جعفريان : أكذوبة تحريف القرآن .

(٢) الشيخ الطوسي : تفسير الصافي جـ ١ صـ ٥٥.

(٣) محمد سعيد الطباطبائي : في رحاب العقيدة ، نشر مؤسسة المرشد – بيروت ، ط٢، ١٤٢٤هـ جـ ١ صـ ١٨٤ – ١٨٥.

(٤) د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد صـ ١٥٠.

على ذلك ، ثم إلى ابنه الحسن هو عندهم كأبيه ، فجرى على ذلك ، فكيف يسوغ لهؤلاء النوكي – الحمقى – أن يقولوا أن في المصحف حرفاً زائداً ، أو ناقصاً ، أو مبدلاً مع هذا ، ولقد كان جهاد مَنْ حَرَّفَ القرآن ، وبدل الإسلام أوكد عليه من قتال أهل الشام ، الذين إنما خالفوه في رأي يسير رأوه ، ورأي خلافه فقط [1] .

وقد تعقب النقاد من الشيعة روايات تحريف القرآن الواردة في كتاب الكافي للكليني ، فإذا هي نحو ثلاث مائة رواية وردت من طريق أربعة رواه[2] ، وهؤلاء الأربعة مطعون في عدالتهم عند علماء الاصطلاح من الشيعة [3] .

أمثلة من التحريف المزعوم في كتاب الله :

عن أبي عبد الله – عليه السلام – أنه قرأ :" فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ – يا محمد من مكة إلى المدينة – فإنا رادوك إليها ، ومنتقمون منهم بعلي بن أبي طالب [4] ، وقرأ : " بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ – في علي– بَغْيًا" [5] ، وقولهم :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أوتوا الْكِتَابِ آمنوا بما نزلنا – في علي نُورًا مُبِينًا" [6] ، وقرءوا :" يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ – في علي – وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ " [7] ، وقرأوا: " وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا – آل محمد حقهم – فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ" [8] ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ – كلمات في محمد ، وعلي ، وفاطمة

---

(١) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ٢ صـ ٦٧.

(٢) هم : أبو عبيد الله السياري ، ويونس بن ظبيان ، ومنخل بن جميل الكوفي ، ومحمد بن حسن بن جهور ، قول الغضائري عن السياري: ضعيف متهالك غال منحرف . ويقول النجاشي: ضعيف الحديث، فاسد المذهب. وقال الشيخ النجاشي في يونس بن ظبيان:ضعيف جدا، لا يلتفت إلى كل ما رواه ، بل كل كتبه تخليط . وقال عنه ابن الغضائري: كوفي غال كذاب، وضّاع للحديث . أما منخل بن جميل فقد نقل السيد هاشم الحسيني عن علماء الرجال أنه من الغلاة المنحرفين .وقال العلامة الحلي في محمد بن حسن بن جهور: كان ضعيفا في الحديث، غاليا في المذهب، فاسدا في الرواية، لا يلتفت إلى حديثه، ولا يعتمد على ما يرويه .

وهكذا، فإن تواثب القوم على توهين رواية هؤلاء وتجريحهم والطعن في صدقهم وأمانتهم دليل واضح على تبرؤ مراجع الشيعة من هذه الأوهام، ويبقى ورودها في الكافي مشروطا بصحة الإسناد، وهو لم يتحقق كما رأيت. انظر رجال النجاشي صـ ٨٣٨. محمد حبش : القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ، نشر دار الفكر – دمشق ، ط ١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م صـ ٥٣. هاشم الحسيني : دراسات في الحديث والمحدثين صـ ١٩٨.

(٣) محمد حبش : القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية صـ ٥٣.

(٤) الفيض الكاشاني : التفسير الأصفى جـ ٢ صـ ١١٤ . قال تعالى " فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ " الزخرف : ٤١.

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٤١٧. قال تعالى " بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا " البقرة : ٩٠.

(٦) الكليني : أصول الكافي جـ ١صـ ٤١٧. قال تعالى :" يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ". النساء : ١٧٤.

(٧) القمي : تفسير القمي جـ ١ صـ ١٠. قال تعالى : " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك " . المائدة : ٦٧ .

(٨) القمي : تفسير القمي جـ ١ صـ ١٠. والصحيح قوله تعالى:" وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " . الشعراء : ٢٢٧.

، والحسن ، والحسين ، والأئمة – عليه السلام – من ذريتهم– فَنَسِيَ" هكذا والله نزلت على محمد – صلى الله عليه وآله – " [1] .

قال أبو جعفر – عليه السلام – نزل جبريل بهذه الآية هكذا :" وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا – آل محمد حقهم – عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ " يعني : عذابا في الرجعة [2] ، وقال أيضاً : نزل جبريل بهذه الآية هكذا:" وَقَالَ الظَّالِمُونَ – آل محمد حقهم – إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا " [3]، وقال أيضا : نزل جبريل بهذه الآية هكذا :" لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ – في علي– أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ " [4] ، وقال أيضاً : نزل جبريل بهذه الآية هكذا :" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا – آل محمد حقهم – لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا "[5] ، وقال أيضاً : نزل جبريل بهذه الآية هكذا :" وَقَالَ الظَّالِمُونَ – آل محمد حقهم – غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا – آل محمد – رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ"[6].

وعن أبي الحسن الأول – عليه السلام – أنه قرأ :" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ – فيقضوا ما عليهم من الحق – أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " [7] .

من آثار التقديس في عقيدة العصمة : اعتقاد وجوب مخالفة العامة (أهل السنة) :

من العقائد المقررة عن أهل العصمة : " عرض الأخبار عند اختلافها على مذهب العامة ، والأخذ بخلافها "[8] ؛ لأن " الخروج عن قواعدهم التي قرروها ، وضوابطهم التي ذكروها ، بمجرد التشهي ، رد عليهم في ما ذكروه " [9] ، والراد عليهم كافر كما أسلفنا .

ويغير بعضهم اتجاه التقليد فيقول :" من القواعد المقررة عن أهل العصمة : عرض الأخبار في مقام الاختلاف على الكتاب العزيز ، والأخذ بما وافقه ، وما خالفه يضرب به عرض الحائط " [10] ، ويجمع آخر بين الرأيين ؛ فيقول :" ومقتضى القواعد المقررة عن أصحاب العصمة : أنه مع

---

(١) الكليني : أصول الكافي جـ١ صـ١٦. و جـ١ صـ ٢٢٨. قال تعالى :"ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي " سورة طه : ١١٥.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١١٧، جـ ٨٩ صـ ٦٤. قال تعالى :" فإن للظالمين عذابا دون ذلك " . الطور: ٤٧.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨٩ صـ ٦٤ . قال تعالى :" وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا " الفرقان : ٨.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨٩ صـ ٦٤ . قال تعالى :" لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ". النساء : ١٦٦.

(٥) المجلسي: بحار الأنوار جـ ٨٩ صـ ٦٤. قال تعالى :" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ " . النساء : ١٦٨.

(٦) المجلسي: بحار الأنوار جـ ٨٩ صـ ٦٤. قال تعالى :" فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ " . البقرة : ٥٩.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨٩ صـ ٦٥. قال تعالى :" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " . محمد : ٢٤.

(٨) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة جـ ٣صـ ٥٨. والمصدر نفسه جـ ٧ صـ ٧٧.

(٩) المصدر السابق جـ ٨ صـ ١٤٩.

(١٠) المصدر السابق جـ ٩ صـ ٣٧٣ – ٣٧٤.

اختلاف الأخبار ، يجب عرضها على القرآن ، والأخذ بما وافقه ، ورمي ما خالفه ، وكذا ورد أيضا العرض على مذهب العامة ، والأخذ بما خالفه ، وطرح ما وافقه ، ولا ريب بمقتضى ما قدمناه من الآيات ، والروايات ، والتحقيق في المقام أن ما تضمنته هذه الأخبار المرسلة مخالف للقرآن ، ومطابق للعامة ، وحينئذ فبمقتضى هاتين القاعدتين : يجب طرح ما خالف روايات أهل البيت [1] .

والسبب في ذلك " أن كل ما خالف العامة من الأخبار الخارجة عنهم – عليهم السلام – فهو موافق للقرآن العزيز ، وإن لم يهتدوا إلى وجه الموافقة ، ولا يجوز أن يكون مخالفاً له ؛ وذلك لأن الأحكام الواقعية الخارجة – لا على جهة التقية – لا يجوز مخالفتها للقرآن ؛ ولأن ما عليه العامة فهو مخالف للحنيفية ؛ لما استفاض من أخبار من أنهم ليسوا من الحنيفية على شيء ، وأنهم لم يبق في أيديهم إلا استقبال القبلة ، وأنهم ليسوا إلا مثل الجدر المنصوبة [2] ؛ وكذلك لدخولهم في تسمية النواصب [3] أعداء أهل البيت–عليهم السلام– والتي جاءت في حقهم روايات تفيد إن عباداتهم باطلة ؛ وذلك للقطع بكفرهم على وجه لا يقبل الإنكار ؛ ولذلك فإنه إذا اهتدى للتشيع لا يعيد عبادته فضلاً من الله عليه ، لا لأنها صحيحة في ذاتها ، بل لفضل الله عليه بالهداية ، كما تفضل على الكافر المشرك بعد دخوله في الإيمان بعدم وجوب إعادة شيء من عباداته ؛ لما ورد عن أبي عبد الله – عليه السلام – سئل : أيحج الرجل عن النُصَّاب قال : لا "[4] .

من آثار التقديس في عقيدة العصمة : تعطيل العمل بالشريعة :

يعتقد الشيعة الاثنا عشرية :" أن الأحكام الشرعية الإلهية لا تستقى إلا من نمير ماء الأئمة ، ولا يصح أخذها إلا منهم ، ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع إلى غيرهم ، ولا يطمئن بينه وبين الله إلى أنه قد أدى ما عليه من التكاليف المفروضة إلا من طريقهم " [5] .

فماذا يفعل الناس اليوم ، وقد غاب الإمام عنا في غيبته الكبرى ، وليس لهم طريق لمعرفة تفسير القرآن الكريم – الذي اختلفوا في العمل به – من هذا الإمام .

---

(١) المصدر السابق جـ ١٢ص ٤٠٨.

(٢) المصدر السابق جـ ٣ص ٥٨-٥٩ بتصرف.

(٣) النواصب : من طوائف أهل البدع التي أصيبت في معتقدها بعدم التوفيق للاعتقاد السديد في الصحابة ، فقد زين لهم الشيطان التدين ببغض علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – كما تعدى بغضهم إلى أهل البيت . د علي الصلابي : الحسن بن علي ص ١٥٧.

(٤) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة جـ ١٤ ص ٢٤٣.

(٥) محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية ص ١٠٦-١٠٧.

ومن خلال الروايات المستقاة من آل البيت فإن على الشيعي الذي لا يعرف حكم شيء أن يتوقف فيه حتى يعرضه على إمام زمانه ؛ فقد روي عن الصادق – عليه السلام – حين لا يعرف الشيعي حكماً من الأحكام ؛ فأمره فقال :" أرجه حتى تلقى إمامك ؛ فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات " [1] .

وها هو أحد العلماء يتوقف عن إصدار الحكم في مسألة ، حتى يعرضها على قائم أهل البيت المهدي المنتظر، فيقول : " وعندي في كلا الحكمين توقف ؛ لعدم الظفر بشيء من النصوص من أهل العصمة فيها ، وقد أرجيت حكمها إلى العالم من أهل بيت محمد – عجل الله فرجه – ورددتها إلى الله ورسوله ، وإليه صلوات الله ، وسلامه عليه " [2] ، واتبع في ذلك كثير من الأخباريين القائلين بعدم جواز العمل بالقرآن ، إلا ما ورد تفسيره عن أهل العصمة [3].

فينتج عن ذلك تعطيل الشريعة ، لغياب الإمام المعصوم ، وعدم وجوده بين الناس ، حتى يُرجع إليه ليكون المرجع الوحيد لفهم الكتاب ، والسنة ، واستنباط الأحكام "[4].

ثم أوقفوا العمل بظاهر القرآن ؛ لأن :" في الكتاب الآيات المتشابهات ، والمجملات ، وأوامر خفيات ، خبط المفسرون فيها ، فإتباع بعضهم لا ترجيح فيه ، والكل غير ممكن لتضاد القول وتنافيه ؛ فلابد من معصوم يتعين الرجوع إليه ، والتعويل في ذلك عليه " [5] . وما دام الإمام المفسر غائباً فمن يفسر لنا القرآن غيره ، فلنتوقف حتى يخرج من سردابه .

والحدود أيضاً لا تقام ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" دمين في الإسلام لا يقضي فيها أحد بحكم الله ، حتى يقوم قائمنا : الزاني المحصن يرجمه ، ومانع الزكاة فيضرب عنقه " [6] .

والجهاد معطل أيضاً ؛ لغياب صاحب الزمان بل :" محرم عندهم إلى أن يخرج إمامهم الثاني عشر ؛ لذا لم يسجل التاريخ – ولن يسجل – جهاداً للشيعة ضد الكفار "[7] ؛ بل حروبهم كلها ضد

---

(١) المصدر السابق جـ ١٠ صـ ٦٧.

(٢) المصدر السابق جـ ٢٤ صـ ٤٧١.

(٣) المصدر السابق جـ ١ صـ ١٦٩بتصرف.

(٤) د أبو الفتوح الأنور : شيعة إيران أصولها وموقف أهل السنة منها صـ ١٣٠.

(٥) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ١ صـ ١١٣.

(٦) الفتال النيسابوري : روضة الواعظين صـ ٣٥٦ .

(٧) عبد الله الموصلي : حقيقة الشيعة حتى لا ننخدع – ، ط دار الإيمان – الإسكندرية ، الطبعة الثانية ، د ت صـ ١٧٠.

أهل السنة في العراق ، وغيرها ؛ قال أبو عبد الله – عليه السلام – :" القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام ، مثل الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير " [1].

فالسبب في توقف الجهاد عندهم كما قال أحدهم :" لم يجز على مذهبنا المقاتلة مع الكفار إلا بإذن الإمام ، وولي المقاتلة هو صاحب الزمان المهدي المنتظر – عليه السلام – "[2] .

حتى الفقهاء " في عصر غيبة ولي الأمر، وسلطان العصر، يقوم نوابه – وهم الفقهاء الجامعون لشرائط الفتوى والقضاء – مقامه في إجراء السياسات ، وسائر ما للإمام ، إلا البداءة بالجهاد [3].

حتى مع غيرهم من المسلمين فمن وصايا الإمام علي – عليه السلام – :" لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يحبس حقوقنا ، والإشاطة[4] بدمائنا ، وميتته ميتة جاهلية [5].

ثم هناك يقين عند الشيعة الاثني عشرية بدخول الجنة ، والبراءة من النار ؛ لأنهم حازوا شيئاً ما لم يحزه غيره ، ألا وهو : حب علي ، فلماذا العمل بالشريعة إذا كان حب علي حسنة لا يضر معها سيئة ، وهو الخلاص لهم من كل سيئة عملوها ، وهو الذي معه جوازات مرورهم على الصراط ، ونجاتهم من النار ، وتثقيل موازينهم ، فمهما عظم الذنب حتى ولو " زنت المرأة تسعين زنية ، ثم جاءت إلى قبر الحسين ، واستغفرت ؛ غفر لها ما تقدم من ذنبها وما تأخر [6].

ولا ينبغي أيضاً أن نتهاون في قدر واحد من الشيعة ، فإن الواحد منهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر[7] ، بل أقلهم من يشفع في ثلاثين إنساناً [8] ، ففي من يشفعون إذاً ، نرجو أن يشفعوا إلى أهل السنة ، ونحن منهم ، إلا إذا كنا لا نستحق هذا الفضل العظيم [9] .

وها هي الفرصة تتاح لكل متحلل من قيود الشريعة في ثلاثة أيام كل عام :" إن الله يأمر الكرام الكاتبين : أن يرفعوا القلم عن محبي أهل البيت ، وشيعتهم ثلاثة أيام ، من يوم الغدير، ولا يكتبون شيئا من خطاياهم [10] ؛ كرامة لعلي ، والأوصياء [1] . فهل يرضى الأئمة بذلك ؟ .

---

(١) الكليني : الفروع من الكافي جـ ٥ صـ ٢٣. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١١ صـ ٣٢.

(٢) كلام عبد الرحيم الشيرازي محقق بحار الأنوار . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨٧ هامش صـ ٧٠.

(٣) الخميني : تحرير الوسيلة جـ ١ صـ ٤٤٣ .

(٤) الإشاطة : عَرضه للقتل. د أحمد مختار : معجم اللغة العربية جـ ٢ صـ ١٢٥٥. نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ٦ صـ ٣٦٠٩.

(٥) محمد الريشهري : العقل والجهل في الكتاب والسنة ، نشر دار الحديث – بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م صـ ٢٧٥.

(٦) إبراهيم السليمان الجبهان : تبديد الظلام وتنبيه النيام صـ ٤٧-٤٨ بتصرف .

(٧) الشيخ الصدوق : الأمالي صـ ٣٨٣ .

(٨) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية صـ ٦٦ .

(٩) إبراهيم السليمان الجبهان : تبديد الظلام وتنبيه النيام صـ ٤٧-٤٨ بتصرف .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣١ صـ ١٢٥ .

أثر التقديس في عقيدة العصمة : اعتقاد بطلان عبادة الفرق المخالفة :

أكثر الروايات المعتبرة المستفيضة عند الشيعة الاثني عشرية كادت تكون متواترة بأنه ليس في المخالف خيرٌ أصلاً ، ولا صلاحٌ بالمرة ، وإن اشتغلوا بالعبادات الموظفة [٢] ، وراعوا الأمور اللازمة ؛ فقد ورد عن أهل العصمة أنهم ليسوا إلا كالجدر المنصوبة [٣] ، وأن عبادتهم بأسرها فاسدة ، وحينئذ فأي خيرية في أعمال قام الدليل على بطلانها ، وكونها في الظاهر بصورة العبادة لا يجدي نفعاً ؛ لأن خيرية الخير ، وشرية الشر إنما هي باعتبار ما يترتب على كل منهما من النفع والضر ، فلا خير بخير بعده النار ، ولا شر بشر بعده الجنة ، هذا مع ما في بعض الروايات المعتبرة من رد شهادة بعض الفرق المخالفة ، وبالجملة : فالقول بقبول شهادة المخالف الذي عرف منه خيرٌ ، أو صلاحٌ في الجملة فاسد بالبديهة "[٤].

ولذلك فالناصب : لا يعيد عبادته التي فعلها قبل استقامته على مذهب أهل الحق من الشيعة ، إلا الزكاة ! فلابد من إعادة دفعها ؛ فيقول : " لا يخفى ملاحظة الأخبار الواردة عن أهل العصمة الدالة على بطلان عبادة المخالفين ، والتفاتهم إلى تكفير من خالف الحق ، فالأمر كذلك ، وهو الحق الظاهر من الأخبار على وجه لا يقبل الإنكار ، فالناصب لا يعيد عبادته ، لا لأنها صحيحة في نفسها ؛ بل هي باطلة في حال ضلاله ، فإذا دخل الإيمان لا يعيدها تفضلاً من الله عليه ، كما تفضل على الكافر المشرك بعد دخوله في الإيمان بعدم وجوب إعادة شيء من عباداته [٥] ، فأهل السنة وغيرهم لا تقبل لهم صلاة ، ولا صيام ، ولا زكاة ، ولا حج ، ولا جهاد ، ولا قيام ، ولا عبادة من العبادات ؛ لأنهم لا يأخذون فقههم من طريق أئمة الشيعة ، بل يأخذونها عن طريق أئمة الاجتهاد ، ويستنبطونها من مصادرها الكتاب ، والسنة "[٦].

---

(١) المصدر السابق جـ ٩٥ صـ ٣٥٣ .

(٢) العبادات الموظفة : التي لها موعد محدد بطريقة معينة كالصلاة والزكاة والحج والصيام وغيرها .

(٣) السيد علي الطباطبائي : رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ١٤٢٠هـ جـ ١١ صـ ٧٥. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٥ صـ ٣٨٨ .

(٤) السيد علي الطباطبائي : رياض المسائل جـ ١١ صـ ٧٥-٧٦ بتصرف . الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٥ صـ ٣٨٨ .

(٥) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة جـ ١٤ صـ ٤٢٣.

(٦) د أحمد محمد التركماني : تعريف بمذهب الشيعة الإمامية ، نشر جمعية عمال المطابع التعاونية – عمان – الأردن ، ط١ ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م صـ ٦٩-٧٠.

بل جاء اللعن لكل المخالفين على لسان أئمة آل البيت – عليهم السلام – حين سئلوا عن حكم الجلوس إلى المخالفين وأخذ الحديث عنهم فقالوا :" ما لكم ولهم ، لعنهم الله ، ولعن مللهم المشركة "[1] ، وزاد الرضا – عليه السلام – :" لا تأتهم ولا تسمع منهم لعنهم الله " [2] .

<u>أثار التقديس في عقيدة العصمة بواقع الشيعة الاثني عشرية في عصرنا الحاضر:</u>

قد يقال : إن اعتقادهم بعصمة الأئمة أمر لا يؤثر اليوم ؛ لأن الأئمة قد انتهى وجودهم الفعلي منذ عام ٢٦٠هـ ، ولم يبق إلا الانتظار للغائب الموعود عندهم ؟ فالجواب : " أن هذه العقيدة لها أثراها اليوم في واقع الشيعة ، ويتمثل ذلك في جوانب كثيرة منها :

أولاً : عملهم بما يؤثر عن الأئمة كما يعمل سائر المسلمين بالقرآن ، والسنة ، مع عدم ثبوت صحة أسانيد هذه الروايات ، ومخالفتها للقرآن والسنة ، الذيَّن هما سبب الوحدة بين المسلمين .

ثانياً : غلوهم في قبور أئمتهم وأضرحتهم ؛ فالغلو في عصمتهم إلى حد وصفهم بصفات الإلوهية ، تحول إلى غلو في قبورهم ومشاهدهم ؛ فيطاف بها ، وتدعى من دون الله سبحانه ، وحلفوا بهم من دون الله ، وتسموا بعبادهم ، فكثيراً ما تجد من سماه أباه عبد الزهراء ، وعبد الحسين ، وعبد الرضا ، وأثر ذلك في ضعف تقديس المسجد الحرام والنبوي والأقصى ، وأثر سلباً في تكفير الصحابة ، وبطلان عبادتنا وعبادتهم ، وبث روح العداء بين أهل السنة وبين الشيعة .

ثالثا : أن المجتهد الشيعي أصبح له شيء من هذه الصفة (العصمة) ؛ فهم يرون أن الرد عليه كالرد على الله ، وهو على حد الشرك بالله ، وهذه من الخطورة بمكان ؛ لأن آيات الشيعة اليوم هم الذين يقودون الحكم في دولة الشيعة ؛ فينفذ الشعب تعاليمهم على أنها من شرع الله ، ولا يعترض عليهم خشية الوقوع في الشرك "[3] .

<u>من آثار التقديس في عقيدة العصمة : الإساءة للنبي – ﷺ – :</u>

روى الشيعة أن النبي – ﷺ – جاءه جبريل – عليه السلام – يطلب منه أن يبلغ وصية الله له بخلافة علي ، ويأخذ على الصحابة العهد والميثاق ، فخشي رسول الله – ﷺ – قومه ، وأهل النفاق والشقاق أن يتفرقوا ، ويرجعوها جاهلية ؛ لما عرف من عداوتهم ، وما يبطنون عليه أنفسهم لعلي من البغضاء ، وسئل جبريل – عليه السلام – أن يسأل ربه له العصمة من الناس ، وانتظر

---

(١) مركز تحقيق مدرسة ولي العصر : الميراث الفقهي " غناء ، موسيقى " ، تحقيق : رضا مختاري ، محسن صادقي ، ط ستارة ، نشر مرصاد ، ط١ ، ١٤١٨هـ / ١٣٧٦ش جـ ١ صـ ١٦٥.

(٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٥صـ ١٩٧. ابن إدريس الحلي : مستطرفات السرائر صـ ٥٦٥. بحار الأنوار جـ ٢ صـ ٢١٦.

(٣) سامح عباس الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية صـ ٤١.

أن يأتيه ، فتأخر ، حتى سأل ذلك ثلاث مرات ، وفي الثلاث يأمره ربه بالبلاغ ، ولا يمنحه العصمة ، وهو يجيب في الثلاث : أخشى أن يكذبني قومي ، فلما بلغ غدير خم ، جاءه جبريل بالزجر ، والانتهار ، والعصمة من الناس ، فقال : يا محمد إن الله يقرؤك السلام ، ويقول لك :" يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ – في علي – وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ " [1] ، فلما نزلت جمع الناس ، وقال : إني أؤدي ما أوحي إليَّ به ؛ خوفاً من أن تحل بي قارعة لا يدفعها عني أحد ، والله قد تضمن لي بالعصمة ، وأوحى إلي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ثم تلا الآية" [2] .

من آثار التقديس في عقيدة العصمة : الإساءة للصحابة بحجة عدم عصمتهم :

قال أبو زُرْعَةَ الرازي[3] – رحمه الله – :" إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول – ﷺ – حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا القرآن والسنن أصحاب رسول الله – ﷺ – وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ؛ ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ؛ وهم زنادقة [4] .

ولكن يجاهر كثير من علماء الاثني عشرية باعتقاد يلخصه المفيد : إن التسليم لمن صحب النبي – ﷺ – بالصحبة ، لا يستلزم عصمتهم من الضلال ، ولا يرفع عنهم جواز الغلط ، والسهو ، والنسيان ، ولا يحيل منهم تعمد العناد ، وقد ظهر هذا فيما صنع شركاؤهم في الصحبة ، والهجرة والسبق إلى الإسلام ، حين رجع الأمر إلى أمير المؤمنين باختيار الجمهور منهم ، والاجتماع ، فنكثوا بيعته ، فلو كانت الصحبة مانعة من الضلال ؛ لمنعت من ذلك ، وقد علمتم عداوتهم لأمير المؤمنين ، وإظهارهم البراءة منه ، والقنوت عليه " [5].

وقد رأينا من جملة السابقين ، ومن جملة المبايعين تحت الشجرة من وقع منهم الخطأ ، ألا ترى أن طلحة والزبير كانا من جملة السابقين ، ومن جملة المبايعين تحت الشجرة ، وقد نكثا بيعة أمير

---

(١) سورة المائدة : آية رقم ٦٧ .

(٢) الفتال النيسابوري : روضة الواعظين صـ ٨٨-٩٠ بتصرف. الطبرسي: الاحتجاج جـ ١ صـ ٧٠-٧٣ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٧ صـ ٢٠٤-٢٠٦ بتصرف.

(٣) أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيُّ : عُبَيْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ الكَرِيْمِ ، مُحَدِّثُ الرَّيِّ ، مَوْلِدُهُ: بَعْدَ نَيِّفٍ وَمائَتَيْنِ ، كان يحفظ مئة ألف حديث ، توفي بالري : ٢٦٤هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢٥ صـ ٦١ – ٨١.الزركلي : الأعلام جـ ٤ صـ ١٩٤.

(٤) ابن عساكر:تاريخ دمشق جـ ٣٨صـ ٣٢. ابن حجر:تهذيب الكمال جـ ١٩صـ ٩٦. عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة صـ ٦.

(٥) الشيخ المفيد : الإفصاح ، تحقيق : مؤسسة البعثة ، نشر دار المفيد – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م صـ ٤٠-٤١ بتصرف.

المؤمنين ، وقاتلاه ، وسفكا دم شيعته ، وتغلبا على أموال المسلمين ، وكذلك فعلت عائشة [1] [2] ، وهذا سعد بن أبي وقاص [3] ، قد تأخر عن بيعة أمير المؤمنين – عليه السلام – [4].

وأما عائشة وهي : امرأة لم تثبت لها العصمة بالاتفاق ، وتوثيقها محل الخلاف بيننا ، وبين المخالفين ، وسيأتي في أخبارنا من ذمها ، والقدح فيها ، وأنها كانت ممن يكذب على رسول الله – ﷺ – ما فيه كفاية للمستبصر ؛ وذلك لبغضها لأمير المؤمنين ، وكانت تحرض عليه أهل الشام ، وكان لها غلام أسود سمته عبد الرحمن ؛ حباً منها في قاتل الإمام علي ، وهذا البغض أشهر من كفر إبليس ، فلا يؤمن عليها التدليس ، وكفى حجة قاطعة عليه : قتالها ، وخروجها عليه ، كما أنه كاف للدلالة على كفرها ، ونفاقها ؛ المانعين من قبول رواياتها مطلقاً [5] .

ورووا أن أبا بكر ، وعمر ، وعائشة ، وحفصة حاولوا أن يسقوا رسول الله – ﷺ – سماً [6] ؛ حتى يتولى الخلافة بعده أبو بكر غصباً ، فجاءه جبريل – عليه السلام – فأخبره ؛ فنزل قوله تعالى :" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ" [7] [8] ، ثم قال تعالى :" ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا " [9] ، والمعنى : والله ما عنى غير الفاحشة [10] ، ولقيمن المهديُّ الحد [11] على فلانة [1] ، فيما أتت في طريق البصرة [2] ؛ وكان

---

(١) عَائِشَةُ بِنْتُ الصِّدِّيْقِ أَبِي بَكْرٍ التَّيْمِيَّةُ : أُمُّ المؤْمِنِيْنَ ، وَأُمُّهَا : أُمُّ رُوْمَانَ بِنْتُ عَامِرٍ ، وَتَزَوَّجَهَا نَبِيُّ اللهِ قَبْلَ مُهَاجَرِهِ بَعْدَ وَفَاةِ الصِّدِّيْقَةِ خَدِيْجَةَ بِبِضْعَةَ عَشَرَ شَهْراً ، وَدَخَلَ بِهَا فِي شَوَّالٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ ، مُنْصَرَفَهُ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَهِيَ ابْنَةُ تِسْعٍ . فَرَوَتْ عَنْهُ : عِلْماً كَثِيْراً، حَبِيْبَةُ رَسُوْلِ اللهِ ، تُوُفِّيَتْ سَبْعٍ وَخَمْسِيْنَ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ١٣٥ – ٢٠١ .

(٢) الشيخ المفيد : مسألتان في النص على علي – عليه السلام – ، تحقيق : محمد رضا الأنصاري ، نشر دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م جـ ٢صـ ٣٢ بتصرف .

(٣) سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ مَالِكِ بنِ أُهَيْبٍ الزُّهْرِيُّ : أَحَدُ العَشَرَةِ ، شَهِدَ بَدْراً ، وَالحُدَيْبِيَةَ ، وَأَحَدُ أَهْلِ الشُّوْرَى ، مِنْ أَخْوَالِ النَّبِيِّ ، وكان ثُلُثُ الإِسْلاَمِ وقتها ، أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيْلِ اللهِ ، وقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم أحد : ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي تُوُفِّيَ وهو ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِيْنَ سَنَةً ، سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِيْنَ . وَقِيْلَ : سَبْعٍ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١ صـ ٩٢ – ١٢٤.

(٤) الشيخ المفيد : مسألتان في النص على علي – عليه السلام – جـ٢ صـ ٣١-٣٢ بتصرف.

(٥) فلان يعني : طلحة بن عبيد الله – رضي الله عنه – حين قال : لئن قبض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأنكحن عائشة ، فنزلت الآية تحرم ذلك . انظر البغوي : تفسير البغوي صـ ١٠٥٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٨ صـ ١٤٩-١٥١ بتصرف.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٢٤٦ بتصرف.

(٧) سورة التحريم : ١. والصحيح أن سبب نزولها : تحريم النبي العسل على نفسه . البغوي : تفسير البغوي صـ ١٣٢٦.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٢٣٨-٢٣٩ بتصرف.

(٩) سورة التحريم : آية رقم ١٠ .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٢٤٠. الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين جـ ٥ صـ ٣٧٥ .

(١١) قال المجلسي : " يعني القائم في الرجعة " . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٢٤١.

فلان [٣] يحبها ، فلما أرادت أن تخرج إلى البصرة ، قال لها فلان : لا يحل لك أن تخرجين من غير محرم ، فزوجت نفسها من فلان [٤] .

ونقف وقفة مع هذا القذف ، الذي يندى له الجبين عرقاً من هذه الجرأة على عرض رسول الله – ﷺ – وكيف يدعون زواجها ، وقد قال تعالى :" وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ، إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا " [٥] ، ولو فعلت فلماذا لم يعاقبها علي والصحابة – رضي الله عنهم – على مخالفتها للقرآن الكريم ، والقرآن واضح الدلالة على حرمة ذلك .

ولا يتورع الشيعة المعاصرون في إطلاق الكفر والنفاق على الصديقة بنت الصديق ، أو الصوامة القوامة ؛ فيصرحون بكفرهما وخبثهما [٦] ، نعوذ بالله من قولهم .

ويسيئون لعلي – عليه السلام – والنبي – ﷺ – وعرضهما فيروون : أن علياً دخل على النبي – ﷺ – وعنده أبو بكر ، وعمر ، وعائشة ، فجلس ، ووضع فخذه على فخذ عائشة [٧] ، وفي رواية : أنه جلس في حجرها فقدعته [٨] ، وفي كلتا الروايتين لا يغضب النبي – ﷺ – منه ، بل منها ، ويزجرها ويقول – ﷺ – :" لا تؤذيني في أخي علي ؛ فإنه أمير المؤمنين [٩] ، وقد جاء من

---

(١) قال عبد الرحيم الشيرازي : عرَّض بعائشة ؛ لأن النبي لم يتزوج بكرا غيرها . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ هامش صـ ٢٤٠.

(٢) قال عبد الرحيم الشيرازي : " فيه شناعة شديدة ، وغرابة عجيبة ؛ نستبعد صدور مثله عن شيخنا علي بن إبراهيم ، بل نظن أنه من زيادات غيره ، فهذه المقالة يخالفها المسلمون بأجمعهم من الخاصة والعامة ، وكلهم يقرون بقداسة أذيال أزواج النبي – صلى الله عليه وآله – مما ذكر " . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ هامش صـ ٢٤٠ بتصرف . جعفر مرتضى العاملي : مختصر مفيد جـ ١ صـ ١٨٧.

(٣) قال المجلسي : " المراد بفلان طلحة ، وفي الخبر غرائب لا نعلم حقيقتها ، فالله يعلم وحججه جهة صدورها ". المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٢٤١ بتصرف.

(٤) قال عبد الرحيم الشيرازي : " فيه غرابة شديدة ، لأن نكاح أزواج النبي كان محرماً ، والمسلمون بأجمعهم قائلون : بعدم وقوع ذلك منها " ، والمراد بفلان : طلحة بن عبيد الله – رضي الله عنه – . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ هامش صـ ٢٤١ .

(٥) سورة الأحزاب : آية رقم ٥٣ – ٥٤ .

(٦) محمد طاهر القمي الشيرازي : الأربعين صـ ٦٢٦. الشيخ على الكوراني العاملي : جواهر التاريخ ، ط وفا ، نشر باقيات – قم ، ط١ ، ١٤٣٠هـ جـ ٣ صـ ٨٥. ابن أبي الزمنين : تفسير ابن زمنين جـ ٥ صـ ١٠.

(٧) قال عبد الرحيم الشيرازي : لفظه " فقالت : ما وجدت لإستك مجلسا غير فخذي ، أو فخذ رسول الله " . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ هامش صـ ٢٤٢ بتصرف.

(٨) قدعته : من القدع ، وهو الكف والمنع ، أو : رمته بالفحش ، وسوء القول . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٢٤٦ بتصرف.

(٩) المصدر السابق جـ ٢٢ صـ ٢٤٥ بتصرف.

الروايات ما يدل على شقاوتها[١] ، بل وطئت مرة على عنق [٢] النبي – ﷺ – حتى قال لها – ﷺ – :" لقد أوجعت عنقي يا عائشة " [٣].

ويدعون أن الصادق – عليه السلام – يكفر عائشة ، وحفصة [٤] ، ويستدل بقوله – ﷻ – :" فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا" [٥] ؛ فقد قال الصادق – عليه السلام – : يعني زاغت ، والزيغ : الكفر[٦] .

هذا ولم أجد هذا التفسير إلا عندهم ؛ فقد قال أهل السنة : صغت أي : مالت عن الحق حيث أحبتا ما كره رسول الله – ﷺ – من اجتناب جاريته ، واجتناب العسل [٧].

فوجبت عليهما التوبة [٨] ، ونزل قوله تعالى :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " [٩] ، ويكلمون فيقولون : كانت تحرض على قتل عثمان [١٠] ، وتقول عنه : أقتلوه فقد كفر ، وثارت ثائرتها لما علمت ببيعة علي ، وأخذت تؤلب الزبير وطلحة عليه ، بل وحاربه الثلاثة بجيوش جرارة ، وكانت سبباً في سفك الدماء المحترمة ، ولم ترجع عن غيها ، برغم ما

---

(١) المصدر السابق جـ ٢٢ صـ ٢٤٢.

(٢) هذا من باب التحريف ؛ فقد رواه أهل السنة بغير ذلك ، قَالَتْ : فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ ، فَوَقَعَتْ يَدِى عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِى الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ ، وَهُوَ يَقُولُ :" اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لاَ أُحْصِى ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ" . انظر الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ١ صـ ٣٥٢. أبو داود : السنن جـ ١ صـ ٢٣٢ . فأنت ترى أن اليد نقلت رجلا ، والقدم بانت عنقا . سبحان الله !.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٢٤٥. مركز الرسالة : السجود مفهومه وآدابه والتربة الحسينية ، ط مهر – قم ، ط١ ، ١٤٢٠هـ صـ ٣٨ . الكليني : فروع الكافي جـ ٣ صـ ٣٢٤.

(٤) حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ العَدَوِيَّةُ : أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ السِّتْرُ الرَّفِيْعُ ، تزَوَّجَهَا النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا مِنْ خُنَيْسِ بنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ ، فِي سَنَةِ ثَلاَثٍ مِنَ الهِجْرَةِ ، مَوْلِدَهَا قَبْلَ المَبْعَثِ بِخَمْسِ سِنِيْنَ ، وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– طَلَّقَهَا تَطْلِيْقَةً، ثُمَّ رَاجَعَهَا بِأَمْرِ جِبْرِيْلَ –عَلَيْهِ السَّلاَمُ– لَهُ بِذَلِكَ ، وَقَالَ: إِنَّهَا صَوَّامَةٌ ، قَوَّامَةٌ ، وَهِيَ زَوْجَتُكَ فِي الجَنَّةِ ، تُوُفِّيَتْ : سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِيْنَ ، عَامَ الجَمَاعَةِ . وَقِيْلَ: خَمْسٍ وَأَرْبَعِيْنَ بِالمَدِيْنَةِ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ٢٢٧ – ٢٣١.

(٥) سورة التحريم : آية رقم ٤.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٢٤٦ بتصرف.

(٧) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ٢ صـ ٣١٠٦ بتصرف . أبو جعفر الطبري : تفسير الطبري جـ ٢٨ صـ ١٧١ بتصرف . المعجم الوسيط صـ ٤٠٩. ابن منظور : لسان العرب جـ ٢١ صـ ١٩٠٠.

(٨) الإمام البغوي : تفسير البغوي صـ ١٣٢٨ بتصرف .

(٩) سورة التحريم : آية رقم ٧ .

(١٠) أجمع المؤرخون "شيعة وسنة " أن الذي أضرم نار الفتنة والفساد ، ومشى بالتحريض ، على عثمان : اللعين عبد الله بن سبأ. انظر إحسان إلهي ظهير : الشيعة والسنة ، نشر دار ابن حزم – القاهرة ، ط١ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م صـ ٤١ – ٤٢ بتصرف .

فعله معها علي من إكرام بالغ ، ولم تقر عينها إلا بقتل علي ، وكل ذلك بسبب أن على زوج فاطمة بنت خديجة – رضي الله عن الجميع – [1] .

بل وادعوا على أبي بكر وعمر وخالد أنهم تأمروا على قتل علي ، لولا أن أسماء بنت عُمَيْس [2] أخبرته ، فنجَّاه الله منهم ، حتى وصل الأمر إلى أن ضرب خالد بالحائط ، وأمسك بتلابيب عمر وسبه ، وكاد أن يقتله [3] ؛ ولذلك يسمونه " خالد الملعون " [4] .

ومن الإساءة للخلفاء الثلاثة يفسرون قوله – ﷻ – :" أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ : الأول ، وَالْعُزَّى : الثاني وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى"[5] الثالث ؛ حيث سموهم بأمير المؤمنين ، وبخليفة رسول الله – ﷺ– وبالصديق ، والفاروق ، وذي النورين ، وأمثال ذلك [6].

ويكذبون حديث علي بن أبي طالب حين قال :" لا أوتى برجل يفضّلني على أبي بكر وعمر ، إلا جلدته حد المفتري ؛ فقالوا عنه : راوي هذا الحديث كثير الغلط ، مع ما في الحديث من تناقض ، ولا يمكن لعلي أن يجلد من أجمعت الأمة كلها على جوره ، وعليٌّ بريئ أن يقول ذلك ؛ لأن التفاضل يكون بين متفاضلين مقاربين في الفضل ، ولكن ليس للمفضول فضل هنا ، بل ليس له طاعة ؛ ليكون له فضل في الدين ، وكذلك ليس للمرتد فضل ديني ، وكان الرجلان بجحدهما النص قبل خرجا من الإيمان ؛ فبطل أن يكون لهما فضل في الدين ، فيجري التفضيل هنا مجرى من فضل البر التقي على الكافر المرتد الخارج عن الدين ، ومجري من فضل جبرائيل على إبليس ، ورسول الله – ﷺ – على أبي جهل بن هشام ، فإذا صححنا الحديث فإن حد المفتري يجب على رسول الله – ﷺ – لأن رسول الله – ﷺ – فضَّل أمير المؤمنين – عليه السلام – على سائر الخلق ، وكان أيضا يجب أن يقيم الحد على نفسه ؛ حيث يقول :" أنا عبد الله ، وأخو رسول الله ، لم يقلها أحد قبلي ، ولا يقولها أحد بعدي إلا مفتر كذاب ، صليت قبلهم سبع سنين ، وفي قوله

---

(١) السيد مرتضى العسكري : أحاديث أم المؤمنين عائشة أدوار من حياتها ، ط صدر ، نشر التوحيد – قم ، ط٥، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م جـ صـ ١١-١٣ بتصرف .

(٢) أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسِ بنِ مَعْبَدِ بنِ الحَارِثِ الخَثْعَمِيَّةُ : أُمُّ عَبْدِ اللهِ مِنَ المهَاجِرَاتِ الأُوَلِ ، هَاجَرَ بِهَا زَوْجُهَا جَعْفَرٌ الطَّيَّارُ إِلَى الحَبَشَةِ ، فَوَلَدَتْ هُنَاكَ:عَبْدَ اللهِ، وَمُحَمَّداً، وَعَوْناً، هَاجَرَتْ مَعَهُ سَنَةَ سَبْعٍ ، وَاسْتُشْهِدَ يَوْمَ مُؤْتَةَ ، تَزَوَّجَ بِهَا أَبُو بَكْرٍ ، فَوَلَدَتْ مُحَمَّداً ، وأَوْصَى أَنْ تُغَسِّلَهُ ، ثُمَّ تَزَوَّجَتْ عَلِيّاً ، فَوَلَدَتْ: يَحْيَى ، وَعَوْناً، وعَاشَتْ بَعْدَ عَلِيٍّ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ٢٨٢ – ٢٨٧.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٩ صـ ١٢٦-١٢٧ بتصرف.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤١ صـ ٣٠٢.

(٥) سورة النجم : آيات رقم ١٩ – ٢٠.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٨ صـ ٩٦.

لعثمان وقد قال له : أبو بكر وعمر خير منك ، فقال :" بل أنا خير منك ومنهما عبدت الله قبلهما ، وعبدته بعدهما [1] ؛ " فلا يقاس من لم يكفر طرفة عين بالرحمن ، بمن خدم في أكثر عمره للأوثان " [2] .

ثم يحولون الفضائل إلى رذائل فيقول المفيد : وقد سبق من كلام الصالحين: أن من أطاع الله أحب لقاءه ، وأن من عصاه كره لقاءه ، والخبر الظاهر أن أبا بكر جعل يدعو بالويل ، والثبور عند احتضاره ، وأن عمر تمنَّى أن يكون تراباً عند وفاته ، وود أن أمه لم تلده ، وأنه نجا من أعماله كفافاً لا له ولا عليه ، وما ظهر من جزع عثمان بن عفان عند حصر القوم له ، وتيقنه بهلاكه ، دليل على أن القوم لم يعرفوا من رسول الله – صلى الله عليه وآله – ما تضمنه الخبر من استحقاقهم الجنة على كل حال ، ولا أمنوا من عذاب الله سبحانه ؛ لقبيح ما وقع منهم من الأعمال [3].

ثم يوضح أبو عبد الله – عليه السلام– لماذا سمي أبو بكر صديقاً ؛ فيقول : لأنه علي – عليه السلام – أراه شيئاً من الغيب ، فقال أبو بكر : الآن صدقت بأنك ساحر ، فقال النبي – صلى الله عليه وآله – صديق أنت ، ويكمل البيان ؛ فيقول : وسمي عمر الفاروق ؛ لأنه فرق بين الحق والباطل ، فأخذ الناس بالباطل [4] ، وقيل : سمي عمر فاروق أبي بكر تهكماً واستهزاءً ؛ لأنه كان كثير التصرف في أموره ، وكان يفرق بين مصالحه ومفاسده ، ويجري عليه أمره ونهيه [5] ، وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" أكبر الكبائر صاحب القول الذي يقول : أنا أبرأ ممن يبرأ من أبي بكر وعمر " [6] .

وجعلوا الكفر كله بسبب الصديقين – رضي الله عنهما – فيقول الباقر والصادق – عليهما السلام – :" ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : من ادعى إمامةً ليست له ، ومن جحد إماماً من عند الله ، ومن زعم أن أبا بكر وعمر لهما نصيب في الإسلام " [7] .

---

(١) المصدر السابق جـ ١٠ صـ ٣٧٧-٣٧٨ بتصرف.

(٢) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ٣ صـ ١٥٥.

(٣) الشيخ المفيد : الإفصاح صـ ٧٢-٧٣ بتصرف.

(٤) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٢٩-٣٠ بتصرف .

(٥) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٦ صـ ١٦٦.

(٦) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١١ صـ ٣٥٨.

(٧) موسى جار الله:الوشيعة في نقض عقائد الشيعة صـ٢١.الفيض الكاشاني: الوافي جـ٢صـ١٨٠.الكليني: أصول الكافي جـ١صـ٣٧٣.

وجعلوا أبا بكر – رضي الله عنه – أباً لكل الشرور"[1] ، وجعلوا عمر وعثمان – رضي الله عنهما – مثلاً يضرب لكل مخنث هو – نعوذ بالله من قولهم – ؛ فيقولون عنه أنه كان مخنثاً ، وأن به داء لا يداويه إلا ماء الرجال ، بل ويتبجحون فينسبون هذا القول لبعض علماء أهل السنة "[2].

وقالوا عن عبد الله بن الزبير[3] – رضي الله عنه – " كان أعدى عدو أهل البيت "[4].

وكفروا الصحابة جميعا إلا قليلا فعن أبي جعفر – عليه السلام – :" كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة : المقداد بن الأسود ، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي " [5] ، ثم لحق بهم أربعة هم :" أبو ساسان [6] ، وعمار بن ياسر ، وشتيرة [7] ، وأبو عمرة [8]" ، وعنه :" وكانوا سبعة ،

---

(١) موسى جار الله:الوشيعة في نقض عقائد الشيعة صـ٢١.

(٢) الشيخ أحمد آل طعان البحراني القطيفي : الرسائل الأحمدية ، ط أمين ، نشر دار المصطفى – قم ، ط١ ، ١٤١٩هـ جـ ١ صـ ٣٥٩. علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ٣ صـ ٣٠. محمد طاهر القمي الشيرازي : الأربعين صـ ٢٧٩.

(٣) عَبْدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ بنِ خُوَيْلِدٍ الأَسَدِيُّ : أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ ، أَبُو بَكْرٍ، وَأَبُو خُبَيْبٍ القُرَشِيُّ ، المَكِّيُّ، ثُمَّ المَدَنِيُّ، وَلَدُ الحَوَارِيِّ ، أَوَّلَ مَولُودٍ لِلْمُهَاجِرِينَ بِالمدِيْنَةِ ، وُلِدَ: ٢هـ . وَقِيْلَ : سَنَةَ إِحْدَى ، بويع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ عقيب موت يزيد ابن معاوية ، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام ، وجعل قاعدة ملكه المدينة . وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة ، حتى سيروا إليه الحجاج ، في أيام عبد الملك ، فانتقل إلى مكة ، ونشبت بينهما حروب انتهت بمقتل ابن الزبير ، بعد أن خذله عامة أصحابه ، مدة خلافته تسع سنين ، توفي ٧٣ هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ٣٦٣– ٣٨٠. الزركلي : الأعلام جـ ٤ صـ ٨٧.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٦٨ صـ ١٢٣.

(٥) الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ صـ ٢٤٥. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٨ صـ ٢٣٦.

(٦) أبو ساسان : حضين بن المنذر ، وقيل : بن الحارث بن وعلة الرقاشي البصري ، ولد ١٨هـ / ٦٣٩م ، تابعي ثقة ، سمع عثمان وعلياً ، كان صاحب راية علي يوم صفين ، ووفد على معاوية فأكرمه. مات ٩٩ ، وقيل : ١٠٠هـ ، وقيل : ٩٧هـ / ٧١٥م . انظر ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ، تحقيق : مرزوق على إبراهيم ، نشر دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة ، ط١ ، ١٤١١هـ /١٩٩١م صـ ١٥٧. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : تقريب التهذيب ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، نشر دار المكتبة العلمية – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م جـ ١ صـ ٢٢٥. الزركلي : الأعلام جـ ٢ صـ ٢٦٣.

(٧) شتيرة : وقيل : شتير بن شريح ، أو ابن شكل السعدي ، من أصحاب الإمام علي ، وثقه الكشي ، وقتل يوم صفين ، ولم يعده واحد من أهل السنة ولا من الشيعة في الصحابة . الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٢٠ صـ ٢١٥. الطوسي : اختيار معرفة الرجال جـ ١ شرح صـ ٣٥. التفرشي : نقد الرجال ، ط ستارة ، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – قم ، ط١ ، ١٤١٨هـ جـ ٢ صـ ٣٩١. السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ٧ صـ ٣٣٢ .

(٨) أبو عمرة : بشر ، وقيل : بشير ، وقيل ثعلبة بن عمرو بن محصن الأنصاري . وقيل : عبد الله بن صعصعة ، أمه كبشة أخت حسان بن ثابت ، له صحبة ، ذكره ابن إسحاق في البدريين ، وقيل شهد أحد ، وهي أول مشاهده ، وقيل : ولد في عهد النبي ، قتل بصفين . انظر الشيخ الأميني : الغدير جـ ٣ صـ ٢٣٠. ونفس المصدر جـ ٩ صـ ٣٦٣.أبو الفتح الموصلي : أسماء من يعرف بكنيته ، تحقيق : أبو عبد الرحمن إقبال ، نشر الدار السلفية – الهند ، ط١ ، ١٤١٠هـ /١٩٨٩م صـ ٥٢. ابن حجر : الإصابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، نشر دار الجيل – بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ جـ ٧ صـ ٢٩٠.

فلم يكن يعرف حق أمير المؤمنين – عليه السلام – إلا هؤلاء السبعة "[1] ، وكان يقسم أبو عبد الله – عليه السلام– ويقول :" فو الله ما وفَّى بها إلا سبعة نفر" [2] ، إلا أن عماراً دخل في قلبه شيءٌ[3] ، ولا أدري لما استثنى هؤلاء ، مع أنهم كانوا يقرون بإمامة أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – بل تولى سلمانُ الفارسي ولاية المدائن [4] في عهد عمر ، وتولى عمارُ الكوفة في عهد عثمان – رضي الله عنهم – "[5].

ولا أدري لماذا لم ينقض هؤلاء الكفار الكثيرون على القلة القليلة التي كانت على الإيمان بعد النبي – ﷺ – ويرجعوا الأمر كما كان عليه آباؤهم وأجدادهم [6] ، ويتخلصوا من هذه الأقلية ، ومع التأكيد على أنهم لم يفعلوا ؛ فنعم العمل مع المخالفين في الرأي ، فهذه حقوق الإنسان كما تقرها المنظمات العالمية لحقوق الإنسان ألَّا يُمْنَع إنسان من إبداء رأيه .

ويأتي الدور على أبي بكر وعمر ، فيتساءلون : كيف اختاروا إماماً جاهلاً عابداً للأصنام [7] ، أولا يعلمون أن أبا بكر في تابوت من نار هو وعمر [8] ، وأنهما كافران ، كافر من أحبهما [9] ، ومعهم ستة من العشرة المبشرين بالجنة [10].

أولم تصل لهم الأخبار الدالة على كفر أبي بكر وعمر وأضرابهما ، وثواب لعنهم ، والبراءة منهم ، وما يتضمن بدعهم أكثر من يذكر في هذا المجلد ، أو في مجلدات شتى ، وفيما أوردناه كفاية

---

(١) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ٢ صـ ٣٧٥.

(٢) المفيد : الاختصاص صـ ٦٣. بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٣٢٢.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٣٣٣.

(٤) المدائن : على سبعة فراسخ من بغداد على حافتي دجلة ، عاصمة مملكة الأكاسرة ، مدن العراق، وهي عدة مدن ، وافتتحها سعد – رضي الله عنه – . محمد بن عبد المنعم الحِميري : الروض المعطار صـ ٥٢٦. د علي الصلابي : الحسن بن علي صـ ١٠٩.

(٥) سامح عباس الغنيمي: عقائد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية صـ ٤٤.

(٦) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق صـ ٤٣ بتصرف .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١٧٢. رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ، تحقيق السيد علي عاشور ، نشر مؤسسة الأعلمي – بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م صـ ١٧٧. العاملي : الانتصار جـ٦ صـ ٢٢٢.

(٨) السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٢ صـ ٣٨٩.

(٩) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٨صـ ١٧٨. السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ ٢٦صـ٤٩.

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٠ صـ ١٣١.

لمن أراد الله هدايته الصراط المستقيم " [1] ؛ فإن من المشهور في كتبهم : كفر الثلاثة ، ونفاقهم ، وفضائح أعمالهم " [2] .

فإن " المتأمل في الوقايع السالفة ، في عصر النبي – ﷺ – قرب الممات ، كَسِرِ العزل عن الصلاة ، وسر الغوغاء في الرقعة والدواة ، وشدة الامتناع عنها ، وشدة العناية في يوم الغدير ، مع شدة الرمضاء ، واستعجال القوم في طلب الأمر ، قبل تجهيز النبي ، وعدم تقديم أمير المؤمنين ، وإظهار الغلظة والجفاء على عترة خاتم الأنبياء حتى ورثها صاغرهم عن كابرهم ، وسنها أولهم لأخرهم ، وكانت في الصدور ، وإن لاحت أماراتها ، ولكن ظهرت كل الظهور بوقعة الجمل وصفين [3] .

و يؤيد ذلك قوله تعالى :" وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ"[4] عن أبي جعفر – عليه السلام – قال :" هو الثاني " عمر بن الخطاب " وليس في القرآن شيء : وقال الشيطان إلا وهو : الثاني " [5].

وأما أبو بكر: " فقد جار في حكمه ، وظلم في فعله ، وآذى الله تعالى ورسوله – ﷺ – بإيذائه لفاطمة – عليها السلام – ، وقد قال الله – ﷻ – :" إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا "[6] .

وأما عمر فقد واطأ أبا بكر وجماعة من الصحابة على كتب صحيفة بينهم ، يتعاقدون فيها على أنه إذا مات رسول الله – ﷺ – لم يورثوا أحداً من أهل بيته ، ولم يولوهم مقامه من بعده ، فكانت الصحيفة لعمر إذ كان عماد القوم ، والصحيفة التي ود أمير المؤمنين ورجا أن يلقى الله بها هي هذه الصحيفة ، فيخاصمه بها ، ويحتج عليه بما تضمنته " [7].

مع إجماعهم كلهم على أن أبا بكر لم يك معصوماً ، واختلفوا في عدالته ، فقالت طائفة : كان عدلا ، وقالت أخرى : لم يكن عدلاً ؛ لأنه أخذ ما ليس له [8].

---

(١) المصدر السابق جـ ٣٠ صـ ٣٩٩.

(٢) المصدر السابق جـ ٨ صـ ٢٠٨.

(٣) الشيخ جعفر كاشف الغطاء :كشف الغطاء عن مبهمات شريعة الغراء جـ ١صـ ٧.

(٤) سورة إبراهيم : آية رقم ٢٢ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣ صـ ٣٧٨. الكليني : الكافي جـ ٤ صـ ٤١٦.

(٦) سورة الأحزاب : آية رقم ٥٧ .

(٧) الشريف المرتضى : الفصول المختارة صـ ٨٩ – ٩٠ .

(٨) المصدر السابق صـ ١٢٠.

ووصل بهم الأمر أن ادعوا : أن عمر ليس بولد الخطاب بن عدي فقد روي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد – عليه السلام – أن جماعة اتهموه بقتل عمر – رضي الله عنه – ؛ فأراهم صحيفة فيها نسب عمر الحقيقي ، وأن أم الخطاب كانت أمة للزبير بن عبد المطلب [١] ، ففجر بها نفيل – جد عمر – فأحبلها ، ثم هرب إلى الشام ، ثم قال الزبير: إن الشيطان له دولة ، وإن ابن هذا ابن شيطان ، ولست آمن أن يترأس علينا ، وكان يهددهم بها أبو عبد الله أن يفضحهم بهذه الصحيفة التي فيها نسب عمر ، حيث كان يطالب به بنو المطلب ؛ ليكون عبداً عندهم ؛ لأن الخطاب ابن أمتهم ، وليس أصيل الحرية ! [٢] .

وكل فضيلة للشيخين قد بينا أنها كذب ، وقد عرف من الغزوات هربهما [٣] ، بل إن عمر كان يخاطب النبي – ﷺ – بالألفاظ القاسية ، الخشنة ، الكفرية [٤].

ويكفي للرد عليهم حديث حين قالت النساء لعمر : أنت أفظ ، وأغلظ يا عمر من رسول الله ، فقال رسول الله – ﷺ – :" إيهاً يا بن الخطاب ، والذي نفسي بيده ما لقيت الشيطان سالكاً فجاً قط ؛ إلا سلك الشيطان فجاً غير فجك " [٥] . فالفظاظة على الشيطان[٦] والرحمة للمؤمنين .

ويفترون حديثاً أن النبي – ﷺ – ليلة أسري به : رأى على العرش لا إله إلا الله ، أبو بكر الصديق ، قال الصادق – عليه السلام – : غيروا كل شيء حتى هذا ؛ إنما كتب مع الشهادتين : علياً أمير المؤمنين ، وكتب ذلك على اللوح ، وعلى جناحي جبريل ، وعلى السماوات ، والأرضين ، وعلى رؤوس الجبال ، وعلى الشمس والقمر ، وهو السواد الذي يُرى فيه .

وحديث النبي – ﷺ – : اقتدوا باللذين من بعدي أبا بكر وعمر ، فرواته إمَّا مطعون فيه بأنه كان فاسقاً جريئاً على الله بالقتل ، شديد النصب والانحراف عن أهل بيت النبوة ، ولو كان صحيحًا ؛

---

(١) الزبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي : الشاعر ، كنيته أبو الطاهر ، والد عبد الله بن الزبير ، من إشراف قريش ، أول من دعا إلى حلف الفضول ، ولم يدرك الإسلام . انظر ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٢ صـ ٣٥٥. ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ١ صـ ١٢٨. محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني – جدة ، دت جـ ١ صـ ٢٤٥.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٢٦٩–٢٧٠ بتصرف.

(٣) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ٣ صـ ١٤٣ بتصرف.

(٤) الأحمدي الميانجي : مكاتيب الرسول جـ ٣ صـ ٧٢٤ بتصرف .

(٥) قال ابن حجر : فيه فضيلة لعمر تقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه ، لا أن ذلك يقتضي ثبوت العصمة له ؛ فإنها في حق النبي واجبة ، وفي حق غيره ممكنة ، ولا يمنع ذلك من وسوسته ، ولكن لا يكون له سلطان عليه ، وهذا يدل على صلابته في الدين ! . انظر ابن حجر : فتح الباري جـ ٧ صـ ٥٢–٥٣ بتصرف . المباركفوري : تحفة الأحوزي جـ١٠ صـ ١٢٢ –١٢٣ بتصرف .

(٦) عن ابن عباس قَالَ : لما ولي عُمَر قيل له : لقد كاد بعض الناس أن يحيد هذا الأمر عنك ، قَالَ : وما ذاك ؟ قَالَ : يزعمون أنّك فَظٌّ غليظ . قَالَ: الحمد لله الَّذِي ملأ قلبي لهم رُحْمًا ، وملأ قلوبهم لي رُعبًا . الحافظ ابن عساكر : تاريخ دمشق جـ ٤٤ صـ ٢٦٩.

لاحتج به أبو بكر يوم السقيفة ، ولم سلم لا يمكن العمل به ؛ لأنه لا شك أنهما اختلفا في كثير من الأمور ، ولو اتفقا لم يؤمن الخطأ منهما ؛ لإجماع الأمة على عدم عصمتهما ، والصحيح أنه روي : اقتدوا باللذين من بعدي كتاب الله ، وعترتي [(١)].

وكما روي عن عائشة أن النبي – ﷺ – قال لها :" إن أباك يلي الأمر من بعدي ، ثم عمر " وهو مروي عن الظلمة ، ومثل حديث :" أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " ؛ فعلى ذلك الكل خلفاء ، وقد قتل بعضهم بعضاً ، وتبرأ بعضهم من بعض [(٢)].

وعن أبي جعفر – عليه السلام – قال رسول الله – ﷺ – :" إن أبا بكر وعمر يليان أمر الأمة بعدي ، ظالمين ، فاجرين ، غادرين [(٣)] ، ومن أسباب تكفيرهم لأبي بكر : أنه حينما قاتل المرتدين ، لم يقاتلهم إلا لأنهم امتنعوا عن دفع الزكاة إلا لعلي بن أبي طالب[(٤)].

وحديث أن رجلاً من أهل خيبر كان يأخذ كل عام من النبي – ﷺ – مائة راحلة تمراً ؛ فقال للنبي– ﷺ – : أخاف ألا أعطاها بعدك ؛ فقال بلى يعطيكها أبو بكر، وليس فيه دليل الولاية [(٥)] .

ولم يقع في الأمم السابقة شيءٌ إلا وقد وقع نظيره في هذه الأمة ؛ كقصة هارون مع العجل والسامري ، وما وقع على أمير المؤمنين – عليه السلام – من أبي بكر وعمر ، وكقارون وعثمان ، وصفورا [(٦)] ، والحميراء "[(٧)] ، يعني عائشة – رضي الله عنها – .

ونقل شيخهم المفيد :" إجماع الطائفة على كفر عمر بعد إظهاره الإيمان "[(٨)].

ويقولون على عثمان – رضي الله عنه – :" عثمان الذي أظهر الأحداث [(٩)]، وآوى الأخباث "[(١٠)].

---

(١) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ٣ صـ ١٤٤– ١٤٥ بتصرف.

(٢) المصدر السابق جـ ٣ صـ ١٤٦ بتصرف.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٢٤٦ بتصرف.

(٤) إبراهيم السليمان الجبهان : تبديد الظلام وتنبيه النيام صـ ٤٨–٤٩ بتصرف.

(٥) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ٣ صـ ١٤٦ بتصرف.

(٦) امرأة كانت على عهد يوشع بن نون ، فخرجت عليه ، وهي غير ابنة شعيب التي جاءت لموسى – عليه السلام – في بعض التفاسير ، والله أعلم . انظر علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ٢ صـ ٤٥.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢ صـ ٢١١.

(٨) سامح عباس الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية صـ ٤٤. نقلا عن العيون والمحاسن .

(٩) الأحداث : مخالفي القانون من صغار السِّنّ . انظر د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ١ صـ ٤٥٤.

(١٠) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم جـ ١ صـ ١١١ بتصرف .

ويقول أمير المؤمنين – عليه السلام – :" إن من لقي الله – عز وجل – مؤمنا بأن عثمان قد قُتِلَ مظلوماً ؛ لقي الله ساخطاً عليه [1] ؛ لأنه :" كان كافراً مستحقاً للقتل" [2] ؛ وثواب :" من تبرأ منهم في ليلة ، فمات في ليلته دخل الجنة " [3] .

وقد جاء عن الأئمة أن معاوية هو فرعون هذه الأمة [4]، وأنه من أهل النار [5].

عن رسول الله – ﷺ – : يحشر أمتي يوم القيامة على خمس رايات : فأول راية ترد عليَّ : راية فرعون هذه الأمة : وهو معاوية ، والثانية : مع سامري هذه الأمة : وهو عمرو بن العاص ، والثالثة : مع جاثليق[6] هذه الأمة : وهو أبو موسى الأشعري [7] ، والرابعة : مع أبي الأعور السلمي[8] ، وأما الخامسة : معك يا علي ، تحتها المؤمنون ، وأنت إمامهم " [9] ، وقيل عمرو بن العاص هامان هذه الأمة [10] .

وإذا كانت بنو إسرائيل عبدوا العجل حين فارقهم موسى–عليه السلام– ، برغم أنه فارقهم أياما معلومة ، وبعدما رأوا المعجزات ، فما بالك بالنبي ﷺ خرج من الدنيا بالموت ، فإذا كان كل ذلك جايزاً عليهم ، فعلى أمتنا أجوز وأجوز ، على أن الله تعالى قد حكي في هذه الأمة ، وأخبر أنها ترتد قال الله تعالى :" وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ " [11] [1] .

---

(١) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٢٠ بتصرف .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣١ صـ ١٦٦ .

(٣) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٥٢٢. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٤ صـ ١٢٣١.

(٤) الشيخ علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٨ صـ ١٨٥.المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٧ صـ ٣٤٨.الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٢٠ صـ ٤٩. الكليني : فروع الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٤.

(٥) القاضي النعمان المغربي : شرح الأخبار جـ ٣ صـ ٥٣٦.المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٣ صـ ٢١٠.

(٦) الجاثليق : من أعلى ألقاب علماء النصارى . انظر رينهارت بيتر : تكملة المعاجم العربية جـ ٢ صـ ١٤٣.

(٧) أَبُو مُوْسَى الأَشْعَرِيُّ : عَبْدُ اللهِ بنُ قَيْسٍ ، المُقْرِئُ ، اسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى زَبِيْدٍ ، وَعَدَنَ ، وَوَلِيَ إِمْرَةَ الكُوْفَةِ لِعُمَرَ، وَإِمْرَةَ البَصْرَةِ ، هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ ، وَأَوَّلُ مَشَاهِدِهِ خَيْبَرُ، وَمَاتَ ٤٢هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ٣٨٠ – ٤٠٢.

(٨) أَبُو الأَعْوَرِ السلمي : عمرو بن سفيان بن عبد شمس ،كان مع معاوية بصفين ، وعليه كان مدار حروب معاوية يومئذ ، أدرك الجاهلية ، وليست له صحبة ، وقيل : يعد في الصحابة ، وشهد حنيناً كافراً ، ثم أسلم بعدها ، وكان علي يدعو عليه في قنوته . انظر الشيخ الأميني : الغدير جـ ٩ صـ ١٨٣. أبو الفتح الموصلي : أسماء من يعرف بكنيته صـ ٣٠. ابن حجر : الإصابة جـ ٤ صـ ٦٤١.

(٩) الشيخ الصدوق : الخصال صـ ٥٧٥. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣١ صـ ٤٣٨.

(١٠) الفضل بن شاذان الأزدي : الإيضاح ، تحقيق : السيد المحدث جلال الدين الحسيني الأرموي ، نشر مؤسسة انتشارات وچاپ دانشگاه – طهران ، ط١ ، ١٣٥١ش صـ ٨٧. السيد ابن طاووس : الملاحم والفتن صـ ٢٣١.

(١١) سورة آل عمران : آية رقم ١٤٤.

وقال النبي – ﷺ – : "لتتبعن سنن من كان قبلكم ، حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة ، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه ، قالوا : فاليهود والنصارى يا رسول الله ؟ قال : فمن إذن؟.
وقال النبي – ﷺ – ستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة ، واحدة منها ناجية ، وثنتان وسبعون في النار . وكل هذا يدل على جواز الخطأ عليهم بل على وقوعه [٢] .
وإنما يثبت للصحابة السبق في الإسلام الظاهر ، والباطن لا يعلمه إلا الله ، وليس كل من أظهر السبق إلى الإسلام على وجه يستحق به الثواب ، وما ذكر من رضى الله عنهم ليسوا هم المعنيين به ، بل ليس ذلك مانعا من وقوع الخطأ منهم ، ولا واجب لهم العصمة ؛ لأن الرضا المذكور في الآية ، وما أعد الله من النعيم ؛ إنما يكون مشروطاً بالإقامة على ذلك ، والموافاة به ، ولا أحد يقول : أن الوعد بالجنة يوجب العصمة ، فالمعني بهذه الآية هو: الإمام علي – عليه السلام – ؛ لأن الله ختم الآية بالفتح القريب ، وهو خيبر ، وعلي – عليه السلام – هو فاتحها .
وقال تعالى :" فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ " [٣] هم : طلحة والزبير [٤] ، وقال تعالى :" وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ "[٥] هم : بنو أمية [٦][٧] ، وعن الصادق – عليه السلام – قال :" لما أقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم غدير خم كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى أبي حذيفة ، والمغيرة بن شعبة [٨] .
وأنس بن مالك " مشهور بالإعراض عن علي ، وهو الذي كتم فضيلته ، ورده يوم الطائر ، وفي دون هذا تتهم روايته ، وتسقط عدالته " [٩] ، بل " كان من الثلاثة الكذابين " [١٠] .
ونكتفي بهذا القدر حتى لا نطيل ، وندع المجال لأهل الإسلام يردون عن أعراض الصحابة .

---

(١) الشيخ المفيد : الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين – عليه السلام – صـ ٧٢.
(٢) الشيخ المفيد : مسألتان في النص على علي – عليه السلام – جـ٢ صـ ٣٠-٣١ بتصرف.
(٣) سورة التوبة آية رقم ١٢.
(٤) القمي : تفسير القمي جـ ١ صـ ٢٨٣.
(٥) سورة الإسراء : آية رقم ٦٠ .
(٦) القمي : تفسير القمي جـ ٢ صـ ٢١.
(٧) يقول ابن العربي : وعجبا لاستكبار الناس ولاية بني أمية ، وأول من عقد لهم الولاية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فإنه ولى يوم الفتح عتاب بن أسيد ، واستكتب معاوية أميناً على وحيه . انظر ابن العربي : العواصم من القواصم صـ ٢٣٤ بتصرف.
(٨) القمي : تفسير القمي جـ١صـ ٣٠١. الفيض الكاشاني : تفسير الصافي جـ ٢ صـ ٣٥٩.
(٩) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ٣ صـ ١٤٤ بتصرف.
(١٠) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٨ صـ ١٥٤.

موقف أهل السنة من اعتقاد الشيعة الاثني عشرية في الصحابة – رضوان الله عليهم – :

وأمام هذه الإساءات لهذا الجيل الفريد الذي لن تجود الدنيا بمثل طلعته ؛ يجب علينا إظهار العلم ، لاسيما إذا لعن آخرُ هذه الأمة أولَها ؛ وذلك أن أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين تصديقاً ، وعلماً ، وعملاً ، وتبليغاً ، فالطعن فيهم طعن في الدين [1] .

وما قاله الروافض في أصحاب محمد – ﷺ – :" ما رضيته النصارى واليهود في أصحاب موسى وعيسى – عليهما السلام – حين حكموا عليهم بأنهم اتفقوا على الكفر والباطل [2] .

وها هو رسول الله – ﷺ – يبشرهم ، ويقول :" طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي ، وَلَمْ يَرَنِي ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ وَمَا طُوبَى ؟ قَالَ : شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا " [3] .

ويقول – ﷺ – :" لَوْلاَ أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ ؛ لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ ؛ يَغْفِرُ لَهُمْ "[4] ، ويبين قدرهم – ﷺ – فيقول :" مَهْمَا أُوتِيتُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَالْعَمَلُ بِهِ لا عُذْرَ لأَحَدٍ فِي تَرْكِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَسُنَّةٌ مِنِّي مَاضِيَةٌ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ سُنَّةً مِنِّي ، فَمَا قَالَ أَصْحَابِي ، إِنَّ أَصْحَابِي بِمَنْزِلَةِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ ، فَأَيُّمَا أَخَذْتُمْ بِهِ اهْتَدَيْتُمْ ، وَاخْتِلافُ أَصْحَابِي لَكُمْ رَحْمَةٌ "[5] ، ويقول ﷺ :" أَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي ، فَإِذَا قُبِضْتُ ؛ دنا من أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي ، فَإِذَا قُبِضَ أَصْحَابِي ؛ دنا من أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ ، ولا يزال هذا الدين ظاهراً على الأديان كلها ؛ ما دام فيكم من رآني "[6] ، ويدعوا لهم – ﷺ –:" اللهم ارحم خلفائي ، قالوا : يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال :" الذين يأتون من بعدي ، ويروون حديثي ، وسنتي ، فيسلمونها الناس من بعدي" [7].

وقيل لأبي عبد الله – عليه السلام – : فأخبرني عن أصحاب رسول الله – ﷺ – صدقوا على محمد – ﷺ – أم كذبوا ؟ قال : بل صدقوا ؛ قيل له : فما بالهم اختلفوا ؟ قال : ألم تعلم أن الرجل كان

---

(١) عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية صـ ١٢ .

(٢) القاضي أبو بكر بن العربي : العواصم من القواصم صـ ١٨٥ بتصرف .

(٣) الشيخ الصدوق : الأمالي صـ ٤٨٤.الإمام أحمد : المسند جـ ١٨ صـ ٢١١. ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١٦ صـ ٢١٦.

(٤) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٤٢٤. الإمام أحمد : المسند جـ ٣٨ صـ ٤٩٨. الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ٢١٠٥.

(٥) مرسل ضعيف . محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٣١. الشيخ الصدوق : معاني الأخبار صـ ١٥٦ – ١٥٧.الطبرسي : الاحتجاج جـ ٢ صـ ١٠٥انظر شمس الدين أبو الخير السخاوي : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، تحقيق : محمد عثمان الخشت ، نشر دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م صـ ٦٩.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٣٠٩ – ٣١٠. قطب الدين الراوندي : النوادر ، تحقيق : سعيد رضا علي عسكري ، نشر دار الحديث – قم ، ط١ ، ١٤٠٧هـ صـ ١٤٦. وبدون قوله :" ولا يزال ..الخ " الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ١٩٦١.

(٧) الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ١ صـ ٤٠. الإمام الرضا : صحيفة الرضا ، جمع مؤسسة المهدي ، بإشراف : محمد باقر الأبطحي ، ط أمير ، نشر مؤسسة المهدي – قم ، ١٤٠٨هـ صـ ١١٥. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢ صـ ١٤٤.

يأتي رسول الله – ﷺ – فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب ، ثم يجيبه بعد ذلك ما ينسخ ذلك الجواب ؛ فنسخت الأحاديث بعضها بعضا " [1].

وقال رسول الله – ﷺ – :" اللهم اغفر للأنصار ، ولأبناء الأنصار ، ولأبناء أبناء الأنصار "[2] ، وقال علي – عليه السلام – :" فاز أهل السبق بسبقهم ، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم ، ولا ينبغي لمن ليست لهم مثل سوابقهم في الدين ، ولا فضائلهم في الإسلام ؛ أن ينازعهم الأمر الذي هم أهله ، وأولى به ، فيجور ، ويظلم " [3].

وقال علي – عليه السلام – لشيعته :" لقد رأيت أصحاب محمد – صلى الله عليه وآله – فما أرى أحداً يشبههم منكم ، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً ، وقد باتوا سجداً وقياماً ، يراوحون بين جباههم وخدودهم ، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم ، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ، إذا ذكر الله هملت أعينهم ، حتى تبل جيوبهم ، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف ؛ خوفاً من العقاب ، ورجاء الثواب " [4] .

وكان علي زين العابدين – عليه السلام – يقول :" اللهم وأصحاب محمد – ﷺ – خاصة ، الذين أحسنوا الصحبة ، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان ، الذين يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ "[5] خير جزائك " [6].

وقال أبو عبد الله – عليه السلام – :" كان أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وآله – اثني عشر ألفاً ، ثمانية آلاف من المدينة ، وألفان من مكة ، وألفان من الطلقاء ، ولم ير فيهم قدري ، ولا مرجي ، ولا حروري ، ولا معتزلي ، ولا صاحب رأي ، كانوا يبكون الليل والنهار ، ويقولون : اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير " [7].

---

(١) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٦٥. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٨ صـ ١٥٤.

(٢) الشيخ المفيد : الإرشاد جـ ١ صـ ١٤٦. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢١ صـ ١٥٩.

(٣) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ٣ صـ ٢١٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٢ صـ ٤٢٩.الشيخ الأميني : الغدير جـ ١٠ صـ ٣٢١. السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ١ صـ ٤٧٤.

(٤) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ٧ صـ ٧٧.الميرزا النوري : خاتمة المستدرك جـ ١ صـ ٢١٢. المجلسي : البحار جـ ٣٤ صـ ٨٢.

(٥) سورة الحشر : آية رقم ١٠ .

(٦) الإمام زين العابدين : الصحيفة السجادية الجامعة ، تحقيق : السيد محمد باقر الأصفهاني ، ط نمونة ، نشر مؤسسة الإمام المهدي ، مؤسسة الأنصاريان – قم ، ط١ ، ١٤١١هـ صـ ٤٤ – ٤٥ بتصرف . السيد علي الشهرستاني : وضوء النبي جـ ١ صـ ٤٥٨.

(٧) الشيخ الصدوق : الخصال صـ ٦٤٠. الميرزا النوري : خاتمة المستدرك جـ ١ صـ ٢١٢.

ويسأل موسى – ﷺ – ربه سبحانه :" هل في صحابة الأنبياء أكرم عندك من صحابتي ؟ قال الله – عز وجل – : يا موسى أما علمت أن فضل صحابة محمد – صلى الله عليه وآله – على جميع صحابة المرسلين كفضل آل محمد على جميع آل النبيين ، وكفضل محمد على جميع المرسلين؟ "[١].
وقال الله تعالى لآدم – عليه السلام – :" لو أن رجلاً ممن يبغض آل محمد ، وأصحابه الخيرين ، أو واحداً منهم ؛ لعذبه الله عذاباً لو قسم على مثل عدد ما خلق الله ؛ لأهلكهم أجمعين"[٢].
ولما سئل علي عن سبب بيعته لأبي بكر [٣] – رضي الله عنهما – قال :" لولا أنَّا رأينا أبا بكر لها أهلا ؛ لما تركناه " [٤] ، وقيل له : ألا توصي ، قال :" ما أوصى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فأوصي ، ولكن إذا أراد الله بالناس خيراً استجمعهم على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم – صلى الله عليه وآله – على خيرهم " [٥].
وقال في خطبة له :" اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين ، قيل : من هم ؟ قال : أبو بكر وعمر إماما الهدى ، من اقتدى بهما عصم ، ومن تبع آثارهما هدي إلى صراط مستقيم " [٦] ، وفي رواية :" فاغرورقت عيناه [٧] ، ثم قال : حبيباي ، وعماي أبو بكر وعمر ، إماما الهدى ، وشيخا الإسلام ، ورجلا قريش ، والمقتدى بهما بعد رسول الله – صلى الله عليه وآله – " [٨].
وكتب لمعاوية – رضي الله عنه – يوماً :" وذكرت أن الله اجتبى له من المسلمين أعواناً ، أيده الله بهم ، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم ، وكان أفضلهم – كما زعمت – في الإسلام ، وأنصحهم لله ورسوله : الخليفة الصديق ، وخليفة الخليفة الفاروق ، ولعمري إن مكانهما من

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٣ صـ ٣٤١. شرف الدين الحسيني : تأويل الآيات ، ط أمير ، نشر مدرسة الإمام المهدي (الحوزة العلمية) – قم ، ط١ ، ١٤٠٧هـ / ١٣٦٦ش جـ ١ صـ ٤١٨.
(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٦ صـ ٣٣١. السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ ٢ صـ ١٨٨.
(٣) أبو بكر الجوهري : السقيفة وفدك رواية ابن أبي الحديد المعتزلي ، تحقيق : محمد الأميني ، نشر شركة الكتبي – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م صـ ٤٠.
(٤) نقل وقوع بيعة علي لأبي بكر من أول يوم في خلافة أبي بكر بيعة خاصة الحاكم : المستدرك ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م جـ ٣ صـ ٨٠ . والطبري : تاريخ الطبري جـ ٥ صـ ٦١٣. وانظر تحقيق ذلك وثبوته في بحث مجدي فتحي السيد : صحيح التوثيق في سيرة وحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صـ ٩٤ – ٩٥.
(٥) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ٢ صـ ٤٠. الشيخ الأميني : الغدير جـ ٥ صـ ٣٦٥.
(٦) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ٣ صـ ١٤٩ – ١٥٠.
(٧) محمد بيومي مهران : الإمامة وأهل البيت ، ط نهضت ، نشر مركز الغدير – قم ، ط٢ ، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م جـ ٣صـ ٣٦.
(٨) الشريف المرتضى : الشافي في الإمامة ، نشر مؤسسة إسماعيليان – قم ، ط٢ ، ١٤١٠هـ جـ ٣ صـ ٩٣.

الإسلام لعظيم ، وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد ، رحمهما الله ، وجزاهما بأحسن الجزاء " [1] .

وجاء في خبر البيعة العامة : لما صلى أبو بكر صلاة الظهر ، رقي على المنبر ، فتشهد ، ثم ذكر شأن علي بن أبي طالب ، وتخلفه عن البيعة ، وعذره بالذي اعتذر إليه ، ثم استغفر ، وتشهد علي بن أبي طالب ، فعظَّم حق أبي بكر وحرمته ، وأنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة[2] على أبي بكر ، ولا إنكاراً للذي فضله الله به ، ولكنَّا كنَّا نرى لنا في هذا الأمر نصيباً ، فاستبد علينا به ؛ فوجدنا في أنفسنا . فسر بذلك المسلمون ، وقالوا : أصبت ، وكان المسلمون إلى علي قريباً حين راجع الأمر بالمعروف [3] ، ولا عجب ، فهو أبوٌ لسيد الشباب الحسن بن علي – عليه السلام – صاحب الموقف النبيل في عام الجماعة .

ونقول : إن صح كلام الشيعة يلزم منه : أن علياً غير معصوم ، حيث بايع أبا بكر وعمر ، وهما كافرين ، ناصبين ظالمين إقراراً منه لهما ، وهذا خارم للعصمة ، وعون للظالم على ظلمه ، وهذا لا يقع من معصوم قط ، أو أن فعله هو عين الصواب ! ؛ لأنهما خليفتان ، مؤمنان ، صادقان ، عادلان ؛ فيكون الشيعة قد خالفوا إمامهم ، في تكفيرهما ، وسبهما ، ولعنهما ، وعدم الرضا بخلافتهما [4] ، فمن نتبع الشيعة أم إمامهم ؟ .

وسألت امرأة جعفر الصادق – عليه السلام – : عن أبي بكر وعمر : أتتولاهما وتحبهما ؛ فقال لها :" توليهما[5] قالت : فأقول لربي إذا لقيته : إنك أمرتني بولايتهما؟ قال : نعم " [6] .

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٣ صـ ١١٠. الشيخ المحمودي : نهج السعادة جـ ٤ صـ ١٧٦ – ١٧٧ بنحوه .

(٢) نفاسة : نَفُسَ الشيء نفاسةً فهو نفيس: أي جيد مرغوب فيه . وقرأ بعضهم :" لقد جاءكم رسولٌ من أَنْفَسِكُمْ " بفتح الفاء . التوبة : ١٢٨. أي : من أفضلكم وأكثركم طاعةً لله تعالى . انظر نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ١٠ صـ ٦٧٠٥.

(٣) ابن حبان : صحيح ابن حبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م جـ ١٤ صـ ٥٧٣. مجدي فتحي السيد : صحيح التوثيق في سيرة وحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صـ ١٠٠-١٠٢.

(٤) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق صـ ١٠.

(٥) يقول د حسين الموسوي : لما سألت الإمام الخوئي عن قول أبي عبد الله للمرأة بتولي أبي بكر وعمر ، قال : إنما قال لها ذلك تقية ! وأقول للإمام الخوئي : إن المرأة كانت من الشيعة ، وأبو بصير من أصحاب الصادق – عليه السلام – فما كان هناك موجب للتقية ؛ فالحق إن هذا التبرير الذي قال به الخوئي غير صحيح . د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ صـ ٢٥ بتصرف .

(٦) الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ صـ ١٠١. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٠ صـ ٢٤١.

ويقول علي عن بيعته لعثمان – رضي الله عنهما – :" لمَّا قُتِل عمر ، جعلني سادس ستة ، فدخلت حيث أدخلني ، وكرهت أن أفرِّق جماعة المسلمين ، وأشق عصاهم ، فبايعتم عثمان ؛ فبايعته " [١] .

وماذا يفعل الشيعة حين يسمعون أمير المؤمنين – عليه السلام – يقول على المنبر :" رحمهم الله تعالى ، فوا الذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن فاضل ، ولا يبغضهما ، ويخالفهما إلا شقي مارق ، وحبهما قربة ، وبغضهما مروق " [٢].

ويقول الباقر – عليه السلام – :" بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ، ويتناولون أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – ويزعمون أنّي أمرتهم بذلك ، فأبلغهم أنّي إلى الله منهم برئ والذي نفس محمد بيده : لو وُلّيتُ لتقربت إلى الله بدمائهم ، لا نالتني شفاعة محمد – ﷺ – أبداً إن لم أكن أستغفر لهما ، وأترحم عليهما"[٣].

وعن الباقر – عليه السلام – لما قال لأحد الشيعة : إن أبا بكر الصديق كان لسيفه حِلْيَةٌ ، فقال له الرجل : تقول الصديق ؟ قال :" نعم الصديق ، فمن لم يقل الصديق ؛ فلا صدق الله له قولاً في الدنيا ، ولا في الآخرة " [٤] .

وهذه أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – روى الشيعة أن آخر عهد النبي – ﷺ – بالدنيا كان برد ريقها الطاهر فيروون : أن رسول الله – صلى الله عليه وآله – قبل أن يموت دعا بسواك ، فأرسله إلى عائشة ، فقال : لتَبلِينَه لي بريقك ؛ ففعلت ثم أُتِيَ به ، فجعل يستاك به ، ويقول : بذلك ريقي على ريقك يا حميراء ، ثم شخص يحرك شفتيه كالمخاطب ، ثم مات – صلى الله عليه وآله – [٥] .

وقد روى أهل السنة عن عائشة – رضي الله عنها – : " إن من نعم الله علي أن رسول الله – ﷺ – توفي في بيتي ، وفي يومي ، وبين سحري[٦] ، ونحري ، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند

---

(١) الطوسي : الأمالي ص ٥٠٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٢ ص ٢٦٣.

(٢) الشهيد نور الله التستري : الصوارم المهرقة ص ٢٩٢.

(٣) عبد الحليم الجندي : الإمام جعفر الصادق ، ط مطابع الأهرام التجارية ، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ص ١٣٤. محمد بيومي مهران : الإمامة وأهل البيت جـ ٣ ص ٣٥.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٩ هامش ص ٦٥١. الشيخ الماحوزي : كتاب الأربعين ص ٣٢٤.

(٥) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل : جـ ١٦ ص ٤٣٤ – ٤٣٥.

(٦) سحري : ما تحت الذقَن . انظر د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ١ ص ٨١٢.

موته "[1] ، وفي رواية : " فاستن به ، فما رأيت رسول الله – ﷺ – استن استناناً قط أحسن منه ، فما عدا أن فرغ رسول الله – ﷺ – رفع يده أو إصبعه ، ثم قال : في الرفيق الأعلى ثلاثاً ، ثم قضى" [2] ، " فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا " [3] .

الشيعة وموقفهم من مرويات الصحابة :

بالطبع لا تأخذ الشيعة الاثنا عشرية من مرويات أهل السنة إلا ما وافق عقائدهم ، وعلتهم أن من تتبع أحاديث العامة يجد أن : جملة كثيرة من الأحاديث ذوات الأسباب قد طرحوا أسبابها ، وذكروها بلا أسباب ، فليس هذا منهم إلا لأغراض فاسدة ، من كتم فضائل أهل بيت العصمة ، ومناقب آل الرحمة ، ومن ستر عيوب ومثالب أعدائهم ، ونحو ذلك [4] .

ولذلك فإن الشيعة لا يعتبرون من السنة إلا ما صح من طريق أهل البيت ، أما ما يرويه مثل أبي هريرة [5] ، وسمرة بن جُنْدَب[6] ، وعمرو بن العاص ، ونظائرهم ، فليس لهم عند الإمامية مقدار بعوضة [7] .

وعن جعفر بن محمد – عليهما السلام –:" ثلاثة كانوا يكذبون على رسول الله – صلى الله عليه وآله – منهم : أبو هريرة ، وامرأة [8] ، ومن هؤلاء معاوية ، الذي كان لا يتحرج من الكذب والاختلاق فيما فيه تأييد لسياسته ، ويوم امتد سلطانه ، وعم البلاد والعباد ، وازدادت حاجته إلى الوضع والاختلاق ، استمد في ذلك من غيره . وفي هذه الحرب حرب الدعاية ، ومسابقة وضع الحديث

---

(١) الإمام البخاري : صحيح البخاري جـ ٤ صـ ١٦١٦. الإمام أحمد : المسند جـ ٤٠ صـ ٢٦١ بنحوه .

(٢) الإمام أحمد : المسند جـ ٤٠ صـ ٢٦١ بنحوه . الإمام البخاري : صحيح البخاري جـ ٤ صـ ١٦١٣.

(٣) الإمام أحمد : المسند جـ ٤٠ صـ ٢٦١.

(٤) أبو الفضل حافظيان البابلي : رسائل في دراية الحديث جـ ٢ صـ ١٨٠ بتصرف .

(٥) أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ صَخْرٍ ، الفَقِيْهُ ، الحَافِظُ ، كُنِيَ بِأَوْلاَدِ هِرَّةٍ بَرِّيَّةٍ. وَأُمُّهُ : مَيْمُوْنَةُ بِنْتُ صَبِيْحٍ ، حَمَلَ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عِلْماً كَثِيْراً، لَمْ يُلْحَقْ فِي كَثْرَتِهِ ،كَانَ مَقْدَمُهُ وَإِسْلاَمُهُ فِي أَوَّلِ سَنَةِ سَبْعٍ ، عَامَ خَيْبَرَ ، مات سَبْعٍ وَخَمْسِيْنَ ، وقيل تِسْعٍ وَخَمْسِيْنَ ، وَلَهُ ثَمَانٌ وَسَبْعُوْنَ سَنَةً . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ٥٧٨ — ٦٣٢.

(٦) سَمُرَةُ بنُ جُنْدُبِ بنِ هِلاَلٍ الفَزَارِيُّ : مِنْ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ ، نَزَلَ البَصْرَةَ ، عَظِيْمَ الأَمَانَةِ، صَدُوْقاً. مَاتَ : ثَمَانٍ وَخَمْسِيْنَ.وَقِيْلَ: سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِيْنَ. وَكَانَ شَدِيْداً عَلَى الخَوَارِجِ ، قَتَلَ مِنْهُم جَمَاعَةً . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ١٨٣ — ١٨٦.

(٧) محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها صـ ٧٩.

(٨) قال عبد الرحيم الشيرازي :" المراد بالمرأة عائشة " . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ هامش صـ ٢٤٢.

لذم جماعة ، ومدح آخرين استجاب لمعاوية جماعة من الصحابة ، نظراء المغيرة بن شعبة [1] ، وعمرو بن العاص ، وسمرة بن جندب ، وأبي هريرة ، من طلاب الإمرة والمال ، ممن كان في دينه رقة ، وفي نفسه ضعف ، وجعل لهم على أن يضعوا أحاديثاً في ذم علي – عليه السلام – جُعْلاً يرغب في مثله ، فاختلقوا ما أرضاه ، مثل حديث " عائشة أن النبي – صلى الله عليه وآله – : قال عن العباس وعلي – رضي الله عنهما – : يا عائشة ! إن هذين يموتان على غير ملتي ، أو قال : ديني[2] " ، أو قال : إن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار ؛ فانظري إلى هذين " ، وكانت نتيجة ما فعله معاوية آلاف الأحاديث الموضوعة التي ورثناها [3] .

والعجب أن علماء أهل السنة قد بهرتهم هذه الأحاديث الموضوعة ، والمجعولة إلى حد أن بنوا عقائدهم ، وأحكام دينهم على أساس هذا النوع من المختلقات ، والموضوعات الهزيلة [4] .

وهذا أبو هريرة يقر على نفسه ويقول : " هذا من كيس أبي هريرة " [5] ؛ وبناء على هذا الإقرار والاعتراف من أبي هريرة ، وأنه كان يخرج من كيسه أباطيل ، وأراجيف ، وينقلها للناس على أنها قول الرسول – صلى الله عليه وآله – وسيرته [6] .

وذلك لأن الصحابة من شيعة الشيطان ؛ كما قال أبو عبد الله – عليه السلام – : " خروج القائم من المحتوم ، ينادي مناد من السماء أول النهار : ألا إن الحق في علي وشيعته ، ثم ينادي إبليس في آخر النهار : ألا إن الحق في عثمان وشيعته ، فعند ذلك يرتاب المبطلون " [7] .

---

(١) المغِيْرَةُ بنُ شُعْبَةَ بنِ أَبِي عَامِرِ بنِ مَسْعُوْدِ بنِ مُعَتِّبٍ : الأَمِيْرُ أَبُو عِيْسَى. وَأَبُو عَبْدِ اللهِ. وَأَبُو مُحَمَّدٍ ، مِنْ أُوْلِي الشَّجَاعَةِ وَالمَكِيْدَةِ ، شَهِدَ بَيْعَةَ الرُّضْوَانِ ، ذَهَبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ اليَرْمُوْكِ ، وَقِيْلَ : يَوْمَ القَادِسِيَّةِ. وَكَانَ دَاهِيَةً ، يُقَالُ لَهُ: مُغِيْرَةُ الرَّأْيِ. مَاتَ أَمِيْرًا لِلْكُوْفَةِ ؛ سَنَةَ خَمْسِيْنَ ، وَلَهُ سَبْعُوْنَ سَنَةً . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ ص ٢١ – ٣٢.

(٢) لم أجده في أي كتاب من كتب أهل السنة بهذا المتن ولا بالمعنى على حد بحثي المتواضع .

(٣) السيد مرتضى العسكري : أحاديث أم المؤمنين عائشة أدوار من حياتها ص ٣٧٣ – ٣٧٥ بتصرف.

(٤) الشيخ محمد صادق النجمي : أضواء على الصحيحين ، ترجمة : الشيخ يحي كمالي البحراني ، ط : پاسدار إسلام ، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية – قم ، ط١ ، ١٤١٩هـ ص ٢٥١.

(٥) رواه ابن حجر في الفتح وقال :" فلا يصح ذلك عن أبي هريرة ؛ لأنه من رواية عمر بن قيس ، وهو متروك ، حتى وإن صح فهي منقبة له ، فإنه لا يتجرأ على نسبة الكلام للنبي ، فهو يعترف أنه من رأيه حتى يعلم السامع أنه قول ليس بمعصوم . أو هو دليل على حفظه من رسول الله ، فكلمة كَيس بالفتح أي ممّا عنده من العِلم المُقْتَنَى في قَلْبه كما يُقْتَنَى المال في الكِيس ، ورَواه بعضهم بفتح الكاف : أي من فِقْهِه وفِطْنَتِه لا من روايته . ابن الجزري : النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، نشر المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م جـ ٤ ص ٤٠٨. ابن حجر: فتح الباري جـ ٤ ص ١٧٢. انظر ابن حزم : الإحكام في أصول الأحكام ، نشر دار الحديث – القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٤هـ جـ ٦ ص ٢٤٧.

(٦) الشيخ محمد صادق النجمي : أضواء على الصحيحين ص ٢٥٠–٢٥١.

(٧) الطوسي : الغيبة ص ٤٥٤ بتصرف .المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ ص ٢١٢.

مع أن علياً – رضي الله عنه – " لم يكن ينسب أحداً من أهل حربه إلى الشرك ، ولا إلى النفاق ، ولكنه كان يقول : هم إخواننا بغوا علينا " [1]، وكان يقول لأتباعه :" كرهت لكم أن تكونوا لعانين ، شتامين ، تشتمون ، وتتبرؤون ، ولكن وصفتم مساوئ أعمالهم ؛ فقلتم : من سيرتهم كذا وكذا ، ومن عملهم كذا وكذا ، وكذا كان أصوب القول ، وأبلغ في العذر ، ولو قلتم مكان لعنكم إياهم ، وبراءتكم منهم : اللهم احقن دمائهم ودمائنا ، وأصلح ذات بينهم وبيننا ، لكان أحب إليَّ ، وخير لكم " [2] ، ويقول الرضا – عليه السلام – :" قال الله لموسى – عليه السلام – يا موسى أما علمت أن فضل صحابة محمد على جميع صحابة المرسلين ؛ كفضل آل محمد على جميع آل المرسلين ؛ وفضل محمد ﷺ على جميع المرسلين " [3] .

من آثار التقديس في عقيدة العصمة : إبطال إمامة غير الأئمة الاثني عشر :

إن الإمامة خلافة الله ، وخليفة الرجل من ينوب منابه في إنفاذ أموره ، ومن البين أن خليفة الله وخليفة الرسول [4] يجب أن يكون عالماً بجميع ما يحتاج إليه الخلق ، وعارفاً بجميع الحقائق ، وفاعلاً لجميع الخيرات ، وموصوفاً بجميع الصفات الجميلة ، ومنزهاً عن جميع الصفات الرذيلة ، ومن لم يكن كذلك ، وانتحل اسم الخلافة ، فهو من الجائرين الهالكين ؛ ولذلك لما كتب أبو بكر إلى أبيه ، وهو في اليمن ، وأخبره بأن الصحابة جعلوه خليفة ؛ لكونه شيخاً مسناً ، كتب إليه أبوه إن كان استحقاق الخلافة بالسن ، فأنا أولى بها منك ، وإن كان بالعلم ، والعمل ، والقرابة ؛ فعليُّ بن أبي طالب أولى من الجميع ؛ فقد ظلمتموه " [5] .

وبعد ما توفى الرسول الأعظم – صلى الله عليه وآله – وتركت الأمة وصيته في التمسك بأهل بيته ، والانقياد إليهم ، وبدأ الانحراف الكبير ، وغصبت الخلافة من أهلها ، وسقطت بيد أناس كان هدفهم تسيير الدين على ما تشتهيه أنفسهم ؛ كان أئمة الحق وشيعتهم في أكثر الأعصار

---

(١) الحميري القمي : قرب الإسناد صـ ٩٤.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٢ صـ ٣٩٩ بتصرف .

(٣) المصدر السابق جـ ٣١ صـ ٣٤١ بتصرف .

(٤) ومن العقل : أنه لم يستحق واحد من الصحابة اسم الخلافة في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا أبو بكر ، فقد استحق هذا الاسم لاستخلافه في الصلاة في مرض موته ، وكذلك لم يسم أحد أرسله الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأمر ، أو ولاه ولاية باسم خليفة ، بل كان يسمى رسولا أو أميراً ، أما أبو بكر فكان يقال : استخلفه رسول الله في الصلاة ، وهذا بالإجماع من الصحابة ؛ فصح أن يكون خليفة على دنياهم كما كان خليفة على دينهم . انظر عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية صـ ٥٥-٥٦ بتصرف .

(٥) مولى محمد صالح المازندراني: شرح أصول الكافي جـ ٥ صـ ٢٠٤-٢٠٥.

مختفين في زاوية التقية ، متوقعين من ملوك أعصارهم نزول البلية ، إلا في بعض الأزمنة القليلة التي أتيحت لهم الفرصة لبث علومهم ونشرها " [١] .

و لأن الإمام يجب أن يكون معصوماً ؛ ومتى تقرر ذلك كان الإمام هو عليٌّ – عليه السلام – لأن أبا بكر وعمر وعثمان لم يكونوا معصومين اتفاقاً ، وعليٌّ معصوم ؛ فيكون هو الإمام [٢].

وعليه فإن الشيعة الاثني عشرية تذهب إلى تخطئة المتقدمين على أمير المؤمنين – عليه السلام – والمعتزلة ، والشيعة ، وأكثر المرجئة ، وأصحاب الحديث : يضللون طلحة والزبير في قتالهم أمير المؤمنين – عليه السلام – [٣].

وعلى ذلك لا طاعة لمن تقدم على عليٍّ ، حيث اتفق المسلمون على عدم وجوب إطاعة أحد غير الله ورسوله ممَّن لم يثبت عصمته ؛ لأن المسلمين جميعاً نقلوا عن أبي بكر وعمر فتاوى في مسائل ، وخالفوهما ، ولم يروا قولهم حجة ، بل قالوا : إنهم مجتهدين يجوز أن يخطئا [٤] .

مما يحدوا إلى جواز عدم الاقتداء بهما ، لاستحالة الاقتداء بهما فيما اختلفوا فيه ؛ لأننا إذا جوزنا الاقتداء بأحدهما ، فقد خالفنا الآخر ، وقد ثبت أن الله لا يكلف عباده بمحال ، ولا يشرع ذلك من النبي – ﷺ – حيث لا مانع من ضلالهما ، ونقصهما عقلاً ، فكيف يأمرنا الله بإتباع الضالين والناقصين ؟ [٥] ، مع كونهم ليسوا بكاملي العلم [٦] ؛ لذلك فقد أجمعت الإمامية على أن علي بن أبي طالب – عليه السلام – هو خليفة رسول الله بلا فصل "[٧] .

وزادوا على ذلك أن جعلوا لعن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاوية ، وعائشة ، وحفصة – رضي الله عنهم – وبني أمية ، وأعداء الدين دبر كل صلاة مكتوبة من أفضل القربات [٨].

ويجرئون علي أقوال شنيعة فيهم ، فيدعون أنهم :" اتخذوا العجل رباً ، والشياطين حزباً ؛ كل ذلك بغضة لبيت الصفوة ، ودار العصمة ، وحسداً لمعدن الرسالة والحكمة ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ، فتباً لهم ، وسحقاً ، كيف اختاروا إماماً جاهلاً عابداً للأصنام؟ جباناً يوم الزحام ؟ [١].

---

(١) العلامة الحلي : قواعد الأحكام جـ ١ص ٣٣.

(٢) ابن مطهر الحلي : منهاج الكرامة في إثبات الإمامة صـ ٧١-٧٢ بتصرف .

(٣) الشيخ المفيد : الإفصاح صـ ٨١ بتصرف.

(٤) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٦ هامش صـ ٨٦.

(٥) الشيخ المفيد : الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين – عليه السلام – صـ ٢١٩-٢٢٢ بتصرف.

(٦) العلامة الحلي : المستجاد من الإرشاد صـ ١٧٨.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٣ صـ ١٥٦ بتصرف.

(٨) السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ ٥ صـ ٣٧٩. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٤ صـ ١٠٣٧.

ويتهمون أهل السنة : أنهم حين رأوا أن اشتراط العصمة يوجب إخراج جميع الخلفاء ، إلا من شذ منهم من استيهال الخلافة ؛ جددوا النظر في كل قول يقرب من هذا الشرط ، وخالفوا الاثني عشرية في أكثرها ليخرجوا من هذا المأزق [٢] .

وينسحب الحكم على كل من تولى منصب الخلافة بعد الخلفاء الراشدين ؛ لأنه لازم من اشتراط العصمة كون كل من جلس مجلس الأئمة – عليهم السلام – وهو ليس من أهل العصمة ؛ أن يكون ظالماً غاصباً ، وكل من شاركه في ظلمه شريكاً معه ؛ ولذلك يشركهم من أهل الخلاف كل من رضي بالحكومات الجائرة [٣] ، حتى وإن كان شيعياً فاضلاً.

وأبطلوا إمامة زيد بن علي لأن :" زيداً – رحمه الله – كان إماماً في العلم ، والزهد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ولكن ينفون عنه الإمامة الموجبة لصاحبها العصمة ، والنص ، والمعجز ، وهذا لا يخالف عليه أحد من الزيدية "[٤] .

ثم يبدءون في ذكر أدلة العقل على لإبطال خلافة من تقدم على الإمام علي مستكملين ما سبق ذكره بأشياء منها : وأجمعوا على أن الفاسق قبل عقد الإمامة له ؛ إذا عقدت له الخلافة ؛ فهي باطلة ، ولا تنعقد ؛ فما بالك بالكافر كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاوية ، كما لا تنعقد بيعة يزيد ؛ لأن يزيد بن معاوية كان كذلك قبل انعقادها له [٥] .

أما تشريك الخلفاء الثلاثة في استحقاق الخلافة مع علي – رضي الله عنهم –: " فليس له دليل لا عقلاً ، ولا نقلاً ، بل هو كتشريك الأصنام مع الله – تعالى – في العبادة [٦].

وكيف يبايعون من بايعه الشيطان ؛ فعن سلمان الفارسي – رضي الله عنه – قال رسول الله – ﷺ – عن بيعة أبي بكر – رضي الله عنه – : " أول من يبايعه على منبري إبليس – لعنه الله – في صورة رجل شيخ كبير مستبشر " [٧] .

ومن أدلة بطلان خلافة أبي بكر: أن فاطمة بنت رسول الله – ﷺ – أرسلت إليه تسأله ميراثها من أبيها – ﷺ – مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك ، وما بقي من خمس خيبر ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّ

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ ص ١٧٢.

(٢) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٥ هامش ص ٢٥٣.

(٣) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٣٧٦.

(٤) الشيخ الطوسي : تهذيب الأحكام في شرح المقنعة جـ ١ص١٩ بتصرف .

(٥) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١١ ص ١٦ بتصرف .

(٦) المصدر السابق جـ ٧ ص ٩٧ بتصرف.

(٧) الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ ص ٣٤٤. الشيخ الطبرسي : الاحتجاج جـ ١ ص ١٠٧.

رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قال : لا نورث ما تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ ، لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَأْكَلِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – عَنْ حَالِهَا الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – ولأعملَنَّ فيها بما عَمِلَ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ مِنْهَا شَيْئًا [١].

وإذا وجب قبول قول فاطمة – عليها السلام – بدلائل صدقها ، واستغنت بعصمتها عن الشهود لها ؛ ثبت أن من منعها حقها في ميراث أبيها قد جار [٢] في حكمه ، وآذى الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم – بإيذائه فاطمة – عليها السلام – قال الله – ﷻ – : " إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا " [٣] ، فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَيه مِنْ ذَلِكَ ؛ فهَجَرَتْه فَلَمْ تُكَلِّمْه حَتَّى تُوُفِّيَتْ [٤] ؛ وبذلك بطلت خلافته لكونه ظالما ؛ ولا ينال عهد الله الظالمين [٥].

---

(١) الخطيب التبريزي : المصابيح وصححه الألباني جـ ٢ص ٢٤٢،.

(٢) بوب الكليني بابا في الكافي بعنوان : إن النساء لا يرثن من العقار شيئا " ، وروى عن أبي جعفر – عليه السلام – قوله :" النساء لا يرثن من الأرض ، ولا من العقار شيئا " . فلا حق لفاطمة – رضي الله عنها – أن تطالب بميراثها ، وروى الكليني : أن " ما كان لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهو للأئمة من آل محمد " ؛ فأحق الناس بالمطالبة بفدك هو علي ؛ لأنه أول إمام ، ولم نره فعل ذلك فمن نتبع . انظر الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٤٧٦ ، وفروع الكافي جـ ٧ صـ ١٢٧.

(٣) سورة الأحزاب : آية رقم ٥٧ .

(٤) ولكن الأمر انتهي لما أَرْسَلَ عليٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنِ ائتِنا وَلَا يَأْتِنَا مَعَكَ أَحَدٌ ، وَكَرِهَ عليٌ أَنْ يَشْهَدَهُم عُمَرُ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ عُمَرَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ وَحْدَكَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا عَسَى أَنْ يَفْعَلُوا بِي ، وَاللَّهِ لَآتِيَنَّهُمْ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فتشهَّد عَلِيٌّ ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك اللَّهُ ، وَإِنَّا لَمْ نَنْفَسْ عَلَيْكَ خَيْرًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَكِنَّكَ اسْتَبْدَدْتَ عَلَيْنَا بِالْأَمْرِ ، وَكُنَّا نَرَى لَنَا حَقًّا، وَذَكَرَ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَحَقَّهُمْ . فَلَمْ يَزَلْ يَتَكَلَّمُ حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَا أَبِي بَكْرٍ ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي ، وَأَمَّا الَّذِي شَجَرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ ، فَإِنِّي لَمْ آلُ فِيهَا عَنِ الْخَيْرِ ، وَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَتْرُكَ فِيهَا أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَصْنَعُ فِيهَا إِلَّا صَنَعْتُهُ ، قَالَ عَلِيٌّ : موعدُك الْعَشِيَّةَ لِلْبَيْعَةِ ، فَلَمَّا أَنْ صَلَّى أَبُو بَكْرٍ صَلَاةَ الظُّهْرِ ، ارْتَقَى عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَتَشَهَّدَ وَذَكَرَ شَأْنَ عَلِيٍّ ، وتخلُّفه عَنِ الْبَيْعَةِ ، وعَذَرَهُ بِالَّذِي اعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ فَعَظَّمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى الذي صنع نفاسةٌ على أبي بكر ، ولا إِنْكَارُ فَضِيلَتِهِ الَّتِي فضَّلَه اللَّهُ بِهَا ، فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ ، وَقَالُوا لِعَلِيٍّ : أَصَبْتَ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَلِيٍّ قريباً حين راجع على الأمر بالمعروف . صحيح ، انظر العلامة الألباني : التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه ، وشاذه من محفوظه ، ط دار باوزير – جدة ، ط١، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م جـ ٧ صـ ١٨٢ .

(٥) الشيخ المفيد : الفصول المختارة صـ ٨٩ .

ولكن ننبه : إن الله تعالى صان الأنبياء أن يورثوا دنيا ، لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم ؛ بأنهم طلبوا الدنيا ، وورثوها لورثتهم ، ثم إن من ورثة النبي – ﷺ – أزواجه ، ومنهم عائشة ، وقد حرمن نصيبهم من الميراث ، ولم يعطهم أبو بكر شيئا [١].

ومن ذلك أن الناس بعدما اتفقوا جميعاً على عدم عصمة أبي بكر ، اختلفوا في عدالته فقالت طائفة : كان عدلا ، أخرى : لم يكن عدلا ؛ لأنه أخذ ما ليس له ، فمن أجمعوا على عدالته ، واختلفوا في عصمته أولى بالإمامة ، ممن اختلفوا في عدالته ، واتفقوا على نفي العصمة عنه [٢].

وأما إبطال خلافة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فلأساب كثيرة منها أنه :" بشر غير معصوم ، يخطئ ويصيب ، ويغضب ويرضى ، ويشتد ويفتر ، ويأمر وينهى أحيانا بخلاف ما أنزل الله ، وبعد فتوره يعود إلى رشده ، ثم يصحح كلامه ، وشتان بين من يقول :" سلوني قبل أن تفقدوني " ، ومن قال سبعين مرة :" لولا عليٌّ لهلك عمر "، و:" كل الناس أفقه من عمر " [٣] .

ودخل يهودي المدينة بعد هلاك أبي بكر ، وتولي عمر ، وهو يزعم أنه أعلم أهل زمانه ، حتى رُفِعَ إلى عمر ، فقال له : يا عمر إني جئتك أريد الإسلام ، فإن أخبرتني عما أسألك عنه فأنت أعلم أصحاب محمد بالكتاب والسنة ، وجميع ما أريد أن أسأل عنه ، قال عمر : إني لست هناك ، لكني أرشدك إلى من هو أعلم أمتنا بالكتاب والسنة وجميع ما قد تسأل عنه ، وهو ذاك ، وأشار إلى علي ؛ فقال اليهودي : إن كان هذا كما تقول ، فمالك ولبيعة الناس فزبره عمر ! [٤] .

ولذلك فإن بعض الشيعة يعتقدون أن إبليس أرفع مكاناً في النار من عمر ، وأن لإبليس شرف عليه في النار ، وأن أبا بكر وعمر يحملان كل ذنوب أمة محمد إلى يوم القيامة " [٥] .

ويؤتى بإبليس مقيداً في سبعين غلاً ، فينظر إلى زفر[٦] – يعني عمراً – في عشرين ومائة كبل ، وعشرين ومائة غل ، ويقول : من هذا الذي أضعفه الله العذاب ، وأنا أغويت الخلق جميعاً ؟ فيقال: هذا زفر ، فيقول : بما جدر له هذا العذاب ؟ فيقال : ببغيه على علي –عليه السلام– [١] .

---

(١) القاضي أبو بكر بن العربي : العواصم من القواصم هامش صـ ٤٨ – ٤٩ بتصرف .

(٢) الشيخ المفيد: الفصول المختارة صـ ١٢٠ .

(٣) كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها صـ ١٧٥ بتصرف.

(٤) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٧ صـ ٣٧١.

(٥) سامح عباس الغنيمي: عقائد الشيعة الإمامية الإثني عشرية صـ ٤٤.نقلا عن المعالم الزلفى للبحراني صـ ٣٢٤.

(٦) الزَّفْرُ: السقاء الذي يُحمل فيه الماء، ومنه قيل للإماء اللاتي تحملن القِرب: زَوَافِر، والزُّفَرُ: النهر ، نوع من الشبّ وسخ يميل إلى الصفرة ويسمى أيضاً دهن الجبل ، زَفِر تصحيف ذفر: نتن ، عفن ، زفرة: قذارة وكلام قذر بذيء، وشتائم بذيئة . وقيل : الشجاع والسيد الكبير

ونتساءل : هل يكون البغي على عليٍّ أعظم جرماً ، وعقاباً من البغي أمام الله – ﷺ – ؟ ![2] .
ولذلك كان :" من ضرورات دين الإمامية : البراءة من أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاوية [3].
وقد أطلقت الاثني عشرية على أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – ألقاباً سيئة منها : الجبت والطاغوت [4] ، وصنمي قريش الذيّن يجب لعنهما في كل زيارة لآل البيت [5] ، بل وبعد الصلوات [6] ، وعدو ذلك من المستحبات ؛ فقد روي عن أبي عبد الله – عليه السلام – :" أنه كان يلعن دبر كل مكتوبة أربعة من الرجال ، وأربعاً من النساء : الخلفاء الثلاثة ، ومعاوية ، وعائشة ، وحفصة ، وهند[7]، وأم الحكم [8] أخت معاوية [9] .
وسموهم بالأوثان الأربعة مع عثمان ومعاوية ، وقلبوا أسمائهم ؛ فقالوا الأوثان الأربعة هم : { أبو الفصيل (أبو بكر) ، ورمع [10] (عمر) ، ونعثل [1] (عثمان) ، ومعاوية } [2] .

والبحر والنهر الكثير الماء والرجل الجواد والعطية الكثيرة والكتيبة . نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ٥ صـ ٢٨٠٧ — ٢٨٠٨. رينهارت بيتر : تكملة المعاجم العربية جـ ٥ صـ ٣٣٧ ، جـ ٦ صـ ٣٢٠. المعجم الوسيط ، مادة زفر جـ ١ صـ ٣٩٥.

(١) المجلسي: بحار الأنوار جـ ٣٠ صـ ٢٣٢ – ٢٣٣.

(٢) د إيمان العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية صـ ٥٤٧.

(٣) المجلسي: الاعتقادات صـ ٩٠.

(٤) الكليني : الأصول من الكافي جـ ١ صـ ٤٢٩.

(٥) الشهيد الأول : ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة جـ ٣ صـ ٤٥٤.

(٦) مستدرك الوسائل جـ ١٠ صـ ٣٤٢.

(٧) هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ : زوج أَبِي سُفْيَانَ ، أُمُّ مُعَاوِيَةَ ، رَوَتْ عَنْهَا عَائِشَةُ ، قرشية، عالية الشهرة. تزوجت بعد مفارقتها لزوجها الأول " الفاكه بن المغيرة " المخزومي ، وكانت فصيحة ، جريئة ، صاحبة رأي ، وحزم ، ونفس وأنفة، تقول الشعر الجيد ، في قتلى " بدر " من مشركي قريش ، ووقفت في أحد ترتجز في تحريض المشركين ، والنساء من حولها يضربن الدفوف ، وكانت لها تجارة في خلافة عمر. وشهدت اليرموك ، وحرضت على قتال الروم ، وحسن إسلامها ، ماتت ٢٤هـ / ٦٣٥م . انظر أبو نعيم : معرفة الصحابة جـ ٦ صـ ٣٤٦٠. الزركلي : الأعلام جـ ٨ صـ ٩٨ — ٩٩.

(٨) أُمِّ الْحَكَمِ : بِنْتِ سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، أم عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي الكوفي ، وأمها هند بنت عتبة ، طلقها عياض بن غنم الفهري ، فتزوجها أبو عقيل عبد الله بن عثمان . انظر أبو نعيم : معرفة الصحابة جـ ٤ صـ ١٨٤٣. الزركلي : الأعلام جـ ٣ صـ ٣١٢.

(٩) الكليني : الفروع من الكافي جـ ٣ صـ ٣٤٢. الطوسي : التهذيب جـ ٢ صـ ٣٢١. المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٨ صـ ٥٢٨.المحقق الأردبيلي : مجمع الفوائد جـ ٣ هامش صـ ٣٤١.

(١٠) رمع : يقال: رَمَعَ أنفه : إذا تحرك من شدة الغضب ، ويقال: قبَّح الله أمّاً رَمَعَتْ به : أي ولدته ، ورَمَعَ : إذا طأطأ رأسه ثم رفعه ، وارمعلَّ الصبيُّ : إذا سال لُعابه . انظر نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ٤ صـ ٢٦٣٣ – ٢٦٣٤.

فلاحظ : لفظ البَكْر معناه : الفتى القوي من الإبل [٣] ، بينما الفصيل هو : ولد الناقة الصغير بعد فطامه [٤] ، كما سموهما : (زريق[٥] وحبتر[٦]) [٧]، وسمو عمراً : زفر [٨] ، ودلام[٩] [١٠] .

وهم أعداء الأئمة مع الصحابة إلا سبعة [١١] ، وهما كافران ؛ فهما لا يصلحان لمقام الإمامة لأن :" مثل هؤلاء الأفراد الجهال ، الحمقى ، والأفاكون ، والجائرون ، غير جديرين بأن يكونوا في موضع الإمامة ، وأن يكونوا ضمن أولي الأمر " [١٢].

ولأنه :" لا يخفى على المتتبع وقوع الاختلاف بين علي ، وعمر ، وعثمان ، وكذا سائر أئمتنا وأئمتهم ، وقد علم صدق أئمتنا بالكتاب ، والسنة ، والإجماع ، دون أئمة المخالفين ؛ فثبت إمامة أئمتنا ، ووجوب الكون معهم ، وبطلان إمامة أئمتهم [١٣].

ويسمون أبا بكر وعمر بالجبت[١٤] والطاغوت ، ويسمون الخلفاء من بعدهم الشياطين [١٥] ؛ والسبب أنهما " اتفقا مع خالد على أن يغدر بأمير المؤمنين ، وهو مشغول بالصلاة ، فيقتله فصرفهم الله – عز وجل – عن ذلك ، وحال خالد اللعين غنيٌّ عن الشرح " [١٦] .

---

(١) النَّعْثَل : الشيخ الأحمق طويل اللحية ، وكانوا إذا عابوا عثمان قالوا : نعثل ، قال ابن الكلبي : شبهوه برجلٍ من أهل مصر اسمه نعثل ، كان طويل اللحية ، للسخرية به ، مع أنه جميل الصورة جداً ، ويقال النعثل التيس الكبير عظيم اللحية . انظر نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ١٠ صـ ٦٦٧٠. رينهارت بيتر: تكملة المعاجم العربية جـ ١٠ صـ ٢٥٢. علي العاملي : الصراط المستقيم جـ٣ صـ ٣٠.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار جـ ٧٢ صـ ٥٨.

(٣) المعجم الوجيز ، مادة : بكر صـ ٥٩ .

(٤) المعجم الوسيط ، مادة : فصل صـ ٦٩١ .

(٥) زُرَيْق : أفعى الأهرام ، وأبو زريق : نوع من الغربان صغير . انظر رينهارت بيتر : تكملة المعاجم العربية جـ ٥ صـ ٣١١.

(٦) الحَبْتَر : القصير . انظر نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ٣ صـ ١٣٢٠ .

(٧) الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين جـ ٣ صـ ١٧ – ١٨ .

(٨) ابن طاووس الحسيني : التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب اليقين ، ط نمونة ، نشر مؤسسة دار الكتاب – قم ، ط١ ، ١٤١٣هـ صـ ٥٣٧.

(٩) الدلام : السواد والأسود . انظر المعجم الوسيط ، مادة دلم صـ ٢٩٤ .

(١٠) المجلسي: بحار الأنوار جـ ٢٤ صـ ٧٢ - ٧٣. علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ٣ صـ ٤٠.

(١١) الخميني : تحرير الوسيلة جـ ١صـ ١٩٦.

(١٢) الخميني : كشف الأسرار صـ ١٠٨ – ١١٢ بتصرف .

(١٣) محمد طاهر القمي الشيرازي : كتاب الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين صـ ٤١٢.

(١٤) الجبت : كل ما عبد من دون الله والكاهن والساحر والسحر . انظر المعجم الوسيط ، مادة جبت جـ ١ صـ ١٠٤.

(١٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٩صـ ١٤٢.

(١٦) المحقق الكركي : رسائل الكركي جـ ٢ صـ ٢٣٠.

ولا يزال هذا الحقد مستمراً ، ففي التسعينات من القرن الماضي ، زار أحد الرؤساء الإيرانيين مسجد رسول الله – ﷺ – ووقف أمام قبره الشريف للسلام ، فلما تنحى ، وكان في مواجهة قبر الشيخين بصق عليهما ، ورآه الناس [١] .

ولكنه لم يتبع في هذا أسياده من الشيعة الأوائل مثل شريك بن عبد الله النخعي[٢] – رحمه الله – حين قال :" قُبِضَ النَّبِيُّ – ﷺ – وَاسْتَخَارَ المُسْلِمُوْنَ أَبَا بَكْرٍ، فَلَو عَلِمُوا أَنَّ فِيْهِم أَحَداً أَفْضَلُ مِنْهُ كَانُوا قَدْ غَشُّونَا ، ثُمَّ اسْتَخلَفَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ ، فَقَامَ بِمَا قَامَ بِهِ مِنَ الحَقِّ وَالعَدْلِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ ، جَعَلَ الأَمْرَ شُوْرَى بَيْنَ سِتَّةٍ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى عُثْمَانَ ، فَلَو عَلِمُوا أَنَّ فِيْهِم أَفْضَلَ مِنْهُ كَانُوا قَدْ غَشُّونَا .

قُلْتُ: هَذَا التَّشَيُّعُ الَّذِي لاَ مَحْذُوْرَ فِيْهِ – إِنْ شَاءَ اللهُ – إِلاَّ مِنْ قَبِيْلِ الكَلاَمِ فِيْمَنْ حَارَبَ عَلِيّاً – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَإِنَّهُ قَبِيْحٌ يُؤَدَّبُ فَاعِلُهُ ، وَلاَ نَذكُرُ أَحَداً مِنَ الصَّحَابَةِ إِلاَّ بِخَيْرٍ، وَنَتَرَضَّى عَنْهُم ، وَنَقُوْلُ : هُم طَائِفَةٌ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ بَغَتْ عَلَى الإِمَامِ عَلِيٍّ ، وَذَلِكَ بِنصِّ قَوْلِ المُصْطَفَى – ﷺ – لِعَمَّارٍ: تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ ؛ فَنَسَأَلُ اللهَ أَنْ يَرْضَى عَنِ الجَمِيْعِ ، وَأَلاَّ يَجعَلَنَا مِمَّنْ فِي قَلْبِهِ غِلٌّ لِلْمُؤْمِنِيْنَ ، وَلاَ نَرتَابُ أَنَّ عَلِيّاً أَفْضَلُ مِمَّنْ حَارَبَه ، وَأَنَّهُ أَوْلَى بِالحَقِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – [٣] .

ويحتفلون بمقتل عمر في اليوم التاسع والعشرين من ربيع الأول ، وبعضهم يقول : إن مقتل عمر كان في التاسع من ربيع الأول ، ويعتبرونه يوم العيد الكبير ، وجعلوا لذلك مراسم وطقوس منها : " ينبغي للإنسان أن يصوم هذه الأيام ، فإن فيها فضلاً كبيراً ، وثواباً جزيلاً " [٤] ، ويستدلون بحديث رووه عن النبي – ﷺ – يبشر فيه علي ، والحسن ، والحسين ، وفاطمة – عليهم السلام – بمقتل عمر ، وأمرهم فيه بالعبادة ، والتوسعة على الأهل بأكل الثريد [٥] ؛ ولذلك يستحب الاغتسال

---

(١) الرئيس هو : رافسنجاني . انظر محمد عبد الرحمن عوض : الشيعة وجذور الكراهية صـ ٢٧ بتصرف.

(٢) شَرِيْكُ بنُ عَبْدِ اللهِ أَبُو عَبْدِ اللهِ النَّخَعِيُّ : وَثَّقَهُ: يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ ولد ٩٥هـ وتوفي ١٧٧هـ .الزركلي : الأعلام جـ ٣ صـ ١٦٣.

(٣) الحافظ الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٨ صـ ٢٠٩.

(٤) ابن إدريس الحلي : السرائر جـ ١ صـ ٤١٩ . علي أصغر مرواريد : الينابيع الفقهية جـ ٦ صـ ٣٠٧.

(٥) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ٢ صـ ٥٢٢ بتصرف .

فيه [1] ، ويسمونه : يوم نزع السواد[2] ، ويوم الغدير الثاني ، ورفع القلم عن الشيعة ، و تحطيط الأوزار ، والبركة ، وفرح الشيعة ، وغيرها الكثير [3] .

وعليه فلا شبهة في كون اليوم التاسع من ربيع الأول يوم شريف عظيم الفضل ؛ لفتوى العلماء الأعلام برجحان التعييد فيه ، والإنفاق على المؤمنين ، والتوسعة على العيال ، والتطيب ، ولبس الجديد من الثياب ، والشكر ، والعبادة ، ولم يزل التعييد فيه مطرداً[4] بين العلماء يأمرون به أتباعهم وعائلاتهم [5] ؛ فقد دخل جماعة من الشيعة على الحسن العسكري – عليه السلام – ، فوجدوه يلبس الجديد ، وأمر الخدم بلبس الجديد ، وأخذ يبخر البيت بالعود ، فسألوه : أهذا يوم فرح لأهل البيت ، قال :" وأي يوم أعظم حرمة عند أهل البيت من هذا اليوم " ، ثم حكى حديث تبشير النبي – ﷺ – بمقتل عمر [6] ، وأكد أنه من أفضل الأعياد عند أهل البيت ومواليهم [7] .

ولكن الثابت أن عمر قتل يوم الاثنين لأربع ليال بقين من ذي الحجة ، سنة ثلاث وعشرين من الهجرة [8] ؛ فالحمد لله على أنهم عموا عن يوم شهادته – رضي الله عنه – .

واعلم أن في مدينة كاشان الإيرانية في منطقة تسمى : " باغي فين " مشهداً على غرار الجندي المجهول [9] ، فيه قبر وهمي لأبي لؤلؤة فيروز الفارسي المجوسي قاتل عمر – رضي الله عنه – ، حيث أطلقوا عليه ما معناه باللغة العربية :" مرقد بابا شجاع الدين " ، وقد كتب على جدران هذا المشهد بالفارسي : " مرك بر أبو بكر ، مرك بر عمر ، مرك بر عثمان " ومعناه بالعربية : الموت لأبي بكر ، الموت لعمر ، الموت لعثمان ، وهذا المشهد يزار من قبل الإيرانيين ، وتلقى

---

(١) السيد اليزيدي : العروة الوثقى ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤١٩هـ جـ ٢ص ١٥٢.السيد الخوئي :كتاب الطهارة جـ ٩ ص ٣٣١.

(٢) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ٣ ص ٣٢٦ . السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ ١٦ ص ٦٩٩.

(٣) من أراد المزيد من هذه الأسماء الكثيرة التي لا تعد كثرة ؛ فلينظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣١ ص ١٢٧ – ١٢٩.

(٤) الإطراد : الشيوع والكثرة . القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١ ص ٩٣.

(٥) حسن بن سليمان الحلي : المحتضر هامش ص ٨٩ بتصرف .

(٦) محمد بن الحسن القمي : العقد النضيد والدر الفريد في فضائل أمير المؤمنين وأهل بيت النبي ، تحقيق : علي أوسط الناطقي ، نشر مؤسسة دار الحديث الثقافية – قم ، ١٤٢٢هـ ١٣٨٠ش ص ٦١ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣١ ص ١١٩ – ١٢٧ باختصار.

(٧) حسن بن سليمان الحلي : المحتضر ص ٨٩ .

(٨) الشيخ المفيد : مسار الشيعة هامش ص ٤٢ .المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٥ ص ٣٧٢.ابن عساكر : تاريخ دمشق ، تحقيق : علي شيري ، نشر دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م جـ ٤٤ ص ١١.

(٩) الجنديّ المجهول : جنديّ استُشهد مجهول الهُويّة ، وقبْر الجنديّ المجهول : نُصُب تُقيمه الدَّولة ؛ لتخليد شهدائها في الحرب . د أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، مادة : ج ن د جـ ١ ص ٤٠٤. والمرجع نفسه مادة : ق ب ر جـ ٣ص ١٧٦٥.

فيه التبرعات ، وكانت وزارة الإرشاد الإيرانية قد باشرت توسعته وتجديده ، وطبعت كارتات تستخدم لإرسال الرسائل والمكاتيب عليها صورته [١].

وكذلك قال أبو عبد الله – عليه السلام – :" لا والله لا يرجع الأمر والخلافة إلى آل أبي بكر وعمر أبداً ، ولا إلى بني أمية أبداً ، ولا في ولد طلحة والزبير أبداً ؛ وذلك أنهم نبذوا القرآن ، وأبطلوا السنن ، وعطلوا الأحكام ، لأنهم الجاهلون بالقرآن ، النابذون له وراء ظهورهم ، المعطلون لأحكامه وحدوده ، التابعون لأهواء نفوسهم الأمارة ، الضالون المضلون [٢].

ولذلك عاقب الله بني أمية بأن يمسخ كل ميت منهم وزغاً ، فقد وقف أمام أبي عبد الله – عليه السلام – وزغٌ فحرك الوزغ لسانه ، فقال أبو عبد الله – عليه السلام – :" إن الوزغ يقول لي : لئن ذكرت عثمان لأسُبَنَّ علياً ، وقال : إنه ليس يموت أحد من بني أمية إلا مسخ[٣] وزغا [٤] .

ثم يتجرؤون على خير من حفظ السر ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – : إن عبد الملك مسخ لما حضره الموت وزغاً ، ثم هرب هذا الوزغ ، فلم يدر أولاده كيف يصنعون ، فجاءوا بجذع نخلة ، ولفوه في الكفن ، ودفنوه ، ولم يطلع على ذلك إلا أبو عبد الله ، وأولاد عبد الملك [٥].

وكيف يفشي سره أبو عبد الله – عليه السلام – ؛ ورسول الله – ﷺ – يقول :" أذكروا محاسن موتاكم " [٦] ، و:" لا تقولوا في موتاكم إلا خيراً " [٧] ، و:" وكفوا عن مساويهم" [٨] .

---

(١) د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ ص ٨١ بتصرف حيث أكد المؤلف أنه رأى هذا المشهد بنفسه.

(٢) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي ج ٥ ص ٢٥٥.

(٣) المسخ : تنزل الروح من البدن الإنساني إلى بدن حيوان يناسبه في الأوصاف كبدن الأسد للشجاع والأرنب للجبان . وقيل : ربما تنزلت إلى الأجسام النباتية ، ويسمى رسخا . وقيل : إلى الجمادية كالمعادن والبسائط ويسمى فسخا . وقيل : إنها تتعلق ببعض الأجرام السماوية للاستكمال . القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء ج ١ ص ٢٤٠ – ٢٤١.

(٤) قطب الدين الراوندي : الخرائج والجرائح ج ١ ص ٢٨٤ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج٢٧ص ٢٦٨ بتصرف. بصائر الدرجات ص ٣٥٣.الكليني : أصول الكافي ج ٨ ص ٢٢٢. قال المجلسي : كأنهم غفلوا عن هذا الخبر إذ لم يذكروه في باب الاحتجاج ، وإن كان مجهولا . انظر المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٨ ص ٥٤.

(٦) السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة ج ١ ص ٣٠٣.ابن أبي جمهور الأحسائي : عوالي اللئاليء ، تحقيق : الحاج آقا مجتبى العراقي ، نشر مكتبة سيد الشهداء – قم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ج ١ ص ٤٣٩.

(٧) الشهيد الأول:القواعد والفوائد، تحقيق : د عبد الهادي الحكيم ، نشر مكتبة المفيد – قم، دت ج ٢ ص ١٥١. المقداد السيوري : نضد القواعد الفقهية ، تحقيق : عبد اللطيف الكوهكمري ، ط الخيام، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي – قم ، ١٤٠٣هـ ص ٢٨١.

(٨) الحلبي : السيرة الحلبية ، نشر دار المعرفة – بيروت ، ١٤٠٠هـ ج ٣ ص ٤٠.

وهذا المسخ :" إما بمسخه قبل موته ، أو بتعلق روحه بجسد مثالي[١] على صورة الوزغ ؛ وهما ليسا تناسخاً[٢] ، أو بتغيير جسده الأصلي إلى تلك الصورة ، ويمكن أن يكون ذهب بجسده إلى الجحيم ، أو أحرق ، وتصور لهم جسده المثالي " [٣] .

فكيف يكون حالهم إذا علموا أن خير خلفاء بني أمية بعد الصحابة : عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – كان يجمع غلة فدك في كل سنة ، ويزيد عليها مثلها ، ويقسمها في ولد فاطمة – عليها – وردها لهم المأمون – رحمه الله – كما قال أبو عبد الله – عليه السلام – : ثم استأثر بها بنو العباس ، إلى أن وُلّيَ المأمون ، فجمع فقهاء البلدان من العامة وغيرهم ، وتناظروا فيها ، فثبت أمرهم بإجماع أنها لفاطمة – صلوات الله عليها – ، وشهدوا بأجمعهم على ظلم من انتزعها منها ؛ فردها في ولد فاطمة وذلك من الأمر المشهور المعروف [٤] .

وحين يسمعون أن علياً – رضي الله عنه – لمَّا قَتَلَ عمرو بن عبد ود[٥] ، قام إليه أبو بكر وعمر فقبلا رأسه [٦] ، وأنهما في عهدهما كانا يعطيان الخمس لعلي يقسمه كيف شاء ، لا ينازعه فيه أحد [٧] ، بل سئل عليٌّ عما فعل أبو بكر وعمر بحقكم من خمس أهل البيت ؟ فقال : أمَّا أبو بكر فما كان في زمانه أخماس ، وما كان منه أوفاناه ، وأما عمر فكان يعطينا حتى أتاه مال فارس ، والسوس[٨] ، أو الأهواز[١] ، فقال لي : إن بالمسلمين خلة – حاجة – فلو تركت حقكم من الخمس

---

(١) الجسد المثالي : مصطلح أفلاطوني معناه : حقيقة مطلقة . د أحمد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ١ صـ ١٠٤.

(٢) التناسخ : تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر من غير تخلل زمان بين التعلقين ؛ للتعشق الذاتي بين الروح والجسد ، وقال الذاهبون إلى التناسخ : إنما تبقى مجردة عن الأبدان النفوس الكاملة التي خرجت كمالاتها من القوة إلى الفعل ، ولم يبق لها شيء من الكمالات الممكنة بالقوة ، فصارت طاهرة عن جمع العلائق الجسمانية ، وتخلصت إلى عالم القدس . وأما النفوس الناقصة التي بقي شيء من كمالاتها بالقوة ، فإنها تتردد في الأبدان الإنسانية ، وتنقل من بدن إلى بدن آخر حتى تبلغ النهاية فيما هو كمال لها من علومها وأخلاقها ، فحينئذ تبقى مجردة مطهرة عن التعلق بالأبدان . القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١ صـ ٢٤٠.

(٣) قطب الدين الراوندي : الخرائج والجرائح جـ ١ صـ ٢٨٤ بتصرف .

(٤) القاضي النعمان المغربي : دعائم الإسلام ، تحقيق : آصف بن علي أصغر فيضي ، نشر دار المعارف – القاهرة ، ١٣٨٣هـ /١٩٦٣م جـ ١ صـ ٣٨٥.

(٥) عمر بن ود : أو عمرو بن عبد ود العامري ، من بني لؤي ، فارس قريش وشجاعها في الجاهلية . أدرك الإسلام ، ولم يسلم ، وعاش إلى أن كانت وقعة الخندق فحضرها ، وقد تجاوز الثمانين ، فقتله علي بن أبي طالب . لم يشتهر عمرو اشتهار غيره من فرسان الجاهلية ؛ لأنه لم يكن صاحب غارات ، ونهب ، قتل ٥هـ / ٦٢٧هـ . الزركلي : الأعلام جـ ٥ صـ ٨١.

(٦) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ٤ صـ ١١٩.

(٧) الشيخ الطوسي : الخلاف جـ ٤ صـ ٢١٥.

(٨) السوس : من كور الأهواز وهي مدينة الأهواز في القديم ، وهي بالفارسية شوش أي جيد ، فتحها أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه – سنة تسع عشرة فدل على جثة دانيال – عليه السلام – . انظر محمد الحميري : الروض المعطار جـ ١ صـ ٣٢٩.

؛ لأصرفنه في خلة المسلمين ، فإذا أتاني مال قضيته لكم ، فقال العباس لا تطعمه في حقنا ، فقلت : ألسنا أحق من أجاب أمير المؤمنين ، وسد خلة المسلمين ، فمات عمر قبل أن يأتيه مال فيعطينا " ؛ فعمر أثبت الحق ، وسأله على وجه القرض ، ولم يخالفه أحد [٢] .

وقد سمَّى الصحابة : (عدواً لله) من يطعن في أبي بكر وعمر وعلي – عليهم رضوان الله – [٣] ، وعن علي – عليه السلام – قال رسول الله – ﷺ – : إنه لم يكن قبلي نبيٌّ إلا قد أُعطي سبعة رفقاء نجباء وزراء ، وإني أعطيت أربعة عشر : حمزة ، وجعفر[٤] ، وعلي ، وحسن ، وحسين ، وأبو بكر ، وعمر ، والمقداد ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو ذر ، وحذيفة[٥] ، وسلمان ، وعمار ، وبلال[٦] "[٧] .

وقال النبي – ﷺ – :" اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر " ، وكان عمر – رضي الله عنه – يرجع إلى قول علي في كثير من المسائل [٨] .

---

(١) الأهواز : مدينة متصلة بالجبل ، فتحها حرقوص بن زهير السعدي في خلافة عمر ، والأهواز هي خوزستان وهي رام هرمز، وبين الأهواز وأصبهان خمسة وأربعون فرسخاً . انظر محمد الحميري : الروض المعطار جـ ١ صـ ٦١.

(٢) علي أصغر مرواريد : الينابيع الفقهية ، نشر مؤسسة فقه الشيعة – بيروت ، ط١ ،١٤١٣هـ/١٩٩٣م جـ ٣١ صـ ٤٦ بتصرف. الشيخ الطوسي:الخلاف جـ ٤صـ ٢١٥.

(٣) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٢١ صـ ٢٢٩ – ٢٣٠. علي أكبر الكلانتري : الجزية وأحكامها ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤١٦هـ صـ ٥٨ – ٥٩ .

(٤) جَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبِ بن عَبْدِ مَنَافِ الهَاشِمِيُّ : أَبُو المسَاكِيْنِ ، الشَّهِيْدُ الطيار ، أَبُو عَبْدِ اللهِ ، ابْنُ عَمِّ رَسُوْلِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– هَاجَرَ الهِجْرَتَيْنِ ، وَافَى المسْلِمِيْنَ وَهُمْ عَلَى خَيْبَرَ ، ثُمَّ أَمَّرَهُ رَسُوْلُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى جَيْشِ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ بِنَاحِيَةِ الكَرَكِ، فَاسْتُشْهِدَ ٨ هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١ صـ ٢٠٥– ٢١٧. الزركلي : الأعلام جـ ٢ صـ ١٢٥.

(٥) حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ابْنُ حَسَلِ بْنِ جَابِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْيَمَانِ : صَاحِبُ السِّرِّ ، وَقِيلَ : حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ وَلَدِ الْيَمَانِ بْنِ جَرْوَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ قَطِيعَةَ بْنِ عَبْسٍ، يُكَنَّى أَبَا عَبْدِ اللهِ ، مُهَاجِرِيٌّ ، هَاجَرَ هُوَ وَأَبُوهُ ، وَحَالَفَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَعِدَادُهُ فِي الْأَنْصَارِ لِحِلْفِهِ، شَهِدَ أُحُدًا، وَاسْتُشْهِدَ أَبُوهُ بِأُحُدٍ، أَخْطَأَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ فَقَتَلُوهُ، فَتَصَدَّقَ بِدَمِ أَبِيهِ وَدِيَتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، سَكَنَ الْكُوفَةَ وَتُوُفِّيَ ٣٦هـ بِالْمَدَائِنِ، بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ بِقَلِيلٍ ، وَلَمْ يُدْرِكِ الْجَمَلَ، وَتَبَرَّأَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَتْلِ عُثْمَانَ، وَمِنْ قَتَلَتِهِ . أبو نعيم : معرفة الصحابة جـ ٢ صـ ٦٨٦ . الزركلي : الأعلام جـ ٢ صـ ١٧١. الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ٢٦١ – ٢٦٩.

(٦) بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ : أَبُو عَبْدِ اللهِ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَأَبُو عَبْدِ الْكَرِيمِ وَاسْمُ أُمِّهِ حَمَامَةُ، مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ شَهِدَ بَدْرًا وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، كَانَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ فِي اللهِ فَاشْتَرَاهُ الصِّدِّيقُ فَأَعْتَقَهُ، وَكَانَ تِرْبَ أَبِي بَكْرٍ ، كَانَ يُؤَذِّنُ لِرَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حَيَاتَهُ سَفَرًا وَحَضَرًا، وَكَانَ خَازِنَهُ عَلَى بَيْتِ مَالِهِ، وَهُوَ سَابِقُ الْحَبَشَةِ ، تُوُفِّيَ بِدِمَشْقَ وَهُوَ ابْنُ بِضْعٍ وَسِتِّينَ ، سَنَة ٢٠هـ ، أو ١٨هـ ، وَقِيلَ: بِحَلَبٍ . أبو نعيم : معرفة الصحابة جـ ١ صـ ٣٧٣ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١ صـ ٣٤٧ – ٣٦٠.

(٧) الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية جـ ٢ صـ ١١١.

(٨) المصدر السابق جـ ٢ صـ ٥١٦ – ٥١٧ بتصرف .

وكثير من الشيعة المنصفين يقول : أُفَضِّل الشيخين ؛ بتفضيل علي إياهما على نفسه ، ولو لم يفضلهما ؛ لم أفضلهما ، كفى بي آزراً : أن أحب علياً ، ثم أخالف قوله [١] .

ويأتي رجل ليسأل الإمام السجاد زين العابدين – عليه السلام – عن حب الشيخين ، وتوليهما ؟ فقال :" اذهب أحب أبا بكر وعمر ، وتولهما "[٢] ، وقال أبو جعفر وابنه جعفر – عليهما السلام – :" تَوَلَّهُمَا ، وَابْرَأْ مِنْ عَدُوِّهِمَا ، فَإِنَّهُمَا كَانَا إِمَامَيْ هُدَىً " [٣]، بل قال أبو جعفر – عليه السلام – :" وَاللهِ إِنِّي لأَتَوَلاَّهُمَا ، وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمَا ، وَمَا أَدْرَكْتُ أَحَداً مِنْ أَهْلِ بَيْتِي إِلاَّ وَهُوَ يَتَوَلاَّهُمَا" [٤] .

ومن أقوال زيد بن علي – رحمه الله – :" إني أبرأ إلى الله من الرافضة : الذين كفروا أبا بكر وعمر " [٥] ، ومن أشهر أقواله في الشيخين :" بل أتولاهما "[٦] ، و قال أيضاً : لا أقول فيهما إلا خيراً "[٧] .

والباحث المنصف يعتقد أنه :" لا يجوز أن يفضل الإمام علي في جميع الأحوال على أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – " [٨] ، بل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أولها خير أم آخرها ؛ إذ كل واحد منهم له فضل في وجه ، والآخر له فضل في وجه آخر ؛ كما جاء عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – : " أَرْحَمُ أُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَشَدُّهَا فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ ، وَأَصْدَقُهَا حَيَاءً عُثْمَانُ ،

---

(١) السيد علي الشهرستاني : وضوء النبي – صلى الله عليه وآله – جـ ٢ صـ ١١٢.

(٢) المصدر السابق جـ ١ صـ ٣٦٦.

(٣) يقول الذهبي بعد ذكر هذا الحديث : هذا الحديث رواه ابْنُ فُضَيْلٍ عَنْ سَالِمِ بنِ أَبِي حَفْصَةَ وَكَانَ سَالِمٌ فِيْهِ تَشَيُّعٌ ظَاهِرٌ، وَمعَ هَذَا فَيَبُثُّ هَذَا القَوْلَ الحَقَّ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ الفَضْلَ لأَهْلِ الفَضْلِ ذُوْ الفَضْلِ، وَكَذَلِكَ نَاقِلُهَا ابْنُ فُضَيْلٍ شِيْعِيٌّ، ثِقَةٌ، فَعَثَّرَ اللهُ شِيْعَةَ زَمَانِنَا، مَا أَغْرَقَهُمْ فِي الجَهْلِ وَالكَذِبِ! فَيَنَالُوْنَ مِنَ الشَّيْخَيْنِ، وَزِيْرَيِ المصْطَفَى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَيَحْمِلُوْنَ هَذَا القَوْلَ مِنَ البَاقِرِ وَالصَّادِقِ عَلَى التَّقِيَّةِ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤ صـ ٤٠٣.

(٤) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٤٠٣.

(٥) الإمام زيد بن علي : مسند الإمام زيد بن علي ، نشر منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت ، دت صـ ٩.

(٦) المصدر السابق صـ ٤٦.

(٧) الإمام أحمد المرتضى : شرح الأزهار ، مكتبة غمضان – صنعاء ، د ت جـ ١ شرح صـ ٢١١.

(٨) كلام أ . د / طه محمد الزيتي الأستاذ بجامعة الأزهر : محقق كتاب المجازات النبوية ، وهو من مصادر الحديث الشيعية . انظر الشريف الرضي : المجازات النبوية ، تحقيق : طه محمد الزيتي ، نشر منشورات مكتبة بصيرتي – قم ، دت ، هامش صـ ٨٨.

وَأَعْلَمُهَا بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ[١] ، وَأَقْرَؤُهَا لِكِتَابِ اللهِ أُبَيٌّ ، وَأَعْلَمُهَا بِالْفَرَائِضِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ [٢] ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ ؛ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ[٣] "[٤] . وهذا مثال لا أكثر ! .

وقد شارك أبو بكر وعمر علياً في معجزة ، وهي أن الرسول – ﷺ – أجلسهم على بساط ، ومعهم بعض الصحابة ، وأمر الريح أن تحملهم إلى بلاد الروم ، فقابلوا أصحاب الكهف ، ورجعوا قبل الفجر ، فصلوا مع النبي – ﷺ – [٥].

ويعترف عليٌّ أن أبا بكر وعمر – رضي الله عنهم – سرا وفرحا بزواج عليٍّ وفاطمة ؛ حين أخبرهم عليٌّ بذلك [٦] ، وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه – عليهم السلام – في القضاء في الحدود :" إن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا يرفعونها إلى علي – عليه السلام – لعلمه بها ، لا يستبدون برأي دونه ، فما حكم فهو جائز " [٧] .

ويقول عليٌّ عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – :" لله بلاء فلان – يعني الخليفة الثاني – ؛ فقد قوَّم الأود – يعني عدَّل الاعوجاج – وداوى العَمَدَ – يعني العلة – وخلَّف الفتنة – تركها

---

(١) مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : الْأَنْصَارِيُّ ثُمَّ الْخَزْرَجِيُّ ، شَهِدَ الْعَقَبَةَ وَبَدْرًا وَالْمَشَاهِدَ ، إِمَامُ الْفُقَهَاءِ ، بَعَثَهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَامِلًا عَلَى الْيَمَنِ كُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ،جَمَعَ الْقُرْآنَ ومن كلام عمر: (لولا معاذ لهلك عمر) ينوه بعلمه ، توفي عقيما بناحية الأردن، ١٨هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١ صـ ٤٤٣– ٤٦١. الزركلي : الأعلام جـ ٧ صـ ٢٥٨. أبو نعيم : معرفة الصحابة جـ ٥ صـ ٢٤٣١.

(٢) زَيْدُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي غَنْمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، وَقِيلَ: زَيْدُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ لَوْذَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ عَوْفِ بْنِ غَنْمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي الْخَزْرَجِ، يُكَنَّى أَبَا سَعِيدٍ، وَقِيلَ: أَبُو خَارِجَةَ، كَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، أول مشاهده الْخَنْدَقِ، وَكَانَ حَبْرَ الْأُمَّةِ عِلْمًا وَفِقْهًا وَفَرَائِضَ، جمع القرآن ، وكان يعرف لغة اليهود ، تُوُفِّيَ ٤٥هـ، أو ٤٨هـ، أو ٥٥هـ، أو ٥١هـ، تُوُفِّيَ وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً . الذهبي:سير أعلام النبلاء جـ ٢صـ ٤٢٦– ٤٤٢. الزركلي: الأعلام جـ ٣ صـ ٥٧. أبو نعيم : معرفة الصحابة جـ ٣ صـ ١١٥١– ١١٥٢.

(٣) أَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ : عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْجَرَّاحِ بْنِ هِلَالِ بْنِ وهَيْبِ بْنِ ضَبَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ، لَمْ يُعْقِبْ، وَأُمُّ أَبِي عُبَيْدَةَ أُمُّ غَنْمٍ بِنْتُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ بْنِ الْعَدَّاءِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمِيرَةَ بْنِ وَدِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ، وَقِيلَ أُمَيْمَةُ بِنْتُ غَنْمِ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، شَهِدَ بَدْرًا ، وَقَصَدَ أَبَاهُ فَقَتَلَهُ مُشْرِكًا، وهُوَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ، عَزَلَ بِهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ،تُوُفِّيَ فِي طَاعُونِ عَمَوَاسَ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ بِالْأُرْدُنِّ، وَقُبِرَ بِبِيسَانَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِهِ : الْخُمُسُ لِلَّهِ .انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١ صـ ٥– ٢٣. أبو نعيم : معرفة الصحابة جـ ١ صـ ١٤٨.

(٤) الإمام أحمد : المسند جـ ٢٠ صـ ٢٥٢. الترمذي : السنن جـ ٥ صـ ٦٦٤ . الإمام النسائي : السنن الكبرى جـ ٥ صـ ٦٧.

(٥) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ١١٥.

(٦) يراجع الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٤ صـ ٢٠٤–٢٠٥ .

(٧) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٨ صـ ٣٠.

خلفه لا هو أدركها ، ولا هي أدركته – وأقام السنة ، وذهب نقي الثوب ، قليل العيب ، أصاب خيرها ، وسبق شرها ، أدى إلى الله طاعته ، واتقاه بحقه " [1].

ثم إن القول بعدم استخلاف النبي – ﷺ – لأبي بكر بعد موته ليس عليه إجماع أهل السنة – كما يدعون – فهناك طوائف من أهل السنة قالوا : بالنص على خلافة أبي بكر ؛ حيث عينه بالاسم عيناً بالاستدلال الجلي ، وطائفة قالوا : كانت بالنص الخفي والإشارة[2] [3] .

ومما يدل على استخلاف أبي بكر – رضي الله عنه – : " أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ النَّبِيَّ – ﷺ – تَسْأَلُهُ شَيْئًا ، فَقَالَ لَهَا : ارْجِعِي إِلَيَّ ، فَقَالَتْ : فَإِنْ رَجَعْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ – تُعَرِّضُ بِالْمَوْتِ – ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – : فَإِنْ رَجَعْتِ فَلَمْ تَجِدِينِي ؛ فَالْقَيْ أَبَا بَكْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – "[4] ، وقوله – ﷺ – " إِنِّي لَا أَدْرِي مَا قَدْرُ بَقَائِي فِيكُمْ ؛ فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي ، وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ" [5] ، وقوله – ﷺ – : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – يُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، وَيَسْأَلُ عَنْهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – ذَاتَ يَوْمٍ : أَيُّكُمْ رَأَى رُؤْيَا ، فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا دُلِّيَ مِنْ السَّمَاءِ ، فَوُزِنْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ ؛ فَرَجَحْتَ بِأَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ وُزِنَ أَبُو بَكْرٍ بِعُمَرَ ؛ فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ بِعُمَرَ ، ثُمَّ وُزِنَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ ؛ فَرَجَحَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ ، فَاسْتَاءَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – فَقَالَ خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ ، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ [6] .

وعن عائشة – رضي الله عنها – :" دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – فِي الْيَوْمِ الَّذِي بُدِئَ فِيهِ ، فَقُلْتُ : وَا رَأْسَاهْ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ ؛ فَهَيَّأْتُكِ ، وَدَفَنْتُكِ ، فَقُلْتُ غَيْرَى : كَأَنِّي بِكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَرُوسًا بِبَعْضِ نِسَائِكَ ، قَالَ : وَأَنَا وَا رَأْسَاهْ ادْعُوا إِلَيَّ أَبَاكِ وَأَخَاكِ ؛ حَتَّى أَكْتُبَ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ ، وَيَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ : أَنَا أَوْلَى ، وَيَأْبَى اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ [7] .

---

(١) خطب الإمام علي : نهج البلاغة جـ ٢ صـ ٢٢٢. العاملي : الانتصار جـ ٦ صـ ٤٨٢.

(٢) الإشارة : في اصطلاح أصول الفقه : الثابت بنفس الصيغة من غير أن يساق له الكلام ، مثل : أن يقيم الأصبع عند (لا إله) ويضعها عند (إلا الله) ليكون الرفع للنفي ، والوضع للإثبات . القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١ صـ ٨٤ بتصرف .

(٣) عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية في رد دعوى الرافضة والقدرية لابن تيمية صـ ٥٣-٥٤ بتصرف .

(٤) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ١٨٥٦ . الإمام أحمد : المسند جـ ٢٧ صـ ٣٢٩.

(٥) الإمام أحمد : المسند جـ ٣٨ صـ ٣١٠. الترمذي : سنن الترمذي جـ ٥ صـ ٦٠٩.

(٦) الإمام أحمد : المسند جـ ٣٤ صـ ٩٥. المتقي الهندي : كنز العمال جـ ١٣ صـ ٢٣٨ .

(٧)الإمام أحمد : المسند جـ ٤٢ صـ ٥٠. النسائي : السنن الكبرى جـ ٤ صـ ٢٥٣.

وقال الصديق لسعدٍ[1] – رضي الله عنهما –: وَلَقَدْ عَلِمْتَ يَا سَعْدُ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ – ﷺ – قَالَ وَأَنْتَ قَاعِدٌ : قُرَيْشٌ وُلَاةُ هَذَا الْأَمْرِ ، فَبَرُّ النَّاسِ تَبَعٌ لِبَرِّهِمْ ، وَفَاجِرُهُمْ تَبَعٌ لِفَاجِرِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : صَدَقْتَ نَحْنُ الْوُزَرَاءُ ، وَأَنْتُمْ الْأُمَرَاءُ[2] ؛ وَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ ؛ فَبَايَعَهُ ؛ وَبَايَعَهُ النَّاسُ " [3].

وفي بيعة عثمان – رضي الله عنه – :" فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَشَهَّدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ ، يَا عَلِيُّ فَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ النَّاسِ فَلَمْ أَرَهُمْ يَعْدِلُونَ بِعُثْمَانَ ، فَلَا تَجْعَلَنَّ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا ، وَأَخَذَ بِيَدِ عُثْمَانَ وَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى سُنَّةِ اللهِ ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَالْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ ، فَبَايَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبَايَعَهُ النَّاسُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَأُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ وَالْمُسْلِمُونَ " [4].

وهذا إجماع من الصحابة على قبول خلافته ، ولم يقل واحد حينها حتى علي – رضي الله عنه – أن النبي نص عليَّ ! ، وإذا كان عليٌّ يعلم أنه خليفة بالنص ؛ فلماذا بايع أبا بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم – ؟ ، فإن قالوا : إنه كان عاجزاً ، فالعاجز لا يصلح للإمامة ؛ لأنها لا تكون إلا لقادر على أعبائها ، وإن قالوا : كان مستطيعاً ، ولكنه لم يفعل ؛ فهذه خيانة ، والخائن لا يصلح إماماً ! ولا يؤتمن على الرعية . وحاشاه من كل ذلك ؛ فبقي أنه كان راضياً بهذه البيعات الثلاث [5] . ونحن تبع له في ذلك ، فهل علينا لوم ؟ .

فخلافة أبي بكر ثابتة ؛ دلت النصوص الصحيحة على صحتها ، وثبوتها ، ورضا الله ورسوله له بها ، وانعقدت بمبايعة المسلمين له ، واختيارهم له ؛ وإنما يصير الأمر فيه نظر : إذا تولى من غير نص ، أو كان هناك سوء قصد ، وهذا لا يقع من أفضل القرون ؛ فيبعد اتهامهم بقصد ضرر الأمة ، التي أفنوا أعمارهم من أجل رفع راية دينها ؛ الذي كان أحب إليهم من أنفسهم [6] .

ثم اجتمعت الأمة على خلافة الثلاثة بخلاف خلافة علي ؛ التي كانت الفرقة فيها ، وقد حصل بخلافة الثلاثة من مقصود الإمامة : من قتال الكفار ، وفتح الأمصار ما هو أعظم مما كان في

---

(١) سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بنِ دُلَيْمِ بنِ حَارِثَةَ : أَبَا ثَابِتٍ الأَنْصَارِيُّ سَيِّدُ الخَزْرَجِ ، عَقَبِيٌّ ، بَدْرِيٌّ ، أُحُدِيٌّ ، شَهِدَ الْمَشَاهِدَ ، صَاحِبَ رَايَةِ الْأَنْصَارِ ، تُوُفِّيَ بِالشَّامِ١٦هـ.أبو نعيم : معرفة الصحابة ج٣ص ١٢٤٤. الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ص ٢٧٠ – ٢٧٩.

(٢) الإمام أحمد : المسند ج ١ ص ١١٩. الترمذي : سنن الترمذي ج ٤ ص ٥٠٣.

(٣) الإمام البخاري : صحيح البخاري ج ٥ ص ٦ . الإمام البيهقي : السنن الكبرى ج ٨ ص ٢٤٥.

(٤) الإمام البخاري : صحيح البخاري ج ٩ ص ٧٨ . الإمام البيهقي : السنن الكبرى ج ٨ ص ٢٥٣.

(٥) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ص ٢٢ بتصرف .

(٦) عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية في رد دعوى الرافضة والقدرية لابن تيمية ص ٦٠ بتصرف .

غيرها ، وأما خلافة علي لم يقاتل فيها الكفار ، ولم يفتح فيها مصر من الأمصار ، بل كان السيف موضوع بين أهل القبلة[1] .

وإذا قيل إن الصحابة حين بايعوا أبا بكر كانوا أقلية ، وإنه كان فيهم من يميلون لبيعة علي – رضي الله عنهم – قلنا : أما القول بالأقلية فمردود بسكوت الصحابة ؛ وهذا يعد إجماعاً سكوتياً ، وأما القول بميلهم لغيره ، فغاية ما يقال : إنهم كانوا يخفون تقديم عليّ على أبي بكر [2] .

ومن العجيب أن ترى أتباع إمام يسبون رجالاً سمى إمامهم أولاده بأسمائهم ، فهل يسمى عليٌّ والأئمة من بعده أبناءه بأسماء كفار من أهل النار ؟ مثل { أبو بكر بن علي[3] ، وعمر بن علي [4]، وعثمان بن علي[5] ، وأبو بكر بن الحسن بن علي[6] ، وأبو بكر بن الحسين[7]} . وغيرهم من أبناء الأئمة ؛ مثل عمر بن علي بن الحسين [8] – رحمهم الله جميعاً – [9].

---

(١) المرجع السابق صـ ٦٣ بتصرف .

(٢) المرجع السابق صـ ١٠٠ بتصرف .

(٣) أبو بكر بن علي بن أبي طالب : أمه ليلى بنت مسعود الدرامية ، قتل مع أخيه الحسين بكربلاء .انظر ابن داوود الحلي : رجال ابن داوود ، تحقيق وتقديم : السيد محمد صادق آل بحر العلوم ، منشورات المطبعة الحيدرية – النجف ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م صـ ٢١٥. التفرشي : نقد الرجال جـ ٥ صـ ١٢٦. وانظر مجدي فتحي السيد : صحيح التوثيق في سيرة وحياة أمير المؤمنين علي صـ ١٦.

(٤) عمر بن علي بن أبي طالب : يلقب بعمر الأطراف ، أمه الصهباء ، ويقال : أم حبيبة التغلبية ، قتل مع أخيه الحسين بكربلاء .انظر الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدركات علم رجال الحديث ، ط حيدري – طهران ، ط١ ، ١٤١٥هـ جـ ٦ صـ ١٠١. وانظر مجدي فتحي السيد : صحيح التوثيق في سيرة وحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صـ ١٦.

(٥) عثمان بن علي بن أبي طالب : أمه أم البنين فاطمة بنت حزام ، قتل مع أخيه الحسين بكربلاء ، وهو ابن ٢١ سنة .انظر الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدركات علم رجال الحديث جـ ٥ صـ ٢٢٠. أحمد حسين يعقوب : كربلاء الثورة والمأساة ، نشر الغدير – بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م صـ ٣٣٤. مجدي فتحي السيد : صحيح التوثيق في سيرة وحياة أمير المؤمنين علي صـ ١٦.

(٦) أبو بكر بن الحسن بن علي بن أبي طالب : قتل مع عمه الحسين في كربلاء ٦١هـ أمه أم ولد لا يعرف أسمها . انظر السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة جـ ٢ صـ ٢٩٣. ابن الصباغ : الفصول المهمة جـ٢ هامش صـ ٨٤٥.

(٧) أبو بكر بن الحسين بن علي بن أبي طالب : قتل مع جده الحسين في كربلاء ٦١هـ ، أمه أم ولد لا يعرف أسمها . ابن الصباغ : الفصول المهمة جـ٢ هامش صـ ٨٤٥. العاملي : الانتصار جـ ٨ صـ ٣٣٠.

(٨) عمر بن علي بن الحسين : كان يلقب بأبي حفص الأشرف ، وكان جليل القدر في الدولتين الأموية والعباسية ، وكان ذا علم . انظر علي أصغر مرواريد : الينابيع الفقهية جـ ١صـ ١٣٤. الطوسي :رجال الطوسي صـ ١٣٩.

(٩) وقد سمى الإمام جعفر الصادق ابنته بعائشة ، ولها مرقد في القاهرة باسمها ، وهي أخت الإمام موسى الكاظم . انظر د حمزة النشرتي ، الشيخ عبد الحفيظ فرغلي ، د عبد الحميد مصطفى : سيرة آل بيت النبي جـ ٣صـ ٥٣.

وقد سلم الإمام عليٌّ لأبي بكر وعمر الأمر ، ورضي بذلك ، " وبايعهما طائعاً غير مكره ، وإن ولاية أبي بكر صارت رشداً ، وهدىً ؛ لتسليم علي ، ورضاه ، ولولا رضاه ، وتسليمه ؛ لكان أبو بكر مخطئاً ، ضالاً ، هالكاً "(١) .

بل لما حارب أبو بكر المرتدين : ولىَّ على المدينة علياً ، فلماذا لم يتحالف عليٌّ مع المتمردين ، وخلع الخليفة ، وأحدث انقلاباً ؟ أم أنه جَبُنَ عن ذلك ؛ فانقاد للخليفة تقية (٢) ؟ .

ولماذا لم يتحالف مع سلمان حين كان والياً على المدائن في خلافة عمر؟ (٣) ، وعماراً الذي كان والياً على الكوفة ؟(٤) ، والمقداد الذي كان قائداً لجيش قبرص في عهد عثمان ؟ (٥).

أم أنه كان عالماً واعياً بالواجب عليه وهو: تقديس اجتماع الأمة الإسلامية على قلب رجل واحد.

<u>من آثار التقديس في عقيدة العصمة : القطع بالرحمة والجنة لكل أهل العصمة :</u>

فقد روي عن الرضا – عليه السلام – أنه كان يجلس مع أحد الشيعة ، فعطس الرضا – عليه السلام – ثلاث مرات ، والرجل يقول له في الثلاث : صلى الله عليك ، ثم سأله : جُعِلتُ فداك ؛ إذا عطس مثلك ، يُقال له : كما يقول بعضنا لبعض ؟ قال : نعم ، قال : أوليس تقول : صلى الله على محمد وآل محمد ؟ قال: بلى ، قال : وارحم محمد وآل محمد ، قال : بلى ، وقد صلى عليه ورحمه ؛ وإنما صلاتنا عليه رحمة لنا ، وقربة " ؛ ولعل الترديد من الراوي ؛ بناء على : أن مثلكم مرحومون قطعاً ؛ فلا فائدة من طلب الرحمة لكم (٦).

ونقول : سبحان الله ، قال – ﷻ – لنبيه – ﷺ – : فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ " (٧) ، وقال تعالى :" وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ " (٨) ، وقال تعالى : وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا " (٩) ، وقال ﷻ :" وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ " (١) .

---

(١) الشيخ المحمودي : نهج السعادة ، ط مطبعة النعمان – النجف ، نشر مؤسسة التضامن الفكري – بيروت ، ط١ ، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م جـ ٨ صـ ٨٦. محمد رضا جديدي : معجم مصطلحات الرجال والدراية ، تحقيق : محمد كاظم رحمان ستايش ، نشر دار الحديث – قم ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ / ١٣٨٢ش صـ ٣٣.

(٢) محمد السيد الوكيل : جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ، نشر دار المجتمع – جدة ، ط٥ ، ١٤١٨هـ صـ ٢٥.

(٣) عبد المنعم الهاشمي : عصر الصحابة ، نشر دار طيبة الخضراء – مكة المكرمة ، ط٤ ، ١٤٢٤هـ صـ ٦٠٠.

(٤) المرجع السابق صـ ٥٢٠.

(٥) البلاذري : فتوح البلدان ، تحقيق : رضوان محمد رضوان ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٠٣هـ جـ ١ صـ ١٨٢.

(٦) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة جـ ٩صـ ٩٣.

(٧) سورة آل عمران : آية رقم ١٥٩.

(٨) سورة هود : آية رقم ٢٨.

(٩) سورة الإسراء : آية رقم ٢٨.

وها هو من خير من وطئ الثرى بقدميه يقول :" مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ " ، فَقِيلَ : وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِى رَبِّى بِرَحْمَةٍ [٢] .

ويتألم إشفاقاً على نفسه ، وتواضعاً أمام عظمة ربه حين قالوا لواحد من أصحابه مات :" هَنِيئًا لَكَ بِالْجَنَّةِ ، فقال – ﷺ – :" مَا يُدْرِيكِ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ ، وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي " قال الراوي :" وَاللَّهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا [٣] .

من آثار التقديس في عقيدة العصمة : إنكار علمي : السنة والسيرة :

بعدما أنكرت الاثنا عشرية فضائل الصحابة ، وكذبت مروياتهم ، فمن الواضح أن يردوا كل علم خرج من معينهم ، ويتعجبون ؛ فيقولون : " ثم العجب العجاب ؛ عند ذوي البصائر والألباب ، والدعوى التي هي أبعد شيء من الصواب ، ادعاء الإجماع على سنة من سنن النبي – صلى الله عليه وآله – بل على سيرة من سيره ، لم يخرج عن مستودعي سره ، وخازني علمه : أهل بيت العصمة والطهارة " [٤] .

ونتساءل : فما حكم من قبل بهذه العلوم من أمثالنا ، الذين تربوا على حب الصحابة ، والتعلم من أقوالهم ، وأفعالهم ، وسيرهم ، ولم يصل إليهم أقوال فقهاء الشيعة الاثني عشرية ؟ .

فنصدم بأئمتهم يلقنون أتباعهم تكفيرنا ؛ فيقولون لهم :" فمن لم يقبل عنكم ؛ فليس بموحد ؛ بل هو مشرك ، ولو أظهر التوحيد [٥] ، ولكننا نقول : من قال لكم أننا نرد أقوال أهل البيت – عليهم السلام – ومن قال لكم أننا لا نقبلها ، بل هي على العين والرأس ؛ إن صح سندها ! .

من آثار التقديس في عقيدة العصمة : كثرة الكذب على أهل البيت – عليهم السلام – :

استمع لهذا الحديث العجيب : جاء رجل إلى أبي عبد الله – عليه السلام – فقال : جُعلت فداك ؛ إن رجلاً يأتينا من قِبَلِكَ يُعْرَفُ بالكذب ؛ فيحدث بالحديث فنستبشعه ، فقال أبو عبد الله – عليه

---

(١) سورة القصص : آية رقم ٨٦.

(٢) الإمام أحمد : المسند جـ ١٦ صـ ٤٢٧ . الإمام البخاري : الصحيح جـ ٥ صـ ٢١٤٧. الإمام مسلم : الصحيح جـ ٨ صـ ١٤٠.

(٣) الإمام أحمد : المسند جـ ٤٥ صـ ٤٤٩ . البخاري : صحيح البخاري جـ ١ صـ ٤١٩.

(٤) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة في أحكام العترة جـ ٩صـ ٤٣٩.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٩ صـ ١٤٣.

السلام – : يقول لك : إني قلت لليل إنه نهار ، أو للنهار أنه ليل ؟ ، قال : نعم ، قال : فإن قال لك هذا أني قلته ، فلا تكذب به [١] ، فإنك إنما تكذبني " [٢] .

وعند تعارض الأخبار عند الشيعة الاثني عشرية يجب التحاكم إلى كتاب الله ؛ للتمييز بين الصادق والكاذب ، من حيث أنه كثر الكذابة من أهل الأهواء والبدع على النبي والأئمة – عليهم الصلاة والسلام – في حياتهم ، وبعد موتهم ؛ لتحصيل الأغراض الدنياوية ؛ ولما رأى جماعة منهم أن الأئمة – عليهم السلام – حكموا بكثير مما أُشتهر خلافه بين الناس ، ولا سيما العامة ، وكشفوا عن المراد بكثير من الآيات والروايات ، مما هو بعيد عن الأذهان ، بل لا يصل إليه عدا المعصوم أحد من أفراد الإنسان ؛ جعلوا ذلك وسيلة إلى الاقتحام على نسبة كثير من الأكاذيب إليهم ، واختلاق الأضاليل والبدع عليهم ، فمن هنا أمر الأئمة بالعرض على الكتاب ؛ لسلامته من الكذب والاختلاق ؛ لكن بفهم المعصومين [٣] .

وكثيرا ما جاء اللعن على لسان الأئمة لأناس بأعيانهم ، ويسمونهم بأسمائهم [٤] ؛ لكذبهم على آل البيت ، فمن أين نطمئن لأحاديث عن أناس لم يثق فيهم أئمتهم .

من آثار التقديس في عقيدة العصمة : اتهام أهل السنة بإنكار عصمة الأنبياء – ﷺ – :

روى الاثنا عشرية عن أبي عبد الله – عليه السلام – :" سهر داود – عليه السلام – ليلة يتلو الزبور ، فأعجبته عبادته ، فنادته ضفدع يا داود : تعجب من سهرك ليلة ، وإني لتحت هذه الصخرة منذ أربعين سنة ، ما جف لساني عن ذكر الله"[٥] ؛ ثم يقولون : إن هذا الحديث محمول على التقية ؛ لأن العامة لا يشترطون العصمة للأنبياء – عليهم السلام – [٦].

ولا أدري من أين أتى بهذه المعلومة التي لم يسبقه بها أحد ؟ .

---

(١) يقول الطبري :" فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين : مما يستنكره قارئه ، أو يستشنعه سامعه ؛ من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ؛ فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا ، وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا ". الطبري : تاريخ الطبري جـ ١ صـ ١٣. فمن ترى أحرص على الصدق ؟ .

(٢) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٧٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣ صـ ٢١١.

(٣) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام جـ١٣ صـ ٩٩.

(٤) جاء اللعن على لسان أبي عبد الله لراوه منهم : بنان التبان ، والمغيرة بن سعيد ، وأبو بصير ، وزرارة بن أعين الذي يوجد له في الكافي ٧٠٠ رواية تقريباً ، وفي تهذيب الأحكام ٧٧٥ ، وفي الاستبصار ٢٥٠، وفي من لا يحضره الفقيه ٢٥٠ . انظر علي أكبر غفاري : دراسات في علم الدراية تلخيص مقباس الهداية للمامقاني ، ط تابش ، نشر جامعة الإمام الصادق – طهران ، ط١ ، ١٣٦٩ش صـ ١٥٥–١٥٦. د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية عرض ونقد صـ ١٩٣.

(٥) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١ صـ ١٤٢. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٦١ صـ ٥٠.

(٦) عدة محدثين : الأصول الستة عشر صـ ١٠١. الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١ صـ ١٤٢.

من آثار التقديس في عقيدة العصمة : ادعاء العصمة لأفراد الشيعة الاثني عشرية :

شكا رجل من أصحاب أبي عبد الله – عليه السلام – فقال : يا بن رسول الله ؛ ماذا نحن فيه من أذى الناس ، ومطالبتهم لنا ، وبغضهم إيانا ، وطعنهم علينا ، كأنا لسنا عندهم من المسلمين ؟ فقال أبو عبد الله – عليه السلام – : أو ما تحمدون الله على ذلك ، وتشكروه ؛ إن الشيطان لما يئس منكم أن تطيعوه في خلع ولايتنا ؛ التي يعلم أن الله – عز وجل – لا يقبل عمل عامل خلعها ، أغرى الناس بكم حسداً لكم عليها ؛ فاحمدوا الله على ما وهب لكم من العصمة ! [١].

من آثار التقديس في عقيدة العصمة : اعتقاد المغفرة لفقهاء الشيعة الاثني عشرية :

فإن قيل عن علماء الشيعة أنهم مختلفون في الأحكام ، يرد بعضهم على بعض ، ويعدل الواحد منهم عن رأي إلى غيره ، بل يخطئ بعضهم بعضاً.

فيجيب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية فيقولون : " إن علماءنا لم يخطئوا في طريقهم ؛ إذ أخذوا عن أهل بيت العصمة ؛ فخطؤهم مغتفر إن اشتبه الأمر عليهم في فهم ما سمعوا ؛ بخلاف من ترك طريقهم ، وتمسك برأيه ؛ فإنه غير مغتفر إن أخطأ ؛ فإنه إن لم يصب الواقع ، أصاب الطريق [٢] . ولكنه إن أخطأ ، فهل نتبع خطأه أم لا ؟.

من آثار التقديس في عقيدة العصمة : أن جعلوها أعلى مراتب العدالة البشرية :

من المقرر عند الشيعة الاثني عشرية أن " القول بعصمة شخص أو أشخاص مثل النبي والأئمة أمر غير خارج عن طاقة الإنسان في الجملة ؛ لأن الناس مختلفون في الاجتناب عن المعاصي ، ففرقة منهم يعصون الله كثيراً ، ومن كان كذلك فهو فاسق متهتك . وفرقة : لا يعصون الله إلا شاذاً نادراً ، وأحياناً ، ومن كان كذلك فهو العادل . وثلة من الناس لا يعصون الله – تعالى – أبداً ، ولا يخرجون عن زي العبودية ، ومنهاج الطاعة ، حتى ولو في آن من الآنات ، وحين من الأحيان ، ومن كان كذلك فهو المعصوم ، وهذا المقام هو مقام العصمة ، وهي لطف خفي من الألطاف الإلهية العظيمة ؛ فاعتقادها في حق أحد لا يكون ضائراً أصلاً "[٣].

فأعلى مراتب العدالة : العصمة ؛ لأن أصحابها :" هم أهل الاستقامة المطلقة الشاملة ، والعدالة الحقيقية الكاملة ، والعصمة هي العدالة المطلقة ؛ الموجبة لارتكاب الصراط المستقيم ، والنهج

---

(١) القاضي النعمان المغربي : دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت الرسول عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، تحقيق : آصف بن علي أصغر فيضي ، ط دار المعارف – القاهرة ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م جـ١ صـ٤٧.

(٢) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٢ هامش صـ ٢٤٨.

(٣) السيد الگلپايگاني : نتائج الأفكار في نجاسة الكفار صـ ٢٠٣.

القويم ، الذي يصل صاحبه بالأنوار القدسية ، والأسرار الجبروتية ، المانعة من الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط ، القاهرة لدواعي الشهوة والغضب [١] ، وأدنى مراتب العدالة درجة غير العدل "[٢].
بينما لا يعدها البعض من درجات العدالة ؛ فيقول : إعلم أن مراتب العدالة تتفاوت ؛ بحسب قوة ملكة العدالة وضعفها ، فأعلاها : ما يتلو العصمة [٣] ، ومن هؤلاء العدول : سلمان ، فهوا في درجة قريبة من العصمة [٤] ، وأدناها : الحالة التي يجد الإنسان بها مدافعة الهوى في أول الأمر ، وإن صارت بعد ذلك مغلوبة ؛ ومن هنا تصدر الكبيرة عن ذي الملكة كثيراً [٥] ، وكيف كان : فالحالة المذكورة غير عزيزة في الناس ليس في الندرة [٦].
واشترط بعضهم في العدالة : حسن الظاهر ، أو عدم معلومية الفسق ، والمعرفة بفقه الصلاة ، والمواظبة على الجمع والجماعات ، وعدم الإخلال بذلك ، بغير عذر ، ولو ظهر فسق نادر ، وعلم من ظواهر أحواله التأثر والتألم والندامة ؛ فهذا يكفي في عدم الحكم بفسقه ، ولو علم منه عدم المبالاة ، أو التجاهر والتظاهر ؛ فهذا قادح لعدالته [٧] .
ويعرفون العدل بأنه :" المتحرز عن الكبائر " [٨] ؛ لأن العدالة صفة نفسانية ، كسائر الصفات النفسانية ، والأعراض الخارجية ، ذات مراتب مختلفة ؛ أعلاها مرتبة العصمة ، وأدناها العدالة المعتبرة في إمام الجماعة ، وقبول الشهادة ، ونحوهما ، وهي الحالة التي يمكن ألا يملك نفسه من مخالفة الشهوة ، والغضب لغلبة القوة الشهوية والغضبية عليه ، لكن مع وجود تلك الحالة من العدالة يندم من ذلك "[٩] ، وهي غير منافية لصدور الذنب منهم أحياناً ؛ فكثيرا ما تصدر عنه الذنوب [١٠].
ومقومات العدالة : التزام الأحكام الشرعية ، واجتناب الصغائر ، ولزوم اجتناب منافيات المروءة ؛ لا بمجرد حسن الظاهر فقط عند الشك فيها ؛ فيلزم عند ذلك عدم ارتكاب منافيات المروءة ،

---

(١) الشيخ سليمان الماحوزي البحراني : الأربعون حديثا في إثبات إمامة أمير المؤمنين – عليه السلام – ص٤٩.
(٢) المحقق الأردبيلي : مجمع الفوائد جـ ٣ ص ٣٣٣.
(٣) هذه الدرجة الثانية في العدالة عندهم .انظر الإمام الخميني : كتاب الطهارة جـ ٣ ص ٣٥٨ بتصرف.
(٤) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ ص ٢٩٢ بتصرف.
(٥) أبو الفضل حافظيان البابلي : رسائل في دراية الحديث جـ ٢ ص ٤٢١ بتصرف .
(٦) الشيخ الأنصاري : كتاب الطهارة جـ٢ص ٤٠٧.
(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨٥ ص ٣٣-٣٤ بتصرف .
(٨) محمد طاهر القمي الشيرازي : كتاب الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين ص ٤١٢.
(٩) السيد محمد صادق الروحاني : فقه الصادق ، ط مهر ، نشر مؤسسة دار الكتاب – قم ، ط٣ ، ١٤١٣هـ جـ ٦ ص ٢٣٥.
(١٠) آقا رضا الهمداني : مصباح الفقيه ص ٦٦٦ – ٦٧٣ بتصرف.

الموجبة لعدم الوثوق في الدين ، إما لملازمتها له غالباً ، أو لكشفها عن ضعف النفس أمام الشهوات ، بنحو يستبعد ضبطها أمام الشهوات ، بحيث يبتلى بالمعاصي ؛ لعدم حسن الظاهر منها عند المتشرعة مع ذلك ، بل لابد من كون ظاهر الرجل مأموناً ، بحيث يكون ساتراً لجميع عيوبه حتى العيوب العرفية ، مثل قولهم – عليهم السلام – :" من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته " ، واختلفوا في قادحية الصغائر في العدالة على وجهين : تقدح ولا تقدح " [1] .

فمن عرضت له فتنة بعد بيان فتواه ؛ أوجبت فسقه ؛ فلا يقتضي المنع عن تقليده ابتداء واستدامته [2] ، ولا يقدح في وجود العدالة وقوع المعصية نادراً ؛ لغلبة الشهوة أو الغضب ، ولكن يلزم من وجود العدالة وقوع الندم ؛ بمجرد سكون الشهوة أو الغضب ، مع الالتفات إلى وقوع المعصية منه ، وإذا صدرت المعصية الصغيرة فإن التفت العاصي إلى وجوب التوبة ؛ ومع ذلك لم يتب ؛ كان عاصياً بترك التوبة ، ولم يكن عدلاً ، وإن غفل عن ذلك ، فلم يندم ، لم يقدح صدور الصغيرة في بقاء العدالة ، وترتيب أحكامها ، أما إذا صدرت المعصية الكبيرة فلم يندم ولم يتب ؛ غفلة عن صدور المعصية ؛ فقد خرج من صفة العدالة " [3].

وأما قولهم : فلان مرتفع القول ، أو في مذهبه ارتفاع ؛ فالمراد : أنه كان غالياً في بعض معتقده ، أو رواياته [4] .

أما أهل السنة فيعرفون الراوي العدل بأنه : الثقة الضابط لما يرويه ، وهو المسلم العاقل البالغ السالم من أسباب الفسق ، وخوارم المروءة ، وأن يكون مع ذلك متيقظاً ، غير مغفل ، حافظاً إن حدث من حفظه ، فاهماً إن حدث من خطه ؛ فإن اختل شرط مما ذكر : ردت روايته [5] .

من آثار التقديس في عقيدة العصمة : الإساءة للأنبياء وآل البيت – عليهم السلام – :

من الغريب أن أول من أساء لأهل البيت الشيعة أنفسهم ؛ لأنهم يتجرؤون فيقولون :" بأن النبي لو كان قد بلغ بأمر الإمامة طبقا لما أمر الله به ، وبذل المساعي في هذا المجال ؛ لما نشبت في البلدان الإسلامية كل هذه الاختلافات ، والمشاحنات ، والمعارك ، ولما ظهر خلافات في أصول

---

(١) السيد محمد سعيد الحكيم : مصباح المنهاج " الاجتهاد والتقليد" شرح ص ٢٤٧-٢٤٨ بتصرف.

(٢) المصدر السابق شرح ص ٣٩.

(٣) المصدر السابق ص ٣٨٩-٣٩٢ بتصرف.

(٤) الشيخ الصدوق : من لا يحضره الفقيه جـ ٤ ص ٥٤٨.

(٥) الحافظ ابن كثير : الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ٨٢.

الدين وفروعه "[١] ، فضلاً عن :" أن الأنبياء لم يوفقوا في تنفيذ مقاصدهم ، وأن الله سيبعث في آخر الزمان شخصاً يقوم بتنفيذ مسائل الأنبياء " [٢]. هو المهدي المنتظر القائم.

ويكذبون على رسول الله – ﷺ – فيقولون : كان يضع وجهه الكريم بين ثديي فاطمة – عليها السلام – [٣] ؛ وإن فاطمة – سلام الله عليها – امرأة بالغة فهل يعقل هذا [٤] .

وعن علي – عليه السلام – أنه لما عرض عليه النبي – ﷺ – الإسلام قال :" إن هذا دين مخالفٌ لدين أبي ، وأنا أنظر فيه " [٥] فأين العصمة هنا ؟ .

ومن إساءتهم لآل البيت : أن سموا الإمام الحسن بن علي – عليه السلام – بمذل المؤمنين [٦] ؛ حين تنازل عن الخلافة لمعاوية – رضي الله عنهم – [٧] .

بل وثب أهل عسكر الحسن بن علي – عليه السلام – بالحسن ، في شهر ربيع الأول ، فانتهبوا فسطاطه ، وأخذوا متاعه ، وطعنوه في خاصرته ، فردوه جريحاً إلى المدائن [٨] .

وهذا أحد رواتهم [٩] صرح : أنه ضرط في لحية أبي عبد الله – عليه السلام – وقال : لا يفلح أبداً ؛ بسبب مسألة فقهية لم يعجبه جوابه عنها [١٠] .

وحين تسمع من الصادق – عليه السلام – أنه قال :" إنما أكره النظر إلى عورة المسلم ؛ فأما النظر إلى عورة من ليس بمسلم ؛ مثل نظرك إلى عورة حمار "[١١] .

---

(١) الخميني : كشف الأسرار صـ ١٣٧ –١٣٨ .

(٢) الخميني : كشف الأسرار صـ ٢٢ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٣ صـ ٧٨.

(٤) د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ صـ ٢٩.

(٥) السيد ابن طاووس : سعد السعود ، ط أمير ، نشر منشورات الرضى – قم ، ١٣٦٣ش صـ ٢١٦.

(٦) محمد بن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة صـ ١٦٦.الشيخ المفيد : الاختصاص صـ ٨٢.

(٧) هل كان الحسن – عليه السلام – مذلا للمؤمنين ؟ ! أم أنه كان معزا لهم ، لأنه حقن دمائهم ، ووحد صفوفهم بتصرفه الحكيم ، ونظره الثاقب ؟ ! وهذا القول ينسب إلى أبي عبد الله ووالله إنه لبرئ من هذا الكلام . انظر د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ صـ ٢٦.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٤ صـ ٦١.الشيخ الطوسي : اختيار معرفة الرجال جـ ١ صـ ٣٣٠.

(٩) الراوي هو أبو بصير ، والحق لنا أن نبكي دماً لقد مضى على كتاب الكشي عشرة قرون ، وتداولته الشيعة كلهم على اختلاف فرقهم ، فما رأيت أحدا منهم اعترض على هذا الكلام ، أو أنكره ، أو نبه عليه . انظر د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ صـ ٢٦.

(١٠) هو : زرارة بن أعين ، وله جماعة تتبعه تسمى الزرارية . انظر الشيخ الطوسي : اختيار معرفة الرجال جـ ١ صـ ٣٧٩ . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٢ صـ ١٠٩.

(١١) الشيخ الأنصاري : كتاب الطهارة جـ ١ صـ ٤٢١ .السيد الخوئي : كتاب الطهارة جـ ٣ شرح صـ ٣٥٨.

وهذا زين العابدين – عليه السلام – سأله يزيد بن معاوية أن يكون عبداً له ؟ فرضي أن يكون عبداً ليزيد ، وقال له :" أنا عبد مكره ؛ فإن شئت فأمسك ، وإن شئت فبع "[1] .

ولا يقتصر الأمر على الأئمة [2] ، بل طال بنات النبي – ﷺ – فادعوا : أن رقية[3] ، وزينب[4] زوجتا عثمان ، لم يكونا ابنتي رسول الله – ﷺ – ولا ولدي خديجة – رضي الله عنها – بحجة أنه لا يجوز أن يزوج النبي – ﷺ – ابنته من كافر ؛ ولكنهما كانتا ابنتين لهالة [5] أخت خديجة – رضي الله عنهما– [6].

ونتعجب من هذا الخطأ في التأصيل ، فعثمان – رضي الله عنه – لم يكن زوجاً لزينب – رضي الله عنها – يوماً من الدهر ؛ بل تزوج بعد رقية : أم كلثوم – رضي الله عنهم – [7] .

ويرد الصادق – عليه السلام – عن عرضهما :" اللهم صل على رقية بنت نبيك ، والعن من آذى نبيك فيها ، اللهم صل على أم كلثوم بنت نبيك ، والعن من آذى نبيك فيها "[8] ؛ فثبت بذلك :" أن

---

(١) الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ صـ ٢٣٥.

(٢) أكثر من تعرض للطعن : الإمامان محمد الباقر ، وابنه جعفر الصادق – عليه السلام – فقد نسبت إليهم أغلب المسائل :كالقول بالتقية ، والمتعة ، واللواطة بالنساء ، وإعارة الفروج ، وهما بريئان من هذا كله . انظر د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ صـ ٣١.

(٣) رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُوْلِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – : وَأُمُّهَا : خَدِيْجَةُ . تَزَوَّجَهَا عُتْبَةُ بنُ أَبِي لَهَبٍ قَبْلَ الهِجْرَةِ . فَفَارَقَهَا قَبْلَ الدُّخُوْلِ. وَأَسْلَمَتْ مَعَ أُمِّهَا ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ هَاجَرَتْ مَعَهُ إِلَى الحَبَشَةِ الهِجْرَتَيْنِ جَمِيْعاً ، وَمَرِضَتْ قُبَيْلَ بَدْرٍ ، فَخَلَّفَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَيْهَا عُثْمَانَ ؛ فَتُوُفِّيَتْ ، وَالمسْلِمُوْنَ بِبَدْرٍ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ٢٥٠ – ٢٥٣. الزركلي : الأعلام جـ ٣ صـ ٣١ . د حمزة النشرتي ، الشيخ عبد الحفيظ فرغلي ، د عبد الحميد مصطفى : سيرة آل بيت النبي جـ ١ صـ ٤٨٩ – ٤٩٣.

(٤) زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُوْلِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – : وَأَكْبَرُ أَخَوَاتِهَا ، مِنَ المهَاجِرَاتِ ، تَزَوَّجَهَا فِي حَيَاةِ أُمِّهَا ابْنُ خَالَتِهَا أَبُو العَاصِ؛ فَوَلَدَتْ لَهُ أُمَامَةَ الَّتِي تَزَوَّجَ بِهَا : عَلِيُّ بَعْدَ فَاطِمَةَ ، وَهَاجَرَتْ قَبْلَ إِسْلاَمِ زَوْجِهَا بِسِتِّ سِنِيْنَ. تُوُفِّيَتْ: ٨هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ٢٤٦ – ٢٥٠. د حمزة النشرتي ، الشيخ عبد الحفيظ فرغلي : سيرة آل بيت النبي جـ ١ صـ ٤٧٩ – ٤٨٨.

(٥) هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ : أُخْتُ خَدِيجَةَ ، أم أَبِي الْعَاصِ لَقِيطُ بْنُ بْنِ الرَّبِيعِ زوج زَيْنَبُ بِنْتُ النبي ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يراها لشبهها بخديجة. أبو نعيم : معرفة الصحابة جـ ٦ صـ ٣٤٦٢.

(٦) السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ٧ صـ ٣٥ بتصرف . المحقق الأردبيلي : زبدة البيان هامش صـ ٥٧٥. ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ١ صـ ١٣٨.المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ١٩١.

(٧) أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَقَدَ عَلَيْهَا عُتَيْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ ، وَفَارَقَهَا قَبْلَ الدُّخُولِ لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ : تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، فتزوجت ذِي النُّورَيْنِ لَمَّا مَاتَتْ رُقَيَّةُ ، فَتُوُفِّيَتْ فِي حَيَاته – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وقيل : فِي شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ٢٥٢ – ٢٥٣. أبو نعيم الأصبهاني : معرفة الصحابة جـ ٦ صـ ٣١٩٨.

(٨) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٣٣٢ . الشيخ الطوسي : تهذيب الأحكام جـ ٣ صـ ١٢٠.

النبي – ﷺ – تزوج خديجة ؛ وهو ابن بضع وعشرين سنة ، فولدت له قبل مبعثه – ﷺ – القاسم [١] ، ورقية ، وزينب ، وأم كلثوم ، وولد له بعد المبعث الطيب ، والطاهر ، وفاطمة " [٢] .

والراجح أن الطيب والطاهر هما : لقبان لعبد الله بن النبي – ﷺ – وليسا غيره [٣] .

ويتمادون في الإيذاء فيروون في تفسير قول الله – ﷻ – :" وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ " [٤] ، عن الصادق – عليه السلام – : يعني الثالث – أي : عثمان – وزوجته رقية بنت رسول الله – ﷺ – ومعنى ونجني من فرعون وعمله : أي من الثالث وعمله ، ونجني من القوم الظالمين : بني أمية ، وجاء مثله عن الباقر – عليه السلام – في قوله تعالى :" وَجَاءَ فِرْعَوْنُ – يعني الثالث – وَمَنْ قَبْلَهُ – يعني الأوليَّن – وَالْمُؤْتَفِكَاتُ – أهل البصرة – بِالْخَاطِئَةِ – هي عائشة – [٥] ، وروي عن النبي – ﷺ – :" لكل أمة فرعون ، وعثمان فرعون هذه الأمة " ؛ ثم يتناقض ويقول : إن فرعون هو : الأول ، يعني : أبو بكر ، وهامان هو : عمر ، ثم يتناقض أكثر ، فيقول : إن معاوية فرعون هذه الأمة [٦] .

مع أن روايات الشيعة تكاد تتفق على أن أهل البيت كانت :" جل جوائزهم من الخراج[٧] ، خصوصاً ما كان يرسله معاوية إلى الحسن والحسين – عليهما السلام – وما كان يجبيه أبو بكر وعمر وعثمان ، ويفرقه في الصحابة " [٨] .

---

(١) القاسم بن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : أول من ولد بمكة قبل النبوة ، وبه يكنى ، وأول من مات من ولده ، واختلف في سن وفاته ، فقيل : سبعة أيام ، وقيل : سنتين ، وقيل : بلغ الدعوة وهو الراجح ، وفي موته نزلت سورة الكوثر ، وقيل : نزلت في عبد الله أخيه ، وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: " إن له مرضعة في الجنة " . انظر سيرة آل بيت النبي جـ ١ صـ ٤٦٩ – ٤٧١.

(٢) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٤٣٩ بتصرف .

(٣) عبد الله بن النبي – صلى الله عليه وسلم – : كان يلقب بالطيب والطاهر على المشهور ، وقال ابن هشام : إنهما ولدان آخران ، وأكبرهم القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر ، ولكن الراجح الأول ، وربما أدرك عبد الله البعثة ، وقيل : مات قبل البعثة ، ويرجح أن تعيير قريش له بكونه أبتر كان بعد البعثة ، وليس عند موته ، وقيل : نزلت في موت إبراهيم ، وهو مردود ؛ لأن الحديث يقول : أن الذي عيره أبو جهل ، وقد مات أبو جهل في ٢ هـ في بدر ؛ بينما ولد إبراهيم في ٨هـ ، إذ أن مارية – رضي الله عنها –من هدايا المقوقس عظيم مصر سنة ٧ هـ . انظر د حمزة النشرتي : سيرة آل بيت النبي جـ ١ صـ ٤٧١ – ٤٧٣.

(٤) سورة التحريم : آية رقم ١١ .

(٥) سورة الحاقة : آية رقم ٩.

(٦) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٨ صـ ١٨٥ بتصرف.

(٧) الخراج : الإِتَاوَة ، وما يخرج من غلة الأرض ، والبلاد الخراجية التي افتتحت صلحا ووظف ما صولح عليه أهلها على أراضيهم ، فيجب عليهم أن يدفعوا للسلطان قسما من حاصل الأرض كالعشر أو الربع أو الثلث أو الخمسين أو النصف . انظر المعجم الوسيط ، مادة خرج جـ ١ صـ ٢٢٤. رينهارت بيتر : تكملة المعاجم العربية جـ ٨ صـ ٢٧١.

(٨) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٢٢ صـ ١٨١.

ويسؤون لبيت النبوة ؛ فعن أمير المؤمنين – عليه السلام – أنه قال :" سافرت مع رسول الله – ﷺ – ليس له خادم غيري ، وكان له لحاف ؛ ليس له لحاف غيره ، ومعه عائشة ، وكان رسول الله – ﷺ – ينام بيني وبين عائشة ، ليس علينا ثلاثتنا لحاف غيره ، إذا قام إلى صلاة الليل ؛ يحط بيده اللحاف من وسطه بيني وبين عائشة ، حتى يمس اللحاف الفراش الذي تحتنا " [1].

ويتمادون فيروون عن علي بن أبي طالب – عليه السلام – قال : دخلت على رسول الله – صلى الله عليه وآله – قبل أن يضرب الحجاب ، وهو في منزل عائشة ، فجلست بينه وبينها ؛ فقالت : يا بن أبي طالب : ما وجدت مكاناً لإستك غير فخذي؟ أمط عني! فضرب رسول الله – صلى الله عليه وآله – بين كتفيها ، وقال :" ويحك ما تريدين من أمير المؤمنين ، وسيد الوصيين ، وقائد الغر المحجلين [2]. والعجيب أنه غصب منها وليس منه ! .

ويسيئون لواحد من أبناء أهل البيت ، يقولون : وأما القائلون بإمامة جعفر بن علي بعد أخيه – عليه السلام – ؛ فقولهم باطل بما دللنا عليه : من أنه يجب أن يكون الإمام معصوماً ؛ لا يجوز عليه الخطأ ؛ وأنه يجب أن يكون أعلم الأمة بالأحكام ، وجعفر لم يكن معصوماً بلا خلاف ، وما ظهر من أفعاله التي تنافي العصمة أكثر من أن يحصى ، لا نطول بذكرها الكتاب ، وأما كونه عالماً ؛ فإنه كان خالياً منه ؛ فكيف نثبت إمامته [3] ؛ ومن ذلك ما روي عن أبي الحسن – عليه السلام – حين ولد له جعفر ، هنأه الناس به ، فلم يروا به سروراً ، وقال : هون عليك أمره سيضل خلقاً كثيراً [4] ، وروي : إن جعفراً كان ينادي الجواري ، ويسكر بحضور أبي محمد ، وظل سكراناً حتى نام [5].

ويأتي الدور العباس – رضي الله عنه – فقد نزل فيه قوله تعالى :" وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ "[6] [7]، وقوله تعالى :" مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ " [8] [1] .

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٠ صـ ٢. الطبرسي : الاحتجاج جـ ١ صـ ٢٣٣.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٢٤٤ بتصرف .

(٣) الشيخ الطوسي : الغيبة صـ ٢٢٢.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٢١٣. الطوسي : الغيبة صـ ٢٢٧.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٠ صـ ٣٠٦. الطوسي : الغيبة صـ ٢٢٧.

(٦) سورة هود : آية رقم ٣٤.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٢٨٥.

(٨) سورة التوبة : آية رقم ١٧.

ويدعون على عبد الله وعبيد الله [٢] ابني العباس – رضي الله عنهما – [٣] :" اللهم العن ابني فلان ، وأعم أبصارهما ، كما عميت قلوبهما، واجعل عمى أبصارهما دليلا على عمى قلوبهما ".

ثم يتوجهون إلى أصهار النبي – ﷺ – فعن أبي جعفر – عليه السلام – : قد أخرج الله أبا بكر في الغار من السكينة ، وخصه بالحزن ، ومكان علي في هذه الليلة أفضل من مكانه في الغار [٤] ، وحيث أن الله أخرجه من السكينة " دل ذلك على إخراجه من الإيمان " [٥] .

والحزن الذي ابتُليَّ به أبا بكر لم يكن على رسول الله – ﷺ – بل على علي ؛ حيث قال :" يا رسول الله حزني على أخيك علي ، ما كان منه ؟ فقال له النبي – ﷺ – : لا تحزن إن الله معنا ؛ أي : معي ومع أخي علي بن أبي طالب ، الله أكبر ! .

بل أمرت السيدة الزهراء شيعتها فقالت :" فصبوا عليه اللعن والطعن إلى نفخ الصور ، وقيام النشور " [٦] ؛ لأنه ناصب لأهل البيت العداء ، وغاصب للخلافة منهم .

مع أن السنة والشيعة مجمعون على أنه لا يجوز أن يلعن شخص بخصوصه إلا إن علم موته على الكفر ، كأبي جهل ، وأبي لهب ، وأما من لم يعلم فيه ذلك فلا يجوز لعنه ، حتى إن الكافر الحي المعين لا يجوز لعنه ؛ لأن اللعن غير السائغ يعود على صاحبه[٧] ؛ ففي الحديث عن رسول الله – ﷺ – :" " إِذَا خَرَجَتِ اللَّعْنَةُ مِنْ فِي صَاحِبِهَا نَظَرَتْ، فَإِنْ وَجَدَتْ مَسْلَكًا فِي الَّذِي وُجِّهَتْ إِلَيْهِ، وَإِلَّا عَادَتْ إِلَى الَّذِي خَرَجَتْ مِنْهُ "[٨] ، وقال رسول الله – ﷺ – مبيناً ان الدنيا تتعكر بمجرد اللعن سماءً وأرضاً فقال :" إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدْتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمَنًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لَعَنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا "[٩].

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٢٨٥.

(٢) عُبَيْدُ اللهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : ابْنُ عَمِّ رَسُوْلِ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –وُلِدَ: فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ، ولَهُ رُؤْيَةٌ ، كَانَ أَصْغَرَ سِنًّا مِنْ عَبْدِ اللهِ بِسَنَةٍ ، وَكَانَ إِسْلَامُهُ مَعَ أَبِيهِ ، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ أَيَّامَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، يُكَنَّى أَبَا مُحَمَّدٍ . انظر أبو نعيم : معرفة الصحابة جـ ٤ صـ ١٨٧٣. الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ٥١٢– ٥١٤.

(٣) الشيخ الطوسي : اختيار معرفة الرجال جـ ١ صـ ٢٧٠.

(٤) الشيخ سليمان الماحوزي البحراني : الأربعون حديثا في إثبات إمامة أمير المؤمنين – عليه السلام – صـ ٣٣٠ .

(٥) المصدر السابق صـ٣٣٤ . الشيخ المفيد : الاحتجاج جـ ٢ صـ ٣٢٩.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٩ صـ ٣٦٣. وله : مرآة العقول جـ ٥ شرح صـ ٣٣٤. التبريزي الأنصاري : اللمعة البيضاء صـ ٨١٧.

(٧) السيد علي الحسيني الميلاني:استخراج المرام من استقصاء الإفحام، ط شريعت – قم ، ط١، ١٤٢٥هـ/١٣٨٣ش جـ٢صـ١٥٥.

(٨) البيهقي : شعب الإيمان جـ ٧ صـ ١٥١.

(٩) حسن . أبو داود جـ ٤ صـ ٢٧٧. البيهقي : شعب الإيمان جـ ٧ صـ ١٤٩.

بل قالوا : ربما يكون استصحاب النبي – ﷺ – لأبي بكر – رضي الله عنه – في الهجرة لكي لا يدل الكفار على طريق النبي – ﷺ – ، بل روي أن النبي – ﷺ – انطلق إلى الغار فجاء أبو بكر يطلبه فأخبره عليٌّ أنه قد انطلق فاتبعه (١) ، والسؤال : كيف يفشي عليٌّ السر لكافر يريد أن يدل المشركين على طريق النبي – ﷺ – ؟ ولكنهم لا يحسنون الوضع فإن أبا بكر لم يدلهم .

ثم إن عمر بن الخطاب كان في الجاهلية خامل الذكر ، لا يؤبه به ، ولا يلتفت إليه ، ولم يكن له نجدة ، ولا نباهة ، وقد ذكر المخالفون : أنه كان في الجاهلية نخاسّاً للحمير ، وكان في غاية الدناءة ، وأن أباه الخطاب كان حطاباً ، وأنه قطع في السرقة في سوق عكاظ ، وكان عمر يسمى في الجاهلية عميراً ؛ تهكماً وسخرية ، فمن كان هذا شأنه وحاله كيف يعز الإسلام به ؟ فكون الإسلام عز به فما هو إلا اختلاق من أهل النفاق ، وافتراء من ذوي الشقاق ، بل اقترانه مع أبي جهل ينادي باشتراكهما في الضلال ، وأن هذين الملعونين لما اشتركا في البذاءة ، وخبث اللسان ، وإهانة أهل الإسلام ، والسفاهة عليهم ؛ وتساويا في قبح الأخلاق ، وإيذاء الرسول – صلى الله عليه وآله – وأصحابه ، والاستهزاء بهم ؛ أحب أن يدخل واحد منهما في ظاهر الإسلام ؛ ليكون في مقابلة الآخر ؛ ليستظهرا بالسفاهة ، والوقاحة ، ويسلم من شره ، وفتنته (٢).

ولا ينجو صهره الثالث : إن عثمان عمل بالجور ونبذ حكم القرآن ، وقد قال الله تعالى :" وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" (٣) ، فنقمنا ذلك عليه ؛ فقتلناه ، فلما قال : محمد بن أبي بكر (٤) – رضي الله عنه ذلك عن عثمان في زمن معاوية ؛ قام له معاوية بن حديج (٥) فقتله ،

---

(١) الشيخ علي الكوراني العاملي : ألف سؤال وإشكال ، نشر دار السيرة – بيروت ، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م جـ٣ صـ ٣٤٠.

(٢) الشيخ سليمان الماحوزي البحراني :الأربعون حديثا في إثبات إمامة أمير المؤمنين – عليه السلام – صـ ٣٣٣-٣٣٥ بتصرف .

(٣) سورة المائدة : آية رقم ٤٧.

(٤) مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ الصديق : نُفِسَتْ بِهِ أُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ بِذِي الْحُلَيْفَةِ وَهِيَ مُحْرِمَةٌ، سَنَةَ عَشَرٍ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، تُوُفِّيَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ ، أُحْرِقَ بِمِصْرَ فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ ؛ فَجَزِعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ لَأَعُدُّهُ وَلَدًا ، وَكَانَ أَخًا وَابْنَ أَخٍ ، فَعِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُهُ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ رَبِيبَ عَلِيٍّ ، فَوَلَّاهُ مِصْرَ ، ولما اتفق علي ومعاوية على تحكيم الحكمين ، فات عليا : أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر. فَقُتِلَ بِهَا ؛ لمشاركته في مقتل عثمان ، وقيل: لم يحرق . ودفنت جثته مع رأسه في مسجد يعرف بمسجد (زمام) خارج مدينة الفسطاط ، ومدة ولايته خمسة أشهر. أبو نعيم : معرفة الصحابة جـ ١ صـ ١٦٨. الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ٤٨١ – ٤٨٢. الزركلي : الأعلام جـ ٦ صـ ٢٢٠.

(٥) مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجٍ : أَبُو نُعَيْمٍ ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَفْنَةَ السَّكُونِيُّ ، وَقِيلَ: الْخَوْلَانِيُّ ، وَقِيلَ: مِنْ تُجِيبَ ، مِنْ عُمَّالِ مُعَاوِيَةَ ، رَوَى عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – غَيْرَ حَدِيثٍ ، قائد الكتائب ، والي مصر ، شهد (صفين) في جيش معاوية ، قتل محمداً بن أبي بكر ، وأخذ بيعة أهل مصر لمعاوية . ثم ولي إمرة مصر ليزيد . ولي غزو المغرب مرارا ، آخرها سنة ٥٠ هـ ، واستولى على صقلية ، وفتح بنزرت

وأحرقه في جيفة حمار ، وقيل بل قطع رأسه ، وأرسلها إلى معاوية بن أبي سفيان ، فأمر بأن يُطاف برأسه ، وهو أول رأس طيف به في الإسلام[1] .

موقف الأئمة من القول بعصمتهم من كتب الشيعة و أهل السنة :

يعترف بعض علماء الاثني عشرية بوجود مشكلة في عقيدة العصمة ، فيقول :" إذا أحطت خبراً بما تلونا عليك ؛ فاعلم أن هذه المسألة في غاية الإشكال ، لدلالة كثير من الأخبار والآيات على صدور السهو عنهم – عليهم السلام – مثل قوله تعالى :" وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا " [2] ، وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على : عدم جواز السهو عليهم [3].

ومصدر الخطورة في عقيدة العصمة : أنها مصادرة لكل الآراء ، وغلق للأبواب أمام العقل والتفكير، وسد للطريق أمام ذوي البصيرة ؛ لتحل الأهواء محل النصوص الدينية ؛ فبعقيدة العصمة صودرت كل الآراء والاجتهادات ، فكيف تنطق بعد كلام المعصوم ؟ ، فلا يجد المرء أمامه سوى التسليم والقبول ، دون مناقشة ، وهكذا استقر الفساد ، وساد ضياع العقول الذكية [4].

فهيئت لهم هذه العقيدة أن يردوا أخبار الأئمة ، التي تقول بعدم عصمتهم ، أو تأويلها ، أو تكذيبها ، حتى يلبسوا على عوام الشيعة ؛ فتبقى مذعنة لرأي الفقيه النائب عن الإمام الغائب ، وهذا هو الاختطاف الذهني بكل أركانه ومعانيه .

ولكن الأئمة يردون ذلك بأقوالهم وأفعالهم ؛ فقد سئل الرضا – عليه السلام – :" إن في الكوفة قوما يزعمون أن النبي – ﷺ – لم يقع عليه السهو في صلاته ؟ فقال : كذبوا لعنهم الله ، إن الذي لا يسهو هو الله لا إله إلا هو "[5].

والصدوق الصدوق منكري سهو النبي – ﷺ – فيقول :" إن الغلاة والمفوضة لعنهم الله : ينكرون سهو النبي – صلى الله عليه وآله – " [6] .

. وعزل عن مصر (سنة ٥١) ، وتوفي بها ٥٢ هـ . أبو نعيم : معرفة الصحابة جـ ٥ صـ ٢٥٠٢. الزركلي : الأعلام جـ ٧ صـ ٢٦٠ – ٢٦١ . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ٣٧ – ٤٠.

(١) الشيخ محسن الأميني : الغدير جـ ١١ صـ ٦٦-٧٦ بتصرف .

(٢) سورة طه : آية رقم ١١٥.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٧ صـ ١١٨ بتصرف .والمصدر نفسه جـ ٢٥ صـ ٣٥١.

(٤) محمد عبد الرحمن عوض : الشيعة وجذور الكراهية صـ ٥٦ بتصرف .

(٥) الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ١ صـ ٢١٩.المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٧ جـ ١٠٥ . المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٨ صـ ٤٢٤. السيد الخوانساري : جامع المدارك جـ ٣ صـ ٤٨٧.

(٦) الشيخ الصدوق : من لا يحضره الفقيه جـ ١ صـ ٣٥٩. المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٧ صـ ١٠٢.

ويقول أبو جعفر – عليه السلام – :" لا ترفعوا علياً فوق ما رفعه الله ، ولا تضعوا علياً دون ما وضعه الله ، كفي بعلي أن يقاتل أهل الكرة ، ويزوج أهل الجنة " [١] .

ويعلن الإمام أبو عبد الله – عليه السلام – براءته من هذه الأقوال فيقول :" من قال بأنا أنبياء فعليه لعنة الله ، ومن شك في ذلك ؛ فعليه لعنة الله " ، ويدعوا أبو عبد الله – عليه السلام – فيقول :" لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا ، ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا ، وإليه مآبنا ، ومعادنا ، وبيده نواصينا ، وأُخبَر أبو عبد الله – عليه السلام – يوماً : أن قوماً يزعمون أن الأئمة آلهة ، ويستدلون على ذلك بالقرآن ؛ فقال :" إن سمعي ، وبصري ، وشعري ، وبشري ، ولحمي ، ودمي من هؤلاء براء ، برئ الله منهم ورسوله ، ما هؤلاء على ديني ودين آبائي ، لا يجمعني وإياهم يوم القيامة ، إلا وهو عليهم ساخط "[٢].

ثم إن القول بعصمة الأئمة يوقع الاثني عشرية في شَرَكِ الرد على الشبهات التي رووها في كتبهم عن النبي – ﷺ – مثل : ما جاء أنه أمر بلالاً أن يكلأ لهم الليل ، حتى يوقظهم لصلاة الصبح ، ولكن بلالاً غلبته عيناه فنام ، ولم يستيقظ النبي – ﷺ – إلا على حر الشمس ، فقام فأمر الصحابة أن يستيقظوا ، ويتحولوا من هذا الوادي ، وقال : إن به شيطاناً [٣] ، ولما تحول منه أمر بلالاً فأذن وأقام ، وصلى بالصحابة الصبح [٤] .

ومن ذلك : أن النبي – ﷺ – شُغِل يوم الخندق عن أربع صلوات ، حتى ذهب من الليل ما شاء ، فأمر بلالاً فأذن وأقام ، فصلى الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء [٥] ، ثم قال :" مَلَأَ اللهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا، كَمَا حَبَسُونَا، وَشَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ "[٦] .

وكذلك ما جاء أن النبي – ﷺ – هَمَّ أن يدعوا على كفار قريش بالهلاك والعذاب ، لكن الله نهاه عن ذلك ، وقال له :" لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ " [٧] ، فقد استحقوا التعذيب بظلمهم [١].

---

(١) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ٢٦ .

(٢) علي أكبر غفاري : دراسات في علم الدراية تلخيص مقباس الهداية للمامقاني ص ١٥٥ – ١٥٦ بتصرف .

(٣) فيه قدح في العصمة . انظر المجلسي : بحار الأنوار ج ٨١ ص ١٦٦. الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٨ ص ٢٦٧.

(٤) قال البهائي : ربما يظن تطرق الضعف فيه ؛ لأنه ينافي العصمة ، وقال المجلسي لم نطلع على راد لهذا الخبر من جهة الإسناد ، وهو ما يفيد جواز حصول ذلك من المعصوم . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٠٧–١٠٨ بتصرف.

(٥) علق المجلسي: بأنه لا ينافي العصمة ؛ لأن الصلاة تسقط مع الخوف ، ثم تقضى . انظر المجلسي : بحار الأنوار ج ٨١ ص ١٦٦.

(٦) الإمام مسلم : صحيح مسلم ج ١ ص ٤٣٦. النسائي : سنن النسائي الكبرى ج ١ ص ٢٣٦.

(٧) سورة آل عمران : آية رقم ١٢٨.

ولا يجدون بداً من القدح في مثل هذه الأخبار بحجة أنها قدح في النبي – ﷺ – باعتبار رقوده عن فرض – سيما مع أنه لا ينام قلبه ، ومع تضمن بعضها لقوله – عليه السلام – :" إنما نمتم بوادي الشيطان" الدال على : أن منشأ نومهم تسلط الشيطان ، مع أن سلطانه على الذين يتولونه لا على المؤمنين الذين معه ، وهذا القدح مخدوش جداً ؛ لمنع كون رقوده قدحاً فيه ، بل رحمة للأمة كما ورد في بعض هذه الأخبار [٢] ؛ وإنامته سبحانه له لمصلحة لا توجب قدحاً فيه أصلاً ، ولا ينافي تيقظ قلبه ، وكونه وادي شيطان لا يدل على تسلطه على الجميع ، غايته إنامته لبعض منهم ، إذ لم يكن الجميع من أهل العصمة ، بل لعل أهل النفاق كانوا فيهم أيضا [٣].

وعلماء الاثني عشرية تلقوا أخبار نوم النبي – ﷺ – عن الصلاة بالقبول ، حتى قالوا : أنه لا عار في الرقود عن الفريضة ؛ لأن النبي – صلى الله عليه وآله – فعل ذلك رحمة للعباد ، ولئلا يعير بعضهم بعضاً [٤].

والجملة : أنه لا يجترئ على نسبته إليهم – عليهم السلام – ، لما دل من الآيات والأخبار على بلوغهم أقصى مراتب الكمال ، وأفضليتهم ممن عداهم في جميع الأحوال والأعمال ، وأنهم تنام أعينهم ، ولا تنام قلوبهم ، وأن حالهم في المنام كحالهم في اليقظة ، وأن النوم لا يغير منهم شيئا من جهة الإدراك والمعرفة ، وأنهم لا يحتلمون ، ولا يصيبهم لمة الشيطان ، ولا يتثاءبون ، ولا يتمطون في شيء من الأحيان ، وأنهم يرون من خلفهم كما يرون من بين أيديهم ، ولا يكون لهم ظل ، ولا يُرى لهم بول ولا غائط ، وأن رائحة نجوهم كرائحة المسك ، وأمرت الأرض بستره وابتلاعه ، وأنهم علموا ما كان وما يكون من أول الدهر إلى انقراضه [٥] ، وأنهم جعلوا شهداء على الناس في أعمالهم ، وأن ملائكة الليل والنهار كانوا يشهدون مع النبي – ﷺ – صلاة الفجر ، وأن الملائكة كانوا يأتون الأئمة عند وقت كل صلاة ، وأنهم ما من يوم ولا ساعة ولا وقت صلاة إلا وهم ينبهونهم لها ليصلوا معهم ، وإنهم كانوا مؤيدون بروح القدس يخبرهم ويسددهم ، ولا يصيبهم

---

(١) قال المجلسي : كون الأمر في الإهلاك ، والتعذيب ، وقبول التوبة إلى الله تعالى لا ينافي عصمته – صلى الله عليه وسلم – بوجه ؛ حيث كان الدعاء عليهم لم يكن منهيا عنه ؛ وإنما أمره تعالى بالكف ؛ لنوع من المصلحة . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٧ صـ ٣٧.

(٢) الكليني : الفروع من الكافي جـ ٣ صـ ٢٩٤. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٨ صـ ٢٦٧.

(٣) المحقق النراقي : مستند الشيعة في أحكام الشريعة جـ ٧صـ ٢٨٠ بتصرف .

(٤) الشيخ الأنصاري : رسائل فقهية تحقيق : لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم ط باقري – قم ، ط١ ، ١٤١٤هـ صـ ٣٢٠. قلت : هذا فيه إساءة للنبي – صلى الله عليه وسلم- حيث جوزوا السهو والنوم على النبي ولم يجوزوه على أئمتهم كما سترى .

(٥) ورد في الكافي : أن أبا بصير أراد أن يسأل أبا عبد الله – عليه السلام – سؤالا ، فرفع أبو عبد الله سترا بينه وبين بيت آخر ، فاطلع فيه ثم قال سل عما بدا لك . قلت : فيه دليل على عدم علمه بالغيب . الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٢٣٩

الحدثان ، ولا يلهون ، ولا ينامون ، ولا يغفلون ، وبه علموا ما دون العرش إلى ما تحت الثرى ، ورأوا ما في شرق الأرض وغربها [١].

وينقلون عن أئمة آل البيت ما يؤكد عصمتهم ؛ مثل ما روي عن هشام بن الحكم حين سُئل عن الإمام أهو معصوم ؟ قال : نعم ، فقيل له : وما صفة العصمة فيه ؟ وبأي شيء تعرف ؟ قال : إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها : الحرص ، والحسد ، والغضب ، والشهوة فهذه منفية عنه ، فلا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا ، وهي تحت خاتمه ؛ لأنه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص ؟ [٢].

ثم تجد عندهم ما يتناقض مع هذه العصمة التي لا تضاهيها عصمة ، فيرد علي –عليه السلام– عليهم :" فلا تكفو عني مقالة بحق ، أو مشورة بعدل ؛ فإني لست في نفسي بفوق ما أن أخطئ ، ولا آمن ذلك من فعلي ، إلا أن يكفيني الله من نفسي ما هو أملك به مني ، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره ، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا ، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه ، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى ، وأعطانا البصيرة بعد العمى " [٣].

وكان يتعوذ فيقول :" اللهم إني أعوذ بك من ذنب يحبط العمل ، وأعوذ بك من ذنب يعجل النقم ، وأعوذ بك من ذنب يمنع الدعاء ، وأعوذ بك من ذنب يمنع التوبة ، وأعوذ بك من ذنب يهتك العصمة ، وأعوذ بك من ذنب يورث الندم ، وأعوذ بك من ذنب يحبس القسم" [٤].

ويتضرع ويقول :" إلهي : كم من موبقة حُمِلَتْ عني فقابلتها بنعمتك ، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك ، إلهي : إن طال في عصيانك عمري ، وعظم في الصحف ذنبي ، فما أنا مؤمل غير غفرانك ، ولا أنا براج غير رضوانك ، أفكر في عفوك ؛ فتهون عليَّ خطيئتي [٥].

وهذا زين العابدين علي بن الحسين – عليه السلام – يدعوا :" اللهم إنه يحجبني عن مسألتك خلال ثلاث ، وتحدوني عليه خلة واحدة ، يحجبني : أمر أمرت به فأبطأت عنه ، ونهي نهيتني عنه فأسرعت إليه ، ونعمة أنعمت بها عليَّ ، فقصرت في شكرها ، ويحدوني على مسألتك : تفضلك علي من أقبل بوجهه إليك " [٦].

---

(١) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام جـ ١٣ صـ ٧٣-٧٦ بتصرف.

(٢) الشيخ الصدوق : الأمالي صـ٧٣٢ بتصرف. وانظر الصدوق : الخصال صـ ٢١٥.

(٣) هذا منه من باب هضم النفس . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٤ صـ ٣٥٩.الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ صـ٣٥٧.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨٨ صـ ٣٨٢. وجـ ٩١ صـ ٩٣.

(٥) الشيخ الصدوق : الأمالي صـ ١٣٧ بتصرف .

(٦) الإمام زين العابدين : الصحيفة السجادية صـ ٧٢ — ٧٥ بتصرف .د إيمان العلواني : مصادر التلقي عند الإمامية صـ٣٩٣ .

ويقول أيضاً : " ولا تؤاخذني بقبيح فعلي ، ولا تردني خائباً ؛ لفساد نيتي ، وتعطف علي بجودك وكرمك ، وأصلح مني ما كان فاسداً ، إلهي وسيدي : كم لي من ذنب بعد ذنب ، وسرف بعد سرف ، سترته يا رب ولم تكشف سترك عني ، بل سترت العورة ، وكثرت مني الإساءة ، وعظم حلمك عني ، حتى خفت أن أكون مستدرجاً ، إلهي وسيدي : هذه يدي وناصيتي بيدك ، مقر بذنبي ، معترف بخطيئتي ، فإن تعف ، فربما عفوت ، وصفحت ، وأحسنت ، فتفضلت ، وإن تعذبني ؛ فبما قدمت يداي "[1] .

وعن الكاظم – عليه السلام – حين سُئل : يزعمون أنك تعلم الغيب ؟ فقال : سبحان الله ! ضع يدك على رأسي ؛ فو الله ما بقيت شعرة فيه ، ولا في جسدي إلا قامت ، ثم قال : لا والله ما هي إلا وراثة عن رسول الله – صلى الله عليه وآله – [2].

وعن أبي عبد الله – عليه السلام – يقول في دعائه : " يا رحمن ، يا رحيم : اغفر لي الذنوب التي تغير النعم ، واغفر لي الذنوب التي تحل النقم ، واغفر لي الذنوب التي تهتك العصم ، واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء ، واغفر لي الذنوب التي تديل الأعداء ، واغفر لي الذنوب التي تعجل الفناء ، واغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء ، واغفر لي الذنوب التي تظلم الهواء ، واغفر لي الذنوب التي تكشف الغطاء ، واغفر لي الذنوب التي ترد الدعاء ، واغفر لي الذنوب التي ترد غيث السماء "[3] .

وعن أبي الحسن موسى – عليه السلام – أنه خر ساجدا وبكى ثم قال : " رب عصيتك بلساني ، ولو شئت وعزتك لأخرستني ، وعصيتك ببصري ، ولو شئت وعزتك لأكمهتني – أعميتني – ، وعصيتك بسمعي ، ولو شئت وعزتك لأصممتني ، وعصيتك بيدي ولو شئت وعزتك لكنعتني – قبضتها وتشنجت – ، وعصيتك برجلي ، ولو شئت وعزتك لجذمتني[4] ، وعصيتك بفرجي ولو شئت وعزتك لعقمتني ، وعصيتك بجميع جوارحي التي أنعمت بها علي ، وليس هذا جزائك مني ، وظل يكرر العفو العفو ألف مرة ، ثم ألصق خده بالأرض ، وقال : بؤت إليك بذنبي ، عملت

---

(١) المصدر السابق صـ ٢٧٤-٢٧٥بتصرف.

(٢) الشيخ محسن الأميني : الغدير في الكتاب والسنة والأدب جـ ٥ صـ ٥٨.

(٣) محمد صالح المازندراني: شرح أصول الكافي جـ ١٠صـ ٤٨٩. قطب الدين الرواندي : سلوة الحزين المعروف بالدعوات ، ط أمير – قم ، ط١، ١٤٠٧هـ صـ ٦٠-٦١.

(٤) الجذام : علة تتآكل منها الأعضاء وتتساقط . المعجم الوجيز ، مادة جذم صـ ٩٧ .

سوءً ، وظلمت نفسي ، اغفر لي ؛ فإنه لا يغفر الذنوب غيرك يا مولاي ، ارحم من أساء ، واقترف ، واستكان ، واعترف ثلاث مرات " [1].

وهذا الصادق – عليه السلام – يقول :" اغتسل أبي من الجنابة ، فقيل له : قد بقيت لمعة في ظهرك لم يصبها الماء ، فقال – عليه السلام – ما كان ضرك لو سكت ، ثم مسح تلك اللمعة بيده " قيل : ونحوه روي عن النبي – ﷺ – [2] ؛ ولذلك كان يدعوا :" إلهي كيف أدعوك وقد عصيتك ، وإن كنت عاصياً مددت إليك يداً بالذنوب مملوءة ، أنا أسير بذنبي مرتهن بجرمي ، لئن طالبتني بذنوبي ؛ لأطالبنك بكرمك ، ولئن طالبتني بجريرتي ؛ لأطالبنك بعفوك ، ولئن أمرت بي إلى النار ؛ لأخبرن أهلها أني كنت أقول : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله " [3] .

وجاء عن أبي عبد الله – عليه السلام – قال : " صلى عليٌّ – عليه السلام – بالناس على غير طهارة ، وكانت الظهر ، ثم دخل ؛ فخرج مناديه أن أمير المؤمنين صلى على غير طهارة ؛ فأعيدوا ، وليبلغ الشاهد الغائب "[4] ؛ وكان فيقول :" إنا لنذنب ونسيء ، ثم نتوب إلى الله متاباً[5] .

وعن أبي جعفر – عليه السلام – قال :" إن أبي ضرب غلاماً أسوداً بسوط ؛ فبكى الغلام ، وقال : تبعثني في حاجتك ، ثم تضربني ؟ قال أبو جعفر – عليه السلام – : فبكى أبي ، وقال : يا بني اذهب إلى قبر رسول الله – صلى الله عليه وآله – فصل ركعتين ، ثم قل : اللهم اغفر لعلي بن الحسين خطيئته يوم الدين ، ثم قال للغلام : اذهب أنت حر لوجه الله [6].

وهذا أبو الحسن –عليه السلام– " أكل من مال المقامرة شيئاً ، من غير علم ، فلما علم قائه "[7].

وجاء في تفسير قول الله ﷻ :" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" [8] أن الأئمة محدثون

---

(١) يقول الحر العاملي : هذا لا ينافي العصمة ؛ لاحتماله التأويلات المتعددة ، مثل " أنهم كانوا يسمون ترك المندوب ذنبا وسيئة بالنسبة إلى كلامهم ، ويحتمل إرادة التعليم ". انظر الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٧ صـ ١٧-١٨ بتصرف.

(٢) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام جـ٣ صـ ٩٢.

(٣) الشيخ الصدوق : الأمالي صـ ٤٣٨ – ٤٣٩ بتصرف .

(٤) يقول الحر العاملي:هذا خبر شاذ مخالف للأحاديث كلها ، وهو ينافي العصمة ، فلا يجوز العمل به ، والحديث محمول على التقية ؛لأن العامة ينقلون مثل ذلك عن عمر.انظر الحر العاملي:وسائل الشيعة جـ ٨صـ ٣٧٣-٣٧٤ بتصرف. الميرزا القمي:غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام،تحقيق:عباس تبريزيان، ط مكتب الإعلام الإسلامي– خراسان–إيران، ط١ ، ١٤١٨هـ/١٣٧٦ش جـ ٣صـ ٢٢٣.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٢٠٧.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨٨ صـ ٣٨٢.

(٧) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام جـ٢٢صـ ١١٠.

(٨) سورة الحج : آية رقم ٥٢.

مفهمون ، وكان تفسيرها بما يوافق هذه العقيدة :" أن الرسول والنبي والمحدث أعني الإمام – صلوات الله عليهم – كان الواحد منهم إذا أراد معرفة شيء من غير جهة الوحي وسوس إليه الشيطان بضد ذلك ، أو بخلافه ، فينسخه الله ، ويبطله بتحديثه إياه ، أي : إلهامه الصواب ، وإحكامه ذلك في باله ، فمن هنا كانوا يعرفون الأمور العظام التي يريدون معرفتها ، ووسوسة الشيطان لا تنافي العصمة ؛ إنما ينافيها المعصية "[1] .

وعن زيد بن علي – عليهما السلام – قال :" صليت مع أبي المغرب ، فنسي فاتحة الكتاب في الركعة الأولى ، فقرأها في الثانية " [2].

يقول الممقاني[3] ليوضح غلو الشيعة اليوم في أئمتهم :" إنا قد بينا غير مرة أن رمي القدماء الرجل بالغلو لا يعتمد عليه ، ولا يركن إليه ؛ لوضوح كون القول بأدنى مراتب فضائلهم – يعني الأئمة – غلواً عند القدماء ، وكون ما نعده اليوم من ضروريات مذهب التشيع غلواً عند هؤلاء، وكفاك في ذلك عدّ الصدوق نفي السهو عنهم غلواً ، مع أنه اليوم من ضروريات المذهب ، وكذلك إثبات قدرتهم على العلم بما يأتي – أي علم الغيب – بتوسط جبرائيل والنبي غلواً عندهم ، وهي من ضروريات المذهب اليوم "[4] .

وهذا إقرار من واحد من أكبر شيوخهم المعاصرين في علم الرجال ، يتضمن : الاعتراف بتغيير المذهب ، وتطوره من الاعتدال إلى التطرف ، وأن من ضروريات مذهب الشيعة اليوم أموراً كانت عند القدماء غلواً " [5] .

وبالجث تجد أن الرافضة قد وضعت مقالتين ، لا يظهر معهما لأئمتهم أي خطأ ، أو ذنب ؛ لتتم لهم العصمة : أولاهما : البداء ؛ فإذا أخبروهم بأنهم تملكوا ، فلم يكن قالوا : بدا لله فيه . وثانيهما : التقية ؛ كلما تكلموا بشيء ، فظهر بطلانه ، قالوا : خرج على التقية [6] .

ومن أدلة سهو النبي – ﷺ – قوله – ﷻ – :" وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ " [1]. قال الجبائي : وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول الإمامية في جواز التقية على

---

(١) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي صـ ١٨٢-١٨٣.

(٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ٦ صـ ٩٢.

(٣) الممقاني : عبد الله بن محمد حسن الممقاني ، ولد بالنجف ١٢٩٠هـ ، وتوفي بها ١٣٥١هـ ، قال: هذا الكلام في دفاعه عن المفضل بن عمرو الجعفي ، فيما رمي به من قبل بعض علماء الشيعة. انظر سامح الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الإثنى عشرية صـ ٣٧ .

(٤) المرجع السابق صـ ٣٧ بتصرف ، نقلا عن : تنقيح المقال : للممقاني .

(٥) المرجع السابق صـ ٣٧ بتصرف.

(٦) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم إلى معرفة من يستحق التقديم جـ ٢ صـ ٢٧٠.

الأنبياء والأئمة ، وأن النسيان لا يجوز على الأنبياء [٢]. وقوله تعالى :" وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ"[٣]. والنسيان هنا معناه : الترك [٤] ، ونقول : حتى وإن كان معناه الترك ؛ فهو ضد العصمة ؛ لأن العصمة تقتضي عدم ترك المندوب .

وقوله تعالى :" سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ " [٥] ، بأن ينسخ تلاوته ، وقيل: المراد : القلة والندرة ؛ لما روي أنه – ﷺ – نسي آية في قراءته في الصلاة ، فحسب أُبي أنها نسخت ، فسأله : فقال : نسيتها، أو نفي النسيان رأساً ؛ فإن القلة تستعمل في النفي ، وقيل : معناه : النهي ، أي : فلا تغفل عن تكراره ، وقراءته [٦] . والتلاوة وإن كانت مستحبة ؛ فتركها يبطل العصمة .

ومن أدلة سهوه حديث ذي الشمالين [٧] : عن أبي عبد الله – عليه السلام – :" إن رسول الله – صلى الله عليه وآله – صلى الظهر أو العصر ، فسلم من ركعتين ، ثم ذكره ذو اليدين[٨] ، فقام ، فأكمل الصلاة ، ثم سجد للسهو " [٩].

وحديث أن النبي – صلى الله عليه وآله – صلى خمس ركعات [١٠] ، فقيل له : هل زيدت الصلاة ، فلما ذكروه ، قام فاستقبل القبلة ، فسجد للسهو ، ثم قال : هما المرغمتان [١١] .

---

(١) سورة الأنعام : آية رقم ٦٨.

(٢) علق المجلسي : وهذا القول غير صحيح ، ولا مستقيم ؛ لأن الإمامية إنما تجوز التقية على الإمام فيما يكون عليه دلالة قاطعة توصل إلى العلم ، ويكون المكلف مزاح العلة في تكليف ذلك ، فأما ما لا يعرف إلا بقول الإمام من الأحكام ، ولا يكون على ذلك دليل إلا من جهته ، فلا يجوز عليه التقية فيه ؛ فالمراد من الآية : الخطاب للنبي وآله ظاهرا ، والمراد غيرهم ، أو من قبيل الخطاب العام .انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٧ ص ٩٨ بتصرف .

(٣) سورة الكهف : آية رقم ١٨ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٧ ص ٩٩ .

(٥) سورة الأعلى : آية رقم ٦ – ٧ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٧ ص ٩٩.

(٧) ذُو الشِّمَالَيْنِ ابْنُ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ نَضْلَةَ مِنْ " خُزَاعَةَ "، حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ ، وقيل : ذُو الشِّمَالَيْنِ ابْنُ عَبْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نَضْلَةَ بْنِ غَبْشَانَ، قُتِلَ بِبَدْرٍ، وَذُو الشِّمَالَيْنِ غَيْرُ ذِي الْيَدَيْنِ ؛ لِأَنَّ ذَا الْيَدَيْنِ سُلَيْمِيٌّ سَكَنَ " وَادِي الْقُرَى " ، يُقَالُ لَهُ: الْخِرْبَاقُ . وقال الذهبي : وَذُوْ الشِّمَالَيْنِ عُمَيْرُ بنُ عَبْدِ عَمْرٍو الخُزَاعِيُّ . أبو نعيم : معرفة الصحابة جـ ٢ ص ١٠٣٠. الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١ ص ١٧٠.

(٨) ذُو الْيَدَيْنِ: خِرْبَاقٌ السُّلَمِيُّ ، صحابي لم يذكر إلا في حديث سجود السهو ، رَوَى عَنْهُ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، وَغَيْرُهُ وَيُكَنَّى أَبَا الْعُرْيَانِ، كَانَ يَنْزِلُ بِذِي خَشَبٍ ، مِنْ نَاحِيَةِ الْبَصْرَةِ . وهو غير ذي الشمالين . أبو نعيم : معرفة الصحابة جـ ٢ ص ١٠٢٩.

(٩) أخرجه المجلسي بروايات مختلفة في : بحار الأنوار جـ ١٧ ص ١٠١بتصرف .

(١٠) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٩ ص ١١٧ . الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ١٢ ص ٢٥٩.

(١١) المرغمتان : سجدتا السهو لكونهما يرغمان أنف الشيطان . انظر الشهيد الأول : ذكرى الشيعة جـ ١ هامش ص ٢٦٤.

وهذا الإمام أبو جعفر – عليه السلام– يدعوا ويقول :" واغفر لي ما سلف من ذنوبي ، وارزقني العصمة فيما بقي من عمري ، أن أعود في شيء من معاصيك أبداً ، حتى تتوفاني وأنت عني راض ، وأثبت لي الشهادة ، ثم لا تحولني عنها أبداً برحمتك[1] .

ويؤكد نسيان النبي – ﷺ – أنه نسي أن يقول إن شاء الله ؛ فذَّكره جبريل – عليه السلام – فعن أبي عبد الله – عليه السلام – : أن رسول الله – ﷺ – بلغه عن بطنين من قريش كلام تكلموا به ، فقال : كيف أنتم يا معاشر قريش : وقد كفرتم بعدي ، ثم رأيتموني في كتيبة من أصحابي أضرب وجوهكم ورقابكم بالسيف ، فنزل جبريل – عليه السلام – وقال : يا محمد ، قل إن شاء الله ، أو يكون ذلك علي ، فقالها النبي – ﷺ – ويخرج عليٌّ من ظهر الكوفة [2] .

ولماذا لا يكون الإمام غير معصوم ؟ وهل الإمام إلا بشر مثلنا ؟ " يولد ، ويلد ، ويصح ، ويمرض ، ويأكل ، ويشرب ، ويبول ، ويتغوط ، وينكح ، وينام ، وينسى ، ويسهو ، ويفرح ، ويحزن ، ويضحك ، ويبكي ، ويحيى ، ويموت ، ويقبر فيزار ، ويحشر ، ويوقف ، ويعرض ، ويسأل ، ويثاب ، ويكرم ، ويشفع [3] . والخلاصة : أنه عبد لرب لا يحتاج لأحد من خلقه .

وعن أبي عبد الله – عليه السلام –:" فوا الله ما نحن إلا عبيد ، خلقنا الله ، واصطفانا ما نقدر على ضرر ، ولا نفع إلا بقدرته ، ولعن الله من قال فينا ما لا نقول في أنفسنا " [4].

وفي رواية زاد – عليه السلام – :" إن رحمنا فبرحمته ، وإن عذبنا فبذنوبنا ، والله ما لنا على الله حجة ، ولا معنا من الله براءة ، وإنا لميتون ، ومقبورون ، ومنشورون ، ومبعوثون ، وموقوفون ، ومسئولون ، وها أنا بين أظهركم لحم رسول الله ، وجلد رسول الله ، أبيت على فراشي خائفاً ، وجلاً ، مرعوباً ، يأمنون ، وأفزع ، وينامون على فراشهم ، وأنا خائف ساهر وجل ، أبرأ إلى الله مما قال فيَّ " [5] هؤلاء .

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨٦ صـ ٢٥٠–٢٥١.

(٢) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ١٩ – ٢٠ بتصرف .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١١٧–١١٨.

(٤) وقد كذب هذه الرواية الشيخ محمد مؤمن القمي في : تسديد الأصول ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤١٩هـ جـ ٢ صـ ٧٦ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٢٨٩.

(٥) د عبد الهادي الفضلي : أصول الحديث ، نشر مؤسسة أم القرى – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٦هـ صـ ١٤٧. الشيخ الطوسي : اختيار معرفة الرجال جـ ٢ صـ ٤٩١.حسين الساعدي : المعلى بن خنيس ، نشر دار الحديث – قم ، ط١ ، ١٤٢٥هـ / ١٣٨٣ش صـ ٥٧.

وقال :" من قال : إنا أنبياء فعليه لعنة الله ، ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله ، أبلغ شيعتنا أننا لا نغني من الله شيئا ، وأنه لا ينال ما عند الله إلا بالعمل " [١] ؛ فما باله لو سمع بأنهم يعتقدون أن رتبة الإمامة تعلو على رتبة النبوة كما ذكرنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !.

ويبكي الإمام زين العابدين – عليه السلام – ويقول :" وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك ، ولا بنكالك جاهل ، ولا لعقوبتك متعرض ، ولكن سولت لي نفسي ، وأعانني على ذلك سترك المرخى به علي فأنا الآن من عذابك من يستنقذني ؟ وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني ؟ فوسوأتاه غداً من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين جوزوا ، وللمثقلين حطوا ، أمع المخفين أجوز ؟ أم مع المثقلين أحط ؟ ويلي : كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب ، أما آن لي أن أستحي من ربي " [٢] ، وبقريب من هذا الدعاء كان يدعوا الإمام علي [٣] ، والإمام الصادق [٤] – عليهما السلام – .

والسؤال : هل كانوا يتقون الله حين كانوا يدعون الله بهذه الأدعية ؟ أم أنهم يتقون أناساً ممن يسمعهم ؟ أم أنه تواضع وهم معصومون فعلاً من كل ذنب لكنهم يدَّعون ذلك تواضعاً ؟ .

أهمية عقيدة العصمة عند أهل السنة :

يعلم كل ناظر في القرآن ما رفع الإسلام من شأن الأنبياء والمرسلين . والمنزلة التي أحلهم من حيث هم حملة الوحي ، وقدوة البشر في الفضائل ، وصالح الأعمال ، وتنزيهه إياهم عما رماهم به أعداؤهم ، وما نسبه إليهم المعتقدون بأديانهم .

ولا يخفى على أحد من أهل النظر في هذا الدين القويم أنه قد قرر عصمة الرسل كافة من الزلل في التبليغ ، والزيغ عن الوجهة التي وجه الله وجوههم نحوها من قول أو عمل ، وخص خاتمهم محمداً – ﷺ – فوق ذلك بمزايا ، فصلت في ثنايا الكتاب العزيز ؛ لذلك فإن عصمة الرسل في التبليغ عن الله أصل من أصول الإسلام ، أجمعت عليه الأمة ، ومن خالف ؛ فإنما هو في غير الإخبار عن الله ، وإبلاغ وحيه إلى خلقه "[٥] .

---

(١) السيد المرعشي النجفي : شرح إحقاق الحق ، تحقيق : السيد محمود المرعشي ، ط حافظ ، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي – قم ، ط١ ، ١٤١٥هـ جـ ٢٨ صـ ٤٩٢.

(٢) الإمام زين العابدين : الصحيفة السجادية صـ ١٧٦. ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ٣ صـ ٢٩١. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٦ صـ ٨١ . محمد الريشهري : ميزان الحكمة جـ ٤ صـ ٣٢٥٦. الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين جـ ٣ صـ ٥٦٤.

(٣) النوري الطبرسي : مستدرك الوسائل جـ ٦ صـ ٣٤١. السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ ٧ صـ ١٦٤.

(٤) السيد ابن طاووس : إقبال الأعمال جـ ٢ صـ ١٤٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٥ صـ ٢٥٥.

(٥) الشيخ محمد عبده:دروس من القرآن الكريم،ط شركة الأمل-إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة ، ط٢،٢٠١١م صـ ١٣٦.

ويجب أن يعتقد المؤمن أن الأنبياء – عليهم السلام – " أكمل الخلق علماً ، وعملاً ، وأصدقهم ، وأبرهم ، وأكملهم أخلاقاً وأعمالاً ، وأن الله خصهم بخصائص وفضائل لا يلحقهم فيها أحد ، وأن الله برأهم من كل خلق رذيل ، وأنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى ، وأنه لا يستقر في خبرهم ، وتبليغهم إلا الحق والصواب ، وأنه يجب الإيمان بهم ، وبكل ما أوتوه من الله ، ومحبتهم ، وتعظيمهم ، وأن هذه ثابتة لنبينا محمد – ﷺ – على أكمل الوجوه [١].

تعريف العصمة عند أهل السنة

العصمة لغة : مأخوذة من الحفظ والمنع [٢].

العصمة في الاصطلاح :" ملكة تمنع الفجور ، وكيفية يخلقها الله في العبد ، تمنعه من ارتكاب الفجور ، بطرق جري العادة " [٣] ، وقيل : " عدم خلق القدرة على المعصية " [٤].

والعصمة لها تأويلان : أحدهما : الغفران ، والثاني : العصمة حتى لا يعصي" [٥] .

وعصمة الشخص تعني : " الحفظ من الوقوع في الذنب ، وقيل : المنع منه ، وقيل : عدم قدرة المعصية ، وقيل : خلق مانع من ارتكاب المعصية ، غير ملج ؛ وهي متقاربة ، وأحسن ما قيل فيها : أنها ملكة نفسانية ، تمنع صاحبها الفجور " [٦].

لمن تكون العصمة عند أهل السنة :

وأجمع أهل السنة على أن العصمة المطلقة لله – ﷻ – ولكتابه [٧]، الذي قال فيه : " لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" [٨] ، فغيره من الكتب قد يقع فيه الخطأ

---

(١) عبد الله بن الجبرين :شرح أصول العقائد الدينية ، نشر دار كنوز أشبيليا – الرياض ، ط١ ،١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م ص ١٢٢.

(٢) الحصكفي : الدر المختار شرح تنوير الأبصار ، ط دار الفكر – بيروت ، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م جـ ١ص ٢٨.

(٣) الشيخ الدسوقي: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، ط دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الحلبي – القاهرة ، دت جـ ١ص ٢٧.

(٤) الخطاب الرعيني : مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م جـ ١ص ٥٧.

(٥) محمد بن أحمد الشربيني الخطيب :مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – القاهرة ، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م جـ ١ص ٤٤٦.

(٦) الإسنوي :نهاية السول في شرح منهاج الأصول جـ ٣ ص ٦٢٠.

(٧) الإمام الشافعي : الرسالة ص ٧٣.

(٨) سورة فصلت : آية رقم ٤٠ .

والزلل ؛ لأنها من تآليف البشر ، والخطأ والزلل من شعارهم [١] ؛ لذا :" أبى الله أن تكون العصمة لغير كتابه "[٢].

إذ العصمة لغة : مأخوذة من الحفظ والمنع ؛ وهي بهذا المعني تنطبق على عصمة كتاب الله من التبديل ، والتحريف ، والتغيير في آياته ؛ فهو المحفوظ من قبل الله سبحانه وتعالى [٣].

والعصمة لأنبيائه –عليهم السلام –[٤] على جهة الوجوب ، وعلى جهة الجواز لغيرهم ، فلا مانع أن يوجد من لا يصدر منه معصية ، وإن لم يكن ذلك واجباً له ، ومن أسباب حصولها للعبد الدعاء بها [٥] إذ لا يوجد من البشر من هو معصوم سوى الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – فيؤدي اشتراط العصمة في الشهادة ، وقبول الحق من الناس إلى سد باب الشهادة ، وهو مفتوح لا يغلق ، حيث اتفقت كل الفرق الإسلامية حتى الشيعة : أن العدل تقبل شهادته [٦] ؛ لأن الأنبياء وسائط بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه ، ومع ذلك فظواهرهم ، وأجسامهم ، وبنيتهم متصفة بأوصاف البشر ، طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض ، والأسقام ، والموت ، والفناء ، ونعوت الإنسانية .

ولكن أرواحهم ، وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر ، متعلقة بالملأ الأعلى ، متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات ، لا يلحقها غالباً عجز البشر ، ولا ضعف الإنسانية ؛ إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم ؛ لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ، ورؤيتهم ومخاطبتهم ، ومخالَّتهم ، وكذلك لو كانت أجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة ، وبخلاف صفات البشر لما أطاق البشر ، ومن أرسلوا إليهم مخالطتهم " [٧].

وهذه العصمة لها مظاهر ثبتت من أدلة الشرع منها : قول رسول الله – ﷺ – : " لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً ؛ لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ، ولكن صاحبكم خليل الله "[٨] .

---

(١) ابن عابدين : حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار ، ط دار الفكر – بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م جـ ١صـ ٢٨.

(٢) أبو يعلى الموصلي : مسند أبو يعلى جـ ١ صـ ٢٢.

(٣) الحصكفي : الدر المختار شرح تنوير الأبصار ، ط دار الفكر – بيروت ، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م جـ ١صـ ٢٨.

(٤) محمد بن أحمد الشربيني الخطيب : مغني المحتاج في معرفة معاني ألفاظ المنهاج جـ ٤صـ ١٣٠. الشرواني والعبادي : حواشي الشرواني والعبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج ، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ، دت جـ ٩ صـ ٧٦.

(٥) الحصكفي : الدر المختار شرح تنوير الأبصار جـ ١صـ ٢٨.

(٦) الشوكاني : نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار جـ ٦صـ ٣٤٦ بتصرف.

(٧) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ ٢صـ ١٣١ بتصرف .

(٨) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ١٨٥٥ . الإمام أحمد : المسند جـ ٦ صـ ٥٦ . الألباني : صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ط المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م وقال : صحيح عن ابن مسعود جـ ٢صـ ٩٣٧.

ومنها : إن عيني تنامان ، ولا ينام قلبي [1] ، ومنها : " إني لست مثلكم ، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني " [2] ؛ ويكمل الله له العصمة : بشق صدره – ﷺ – أكثر من مرة ، ولكل مرة منها حكمة ، فالأولى : حين أخرج جبريل من صدره علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، وكان هذا في زمن الطفولية ؛ فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، والثانية : عند البعثة زيادة في إكرامه ؛ ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير ، والثالثة : عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة [3].

هذا وقد وقع إجماع المسلمين علي : عصمة النبي – ﷺ – فيما تعلق بالتوحيد ، والعلم بالله وصفاته ، والإيمان به ، وبما أوحي إليه ، وأن ذلك يكون في غاية المعرفة ، ووضوح العلم واليقين ، وانتفاء الجهل ، أو الشك ، أو الريب فيه ، وكل ما يضاد المعرفة واليقين [4].

وقد اختلف العلماء في عصمة النبي – ﷺ – قبل البعثة ، والصواب : أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله ، وصفاته ، والتشكيك في شيء من ذلك ، وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ، ونشأتهم على التوحيد والإيمان ، بل على إشراق أنوار المعارف ، ونفحات ألطاف السعادة ، ولم ينقل أحد من أهل الأخبار : أن أحداً نُبِّئ واصطفى ممن عرف بكفر وإشراك قبل النبوة ؛ ومستند هذا الباب : النقل ؛ وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله [5] ؛ ولذلك اتفقوا على أن النبي – ﷺ – لم يعبد صنما قط ، والأنبياء قبل النبوة معصومون من الكفر [6] .

واختلفوا في العصمة من المعاصي قبل النبوة ؛ فقيل : لا يمتنع عقلاً عليهم الذنب ، سواء كان كفراً أو كبيرةً ، أو صغيرةً ، ولكن الواقع أنه لم يبعث نبي قط فأشرك بالله طرفة عين ، وكذلك لا يكفرون بالتبعية لآبائهم ، وقد يموت الآباء قبل الولادة ، وذلك لكرامتهم على الله .

---

(١) الإمام البخاري : صحيح البخاري جـ ١ صـ ٣٨٥. الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ١ صـ ٥٠٩ . الإمام أحمد : المسند جـ ٤٠ صـ ٥٠٣ . الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته وقال: صحيح عن عائشة جـ ٢صـ ١٣١٢.

(٢) الإمام البخاري : صحيح البخاري جـ ٢ صـ ٦٩٣. الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٢ صـ ٧٧٢ . الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته وقال: صحيح عن ابن عمر وأبي سعيد وأبي هريرة وعائشة ، واتفق عليه الشيخان من رواية أنس جـ ١صـ ٤٩٠.

(٣) الإمام ابن حجر : فتح الباري جـ ٧ صـ ٢٣٤-٢٣٥ بتصرف .

(٤) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ ٢صـ ١٣٣ بتصرف.

(٥) المرجع السابق جـ ٢صـ ١٥١ بتصرف.

(٦) الإمام النووي:روضة الطالبين، تحقيق:عادل عبد الموجود،علي محمد معوض،ط دار الكتب العلمية – بيروت ، دت جـ ٧ صـ ٤٠٧.

وإن صدر عنهم الذنب قبل النبوة ، فيطلق عليه الذنب مجازاً ؛ لأنه لا حكم ولا تكليف قبل الشرع ، أو يطلق عليها الزلة ، وهي : أن يقصد فعل المباح ؛ فيلزم أمر يكون معصية ، لو صدر عمداً ، كوكز موسى الرجل القبطي ؛ فقضى عليه ، وحيث لم يكن عمداً ، فليس بمعصية : لا كبيرة ، ولا صغيرة ؛ ولذلك ترتبط الزلة بالتنبه من الفاعل ، أو من الله بوحي ؛ لئلا يُقْتَدى به ، فإذا جاز عليهم الزلة ، جاز عليهم السهو ، والخطأ ؛ لأنه لا يكون معصية [١] .

أما بعد النبوة فمعصومون من الكفر ، ومن كل ما يخل بالتبليغ ، وما يزري بالمروءة ، ومن الكبائر ، واختلفوا في الصغائر ؛ فجوزها الأكثرون ، ومنعها المحققون ، وقطعوا بالعصمة منها ، وتأولوا الظواهر الواردة فيها [٢].

وقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمة النبي – ﷺ – من رذيلة الغلط في تلقي الوحي ، وتبليغه ونزاهته منها ، وكذلك يتنزه عن أن يتسود عليه الشيطان ، ويشّبه عليه القرآن ، حتى يجعل فيه ما ليس منه ، أو يعتقد أن من القرآن ما ليس منه ، حتى يُفَهّمُه جبريل – عليه السلام – أو يقول كلاما من قبل نفسه عمداً ، ويدخله في القرآن ؛ فهذا كفر ، ولا يجوز ذلك سهواً ، فلا يجري الكفر على لسانه ، أو قلبه ، لا عمداً ، ولا سهواً ، أو أن يشتبه عليه ما يلقيه الملك بما يلقي الشيطان ، أو أن يتقول على الله ما لم ينزل ، لا عمداً ، ولا سهواً .

قال تعالى :" وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ " [٣] ، فإذا جاء حديث يخل بعصمة النبي – ﷺ – من العقائد الفاسدة ، لا يقبل على أي وجه جاء ، وقد عد الأصوليون الخبر الذي يكون على تلك الصفة من الأخبار التي يجب القطع بكذبها ، حتى ولو سودت بها كتب الحديث ، أو اشتملت عليها كتب التفسير ، فليس كل مخطوط مقبول كما هو معلوم [٤].

ومن أدلة العقل على ثبوت عصمة الأنبياء من الكفر والشرك أن : قريشاً قد رمت نبينا بكل ما افترته ، وعير كفار الأمم أنبيائهم بكل ما أمكنها واختلقته ، مما نص الله تعالى عليه في قرآنه ، أو نقلته لنا الرواة ، ولم نجد شيئا من ذلك تعييراً لواحد منهم برفضه آلهته التي كان يعبدها ، وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه من عبادة آلهتهم ، التي كانوا يعبدون ، بل كان

---

(١) الإسنوي :نهاية السول في شرح منهاج الأصول جـ ٣ صـ ٦٢١-٦٢٢بتصرف.

(٢) الإمام النووي : روضة الطالبين جـ ٧ صـ ٤٠٧ .

(٣) سورة الحاقة : آية رقم ٤٤-٤٧.

(٤) الشيخ محمد عبده : دروس من القرآن الكريم سلسلة ذاكرة الكتابة صـ ١٤١-١٤٢ بتصرف.

إبراهيم – عليه السلام – يدعوا :" وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ " (١) ، وقد سأل أباه وقومه :" مَا تَعْبُدُونَ " ؟ (٢) ؛ فلم يجيبوه بقولهم : ما كنت تعبده معنا ، بل جابههم بقوله : " قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ" (٣).

وأجمعوا على عصمتهم من تعمد الكذب في الأحكام وغيرها ؛ لقوله تعالى :" وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى " (٤) ، فكل نطق لا يكون إلا وحياً ، فلا يتصور أن يكون فيه كذباً متعمداً ، أما المعاريض(٥) : فتجوز عليهم مثل قول إبراهيم–عليه السلام– : " إني سقيم " (٦) ، وقوله :" فعلها كبيرهم" (٧) ، وقوله عن سارة زوجته :" إنها أخته " (٨) ، فكلها كان لغرض شرعي كما يفهم من السياق ، وهو دليل على عصمتهم من تعمد الكبيرة ، والصغيرة ؛ لأنه لو جازت عليهم ؛ لما احتاجوا إلى المعاريض بالقول ؛ ليبتعدوا عن الكذب ، واتفقوا على عصمتهم من تعمد الكبيرة ، والصغيرة الدالة على الخسة (٩) .

فأما ما عدا هذا من عقود قلوبهم في التوحيد ، والشرع ، والمعارف ، والأمور الدينية ؛ فجماعها أنها مملوءة علماً ، ويقينا على الجملة ، واحتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه (١٠).

أما الكذب غلطاً : فمنع الجمهور صدوره عنهم ؛ لدلالة المعجزة ، ولا يرد في ذلك حديث ذي اليدين : حين قال ما قصرت ، وما نسيت ؛ حيث كان هذا على ظنه الراجح – عليه الصلاة والسلام – ، ولو كان كذباً ؛ لبين– عليه السلام– حين نبهه القوم على سهوه في الصلاة ، ولكنه

---

(١) سورة إبراهيم: آية رقم ٣٥.

(٢) سورة الشعراء: آية رقم ٧٠.

(٣) سورة الشعراء: آيات رقم ٧٥–٧٦.

(٤) سورة النجم : آية رقم ٣ – ٤ .

(٥) الْمَعَارِيضُ : من التعريض ، وعرفها المتقدمون : بأنه ذكر لفظ محتمل يفهم منه السامع خلاف ما يريده المتكلم ، والمتأخرون بأنه : ذكر شئ مقصود بلفظ حقيقي ، أو مجازي ، أو كنائي ليدل به على شئ آخر لم يذكر في الكلام .انظر الإمام المناوي : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م جـ ٢ صـ ٥٩٨.

(٦) سورة الصافات : آية رقم ٨٩.

(٧) سورة الأنبياء : آية رقم ٦٣.

(٨) يعني : أخوة الدين . انظر الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ١٨٤٠. الإمام أحمد : مسند أحمد جـ ٤ صـ ٣٣١.

(٩) الإسنوي :نهاية السول في شرح منهاج الأصول جـ ٣ صـ ٦٢٥ بتصرف.

(١٠) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ ٢صـ ١٥٩.

رجع عن ما رد به عليهم لما علم أنه سها في صلاته [1] ؛ وفيه دليل على عدالة الصحابة ؛ حيث قبل شهادتهم .

واختلفوا في وقوع الكبائر والصغائر منهم ؛ فقيل : أنهم معصومون من الكبائر عمداً وسهواً ، ومن الصغائر عمداً لا سهواً ، فهي من باب مباحات العوام سيئات المقربين ، وقيل : أنهم معصومون عن تعمد الذنب مطلقاً ، دون سهوه ، سواء كان صغيرةً ، أو كبيرةً ، لكن بشرط أن يتذكروه وينبهوا غيرهم عليه .

وقيل : معصومون عن تعمد الكبائر فقط ، فأما صدور الكبيرة ؛ لنسيان أو تأويل أو خطأ فقد اتفق الكل على جوازه سوى الرافضة ، وأما الصغيرة فقد اتفق الكثير على جوازه عمداً وسهوا [2] .

وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من الصغائر التي تزري بفاعلها ، وتحط منزلته ، وتسقط مروءته ، واختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر منهم ، فذهب معظم الفقهاء ، والمحدثين ، والمتكلمين من السلف والخلف : إلى جواز وقوعها منهم ؛ وحجتهم ظاهر القرآن والأخبار ، وذهب جماعة من أهل التحقيق والنظر من الفقهاء والمتكلمين من أئمتنا : إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر ، وأن منصب النبوة يجل عن مواقعها ، وعن مخالفة الله تعالى عمداً ، وتكلموا على الأحاديث الواردة في ذلك وتأويلها ، وأن ما ذكر عنهم في ذلك إنما هو فيما كان منهم على تأويل ، أو سهو ، أو من إذن الله تعالى في أشياء أشفقوا من المؤاخذة بها ، وأشياء منهم قبل النبوة ، وهذا هو المذهب الحق [3].

فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا : فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة ، من القطع بعدم معرفة الأنبياء ببعضها ، أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ، ولا وصم عليهم فيه ؛ إذ هممهم متعلقة بالآخرة ، وأمر الشريعة وقوانينها ، وأمور الدنيا تضادها ، بخلاف أهل الدنيا الذين : " يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ " [4].

وأما على رأي الجمهور النافين لعصمة الأنبياء ، فقد نفوا عصمتهم فيما ليس له تعلق بتبليغ الأحكام الشرعية ؛ كتدبير الحرب ، واستصلاح الجيش ، ونصب العمال ، وعزلهم ، وما أشبه

---

(١) الإسنوي :نهاية السول في شرح منهاج الأصول جـ ٣ ص ٦٢٠.

(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٦٢٦ – ٦٢٩ بتصرف.

(٣) الإمام النووي : شرح مسلم جـ ٣ص ٥٤ بتصرف .

(٤) سورة الروم: آية رقم ٧.

ذلك ، وأما ما يتعلق بالأحكام الشرعية ، وتبليغها فقد أوجبوا العصمة فيها ؛ لأن الخطأ فيها مناف لما يقتضيه المعجزة ؛ من وجوب تصديق النبي – ﷺ – فيما يبلغه عن الله تعالى " [١].

ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئاً من أمر الدنيا ؛ فإن ذلك يؤدى إلى الغفلة والبله ؛ وهم المنزهون عنه ، بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا ، وقلدوا سياستهم ، وهدايتهم ، والنظر في مصالح دينهم ودنياهم ، وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية ، وأحوال الأنبياء ، وسيرهم في هذا الباب معلومة ، ومعرفتهم بذلك كله مشهورة [٢] ؛ فالعصمة لا تنافي الأخذ بالأسباب ، فمن تمام التوكل – كما قال بعض السلف –: سلوك الأسباب ، والاعتماد على رب الأرباب [٣].

وأما إن كان هذا العقد مما يتعلق بالدين ، فلا يصح من النبي – ﷺ – إلا العلم به ، ولا يجوز عليه جهله جملة ؛ لأنه لا يخلو أن يكون حصل عنده ذلك عن وحى من الله ، فهو ما لا يصح الشك منه فيه ، فكيف الجهل ؟ .

أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء ، على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين ، وعلى مقتضى حديث :" إِنِّي إِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمَا فِيمَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيَّ فِيهِ شَيْءٌ " [٤] ، وكقصة أسرى بدر [٥] ، والإذن للمتخلفين [٦] ، على رأى بعضهم ، فلا يكون أيضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده إلا حقا وصحيحاً .

هذا هو الحق الذي لا يلتفت إلى خلاف من خالف فيه ، ممن أجاز عليه الخطأ في الاجتهاد ، لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ، ولا على القول الآخر بأن الحق في طرف واحد لعصمة النبي – ﷺ – من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات ؛ ولأن القول في تخطئة المجتهدين ؛ إنما هو بعد استقرار الشرع ، ونظر النبي – ﷺ – واجتهاده ؛ إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ، ولم يشرع له قبل ، هذا فيما عقد عليه النبي – ﷺ – قلبه ، فأما ما لم يعقد عليه قلبه من أمر النوازل الشرعية ؛ فقد كان لا يعلم منها أولا إلا ما علمه الله شيئا فشيئا ، حتى

---

(١) الجواهري : جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام جـ٣٠ صـ ١٤٠-١٤١.

(٢) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ ٢صـ ١٥٩-١٦٠.

(٣) محمد بن أحمد الشربيني الخطيب : مغني المحتاج في معرفة معاني ألفاظ المنهاج جـ ٢صـ ٤٠٦.

(٤) أبو داود السجستاني : سنن أبي داود جـ ٣صـ ٣٢٩. الإمام البيهقي : السنن الكبرى جـ ٦ صـ ١٠٨.

(٥) يقصد بذلك عتاب الله للصحابة حين أشاروا عليه باستبقاء الرجال ، وأخذ الفدية منهم ، فنزل قوله تعالى " ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض " الأنفال :٦٧ . الإمام القرطبي : تفسير القرطبي جـ ١ صـ ١٣٩٥.

(٦) يقصد عتاب الله لنبيه – صلى الله عليه وسلم – حين أذن للمتخلفين عن غزوة تبوك بالقعود ، وعفا الله عنه ؛ فقال :" عفا الله عنك لما أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين" التوبة :٤٣. الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ صـ ١٤٥-١٤٦.

استقر علم جملتها عنده : إما بوحي من الله ، أو إذن أن يشرع في ذلك ، ويحكم بما أراه الله ، وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ، ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده ﷺ ، وتقررت معارفها لديه على التحقيق ، ورفع الشك والريب ، وانتفاء الجهل .

وبالجملة : فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة إليه ؛ إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه ، وأما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والأرض ، وخلق الله ، وتعيين أسمائه الحسنى ، وآياته الكبرى ، وأمور الآخرة ، وأشراط الساعة ، وأحوال السعداء والأشقياء ، وعلم ما كان وما يكون مما لم يعلمه إلا بوحي . ولا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك ، وإن كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر ؛ لقوله – ﷺ – :" إني فيما لم يوح إلي كأحدكم" (١) ؛ ولقوله – ﷺ – في صفة الجنة : " ولا خطر على قلب بشر " (٢) ؛ وقول موسى للخضر – عليهما السلام – : "هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا" (٣) .

وقوله – ﷺ – :" أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم" (٤) ؛ وقوله – ﷺ – :" أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك" (٥) ، قال الله تعالى:" وفوق كل ذي علم عليم" (٦) ، حتى ينتهي العلم إلى الله ؛ إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ، ولا منتهى لها (٧) .

ومن خصائصه – ﷺ – والأنبياء : أنه يجوز لهم أن يحكموا في قضية وهم في حال الغضب ؛ لوجود العصمة في حقهم ، والأمن من التعدي ؛ ولأن غضبهم يكون للحق (٨) ؛ لا للهوى ، ولا للشيطان (٩)؛ فالعصمة قائمة في حقه في حال الرضا ، والسخط ؛ فلا يقول إلا حقا (١٠).

---

(١) الألباني : ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، وقال: موضوع رواه الطبراني ، وابن شاهين في السنة عن معاذ ص ٣٠٥.

(٢) الإمام البخاري: فتح الباري جـ ٣ ص ١١٨٥.

(٣) سورة الكهف : آية رقم ٦٦.

(٤) الإمام التبريزي : المصابيح ط ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، وقال الألباني : رواه مالك ولم تتم دراسته جـ ٢ص ٥٧. وضعفه ابن حجر : فتح الباري جـ ١١ص ٢٢٤.

(٥) الإمام مسلم : الصحيح بشرح النووي جـ ١٧ ص ٥ . أبو يعلى الموصلي : مسند أبي يعلى جـ ٩ ص ١٩٨.

(٦) سورة يوسف : آية رقم ٧٦.

(٧) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ ٢ص ١٦٢.

(٨) الإمام ابن حجر : فتح الباري جـ ١٣ ص ١٦٠ بتصرف .

(٩) الإمام الشوكاني : نيل الأوطار جـ٩ص ١٧٩ بتصرف.

(١٠) الإمام العيني : عمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ١٢ ص ٢٠٤ بتصرف .

والنبي – ﷺ – معصوم أيضا من : السماع لبطانة السوء من أهل المشورة ، قال – ﷺ – : " ما بعث الله من نبي ، ولا استخلف من خليفة ، إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف ، وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر ، وتحضه عليه ، فالمعصوم من عصم الله تعالى " [(١)] .

ولا ينافي ذلك أن يعرض للنبي – ﷺ – الانشغال في الصلاة ، فمع ما أيده الله به من العصمة ، و الخشوع شغله النظر إلى القرام[(٢)] الذي كانت تعلقه السيدة عائشة – رضي الله عنها – على الجدار حتى قال لها : أميطي عنَّا قرامك ، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي " [(٣)].

وجماهير العلماء على جواز ذلك ووقوعه من الأنبياء ؛ ثم لابد من تنبيههم عليه ، وتذكيرهم إياه ، إما في الحين ؛ وإما قبل وفاتهم ؛ ليسنوا حكم ذلك ، ويبينوه قبل انخرام مدتهم [(٤)] .

وكذلك فالنبي – ﷺ – معصوم من النظر إلى النساء الأجنبيات نظرة شهوة ، بل إن النبي – ﷺ – محرم لجميع نساء الأمة ، وعدوا ذلك من خصائصه ، مع ما كان عليه – ﷺ – من ملاك إربه نحو زوجاته ، فما بالك بغيرهن ؛ وهو المنزه عن كل فعل قبيح ، وقول رفث [(٥)].

وأجمعت الأمة على عصمة الأنبياء من الشيطان ، وكفايته منه ، لا في جسمه من أنواع الأذى ، ولا على خاطره[(٦)] بالوساوس ، قال رسول الله – ﷺ – : ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن ، وقرينه من الملائكة ، قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياي ، ولكن الله تعالى أعانني عليه فأسلمَ ، فلا يأمرني إلا بخير ، وفي رواية عائشة : فأسلمُ بضم الميم : أي فأسلم أنا منه ، وصحح بعضهم هذه الرواية ، ورجحها ، ومعنى : فأسلمَ : أي القرين ، أي : أنه انتقل من حال

---

(١) قال ابن حجر : وقد استشكل هذا التقسيم بالنسبة للنبي – صلى الله عليه وسلم – لأنه وإن جاز عقلاً أن يكون في من يداخله من يكون من أهل الشر ، لكنه لا يتصور منه أنه يصغي إليه ، ولا يعمل بقوله لوجود العصمة ، وبقية الحديث : " والمعصوم من عصم الله" يدل على سلامة النبي – صلى الله عليه وسلم – فلا يلزم من وجود من يشير بالشر أن يقبل منه . وقيل : المراد بالبطانتين في حق النبي – صلى الله عليه وسلم – الملك والشيطان ، وقد عصم من الشيطان بل أسلم قرينه. انظر ابن حجر : فتح الباري جـ ١٣ صـ ٢١٩ بتصرف . المباركفوري : تحفة الأحوزي جـ٧ صـ ٣٢ بتصرف .

(٢) القرام : الستر الرقيق . انظر نشوان بن سعيد الحميرى اليمني : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم جـ ٨صـ ٥٤٣٨.

(٣) الإمام ابن قدامة : الشرح الكبير على متن المقنع ، ط دار الكتاب العربي – بيروت ، دت جـ ١صـ ٦٢٧.

(٤) الإمام النووي : شرح مسلم جـ ٣ صـ ٥٤.

(٥) الإمام ابن حجر : فتح الباري جـ ١١ صـ ٨٩ بتصرف. المباركفوري : تحفة الأحوزي جـ٢ صـ ٤٨١ بتصرف.

(٦) الخاطر : ما يرد على القلب من الخطاب الوارد الذي لا تعمد للعبد فيه ، وهو أربعة أقسام . ١- زماني : وهو أول الخواطر وهو لا يخطئ أبداً وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع ، ٢- ملكي : وهو الباعث على مندوب أو مفروض ويسمى إلهاماً ، ٣- نفساني : وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجساً ، ٤- شيطاني : وهو ما يدعو إلي مخالفة الحق . قال الله تعالى :" الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء" . البقرة : ٢٦٨. القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٢ صـ ٥٢ .

كفره إلى الإسلام ، فصار لا يأمرني إلا بخير كالملك . وهو ظاهر الحديث ، ورواه بعضهم فاستسلم [١] . والإعانة من الله لنبيه – ﷺ – كانت بالعصمة .

فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني أدم ، فكيف بمن بعد منه ، ولم يلزم صحبته ، ولا أقدره على الدنو منه . وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن ، رغبة في إطفاء نوره ، وإماتة نفسه [٢] ، ولكنهم يئسوا من إغوائه ؛ فانقلبوا خاسرين ، وكتعرضه له في صلاته فأخذه النبي – ﷺ – وأسره ؛ قال رسول الله – ﷺ – :" إن الشيطان عرض لي في صورة هِرٍ ، فشد عليَّ يقطع علي الصلاة ، فأمكنني الله منه فذَعتُّه [٣] ، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية ؛ حتى تصبحوا تنظرون إليه ، فذكرت قول أخي سليمان :" قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي "[٤] ، فرده الله خاسئا . وأمثلة هذا كثيرة ، وكل هذا فقد كفاه الله أمره ، وعصمه ضره وشره ، ولذا قال أهل العلم : إن الشيطان لم يسلط على النبي – ﷺ – بأكثر من التعرض له ، ولم يجعل به قدرة عليه ، والحمد لله .

وكذلك لا يصح ، ولا يملك أن يتصور له الشيطان في صورة الملك ، ويُلَبِّس عليه ، لا في أول الرسالة ، ولا بعدها ، والاعتماد في ذلك دليل المعجزة[٥] .

كما أن النبي – ﷺ – معصوم من أن يقر غيره على باطل ، إذا تحقق أنه مخالف للشرع ، وليس فيه سعة [٦] من أبواب الخلاف ؛ لتعارض الأدلة ، أو الفهم ، أو أوجه اللغة ، ونحوها .

وقد اتفقوا على أن تقرير النبي – ﷺ – لما يُفعل بحضرته ، أو يُقال ويطلع عليه بغير إنكار : دال على الجواز ؛ لأن العصمة تنفي عنه ما يحتمل في حق غيره ، فلا يقر غيره على باطل" [١]

---

(١) الإمام أبي الفرج الجوزي : كشف المشكل من حديث الصحيحين ، تحقيق : علي حسين البوابط ، نشر دار الوطن – الرياض ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م جـ ١ صـ ٢٢٤ . الإمام النووي : شرح مسلم جـ ١٧ صـ ١٥٧ بتصرف.

(٢) روى الإمام أحمد : عن أَبِي التَّيَّاحِ قَالَ : قُلْتُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشٍ التَّمِيمِيِّ – وَكَانَ كَبِيرًا – : أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَيْلَةَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ ، فَقَالَ : إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَحَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ بِيَدِهِ شُعْلَةُ نَارٍ ، يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فَهَبَطَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلَام – فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ قُلْ ، قَالَ : مَا أَقُولُ ، قَالَ : قُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ ، قَالَ : فَطَفِئَتْ نَارُهُمْ وَهَزَمَهُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. أحمد : المسند جـ ٢٤ صـ ٢٠٠ – ٢٠٢.

(٣) فذعته : خنقته ، وقيل دفعته بقوة ، وقيل مرغته في التراب. انظر القاضي عياض : الشفا جـ ٢صـ ١٦٤.

(٤) سورة ص : آية رقم ٣٥.

(٥) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ ٢صـ ١٦٥.

(٦) الإمام الشوكاني : نيل الأوطار جـ٨ صـ ٢٠ بتصرف.

، ومن القواعد الأصولية : لا يجوز تأخير البيان عن وقت الخطاب ، أو لا يجوز تأخير البيان عن وقت النطق [٢] أو عن وقت الحاجة .

وكذا خاطر الأنبياء – عليهم السلام – وتفكيرهم ، فليس بواجب العصمة من الهم بما يخالف العصمة ، واستدلوا بقتل الخضر – عليه السلام – للغلام ، فليس للنبي – ﷺ – أن يفعل ما يخطر بباله ، من قتل الغلام من غير وحي[٣] ، كما في سورة الكهف : ٧٤.

ومن عصمته أنه لا يقول إلا حقاً ، وصدقاً ، حتى عند المزاح ، فكان يقول :" إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : فَإِنَّكَ تُدَاعِبُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَقَالَ : إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا " [٤]، أي : عدلاً وصدقاً ؛ لعصمتي عن الزلل : في القول ، والفعل [٥] .

فالخلاصة : أن جمهور أهل السنة متفقون على أن الأنبياء معصومون في تبليغ الرسالة ، ولا يجوز أن يستقر في شيء من الشريعة خطأ باتفاق المسلمين ، وكل ما يبلغونه عن الله – عز وجل – من الأمر والنهي يجب طاعتهم فيه باتفاق المسلمين ، إلا الخوارج ؛ فإنهم لا يقولون بعصمة الأنبياء في الأوامر والنواهي .

وما أخبروا به يجب تصديقهم فيه بإجماع المسلمين ، وأكثر الناس لا يجوزون عليهم الكبائر ، وإن قالوا بجواز الصغائر عليهم ، فإنهم لا يقرون عليها ، بل يحصل لهم بالتوبة منها من المنزلة مما كان قبل ذلك ، وللناس في جواز الخطأ عليهم في الاجتهاد قولان معروفان ، وهم متفقون على أنهم لا يقرون عليه وإنما يطاعون فيما أقروا عليه ، لا فيما غيره الله ، ونهى عنه ، ولم يأمر بالطاعة فيه ، أما عصمة الأئمة فلم يقل به إلا الإمامية ، والإسماعيلية [٦].

هل يجوز أن يدعو المسلم لنفسه بالعصمة ؟ .

أعلم أن " العلم دليل إلى الخيرات وقائد إليها ، واللُجأ إلى كتاب الله – عز وجل – وسنة نبيه ، وإتباع سبيل المؤمنين ، وخير القرون ؛ من خير أمة أخرجت للناس نجاة ، ففي المفزع إلى ذلك العصمة ، وفي إتباع السلف الصالح النجاة ، وهم القدوة في تأويل ما تأولوه ، واستخراج ما

---

(١) ابن حجر : فتح الباري جـ ١٣ صـ ٣٦٩-٣٧٠.

(٢) القاضي أبو يعلى الفراء : العدة في أصول الفقه ، تحقيق : د أحمد بن علي بن سير المباركي ، ط كلية الشريعة بالرياض – جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية ، ط٢ ، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م جـ ٣ صـ ٧٢٥.

(٣) بدر الدين العيني : عمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ٢ صـ ٦٠ بتصرف .

(٤) الإمام أحمد : المسند جـ ١٤ صـ ١٨٥. الإمام الترمذي : سنن الترمذي جـ ٤ صـ ٣٥٧.البيهقي : السنن الكبرى جـ ١٠صـ ٤٢٠.

(٥) المباركفوري : تحفة الأحوزي جـ٦ صـ ١٠٨ بتصرف .

(٦) عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية في رد دعوى الرافضة والقدرية لابن تيمية صـ ١٠٤- ١٠٥ بتصرف.

استنبطوه ، وإذا اختلفوا في الفروع والحوادث ، لم يخرج عن جماعتهم "[1] ؛ لأن إجماعهم حجة يجب إتباعه ، وتحرم مخالفته "[2].

واختلفوا في جواز سؤال العصمة ، والوجه : كما قال بعضهم : أنه إن قصد التوقي عن جميع المعاصي والرذائل في جميع الأحوال : امتنع ؛ لأنه سؤال مقام النبوة .

وإن كان يقصد بالدعاء البعد من المعصية والرذالة ، أو التحفظ من الشيطان ، أو التخلص من أفعال السوء ؛ فهذا لا بأس به ، ويبقى الكلام في حال الإطلاق والمتجه عندي الجواز ؛ لعدم تعيينه للمحذور ، واحتماله الوجه الجائز[3] .

ومن دعاء النبي – ﷺ – :" وأسألك السلامة من كل إثم "[4] ، ففيه جواز سؤال العصمة ، وقد أنكر بعضهم جواز ذلك ؛ إذ العصمة إنما هي للأنبياء والملائكة .

والجواب : أنها في حق الأنبياء والملائكة واجبة ، وفي حق غيرهم جائزة ، وسؤال الجائز جائز ، إلا أن الأدب سؤال الحفظ في حقنا لا العصمة[5] ، فلا يبعد أن يوجد من لا يصدر منه معصية عمداً ، وإن لم يكن ذلك واجباً له[6] ؛ فيجوز الدعاء بها مقيدة[7] ؛ فمن العصمة تعذر المعاصي[8] ، وألا يغتر العبد بالله[9] ، ومن وصايا آل البيت – عليهم السلام – :" إن من الحزم : أن تتقوا الله ، وإن من العصمة : ألا تغتروا بالله "[10].

---

(١) القيرواني : رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، جمع : صالح عبد السميع الأزهري ، ط المكتبة الثقافية – بيروت ، دت ص ٧٢٢.

(٢) الآبي الأزهري : الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، ط المكتبة الثقافية – بيروت ، دت ص ٧٢٢.

(٣) الشرواني والعبادي : حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج جـ٢ص ٨٧-٨٨ بتصرف.

(٤) الإمام الترمذي : السنن جـ ٢ ص ٣٤٤. الإمام ابن ماجة : السنن جـ ١ ص ٤٤١. الطبراني : المعجم الصغير جـ ١ ص ٢١٣.

(٥) المباركفوري : تحفة الأحوزي ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م جـ٢ ص ٤٨١ بتصرف .

(٦) محمد بن إسماعيل الصنعاني : سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ، تحقيق : الشيخ محمد عبد العزيز الخولي ، ط مكتبة مصطفى البابي الحلبي– القاهرة ، ط٤ ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م جـ ٣ ص ١٤٢. الشوكاني : نيل الأوطار جـ ٦ ص ٣٤٦.

(٧) الحطاب الرعيني : مواهب الجليل لشرح مختصر خليل جـ ١ ص ٥٧.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٠ ص ٣٦٤.

(٩) المرجع السابق جـ ٧٤ ص ٢٩١.

(١٠) ابن شعبة الحراني : تحف العقول ، تحقيق :علي أكبر غفاري ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم، ط٢، ١٤٠٤هـ /١٣٦٣ش ص ١٥٠.

والمعصوم : من عصم الله ؛ بأن حماه من الوقوع في الهلاك ، أو ما يجر إليه ، وحفظ الله الأنبياء – عليهم السلام – : حفظهم من النقائص ، وتخصيصهم بالكمالات النفسية ، والنصرة والثبات في الأمور ، وإنزال السكينة [١].

وقد يحصل للعبد عصمة من الشيطان بأسباب منها : ما قاله رسول الله ﷺ " أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله : باسم الله ، اللهم جنبني الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا ، ثم قدر بينهما في ذلك ، أو قضي ولد ؛ لم يضره شيطان أبداً " [٢].

ومنها : المداومة على الطاعة ، والاستقامة على أمر الله ، كما قال معاذ بن جبل :" قوام الأمر الإسلام ، وهو الفطرة ، والإخلاص ، وهو الملة ، والطاعة ، وهي العصمة [٣] .

---

(١) ابن حجر: فتح الباري جـ ١١ صـ ٥٦٧ بتصرف .

(٢) المرجع السابق جـ ٩ صـ ٢٦٢-٢٦٣ بتصرف .

(٣) المباركفوري : تحفة الأحوزي جـ٢ صـ ٣٣٢ بتصرف . وأخرج لفظة " الطاعة لله هي العصمة " أبو عبد الله الحسين الحلواني الشيعي " : نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ، ط مهر ، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي – قم ، ط١ ، ١٤٠٨هـ صـ ٨٩.

الفصل الثالث

التقديس وأثره في عقيدة التقية

الفصل الثالث
التقديس وأثره في عقيدة التقية

من أهم معتقدات الشيعة الاثني عشرية التقية ، والتي يجب أن تستحوذ على ٩٠ % من الدين ؛ مستدلين بحديث :" إن تسعة أعشار الدين في التقية " [(١)] ، فأعطوا التقية صبغة التقديس والتعظيم ، وأرادوا بها : إظهار خلاف ما يبطنون ، وإعلان ضد ما يكتمون [(٢)] .

والنتيجة أنهم :" على دين من كتمه أعزه الله ، ومن أذاعه أذله الله " [(٣)] ؛ بل كان كمن قتل الأئمة عمداً ؛ فعن الصادق– عليه السلام – :" من أذاع علينا شيئاً من أمرنا ، فهو كمن قتلنا عمداً " [(٤)] .

ولا يراعون حكماً حكمه أمير المؤمنين – عليه السلام – على الزنديق – الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر– بالقتل حتى ولو تاب ؛ والحجة في عدم قبول توبته أن الزندقة دين مكتوم [(٥)] ، بل لو شهد له ألف رجل بالبراءة منها ، وشهد رجلان مرضيان عدلان ، جازت شهادة الرجلين [(٦)] ، فما الفرق إذن بين زنديق يكتم دينه خوفاً من القتل ، ومؤمن يكتم دينه ليعز دينه بالكتمان ، فأين العز ؟ .

ويبررون ذلك بالخوف من أتباع الأئمة ، حيث خاطب الإمام أبو عبد الله – عليه السلام – الشيعة فقال :" أما والله لو أني أجد منكم ثلاثة مؤمنين يكتمون حديثي ؛ ما استحللت أن أكتمهم حديثاً " [(٧)] ، ونشفق عليهم حين يقول أبو جعفر – عليه السلام – :" والله إن أحب أصحابي إلي : أورعهم ، وأفقههم ، وأكتمهم لحديثنا ، وإن أسوأهم عندي حالاً ، وأمقتهم : للذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يقبله ، اشمأز منه ، وجحده ، وكفر من دان به ، وهو لا يدري لعل الحديث من عندنا خرج ، وأسند إلينا ؛ فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا " [(٨)] .

---

(١) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٢١٧. السيد هاشم البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٢صـ ٣١٠. الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٢ صـ ٢٣٧. الشيخ الأنصاري : كتاب الطهارة جـ ٢ صـ ٢٧٩.

(٢) الشيخ إحسان إلهي ظهير : الشيعة والسنة صـ ١٣٧ بتصرف .

(٣) السيد الخميني : الرسائل جـ ٢صـ ١٨٥. الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٢٢٢عن أبي عبد الله .

(٤) الشيخ محمد السبزواري : معارج اليقين في أصول الدين صـ ٢٥٣ .

(٥) الشيخ الطوسي : الخلاف جـ ٥ صـ ٣٥٢. المحقق النراقي : مستند الشيعة جـ ١٨ صـ ٥٧.

(٦) ابن إدريس الحلي:مستطرفات السرائر صـ ٢٤٦. يحيى بن سعيد الحلي: الجامع للشرايع صـ ٥٦٨. الفيض الكاشاني: الوافي جـ١٥صـ٤٨٧.

(٧) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٢٤٢ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٦٤ صـ ١٦٠.

(٨) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٢٢٣. الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٩٨.

وقال أبو عبد الله – عليه السلام – لأحد الشيعة :" أكتم أمرنا ، ولا تذعه ؛ فإن من كتم أمرنا ولم يذعه أعزه الله به في الدنيا ، وجعله نوراً بين عينيه في الآخرة ، يقوده إلى الجنة ، ومن أذاع أمرنا ولم يكتمه ؛ أذله الله به في الدنيا ، ونزع النور من بين عينيه في الآخرة ، وجعله ظلمة تقوده إلى النار ... إن المذيع لأمرنا كالجاحد لنا " (١) .

بل جعلوا التقية من صفات الله – سبحانه عما يقولون – فعن أبي جعفر – عليه السلام – :" ولاية الله أسرها إلى جبرائيل – عليه السلام – وأسرها جبرائيل إلى محمد – صلى الله عليه وآله – وأسرها محمد إلى عليّ – عليه السلام – وأسرها عليٌّ إلى من شاء الله ، ثم أنتم تذيعون ذلك " (٢) .

وحذر أبو عبد الله – عليه السلام – من إذاعة عقائهم فقال :" من أذاع علينا حديثنا سلبه الله الإيمان " (٣) ، وقال :" ما قتلنا من أذاع حديثنا قتل خطأ ، ولكن قتلنا قتل عمد " (٤) ، ويقول الخميني :" لولا التقية لصار المذهب في معرض الزوال والانقراض " (٥).

لذلك فإن التقية من أخطر ما يؤمن به الشيعة ، ويميزهم من الطوائف الأخرى ، ويحول بينهم وبين الالتقاء بهم ، لأنه لا يُعْلم ظاهرهم من باطنهم ، وكذبهم من صدقهم ، وهذا " أول موانع التجاوب الصادق بالإخلاص بيننا وبينهم ، فإنها عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يبطنون ، فينخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له به من رغبتهم في التفاهم والتقارب ، وهم لا يريدون ذلك ، ولا يرضون به ، ولا يعملون به " (٦) ؛ فهي نظام سري يسيرون على تعاليمه ، فيدعون في الخفاء لإمامهم المختفي ، ويظهرون الطاعة لمن بيده الأمر ، فإذا قويت شوكتهم أعلنوها ثورة مسلحة في وجه الدولة القائمة الظالمة (٧) .

وقد نزه الله المؤمنين من أهل البيت ، بل كانوا من أعظم الناس صدقاً ، وتحقيقاً للإيمان ، وكان دينهم التقوى ، لا التقية " (٨) .

---

(١) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٢٢٤ بتصرف . الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١١ صـ ٤٩٥ بنحوه .

(٢) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٢٢٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٢ صـ ٧٨.

(٣) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١١ صـ ٤٩٥. الشيخ علي الهادي النجفي : موسوعة أحاديث أهل البيت جـ ١ صـ ١٨٠.

(٤) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١١ صـ ٤٩٥. الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٣ صـ ٤٦٧.

(٥) الخميني : الرسائل جـ ٢ صـ ١٨٥.

(٦) محب الدين الخطيب: الخطوط العريضة هدية مجلة الأزهر لشهر ذي الحجة ١٤٣٣هـ صـ ٣٨.

(٧) د محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون جـ ٢ صـ ٩ .

(٨) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية جـ ١صـ ١٥٩. إحسان ظهير: التصوف ، ط دار ابن حزم – القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م صـ ٢٥٩.

وكانت التقية وما تزال مخرجاً من كل تناقض يقع بين الروايات الواردة في كتبهم ؛ فقد اعترف بذلك الطوسي فقال : أنه " وقع فيها من الاختلاف ، والتباين ، والمنافاة ، والتضاد ، حتى لا يكاد يتفق خبر إلا ، وبإزائه ما يضاده ، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه ، حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا ، وتطرقوا بذلك إلى إبطال معتقدنا " [(١)].

حتى قال بعضهم مستفهماً : " ثم ما يؤمنكم أن لفظهم – يعني الأئمة – ليس له باطن لم تطلعوا عليه ؟ فلا يُوثق بما فهمتموه من ظاهر لفظهم ؛ إذ قد تكون لألفاظ أئمتكم باطن لم تطَّلعوا عليه ، ورمزاً لم تفهموا معناه ، حتى وإن حلفوا بالطلاق ثلاثاً في مروياتهم ، فلعل ذلك سراً من الأسرار ، وإنما هم مظهرون شيئاً ، ومضمرون أشياءً ! [(٢)] .

وسترى – إن شاء الله تعالى – في حنايا الفصل ما يؤيد ما قدمنا به : من كون التقية مانع – بل حائط صد – أمام التقارب بيننا وبين الشيعة الاثني عشرية يجب أن يزال حتى نتفاهم بنقاء .

أولا : معني التقية في اللغة : –

اختلف علماء اللغة في ضبط كلمة التقية فمنهم من قرأها : (تَقِيّة) بفتح التاء والقاف المكسورة ، وتشديد الياء المفتوحة ، ومنهم من قرأها : (تُقْيَة) بضم التاء ، وتسكين القاف ، والياء المفتوحة المخففة ، ولكن الراجح هي الكلمة الأولى [(٣)] ؛ وهي إحدى القراءات المتواترة في قوله تعالى: " إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً" [(٤)] ، فقد قرأها يعقوب الحضرمي[(٥)] : (تَقِيَّة) [(٦)] ، ومما يؤيد هذا الترجيح : أن الفعل تتقوا تعدي لمفعوله بحرف الجر من ؛ لأنه يتضمن معنى تخافوا [(٧)] .

---

(١) علي بن طاووس الحلي : اليقين باختصاص مولانا علي بإمرة المؤمنين ، تحقيق : الشيخ الأنصاري ، نشر مؤسسة الثقلين ، دار الكتاب (الجزائري) – قم ، ط١، ١٤١٣هـ ص ١٧ بتصرف . محمد أمين الإسترآبادي ، السيد نور الدين العاملي : الفوائد المدنية والشواهد المكية ، تحقيق : الشيخ رحمة الله الرحمتي الأراكي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ص ٩٤.

(٢) يحيى بن حمزة علوي الزيدي : مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار ، تحقيق : محمد الجليند ، نشر الدار اليمنية للنشر والتوزيع – صنعاء – اليمن ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ ص ٨٨ – ٨٩ بتصرف .

(٣) ابن منصور الأزهري : تهذيب اللغة جـ ٩ ص ٣٧٤. الفيروز أبادي : القاموس المحيط جـ ٤ ص ٤٠٣.

(٤) سورة آل عمران : آية رقم ٢٨.

(٥) يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري:أحد القراء العشرة ، ولد ١١٧هـ ، وتوفي فيها ٢٠٥هـ . انظر الزركلي : الأعلام جـ ٨ ص ١٩٥.

(٦) الحافظ ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، ط دار الفكر – بيروت ، دت جـ ٢ص ٢٣٩.

(٧) الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير جـ ٣ ص ٢٢٠.

يقال : اتقيت الشيء ، وتقية ، وتِقاء : حذرته ، والاسم التقوى ، قال تعالى :" وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ "[1] أي : جزاهم تقواهم ، وجاء في الحديث الشريف : " قلت وهل للسيف من تقية ، قال : نعم تقية على أقذاء ، وهدنة على دخن " [2] ، والتقية والتقاة بمعنى : أنهم يتقون بعضهم بعضاً ، ويظهرون الصلح ، والاتفاق وباطنهم بخلاف ذلك " [3] ، ونتقي بالشيء: نجعله أمامنا ، حتى لكأنه وقاية نتحصن به [4].

فالتقية تدور حول :" معاملة الناس بما يعرفون ، وترك ما ينكرون ؛ اتقاءً لضررهم ، وكذا مجاملة أهل التظاهر بالفسق اتقاءَ شرهم ؛ فإنه من المداهنة الجائزة دفعا للضرر "[5] .

ثانياً : التقية في التفسير :

ورد ذكر التقية في القرآن الكريم في قوله تعالى : لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ " [6] ، هي أن :" يظهر الولاية لهم في دينهم ، والبراءة من المؤمنين " ، وقال ابن عباس – رضي الله عنه – :" هو أن يتكلم بلسانه ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولا يقتل ، ولا يأتي مأثماً "[7] ، وما لم يهرق دم مسلم ، وما لم يستحل ماله [8] .

والتقية تكون باللسان ، وليس بالعمل ، وهو : من حُمِل على أمر يتكلم به ، وهو معصيةً لله ؛ فتكلم مخافةً على نفسه ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، التقية باللسان :" الكلمة الملينة للجانب ، المبعدة للبغضاء ، بأن يعطوهم حلاوة لسانهم ، دون قلوبهم ، وأعمالهم [9] .

ثالثاً : تعريف التقية في اصطلاح الشيعة الاثني عشرية :

---

(١) سورة محمد : آية رقم ١٧.

(٢) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ ص ٥٢٠.

(٣) ابن منظور : لسان العرب ج ١٥ ص ٤٠٢– ٤٠٣ بتصرف . الفيروز أبادي : القاموس المحيط ج ١ص ١٧٣. ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ص ٥٢٠.

(٤) ابن قرقول : مطالع الأنوار على صحاح الآثار ، نشر وزارة الأوقاف القطرية – الدوحة ، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م ج ٢ص ٣٠ بتصرف.

(٥) ابن أبي جمهور الأحسائي: الأقطاب الفقهية على مذاهب الإمامية ص ٩٨.

(٦) سورة آل عمران : آية رقم ٢٨ .

(٧) الطبري : تفسير الطبري ج ٣ ص ٢٥٣. القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٦٦٥ .

(٨) الطبري : تفسير الطبري ج ٣ ص ٢٥٣.

(٩) أبو بكر الجزائري : أيسر التفاسير ص ١٤٦ بتصرف .

لا يختلف تعريف التقية عند أهل السنة عن تعريفها عند الشيعة الاثني عشرية إلا من حيث صياغة الألفاظ ، وهذا إن دل على شيء ؛ إنما يدل على اتفاقهم من حيث المبدأ على : أن التقية ليست كذباً ، ولا نفاقاً ، ولا خداعاً للآخرين ، كما يدعي البعض .

ولذلك فقد عرفها جمع من علماء المسلمين بألفاظ متقاربة ، وذات معنى واحد في مجملها ، فعرفها الشيخ المفيد بأنها :" كتمان الحق ، وستر الاعتقاد فيه ، ومكاتمة المخالفين ، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين والدنيا" [١] ويكمل غيره بأنها :" إخفاء المعتقد ؛ خوفاً من ضرر هالك ، ومعاشرة ظاهرة مع العدو المخالف ، والقلب مطمئن بالعداوة ، والبغضاء ، وانتظار زوال المانع من شق العصا "[٢] ؛ بموافقته في قول ، أو فعل مخالف للحق " [٣] .

<u>الفرق بين التقية وبعض المصطلحات الأخرى القريبة منها في المعنى :</u>

<u>الفرق بين التقية والمدارارة :</u>

المداراة : هي الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه ؛ حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، لاسيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك [٤] ، ويظهر أن : المدارة خلق حسن ، مندوب إلى فعله ؛ لما فيه من نبيل الغاية ، وحسن الوسيلة ؛ فالمداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق ، أو يحجزه عن الباطل ، فالمدارة إذاً لأهل الإيمان. قال تعالى لموسى وهارون – عليهما السلام – : " اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى " [٥] ، وتكون " الْمُدَارَاةُ : بِمُلَايَنَةُ النَّاسِ ، وَمُعَاشَرَتُهُمْ بِالْحُسْنَى ، مِنْ غَيْرِ ثَلَمٍ فِي الدِّينِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ ، وَالإِغْضَاءُ عَنْ مُخَالَفَتِهِمْ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ . وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمُدَارَاةِ وَالتَّقِيَّةِ : أَنَّ التَّقِيَّةَ غَالِبًا لِدَفْعِ الضَّرَرِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ [٦] ، وَأَمَّا الْمُدَارَاةُ : فَهِيَ لِدَفْعِ الضَّرَرِ وَجَلْبِ النَّفْعِ " [٧] ، ولا تقتضي وجود الضرورة .

---

(١) الشيخ المفيد : تصحيح اعتقاد الإمامية صـ ٦٦.

(٢) د أحمد الوائلي : هوية التشيع صـ ١٨٨ .

(٣) مرتضى الأنصاري: التقية ، تحقيق : الشيخ فارس الحسون ، ط مهر،نشر مؤسسة قائم آل البيت – قم ، ط١، ١٤١٢هـ صـ ٣٧.

(٤) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري جـ ١٠ صـ ٥٢٨.

(٥) سورة طه : آية رقم ٣٤-٤٤.

(٦) الضرورة : أن تطرأ على الإنسان حالة من الخطر ، أو المشقة الشديدة ، بحيث يخاف حدوث ضرر ، أو أذى بالنفس ، أو بالعضو ، أو بالعرض ، أو بالعقل ، أو بالمال ، ويتعين ، أو يباح عندئذ ارتكاب الحرام ، أو ترك الواجب ، أو تأخيره عن وقته ؛ دفعاً للضرر عنه ، في غالب ظنه ؛ ضمن قيود الشرع . انظر الشيخ أيمن بن علي موسى : غاية المأمول في شرح البداية في علم الأصول صـ ١١٧.

(٧) ابن حبان : روضة العقلاء ، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ، ١٣٧٤هـ صـ ٥٦.

الفرق بين التقية والمداهنة :

المداهنة : من الدهان وهو: الذي يظهر على الشيء ، ويستر باطنه ، وفسرها العلماء بأنها : معاشرة الفاسق ، وإظهار الرضا بما هو فيه ، من غير إنكار عليه .

ويظهر أن : المداهنة محرمة ؛ لما فيها من الرضا بالحرام ، وترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ فالمداهن يتلطف بصاحبه ؛ ليقره على الباطل ، ويتركه على هواه ، فالمداهنة إذاً لأهل النفاق [١]. ومتَى مَا تَخَلَّقَ الْمَرْءُ بِخُلُقٍ يَشُوبُهُ بَعْضُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ ؛ فَتِلْكَ هِيَ الْمُدَاهَنَةُ " [٢] قال تعالى :" فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ، وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ "[٣].

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمُدَاهَنَةِ وَالتَّقِيَّةِ : أَنَّ التَّقِيَّةَ لاَ تَحِل إِلاَّ لِدَفْعِ الضَّرَرِ، أَمَّا الْمُدَاهَنَةُ : فَلاَ تَحِل أَصْلاً ؛ لِأَنَّهَا اللِّينُ فِي الدِّينِ ، وَهُوَ مَمْنُوعٌ شَرْعًا " [٤] .

وهناك فرق بين المداراة والمداهنة ، فالمداراة التي : هي لين الكلمة ، وترك الإغلاظ للناس في القول ، وهي من أخلاق المؤمنين ، والمداهنة التي هي محرمة ، هي أن يلقى الفاسق المعلن بفسقه ؛ فيؤالفه ، ولا ينكر عليه ، ولو بقلبه ، والمداراة : هي الرفق بالجاهل الذي يستتر بالمعاصي ، واللطف به حتى يرده عما هو عليه "[٥]. أما المداهنة فهي لأهل الفسق والنفاق .

الفرق بين التقية والمعاريض :

المعاريض : " كلام له وجهان ، يطلق أحدهما ، ويراد لازمه[٦] " [٧] ، فالمعاريض : كلام يحمل معنى قريب صحيح في نفس قائله يريده ويقصده ، ويوهم من يحدِّثه أنه يريد معنى آخر يريده السامع ، ويكون سبب هذا الوهم : أن اللفظ المختار مشترك لفظي بين المعنيين ، كأن يقول : هذا أخي ، ويريد به في الإسلام لا النسب ، أو يقول : هو إنسان فاضل ، ويقصد بذلك لا حاجة فيه.

---

(١) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري جـ ١٠ صـ ٥٢٨ بتصرف .

(٢) ابن حبان : روضة العقلاء صـ ٥٦.

(٣) سورة القلم : آية رقم ٨-٩.

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية جـ ١٣ صـ ١٨٦ .

(٥) بدر الدين العيني : عمدة القاري جـ ٢٢ صـ ١٧١.

(٦) دلالة الإلتزام : الإنتقال الذهني بحيث يكون الأمر الخارجي لازماً لمسمى اللفظ ؛ بحيث يلزم من تصور المسمى تصوره ، بحيث إذا انتفى وجود الانتقال الذهني ؛ لاستحال تحديد اللازم لدلالة اللفظ . بتعبير المناطقة هي شاهد على غائب ، وعدّها بعض اللغويين دلالة منطقية لأن الفكر ينتقل انتقالاً منطقياً من الحقائق الحاضرة إلى حقائق غائبة . منقور عبد الجليل : علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي – من منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق – ٢٠٠١م صـ ٢٦٤ بتصرف .

(٧) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري جـ ١٠صـ ٥٩٤.

قال رسول الله – ﷺ – : " إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب " [1] ، وفي رواية :" أَمَا فِي الْمَعَارِيضِ مَا يُغْنِي الرَّجُلَ عَنِ الْكَذِبِ " [2] ، ومن أمثلة المعاريض قول إبراهيم – عليه السلام – : " إني سقيم " [3] ، حين أراد ألا يشارك قومه في عبادة الأصنام ؛ فتذرع بهذا العذر ؛ وإنما سماه النبي – ﷺ – : كذباً في حديثه :" لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات " [4] ، من باب المجاز اللغوي .

الفرق بين التقية والخداع في الحرب :

سواء كان الكذب في الحرب صريحاً ، أو عن طريق المعاريض ، والتورية [5] ؛ فإن هذا لا يدخل في باب التقية ، حيث صرح كثير من العلماء بجواز الكذب ، كما قال ابن حجر : " الظاهر إباحة حقيقة الكذب ، لكن التعريض أولى " [6] .

وقد قال النبي – ﷺ – :" الحرب خدعة تكلموا بما أردتم " [7]. ويدل الخبر على : جواز الكذب في الحرب لإغفال العدو [8] ، بخلاف التقية التي يصح فيها الكذب على المسلم المخالف .

الفرق بين التقية والنفاق :

١ - أن في التقية عز المؤمن ، وفي النفاق ذل المنافقين .

٢– التقية لا تكون من غير ضرورة أو مصلحة معتد بها شرعاً ، وأما النفاق فهو مرض في القلب لا يكون فيه أي ضرر ولا مصلحة سوى : حب الكفر والنفاق .

٣– اعتنى القرآن الكريم والسنة النبوية برفع الحرج والعسر والشدة والضرر لبيان جواز التقية ، وفي المقابل جاء التحذير الشديد للمنافقين ، وبيان مساوئ النفاق .

---

(١) الإمام البيهقي : شعب الإيمان جـ ٦ صـ ٤٤٦. أبو جعفر الطحاوي : شرح مشكل الآثار ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ/ ١٤٩٤م جـ ٧ صـ ٣٧٠. ابن حجر : فتح الباري جـ ١٠ صـ ٥٩٤.

(٢) الإمام البيهقي : شعب الإيمان جـ ٦ صـ ٤٤٥. أبو جعفر الطحاوي : شرح مشكل الآثار جـ ٧ صـ ٣٦٩.

(٣) سورة الصافات : آية رقم ٨٩.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٢ صـ ٣٣٢. الإمام أحمد : مسند أحمد جـ ٢ صـ ٤٠٣.

(٥) التورية : الستر والإخفاء . وفي عرف البديع : إرادة المتكلم بكلامه خلاف الظاهر ، مثل أن يقول شل عضدك ، وهو ينوي موت أخيك . القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١ صـ ٢٤٧ .

(٦) الإمام ابن حجر : فتح الباري جـ ٦ صـ ١٩٥.

(٧) الشيخ الطوسي : تهذيب الأحكام جـ ٦ صـ ١٦٢.الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١١ صـ ١٠٢.

(٨) الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية صـ ٥٦٢. الشوكاني : نيل الأوطار جـ ٨ صـ ٨٢. الإمام النووي : شرح مسلم جـ ١٢ صـ ٤٥ . بدر الدين العيني : عمدة القاري جـ ١٤ صـ ٢٧٦.

٤- التقية ثابتة بنصوص من الكتاب والسنة ، وكذلك النفاق ، ولو كان الاثنان متحدين في المعنى ؛ لوجد في الشرع تناقض ، أو القول : بأن الشريعة أحلت النفاق للمسلمين .

٥- التقية فضيلة ، والنفاق رذيلة فكيف يجتمعان .

٦- ثبوت عمل النبي - ﷺ - والصحابة بالتقية يثبت أنهم غير منافقين ؛ وإلا فعملهم كان من باب النفاق ، ونعوذ بالله من هذا القول [١] .

<u>آراء الفرق في جواز التقية :</u>

اختلفت آراء الفرق الإسلامية في حكم التقية على حسب قواعدهم الاعتقادية ، ونجملها فيما يلي :

<u>أولا: المعتزلة :</u> أجازت التقية عند الخطر المهلك ، وعند خوف تلف النفس ، والصدق أولى [٢].

<u>ثانيا : الخوارج :</u> انقسموا إلى ثلاثة أقسام : قالت الأزارقة : بمنع التقية ، وحرمتها[٣] . وقالت النجدات [٤] : بجواز التقية في القول ، والعمل ؛ ولو أدى ذلك إلى قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق[٥] . وقالت الصفرية [٦] : بجواز التقية في القول ، دون الفعل [٧].

<u>ثالثا : أهل السنة</u> : قالوا بجواز التقية في القول ، دون العمل ، وذهب بعضهم : لوجوبها في بعض الحالات ، وقال بعضهم : بأنها رخصة للمضطر [٨]. وسيأتي مزيد تفصيل- إن شاء الله - .

<u>رابعاً : حكم التقية عند الشيعة الاثني عشرية :</u> تضاربت آرؤهم حول حكم التقية :

---

(١) مركز الرسالة : التقية في الفكر الإسلامي ، ط مهر ، نشر مركز الرسالة – قم ، ط١ ، ١٤١٩هـ ص ١٢٢ – ١٢٤ بتصرف .

(٢) الزمخشري : تفسير الكشاف ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، دت جـ ٢ ص ٥٩٥ .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٠٣. د أحمد الوائلي : هوية التشيع ص ١٨٨ – ١٩٠ بتصرف .

(٤) النجدات العاذرية : أصحاب نجدة وقيل : عاصم بن عامر الحنفي ، ، بايعوه على إمرة المؤمنين ، ثم اختلفوا عليه ، فكفره بعضهم ، من عقائدهم : الدين أمران معرفة الله ورسله ، وتحريم دماء المسلمين ، وهذا ليس فيه عذر بالجهل . الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٠٤ - ١٠٦.

(٥) د أحمد الوائلي : هوية التشيع ص ١٨٨ – ١٩٠ بتصرف . الشهرستاني : الملل والنحل ١٠٤ .

(٦) الصفرية : أصحاب زياد بن صفر ، لم يكفروا من قعد عن قتال الظالمين ، إذا وافقوا الخوارج في الدين والاعتقاد ، وجوزوا زواج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية ، وقالوا : الشرك طاعة الشيطان ، وعبادة الأوثان ، والكفر كفران كفر نعمة ، وإنكار الربوبية ، والبراءة براءتان : من أهل الحدود سنة ، ومن أهل الجحود فريضة . الشهرستاني : الملل والنحل ص ١١٤.

(٧) د أحمد الوائلي : هوية التشيع ص ١٨٨ – ١٩٠ بتصرف . الشهرستاني : الملل والنحل ص ١١٤ .

(٨) د أحمد الوائلي : هوية التشيع ص ١٨٨ – ١٩٠ بتصرف .

فمنهم : من يعدها من خصائص الأئمة والرسل ؛ قال تعالى:" فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ " [1] ، أي : أظهره ، ولا تخفه خوفاً ، وتقية ؛ لأن الله يعصمك عن الناس ، فالظاهر : أنه من خصائصه ؛ إذ لا يجب على غيره التقية في محلها ، أو يحمل على غير محلها [2].

بينما يعتقد أكثرهم : بوجوب التقية في حق المكلفين من غير الأنبياء – عليهم السلام – ؛ فعن الإمام الرضا – عليه السلام – : " عليكم بالتقية" ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – : " لا دين لمن لا تقية له " [3] ، وعن جعفر الصادق – عليه السلام – :" لا إيمان لمن لا تقية له " [4] ، وعنه : " تارك التقية كافر" ، وعنه :" التقية ديني من أول الدهر إلى آخره "، وعنه :" اتق حيث لا يتقى " [5] .

وروي أن أبا عبد الله – عليه السلام – كان يمشي في سوق المدينة يوماً ، وخلفه الإمام أبو الحسن موسى الرضا – عليه السلام – فجذب رجل ثوب أبي الحسن ، وسأله : عن أبي عبد الله ، وقال : من الشيخ ؟ ، فقال أبو الحسن : لا أعرفه [6] .

ويقول بعضهم :" التقية فريضةٌ واجبةٌ علينا في دولة الظالمين ، فمن تركها ؛ فقد خالف دين الإمامية وفارقه ، يقول الصدوق : " التقية واجبة لا يجوز رفعها ، إلى أن يخرج القائم – عليه السلام – فمن تركها قبل خروجه ؛ فقد خرج من دين الله ، ودين الإمامية ، وخالف الله ورسوله والأئمة "[7] ، وعن الصادق – عليه السلام – :" لو قلت : إن تارك التقية كتارك الصلاة ؛ لكنت صادقاً "[8] ، بل من الموبقات فعن رسول الله – ﷺ – :" الموبقات هي : جحد النبوة ، أو الإمامة ، أو ترك التقية "[9] .

---

(١) سورة الحجر : آية رقم ٩٤.

(٢) المحقق الأردبيلي : زبدة البيان في أحكام القرآن صـ ٤٠٧.

(٣) الكليني : الكافي جـ ٢ صـ ١٧٢ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٥ صـ ٣٤٧.

(٤) المحقق النراقي : مستند الشيعة جـ ١٤ صـ ١٩٣. السيد الخميني : المكاسب المحرمة جـ ٢ صـ ١٤٢.

(٥) علي بن بابويه : فقه الرضا صـ ٣٣٨. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٥ صـ ٣٤٧ بتصرف .

(٦) علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ١٠صـ ٤١٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٥صـ ٣٤٧. علي بن بابويه : فقه الرضا صـ ٣٣٨.

(٧) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الأمامية صـ ١٠٨. د أحمد الوائلي : هوية التشيع صـ ١٩٠ بنحوه .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٠ صـ ١٨١. الشيخ الصدوق : الهداية صـ ٥١.

(٩) السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ ٤صـ ١٥. علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٦ صـ ٣٢٢.

وتكون التقية في كل شيء ، حتى يبلغ الدم ، فإذا بلغ الدم فلا تقية [1] ؛ وروي عن الصادق – عليه السلام – أنه سئل عن قول الله – ﷻ – : " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ "[2] ، فقال: " أعلمكم بالتقية "[3] ، وقال أيضاً:" خالطوا الناس بالبرانية ، وخالفوهم بالجوانية [4] ، ما دامت الإمرة صبيانية "[5] ، وعنه : الرياء مع المنافق في داره عباده ، ومع المؤمن شرك "[6] .

ومنهم : من يقول بجوازها ، فيقول :" اعلم أن التقية جائزة ، وربما وجبت ، والمراد بها : إظهار موافقة أهل الخلاف في ما يدينون به خوفاً "[7] ؛ وعلة الجواز والوجوب : تتوقف على تقدير الشخص ؛ حيث يقول أبو عبد الله – عليه السلام – :" التقية في كل ضرورة ، وصاحبها أعلم بها حين تنزل به " [8].

ومنهم من يقول : أنها تتضمن الأحكام التكليفية الخمسة [9] : " **فتجب** التقية : بعلم الضرر بتركها مالياً كان ، أو نفسياً ، حتى لو كان بُضْعاً ، أو عرضاً ، أو ظن ذلك ، أو لغيره ممن لا يستحق. **وتستحب** : إذا كان الضرر سهلاً ، أو تعلقت بمستحب. **وتحرم** : إذا تعلقت بترك واجب ، أو فعل محرم ، حيث لا ضرر، أو تعلقت بقتل مسلم ؛ فإنه لا تقية في الدماء. **وتكره** : في ترك المستحب ، حيث لا ضرر. **وتباح** : في المباح المرجوح للخصم مع عدمه ، ويبيح كل شيء.

وهل يباح بها كلمة الكفر ؟ قولان : أقربهما الإباحة ؛ ويأثم تاركها إلا فيها ، وفي البراءة ، فلا إثم في تركها فيها إجماعاً ، وفي أفضلية أيهما قولان : أصحهما فضيلة الترك ؛ خصوصاً إذا كان قدوة [10].

فيما تكون التقية ؟

---

(١) الشيخ الصدوق : الهداية صـ ٥٢. المحقق السبزواري : كفاية الأحكام جـ ١ صـ ٤١٢.

(٢) سورة الحجرات : آية رقم ١٣.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٢ صـ ٤٢١. الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية صـ ١٠٨.

(٤) البرانية : الظاهر ، والجوانية : الباطن . انظر الشيخ الصدوق : الهداية هامش صـ ٥٢.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١ صـ ١٧٩. الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٢٢٠.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٢ صـ ٤٢١. الشيخ الصدوق : الهداية صـ ٥٣.

(٧) المحقق الكركي : رسائل الكركي جـ ٢ صـ ٥١ . السيد المرعشي : شرح إحقاق الحق جـ ١ صـ ٣١٣.

(٨) السيد محمد العاملي : مدارك الأحكام جـ ٦ شرح صـ٧٠. المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٣ صـ ٧٠. الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ١٦ صـ ٢٦٠.

(٩) الأحكام التكليفية الخمسة : هي خطاب الشرع المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء سواء كان فعلا : { الوجوب والاستحباب } ، أو تركاً : {الكراهة ، والحرمة } أو التخيير بين الفعل أو الترك وهو : الإباحة . أيمن بن علي موسى : غاية المأمول صـ ٥٦ بتصرف .

(١٠) ابن أبي جمهور الأحسائي : الأقطاب الفقهية على مذاهب الإمامية صـ ٩٨.

وتكون التقية في العبادات ، والمعاملات . وأما في المعاملات فلا يحل له باطناً: وطء المنكوحة للتقية على خلاف مذهب أهل الحق ، ولا التصرف في المال المأخوذ من المضمون عنه ؛ لو اقتضت التقية أخذه ، ولا تزوج الخامسة إن طلق الرابعة ؛ على مقتضى مذهب أهل الخلاف دون المذهب الحق (1) .

ويرد بعض أهل السنة فيقول :" إن المؤمن إذا كان قائماً بين الكفار ؛ فله أن يداريهم باللسان ؛ إذا كان خائفاً على نفسه ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، والتقية لا تحل إلا مع خوف القتل ، أو القطع ، أو الإيذاء العظيم . ومن أكره على الكفر ؛ فالصحيح : أن له أن يتصلب ، ولا يجيب إلى التلفظ بكلمة الكفر ؛ بل يجوز له ذلك على الأصح " (2) ، " إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين ، أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم ؛ فيداريهم باللسان ، وقلبه مطمئن بالإيمان ؛ دفعاً عن نفسه ، من غير أن يستحل دماً حراماً ، أو مالاً حراماً ، أو أن يظهر الكفار على عورة المسلمين ، والتقية : لا تكون إلا مع خوف القتل ، وسلامة النية قال تعالى : " مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " (3) ، ثم هذه رخصة فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم " (4).

<u>حكم الذرائع(5) المؤدية للتقية ومتعلقاتها :</u>

من أهم ذرائع التقية الإكراه ، ويظهر هذا في أن معظم التفصيلات الفقهية في فقه المذاهب الأربعة عند أهل السنة ، التي تتحدث عن التقية ؛ إنما هي مبحوثة في باب الإكراه غالباً ، ولا يوجد كتاب في كتب الفقه يعنون باباً بعنوان التقية ، ولا يستغرب ذلك ؛ لأن العلاقة بين الإكراه والتقية علاقة السبب بالمسبب ، والعلة بالمعلول (6) .

<u>تعريف الإكراه :</u>

الإكراه لغة : حمل الإنسان على أمر لا يريده طبعاً أو شرعاً .

---

(1) المحقق الكركي : رسائل الكركي جـ ٢ صـ ٥١-٥٣ بتصرف .

(2) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ صـ ٦٦٥ .

(3) سورة الأنعام : آية رقم ١٠٦.

(4) الإمام البغوي : تفسير البغوي صـ ١٩٨ – ١٩٩ بتصرف .

(5) الذرائع : الوسائل . نشوان بن سعيد الحميرى اليمني : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم جـ ٤صـ ٢٢٥٨.

(6) مركز الرسالة : التقية في الفكر الإسلامي صـ ١٣ بتصرف .

في الشرع : حمل الغير على ما يكره بالوعيد بالقتل ، أو بالتهديد بالضرب ، أو السجن أو إتلاف المال ، أو الأذى الشديد ، أو الإيلام القوي [1] .

ومع هذا فلا يتحقق الإكراه إلا بأركان أربعة هي :

الركن الأول : المُكرِه : وهو من يصدر منه الإكراه ، ويشترط فيه : أن يكون قادراً على تنفيذ تهديده .

الركن الثاني : المُكرَه : وهو من يقع عليه الإكراه ، ويشترط فيه : أن يكون متأكداً ، أو غالباً على ظنه حصول الضرر على نفسه ، أو ماله ، أو عرضه ، أو على إخوانه ، أو دينه ؛ إذا لم يأتمر بأمر المكره ؛ مع عجزه عن دفع ما يتهدد به بهرب ، أو استغاثة ، أو المقاومة ، ونحو ذلك [2] .

الركن الثالث : المُكرَه به : وهو نوع الضرر الذي توعد به المكرِه ، سواء كان الضرر متعلقاً بالنفس ، أو المال ، أو العرض ، أو إخوانه المسلمين ، أو الدين ؛ وسواء كان الضرر مادياً كالضرب المبرح ، أو قطع عضو ، أو أخذ مال ، أو كان الضرر معنوياً كالإهانة ، والتشهير ونحوها [3] .

الركن الرابع : المُكرَه عليه : وهو ما يراد تنفيذه من المكرَه ، سواء كان كلاماً ، أو فعلاً ، ويشترط فيه : ألا يكون الضرر الناتج عنه أكبر من الضرر المتوعد به ، وأن يكون مما يحرم تعاطيه على المكره ، فلا يجوز الزنا إذا أكره عليه مع التهديد بقطع الراتب مثلاً ؛ لأن الزنا خطره أشد ، وأن يعلم أنه بفعله ينج من الشر المتوعد به ؛ وإلا فلا يجوز [4] .

أركان التقية :

الركن الأول : المتقي : وهو المُكْرَه .   الركن الثاني : المُتَقَى منه : وهو ما يهدد به .

الركن الثالث : ما يُتَقى عليه : وهو كل ما دل العقل والشرع على ضرورة حفظه .

الركن الرابع : ما يُتَقى به : وهو نوع العمل المحرم المراد إنجازه [5] .

شروط الإكراه :

١- أن يكون فاعله قادراً على إيقاع ما يهدد به ، والمأمور عاجزاً عن الدفع ، ولو بالفرار .

٢- أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به المُكْرِه ما هدده به .

---

(١) الشيخ السيد سابق : فقه السنة ، نشر دار الريان للتراث – القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م جـ ٣ صـ ٣٥١ .

(٢) شمس الدين الشربيني الخطيب : الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ، ط قطاع المعاهد الأزهرية ، ٢٠٠٤هـ/ ٢٠٠٥م جـ ٣ صـ ٣ .

(٣) الشيخ السيد سابق : فقه السنة جـ ٣ صـ ٣٥١ .

(٤) مركز الرسالة : التقية في الفكر الإسلامي صـ ١٤ – ١٥ بتصرف .

(٥) المصدر السابق صـ ١٠٨ – ١٠٩ بتصرف .

٣- أن يكون ما هدده به فورياً ، فلو قال : إن لم تفعل كذا ؛ ضربتك غداً ، لا يعد مكرهاً ، ويستثنى : ما إذا ذكر زمناً قريباً جداً ، أو جرت العادة بأنه لا يخلف .

٤- أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره[1] . كأن يقول له المُكْرِه : طلق امرأتك ثلاثاً ؛ فيطلقها واحدة ، ثم لا يعاقبه .

أنواع الإكراه :

النوع الأول : الإكراه على الكلام المخالف للحق ، وله صور كثيرة أشدها التلفظ بكلمة الكفر ، وسب النبي – ﷺ – أو القرآن ، ومن صورها الإكراه على الطلاق ، والمعوَّل فيه على النية [2] .

النوع الثاني : الإكراه على الفعل المحظور وهو على وجهين :

الأول : فعل تسوغ معه التقية حال الإكراه عليه ، مثل التقية في السرقة ، أو إتلاف مال الغير ، أو الإفطار في شهر رمضان ، أو تأخير الصلاة .

الثاني : فعل لا تسوغ معه التقية مطلقاً ؛ مهما بلغت درجة الإكراه عليه ، كالقتل [3] .

وكل هذه الأنواع تنقسم إلى أقسام ثلاثة :

١ – الإلجاء : حيث ينعدم الرضا والاختيار ، وتنتفي الإرادة والقصد ، وهذه الحالة هي التي نزل فيها قوله تعالى :" مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ "[4].

٢- التهديد : حيث ينعدم الرضا ، ولا ينعدم الاختيار تماماً ، وفي هذه الحالة يختار الإنسان أخف الضررين ، مثل حال شعيب – عليه السلام- حين خيره قومه بين العودة إلى الكفر ، أو الخروج من قريتهم فاختار الأخف ؛ وهو الخروج من القرية ؛ قال تعالى :" قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ * قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ" [5] ؛ فلا تجوز الاستجابة لمثل هذا الإكراه ؛ لقوله تعالى :" وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ

---

(١) محمد بن سعيد القحطاني : الولاء والبراء في الإسلام صـ ١٠٨ – ١٠٩ بتصرف .

(٢) الشيخ السيد سابق : فقه السنة جـ ٣ صـ ٣٥٣ .

(٣) مركز الرسالة : التقية في الفكر الإسلامي صـ ١٩ – ٢٠ بتصرف .

(٤) سورة النحل : آية رقم ١٠٦ .

(٥) سورة الأعراف : آيات رقم ٨٨ – ٨٩ .

فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ "(١).

٣- الاستضعاف : وهنا لا تعذيب ، ولا تهديد ، ولكن المستضعف داخل تحت وضع مفروض عليه من غيره ، كالمقيم في مكة بعد هجرة النبي - ﷺ - والمسلمين عنها ؛ فإذا كان دخوله تحت هذا الوضع لعجزه عن دفعه ، وعن الخروج عنه ؛ فهو معذور ، أما إذا كان قادراً على الدفع ، أو الخروج ، فيجب عليه الدفع ، أو الخروج (٢)، قال - ﷻ - :" إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا"(٣).

الضرورة ، والإكراه ، وأبعاد الاختلاف والاتفاق في حق الإنسان المكلف :

يفرق بين الإكراه والضرورة بأمور منها : أن الإكراه يكون من شخص آخر ، أما الضرورة تكون حالة تضطر الشخص لفعل لا يريده ، مثل أن يأكل الميتة عند خوف الهلاك .

والإكراه قد يتكرر في الفعل في نفس الوقت ، غير أن الضرورة لا تتكرر ؛ فالضرورة تقدر بقدرها ، كأن تكون على قدر سد الرمق في أكل الميتة .

ويجمع بينهما : بأن الهدف منهما دفع الضرر ، وكذلك لا يترتب على كلٍ من المضطر والمكره آثار شرعية إذا تحققت الشروط (٤) ، فالمشقة تجلب التيسير ، ومن أهم أسبابها : الإكراه : ومن أجله أبيح للمُكرَه التلفظ بكلمة الكفر ، وترك الواجب ، وإتلاف مال الغير ، وأكل الميتة ، وشرب الخمر(٥) ، فالْمُكْرَهِ : إنْ بَلَغَ بِهِ الْإِكْرَاهُ إلَى حَدِّ الْإِلْجَاءِ ، فَلَيْسَ بِمُكَلَّفٍ (٦) .

أدلة التقية من الكتاب والسنة عند الشيعة الاثني عشرية :

---

(١) سورة العنكبوت : آية رقم ١٠ .

(٢) محمد بن سعيد القحطاني : الولاء والبراء في الإسلام صـ ٣١٢ – ٣١٣ بتصرف .

(٣) سورة النساء : آيات رقم ٩٧ – ١٠٠ .

(٤) مركز الرسالة : التقية في الفكر الإسلامي صـ ٢٩ بتصرف .

(٥) د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه صـ ٢٤١ بتصرف .

(٦) سليمان الطوفي الصرصري : شرح مختصر الروضة ، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م جـ ١ صـ ١٩٤.

تعتبر كل الآيات الدالة على اليسر ، ونفي الحرج ، وعدم إلقاء النفس في التهلكة ، والتي تتكلم عن الإكراه ، والضرورة ، ودفع كل ذلك : دليلاً على التقية [١] .

منها قوله تعالى :" فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا " [٢] ؛ وهذا يدل على أن التقية كانت في شرع من قبلنا ، وأنهم هاجروا بدينهم ؛ لمَّا عرض عليهم الملك عبادة الأصنام ؛ فكتموا إيمانهم ، مع ربط الله على قلوبهم [٣] .

وهنا نكتة بديعة : " وهي أن الوكالة إنما كانت مع التقية ؛ خوفَ أن يشعر بهم أحدٌ ؛ لما كانوا عليه من الخوف على أنفسهم ، وجواز توكيل ذوي الأعذار متفق عليه [٤] .

وقال – ﷻ – :" وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ "[٥] ، وكتم الإيمان هو : التقية لا غير ؛ لأنه خاف من القتل ، حين قال فرعون :" ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى " [٦] ، مع كون القرآن لم يصف هذا الرجل العظيم بالنفاق [٧] ؛ فإنه نوى الإيمان بقلبه ، ومنعته التقية أن يتلفظ بلسانه ، ولكن لم تمنعه التقية أن يتلفظ بالإيمان بينه وبين الله تعالى ؛ إنما تمنعه التقية من أن يسمعه غيره ، وليس من شرط الإيمان أن يسمعه الغير ؛ وإنما يشترط ذلك إذا كان مع مؤمن ، فيسمعه ليكف عن نفسه وماله [٨].

وقال تعالى :" مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " [٩] ، وسبب نزول هذه الآية :" كان أول من أظهر إسلامه سبعة رسول الله – ﷺ – وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية[١٠] ، وصهيب[١] ،

---

(١) مركز الرسالة : التقية في الفكر الإسلامي ص ٣١ بتصرف .

(٢) سورة الكهف : آية رقم ١٩ – ٢٠ .

(٣) مركز الرسالة : التقية في الفكر الإسلامي ص ٣٣ – ٣٤ بتصرف .

(٤) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ٢ ص ١٨٩١ .

(٥) سورة غافر : آية رقم ٢٨ .

(٦) سورة غافر : آية رقم ٢٦ .

(٧) مركز الرسالة : التقية في الفكر الإسلامي ص ٣٦ – ٣٧ بتصرف .

(٨) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ٢ ص ٢٧٠١ بتصرف .

(٩) سورة النحل : آية رقم ١٠٦ .

(١٠) سمية بنت الخياط : زوج ياسر ، وأم عمار بن ياسر ، وهي أول شهيدة في الإسلام ، قتلها أبو جهل في السنة السابعة قبل الهجرة .انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١ ص ٤٠٩. الإمام أحمد المرتضى : شرح الأزهار جـ ١ ص ٢٨.

وبلال ، والمقداد . فأما رسول الله – ﷺ – فمنعه الله بعمه أبي طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون ، وألبسوهم أدراع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ، إلا بلال ؛ فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ، فأخذوه فأعطوه الولدان ، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة ، وهو يقول أحدٌ أحدٌ " (٢) .

وقوله سبحانه :" لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ " (٣) .

وقال – ﷺ – :" وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ " (٤) ؛ عن الصادق – عليه السلام – :" التي هي أحسن : التقية " (٥) .

والأصل فيها ما أشتهر من أقوال أهل البيت، وأفعالهم ، ففي قوله تعالى :" إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" (٦)، معناها : أعلمكم بالتقية (٧)، وعن الصادق – عليه السلام – :" التقية ديني ودين آبائي" (٨) .

ومن أدلة التقية : تقية النبي – ﷺ – قريشاً عند فتح مكة حين أراد تصحيح بناء الكعبة ، حين قالت عائشة – رضي الله عنها – :" عَنِ الحِجْرِ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ ، قَالَ : " نَعَمْ " ، قالت : فَلِمَ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِى الْبَيْتِ ، قَالَ : " إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ " ، قالت : فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا ، قَالَ : " فَعَلَ ذَلِكِ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا ، وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ فِى الْجَاهِلِيَّةِ ؛ فَأَخَافَ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ ؛ لَنَظَرْتُ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِى الْبَيْتِ ، وَأَنْ أُلْزِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ "

---

(١) صُهَيْبُ بنُ سِنَانٍ : أَبُو يَحْيَى النَّمِرِيُّ ، وَيُعْرَفُ بِالرُّوْمِيِّ؛ لأَنَّهُ أَقَامَ فِي الرُّوْمِ مُدَّةً ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَزِيْرَةِ ،كَانَ مِنْ كِبَارِ البَدْرِيِّيْنَ. وَلَمَّا طُعِنَ عُمَرُ ، اسْتَنَابَهُ عَلَى الصَّلاَةِ بِالمسْلِمِيْنَ إِلَى أَنْ يَتَّفِقَ أَهْلُ الشُّوْرَى عَلَى إِمَامٍ ، وَكَانَ مَوْصُوْفاً بِالكَرَمِ وَالسَّمَاحَةِ مَاتَ بِالمدِيْنَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلاَثِيْنَ ، عنْ سَبْعِيْنَ سَنَةً ، وَكَانَ مِمَّنِ اعْتَزَلَ الفِتْنَةَ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ١٧ – ٢٦.

(٢) قال الشيخ الألباني : حسن ، وقال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي :" وافقوا المشركين على ما أرادوا منهم تقية ، والتقية في مثل هذه الحال جائزة " . انظر ابن ماجة : سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار الفكر – بيروت ، دت جـ ١ صـ ٣٥ .

(٣) سورة آل عمران : آية رقم ٢٨ .

(٤) سورة فصلت : آية رقم ٣٤ .

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٢١٨ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٢ صـ ٣٩٨.

(٦) سورة الحجرات : آية رقم ١٣ .

(٧) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية صـ ١٠٨ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٢ صـ ٤٢٨.

(٨) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ١٧٤. المحقق النراقي : مستند الشيعة جـ ١٤ صـ ١٩٢.

[1]، وفي رواية :" مخافة أن تنفر قلوبهم " [2] ، ولعل هذا من القواعد العقلية التي قررتها الشرائع السماوية ، وهي تقديم الأهم على المهم ؛ فتكون التقية من القواعد العقلية الشرعية " [3] .

واعتقد أن هذا ليس من التقية بدليل قوله – ﷺ – : " فَأَخَافَ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ " ، ثم إن هذا ليس حراماً ، وإنما هو من باب خلاف الأولى ؛ حيث إن الحجر لا يُطَاف فيه حتى وإن لم يبن .

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت :" أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ – ﷺ – فَقَالَ : ائْذَنُوا لَهُ فَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ ، أَوْ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ : قُلْتَ لَهُ الَّذِي قُلْتَ ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ ، فَقَالَ – ﷺ – : أَيْ عَائِشَةُ : شَرُّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَدَعَهُ النَّاسُ ، أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ" [4] .

وحديث أن رجلاً أقبل على النبي– ﷺ – فسأل بعض أصحابه عنه ، فقالوا :" هذا أوسط قريش حسباً ، وأكثرهم مالاً ثلاثاً ، فقالوا يا رسول الله : أنبأتك بعلمي فيه ، فأنت أعلم ، فقال : هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة وزناً " [5] . ولمن أراد الزيادة فهي مبثوثة في داخل الفصل.

وعن أمير المؤمنين – عليه السلام – :" التقية من أفضل أعمال المؤمن " [6] ، وعن الحسين – عليه السلام – :" لولا التقية ما عرف ولينا من عدونا" ، وعنه :" يغفر الله للمؤمن كل ذنب ، ويطهره منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين : ترك التقية ، وتضيع حق الإخوان " ، وعن محمد بن علي – عليهما السلام – :" أشرف أخلاق الأئمة ، والفاضلين من شيعتنا : استعمال التقية [7] .

وها هو أبو عبد الله – عليه السلام – يتقي في أهم أركان الإسلام ، وهي الإمامة إذ دخل عليه رجلان من الزيدية يسألانه : أفيكم إمام مفترض الطاعة ، قال : لا ، فقالا : قد أخبرنا عنك الثقات أنك تفتي ، وتقر ، وتقول به ، ونسميهم لك فلان وفلان ، وهم أصحاب ورع ، وتشمير ، وهم ممن لا يكذب ، فغضب أبو عبد الله ، وقال : ما أمرتهم بهذا [8].

---

(١) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٢ صـ ٩٧٣ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٩ صـ ٤١٢.

(٢) الإمام ابن ماجة : السنن جـ ٢ صـ ٩٨٥ .

(٣) مركز الرسالة : التقية في الفكر الإسلامي صـ ٥٨ .

(٤) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ٢٠٠٢. الإمام أحمد : المسند جـ ٤٠ صـ ١٢٧ . الإمام أبو داود : سنن أبي داود جـ ٤ صـ ٢٥١. السيد علي الشهرستاني : وضوء النبي جـ ١ صـ ٣٨٩ . مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٩ صـ ٣٦٥.

(٥) الإمام الطبراني : المعجم الأوسط جـ ٢ صـ ٧٠. الإمام الهيثمي : مجمع الزوائد جـ ٨ صـ ١٧.

(٦) السيد الخميني : المكاسب المحرمة جـ ٢صـ ١٦٣. الشيخ ناصر مكارم : القواعد الفقهية جـ ١ صـ ٤٠٠.

(٧) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١١ صـ ٤٧٣ – ٤٧٤ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٢ صـ ٤١٥ بتصرف .

(٨) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٢٢.الشيخ المفيد : الإرشاد جـ ٢ صـ ١٨٧.

ويدخل عليه رجل ليسأل عن : رؤيا ، ومعه أبو حنيفة – رحمه الله – فيقول : هاتها فإن العالم بها جالس ، وأومئ إلى أبي حنيفة ، ففسرها أبو حنيفة ؛ فقال : أصبت والله يا أبا حنيفة ، ثم خرج أبو حنيفة ، فقيل له : إني كرهت تعبير هذا الناصب ، فقال : لا يسوءك ... وليس التعبير كما عبره ، فقيل له : جعلت فداك ! فقولك : أصبت ، وتحلف عليه ، وهو مخطئ ، قال : نعم حلفت عليه : أنه أصاب الخطأ [١].

الذرائع والتقية يدخلان في الأحكام التكليفية الخمسة عند الاثني عشرية :

الذريعة دائماً تابعة لما هي وسيلة إليه فتأخذ حكمه ؛ فتجب الذريعة بوجوب التقية : كالموقية للنفس ، والمال ، والبُضْع ، وإن كان لغيره إذا كان مسلماً ، أو معاهداً . وتستحب لاستحبابا : كتحسين الخلق عند الظلمة للاقتداء به . وتكره لكراهتها : كالطبيعي من الخُلق إذا لم يجلب نفعاً ، ولا يدفع ضراً. وتحرُم للمحرَّم : كقصد سرور الظالم به ، وترغيبه في المعاصي ، والظلم [٢].

وربما كان متعلق التقية " مأذوناً فيه بخصوصه كغسل الرجلين في الوضوء ، والكتف في الصلاة . وقد لا يكون مأذوناً فيه بخصوصه ، بل جواز التقية فيه مستفاد من العمومات السالفة ونحوها ، فما ورد فيه نص بخصوصه ؛ إذا فعل على الوجه المأذون فيه ، كان صحيحاً مجزياً ، سواء كان للمكلف فيه مندوحة عن فعله ، أم لم يكن ؛ التفاتاً إلى أن الشارع أقام ذلك الفعل مقام المأمور به حين التقية ، فكان الإتيان به امتثالاً فيقتضي الإجزاء ، وعلى هذا فلا تجب الإعادة ، ولو تمكن منها على غير وجه التقية قبل خروج الوقت ، ولا أعلم في ذلك خلافاً بين الأصحاب [٣].

وما لم يرد به نص بخصوصه كفعل الصلاة إلى غير القبلة ، وبالوضوء بالنبيذ ، ومع الإخلال بالموالاة ، بحيث يجف البلل كما يراه بعض العامة ، ونكاح الحليلة مع تخلل الفاصل بين الإيجاب والقبول ، فإن المكلف يجب عليه إذا اقتضت الضرورة موافقة أهل الخلاف فيه ، وإظهار الموافقة لهم ، ومع التعذر: فإن كان له مندوحة عن ذلك الفعل لم يجب الإتيان به ، وإلا أتى به مجزياً ، ثم إن أمكن الإعادة في الوقت بعد الإتيان به وفق التقية وجب [٤] .

أقسام التقية من حيث حكمها التكليفي : القسم الأول : التقية الواجبة : وهي ما كانت لدفع ضرر واجب فعلاً [٥]، متوجه إلى نفس المتقي ، أو عرضه ، أو ماله ، أو إخوانه المسلمين ، أو

---

(١) الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ ص ٢٩٢. الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين جـ ٢ ص ٤٧٠.

(٢) ابن أبي جمهور الأحسائي : الأقطاب الفقهية على مذاهب الإمامية ص ٩٩.

(٣) المحقق الكركي : رسائل الكركي جـ ٢ ص ٥١-٥٢ بتصرف .

(٤) المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٢-٥٣ بتصرف .

(٥) الشيخ مرتضى الأنصاري : التقية ص ٣٩.

دينه ؛ بحيث يكون الضرر جسيماً ؛ فيجوز دفعه بالتقية ، ما لم يؤد إلى ضرر أكبر في الدين ، أو المجتمع ، مثل إفطار الصائم آخر يوم في رمضان ؛ إذا أعلن الإمام الجائر أنه العيد ، وهو تحت عين هذا الظالم ؛ فيجب الإفطار تقية ، وقد حدث هذا للإمام الصادق مع السفاح : أول ملوك بني العباس [1] .

القسم الثاني : التقية المستحبة : وهي ما كان تركها مُفْضي إلى الضرر تدريجياً [2] ، ويكون استعمالها موجبا للتحرز من الضرر ، ولو مستقبلا ؛ مثل المداراة ، والمعاشرة ، ومخالطة الناس بأخلاقهم ، ومخالفتهم بأعمالهم ، ولا يمكن الانتقال بعيداً عنهم ، ولا مقاومتهم [3] .

القسم الثالث : التقية المباحة : وهي ما كان فيها التحرز من الضرر مساوياً لعدم التحرز منه في نظر الشارع المقدس [4]؛ لكون المصلحة المترتبة على استخدام التقية ، أو تركها متساويين ، كما في إظهار كلمة الكفر ، إذا كان الإكراه عليه بالقتل ؛ فإنه إن قالها نجا من القتل ، وإن تركها كان إعلاء لكلمة الإسلام ، إلا إذا كان قدوة للمسلمين ؛ فعلى القدوة أن يوطن نفسه على القتل [5] .

القسم الرابع : التقية المكروهة : وهي ما كان تركها ، وتحمل الضرر أولى من فعله [6] ، مثل الإتيان بما هو مستحب عند المخالفين ، مع عدم خوف الضرر ، لا عاجلاً ، ولا آجلاً [7] .

القسم الخامس : التقية المحرمة : وهي ما ترتب على تركها مصلحة ، وعلى فعلها مفسدة جسيمة ، كما في سفك الدماء ، وقتل النفوس المحرمة ، وهتك والأعراض ؛ فلا تقية في القتل ، وإن قُتل ؛ لأن المسلمين تتكافأ دماؤهم ؛ ولا تقية في الإفتاء بتحليل حرام أو تحريم حلال ، وقد ورد بعض هذا عن أهل البيت ، ولكنهم كانوا يخشون على شيعتهم من الحكام الظلمة ، وقد بينوا الأحكام الصحيحة للمقربين منهم ؛ فمنها ما وصل إلينا ، ومنها ما لم يصل إلينا لعدم نقل المقربين .

---

(١) مركز الرسالة : التقية في الفكر الإسلامي ص ٩٤ بتصرف .

(٢) الشيخ مرتضى الأنصاري : التقية ص ٣٩.

(٣) مركز الرسالة : التقية في الفكر الإسلامي ص ٩٥.

(٤) الشيخ مرتضى الأنصاري : التقية ص ٣٩.

(٥) مركز الرسالة : التقية في الفكر الإسلامي ص ٩٥ - ٩٦.

(٦) الشيخ مرتضى الأنصاري : التقية ص ٣٩.

(٧) مركز الرسالة : التقية في الفكر الإسلامي ص ١٠٧ – ١٠٨ بتصرف .

وكذلك من التقية المحرمة : التقية في القضاء بخلاف ما أنزل الله في كتابه ؛ لأن الله حكم على من حكم بغير ما أنزل الله بأنه : تارة من الظالمين ، وتارة من الفاسقين ، وتارة من الكافرين .
ومن التقية المحرمة : التقية المؤدية إلى فساد الدين ، أو المجتمع كما لو كانت سبباً في هدم الإسلام ، أو النيل من مفاهيمه المقدسة ، أو محو بعض آثاره .
كما حكم بذلك الخميني حين قام بالثورة على شاه إيران ؛ فقد قال :" إن التقية تتعلق بالفروع ، لكن حينما تكون كرامة الإسلام في خطر ؛ فلا مجال للتقية والمدارة ، إن السكوت هذه الأيام تأييد لبطانة الجبار، ومساعدة لأعداء الإسلام .
وكذلك من التقية المحرمة : التقية من غير ضرورة ، ولا حاجة ملحة ، وفي شرب الخمر ، والتقية التي يتجاوز فيها المكره فيه إلى ما لم يكره فيه ؛ كمن أكره على أكل قطعة لحم محرم ؛ فأكل أكثر ، والتقية عند إمكان التخلص من الضرر[1] .

من آثار التقديس في عقيدة التقية الاعتقاد بجواز الصلاة خلف المخالف تقية :

تعتقد الشيعة الاثنا عشرية بعدم جواز الصلاة خلف المخالف إلا من باب التقية ؛ فيقول الإمام الرضا – عليه السلام – :" ولا تصل خلف أحد إلا خلف رجلين : من تثق به ، وتدينه بدينه وورعه ، وآخر من تتقي سيفه ، وسوطه ، وشره ، وبوائقه ، وشنعه ؛ فصل خلفه على سبيل التقية والمداراة ، وأذن لنفسك وأقم ، وأقرأ فيها ؛ لأنه غير مؤتمن به ، فإن فرغت قبله من القراءة ، أبق آية منها ؛ حتى تقرأ وقت ركوعه ، وإلا فسبح إلى أن يركع "[2] .
ويقول الطوسي :" ولا تصل خلف الناصب [3] ، ولا خلف من يتولى أمير المؤمنين ؛ إذا لم يتبرأ من عدوه ، إلا في حال التقية "[4] ؛ لأن التقية واسعة ، وليس شيء من التقية إلا وصاحبها مأجور عليها "[5] ؛ ولا إعادة عليه [6] ، وإن أعادها كانت قضاء لغيرها من الفرائض [7] .

---

(١) المصدر السابق ص ٩٦ – ١٠٧ باختصار .

(٢) علي بن بابويه : فقه الرضا ص ١٤٤-١٤٥. المجلسي : بحار الأنوار ج ٨٥ ص ١٠٦. الشيخ الأنصاري : التقية ص٥٢.

(٣) الناصب : هو من عادي أهل البيت . انظر القاضي ابن البراج : المهذب ، تحقيق : جعفر السبحاني ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ١٤٠٦هـ ج ١ص ١٢٩.

(٤) الشيخ الطوسي : النهاية ص ١١٢.

(٥) الكليني : الفروع من الكافي ج ٣ ص ٣٨٠. الشيخ الطوسي : الخلاف ج ١ص ٥٦٦.

(٦) المحقق الحلي : المعتبر ج ٢ ص ٤٤٥.

(٧) الشيخ الطوسي : تهذيب الأحكام ج ٣ ص ٥١.

بل قالوا : ببطلان من صلى وراء المخالف من غير تقية ، حتى أفتوا أن من" قال : آمين آخر الحمد وراء المخالف – لغير التقية – بطلت صلاته " [١].

ويستدلون بصلاة الإمام الحسين – عليه السلام – على رجل منافق ، وبدلاً من أن يدعوا الإمام الحسين – وحاشاه – له بالرحمة ؛ أخذ يلعنه ، ويقول :" اللهم العن فلاناً عبدك ، ألف لعنة مؤتلفة غير مختلفة ، اللهم اخز عبدك في عبادك ، وبلادك ، واصله حر نارك ، وأذقه أشد عذابك ؛ فإنه كان يتولى أعدائك ، ويعادي أولياءك ، ويبغض أهل بيت نبيك " [٢] .

مع أنهم يقولون : لا يجوز الصلاة " على الكافر بأقسامه حتى المرتد ، ومن حكم بكفره ، ممن انتحل الإسلام ، كالنواصب والخوارج " [٣] .

ووعدوا بالثواب على من صلى تقية وراء المخالف ؛ فعن الصادق – عليه السلام – :" من صلى معهم في الصف الأول ، كان كمن صلى خلف رسول الله – صلى الله عليه وآله –[٤].

ويقول الخميني :" ولا ريب أن الصلاة معه – ﷺ – صحيحة ذات فضيلة جمة ؛ فكذلك الصلاة معهم حال التقية " [٥]. وعن النبي– ﷺ –:"من صلى خلف المنافقين بتقية ، كان كمن صلى خلف الأئمة" [٦] .

<u>من آثار التقديس في عقيدة التقية اعتقاد أن الكذب يؤجر عليه العبد ، ولا كفارة و إثم عليه :</u>

قسم فقهاء الاثني عشرية الأيمان إلى وجهين : " أحدهما : أن يحلف الرجل على شيء لا يلزمه أن يفعله ، فيحلف أنه يفعل ذلك الشيء، أو يحلف على ما يلزمه أن يفعل ؛ فعليه الكفارة إذا لم يفعله ، والأخرى على ثلاثة أوجه ، فمنها : ما يؤجر الرجل عليه إذا حلف كاذباً ، ولا تلزمه الكفارة ، فهو أن يحلف الرجل في خلاص امرئ مسلم ، أو خلاص ماله ، ومنها : ما لا كفارة عليه فيها ، ولا أجر له ، فهو أن يحلف الرجل على شيء ، ثم يجد ما هو خير من اليمين ، فيترك اليمين ، ويرجع إلى الذي هو خير ، ومنها : ما لا كفارة عليه فيها ، والعقوبة فيها دخول النار ، فهو أن

---

(١) العلامة الحلي: قواعد الأحكام جـ ١ص ٢٧٢. المطهر الحلي : إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد ، تحقيق: السيد حسين الموسوي الكرماني ، الشيخ علي پناه الإشتهاردي ، الشيخ عبد الرحيم البروجردي ، ط المطبعة العلمية – قم ، ١٣٨٧ش جـ ١ص ١٠٧.

(٢) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٠ صـ ٤١٤. الكليني : فروع الكافي جـ ٣ صـ ١٨٩. الشهيد الأول : ذكري الشيعة جـ١صـ ٤٠٢.

(٣) السيد الخميني : تحرير الوسيلة جـ١صـ ٧٩. السيد الگلپايگاني : هداية العباد جـ ١ صـ ٧٧.

(٤) الشيخ الصدوق : الهداية صـ ٥٣. الكليني : الفروع من الكافي جـ ٣ صـ ٣٨٠.

(٥) السيد الخميني : الرسائل جـ ٢ صـ ١٩٨.

(٦) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ٦ صـ ٤٥٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٢ صـ ٤١٢.

يحلف الرجل على مال امرئ مسلم ، أو على حقه ظلما ، فهذه يمين غموس توجب النار ، ولا كفارة عليه في الدنيا" [١] .

جاء رجل لمحمد بن علي – عليهما السلام – وقال : إن أحد أتباعه سأله العامة : " من خير الناس بعد رسول الله – ﷺ –؟ فقال : أخير الناس بعد رسول الله – ﷺ – أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، فقال لمحمد بن علي : فهل عليَّ يا بن رسول الله حرجٌ ؟ وإنما أردت أخير أي : أهو خير ؟ استفهاماً ، لا إخباراً ، فقال محمد بن علي – عليهما السلام – : قد شكر الله لك بجوابك هذا لهم ، وكتب الله أجره ، وأثبته لك في الكتاب الحكيم ، وأوجب لك بكل حرف من حروف ألفاظك بجوابك هذا لهم ما تعجز عنه أماني المتمنين ، ولا تبلغه آمال الآملين " [٢] .

ويؤكد الصادق – عليه السلام – هذا المعنى فيقول :" واستعمال التقية في دار التقية واجب ، ولا حنث ، ولا كفارة على من حلف تقية ؛ يدفع بذلك ظلما عن نفسه " [٣] ، وفي رواية :" والله ما عبد الله بشيء أحب إليه من الخبء ، قيل : وما الخبء ؟ قال : التقية " [٤] .

<u>من آثار التقديس في عقيدة التقية حمل الفتاوى الموافقة للعامة على التقية ؛ فلا يجوز العمل بها :</u>

كانت ولا زالت التقية باب واسع للخروج من كل قول ، أو حكم ، أو فتوى تخالف المذهب الشيعي ، أو تتناقض مع أحد أصوله ؛ فكثيراً ما تجد أئمتهم يقولون : يحمل هذا على التقية ، كما قال الصدوق : " وقد عرفت منا مراراً أن الشهرة الفتوائية كانت بمرتبة من الأهمية عند الشيعة ، بحيث كانوا يطرحون لأجلها الأخبار المخالفة لها ، ويحملونها على التقية ، أو على محامل أخرى ؛ ووجه ذلك : أن اشتهار الفتوى بين أصحاب الأئمة وبطانتهم ، المطلعين على مذاقهم – عليهم السلام – مما يكشف كشفاً قطعياً عن مرادهم الجدي " [٥] .

بل وصل الأمر إلى المسائل المجمع عليها عندهم ؛ فيجوزن الفتوى بما يخالفها من باب التقية مثل : القول بجواز نكاح النساء في أدبارهن ، فيقولون :" جواز نكاح النساء في أدبارهن ، وهذه المسألة عليها إطباق الشيعة الإمامية ، ولا خلاف بين فقهائهم وعلمائهم في الفتوى بإباحة ذلك ،

---

(١) الشيخ الصدوق : المقنع ص ٤٠٧– ٤٠٨ بتصرف .

(٢) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٢ ص ٢٦٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٢ ص ٤٠٥.

(٣) الصدوق : الخصال ص ٦٠٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠ ص ٢٢٦.

(٤) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ ص ٢١٩. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٢ ص ٣٩٦.

(٥) الشيخ الصدوق : الهداية ص ٢١. الشيخ المنتظري : البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر ، ط نكين – قم ، نشر مكتبة آية الله العظمى المنتظري – قم ، ط٣ ، ١٤١٦هـ ص ٣٢٦.

وإنما يقل التظافر بينهم في الفتوى بإباحة هذه المسألة على سبيل التقية ، والخوف من الشناعة ، والحجة في إباحة هذا الوطء : إجماع الفرقة المحقة عليه ، وقد بينَّا إن إجماعهم حجة "[١].

بل ما هو أهون من ذلك ؛ قال الطوسي :" لا يجوز أن يستأنف لمسح الرأس ، والرجلين ماءاً جديداً عند أكثر أصحابنا ، وقد رويت رواية شاذة أنه : يستأنف ماءاً جديداً ، وهي محمولة على التقية "[٢] .

وفي مواضع كثيرة يقول علمائهم :" يمكن أن يكون ورد مورد التقية ؛ لأنه موافق لمذهب العامة "[٣] ، وكذا يقولون :" إن هذين الحديثين محمولان على التقية ؛ لأنهما خالفا إجماعنا " [٤]. أو يقولون :" الروايتان السابقتان محمولتان على حال التقية ، والخوف "[٥]. أو يقولون :" هذه أخبار مورد التقية ؛ لموافقتها لمذاهب العامة " [٦] ، وفي النهاية يجتمعون ويفتون : بعدم العمل بمذهب العامة ؛ فيقولون بعد ذكر فتاوى العامة :" ولسنا نعمل به ؛ وإجماع الفرقة المحقة على خلافه "[٧].

لكن من باب مساعدة الشيعة في فهم مراد الأئمة ننبههم على : " إن أئمتنا ينبهون على أشياء بالإشارات كما وقعت الإشارة منهم إلى إرادة التقية في الأخبار ، تنبيها على احتمال ذلك في كلامهم ، فإذا لم يبينوا ذلك بسبب ، ينبغي الحمل عليها ؛ لصدور ما ينافيه "[٨] .

في الحين الذي نجد كثير من الفتاوى يتفق عليها الخلفاء الأربعة مثل إجماعهم على حد الزاني فتجدهم يقولون في كتبهم " وبه قال أبو بكر، وعمر " [٩] ، وفي تغريب الزاني أجمعوا على جوازه

---

(١) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ٢ صـ ٦٠ بتصرف.

(٢) الشيخ الطوسي : الخلاف جـ ١صـ ٨٠ . الشهيد الأول : الدروس جـ ٢ صـ ٣٩٣.

(٣) العلامة الحلي : مختلف الشيعة جـ ١صـ ٣٢٨. الشهيد الأول : الدروس جـ ٢ صـ ٣٩٣.

(٤) العلامة الحلي : مختلف الشيعة جـ ١صـ ٢٩٧. الشيخ الإشتهاردي : فتاوى ابن الجنيد ، ط مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١، ١٤١٦هـ صـ ٢٩ .

(٥) العلامة الحلي : مختلف الشيعة جـ ٢صـ ١٦٤. المحقق الكركي : جامع المقاصد جـ ٢ شرح صـ ٢٦٩.

(٦) العلامة الحلي : مختلف الشيعة جـ ٢صـ ٢٥٣. الشيخ الطوسي : تهذيب الأحكام جـ ٣ صـ ١٣١.

(٧) العلامة الحلي : مختلف الشيعة جـ ٢صـ ١٥٤. المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٠ صـ ٢٤٢.

(٨) المحقق الأردبيلي : مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان ، تحقيق : الحاج آغا مجتبى العراقي ، الشيخ علي پناه الإشتهاردي ، الحاج آغا حسين اليزدي الأصفهاني ، نشر منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم ، دت جـ ٢ صـ ٢٥٦. الشيخ الطوسي : الخلاف جـ١صـ ٦٥٨. العلامة الحلي : تذكرة الفقهاء جـ١ صـ ١٧٢.

(٩) السيد الگلپايگاني : در المنضود ، ط أمير ، نشر دار القرآن الكريم – قم ، ط١ ، ١٤١٢هـ جـ ١ صـ ١٢٣. علي أصغر مرواريد : الينابيع الفقهية ، نشر مؤسسة فقه الشيعة – بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م جـ ٢٧ صـ ١١٤.

[1] ، وتجدهم يقولون : " فأقر رسول الله – صلى الله عليه وآله – ذلك ، وأقره أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ؛ فكان معاوية فأقر ذلك على حاله " [2] .

وغاية الجهل أن الشيعة يقولون : إذا اختلفت الإمامية على قولين : أحدهما يعرف قائله ، والآخر لا يعرف قائله ؛ كان القول الذي لا يعرف قائله هو القول الحق الذي يجب إتباعه ؛ لأن المنتظر المعصوم في تلك الطائفة ، فما الذي يجزم بأن المعصوم هو صاحب هذا القول ؟ ! [3] .

من آثار التقديس في عقيدة التقية الاعتقاد بجواز فعل ما يرضي المخالفين من باب التقية:

نظرا لظروف " التقية الشديدة التي عاشها الأئمة – عليهم السلام – مما جعلهم يضطرون في بعض الأحايين إلى اتخاذ مواقف قولية ، أو عملية مخالفة لآرائهم ، انسجاماً مع الوضع السائد ، وحفاظاً على وجود الشريعة ، ودعاتها "[4].

يقول شيخهم المفيد : " لا يجوز لأحد من أهل الإيمان أن يغسَّل مخالفاً للحق في أمر الولاية ، ولا يصلي عليه ، إلا أن تدعوه ضرورة إلى ذلك من جهة التقية ، فيغسله تغسيل أهل الخلاف ، ولا يترك معه جريدة ، وإذا صلى عليه لعنه في صلاته ، ولم يدع له فيها " [5] .

وأتساءل رغماً عني ، ما الضرورة التي تلجئ الشيعي أن يلعن المخالف ، وقد نهاهم الإمام علي – رضي الله عنه – حين قال : إني كرهت لكم أن تكونوا شتَّامين لعَّانين [6] .

حتى قالوا : بجواز ترك المسنون من باب التقية ، مثل الإجابة عن سؤال : " التختم في اليدين ، أم في اليمين وحدها ؟ . الجواب : " المسنون في الخاتم أن يكون في اليمين ، مع الاختيار ، وعدم التقية ، وإن أضاف إلى اليمين اليسار جاز، ولا يجوز الاقتصار على اليسار من غير تقية "[7] ، والقول أيضاً بأكل اللحم الحرام فقالوا : بجواز أكل ذبيحة المخالف في حال التقية [1].

---

(١) السيد الگلپايگاني : در المنضود جـ ١ صـ ٣٠٤. الشيخ نجم الدين الطبسي : النفي والتغريب ، ط مؤسسة الهادي ، نشر مجمع الفكر الإسلامي – قم ، ط١ ، ١٤١٦هـ صـ ١٦٩.

(٢) السيد موسى الحسيني المازندراني : العقد المنير ، ط المطبعة الإسلامية ، نشر مكتبة الصدوق – طهران ، ط٢ ، ١٣٨٢هـ صـ ٣٦. السيد حسين الرجا : دفاع من وحي الشريعة ، نشر مؤسسة الإمام – بيروت ، مؤسسة السيدة زينب ، ط١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م صـ ٣٩١.

(٣) عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية في رد دعوى الرافضة والقدرية لابن تيمية – رحمه الله – صـ ٣٩.

(٤) المحقق الأردبيلي : مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان جـ ١ صـ ١١.

(٥) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٨٥.

(٦) ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة جـ ١١صـ ٩٢ . المجلسي:بحار الأنوار جـ٣٢صـ ٣٩٩ . الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ١٢ صـ ٣٠٦.

(٧) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ١ صـ ٢٩٢ بتصرف.

حتى وصل الأمر إلى جواز التقية في المجاملات ؛ عن الصادق – عليه السلام – :" عليكم بمجاملة أهل الباطل "[2] . حتى لقد جوز الإمام الرضا – عليه السلام – : الوضوء على مذهب العامة ؛ إذا حضره عامي من باب التقية [3] ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – قال :" صلوا في مساجدهم ، فاغشوا جنائزهم ، وعودوا مرضاهم ، وقولوا لقومكم ما يعرفون ، ولا تقولوا لهم ما لا يعرفون " [4].

من آثار التقديس في عقيدة التقية الاعتقاد بجواز الحكم بغير ما أنزل الله من باب التقية :

قال المفيد : " وليس لأحد من فقهاء الحق ، ولا من نصبه سلطان الجور منهم للحكم ، أن يقضي في الناس بخلاف الحكم الثابت عن آل محمد– عليهم السلام– إلا أن يضطر إلى ذلك للتقية ، والخوف على الدين والنفس ؛ لأن التقية إنما تصدق فيما إذا كان حكم الأئمة موافقا للعامة " [5].

وتمادوا فقالوا بجواز الحكم بقول يضاد أصل المذهب ، ولكن يجب حمله على معنى يوافق أصل المذهب في نفس المفتي [6] .

وقد سئل علمائهم عن ميراث الكفار بعضهم من بعض فقال : إنه يكون ميراثه لورثته الكفار. وذلك محمول على ضرب من التقية ؛ لأنه مذهب العامة ، مع أن مذهبهم لا يُجَوِّز توريث الكفار بعضهم من بعض" [7] ؛ ولذلك يتبرءون من كل فتاوى المخالفين ؛ فيقولون :" فإن وجد في بعض كتبنا وتصنيف أصحابنا شيء من ذلك فإنه محمول على التقية "[8] .

فهي تعد كقاعدة أصولية عندهم في مذهبهم تتكرر في كل موطن كهذا ، فمن قرأ فقه الشيعة عليه أن يقيس على ذلك كل الحالات المتشابهة ، والتي قد توافق العامة في فتواهم ، أو تسخط الرأي العام الذي يعيشون فيه عليهم ، فيلقي بها خلف ظهره ، والمقياس فقهاؤهم ! .

وضابط ذلك عندهم : يجوز أن نأخذ في أحكام من خالفنا ، كما أخذوا منا في أحكامهم على سبيل التقية والمداراة " ؛ فعن علي بن الحسين – عليه السلام – إذا كنتم في أئمة الجور فاقضوا

---

(١) الشيخ الطوسي : النهاية صـ ٥٨٢.

(٢) الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ صـ ٢.

(٣) مركز الرسالة : التقية في الفكر الإسلامي صـ ٨٥.

(٤) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٢ صـ ٢٧٢.

(٥) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٨١١ بتصرف .

(٦) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ١ صـ ٢٩٠–٢٩١ بتصرف.

(٧) الشيخ الطوسي : النهاية صـ ٦٦٧.

(٨) ابن إدريس الحلي : السرائر ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط٢ ، ١٤١٠هـ جـ ١صـ ١٨٠.

إلى أحكامهم ، ولا تشهروا أنفسكم ؛ فتقتلوا ، وإن تعاملتم بأحكامنا كان خيراً لكم " [١] ، ويقول الصادق – عليه السلام –:" ما سمعت مني يشبه قول الناس ؛ فيه التقية ، وما سمعت مني لا يشبه قول الناس ؛ فلا تقية فيه"[٢].

ولكن المشكلة وجود التناقض في المذهب :" مع كثرة اختلاف أخبارنا ؛ الذي أكثره بسبب التقية "[٣].

ومن ذلك أيضا ما جاء عن الإمام علي – عليه السلام – حين سُئل عن لبس السواد ، فقال:" لا تلبسوا السواد ؛ فإنه من لباس فرعون "[٤] ، وعنه :" إنه من لباس أهل النار "[٥] ، وقد استثنى منه الخف ، والعمامة ، والكساء ، والاجتناب أحوط ، ويحمل ما ورد في الرواية من فعلهم – عليهم السلام – على التقية ، والضرورة ، أو للرعب في الحرب [٦].

وأتساءل من هو المرعوب هنا ؟ هل الإمام الذي هو أشجع الناس ؟ المعصوم ؟ الذي لا يموت إلا باختياره ؟ ويعلم الغيب ؟ وما في الضمائر ؟ كما نقل أن أبا عبد الله – عليه السلام – حين أتاه رسول أحد خلفاء بني العباس لبس ممطرا – " وهو ما يلبس في المطر يتوقى به أحد وجهيه أسود والأخر أبيض فلبسه – [٧].

ولكننا نقول : التقية على خلاف الأصل ؛ فالأصل الحكم بما أنزل الله تعالى فقد نهى الله " الحكام بل المكلف ، أن يخشوا غير الله في حكوماتهم ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ويداهنوا فيها ؛ فيترك ذلك ؛ خشية ظلمهم [٨].

من آثار التقديس في عقيدة التقية : تقديس الدماء المحرمة :

يقول المفيد :"ومهما اضطر إليه في التقية فجائز له ، إلا سفك دماء أهل الإيمان ، فإنه لا يجوز له على حال اضطرار، ولا الاختيار، ولا على وجه من الوجوه ، ولا سبب من الأسباب " [٩].

---

(١) يحيى بن سعيد الحلي : الجامع للشرايع ، تحقيق: الشيخ جعفر السبحاني ، ط المطبعة العلمية – قم ، ١٤٠٥هـ صـ ٥٣٦.

(٢) العلامة الحلي : مختلف الشيعة جـ ٧صـ ٣٩٥.

(٣) الشهيد الثاني : الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، ط أمير – قم ، ط١ ، ١٤١٠هـ جـ ٥ صـ ٢٨٤.

(٤) الشيخ الصدوق : المقنع صـ ٥٤٢. المحقق الأردبيلي : مجمع الفائدة جـ ٢ شرح صـ ٨٧.

(٥) الشيخ الطوسي : الخلاف جـ ١ صـ ٥٠٦.المحقق الأردبيلي : مجمع الفائدة جـ ٢ شرح صـ ٨٧.

(٦) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٢ صـ ١١٦.المحقق النراقي : مستند الشيعة جـ ٤ صـ ٣٧٤.

(٧) المحقق الأردبيلي : مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان جـ ٦ شرح صـ ٣٥٤ .

(٨) المحقق الأردبيلي : زبدة البيان في أحكام القرآن صـ ٦٨٥.

(٩) الشيخ المفيد : ذبائح أهل الكتاب ، تحقيق : الشيخ مهدي نجف ، ط دار المفيد – بيروت ، ط ٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م صـ ١١.

ويوافقه الشيخ الطوسي في ذلك في معرض كلامه عن مسألة هي : ما الحكم إذا ولى إمام جائر واحداً من الشيعة ، هل يجوز له طاعته في حكمه الجائر ؛ فأجاب : " يجوز له حينئذ أن يفعل في حال التقية ما لم يبلغ قتل النفوس ، فأما قتل النفوس ؛ فلا يجوز فيه التقية على أي حال [(١)].

وفي موضع آخر يقول :" والحال وصفناه في التقية ، جاز له أن يتقي في جميع الأحكام والأمور ، ما لم يبلغ ذلك إلى سفك الدماء المحرمة ، فإنه لا تقية له في سفكها على حال [(٢)].

ومع أن الفقيه الشيعي يجب عليه ألا يتعرض لإقامة الحدود ، ولا الحكم بين الناس ؛ إلا إذا كان عارفاً بالأحكام ، ولكن " ظاهر كلام الأصحاب ، وصريح بعضهم : أنه يجوز له إقامة الحدود على أهلها تقية للجائر، كما يجوز التقية في غير الحدود كالفتوى ، والعبادة ، وأوجبوا عليه أن ينوي النيابة عن الإمام الحق لا الجائر ، فقد قيل : يجوز للفقهاء العارفين إقامة الحدود " [(٣)].

وأتساءل : إذا حكم الإمام الجائر بإعدام برئ ؛ فحكم القاضي الشيعي بذلك ؛ أليس يشتركان في حوبه وأثمه ، وكذلك لو برأ الحاكم الجائر قاتلاً ، أفلا يشترك في ضياع حق المقتول ؟ وهنا يتناقض الحكم فإنه في الحالة الأولى : وصل إلى سفك الدماء المحرمة ، وفي الثانية : وصل إلى ضياع حق من سُفِكَ دمه المحرم ؛ فضاع دمه ؟ وفي كلا الحالتين وصل إلى سفك الدماء !.

قال الصادق – عليه السلام –: " التقية في كل شيء ، حتى يبلغ الدم فإذا بلغ الدم فلا تقية " [(٤)].

ومع كل هذه النصوص تجد ما يندى له الجبين بين السنة والشيعة : في العراق ، وسوريا ، ولبنان ، والبحرين ، وغيرها من البلاد ؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل .

من أثار التقديس في عقيدة التقية : الإساءة إلى بيت النبي – ﷺ – :

وحول سؤال " هل زوج عليٌّ ابنته لفلان – يقصد عمر بن الخطاب –؟" .

الجواب : " ما زوج أمير المؤمنين – عليه السلام – ابنته بمن أُشير إليه ، إلا على سبيل التقية والإكراه ، دون الإيثار ، والاختيار ، وقد روي في ذلك ما هو مشهور ، فالتقية تبيح ما لولاها لم يكن مباحا . فأما النبي – صلى الله عليه وآله – فإنما زوج من أشير إليه في حال كان فيها مظهراً للإيمان ، وإنما تجدد بعد ذلك ما تجدد [(٥)].

---

(١) الشيخ الطوسي : النهاية صـ ٣٠١.

(٢) المصدر السابق صـ ٣٥٧.

(٣) الشهيد الثاني : مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام جـ ٣ صـ ١٠٧.

(٤) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٢ صـ ٢٧٤.

(٥) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ١ صـ ٢٩٠ بتصرف.

ولكن ألم يكن الإمام علي يعلم أن عمر سيرتد ؛ فيقول عند هذا المأزق : بأن الإمام يعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة فيتوجه لنفسه بسؤال آخر :" فإن قيل : أليس عند أكثركم أن من مات على كفره ؛ فلا يجوز أن يكون قد سبق منه إيمان ؟ قلنا : هكذا نقول [١] ، ويجوز أن يكون النبي – صلى الله عليه وآله – أنكح من وقعت الإشارة إليه ، قبل أن يُعلمه الله تعالى بما يكون في المستقبل ؛ فإنا غير عالمين بتاريخ هذا الإعلام ، وتقدمه وتأخره" [٢]. فأين العلم الشامل ؟ .

وهذا الأمر الذي يأباه صاحب شرف : أن تغصب ابنته وبيده الدنيا والآخرة يعارضه أن الإمام علي – عليه السلام – قد أمر جنية أن تتصور بصورة ابنته ؛ لتتزوج من رجل لا يريده ، ومع ذلك يعتذرون عن الإمام علي بأن عمر– رضي الله عنه – قال للعباس بن عبد المطلب – عليه السلام – :" خطبت إلى ابن أخيك علي ابنته أم كلثوم ، فدافعني ، و مانعني ، وأنف من مصاهرتي ، والله لأغورن زمزم ، ولأهدمن السقاية ، ولا تركت لكم يا بني هاشم منقبة إلا وهدمتها ، ولأقيمن عليه شهوداً يشهدون عليه بالسرقة ، وأحكم بقطعه "[٣].

فقال معتذرا عن علي – عليه السلام –:" وهذا إكراه يحل له كل محرم ، ويزول معه كل اختيار، ويشهد بصحته : ما روي عن أبي عبد الله – عليه السلام – من قوله ، وقد سئل عن هذا العقد ؟ فقال عليه السلام : ذلك فرج غصبنا عليه [٤].

وما العجب من أن تبيح التقية ، والإكراه ، والخوف من الفتنة في الدين ، ووقوع الخلاف بين المسلمين لمن هو الإمام بعد الرسول – صلى الله عليه وآله – والمستخلف على أمته أن يمسك عن هذا الأمر ، ويخرج نفسه منه ، ويظهر البيعة لغيره ، ويتصرف بين أمره ونهيه ، وينفذ عليه أحكام ، ويدخل في الشورى التي هي بدعة ، وضلال ، وظلم ، ومحال ، ومن أن يستبيح لأجل هذه الأمور المذكورة على من لو ملك اختياره لما عقد عليه .

وإنما يتعجب من ذلك من لا يفكر في الأمور ، ولا يتأملها ، ولا يتدبرها ، وهو دليل على جواز العقد ، واقتضى الحال له مثل أمير المؤمنين – عليه السلام – ؛ لأنه لا فعل قبيحاً ، ولا يرتكب مأثماً ، وقد تبيح الضرورة أكل الميتة ، وشرب الخمر ؛ فما العجب مما هو دونها ؟ [٥] .

---

(١) يعني بذلك كفر عمر – رضي الله عنه –.

(٢) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ١ صـ ٢٩١ بتصرف.

(٣) القاضي ابن البراج : جواهر الفقه صـ ٢٦٢.

(٤) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٤ صـ ٤٤٣. علي العاملي : الصراط المستقيم جـ ٣ صـ ١٣٠.

(٥) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ٣ صـ ١٤٨–١٥٠ بتصرف.

ومن أمثلة الاتهام لأهل البيت : ما اتهموا به الحسن – عليه السلام – حيث قالوا إن :" الحسن – عليه السلام – قد قبل جوائز معاوية ، ومتابعته ، والتأسي به ، إما واجبة ، وإما مندوبة ، وتركها ، إما حرام ، أو مكروه ، كما تحقق في الأصول . وقيل إن أخذ الحسن جوائز معاوية كان استيفاء لبعض حقوقه ؛ لأن الدنيا وما فيها لهم ؛ فكيف بما في يد ذلك الطاغي الباغي ، مع ما في باب التقية ، والضرورة المفتوح له – عليه السلام- في قبول تلك الجوائز ؛ لأنه كان قد صالح ظاهراً مع ذلك الملحد ؛ تقية لشيعته ، وحقنا لدم زمرة تبعته ، فلو لم يقبل الجوائز منه ؛ لتخيل ذلك الشقي أنه لم يقر على عهده ، وصلحه ، ولعله يخطر بباله أنه يريد الخروج عليه ثانياً [١] .

<u>من أثار التقديس في عقيدة التقية : إبطال صلاة الجمعة والجماعات :</u> قال الطوسي :" ولا بأس أن يجمع [٢] المؤمنون في زمان التقية ؛ بحيث لا ضرر عليهم فيصلون جمعة بخطبتين ، فإن لم يتمكنوا من الخطبة ؛ صلوا جماعة ظهراً أربع ركعات "[٣].

وعن رسول الله – ﷺ –:" أربع للولاة : الفيءُ ، والحدودُ ، والصدقاتُ ، والجمعةُ " [٤] ، وفي حديث آخر :" الجمعة ، والحكومة لإمام المسلمين "[٥] ، وعن أمير المؤمنين – عليه السلام – :" لا جمعة إلا في مصر يقام فيه الحد " [٦] . وعنهم – عليهم السلام – :" الجمعة لنا ، والجماعة لشيعتنا " [٧].

وما دامت الجمعة للأئمة ؛ فلا تقام إلا بعد ظهور القائم ؛ ولذلك أباح بعض شيوخ الشيعة ترك الشيعة للجمعات ، فقال :" إن لم يحضر إمام ؛ سقط فرض الاجتماع "[٨].

---

(١) الفاضل القطيفي : السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤١٣هـ ص ١٠-١١ بتصرف .

(٢) يقول الشيخ محمد علي الأنصاري : أول من قال : بحرمة إقامة الجمعة في زمن الغيبة : الشيخ أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز الديلمي ، الملقب بسلار أو بسالار ، المتوفى ٤٤٨ هـ ، أو ٤٦٣هـ . انظر الشيخ محمد علي الأنصاري : الموسوعة الفقهية الميسرة ، ط باقري ، نشر مجمع الفكر الإسلامي – قم ، ط١، ١٤١٥هـ جـ ١ص ٥٨٣.

(٣) الشيخ الطوسي : المبسوط جـ ١ص ١٥١.

(٤) السيد علي الطباطبائي : رياض المسائل جـ ٤ ص ٣٣.

(٥) السيد محمد جواد العاملي : مفتاح الكرامة جـ ٨ شرح ص ٢٧٧. المحقق النراقي : مستند الشيعة جـ ٦ ص ٣٠.

(٦) السيد محمد جواد العاملي : مفتاح الكرامة جـ ٨ شرح ص ٢٢٨.

(٧) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ١١ ص ١٥٨.

(٨) الشيخ المفيد : المقنعة ص ١٦٣.

ولذلك فإن الشيعة في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية : يعطلون الجمعة ، ولا يقيمون الجماعة في حسينياتهم [١].

من آثار التقديس في عقيدة التقية : جواز نقل الميت بعد دفنه :

يقول المحقق الحلي :" المطلع على سيرة القدماء يعلم أنهم من باب التقية من العامة كانوا يدفنون الميت ببلد موته ؛ ثم ينقلون جنازته خفية إلى مشهد من المشاهد [٢].

وقد دفنوا المفيد في داره ببغداد ، ثم حمل بعد سنين إلى الكاظمية [٣] ، ودفن تحت رجل الجواد – عليه السلام – ودفنوا كثير من السادة بالكاظمية ، ثم نقلوهم خفية إلى كربلاء ، ودفنوهم في رواق سيد الشهداء – عليه السلام – "[٤].

أما حكم نقل الأموات عند أهل السنة فلهم فيه أقوال : فيحرم عند الشافعية نقل الميت من بلد إلى بلد إلا أن يكون بقرب مكة ، أو المدينة ، أو بيت المقدس ، فإنه يجوز النقل إلى إحدى هذه البلاد لشرفها ، وفضلها ، ولو أوصى بنقله إلى غير هذه الأماكن الفاضلة ؛ لا تنفذ وصيته لما في ذلك من تأخير دفنه ، وتعرضه للتغير ، ويحرم كذلك نقله من القبر إلا لغرض صحيح ، كأن دفن من غير غسل ، أو إلى غير القبلة ، أو لحق القبر سيل أو ندوة [٥] .

وعند المالكية : يجوز نقله ، قبل الدفن وبعده لمصلحة ، كأن يخاف عليه أن يغرقه البحر ، أو يأكله السبع ، أو لزيارة أهله له ، أو لدفنه بينهم ، أو رجاء بركته للمكان المنقول إليه ونحو ذلك [٦].

وعند الأحناف : يكره النقل ، ويستحب أن يدفن كلٌ في مقبرة البلد التي مات بها، ولا بأس بنقله قبل الدفن نحو ميل أو ميلين ؛ لأن المسافة إلى المقابر قد تبلغ هذا المقدار، ويحرم النقل بعد

---

(١) محمد عبد الرحمن عوض : الشيعة وجذور الكراهية ص ٢٧.

(٢) المحقق الحلي: المعتبر جـ ١ص ٨.

(٣) الكاظمية : مدينة عراقية على يمين دجلة شمال بغداد بها مدفن الكاظمين موسى ومحمد الجواد . انظر مجلة «الزهور» المصرية ، العدد : ١١ مقال عن الشيخ : صالح التميمي ، نشر مطبعة المعارف – الفجالة – مصر ، صدرت من ١٩١٠ – ١٩١٣م جـ ١ ص ٥٢٠.

(٤) العلامة الحلي: قواعد الأحكام جـ ١ص ٣٣.

(٥) الإمام النووي : المجموع ، نشر دار الفكر – بيروت ، دت جـ ٥ ص ٣٠٣. شهاب الدين القليوبي ، الشيخ عميرة : حاشيتا قليوبي وعميرة على شرح النووي لمنهاج الطالبين ، طبع قطاع المعاهد الأزهرية ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م جـ ١ ص ٣٥١– ٣٥٢ .

(٦) الإمام الشوكاني : نيل الأوطار جـ ٤ ص ٥٠٥.

الدفن إلا لعذر ، ويوافقه هيئة كبار العلماء بالسعودية [١] ؛ ومِمَّنْ كَرِهَ ذَلِكَ عَائِشَةُ قَالَتْ : " لَوْ حَضَرْتُ أَخِي مَا دُفِنَ إِلَّا حَيْثُ مَاتَ "، وَكَانَ مَاتَ بِالْحُبْشِيِّ فَدُفِنَ بِأَعْلَى مَكَّةَ [٢] .

وقالت الحنابلة : يستحب دفن الشهيد حيث قتل ، فأما غيره : فلا ينقل الميت إلا لغرض صحيح [٣].

من آثار التقديس في عقيدة التقية القول بجواز كتمان العلم في زمن أئمة الجور :

يعترف بذلك أبو عبد الله – عليه السلام – فيقول :" كان أبي – عليه السلام – يفتي في زمن بني أمية عمَّا قتله البازي[٤] ، والصقر فهو حلال ، وكان يتقيهم ، وأنا لا أتقيهم ، وهو حرامٌ ما قتل " [٥].

ومن درس حال آل البيت – عليهم السلام– يعرف أنه :" لا فرق بين غيبة الإمام – عليه السلام – وحضوره في زمان التقية ؛ لاستوائهما في كونه موجوداً ، ممنوعاً من التصرف ، والأخبار ، وكلام الأصحاب : يومئ إلى ذلك . وأنهم أباحوا لشيعتهم التقية في حياتهم [٦].

وعند أهل السنة يحرم كتمان العلم لقوله – ﷻ –: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ " [٧] ، وقوله – ﷻ – : " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي

---

(١) هيئة كبار العلماء : البحوث العلمية ؛ نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء – الرياض ، ١٤٢٢هـ جـ ٥ صـ ٢٤٨.

(٢) أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري : الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف ، تحقيق : أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف ، نشر دار طيبة – الرياض – السعودية ، ط١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م جـ ٥ صـ ٤٦٤.

(٣) السيد سابق : فقه السنة جـ ١ صـ ٤٩٤ – ٤٩٥.

(٤) البازي : نوع من الصقور ، يمكن تدريبه على الصيد ، له مخالب ، وقد يطلق عليه : الباز ، والزُّهْدَمُ فرخ البازي ، وقيل : الغطريف ، وصوته الصَّرْصرة ، ومن طبعه اللؤم . انظر نشوان الحميرى: شمس العلوم جـ ٣ صـ ١٨٨٣. د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٢صـ ١٢٨٨. ولنفس المؤلف : معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي نشر : عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م جـ ١ صـ ١٣٧.

٥) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٣٦ صـ ١٠. الكليني : الفروع من الكافي جـ ٦ صـ ٢٠٨.

(٦) المحقق الكركي : الخراجيات صـ ٦٠.

(٧) سورة البقرة : آية رقم ١٥٩.

الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ "[1] ، وقوله – ﷺ – :" من سئل عن علم ، ثم كتمه ؛ ألجم يوم القيامة بلجام من نار "[2] .

من أهم آثار التقديس في عقيدة التقية : أن آل البيت أول من يذوق مرها – فداهم نفسي –:

حذرت الأئمة من مشاكلة أعدائهم في كل شيء ، ومنها التقية ، حتى لا يتساهلوا في نصرتهم ؛ فيكونوا من أعداء الأئمة ؛ فعن جعفر عن أبيه عن آبائه – عليهم السلام – قال :" أوحى الله إلى نبي من الأنبياء : قل لقومك لا يلبسوا لباس أعدائي ، ولا يطعموا مطاعم أعدائي ، ولا يسلكوا مسالك أعدائي ، فيكونون أعدائي كما هم أعدائي "[3] .

ويقول أبو عبد الله – عليه السلام – :" إنما جعلت التقية ليحقن بها الدم ؛ فإذا بلغت التقية الدم فلا تقية [4] ، وأيم الله لو دعيتم لتنصرونا لقلتم : لا نفعل ؛ إنما نتقي ، ولكانت التقية أحب إليكم من آباءكم ، وأمهاتكم ، ولو قد قام القائم – عليه السلام – ما احتاج إلى مسائلتكم عن ذلك ، ولأقام في كثير منكم من أهل النفاق حد الله " [5] .

ولذلك فإنهم استباحوا الكذب عليهم بدعوى التقية ، حتى ولو خالف العقل الصريح ، فهذا أبو عبد الله يأتيه سائل فيقول :" جعلت فداك يأتينا الرجل من قبلكم يعرف بالكذب ؛ فيحدث بالحديث فنستبشعه ؟ فقال أبو عبد الله – عليه السلام – : يقول لك : إني قلت لليل : إنه نهار ، أو للنهار: إنه ليل ، قال : لا ، قال : فإن قال لك هذا أنِّي قلته ؛ فلا تكذب به ؛ فإنك إنّما تكذبني "
.

حتى وإن كان الناقل مبتدعاً ؛ فعن جعفر الصادق وأبي عبد الله – عليهما السلام – :" لا تكذب بحديث أتاكم به مرجئي ، أو قدري ، ولا خارجي نسبة إلينا ؛ فإنكم لا تدرون لعله شيء من الحق ؛ فتكذبون الله – عز وجل – فوق عرشه" [6].

وروي عن رسول الله – ﷺ – :" إنما الهالك أن يحدث أحدكم بشيء منه لا يحتمله ؛ فيقول : والله ما كان هذا ، والله ما كان هذا ، والإنكار هو الكفر " [7].

---

(١) سورة البقرة : آية رقم ١٧٤ – ١٧٦.

(٢) حديث حسن صحيح . الإمام الترمذي : سنن الترمذي جـ ٥ صـ ٢٩. أبو داود : السنن جـ ٣ صـ ٣٢١.

(٣) الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ١صـ ٢٦. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١٥ صـ ١٤٦.

(٤) المحقق السبزواري : كفاية الأحكام جـ ١ صـ ٤١٢. المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٨ صـ ١٣٥.

(٥) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ٢١ صـ ٣٩٢. الشيخ الطوسي : تهذيب الأحكام جـ ٦ صـ ١٧٢.

(٦) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٧٦– ٧٧ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢ صـ ٢١٢.

(٧) الكليني : أصول الكافي جـ١ صـ ٤٠١. الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة جـ ١ صـ ٦١٦.

كيف ذلك وأمير المؤمنين – عليه السلام – يقول :" إن أمرنا صعب مستصعب : لا يحتمله إلا عبد امتحن الله قلبه للإيمان ، ولا تعي حديثنا إلا صدور أمينة ، وأحلام رزينة " (١).

فكيف يتحمله المبتدعة المذكورون في الحديث السابق ، ونصدقهم وهم غير مؤتمنين ؟ .

<u>من آثار التقديس في عقيدة التقية وقوعهم في فخ التناقض:</u>

من الغريب العجيب أن تجد من يبوب : باب وجوب العمل بالأحاديث الثابتة عنهم – عليهم السلام – ، وإن كانت تحتمل التقية مع عدم المعارض (٢). كيف وقد أُمروا بمخالفة العامة ؟ .

ثم يروون عن الإمام الصادق – عليه السلام – أنه قال عند موته لولده جعفر – عليه السلام – :" يا جعفر قف من مالي كذا وكذا لنوادب يندبنني عشر سنين بمنى أيام منى "(٣) ، والمراد بذلك : تنبيه الناس على فضائله وإظهارها ؛ ليقتدي بها ، ويعلم ما كان عليه أهل هذا البيت ؛ ليقتفى آثارهم ، لزوال التقية بعد الموت (٤).

ويعني ذلك أن النياحة على الميت من سنة أهل البيت ، وإنما كانوا يفتون بخلاف ذلك تقية . ويخالفون في ذلك سنة جدهم – ﷺ – حين قال :" ليس منَّا من لطم الخدود ، شق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية "(٥) ، وقوله – ﷺ – :" النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا ، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ" (٦) ؛ ولأن العامة يفتون بحرمة النياحة ؛ فيجب عشرة العامة بالتقية (٧).

بل " لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – النَّائِحَةَ وَالْمُسْتَمِعَةَ " (٨) .

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لا يبوح كل إمام قبل موته بأسماء أعداءه ، والفتاوى التي قالها على وجه التقية ؛ حتى لا يعمل بها أتباعه ؟

<u>من آثار التقديس في عقيدة التقية : تقديس أقوال شراح فتاوى آل البيت – عليهم السلام – :</u>

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ١٣ صـ ١٠١. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢ صـ ٢١٢.

(٢) الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة جـ ١ صـ ٦١٦.

(٣) الكليني : الكافي جـ٥ صـ ١١٧.السيد محمد جواد العاملي : مفتاح الكرامة جـ ١٢ شرح صـ ١٨٣.

(٤) الشهيد الأول : ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة جـ ٢صـ ٥٩. الشهيد الثاني : مسكن الفؤاد صـ ١٠٤.

(٥) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ١ صـ ٩٩. ابن ماجة : سنن بن ماجة جـ ١ صـ ٥٠٤.

(٦) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٢ صـ ٦٤٤ . ابن ماجة : سنن بن ماجة جـ ١ صـ ٥٠٤.

(٧) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١١ صـ ٤٧٠ . الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٢صـ ٢٥٩.

(٨) حديث ضعيف . أبو داود : سنن أبي داود جـ ٣ صـ ١٩٣.

ومن أهم آثار التقية : وجوب الرجوع في معظم الفتاوى المنسوبة لأهل البيت – عليهم السلام – إلى أقوال علماء المذهب ؛ حتى يستطيعوا أن يوجهوا الروايات ، ويفرقوا بين ما قيل لأجل العمل به عند الشيعة ، وما قيل لأجل التقية والضرورة .

وبذلك يبقى العلم محجوراً على أقول علماء الشيعة الذين يحكمون على الروايات ؛ والتي تعد عندهم معصومة لا يجوز العمل بخلافها ، ولكن حينما يقول الشارح أنه من باب التقية ، أو السهو ، أو النسيان ، أو الضرورة ؛ أوقف العمل بقول الإمام المعصوم ؛ بناء على قول عالم ليس بمعصوم ؛ قال بخلاف ظاهر قول الإمام ، فوا عجباً على عقول تسلم لعقولٍ مساوية لها في عدم العصمة ! .

<u>من آثار التقديس في عقيدة التقية القول بأن جميع البلاد الإسلامية لا تظهر شعائر الإسلام:</u>

في ثنايا الحديث عن جواز الهجرة من البلاد التي لا تُظهر شعائر الإسلام ؛ يتحدثون عن بلاد التقية فيقولون :" ويعلم أن من لا يضعف عن إظهار شعائر الإسلام ، أو لا يقدر على المهاجرة لا يجب عليه ، وهل يجب الخروج من البلاد التي يعجز عن إظهار شعائر الإيمان فيها ؟ فنقل عن بعض شيوخنا كذلك ، وهو حسن ، لكن الظاهر أن هذا يكون في وجود القائم – عليه السلام – وترتفع التقية بالكلية ، أما مع غيبته ، وبقاء التقية ؛ فهذا الحكم غير ظاهر ، لأن جميع البلاد لا تظهر فيها شعائر الإسلام ، ولا يكون إنفاذها إلا بالمساترة ، وإن تفاوتت في ذلك" [1].

ويقيم في بلادهم من غير إظهار شعائر الإسلام ، ويظهر خلافها على وجهها ، بشرط عدم وجود مندوحة للترك ، إلا إذا آل الأمر إلى عدم إظهار الإسلام ، ولزوم إظهار الكفر ، والموافقة معهم في ذم الشرع ، ومساعدتهم ؛ يجب الفرار منهم [2].

والحاصل : أنه إذا علم أن الكون في بلد حرام لعدم إمكان فعل وقول ما يجب عليه مطلقاً ، وليس بمعذور فيه ، وليس مما فيه التقية ، وليس له بدل ، بحيث لا يعاقب بالكون ؛ فيجب الفرار والهجرة إلى محل يتمكن من ذلك ، ولكن إثبات ذلك مشكل ؛ لأن كل واجب مشروط بالإمكان ، وعدم المانع والضرر ؛ فمع عدم الإمكان ووجودهما لا يجب ذلك الأمر بل يكون حراما [3].

ووجوب المهاجرة من بلاد الشرك ، وبلاد الخلاف إنما هو بشرطين : القدرة عليها ، وعدم إظهار شعائر الإيمان ؛ بحيث يلزم ترك الواجبات المقررة في الدين ، والعمدة في الإيمان بأن يكون مثلا

---

(١) المحقق الكركي : جامع المقاصد جـ ٣ صـ ٣٧٤.

(٢) المحقق الأردبيلي : زبدة البيان في أحكام القرآن صـ ٣١٧.

(٣) المصدر السابق صـ ٣١٥-٣١٦ بتصرف.

شخص واحد ببلد أهله مخالف كلها مغلوباً ، بحيث لو ظهر حاله لا يسلم من القتل أو الرد إلى دينهم كما كان في بلاد الشرك ، لا مجرد التقية في بلدة أهلها مؤمنون إلا أن الحاكم مخالف [١] ، ومع ذلك يفعل شعائر الإسلام إلا إنه لا يظهر عنده ، فلا يترك الشعائر ، نعم : قد يتقي في بعض الفروع المجوز فيه التقية . ولعل ورود التقية عموماً وخصوصاً ، والترغيب والتحريض بأنها دينهم – عليهم السلام – حتى ورد أنها المعنية بقوله تعالى :" إن أكرمكم عند الله أتقاكم "[٢] ، وكونها شايعة في هذه الطائفة من الأول إلى الآن بحيث لا ينكر ولا ينقل عن أحدهم المهاجرة من بلاد المخالف ، ولا الأمر بها بل نقل المخالطة معهم ، والصلاة معهم ، وفي مساجدهم ، وحضور جنائزهم ، وعيادة مرضاهم ، وعدم ذلك في بلد الشرك ، وعدم ذلك من واحد من الشيعة مع ابتلائهم دائما بهذا الأمر ، بل الظاهر أن ذلك من علامة حقيتهم ، ولحصول كثرة ثوابهم بكثرة مشقتهم حتى يظهر الله بإمامهم ، وهذا يؤذن بالفرق بين المشرك والمخالف ، وعدم اتحاد الحكم فيهما ، مثل عدم نجاسة المخالف ؛ ولهذا قيل : بغسلهم ، وتكفينهم ، ودفنهم في مقابر المسلمين ، والصلاة عليهم بخلاف المشركين [٣].

<u>من آثار التقديس في عقيدة التقية : اعتقاد جواز إظهار الكفر في بلاد التقية :</u>

أدى القول بالتقية إلى القول بجواز فعل أفعال الشرك في بلاد الكفر من باب التقية ، ويستدلون على ذلك بقول الله تعالى :" إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا "[٤] ؛ فإن من أكره على الكفر فأظهره ؛ فإنه مفلح ، ويجوز أن يكون أراد يعيدوكم إلى دينهم بالاستدعاء دون الإكراه ، ويجوز أن يكون في ذلك الوقت كان لا يجوز التقية في إظهار الكفر ، بمعنى : لو أظهر باللسان ، وإن لم يكن من القلب يكون مأثوما وكافرا لا ينفعه الإيمان بعده "[٥].

ويصرح كثير من علماء الاثني عشرية :" بجواز التقية في إظهار كلمة الكفر كسب الأنبياء والأئمة – عليهم السلام– ، والبراءة منهم ، وعدم وجوب التقية في ذلك ، وإن تيقن القتل " [٦].

---

(١) المحقق الأردبيلي : مجمع الفائدة جـ ٧ شرح صـ ٤٤٦ – ٤٤٧ بتصرف.

(٢) سورة الحجرات : آية رقم ١٣.

(٣) المحقق الأردبيلي : مجمع الفائدة جـ ٧صـ ٤٤٦-٤٤٧ بتصرف.

(٤) سورة الكهف : آية رقم ١٩.

(٥) المحقق الأردبيلي : زبدة البيان في أحكام القرآن صـ ٣٤٩. الشيخ الطبرسي : تفسير مجمع البيان جـ ٦ صـ ٣٢٣.

(٦) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٢ صـ ٢٦٩.الشيخ الأنصاري : التقية صـ ٣٩.

ويستدلون بما روي عن أبي عبد الله – عليه السلام –:" إن أبا طالب أظهر الشرك ، وأسر الإيمان " [1] ، وفي رواية :" آمن أبو طالب بحساب الجمل[2] ، وعقد بيده ثلاثة وستين" [3] ، وقال :" إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرُّوا الإيمان ، وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين" [4].

<u>من آثار التقديس في عقيدة التقية : جواز الحلف الكاذب من باب التقية :</u>

جاء رجل إلى علي بن محمد – عليهما السلام – فقال : بليت اليوم بقوم من العوام ؛ فقالوا لي : إنك لا تقول بإمامة أبي بكر بن أبي قحافة ؛ فخفتهم ؛ فقلت : نعم ، وأنا أريد : نعماً من الأنعام الإبل ، والبقر ، والغنم ، فقالوا : لا نقنع بهذا حتى تحلف ، قل : والله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب العدل المدرك العالم من السر ما يعلم من العلانية ، فقلت : نعم ، وأنا أريد : نعماً من الأنعام ، فقالوا : لا نقنع منك إلا أن تقول : أبو بكر بن أبي قحافة هو الإمام ، والله الذي لا إله إلا هو ، وساق اليمين ، فقلت : أبو بكر بن أبي قحافة إمام ، أي : هو إمام من ائتم به ، واتخذه إماماً ، وأكمل القسم ؛ فقنعوا بهذا مني ، وجزوني خيراً ، ونجوت منهم ؛ فكيف حالي عند الله ؟ قال محمد – عليه السلام – : خير حال ، قد أوجب الله لك مرافقتنا في عليين ؛ لحسن تقيتك [5].

وفي رواية :" لقد كتب الله له بتقيته بعدد كل من استعمل التقية من شيعتنا ، ومواليئا ، ومحبينا حسنة ، وبعدد كل من ترك التقية منهم حسنة ، أدناها حسنة لو قوبل بها ذنوب مائة سنة لغفرت ، ومن أرشده له مثل هذا الأجر" [6].

---

(١) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٢ صـ ٢٧١. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٥ صـ ٨١.

(٢) حساب الجُمَّل : نوعٌ من الحساب يُجْعل فيه لكلّ حرف من حروف الأبجديّة عددٌ خاصّ به من الواحد إلى الأَلْفِ على ترتيب مخصوص ، هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ : وحساب الأبجد هكذا (ا) ١ (ب) ٢ (ج) ٣(د) ٤ (هـ) ٥ (و) ٦ (ز) ٧ (ح) ٨ (ط) ٩ (ى) ١٠(ك) ٢٠(ل) ٣٠(م) ٤٠(ن) ٥٠(س) ٦٠(ع) ٧٠(ف) ٨٠) (ص) ٩٠(ق) ١٠٠(ر) ٢٠٠(ش) ٣٠٠(ت) ٤٠٠ (ث) ٥٠٠ (خ) ٦٠٠ (ذ) ٧٠٠ (ض٠ (ظ) ٩٠٠ (غ) ١٠٠٠ . وبعض أولي الألباب رتب حروف الأبجد هكذا (ايقغ) ١١١١ (بكر) ٢٢٢ (جلش) ٣٣٣ (دمت) ٤٤٤ (هنث) ٥٥٥ (وسخ) ٦٦٦ (زغذ) ٧٧٧ (حفض) ٨٨٨ (طصظ) ٩٩٩ ويسمى حساب الأبجد بحساب الجمل . شاع استخدام حساب الجُمَّل في الشِّعر في العصرين المملوكيّ والعثمانيّ مثل : ز وز هـجب جأربع ٥٧٦٧ ٣٢٣ ٤. د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة ، مادة ج م ل جـ ١ صـ ٣٩٩. نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ٢ صـ ١١٥٩. عبد رب النبي بن عبد رب الرسول نكري : دستور العلماء جـ ٢ صـ ١٧-١٨.

(٣) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٤٤٩. الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٥٠٩.

(٤) الحسن بن سليمان الحلي: مختصر بصائر الدرجات صـ ١٠٠. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٤٤٨.

(٥) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٢ صـ ٢٦٧ بتصرف . السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ ١٤ صـ ٥٢٤. السيد المرعشي : شرح إحقاق الحق جـ ١ شرح صـ ٦٩.

(٦) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٢صـ ٢٦٨ – ٢٦٩ . الشيخ الطبرسي : الاحتجاج جـ ٢صـ ٢٦٧.

ونسي هؤلاء ما هو مقرر عندهم في قواعدهم من أن :" النية نية الحالف إن كان محقاً . وإن كان مبطلاً ؛ فالنية نية المحلوف له " [١] .

وقيل فيها ثلاث أقوال :" أن اليمين على نية المحلوف له ، وقيل : على نية الحالف ، وقيل : إن كان مستحلفاً فعلى نية المحلوف له ، وإن كان متطوعاً فعلى نية الحالف " [٢] .

وهذه اليمين يسميها علماء الفقه : اليمين الغموس وهي : الحلف بالله – سبحانه وتعالى – على شيء في الماضي ، أو في الحال ، مع تعمد الحالف الكذب ، وسميت بالغموس : لأنها تغمس صاحبها في الذنوب والآثام ، وبها تفصل الدعاوى في المرافعات ، وتستعملها الناس كثيراً ؛ لينفوا عنهم ما نسب إليهم من فعل أو ترك ، أو لإرضاء المحلوف له ، أو ترغيبه ، وهي من أعظم الكبائر مع عدم الصدق ، واتفق السنة والشيعة على أنها توجب الإثم والعقاب ، ولا توجب الكفارة ؛ لأنها أعظم من أن يكفر عنها ، إلا الشافعية فإنهم أوجبوا التكفير [٣] .

ثانيا التقية عند أهل السنة والجماعة :

قلما نجد من علماء أهل السنة من يفرد للحديث عن التقية باباً خاصاً ، ولكن الفقهاء يذكرون الكلام عنها في أبواب الإكراه ، وأحكام الأسير ، وعلماء أصول الفقه يتعرضون للكلام عنها في أبواب الرخصة ، والعزيمة [٤] ، أو أبواب عوارض الأهلية[٥] ، أما علماء التفسير والحديث فيتحدثون عنها : في معرض الكلام عن تفسير وشرح الأحاديث التي تتناول المعاني التي تقترب من مفهوم التقية ؛ ولذلك نجد كثيراً من علماء أهل السنة يتحدثون عن التقية بدون ذكر تعريف لها وقد يعرفها بعضهم بتعريفات لا تتسم بالجمع والمنع .

---

(١) العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٥ صـ ١٧٠.

(٢) الحطاب الرعيني : مواهب الجليل جـ ٤ صـ ٤٣٤.

(٣) محمد جواد مغنية : الشيعة في الميزان صـ ٣٦٦ بتصرف .

(٤) العزيمة : هي ما شرعه الله أصالة من الأحكام العامة التي لا تختص بحال دون حال ، ولا بمكلف دون مكلف ، وغير متعلق بالعوارض .

د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه صـ١٤٢. أيمن بن علي موسى : غاية المأمول صـ ١٧٥.

(٥) عوارض الأهلية : مثل الجنون ، والنوم ، والإغماء ، والطفولة ، والسفه ، والغفلة ، والديَّن . وهي تجعل عمل العامل لا يترتب عليه آثارا شرعية في حكم الشرع . انظر د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه صـ ١٦١-١٦٢.

ومن هذه التعريفات ما عرفها به الإمام السرخسي [1] أن التقية :" أن يقي نفسه من العقوبة بما يظهره ، وإن كان يضمر خلافه " [2] ، ويعرفها الإمام المطرزي [3] :" أن يقي نفسه من اللائمة أو العقوبة بما يُظهر ، وإن كان على خلاف ما يضمر " [4].

ومن الملاحظ على هذين التعريفين أنهما لم يذكرا ماهية الشيء الذي يضمره صاحب التقية ، حيث يختلف الحكم على الشخص من خلال معرفة ما يبطنه ، هل هو الكفر ؛ فيكون منافقاً النفاق الأكبر ؟ أم أنه كذب ؛ فيكون منافقاً النفاق الأصغر الذي لا يخرج من الملة ؟ ؛ ولهذا يجب تقييد التعريف بما يحدد الحكم على من تخلق بخلق التقية ؛ إذ اللوم ليس دافعاً للكذب كما هو ظاهر .

وعرفها الألوسي [5]:" التقية هي المحافظة على النفس ، أو العرض ، أو المال من شر الأعداء.

وهذا أيضا تعريف يحتاج لمراجعة ؛ فقد توسع في معنى التقية ؛ لأنه حدد الأعداء بنوعين : " الأول : من كانت عداوته مبنية على اختلاف الدين كالكافر والمسلم ، والثاني : من كانت عداوته مبنية على أغراض دنيوية كالمال ، والمتاع ، والملك ، والإمارة ومن هنا كانت التقية قسمان "[6] .

وعرفها ابن حجر العسقلاني[7] :" الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد ، وغيره للغير " [8].

وعرفها العيني[9]:" التقية الحذر من إظهار ما في الضمير من العقيدة ، ونحوها عند الناس " [10] .

---

(١) محمد بن رضي الدين السرخسي : فقيه حنفي ، سكن حلب ، ودمشق ، وتوفي بها ٥٧١هـ . انظر الزركلي : الأعلام جـ ٧ صـ ٢٤.

(٢) السرخسي : المبسوط ، ط دار المعرفة – بيروت ، ط٢ ، دت جـ ٢٤صـ ٤٥.

(٣) أبو الفتوح ناصر بن عبد السيد : أبو المكارم ، أديب ، وفقيه حنفي ، توفي بخوارزم ٦١٠هـ . انظر الزركلي : الأعلام جـ ٧ صـ ٣٤٨.

(٤) المطرزي : المغرب في ترتيب المعرب ، تحقيق : محمود فاخوري ، عبد الحميد مختار ، ط مكتبة أسامة بن زيد – حلب – سوريا ط١ ، ١٩٧٩م جـ ٢ صـ ٣٦٧. مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١ صـ ٢٦٧.

(٥) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني ، مفسر ، سكن بغداد ، ولد ١٢١٧هـ ، وتوفي ١٢٧٠هـ . الزركلي : الأعلام جـ ٧ صـ ١٧٦.

(٦) الألوسي : تفسير روح المعاني جـ ١ صـ ١٢١.

(٧) ابن حجر : أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، أصل عائلته من عسقلان ، ومولده ، ووفاته بالقاهرة ، ولد ٧٧٣هـ ، وتوفي ٨٥٢هـ ، صاحب فتح الباري بشرح صحيح البخاري . انظر الزركلي : الأعلام جـ ١ صـ ١٧٨.

(٨) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري جـ ١٢ صـ ٣١٤.

(٩) بدر الدين العيني : الإمام محمود بن أحمد بدر الدين العيني الحنفي ، مؤرخ ، ومحدث ، أصله من حلب ، وولد بها ٧٦٢هـ ، سكن مصر ، ودمشق ، والقدس ، وتوفي ودفن بالقاهرة ٨٥٥هـ . الزركلي : الأعلام جـ ٧ صـ ١٦٣.

(١٠) بدر الدين العيني : عمدة القاري جـ ٢٤ صـ ٩٦.

ويمكن أن نعرف التقية بأنها : " إخفاء المعتقد خوفاً من ضرر هالك ، ومعاشرة ظاهرة مع العدو المخالف ، والقلب مطمئن بالعداوة ، والبغضاء ، وانتظار زوال المانع من شق العصا " [١] ، " واتخاذ الحيطة والحذر حفاظاً على النفس ، أو المال ، أو العرض ، وذلك بأن يظهر الإنسان غير ما يضمر ؛ حتى لا ينكشف أمره ، أو يفشو سره فيتعرض للأذى أو الشر " [٢] ، قال ابن مسعود : "مَا مِنْ كَلامٍ أَتَكَلَّمُ بِهِ لِذِي سُلْطَانٍ أَدْرَأُ عَنِّي مِنْهُ ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّوْطِ إلا كُنْتُ مُتَكَلِّمًا بِهِ" [٣] .

الرد على عقيدة التقية عند الشيعة الاثني عشرية :

من التتبع لعقيدة الشيعة الاثني عشرية نجد : أن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين : لم يظهروا معهما من أئمتهم على كذب أبداً ، وهما : القول بالبداء ، وإجازة التقية ، وأما التقية : فإنه لما كثرت وكبرت على أئمتهم مسائل شيعتهم في الحلال والحرام ، وغير ذلك من صنوف أبواب الدين ، فأجابوهم فيها ، وحفظ شيعتهم جواب ما سألوه عنه ، وكتبوه ، ودونوه ، ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة ؛ لتقادم العهد ، وتفاوت الأوقات ؛ لأن مسائلهم لم ترد في يوم واحد ، ولا في شهر واحد ، بل في سنين متباعدة ، وشهور متباينة ، وأيام متفاوتة ، وأوقات متفرقة ؛ فوقع في أيديهم في المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفة ، متضادة ، وفي مسائل مختلفة أجوبة متفقة ، فلما وقفوا على ذلك منهم ؛ ردوا إليهم هذا الاختلاف ، والتخليط في جواباتهم ، وسألوا عنه ، وأنكروه عليهم ، وقالوا من أين جاء هذا الاختلاف ، وكيف جاز ذلك .

قالت لهم أئمتهم : إنما أجبنا بهذا للتقية ، ولنا أن نجيب بما أجبنا ، وكيف شئنا ؛ لأن ذلك إلينا ، ونحن أعلم بما يصلحكم ، وما فيه بقاؤنا ، وبقاؤكم ، وكف عدونا وعدوكم ، عنا وعنكم ؛ فمتى يظهر هؤلاء على كذب ؟ ، ومتى يعرف الحق من الباطل ؟ " [٤].

ولما كانت الشيعة تقول : بإمامةٍ إلهيةٍ لعليٍّ وأبناءِه ، ويسترون ذلك بستار من التقية والكتمان ؛ وبما أن الأئمة من أهل البيت كانوا ينفون نظرية الإمامة الإلهية ، وينفون علمهم بالغيب ، فقد أطلق المتكلمون الإماميون على هذه الحالة : اسم التقية ؛ وذلك لكي يفسروا ظاهرة التناقض بين أقول الأئمة ، وسيرتهم العلنية القائمة على الشورى ، والعلم الطبيعي ، وبين دعوى الإمامة الإلهية

---

(١) د عرفان عبد الحميد : دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ص ٥٤.

(٢) د أحمد جلي : دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين ، ط مركز الملك فيصل – الرياض ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ص ١٥٣.

(٣) الطبراني : المعجم الكبير جـ ٩ صـ ١٧١. ابن أبي شيبة : المصنف جـ ٧ صـ ٦٤٣.

(٤) الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ٧٨ – ٧٩ .

القائمة على النص ، والتعيين ، والعلم الإلهي الغيبي ، والتي كان ينسبها الإماميون لأهل البيت سراً " [1].

حكم التقية عند أهل السنة والجماعة :

يَذْهَبُ جُمْهُورُ عُلَمَاءِ أَهْل السُّنَّةِ إِلَى أَنَّ الأَصْل فِي التَّقِيَّةِ هُوَ الْحَظْرُ، وَجَوَازُهَا ضَرُورَةٌ ، فَتُبَاحُ بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ ، مَعَ خَوْفِ الْقَتْل ، أَوِ الْقَطْعِ ، أَوِ الإِيذَاءِ الْعَظِيمِ [2] .

فالتقية رخصة منحها الله تعالى لعباده وقت الضرورة للمسلم إذا تعرض للضغط ، أو القهر ، أو الإيذاء من قبل أعداء الإسلام ؛ فإنه يجوز له أن يظهر ما ينَّجيه من العذاب ، ويحفظ دمه ، وعرضه ، وماله ؛ شريطة : ألا يؤدي ذلك إلى هدم في الدين ، أو إظهار لعورة المسلمين [3].

وذلك لقوله تعالى :" لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً "[4] ، وقوله تعالى :" مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " [5].

وقوله – ﷺ – حين عذب المشركون آل ياسر ؛ فقتلوا ياسراً وزوجته سمية ، وكادوا أن يقتلوا عماراً ؛ فأعطاهم عمارُ ما أرادوا بلسانه مكرهاً ، فشكا ذلك إلى رسول الله – ﷺ – فقال له رسول الله – ﷺ – كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئن بالإيمان ، فقال رسول الله – ﷺ – : فإن عادوا فعد [6].

" فرسول الله – ﷺ – قد أقر عماراً على فعله ، ورخص له أن يكرر هذه الفعلة ؛ إن كرر المشركون تعذيبهم له ، كما أن الرواية رخصة لمن كان في مثل موقف عمار ، وتعرض لما تعرض ؛ ليقي نفسه من الهلاك ، ما دام قلبه مطمئن بالإيمان ، وهذا ما صرح به العلماء ، وقام عليه إجماعهم " [7].

وقد أجمع أهل العلم على : أن من أكره على الكفر ، حتى خشي على نفسه القتل ، أنه لا إثم عليه إن كفر ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولا تبين منه زوجته ، ولا يحكم عليه بحكم الكفر [8].

---

(١) د عمر عبد الله كامل : رسالة إلى إخواننا الشيعة الإمامية ص ٤١.

(٢) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٦٦٥.

(٣) د أحمد سيد أحمد علي : التقريب بن أهل السنة والشيعة ص ٢١٩.

(٤) سورة آل عمران : آية رقم ٢٨.

(٥) سورة النحل : آية رقم ١٠٦.

(٦) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ٢ ص ١٨٠٢.

(٧) د أحمد سيد أحمد علي : التقريب بن أهل السنة والشيعة ص ٢١٩.

(٨) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ٢ ص ١٨٠٣.

إذن التقية :" أن يقي الإنسان نفسه بما يظهره ، وإن كان يضمر خلافه ، وقد كان بعض الناس يأبى ذلك ، ويقول : إنه من النفاق الصحيح [1].

ولكن الصحيح أن إجراء كلمة الشرك على اللسان مكرهاً ، مع طمأنينة القلب بالإيمان من باب التقية[2] ، إن لم يمكنه التورية "[3] ؛ ولم يشايعوهم على كفرهم ، ولا أن يعينوهم على مسلم بفعل أو بقول [4]. فإن ذلك جائز ، ولا يترتب عليه آثاراً شرعية .

ومن المتفق عليه بين الفرق جميعاً : أن ترك التقية هو الأفضل والأولى للمؤمن ، وأن يثبت المسلم على دينه ، ولو أفضى إلى قتله ، وذلك بأدلة كثيرة منها :

ما جاء عن بلال – رضي الله عنه – حين أظهر الإسلام مع جماعة من المؤمنين : " أَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمْ الْمُشْرِكُونَ ، فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ ، فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا ، إِلَّا بِلَالٌ فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ ، وَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ شِعَابَ مَكَّةَ ، وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ " [5].

وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري[6] : لما قال له مسيلمة الكذاب[7] : أتشهد أن محمدًا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال : أتشهد أني رسول الله ؟ فقال : لا أسمع ، فلم يزل يقطعه إرْبًا إرْبًا[8] ، وهو ثابت على ذلك ، كلما سأله لم يزده على ذلك ، حتى مات في يديه [9] .

---

(١) الإمام ابن حجر : فتح الباري جـ ١٢ صـ ٣١٤.

(٢) الإمام السرخسي : المبسوط جـ ٢٤ صـ ٤٥.

(٣) الإمام ابن حجر : فتح الباري جـ ٥ صـ ٣٤٥ .

(٤) الإمام ابن جرير الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن جـ ٣ صـ ٢٢٨.

(٥) الإمام أحمد بن حنبل : المسند جـ ٦ صـ ٣٨٢. ابن ماجة : سنن بن ماجة جـ ١ صـ ٥٣.

(٦) حَبِيبُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمْرٍو الْمَازِنِيُّ النَّجَّارِيُّ : شَهِدَ الْعَقَبَةَ ، قتله مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ في حروب الردة حوالي ١٢هـ . انظر ابن خياط : الطبقات صـ ٩٢. أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء جـ ١ صـ ٣٥٦. أبو نعيم : معرفة الصحابة جـ ٢ صـ ٨٢٨.

(٧) مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب : الحنفي الوائلي ، أبو ثمامة ، وقيل : اسمه (هارون) ، ومسيلمة لقبه ، ويقال : (مسلمة) وصغره المسلمون تحقيراً له ، متنبئ ، من المعمرين . وفى الأمثال (أكذب من مسيلمة). ولد ونشأ باليمامة ، في نجد ، وعرف برحمان اليمامة ، ولما ظهر الإسلام كتب مسيلمة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ليشركه في النبوة سنة ١٠هـ ، ثم أكثر مسيلمة من وضع أسجاع يضاهي بها القرآن ، وتوفى النبي – صلى الله عليه وسلم – قبل القضاء على فتنته ، فلما انتظم الأمر لأبي بكر، انتدب له (خالد بن الوليد) على رأس جيش قوي ، هاجم ديارهم ، وانتهت المعركة بظفر خالد ، ومقتل مسيلمة (سنة ١٢هـ) . الزركلي : الأعلام جـ ٧ صـ ٢٢٦.

(٨) قطَّعه إرْبًا إرْبًا: عضوًا عضوًا أو قطعًا. د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة ، مادة أ ر ب جـ ١ صـ ٨١.

(٩) محمد علي الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ صـ ٣٤٨.

وما جاء في ترجمة عبد الله بن حُذَافة السهمي [١] : أن الروم أسرته ، فجاءوا به إلى ملكهم ، فقال له : تنصر، وأنا أشركك في ملكي ، وأزوجك ابنتي ؛ فقال له : لو أعطيتني جميع ما تملك ، وجميع ما تملكه العرب ، على أن أرجع عن دين محمد – ﷺ – طرفة عين ، ما فعلت! فقال : إذاً أقتلك ، قال: أنت وذاك! فأمر به فصلب ، وأمر الرماة فرموه قريباً من يديه ورجليه ، وهو يعرض عليه دين النصرانية ، فيأبى ، ثم أمر به فأنزل ، ثم أمر بِقِدْر فأحميت ، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر، فإذا هو عظام تلوح. وعرض عليه فأبى ، فأمر به أن يلقى فيها ، فرفع في البَكَرَة ليلقى فيها ، فبكى ؛ فطمع فيه ، ودعاه ، فقال عبد الله له : إنّي إنما بكيت ؛ لأن نفسي إنما هي نفس واحدة ، تُلْقى في هذه القدر الساعة في الله ، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله ، وفي بعض الروايات : أنه سجنه ومنع عنه الطعام والشراب أياماً ، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير، فلم يقربه، ثم استدعاه ، فقال: ما منعك أن تأكل؟ فقال: أما إنه قد حَلَّ لي ، ولكن لم أكن لأشمّتك فيّ ؛ فقال له الملك : فَقَبِّلْ رأسي ، وأنا أطلقك . فقال : وتطلق معي جميع أسرى المسلمين؟ قال: نعم ؛ فقبل رأسه ، فأطلقه وأطلق معه جميع أسرى المسلمين عنده ، فلما رجع قال عمر بن الخطاب : حَقّ على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة ، وأنا أبدأ ، فقبل رأسه [٢].

وقد كان كثير أئمة الشيعة لا يعملون بالتقية ، وعلى رأسهم الحسين – عليه السلام – وزيد بن علي – عليه السلام – وابنه يحيى– عليه السلام – : حيث قتلوا جميعاً ، ولم يتقوا ، وغيرهم كثير [٣].

وقد حذر الإمام عليٌّ من التساهل في التقية ؛ فقال :" ستعرضون من بعدي على سَبّي فسُبُّوني ، فمن عرض عليه البراءة مني ؛ فليمدد عنقه ، فإن برئ مني ؛ فلا دنيا له ، ولا آخرة [٤].

فسأله رجل : أرأيت إن اختار القتل دون البراءة ، قال :" والله ما ذاك عليه ، ولا له " [١]. فليس له أجر ، وليس عليه بواجب فما الحكم إذن ؟ .

---

(١) أَبُو حُذَافَةَ السَّهْمِيُّ : عَبْدُ اللهِ بنُ حُذَافَةَ بنِ قَيْسٍ أَحَدُ السَّابِقِيْنَ ، هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ ، وَنَفَّذَهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– رَسُوْلاً إِلَى كِسْرَى ، مَاتَ ابْنُ حُذَافَةَ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ –. انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ١١ – ١٦.

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ صـ ١١ – ١٦. محمد علي الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ صـ ٣٤٨ – ٣٤٩.

(٣) من هؤلاء كما تزعم الشيعة : حجر بن عدي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، الذين قتلا ، ولم يتبرءا من حب علي ، ومثل ميثم التمار ، ورشيد الهجري ، وتعد من بطولاتهم . انظر العلامة الحلي : إرشاد الأذهان جـ ١صـ ١٤٢. الشهيد الثاني : شرح اللمعة جـ ٧ شرح صـ ٣١٥.

(٤) السيد الخميني : الرسائل جـ ٢ صـ ١٨١. السيد الخوئي : كتاب الطهارة جـ ٤ شرح صـ ٢٦١.

فلماذا لم يأخذ سيدنا الحسين – رضي الله عنه – بالرخصة والتقية ، رغم أن ذلك كان سهلاً عليه ليتمكن من الهرب من قتلته ؟ ولماذا لم يُثَّبِتْ الإمام عليٌّ – عليه السلام – معاوية – رضي الله عنه – في حكم الشام لحين استتباب الأمر له ؟ فهل تتهمون الأئمة هنا بترك التقية ؟ ، وأنهم ليسوا منكم ؛ كما قال أئمة أهل البيت – عليهم السلام – أم هم جبناء ؟ نعوذ بالله من ذلك .

متى ينتهي العمل بالتقية عند الشيعة الاثني عشرية وأهل السنة :

لا تنتهي التقية عند الشيعة الاثني عشرية إلا في الرجعة [٢] ، عن أمير المؤمنين – عليه السلام – قال : قال تعالى : " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا"[٣] ، أي : يعبدونني آمنين ، لا يخافون أحداً في عبادتي ، ليس عندهم تقية ، وإن لي الكرة بعد الكرة ، والرجعة بعد الرجعة " [٤].

ولكن أهل السنة لهم رأي آخر في انتهاء العمل بالتقية : فإنما تجوز التقية للمستضعفين الذين يخشون ألا يثبتوا على الحق ، والذين ليسوا بموضع القدوة للناس ، وهؤلاء يجوز أن يأخذوا بالرخصة ، أما أولوا العزم من الأئمة الهداة ؛ فإنهم يأخذون بالعزيمة ، ويتحملون الأذى ، ويثبتون .

فكيف يكون الصحابة الذين نافقوا وارتدوا – على حد زعمهم – أجلد في الدين ، وأظهر لنفاقهم وكفرهم من الأئمة أصحاب الحق الثابت من الله – عز وجل – الذي وعدهم بالنصر ، لكنها صفة الرافضة : شعارهم الذل ، ودثارهم النفاق ، والتقية ، ورأس مالهم الكذب ، والأَيّمان الفاجرة [٥].

---

(١) الكليني : أصول الكافي جـ ٢ صـ ٢١٩. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١١ صـ ٤٧٦.

(٢) الفيض الكاشاني : التفسير الأصفى جـ ١ صـ ٣٥٢.

(٣) سورة النور : آية رقم ٥٥.

(٤) الميرزا محمد المشهدي : تفسير كنز الدقائق ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط٢ ، ١٤١٠هـ جـ ٢ صـ ١٤٣ – ١٤٤. الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٣٣.

(٥) محب الدين الخطيب : الخطوط العريضة لدين الشيعة ، هامش صـ ٣٨ بتصرف .

قال معاذ بن جبل [١] – رضي الله عنه – :" كانت التقية في جِدة الإسلام قبل قوة المسلمين ؛ فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام أن يتقوا من عدوهم " [٢] ، وقال سعيد بن جبير [٣] – رحمه الله – : ليس في الإسلام تقية ؛ إنما التقية في أهل الحرب [٤] .

وما أذن فيه للتقية فإنه مؤقت ، ولا يجوز الاستقرار فيه ، إلا حال العجز عن الهجرة ؛ خشية أن يولد للمسلم أولاد ؛ فيوالون الكافرين ، وهم لا يعلمون أن ما عليه آباؤهم كان تقية لا غير [٥] .

ولنعلم " أن التقية لا تكون إلا بسبب الخوف ، والخوف قسمان : الخوف على النفس ، والخوف من المشقة ، والإيذاء البدني ، والسب ، والشتم ، وهتك الحرمة .

أما الخوف على النفس : فهو منتفٍ في حق الأئمة ؛ لأن موت الأئمة يكون باختيارهم ؛ لأنهم لهم علم الغيب ، فهم يعلمون آجالهم ، وكيفية موتهم ، فقبل موتهم لا يخافون على أنفسهم ، ولا حاجة بهم إلى أن ينافقوا في دينهم ، ويغروا عوام المؤمنين .

أما خوف المشقة ، والإيذاء البدني ، والسب ، والشتم ، وهتك الحرمة : فلا شك أن تحمل هذه الأمور ، والصبر عليها ، وظيفة العلماء ، وأهل البيت النبوي أولى بتحمل ذلك في نصرة دين جدهم – ﷺ – [٦] .

وفي النهاية : يجب أن نفرق بين التقية والاستضعاف ، وبين الهزيمة الداخلية والاستكانة للعدو ، والركون إليه ، وفقدان الثقة في الله ، وترك التوكل عليه ؛ ذلك أن الإنسان يملك في نفسه قوة عظيمة – هي قوة الرفض بقلبه – وهذه القوة سماها رسول الله – ﷺ – جهاداً حين قال :" وَمَنْ

---

(١) مُعَاذُ بنُ جَبَلِ بنِ عَمْرِو بنِ أَوْسٍ : أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، الخَزْرَجِيُّ ، المَدَنِيُّ ، البَدْرِيُّ ، شَهِدَ العَقَبَةَ ، أَسْلَمَ مُعَاذٌ وَلَهُ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً ، جَمَعَ القُرْآنَ ، أَعْلَمُ النَّاسِ بِحَرَامِ اللهِ وَحَلاَلِهِ ، تُوُفِّيَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَثَلاَثِيْنَ سَنَةً . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١ صـ ٤٤٣ – ٤٦١.

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ صـ ٦٦٥.

(٣) سَعِيْدُ بنُ جُبَيْرِ بنِ هِشَامٍ : الوَالِبِيُّ مَوْلاَهُم ، الحَافِظُ ، المُقْرِئُ ، المُفَسِّرُ ، الشَّهِيْدُ ، أَبُو مُحَمَّدٍ أو أَبُو عَبْدِ اللهِ – الأَسَدِيُّ ، الكُوْفِيُّ ، تابعي ، كان أعلمهم على الإطلاق ، ولد ٤٥هـ ، أخذ العلم عن ابن عباس ، وابن عمر ، قال أحمد : قتل الحجاج سعيداً ، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه ، قتل : ٩٥هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤ صـ ٣٢١ – ٣٤٣. الزركلي : الأعلام جـ ٣ صـ ٩٣.

(٤) البغوي : تفسير البغوي صـ ١٩٩ بتصرف .

(٥) أبو بكر الجزائري : أيسر التفاسير صـ ١٤٦ بتصرف .

(٦) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق صـ ٢٦ – ٢٧ بتصرف .

جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ" (١) ، وقال ابن مسعود – رضي الله عنه – :" ألا هل عسى أحدكم أن يرى منكراً فلا يغيره " (٢) ، وفي رواية : " بحسب المرء أن يرى منكراً لا يستطيع له غيراً أن يعلم الله أنه له منكر " (٣) ، وفي رواية : " و إن من بقي منكم سيرى منكراً ، وبحسب امرئ يرى منكراً لا يستطيع أن يغيره ، أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره "(٤).
فإن استعلاء القلب على الهزيمة الداخلية ، وبقاء قوة رفضه للباطل ، مهما استطال وانتفش ، وقوة ضبطه للسلوك ؛ لتأكيد الاعتزال ، وعدم المشايعة بالعمل ؛ لهو جهاد القلب ، وإنه لجهاد له أثره الواقع في حياة الناس "(٥) ؛ قال تعالى :" أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " (٦) ، والوليجة تعني : الساتر ، والحصن ونحوهما ، يستتر بهما الإنسان ، فالمؤمن ليس له وليجة ؛ ليستتر بها من الله ، ورسوله ، والمؤمنين ، بل هناك الوضوح في التعامل (٧) مع كل ما ذكر فمن يخدع وهو يعبد الله كانه يراه ؟ .
وكيف تسوغ التقية للإمام وسيد الأئمة الذي أمره ربه فقال تعالى :" يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ " (٨) ، وقال له :" فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ"(٩) ، ومدح الله من قال الحق ، ولم يخش غير الله ، فقال تعالى :" الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ " (١٠) ، وحذر الذين تخالف أقوالهم ما يبطنون في قلوبهم فقال تعالى :" إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (١١) .

---

(١) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ١ صـ ٦٩. ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١ صـ ٤٠٣ .البيهقي : شعب الإيمان جـ ١٠صـ ٥٦.

(٢) الطبراني : المعجم الأوسط جـ ٤ صـ ١٤٠.

(٣) الطبراني : المعجم الكبير جـ ١٠صـ ٢٢٣.

(٤) البيهقي : شعب الإيمان جـ ٦ صـ ٩٥.

(٥) محمد بن سعيد القحطاني : الولاء والبراء في الإسلام صـ ٣١٤.

(٦) سورة التوبة : آية رقم ١٦.

(٧) محمد عبد الرحمن عوض : الشيعة وجذور الكراهية صـ ٥٥.

(٨) سورة المائدة : آية رقم ٦٧.

(٩) سورة الحجر : آية رقم ٩٤.

(١٠) سورة الأحزاب : آية رقم ٣٩.

(١١) سورة المنافقون : آية رقم ١ – ٢.

" فكيف الجمع بين الصدق والكذب ؟ وكيف الاجتماع بين الصادق والكاذب ؟ وليس الكاذب فحسب بل الكاذب الذي يظن أن الكذب ضرورياً ، واجباً عليه ، وأكثر من هذا يعتقده من أعظم القربات إلى الله تعالى " فهذه هي عقيدتهم في الكذب ، وتقديسهم له وغلوهم فيه [1] .

فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثير من خلقه .

(١) الشيخ إحسان إلهي ظهير : الشيعة والسنة صـ ١٤٣ بتصرف .

الفصل الرابع

التقديس

وأثره في

عقيدة الرجعة

الفصل الرابع

التقديس وأثره في عقيدة الرجعة

الشيعة تقسم الرجعة إلى قسمين : رجعة من موت ، ورجعة من غيبة ؛ والسبب هو : تقديس الشيعة لأرواح الأئمة وأجسادهم ؛ فاعتقدوا بقاء أجساد الأئمة وأرواحهم ، فإنهم سيرجعون إلى الدنيا بعد موتهم ؛ ليعيشوا حياة جديدة ؛ فيها النصر والغلبة ، بل ويتزوجون ، ويولد لهم ، هم وشيعتهم المقدسين من فقهاء ومؤمنين .

ومنهم من يعتريه الغيبة عن العيون ويبقى ما شاء الله له حياً حتى يأذن الله له : فالإمام المهدي غائب ، وحين يظهر ، يبعث الله الرسول – ﷺ – وأمير المؤمنين ، والسيدة الزهراء ، والحسن ، والحسين ، وجميع الأئمة ، والخواص ، والمقربين : أحياءً ، ويبايعونه ، ثم يبعث الله أبا بكر ، وعمر ، وعائشة ، ومن والاهم من الكفار ، والمنافقين فيتم عقابهم [١] .

وعقيدة الرجعة عقيدة لازمة لفكرة المهدية [٢]، فلقد قالوا في كل من زعموا إمامته من علي – رضي الله عنه – إلى الغائب أنهم سيرجعون ، وكل طائفة تدعي مهدياً لها غير الآخرين [٣] ؛ ولذا فإن هذه العقيدة فشت وانتشرت في جميع فرق الشيعة في مختلف العصور حتى يومنا هذا .

فهيا لنلقي السمع ونحن شهداء لما قالته الشيعة الاثنا عشرية حول هذه العقيدة لنعلم حقيقتها .

<u>أولا : تعريف الرجعة في اللغة :</u>

الرجعة بفتح الراء : المرة في الرجوع [٤] ، ومنه الكرة ، والمراد بها : الرجعة إلى الحالة الأولى ، وهي الحياة المتعلقة بهذا الجسم [٥] ، وهي مذهب الروافض في رجوع علي – رضي الله عنه – إلى الناس آخر الدنيا ، وملكه الأرض [٦].

بل هي مذهب لمن يؤمن بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت ، وفي علم الأحياء : العودة إلى الحياة بعد موت ظاهري ، أو سبات [٧] ، وهي مذهب قوم من العرب في الجاهلية معروف عندهم ، يقولون : إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حيا كما كان ، ومن جملتهم طائفة من الرافضة

---

(١) الشيخ محمد منظور النعماني : الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام ص ١٩٠.

(٢) د محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون جـ ٢ ص ٩ .

(٣) الشيخ إحسان إلهي ظهير : الشيعة والتشيع ص ٢٥٤ بتصرف .

(٤) الفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري : الإيضاح ، تحقيق : السيد جلال الدين الحسيني الأرموي ، نشر مؤسسة انتشارات وچاپ دانشگاه – طهران ، ط٢ ، ١٣٦٣ش هامش ص ٣٨١.

(٥) السيد علي خان الشيرازي : رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين جـ ٧ شرح ص ١٢٩.

(٦) ابن قرقول : مطالع الأنوار على صحاح الآثار جـ ٣ ص ١٢٢.

(٧) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ص ٣٣١.

يقولون : إن علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – مستتر في السحاب ، فلا يخرج مع من خرج من ولده ، حتى ينادي مناد من السماء اخرج مع فلان ، ويشهد لهذا المذهب السوء قوله تعالى :" حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ " (١) ، يريد : الكفار (٢) .

ثانياً : تعريف الرجعة في اصطلاح الشيعة الاثني عشرية :

الرجعة : أن الله تعالى يحيي قوما من أمة محمد – ﷺ– بعد موتهم ، قبل يوم القيامة (٣) ؛ عند ظهور إمام الزمان المهدي– عليه السلام – من مواليه وشيعته ؛ ليفوزوا بثواب مباشرة نصرته ومعونته ، وقتال أعدائه ، ومشاهدة دولته ، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه ؛ لينتقم منهم ، فيلتذوا بما يشاهدون من ظهور الحق ، وعلو كلمة أهله ، ولا يفوتهم ثواب هذه المنزلة الجليلة (٤).

وهذا التعريف غير جامع ؛ لأنه لم يذكر رجعة النبي – ﷺ – ولا الأئمة صراحة .

وقيل :" أن يُبْعث الأموات فيقاتلوا الأحياء على الدين (٥) ، في صورهم التي كانوا عليها ؛ فيعز منهم فريقاً ، ويذل فريقاً ، ويديل المحقين من المبطلين ، والمظلومين منهم من الظالمين ، وذلك عند قيام مهدي آل محمد – عليهم السلام وعليه السلام – " (٦) .

وهذا التعريف غير مانع ؛ لأنه أدخل كل الأحياء ، مع اعترافهم أن الرجعة ليست عامة للكل .

ويفسر بعض شذاذ الشيعة معنى الرجعة بأنها :" رجوع الدولة ، ورجوع الأمر والنهي إلى الأئمة ، وإلى شيعتهم ، وأخذهم بمجاري الأمور، دون رجوع أعيان الأشخاص " (٧).

ولكن يرد عليهم المفيد فيقول أن :" الباعث لهم على هذا التأويل هو : عجزهم عن تصحيح القول بها نظراً ، واستدلالاً ، واثبات عدم استحالتها عقلاً ، ولكن محققي الإمامية ردوا هذا التأويل ؛ لعموم قدرة الله تعالى ، وعدم منافاته للتكليف (٨).

---

(١) سورة المؤمنون : آية رقم ٩٩.

(٢) ابن منظور : لسان العرب جـ ٢٠ صـ ١٥٩١.

(٣) الشيخ المفيد : المسائل السرورية صـ ٣٢.

(٤) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ١ صـ ١٢٥ بتصرف . القاضي ابن البراج الطرابلسي : جواهر الفقه ، تحقيق : إبراهيم بهادري ، ط مؤسسة سيد الشهداء ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤١١هـ صـ ٢٦٨ بتصرف .

(٥) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٢٠ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٦٧ .

(٦) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٧٧ – ٨٧ .

(٧) السيد جعفر مرتضى : خلفيات كتاب مأساة الزهراء جـ ٢ صـ ٢٢٧ . الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ١٥٢ – ١٥٣.

(٨) السيد جعفر مرتضى : خلفيات كتاب مأساة الزهراء جـ ٢ صـ ٢٢٧ . الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ١٥٢– ١٥٣.

ولا يضر مخالفتهم ؛ لثبوت الإجماع ؛ لأنه خلافٌ لا يعتد به ، لأن ثبوت رجعة هؤلاء الأموات إلى الحياة أمر حتمي لا شك فيه ولا ريب ، كما لا شك في إمكانه ، وأصبح ذلك من ضرورات المذهب ، فلا يصح تغيير كلمة وجوب الرجعة إلى كلمة الجواز[١] ؛ لأن الرجعة ليست أشد صعوبة من البعث [٢] .

ثالثا : من أول من قال بالرجعة :

بعض العلماء يرجح : أن أول من قال بالرجعة عبد الله بن سبأ ، ومن أهم أقواله :" العجب ممن يصدق أن عيسى – ﷺ – يرجع ويكذب أن محمدا – ﷺ – لا يرجع ، فوضع لهم الرجعة ، فقبلت منه ، ثم تحول إلى القول بأن علي يرجع ، وهذه الفكرة أخذها ابن سبأ عن اليهود ، فعند اليهود أن النبي إلياس – عليه السلام – صعد إلى السماء ، وسيعود ؛ فيعيد الدين والقانون ، ووجدت هذه الفكرة في النصرانية في عصورها الأولى [٣] .

فدخلت هذه العناصر الجديدة في الفكرة المهدوية عند الشيعة من مؤسس فتنتهم عبد الله بن سبأ اليهودي المتمسلم ، فقد كان أول من أراد إدخال فكرة الرجعة بين المسلمين ؛ فكان يزعم بادئ ذي بدئ أن محمداً – ﷺ – لم يمت ، ثم تحول بأفكاره من رجعة محمد – ﷺ – إلى الغلو في علي – رضي الله عنه – ، ولما قتل علي – رضي الله عنه – ، زعم : أنه لم يقتل ؛ وإنما الذي قتل شيطان تمثل في صورته ، وأن علياً صعد إلى السماء ، كما صعد عيسى – ﷺ – ، وأن الجزء الإلهي في علي لا يموت ، وهو الذي يجيء في السحاب ، والرعد صوته ، والبرق تبسمه ، وأنه سينزل إلى الأرض فيملؤها عدلاً ، بعدما ملئت جوراً وظلماً [٤] .

ففرقة السبئية " أول فرقة قالت : بالتوقف ، والغيبة ، والرجعة ، وقالت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي – رضي الله عنه – [٥] ؛ ومن هنا أجمعت فرق الشيعة كلهم على فكرة الرجعة لمن اختارته لها مهدياً على خلاف بينهم في المهدي من هو ؟ إلا أن السر في اختلافهم ، وتعدد أحزابهم هو ما كانت تمليه عليهم ظروفهم السياسية ، وأهواؤهم المادية ، وأغراضهم المختلفة [٦].

---

(١) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٢٩٢ – ٢٩٣ بتصرف.

(٢) السيد جعفر مرتضى : خلفيات كتاب مأساة الزهراء جـ ٢ صـ ٢٢٧ .

(٣) د محمود أبو رية : أضواء على السنة المحمدية ، نشر مكتبة البطحاء – القاهرة ، ط٥ ، دت صـ ١٧٧ – ١٧٨ بتصرف .

(٤) د عبد العليم عبد العظيم البستوي : المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة ، ط دار ابن حزم – بيروت ، نشر المكتبة المكية – مكة ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م صـ ٦٢-٦٣ بتصرف .

(٥) أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٤١ .

(٦) د عبد العليم عبد العظيم البستوي : المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة صـ ٦٣ بتصرف .

وهناك من يرى أن أول من قال بالرجعة والمهدية هو كيسان مولى علي بن أبي طالب في محمد بن الحنفية ، ثم تسربت إلى طوائف الإمامية ، فكان لكل منها مهدي منتظر [1].

وأعجب منه الذي زعَم أن أول من قال بالرجعةِ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ؛ لأنه قال : " وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ" [2].

أول مراحل الرجعة : عقيدة الغيبة :

تعد عقيدة الغيبة من العقائد التي امتحنت الشيعة في الإيمان بها ، وذلك لما جاء عن رسول الله – ﷺ – حين سئل : لما سمي القائم ؟ فقال : لأنه يقوم بعد موت ذكره ، وارتداد أكثر القائلين بإمامته ، فقيل له : ولما سمي المنتظر ؟ قال : لأن له غيبة يكثر أيامها ، ويطول أمدها [3]؛ لذلك كثر الحديث عن أصلها ، وتفاصيلها ، ومن الذي ابتدأ القول بها ؟ فقد صرح موسى بن جعفر – عليه السلام – بأن :" الشيعة تربى بالأماني منذ مائتي سنة " [4] ، ومع ذلك فاعتقاد الغيبة " والإمام الخفي يسود كافة فروع الشيعة [5] .

وعقيدة الغيبة تعني :" غيبة الإمام المنتظر المنقذ عن الأعين ، واختفاؤه إلى وقت معلوم " [6] ، وهي من ضرورات المذهب لما روي عن رسول الله – ﷺ – :" من أنكر القائم من ولدي ، فقد أنكرني " [7] ، وعنه :" من أنكر القائم من ولدي في زمان غيبته ، فمات ، مات ميتة جاهلية "[8] . وعن الصادق – عليه السلام –:" مثل من أنكر القائم في غيبته ؛ مثل إبليس في امتناعه من السجود لآدم " [9] . و:" والإجماع واقع على عدم عصمة غير صاحب الزمان ، فثبت وجوده " [10].

والجواب سهل : مقدمات غير مسلم بها عقلا ، فلا يثبت بها حكم ، لأنه لا يجب على الله شيء ؛ ثم كيف تثبت العصمة لشخص غير موجود لم تختبر عدالته فضلا عن عصمته .

---

(١) د محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون جـ ٢ صـ ٩ .

(٢) البخاري : صحيح البخاري جـ ٥ صـ ٦ .

(٣) ميرزا محمد تقي الأصفهاني : مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم ، تحقيق : السيد علي عاشور ، نشر مؤسسة الأعلمي – بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ جـ ٢صـ ١٢٩.

(٤) محمد بن إبراهيم النعماني : الغيبة صـ ٣٠٥.

(٥) د عبد العليم عبد العظيم البستوي : المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة صـ ٦١ .

(٦) د أبو الفتوح الأنور : شيعة إيران وأصولها صـ ١١٩.

(٧) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٤١٢. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٧٣.

(٨) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٤١٣. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٧٣.

(٩) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ١٣.

(١٠) الشيخ الطوسي : الغيبة هامش صـ ٩٩. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٢١٥.

ويعتقد الشيعة أنه قد ولد للإمام الحسن العسكري – عليه السلام – ولد بسر من رأى ، في ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥هـ ، وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين ، آتاه الله الحكم صبياً ، وجعله في حال الطفولة إماماً ، وغاب غيبة صغرى مدتها : أربعاً وسبعين سنة [(١)] ، وبدأت الغيبة الكبرى سنة ٣٢٨هـ ، وقيل : ٣٢٩هـ ، سنة وفاة آخر النواب ، بعدما جاء توقيع من المهدي نسخته :" بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري[(٢)] أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنك ميت ما بينك ، وبين ستة أيام ، فاجمع أمرك ، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك ، فقد وقعت الغيبة التامة ، فلا ظهور إلا أن يأذن الله ، وذلك بعد طول الأمد ، وقسوة القلوب ، وامتلاء الأرض جوراً ، وسيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة ، ألا من ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني [(٣)] والصيحة ، فهو كذاب مفتر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [(٤)].

وتبدأ المحنة بعد موت الحسن العسكري – عليه السلام – فتفترق الشيعة إلى ١٤ ، أو ١٥ ، أو ٢٠ فرقة ؛ لأنهم أصبحوا بلا إمام ، فمن قائل : أنه لم يمت ، وأنه القائم ، وأنه لا يجوز عليه الموت . وقائل : بموته . وقائل : بأن الإمامة انقطعت بموته عقيماً . وقائل : بإمامة أخيه جعفر . أما الاثنا عشرية قالوا : بأن للحسن ولداً قد أخفى الحسن مولده ، خوفا عليه من السلطان ، وبعضهم قالوا : التبس علينا الأمر ، فنحن لا ندري ما نقول [(٥)].

وقد روي عن أبي عبد الله – عليه السلام – :" القائم من ولدي يعمر عمر الخليل عشرين ومائة سنة ، يدرى به ثم يغيب غيبة في الدهر ، ويظهر في صورة شاب موفق ابن اثنتي وثلاثين سنة " [(٦)] ، وعنه أيضا :" يقوم في الناس وهو ابن ثمانين سنة – " ، وفي رواية :" وهو ابن ثلاثين سنة ، ويلبث فيها أربعين سنة "[(٧)] .

---

(١) السيد هاشم البحراني : مدينة معاجز الأئمة الاثنا عشر ودلائل الحجج على البشر جـ ٨ صـ ٧.

(٢) أبو الحسن السمري : علي بن محمد السمري ، قام بأمر البابية بعد موت النوبختي ، إلى أن توفى ٣٢٩هـ ، وقد صدر التوقيع الشريف من قبل الصاحب– عليه السلام – على يده ؛ إعلاماً بانتهاء دور النيابة الخاصة ؛ والغيبة الصغرى ، وبدأت الغيبة الكبرى ، وصار الأمر للفقهاء الذين يعبر عنهم بالنواب العامة للإمام . انظر الشيخ الطوسي: الرسائل العشر صـ ١٦ .

(٣) السفياني : قائد يعد جيشاً لحرب المهدي ، فيخسف الله به وبجيشه الأرض . انظر ابن زهرة الحلبي : غنية النزوع ، تحقيق : إبراهيم البهادري ، ط اعتماد ، نشر مؤسسة الإمام الصادق– قم ، ط١، ١٤١٧هـ هامش صـ ٦٧. الكليني : الفروع من الكافي جـ ٨ صـ ٢٠٩.

(٤) السيد هاشم البحراني : مدينة معاجز الأئمة الاثنا عشر ودلائل الحجج على البشر جـ ٨ صـ ٧–٩ بتصرف.

(٥) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ١صـ٨٢٨– ٨٢٩.

(٦) محمد إبراهيم النعماني : الغيبة صـ ١٩٥.

(٧) محمد بن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة صـ ٤٨١.

وتمسكت الاثنا عشرية بأن لله – تعالى – :" خليفة في بلاده ، قائم بأمره ، من ولد الحسن بن علي بن محمد ، أمرٌ ناهٍ ، مبلغ عن آبائه ، خلف أبيه ، ووصي له إلى أن تقوم الساعة ؛ لأن الخلافة لا تنتقل من عقب الحسن العسكري ، وإلا كان في عدم وجوده فناء الخلق ، وانقطاع أمر الله ونهيه ، ورفع التكليف عن عباده ، ولا يجوز أن تكون الإمامة في من يموت في حياة أبيه ، ولا في وصي من أخ له غيره ، حيث لم تثبت له في نفسه الإمامة في حياة أبيه ، وهذه عقيدة أجمع عليها جمهور الشيعة بلا ارتياب ؛ لصحة أسانيدها ، وثقة ناقليها[1] .

فإن الأرض إن خلت من إمام لساخت بأهلها ، حيث قال الإمام علي – عليه السلام – : إن الله لا يخلي الأرض من حجة له على خلقه ظاهراً معروفاً ، أو خافياً مغموراً ؛ لكي لا يبطل حجته وبيناته " ، وليس للعباد طلب إظهار ما ستره الله ، ولا البحث عن اسمه وموضعه ، ولا السؤال عن أمره ومكانه ، بل البحث محرم لا يحل ، والتنويه باسمه معصية ، والسكوت عن ذلك صيانة لديننا وسلامة لدماء شيعتنا "[2] .

ويجب أن يعتقد الشيعي الاثنا عشري :" أنه هو المهدي الذي إذا ظهر نزل عيسى – عليه السلام– فصلى خلفه ، ولا يجوز أن يكون القائم غيره ، بقي في غيبته ما بقي ، ولو بقي عمر الدنيا ؛ لأن الذي نصبه ، وبشر به النبي والأئمة – صلوات الله عليهم– " [3].

ومن أهم الأدلة على هذا ما جاء عن فاطمة بنت رسول الله – عليهما الصلاة والسلام – : أنها كان عندها لوح فيه أسماء الأوصياء والأئمة من ولدها ، فعددت اثني عشر اسماً آخرهم القائم من ولد فاطمة ، ثلاثة منهم محمد ، وأربعة منهم علي " [4] ، وعن أبي الحسن – عليه السلام – :" إن صاحب الأمر لا يموت حتى يرى ولده من بعده " ، وعن أبي جعفر – عليه السلام – : ولن يخرج الله ذلك العالم حتى يرى في ولده من يعلم مثل علمه أو شاء الله"[5] ، وعن أبي محمد – عليه

---

(١) علماء الجرح والتعديل عند الشيعة إذا قالوا في رجل : " إنه ثقة " لا يريدون من هذا الوصف أنه صادق من أهل العدالة ، بقدر ما يريدون أنه متعصب لمذهبهم ، مبغض للصحابة ، مجتهد في الافتراء عليهم ، وإذا تتبعت تراجم أعلام الشيعة في زمن أئمتهم ، رأيتهم بين كذابين ، وملاحدة ، وشعوبيين ، وفاسدي العقيدة ، ومذمومين من أئمتهم ، وكل ما يخطر ببالك من نقائص ، والسبب أن دينهم من أصله فاسد ، وهل يثمر الدين الفاسد إلا الفساد ؟ . الشيخ محب الدين الخطيب : الخطوط العريضة صـ ٢٩.

(٢) الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ١٠٢–١٠٤ بتصرف .

(٣) الشيخ الصدوق : الهداية صـ ٣٩–٤٥ بتصرف .

(٤) الشيخ المفيد : الإرشاد جـ ٢صـ٣٤٦. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٥٣٢.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ٢٥٠ بتصرف .

السلام – حين وُلِدَ الحجةُ : زعم الظلمة أنهم يقتلونني ليقطعوا هذا النسل ، فكيف رأوا قدرة الله ، وسماه المؤمل [١] ، وجاء عن أبي محمد – عليه السلام – : " ولم يكن لي ولدٌ ، وسأرزق ولداً " [٢] .

ومن تناقضهم أنهم قالوا : كان عمر ابنه أقل من خمس سنين بأشهر أو بسنة وأشهر [٣] ، مع أن الحسن – عليه السلام – " لم يظهر ولده – عليه السلام – في حياته ، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته " [٤] ، فلا ندري من أين جاءت هذه الأخبار !.

ويرجح أن : أول من قال بغيبة الإمام فرقة السبئية ؛ لأنها :" أول فرقة قالت بالتوقف ، والغيبة ، والرجعة ، وقالت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي [٥] ، وقيل : أن أول من وضع فكرة الغيبة هو عثمان بن سعيد العمري [٦] ، بعدما ظهر لهذا الرجل معجزات تؤيد قوله [٧] ، وكان يتلقى الأموال من الزكاة ، والخمس ؛ ليوصلها لآل البيت ، فصار باب الإمام الغائب ، ثم تبعه ابنه محمد [٨] وكيلاً ، وتبعه في الوكالة رجل يدعى ابن روح [٩] ، ثم أبو الحسن السمري .

وجوز الشيعة رؤية القائم للباب دون الوكيل [١٠] ، والفرق بين الباب والوكيل : أن الباب يلتقي بالإمام الغائب ، والوكيل يلتقي بالباب ، ولا يرى الإمام ، ويكون الواسطة بين الشيعة والباب [١١] .

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٣٠. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٥٣٢.

(٢) الطوسي : الغيبة صـ ٢٢٣.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥صـ١٠٣. الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث الإمام المهدي جـ٤صـ١٩٢.

(٤) الشيخ المفيد : الإرشاد جـ ٢ صـ ٣٣٦. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٠ صـ ٣٣٤.

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٤١. الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ١٩ – ٢٠ .

(٦) عثمان بن سعيد العمري : أبو عمرو الموثوق عندهم ، أول السفراء في زمان الغيبة ، ويقال له : السمان لأنه كان يتاجر في السمن تغطية للأمر ، وكان وكيلاً للإمامين الهادي والعسكري ، ثم المهدي ، وتبعه ابنه أبو جعفر محمد وكيلاً ، ووثقه المفيد . انظر الشيخ المفيد : المسائل الصاغية ، تحقيق : السيد محمد القاضي ، ط دار المفيد – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م صـ ٥٨ .

(٧) السيد هاشم البحراني : مدينة معاجز الأئمة الاثنا عشر ودلائل الحجج على البشر جـ ٨ صـ ٨ بتصرف.

(٨) أبو جعفر محمد عثمان بن سعيد العمري : كان وكيلاً عن المهدي بعد أبيه ، بقي حوالي ٥٠ سنة في هذا المنصب ، إلى أن توفي عام ٣٠٤ أو ٣٠٥هـ ، ووثقه المفيد . انظر الشيخ الطوسي : الرسائل العشر صـ ١٦ .

(٩) ابن روح : أبو القاسم الحسين بن روح بن بحر النوبختي : الباب الثالث لصاحب الأمر ، خرج على يديه تواقيع كثيرة ، فلما مات أبو جعفر محمد بن سعيد صارت النيابة إليه ، وكثرت غاشيته حتى كان الأمراء ، والوزراء يركبون إليه ، حتى مات ٣٢٦هـ ، ووثقه المفيد . انظر الشيخ المفيد : المسائل الصاغية صـ ٥٨ . انظر الشيخ الطوسي : الرسائل العشر صـ ١٦ .

(١٠) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٨.

(١١) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية جـ ١ صـ ٨٣٥.

ولذلك فإن بعض علماء الشيعة الاثني عشرية يردون توقيعات الغائب ، فمنهم من يقول :" لا أفتي بهذا الحديث ، بل أفتي بما عندي بخط الحسن بن علي [1] ، ويقول آخر :" فإن خط المعصوم أقوى من النقل بوسائط " [2] ، سبحان الله ! .

وقسموا الغيبة إلى : " صغرى ، وكبرى "[3] ، وجعلوا النواب عن الناحية المقدسة أربعة آخرهم السمري [4] ، وعلى هذا يكون قد انتقلت الولاية الفعلية من الإمام القائم صاحب الزمان إلى الفقهاء [5] ؛ ويبدأ عصر ولاية الفقيه الناقل عن الإمام الغائب صاحب الأمر .

وبانتهاء النيابة ظل الشيعة في حيرة من أمرهم ، كما قال علي – عليه السلام – :" يكون له غيبة تضل ... وفي أمره حيرة ، وذلك إذا فقد الباب بينه وبين شيعتنا تكون الحيرة " [6].

وأدعو القارئ المنصف أن يدقق في عبارة :" الإمامة مرتبة فوق الرسالة "[7] ، ويرى خطورتها خصوصا بعد أن يطلع على أن للأئمة نواباً متعددين ، مختلفين ، يكذب بعضهم بعضاً [8].

أما مكان غيبة الإمام المهدي فقيل : في مكان لا يعرفه غير الباب الذي رفض أن يبوح به ، وأخرج توقيعاً منه يقول : " إن عرفوا المكان دلوا عليه "[9] ، وقيل: مختبئ في جبل رضوى من جبال فارس [10]، وقيل : في بعض وديان مكة [11] ، وقال أبو محمد – عليه السلام – : بالمدينة [1] ، ويمدحها أبو عبد الله – عليه السلام – :" نعم المنزل طيبة " [2] .

---

(١) الشيخ الصدوق : من لا يحضره الفقيه جـ ٤ صـ ٢٠٣. المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٢٢ صـ ٥٦٨. الميرزا النوري : خاتمة المستدرك جـ ٣ صـ ٤٩٨. الشيخ الأميني : الغدير جـ ٣صـ ٢٨٤.

(٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٢٠ صـ ١٠٨.

(٣) وهذا الغائب الذي بقي خمس سنين في السرداب ، ثم غاب الغيبة الكبرى ، بحكم السن : يتيم ، يجب أن يحفظ له ماله حتى يؤنس منه الرشد ، ويحضنه من يستحق حضانته ، فإذا ما تم له سبع : أُمِرَ بالطهارة ؛ والصلاة ، فمن لم يتوضأ ، ولم يصل يجب الحجر على ماله ، هذا إن كان موجوداً فما بالك بالغائب . انظر عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية صـ ٥٣ بتصرف .

(٤) الفاضل الآبي : كشف الرموز ، تحقيق : الشيخ علي پناه الإشتهاردي ، الحاج آغا حسين اليزدي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ١٤٠٨هـ جـ ١ صـ ١١.

(٥) كثير من علماء الشيعة وخصوصاً في إيران لا يعرفون اللغة العربية ؛ فكيف يستنبطون الأحكام من كتاب الله وسنة نبيه ، مع العلم بأن المعرفة بالعربية هي أحد ضرورات العالم المجتهد . انظر سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق صـ ٤٣ بتصرف .

(٦) الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث الإمام المهدي – عليه السلام – جـ ٣ صـ ٦٢ بتصرف .

(٧) أحمد الرحماني الهمداني : الإمام علي بن أبي طالب صـ ٥٠٠ . السيد علي البهبهاني : مصباح الهداية في إثبات الولاية صـ ١٣٣.

(٨) د عمر كامل : رسالة إلى إخواننا الشيعة الإمامية ، ط دار الرازي – عمان – الأردن ، ط ٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م صـ ٩ بتصرف.

(٩) الكليني : أصول الكافي جـ ١صـ ٣٣٣.

(١٠) الطوسي : الغيبة صـ ١٠٣. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١٥٣.

(١١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٣٤١.

ويوفق بين هذه الآراء البعض فيقول : " وفيه دلالة على أن إقامته حال الغيبة فيها أكثر " [٣] ، حتى قال بعضهم :" ليت شعري أين استقر بك النوى ، بل أي أرض تقلك أو ثرى ، أبرضوى [٤] أم بغيرها ، أم بذي طوى[٥] ، أم في اليمن ، أم في الجزيرة الخضراء " [٦] ، وقد ورد أن مع المهدي : في غيبته ثلاثون من أوليائه ، يؤنسونه في وحدته [٧] ، والراجح : أنه في سرداب سامراء [٨] .

أما تسميته فتأتي روايات عندهم تسميه محمد ، وروايات :" لا يحل لكم ذكره باسمه " [٩] ، أو :" يكنيه قبل خروجه [١٠] .

بل قالوا :" لا يسميه باسمه إلا كافر"[١١] ؛ ولذلك جعلوا له ألقاباً منها : القائم ، الخلف ، الناحية المقدسة ، صاحب الزمان ، صاحب العصر ، صاحب الأمر [١٢].

ثم تجد فقهائهم يختلفون في حكم تسمية المهدي باسمه الحقيقي على أقوال :

القول الأول : حرمة تسميته باسمه الشريف مطلقاً من دون أي تقية : فعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" صاحب هذا الأمر لا يسميه باسمه إلا كافر " [١٣] ، وعن الصادق – عليه السلام – :" لا يحل لكم تسميته "[١٤] ، وعن المهدي – عليه السلام – :" من سماني في مجمع من الناس ، فعليه لعنة الله " [١٥] ، وعن محمد بن علي – عليه السلام – :" وتحرم عليهم تسميته " [١] .

---

(١) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٢٨.

(٢) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٤٠.

(٣) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٦ صـ ٢٢٦ – ٢٢٧.

(٤) جبل رضوى : بين مكة والمدينة ، وهو الجبل الذي يزعم الكيسانية أن محمداً بن الحنفية مقيم به . الأشعري : مقالات الإسلاميين جـ ١ صـ١٩. د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية صـ ٣٤٣ بتصرف .

(٥) محمد إبراهيم النعماني : الغيبة صـ ١٨١. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٣٤١ ، جـ ٩٩ صـ ٨٧.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠٢ صـ ١٠٨.

(٧) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٤٠.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٥ صـ ٢٥٧.

(٩) السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ٢ صـ ٤٤.

(١٠) علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث الإمام المهدي جـ ٤ صـ٢٤٠. الحر العاملي : مستدرك الوسائل جـ ١٢ صـ ٢٨٠.

(١١) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٣٣.

(١٢) سامح عباس الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية صـ ٧٥.

(١٣) الشيخ الصدوق : الإمامة والتبصرة من الحيرة ، نشر مدرسة الإمام المهدي بالحوزة العلمية – قم ، ط١ ، ١٤٠٤هـ /١٣٦٣ش صـ ١١٧. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٣٣.

(١٤) السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ٢ صـ ٤٤. الشيخ ناصر المكارم : القواعد الفقهية جـ ١ صـ ٤٩٥.

(١٥) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١١ صـ ٤٨٩. الشيخ ناصر المكارم : القواعد الفقهية جـ ١ صـ ٤٩٥.

القول الثاني : ترك التصريح بتسميته حتى يقوم ؛ فيملأ الأرض عدلاً : عن موسى بن جعفر – عليهما السلام – :" ولا يحل لهم تسميته حتى يظهره – عز وجل – فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً " [٢] ، عن أبي الحسن الثالث – عليه السلام – :" حتى يخرج " [٣] ، وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" حتى يظهر أمره " [٤] .

القول الثالث : عدم جواز ذكر اسمه تقية : عن أبي محمد – عليه السلام – :" إن دللتم على الاسم أذاعوه ، وإن عرفوا المكان دلوا عليه "[٥] ، وفي رواية :" إذا وقع الاسم وقع الطلب فاتقوا الله وامسكوا عن ذلك " [٦] ، وعن صاحب الزمان – عليه السلام – :" ملعون ملعون من سماني في محفل من الناس "[٧] ، بل لقد خافوا عليه من أولاد فاطمة ، فما بالك بغيرهم ، فعن الباقر – عليه السلام – أنه سئل عن اسم المهدي فقال :" لقد سألتني بأمر لو كنت محدثاً به أحد لحدثتك ، ولقد سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة حرصوا على أن يقطعوه بضعة "[٨] .

القول الرابع : جواز التسمية ، ومما يدل على ذلك ما روي عن الحسن العسكري أنه بعث إلى بعض من سماه شاة مذبوحة ، وقال : " هذه من عقيقة ابني م ح م د " [٩] ، وقال لجاريته :" ستحملين ولداً ، واسمه محمد وهو القائم من بعدي " [١٠] ، وسماه أمير المؤمنين فقال :" له اسمان : اسم يخفى فأحمد ، وأما الذي يعلن فمحمد " [١١] ، وعن رسول الله – ﷺ – :" ثم { م ح م د }[١٢] ،

---

(١) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٧٨. الميرزا النوري : القواعد الفقهية ج ١٢ ص ٢٨٣.

(٢) الشيخ ناصر المكارم : القواعد الفقهية ج ١ ص ٤٩٦.السيد محسن الأمين أعيان الشيعة ج ٢ ص ٥٦.

(٣) الشيخ الصدوق : الأمالي ص ٤١٩. محمد بن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة ص ١٧٦.

(٤) الشيخ الصدوق : علل الشرائع ج ١ ص ٩٨. الشيخ ناصر المكارم : القواعد الفقهية ج ١ ص ٤٩٥.

(٥) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٣٣. الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١١ ص ٤٨٧.

(٦) الشيخ الطوسي : الغيبة ص ٢٤٤. قطب الدين الراوندي : الخرائج والجرائح ج ٣ ص ١١١١.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٣. السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة ج ١٤ ص ٥٦١.

(٨) محمد بن إبراهيم النعماني : الغيبة ص ٣٠٠. السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة ج ٢ ص ٤٤.

(٩) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ج ١٥ ص ١٤١.الشيخ علي الكوراني : معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٤ ص ٢٤٢. علي يوسف الحلي : العدد القوية ، ط سيد الشهداء ، نشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ص ٧٣.

(١٠) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١١ ص ٤٩٠. الشيخ ناصر المكارم : القواعد الفقهية ج ١ ص ٥٠٠.

(١١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٥. الشيخ ناصر المكارم : القواعد الفقهية ج ١ ص ٥٠١.

(١٢) هذه الحروف يقول عنها الحلي : أنها توقيع الإمام المهدي – عليه السلام – تركه له صاحب الزمان حين أراد أن يستنسخ كتاباً ، فتعب في أثناء النسخ ونام ، فلما استيقظ ، وجد الكتاب قد نسخ بأجمعه ، وفي آخره : كتبه : (م ح م د) بن الحسن العسكري صاحب الزمان . انظر العلامة الحلي : إرشاد الأذهان ، تحقيق : الشيخ فارس حسون ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١٤١٠،١هـ ج ١ ص ١٧١. العلامة الحلي : قواعد الأحكام ج١ص ١٤٩.

سماه باسمه ، ابن الحسن المهدي الناطق القائم بحق الله " [1] ، وفي رواية :" وأكمل ذلك بابنه { م ح م د } رحمة للعالمين [2] ، وفي رواية :" اسمه أحمد ، وعبد الله ، والمهدي " [3] ، وعن الباقر – عليه السلام – :" والخلف المأمول المنتظر { م ح م د } ابن الحسن بن علي " [4] ،

الرأي الراجح : أن هذه الآراء كلها تدور على التقية والخوف حتى نجمع بين الروايات [5].

واختلفوا في مولده : فمن قائل : أنه ولد تاسع شهر ربيع الأول ٢٥٨هـ ، وقيل : في ثامن شعبان سنة ٢٥٦هـ وهو الأصح [6] ، وقيل: يوم الجمعة ليلاً ، وقيل : ضحى خامس عشر شعبان ٢٥٥هـ [7] ، وقيل: ليلة الجمعة من شهر رمضان ٢٥٥هـ [8] ، وقيل: يوم الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة ٢٥٧هـ ، قبل وفاة أبيه بسنتين وسبعة أشهر[9] ، وقيل : سنة ٢٥٢هـ [10] .

كم كان عمره حين دخل السرداب ؟ : قيل : سنتين وأربعة أشهر[11] ، وقيل: أربع سنين [12] ، وقيل: خمس سنين [13] ، وقيل : ثماني سنوات [14] ، وقيل تسع سنين ، وقيل : سبع عشرة سنة [15] ، وقيل :

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٤٢.

(٢) الشيخ وحيد الخراساني : منهاج الصالحين جـ ١ صـ ٢٠٣.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٢٩١. الشيخ على الكوراني العاملي : معجم أحاديث المهدي جـ ١صـ ٤٥٣.

(٤) الشيخ الصدوق : الإمامة والتبصرة صـ ٢.

(٥) الشيخ ناصر مكارم :القواعد الفقهية جـ ١ صـ ٢٩٤ – ٥٠١ بتصرف .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٢٤. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٢٩. الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٣ صـ ١٢٠ – ١٢٢. ابن خلكان : وفيات الأعيان : جـ ٤ صـ ١٧٥-١٧٦.

(٧) الشهيد الأول : الدروس جـ ٢صـ ١٦ . الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٢٠ صـ ١٠٠.

(٨) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٧ صـ ٤٤٠.

(٩) الفتال النيسابوري : روضة الواعظين صـ ٢٢٦. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٣٧ . الشيخ المفيد : الفصول المختارة ، تحقيق : مير علي شريفي ، نشر دار المفيد – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ صـ ٣٢٤.

(١٠) الشريف الرضي : الفصول المختارة ، تحقيق : السيد نور الدين جعفريان الأصبهاني ، وآخرون ، نشر دار المفيد – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م صـ ٣١٨.

(١١) ابن حاتم العاملي : الدر النظيم ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، دت صـ ٧٥٣ .

(١٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٢٤.

(١٣) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٧ صـ ٤٤٠. الفتال النيسابوري : روضة الواعظين صـ ٢٢٦. الماحوزي : الأربعين صـ ٢٢٧.

(١٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٧ صـ ٢٠. الشريف الرضي : الفصول المختارة صـ ٣١٨.

(١٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٢٤.

: بعد مولده بثلاثة أيام [1] ، وقيل : بعد أربعين يوماً [2] ، وقيل : صار رجلاً في شهور وغاب [3] .

بل اختلفوا في اسم أمه : فمن قائل : أنها صقيل ، أو نرجس ، أو مريم بنت زيد العلوية [4] ، وقيل : نرجس بنت يشبوعا بن قيصر ملك الروم ، وأمها بنت شمعون الصفا وصي عيسى – عليه السلام – [5] ، وقيل : مليكة بنت يشوعا بن قيصر [6] ، وقيل : ريحانة [7] ، وقيل : سوسن [8] ، وقيل : خمط [9] ، والله أعلم .

ويختلفون في موت أمه : فعن جارية للحسن العسكري – عليه السلام – :" إن أم المهدي ماتت في حياة أبي محمد ، وعلى قبرها لوح مكتوب عليه هذا قبر أم محمد – عليه السلام – " [10] ؛ وقيل : أنه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر إليه [11] .

وهل ولد قبل وفاة أبيه أم بعدها : قيل : ولد للحسن ولدٌ بعد وفاته بثمانية أشهر [12] ، وقيل : وإنه يجوز أنها تبقى مائة سنة حاملا به ، فإذا ولدته أظهرت ولادته " [13] ، ومن العجيب : أن نرجس لم يكن بها أثر حبل حتى يوم ولادتها للحجة ؛ حتى إنها سُئلت عن ذلك ؛ فقالت :" يا مولاتي ما أرى شيئا من هذا ، حتى طلع الفجر ، فوثبت ، وقالت :" ظهر بي الأمر الذي أخبرك به أبو محمد

---

(١) الطوسي : الغيبة صـ ٢٣٧. هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٨ صـ ٣١ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٥ صـ ١٨.

(٢) الطوسي : الغيبة صـ ٢٣٩ – ٢٤٠. محمد بن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة صـ ٥٠١. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٢٠. عباس القمي : الأنوار البهية في تواريخ الحجج البهية ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط ١ ، ١٤١٧هـ صـ ٣٣٧.

(٣) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٤٢٩ بتصرف .

(٤) الشهيد الأول : الدروس جـ ٢صـ ١٦ . الشيخ الجواهري : جواهر الكلام جـ ٢٠ صـ ١٠٠.

(٥) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٧ صـ ٤٤٠ . الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٤١٧-٤١٨.

(٦) القتال النيسابوري : روضة الواعظين صـ ٢٥٢.

(٧) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٤٣٢.

(٨) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٦ صـ ٢٢٨.

(٩) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٢٤.

(١٠) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٤ صـ ١٣٨. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٢ صـ ٨٦٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٩ صـ ٤٧. الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٨ صـ ٣٧٦.

(١١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٢٤.

(١٢) النعماني المغربي:شرح الأخبار جـ ٣صـ ٣١٤. علي العاملي: الصراط المستقيم جـ ٢ صـ ٢٧٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٧ صـ ٢٢.

(١٣) الشريف الرضي : الفصول المختارة صـ ٣٢٠.

مولاي " [١] . فولدت من يومها ، وعن الباقر – عليه السلام – :" لا تزالون تمدون أعناقكم إلى الرجل منا تقولون : هذا هو ، فيذهب إلى ربه ، حتى يبعث الله لهذا الأمر من لا تدرون ولد ؟ أم لم يولد ؟ خلق ؟ أم لم يخلق ؟ [٢].

كيف نشأ : روي عن أبي الحسن – عليه السلام – :" إنا معاشر الأوصياء ننشأ في اليوم مثلما ينشأ غيرنا في الجمعة " ، وفي رواية :" إن الصبي منا إذا أتى عليه الشهر كان كمن أتى عليه سنة "، وفي رواية :" إنا معاشر الأئمة ننشأ في اليوم كما ينشأ غيرنا في السنة " [٣].

بل اختلفت الشيعة فيمن هو المهدي : فمن قائل : الإمام علي [٤] ، ومن قائل : أبو القاسم محمد بن الحنفية [٥] ، وقائل : أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية [٦] ، وقائل : عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار [٧] ، وقائل : محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية [٨] ، وقائل : الباقر [٩] ، وقائل : جعفر الصادق [١٠] ، وقائل : إسماعيل بن جعفر الصادق[١١] ، وقائل : الكاظم [١٢] ، وقائل : محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين ، وقائل : يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين [١٣] ، وقائل : الهادي ، وقائل : الحسن العسكري[١٤]

---

(١) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٤٢٧. القتال النيسابوري : روضة الواعظين صـ ٢٥٨.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ١٣٩. محمد إبراهيم النعماني : الغيبة صـ ١٨٨.

(٣) الشيخ الطوسي : الغيبة صـ ١٥٩ – ١٦٠.

(٤) نقل هذا القول عن السبئية الشيخ المفيد : الفصول العشرة هامش صـ ١٠٩. الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٤١.

(٥) نقل هذا الاعتقاد عن الكيسانية ابن إدريس الحلي : السرائر صـ ١٦٢. الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٢١.العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٣ صـ ٣٠٢.السيد علي الطباطبائي : رياض المسائل جـ ٩ صـ ٣٢٥. وعن الكربية السدي علي خان المدني الشيرازي : رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين جـ ١ هامش صـ ١٨٩.

(٦) نقل هذا الاعتقاد عن الهاشمية الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٢٥.الشريف المرتضى : الفصول المختارة صـ ٢٩٧.

(٧) نقل هذا الاعتقاد عن الحربية الأشعري القمي : المقالات والفرق صـ ٤٤ .

(٨) نقل هذا الاعتقاد عن المغيرية الميرزا النوري : خاتمة المستدرك جـ ٥ صـ ٣١٦.وعن بعض الجارودية الشيخ المفيد : المسائل الجارودية صـ ١١ .قطب الدين الراوندي : الخرائج والجرائح جـ ١ هامش صـ ٢٧٥.

(٩) نقل هذا الاعتقاد عن الباقرية الشهرستاني : الملل والنحل صـ ١٣٥ .

(١٠) نقل هذا الاعتقاد عن الناووسية المحقق الأردبيلي : مجمع الفائدة جـ ٩ هامش صـ ٣٩١. السيد محمد صادق الروحاني : فقه الصادق جـ ٢٦ صـ ١٣٨. الشيخ المفيد : الفصول العشرة هامش صـ ٤٩. الشريف المرتضى : الفصول المختارة صـ ٣٠٥.

(١١) نقل هذا الاعتقاد ولم ينسبه عدة محدثين : الأصول الستة صـ ٤٩.وعن الإسماعيلية الشيخ المفيد : الفصول العشرة صـ ١٠٩.

(١٢) نقل هذا الاعتقاد عن الفطحية النعماني المغربي : شرح الأخبار جـ ٣ صـ ٣١٠. القطعية المفيد: الفصول العشرة هامش صـ ٤٨.

(١٣) نقل هذا الاعتقاد عن بعض الجارودية الشيخ المفيد : المسائل الجارودية صـ ١١ .

(١٤) نقل هذا الاعتقاد ولم ينسبه الشريف المرتضى : الفصول المختارة صـ ٣١٩.

، وقائل : محمد بن إسماعيل بن جعفر [1] ، قائل : محمد بن علي العسكري أخو الحسن العسكري [2] .

والسؤال الآن : لما اختلفوا في تحديد هوية المهدي [3] هذا الخلاف ؟ وهل يكفر من لم يؤمن به ؟ .

وعن سبب غيبته يقول أبو عبد الله – عليه السلام –:" إن للقائم غيبة قبل أن يقوم ، فقيل له : ولم؟ قال : إنه يخاف – وأومأ إلى بطنه – يعني القتل "[4] .

وقد طالت مدة غيبته برغم أن الإمام علي – عليه السلام – أخبر أنه سيغيب ستة أيام ، أو ستة أشهر ، أو ستة سنين [5] ، وقيل : سبعين سنة ، وقيل : مائة وأربعين سنة ، وقيل: أمد غير معين [6] ، وقيل : إن الله تعالى اشتد غضبه على أهل الأرض فأخره [7] ، ثم قالوا :" كذب الوقاتون إنا أهل بيت لا نوقت " [8] ، فأين علم الغيب هنا ؟ ! .

والسؤال: لماذا استمرت الغيبة رغم ظهور بعض الدول الشيعية كالعبيدية [9] ، والبويهية [10] ، والصفوية [1] ، ومن آخر ذلك دولة إيران المعاصرة ، والشيعة يستطيعون نصرته ، وحمايته في دولتهم ، وأعدادهم بالملايين ، وهم يفدونه بأرواحهم صباح مساء ! [2].

---

(١) نقل هذا الاعتقاد عن الإسماعيلية الخوئي: مصباح الفقاهة جـ ١ صـ ٤٣. وعن الباطنية الميرزا النوري:خاتمة المستدرك جـ ١صـ ١٣٤.

(٢) نقل هذا الاعتقاد عن المحمدية الشيخ الطوسي : الغيبة صـ ١٩٨ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٢١١.

(٣) د عمر عبد الله كامل : رسالة إلى إخواننا الشيعة الإمامية صـ ٩٢.

(٤) وكيف يقولون ذلك : وهم يعتقدون أن الأئمة يعلمون متى وكيف يموتون ، ولا يموتون إلا باختيار منهم . انظر الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٢٥٨.المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ صـ ٢٨٥. الشيخ الأميني : الغدير جـ ٥ صـ ٥٢.

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٣٨.

(٦) الطوسي : الغيبة صـ ٢٦٣. الكليني : الكافي جـ ٦ صـ ٣١٤.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ١١٧. الكليني : أصول الكافي جـ١ صـ ٣٨٦. الطوسي : الغيبة صـ ٢٦٣.

(٨) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٤٨٣. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٦٨.

(٩) الدولة العبيدية { الفاطمية – العلوية – الباطنية } : حكموا مصر والمغرب والشام ، أول خليفة منهم بالمغرب المهدي عبيد الله سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م ، وآخرهم : العاضد لدين الله ، خُلِعَ على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م ومات بها ، وأقيمت الدعوة العباسية بمصر ، قال الذهبي : فكانوا أربعة عشر متخلفاً ، لا مستخلفاً . انظر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط مطبعة السعادة – القاهرة ، ط١ ، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م صـ ٤٥٠. الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢٩ صـ ١٩٥.

(١٠) الدولة البويهية {الديلمية } : حكموا العراق وبعض ما وراء النهر إلى خراسان من عام ٣٣٤هـ / ٩٤٩م ، أول ملوكهم عماد الدولة بن بويه ، وآخرهم عز الدولة بن جلال الدولة أبي طاهر، مات ٤٤١هـ ، قال ابن كثير في حوادث سنة ٣٤٧هـ : وقد امتلأت البلاد رفضاً ، وسباً للصحابة من بني بويه ، ثم استطاع طغرل بك – الزعيم السلجوقي – أن يسقط الدولة البويهية عام ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م في بغداد ، وأزال من على أبواب المساجد سب الصحابة ، وقتل شيخ الروافض أبي عبد الله الجلاب لغلوه في الرفض . انظر ابن القلانسي : تاريخ دمشق ، تحقيق : د سهيل زكار ، نشر دار حسان– دمشق ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م صـ ١٩. د عَلي الصَّلاَّبي : الدولة العُثمانية ، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١م جـ ٢ صـ ٢٠١.

صورة المهدي عند خروجه : من التناقضات : أن بعض الروايات تقول : أنه يظهر على أي صورة شاء [٣] ، وفي رواية :" يظهر في صورة شاب موفق ابن اثنين وثلاثين سنة " ، وفي رواية :" وهو ابن إحدى وخمسين سنة " ، وفي رواية :" ابن ثلاثين سنة " [٤].

وهناك نظريات بنيت لتبرر هذه الغيبة منها : نظرية الحكمة المجهولة في الغيبة ، كما قال الصادق – عليه السلام – :" إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره [٥] ، وأنه أمر من أمر الله ، وسر من سر الله ، وغيب من غيب الله "[٦] ، ومنها : نظرية التمحيص ؛ كما قال أبو جعفر – عليه السلام – :" والله لتميزن ، والله لتمحصن ، ووالله لتغربلن "[٧] ، ومنها : نظرية الخوف ، والتقية [٨] والرجعة .

ووعدوا من صدق بهذه الغيبة بأمور منها :" أقرب ما يكون العباد من الله – جل ذكره – وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجة الله – جل وعز – ولم يظهر لهم ، ولم يعلموا مكانه ، وهم في ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجة الله – جل ذكره – ولا ميثاقه ، فعندها فتوقعوا الفرج صباحا ومساءً "[٩] ، وما أعظم مدح الشيعة في زمن الغيبة [١٠] ، فعن النبي – ﷺ – :" أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله "[١١] ، يعنون بذلك : خروج منتظرهم[١] ، وقال – ﷺ – للصحابة :" سيأتي قوم من بعدكم ،

---

(١) الدولة الصفوية الرافضية : عاصرت الدولة العثمانية ، وكانت تدعي الإسلام ، وهي دولة على مذهب الإمامية ، وكانت تغالي في الرفض ، حتى إنها حاربت الدولة العثمانية ؛ لأنها منسوبة إلى السنية أشد الحرب بتحريض من الصليبيين ، واستجابة لمعتقدهم الفاسد ، وكان من الطبيعي أن يتصدى لتلك الدعوة السلطان سليم زعيم الدولة العثمانية ، فأعلن عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م أن إيران بحكوماتها الشيعية يمثلان خطراً جسيماً ، لا على الدولة العثمانية ؛ بل على العالم الإسلامي كله ، وأنه لهذا يرى الجهاد المقدس ضد الدولة الصفوية ، ثم قام بمهاجمة إسماعيل سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م ، التي انهزم فيها الفرس هزيمة ساحقة أمام الجيش العثماني ، وكان الشاه إسماعيل عندما دخل العراق بذبح السنيين ، ودمر مساجدهم ، ومقابرهم . د عَلي الصَّلاَّبي : الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا – مكتبة الصحابة الشارقة – الإمارات ، مكتبة التابعين – القاهرة – ، ط١ ، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م صـ ١٨. د عَلي الصَّلاَّبي : الدولة العُثمانية صـ ١٧٧ – ١٨٤.

(٢) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق صـ ٢٥ بتصرف .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٧.

(٤) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق صـ ٧٠ – ٧١ بتصرف نقلا عن كتاب تاريخ ما بعد الظهور .

(٥) الشيخ الطبرسي : الاحتجاج جـ ٢ صـ ١٤٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٩١.

(٦) الشيخ الصدوق : علل الشرائع جـ ١ صـ ٢٤٦.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ١١٤. الشيخ علي الكوراني : معجم أحاديث الإمام المهدي جـ ٣صـ ٢١٥.

(٨) د عمر عبد الله كامل : رسالة إلى إخواننا الشيعة الإمامية صـ ٥٣ – ٥٤.

(٩) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٣٣. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ١٤٥.

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ١٢٢-١٥٠ .

(١١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ١٢٢.

الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم ، قالوا يا رسول الله : نحن كنا معك ببدر ، وأحد ، وحنين ، ونزل فينا القرآن ، فقال : إنكم لو تحملوا ما حملوا ، لم تصبروا صبرهم "[٢] ، وغاب عنهم أنهم يكفرون الصحابة [٣] ، أم يقصدون الذين لم يرتدوا ؟ فهم لا يكملون العشرة ! .

حكم منكر عقيدة غيبة المهدي المنتظر : حكموا بأحكام عدة منها : حكم أبو عبد الله – عليه السلام –: أن منكر الغيبة يشبه الخنازير ، وأن الأمة ملعونة بسبب إنكارها للغيبة [٤] ، وحكم رسول الله – ﷺ – :" من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني " [٥] ، وعنه أيضا :" مات ميتة جاهلية "[٦] ، وعن الصادق – عليه السلام –:" مثل إبليس في امتناعه من السجود لآدم " [٧] .

ماذا سيفعل القائم إذا خرج ؟ الإجابة بإذن الله في فصل الرجعة .

متى يخرج القائم ؟ : المعروف : في آخر الزمان ، وقيل : يكون في عهد بني أمية :" إذا قام القائم : بعث إلى بني أمية بالشام ، فيهربون إلى الروم ، ويتنصرون ، ثم يسلمهم الروم لجند القائم ، فيقتلونهم بالسيف [٨] . بالتأكيد حين يعقد مع الروم صفقة تبادل الأسرى ، أو معاهدة سلام .

وما حال الشيعة بعد غيبته ؟ يعترف الصدوق المتوفى (٣٨١هـ) ، فيقول :"رجعت إلى نيسابور وأقمت بها ؛ فوجدت أكثر المختلفين إليَّ من الشيعة قد حيرتهم الغيبة ، ودخلت عليهم في أمر القائم الشبهة ، وعدلوا عن طريق التسليم " [٩] . فما بالنا بالشيعة الآن !.

وقيل لجعفر الصادق – عليه السلام – :" تأملت في مولد قائمنا ، وغيبته ، وإبطاؤه ، وطول عمره ، وبلوى المؤمنين من بعده في ذلك الزمان ، وتولد الشكوك في قلوب الشيعة من طول غيبته ، وارتداد أكثرهم عن دينهم ، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم " [١٠] .

---

(١) سامح عباس الغنيمي: عقائد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية صـ ٧٨.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ١٣٠.

(٣) سامح عباس الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية صـ ٧٩.

(٤) محمد بن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة صـ ٥٣١ بتصرف .

(٥) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٤١٢، صـ ٣٩٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٧٣.

(٦) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٤١٣. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٧٣.

(٧) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ١٣. سامح عباس الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية صـ ٧٩.

(٨) يقول الميرزا أبو الحسن الشعراني : الظاهر منه أن القائم يظهر في ملك بني أمية ، لكن زالت دولتهم بظهور العباسيين ، ولم يظهر القائم ؛ فحمله الشارح على الرجعة ، ولولا ذلك لوجب طرح الرواية ، والحكم بكونها موضوعة من بعض بني أمية ، أو يقال : وَهِمَ الراوي ، لكن الشارح تحرز من طرح الرواية . مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٦ صـ ١٠٢–١٠٣ بتصرف .

(٩) الشيخ الصدوق : الأمالي صـ ٨ . الشيخ الصدوق : الهداية هامش صـ ١٠٩. الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٢.

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٢٢٠. الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين جـ ٣ صـ ١٤٤.

ونتساءل كيف يعيش القائم هذا العمر المديد بلا موت؟ فيرد الرضا – عليه السلام – حين قيل له :" قوم قد وقفوا على أبيك يزعمون أنه لم يمت ؟ قال : كذبوا ، وهم كفار بما أنزل الله – عز وجل – وعلى محمد – ﷺ – ولو كان الله يمد في أجل أحد من بني آدم لحاجة الخلق إليه ؛ لمد الله في أجل رسول الله – صلى الله عليه وآله – [1].

ويعترفون بنجاح المهدي – عليه السلام – في مهمته في الحين الذي فشلت كل الأنبياء حتى محمد – ﷺ – فيقول الخميني :" لقد جاء الأنبياء جميعاً من أجل إرساء قواعد العدالة في العالم ، لكنهم لم ينجحوا حتى النبي محمد – ﷺ – خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية لم ينجح في ذلك ، وإن الشخص الذي سينجح في ذلك هو المهدي المنتظر " [2] .

نقد عقيدة الغيبة : يؤكد جعفر الصادق – عليه السلام – وجود المهدي فيقول :" لا يكون الإمام إلا وله عقب ، إلا الإمام الذي يخرج عليه الحسين بن علي فإنه لا عقب له" [3] .

وينقضه : أن الثابت لدى كثير من الشيعة أن الإمام الحسن العسكري " توفى ولم ير له خلف ، ولم يعرف له ولد ظاهر ، فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه [4] ، وروي أن جعفر أخو الإمام الحسن العسكري ذهب بعد وفاة أخيه الحسن إلى بيت الحسن ، وجاء بنساء يعرفن الحمل ، ودخلن إلى جواري ، ونساء الحسن العسكري للتأكد من الحمل ، فثبت عنده براءتهن من الحمل ، فقسم ميراثه بينه وبين أمه [5] ؛ فلما فعل ذلك شنع الشيعة عليه وقالوا :" ليس معصوماً عن الكذب والخطأ ؛ لأنه ليس إماماً " [6] ، ولقبوه بجعفر الكذاب [7] ، بل وأنكر المولود بنو عمه ، وأهله [8] . ويدللون بأن الحسن العسكري أوصى إلى أمه أن تنظر في أوقافه وصدقاته ، وأشهد على ذلك وجوه الدولة [9] . وإذا بالشيعة يقولون فعل ذلك تقية وخوفا من السلطان [1] .

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٨ صـ ٢٦٥. الشيخ عزيز الله عطاردي : مسند الإمام الرضا جـ٢ صـ ٤٦١.

(٢) مقطع من خطاب ألقاه الخميني ، بمناسبة ذكرى مولد المهدي في ١٥ شعبان ١٤٠٠هـ ، وأذيع في راديو طهران ، ونشرته صحيفة الرأي العام الكويتية : عدد ١٧ شعبان ١٤٠٠هـ ، ومجلة المجتمع الكويتية : عدد ٤٨٨ بتاريخ ١٩٨٠/٧/٨م ، واستنكرته جريدة المدينة بالمملكة العربية السعودية : عدد ٤ رمضان ١٤٠٠هـ . انظر : سامح عباس الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية صـ ٨٣.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ٥١ ، جـ ٥٣صـ ٧٥.

(٤) السيد النوبختي : فرق الشيعة صـ ٩٧.

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٥٠٥ .

(٦) الطوسي : الغيبة صـ ٧٥.

(٧) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٣١٢.

(٨) المصدر السابق صـ ٤٥١.

(٩) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٥٠٥.

وادعى رجل في عهد الخليفة المقتدر [2] أنه محمد بن الحسن العسكري ، فجمع الخليفة مشايخ آل أبي طالب ، وسألهم عن ذلك ؛ فقالوا : لم يعقب الحسن ، فعوقب هذا الدعي عقابا شديدا [3] .

وفي ظني أن الهدف من غيبة الإمام هو نقل الإمامة لفقهاء المذهب كما قال الخميني :" في عصر غيبة ولي الأمر وسلطان العصر – عجل الله فرجه الشريف – يقوم نوابه وهم الفقهاء الجامعون لشرائط الفتوى ، والقضاء مقامه في إجراء السياسات وسائر ما للإمام – عليه السلام – إلا البداءة بالجهاد [4].

مختصر عقيدة المهدي عند أهل السنة والجماعة : الاسم : محمد بن عبد الله ، الشهرة : المهدي ، مولده : المدينة المنورة ، مهاجره : بيت المقدس ، عمره وقت ظهوره : أربعون سنة ، ظهوره : في آخر الزمان عند فساد الناس ، أعماله : يملأ الأرض عدلاً ، ويسير على السنة ، ولا يترك سنة إلا أقامها ، ولا بدعة إلا أزالها ، ويؤلف بين قلوب أمة الإسلام ، مكثه في الدنيا بعد ظهوره : سبع سنين ، أو ثماني ، أو تسع سنين ، فيها يخرج الدجال ، فيأوي المهدي وأتباعه إلى بيت المقدس ويعصمهم الله من فتنته ، ثم ينزل عيسى – عليه السلام – من السماء فيلحق بالمهدي – عليه السلام – ، ويقتلا الدجال[5] [6] .

ثاني مراحل الرجعة : عقيدة النيابة عن الإمام المهدي :

---

(١) الطوسي : الغيبة صـ ٧٥.

(٢) المُقْتَدِرُ بِاللهِ : أَبُو الفَضْلِ جَعْفَرُ بنُ المُعْتَضِدِ بِاللهِ أَحْمَدَ ، الخَلِيْفَةُ العَبَّاسِيُّ ، ولد ٢٨٢هـ / ٨٩٥م ، بُوْيِعَ بَعْدَ أَخِيْهِ المُكْتَفِي سَنَةَ ٢٩٥هـ ، وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَمَا وَلِيَ أَحَدٌ قبله أَصغر مِنْهُ ، وَانخرم نظَامُ الإِمَامَةِ فِي أَيَّامه ، وَصَغُر منصِب الخِلاَفَة ، وَقَدْ خُلع فِي أَوَائِل دَوْلته ، وَبَايَعُوا ابْنَ المُعْتَز ، ثُمَّ لَمْ يتمَّ ذَلِكَ . وَقُتِلَ ابْنُ المُعْتَزّ ، وَجَمَاعَةٌ ، ثُمَّ إِنَّهُ خُلِع ثَانياً فِي سَنَةِ ٣١٧هـ ، وَبَذَلَ خَطَّه بعزلِ نَفْسه ، وَبَايَعُوا أَخَاهُ القَاهرَ ، ثُمَّ بَعْد ثَلاَثٍ ، أُعيد المُقْتَدِرُ ، ثُمَّ فِي المرَّة الثَّالِثَة قُتل سنَةَ ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م ، وفي عهده أَقبل أَبُو طَاهِرٍ القِرمطِي ، وَوَضَعَ السَّيْفَ بِالحَرَم ، وَاقتلعَ الحجرَ الأَسود ، وَعَاشَ ثَمَانياً وَثَلاَثِيْنَ سنة . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٥ صـ ٤٣ – ٥٦.

(٣) أبو جعفر الطبري : تاريخ الطبري جـ ١٣ صـ ٢٦.

(٤) السيد الخميني : تحرير الوسيلة جـ ١ صـ ٤٤٣ .

(٥) اللجنة العلمية بجمعية الترتيل : الشيعة في ميزان الشريعة صـ ١٦ بتصرف .

(٦) إذا انتهى الدجال إلى بيت المقدس حاصره . والمهدي وأعوانه يغلقون الأبواب ، ويضيق الحال على المسلمين ، ولا يستطيعون أن يصلوا قياماً إلا المهدي فإنه يصلي قائماً ، فينزل عيسى – عليه السلام – صبيحة يوم الجمعة ، حين تقام الصلاة ، فإذا فرغ منها يقول : افتحوا الباب ، فيفتح له فيخرج هو والمهدي والمسلمون ، فإذا رآه عدو الله هرب وذاب كما يذوب الملح في الماء ، ، فإذا قتله يملك الأرض أربعين سنة إماماً عادلاً ، مستناً بسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – ويحل الرخاء والبركة ثم يموت عيسى – عليه السلام – ويصلي عليه المسلون ، ثم تتوالى علامات الساعة . القاضي الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٢ صـ ٧٠ – ٧١ .

في أثناء غيبة القائم :" تخاطبه الملائكة ، والمؤمنون ، والجن ، ويخرج أمره ونهيه إلى ثقاته ، وولاته ، ووكلائه ، ويقعد ببابه محمد بن نصير النميري – أول نوابه – في يوم غيبته [1] .

وهذه هي المرحلة الأولى من ولاية الفقيه : مرحلة السفراء والنواب عن الإمام الغائب في الغيبة الصغرى ، فكانوا هم الواسطة بين الإمام والناس في تبليغ الأحكام [2].

ومن العجيب أن يقبلوا أقوال السفراء والنواب وهم بإجماع الشيعة ليسوا بمعصومين مثل الإمام ، ويقبلون الأحكام التي تأتي بتوقيع من المهدي عن طريقهم ، ثم يلعنون من ادعى البابية كذباً مثل الشريعي [3] ، ومحمد بن نصير النميري [4] ، وأحمد بن هلال الكرخي [5] ، وأبو طاهر [6] ، والحسين بن منصور الحلاج [7] ، وابن أبي العزاقر [1] ، وغيرهم .

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٦.

(٢) بعد انقطاع سلسلة الإمامة ، وغيبة الإمام المهدي ، فليس لفقيه ، ولا لسيد ، ولا لمجتهد حق في الخمس ، ولهذا ادعى أكثر من عشرين شخصا النيابة ، من أجل أن يأخذوا الخمس ليسلمه للحجة . انظر د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ صـ ٦١ بتصرف .

(٣) الشريعي : من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد ، ثم الحسن بن علي – عليهم السلام – ، وكان يكنى : أبا محمد ، كذب على الأئمة ، وقال عنهم ما لم يقولوه ، فلعنته الشيعة ، وتبرأت منه ؛ بناء على خروج توقيع من الإمام بلعنه ، وظهر منه الكفر والإلحاد ، انظر الطوسي : الغيبة صـ ٣٩٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٣٦٧.

(٤) محمد بن نصير النميري : من أصحاب أبي الحسن محمد بن علي – عليهما السلام – ، فلما توفي أبو محمد ، ادعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان ، ففضحه الله بما ظهر منه من الكفر والجهل ، ولعنه أبو جعفر ، وتبرأ منه ، وكان قد ادعى ذلك بعد الشريعي ، ثم ادعى النبوة ، وإن علياً أرسله ، وقال : بالتناسخ ، وأن الحسين هو الرب ، وإباحة المحارم ، وتحليل نكاح الرجال ، ونقل عن بعضهم : أنه كان يفعل ذلك عافانا الله . انظر الطوسي : الغيبة صـ ٣٩٨. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٣٦٧ .

(٥) أحمد بن هلال الكرخي : من أصحاب أبي محمد – عليه السلام – اجتمعت الشيعة على وكالة محمد بن عثمان في حياة الحسن ، ولما مضى الحسن قالت الشيعة للكرخي : ألا تقبل وكالة أبي جعفر بعد أبيه ، وقد نص الإمام المفترض عليه ، فقال : لم أسمعه ينص عليه بالوكالة ، ولا أنكر أباه ، ولا أجسر على القطع لأبي جعفر أنه الوكيل ، فقالوا : قد سمعه غيرك ، فقال : أنتم وما سمعتم ، فلعنه الشيعة وتبرءوا منه ، وقد جاء لعنه في كتاب ابن روح بتوقيع المهدي . انظر الطوسي : الغيبة صـ ٣٩٩. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٣٦٨.

(٦) أبو طاهر : محمد بن علي بن بلال ، جمع مالا بحجة أنها للقائم ، فجاءه أبو جعفر ، وقال : نشدتك الله : ألم يأمرك صاحب الزمان أن تسلم الأموال لي ؟ فقال : نعم ، فقيل له : من أين رأيت القائم ؟ قال : أدخلني أبو جعفر إلى بعض دوره ، فأشرف عليّ من علو داره ، وأمرني بتسليم المال إليه ، فقيل له : ومن أين علمت أنه القائم ؟ قال : من الهيبة والرعب الذي أخذني ، ثم امتنع عن دفع المال لأبي جعفر ، فلعنته الشيعة ، ووقع لعنه من القائم في أحد توقيعاته . الطوسي : الغيبة صـ ٤٠٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٣٦٩.

(٧) الحسين بن منصور الحلاج : لما أراد الله أن يظهر فضيحته ، ويخزيه بعث إلى أبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي يستدعيه ؛ ليحتال عليه ، وذلك لقدر أبي سهل عند الناس ، وقال له : أنا وكيل صاحب الزمان ، وأمرني بمراسلته ، فقال له أبو سهل : إني سائلك سؤالا

والغريب أن كل من الأبواب الصادقين ، والكاذبين أخرج توقيعاً ، وادعى صدقه فيه ، فما ندري ما هو المعيار في ذلك ؟ أم كان عندهم من أحد الأئمة صورة مخطوطة من خط المعصوم ورثها لهم ؟ ، أم كان هناك خبراء خطوط يميزون الصحيح من المزور ؛ بناء على رقعة مؤكدة أنها بخط المهدي الغائب الذي لم يره أحد ، ولا يقر الإمامية الاثنا عشرية أن أحداً اتصل بالإمام في عهد الغيبة الصغرى غير هؤلاء النواب الأربعة (٢).

وبعد وفاة النائب الرابع انقطعت البابية ، وأخرجوا توقيعاً منسوبا للإمام يقول :" أما الوقائع الحادثة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنهم حجتي عليكم ، وأنا حجة الله " (٣) .

وهذه هي المرحلة الثانية : وهي ولاية المحدث المجتهد فعقديتهم في " المجتهد الجامع للشرائط : أنه نائب للإمام في حال غيبته ، وهو الحاكم والرئيس المطلق له ما للإمام ، والراد عليه كالراد على الإمام ، والراد على الإمام كالراد على الله تعالى ، وهو على حد الشرك بالله ، وذلك من مختصاته لا يجوز لأحد أن يتولاها دونه إلا بإذنه ، كما لا تجوز إقامة الحدود والتعزيرات(٤) إلا بأمره وحكمه ، ويرجع إليه في الأموال التي هي من حقوق الإمام ومختصاته ! (٥) .

وكان أول من تحدث عن تفويض الفقهاء والمحدثين في إقامة الحدود في عصر الغيبة هو الشيخ المفيد في كتابه المقنعة (٦) ، وأول من استخدم مصطلح النيابة عن ولي الأمر هو أبو الصلاح

يسيراً : أني كبرت ، وشاب شعري ، وأني أخضبه بالحناء لأخفي الشيب ، هل يمكنك أن تغنيني عن الخضاب ؟ وتجعل لحيتي سوداء ، فألجمه فلم يرد ، فصار أضحوكة . انظر الطوسي : الغيبة صـ ٤٠١- ٤٠٣ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٣٧٠.

(١) ابن أبي العزاقر: أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني العزاقري ، كان وجيهاً عند بني بسطام بسبب تزكية الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح له ، فكان يكذب ، وينسبه لأبي القاسم ؛ فيقبل الناس قوله ، حتى انكشف ذلك لأبي القاسم فأنكره ، ونهى بني بسطام عن كلامه ، وأمرهم بلعنه ، والبراءة منه ، فأظهروا الكتاب له ؛ فخاف ، ومرغ وجهه بالتراب ، وقال لهم : اكتموا عليَّ الخبر ، ثم قال : باتحاد الله به ، وأن الله خلق سبع عوالم ، وسبع أوادم ، ثم ظهر التوقيع من صاحب الزمان بلعنه ، قتل ٣٢٢ ، وقيل : ٣٢٣هـ ببغداد . انظر الطوسي : الغيبة صـ ٤٠٣ – ٣٠٧ بتصرف. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ صـ ٣٧١-٣٧٤ ، جـ ٥٣ صـ ١٥٠ بتصرف.

(٢) محمد مهدي شمس الدين : أنصار الحسين ، نشر الدار الإسلامية – طهران ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ صـ ١٧١ بتصرف .

(٣) الطوسي : الغيبة صـ ١٧٧ . الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٢٧ صـ ١٤٠. الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٤٨٤.

(٤) التعزير : عقوبة غير مقدرة حقا لله تعالى أو العبد وسببه ما ليس فيه حد من المعاصي الفعلية أو القولية فهو تأديب دون الحد ، وأكثر التعزير تسعة وثلاثون سوطا عند أبي حنيفة ، للقاضي الخيار في التعزير بغير الضرب كاللطم والتعريك والكلام العنيف والشتم غير القذف ، ثم اعلم أن الحدود تندرئ بالشبهات والتقادم والتعزير لا يتقادم . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ١ صـ ٢٢١ – ٢٢٢.

(٥) محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية الاثني عشرية صـ ٥٧ .

(٦) د إيمان العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية صـ ٣٤٧ .

الحلبي [1] في مجال القضاء والحدود بتحقيق الشروط في الفقيه النائب [2] ، ثم تطور الأمر بعد ذلك إلى القول بجواز صلاة الجمعة بإمامة الفقيه بدلاً من الإمام لحين ظهوره [3] ، ومن هنا ظهرت ولاية الفقيه ! نيابة عن الإمام المهدي المنتظر وهي المرحلة الثالثة .

ثالث مراحل عقيدة الرجعة : عقيدة الظهور :

من الثابت عند أهل السنة : أن عقيدة الظهور دخلت في الفكر الشيعي على يد ابن بن سبأ [4] .

ومعنى الظهور: ظهور الأئمة بعد موتهم لبعض الناس ، ثم عودتهم لقبورهم [5] ، فإن من المُسَلَّمِ عند الشيعة الاثني عشرية : أن الأئمة يظهرون بعد موتهم ، ويظهر منهم الغرائب " [6] .

ومن كرامات العلامة الحلي : " أنه تناقش مع صاحب الزمان في كربلاء ، في بعض فقرات كتاب الطوسي [7] التهذيب ويده في يده ؛ فكتب على هامش الكتاب ، هذا الحديث أخبر عنه صاحب الأمر [8].

ووردت أخبار أن النبي – ﷺ – ظهر في مسجد قباء لأبي بكر ، وأمره برد الحق إلى أمير المؤمنين – عليه السلام – [9] ، ولكن أبا بكر لم يسمع كلامه وبقي في خلافته بعدما أخبر علي سلمان بذلك [10] ، وأن أمير المؤمنين وبعض الأئمة – عليهم السلام – ظهروا بعد موتهم كل إمام للإمام الذي بعده " [11] .

---

(١) أبو الصلاح الحلبي : تقي بن نجم الدين مات سنة ٤٤٧هـ عظيم القدر من علماء الإمامية . انظر د إيمان العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية ، هامش صـ ٣٤٨ .

(٢) د إيمان العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية صـ ٣٤٨ .

(٣) شمس الدين العاملي:الدروس الشرعية ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ،ط١، ١٤١٢هـ جـ ١صـ ١٨٦.

(٤) د عبد العليم عبد العظيم البستوي : المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة صـ ٦١ .

(٥) سامح عباس الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية صـ ١٠٤.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ صـ ٣٠٣-٣٠٤.

(٧) الطوسي : شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، ولد ٣٨٥ هـ ، ثقة ، حجة ، صاحب كتاب الغيبة ، والتهذيب ، توفي ٤٦٠هـ .انظر منتجب الدين بن بابويه : فهرست منتجب الدين ، تحقيق : سيد جلال الدين محدث الأرموي ، ط أمير ، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم ، ١٣٦٦ش صـ ٤٦.

(٨) العلامة الحلي : إرشاد الأذهان ، تحقيق : الشيخ فارس حسون ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين– قم ، ط١ ، ١٤١٠هـ جـ ١ صـ ١٦٨ – ١٧٠ بتصرف .

(٩) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ صـ ٣٠٤.

(١٠) حسن بن سليمان الحلي : المختصر صـ ٣٧ – ٣٨ بتصرف . الشيخ المفيد : الاختصاص صـ ٢٧٢ بتصرف .

(١١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١٠٩.

كذلك جاءت الأخبار المستفيضة عن الأئمة وظهورهم بأجسامهم على الحقيقة ، وأنهم يحضرون أينما أرادوا من الدنيا ، كما ظهر الحسين – عليه السلام– لأبي جعفر – عليه السلام – [1] ، وكما ظهر آدم ونوح – عليهما السلام – للنبي – صلى الله عليه وآله – عندما كان يطوف بالبيت [2] .
وجاء عن رواة الشيعة أن أمير المؤمنين – عليه السلام – لما مات حضر جنازة جسده وقال للحسن – عليه السلام – : يا أبا محمد إنه لا تموت نفس إلا ويشهدها ، أفما يشهد جسده [3] ؛ والسبب كما قال علي – عليه السلام –: " يموت من مات منا ، وليس بميت " ، وكان الرضا – عليه السلام – يقابل أباه بعد موته ، ويتلقى وصاياه ، وأقواله ، وظهر أبو جعفر – عليه السلام – لبعض الشيعة بدعوة من أبي عبد الله – عليه السلام – ، وكذلك رأى بعض الشيعة أبا عبد الله – عليه السلام – وقد جاء الإمام علي – عليه السلام – للإمام الحسن بن علي – عليه السلام – وراء ستار، فرفعوه فإذا به خلفه لا ينكرونه ، وظهر وصي موسى – عليه السلام – للإمام علي وبعض شيعته [4] .
وقد ورد أن بعض صالحي الشيعة كان يصلي إماماً بالناس في محراب الإمام الحسن العسكري – عليه السلام – وهو في التشهد من الركعة الثانية أطال الجلوس ، فلما سئل في ذلك قال :" إن الحجة دخل الروضة للسلام على أبيه – عليهما السلام – فعرضني ما رأيت من جمال الأنوار إلى أن خرج منها " [5] .
وعن أبي عبد الله – عليه السلام – أن الإمام في الحج :" يشهد الموسم يراهم ، ولا يرونه " ، وعنه : إن المهدي – عليه السلام – يمشي في الأسواق ، ويطأ بسطهم ، وهم لا يعرفونه ، حتى يأذن الله له أن يعرفهم بنفسه [6].
ويحكي رجل من رواة الشيعة أنه رأى صاحب الزمان هو وجماعة معه من الشيعة في الحج ، وتعلموا منه دعوات في الحج والصلاة وغيرهما ، فسألوه عنه وكانوا لا يعرفوه ، فقال لهم : هذا والله صاحب الزمان ، وحكى لهم قصة معرفته به : أنه دعا الله سبع سنين أن يرى الإمام المهدي، فرآه بيوم عرفة قبل ذلك ، وسأل عنه الحجيج ، فقالوا : هذا رجل يحج كل عام معنا

---

(١) حسن بن سليمان الحلي : المحتضر صـ ٣٥ بتصرف . قطب الدين الراوندي : الخرائج والجرائح جـ ٢ صـ ٨١٩ بتصرف .
(٢) حسن بن سليمان الحلي : المحتضر صـ ٣٥ بتصرف .
(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٢ صـ ٣٠٠. السيد هاشم البحراني : مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر جـ ٣ صـ ٦١ .
(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ صـ ٣٠٣ – ٣٠٥ بتصرف .
(٥) المصدر السابق جـ ٥٣ صـ ٢٣٧ بتصرف .
(٦) محمد بن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة صـ ٣٥١ – ٥٣٢ بتصرف .

ماشياً ، ثم جاءه رسول الله – صلى الله عليه وآله – فقال له :" الذي رأيته في عشيتك هو صاحب زمانك [1] .

وروي أنه كان للإمام الحسن العسكري خادمة ، كان يختلف لها صاحب الزمان بالليل بعد موت الحسن ، فتعرض عليه رقاع يكتبها له بعض الشيعة ، فيوقع عليها ، وتردها لهم ، وكانوا لا يرون من ذلك إلا نور كالسراج [2] ، ومن هؤلاء أيضا بعض علمائهم المشهورين [3] .

ولا يكون الظهور خاص بأهل البيت وحدهم ، بل بأعدائهم كما جاء عن الباقر – عليه السلام –: كنت خلف أبي – عليه السلام – وهو على بغلته ، فإذا برجل في عنقه سلسلة يقول له : اسقني ، اسقني ، فقال الملك الموكل به لا تسقه لا سقاه الله ، فنظرت إليه فإذا هو معاوية بن أبي سفيان [4] ، وكذلك يظهر أبو بكر وعمر في كل موسم ، حتى يرميهم الشيعة بالحجارة أثناء رمي الجمار بالحج [5] ، ويكون هذا الظهور في أجسادهم الأصلية [6] .

وهذا الباقر – عليه السلام – : كان يرمي الجمار بمنى ، فلما بقي في يده خمس حصيات ، فرمى باثنتين في ناحية من الجمرة ، وبثلاث في ناحية منها ، فلما سُئل عن ذلك قال :" إذا كان في كل موسم يخرج الله الفاسِقيَّن الناكِثَيَّن ، غضين طريين ، فيصلبان ها هنا لا يراهما إلا الإمام ، فرميت الأول اثنتين ، والثاني ثلاثا ؛ لأنه أكفر ، وأظهر لعداوتنا ، والأول أدهى وأمر [7].

ومن أهم عقائدهم أن الجهاد في الظهور وليس في الرجعة ؛ ولذلك فإطلاق الظهور على الرجعة خلاف الظاهر [8].

<u>رابع مراحل عقيدة الرجعة : عقيدة ولاية الفقيه :</u>

الولاية هي : " تنفيذ القول على الغير شاء الغير أو أبى " [9] ، ورياسة على الناس في أمور دينهم ، ودنياهم ، ومعاشهم ، ومعادهم " [1] .

---

(١) المصدر السابق صـ ٥٤٢- ٥٤٥ بتصرف .

(٢) المصدر السابق صـ ٥٤٧- ٥٤٩ بتصرف .

(٣) من أمثال المفيد ، والمحقق الأردبيلي .انظر المحقق الأردبيلي : رسالتان في الخراج ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤١٣هـ صـ ٦.

(٤) حسن بن سليمان الحلي : المحتضر صـ ٣٦ بتصرف. محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٢٨٤.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ صـ ٣٠٥-٣٠٦. محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٨٢.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٧ صـ ٣٠٧.

(٧) حسن بن سليمان الحلي : المحتضر صـ ٣٦ . محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٢٨٦.

(٨) الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث الإمام المهدي جـ ٤ صـ ٨٦ بتصرف .

(٩) ابن نجيم المصري : البحر الرائق ، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ جـ ٣ صـ ١٩٢.

والفقيه :" العالم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية "(٢) ، كالحل والحرمة ، والصحة (٣) والفساد (٤)" (٥).

وولاية الفقيه تعني : " قيام الفقيه الجامع لشروط الفتوى والقضاء مقام الحاكم الشرعي ، وولي الأمر ، والإمام المنتظر في زمان غيبته ، من إجراء السياسات ، وسائر ما له من أمور عدا الأمر بالجهاد الابتدائي ، وهو فتح بلاد الكفر بالسلاح مع خلاف في سعة الولاية وضيقها "(٦) ، فالفقيه ينوب عن المهدي المنتظر في : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقضاء ، ودفع وتلقي الخمس ، والجهاد على خلاف بينهم في ذلك "(٧) .

ومن الواضح أن :" نظرية ولاية الفقيه من النظريات السياسية التي تقوم على أصول عقدية عند الشيعة الاثني عشرية ؛ وذلك لارتباطها الوثيق بعقيدة الإمامة عندهم ، وقد كثر كلام العلماء خاصة هذه الأيام بعد تعرض هذه العقيدة للانتقاد داخل المجتمع الإيراني " (٨).

هذا وتعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن المرجعية لم تكن بأمر من حاكم ، ولا بتعيين من سلطان ، إنما هي الامتداد الطبيعي لمسلك الأئمة الهداة الميامين العترة الطاهرة ، الذين هم عدل الكتاب جملةً وتفصيلاً ، والذين نص عليهم النبي – ﷺ – مبتدأ بعلي ، وخاتماً بالمهدي ، وإذا ما انتهى الدور إلى المهدي – عليه السلام – أسند الدور إلى الفقهاء الرساليين الذين يتصفون بالمؤهلات التي توصلهم إلى قيادة المرجعية ، والتي هي بمعناها الواسع قيادة الأمة في أمور دينها ودنياها ، فقهاً وتشريعاً ، وتسدده العصمة الشخصية من الانزلاق في مهاوي الذات ، ودوافع الدنيا ، وخوف

---

(١) الآملي : المكاسب والبيع ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين– قم ، دت جـ ٢صـ ٣٣٣.

(٢) النووي : روضة الطالبين صـ ٩.

(٣) الصحة : فعل المكلف للعبادة أو المعاملة مستوفياً لما شرعه الله من أركان ، وأسباب ، وشروط ؛ فتترتب عليه الآثار الشرعية ، وتبرأ به الذمة ، ويسقط به الطلب . انظر د عبد الوهاب خلاف:علم أصول الفقه صـ ١٤٧.أيمن موسى: غاية المأمول صـ ١٦٧ – ١٦٨بتصرف.

(٤) الفساد : هو فعل المكلف للعبادة أو المعاملة غير مستوفياً لما شرعه الله من أركان ، أو أسباب ، أو شروط ، فلا تترتب عليه الآثار الشرعية ، ولا تبرأ به الذمة ، ولا يسقط به الطلب ، ويطلب منه قضاء العبادة ، وتحرم المعاملة ، فتبطل ، أو تفسد ، ولا يترتب عليها آثاراً شرعية . انظر د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه صـ ١٤٧. أيمن موسى : غاية المأمول صـ ١٧٢ – ١٧٣ بتصرف .

(٥) د سعدي أبو حبيب : القاموس الفقهي صـ ٢٩٠.

(٦) د أحمد فتح الله : معجم ألفاظ الفقه الجعفري ، ط مطابع المدخول – الدمام ، ط١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م باب الواو صـ ٤٥٣.

(٧) خالد بن عبد المحسن التويجري : ولاية الفقيه وتطورها ، ملحق لمجلة البيان ، مطبعة الملك فهد الوطنية ، ١٤٣١هـ صـ ١١.

(٨) المرجع السابق صـ ٦ بتصرف .

الله – سبحانه وتعالى – من التدني في ما لا يرضيه سبحانه ، ولا يحمده ؛ حتى لا يبقى مقام إرشاد الأمة شاغراً في قيادة الأمة ؛ لأنها بحاجة إلى من يرشدها إلى طريق الصواب [1].

ومن المعلوم أن ولاية الفقيه لا تطبق اليوم إلا في المجتمع الإيراني ، وتعد هذه النظرية تطبيقاً عمليا للفقه السياسي الشيعي الذي بدأ يخاطب الناس بعيداً عن العبادات التي تتعلق بالله سبحانه ؛ ولذلك تجدر الإشارة إلى أن " ولاية الفقيه تتكون من ثلاث نظريات سياسية حلت مكان نظريات أخرى **الأولى : نظرية الولاية** : وهي الصيغة التي ابتكرها فقهاء الشيعة لتحل محل الخلافة ، وبذلك يصبح رجل الدين الشيعي هو الولي ، وينزل منزلة الخليفة ، **والثانية : نظرية المرجعية** : لتكون صيغة موازية لفكرة الحكومة ، **والثالثة : نظرية التقليد** : أي: التزام الشيعة بتنفيذ تعليمات وأحكام أئمتهم لتحقيق الانتماء للمذهب "[2] .

ولم يكن الخميني أول من قال بولاية الفقيه ، ولكنه هو الذي قدم فكرتها في الظرف التاريخي المناسب ، فتحولت إلى حكومة الفقيه ، لتملأ الفراغ في غيبة الإمام .

ويمهد علماء الشيعة لتقديس علمائهم ومراجعهم بفكرة بسيطة ، حين يتكلمون عن كيفية تحصيل الإجماع في حالة عدم وجود المعصوم فيقرر أحدهم :" إذا كان الإمام في زمان الغيبة موجوداً بيننا وغير مفقود فهو واحد من جماعتهم ، وإذا علمنا بالسر والمخالطة وطول المباحثة : أن كل عالم من علماء الإمامية قد أجمع على مذهب بعينه ، فالإمام وهو واحد من العلماء داخل في ذلك وغير خارج عنه ، وليس يخل بمعرفة مذهبه عدم معرفته بعينه ؛ لأنا لا نعرف كل عالم من علماء الأمة ، فالإمام في هذا الباب كمن لا نعرفه من علماء الإمامية ، وإذ لم يعرض لنا شك في مذهب من لا نعرفه من الإمامية لم يجز أن يعرض لنا الشك في قول الإمام أنه من جملة أقوال الإمامية ، وإن كنا لا نميز شخصه ، ولا نعرفه بعينه [3] .

وبناء على هذه الهرطقة ففي حال الغيبة ينفذ قضاء الفقيه من علماء الإمامية الجامع لشرائط الفتوى التي هي : " البلوغ ، والعقل ، والإيمان ، والعدالة ، وطهارة المولد ، والعلم ، والذكورة ، والضبط ، والحرية على رأي ، والبصر على رأي ، والعلم بالكتابة على رأي ، وإذن الإمام ، أو من نصبه الإمام " [4] ، والذي لا يكفيه فتوى العلماء [1] .

---

(١) المولى علي الروزدري : تقريرات آية الله الشيرازي ، ط مؤسسة آل البيت– قم ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ / ١٣٦٧ش جـ ١ صـ ١٣-١٤.

(٢) رجب البنا : الشيعة والسنة صـ ٢٣٤ – ٢٣٥ بتصرف .

(٣) الشيخ المرتضى : رسائل المرتضى جـ ١ صـ ٢٠٨.

(٤) العلامة الحلي : إرشاد الأذهان جـ ٢ صـ ١٣٨ بتصرف.

ولقد مرت ولاية الفقيه بعدة مراحل من أهمها : -

المرحلة الأولى : هي مرحلة السفراء والنواب ، ولقد حدث نزاع مشهور بين نواب كُثْرٍ على الخمس " فكان الرجل يجمع الأموال ويطمع فيها ، فيدعي البابية حتى لا يسلمها لغيره " [٢] .

المرحلة الثانية : مرحلة الاجتهاد : بدأت بموت السفير الرابع – السمري – سنة ٣٢٩هـ ، حين بدأت الغيبة الكبرى فانقطعت السفارة بين الإمام وبين الناس ، فكان محرماً على الشيعة تجاوز الإمام والتعدي على اختصاصاته السبع وهي : (الولاية على أموال القصر والصغار ممن لا ولي له . والولاية على مال الخمس ، والزكاة ، والأوقاف ، وصرفها ، وإقامة الحدود . والولاية على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والولاية على الحكومة ، والسياسات . وحفظ الثغور ، وتنظيم البلاد . والولاية على النفوس مطلقاً . والولاية على التشريع [٣].

وبدأ بعض الفقهاء يفتحون باب الاجتهاد في بعض المسائل ؛ نظراً لتعطل الشريعة لغيبة الإمام ، واستدلوا بالمنقول عن الإمام الغائب بتوقيعه " أما الحوادث الواقعة : فارجعوا إلى رواة حديثنا ؛ فإنهم حجتي عليكم ، وأنا حجة الله ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – قيل له : من يقيم الحدود السلطان أو القاضي ؟ فقال : إقامة الحدود إلى من إليه الحكم[٤] ، وعن النبي – صلى الله عليه وآله – :" اللهم ارحم خلفائي ، قالوا : ومن خلفائك يا رسول الله؟ قال : الذين يأتون بعدي ، ويروون حديثي وسنتي " [٥] ، ولكن كان اجتهادهم هذا اجتهاداً محدوداً في بدايته ؛ لأنهم كانوا يعتبرونه تدخلا في اختصاصات الإمام [٦].

ولكن بدأ الفقهاء يرون ضرورة بدأ الاجتهاد في استنباط الأحكام من روايات آل البيت ، بمعنى تجاوز المتون إلى الفهم ، ثم تطور الأمر إلى القول بجواز تولي الفقيه إقامة الحدود ، وادعوا أن ذلك من الإمام المنتظر ، وكان هذا تمهيدا لنظرية النيابة العامة عن الإمام الغائب ، الذي عبروا عنه بقولهم :" فأما إقامة الحدود فهو إلى سلطان الإسلام المنصوب من قبل الله تعالى ، وهم أئمة

---

(١) العلامة الحلي : تبصرة المتعلمين ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، الشيخ هادي اليوسفي ، ط أحمدي ، ط١ ، ١٣٦٨ش ص ٢٣٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٤.

(٣) المرجع السابق ص ١٥.نقلا عن ناصر مكارم الشيرازي : ولاية الفقيه وحدودها .

(٤) المحقق السبزواري : كفاية الأحكام ، تحقيق : الشيخ مرتضى الواعظي الأراكي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤٢٣هـ جـ ١ص ٤١٠.

(٥) المحقق النراقي : مستند الشيعة جـ١٧ص ١٩.

(٦) خالد بن عبد المحسن التويجري : ولاية الفقيه وتطورها ص ١٥.

الهدى من آل محمد – صلى الله عليه وآله – ومن نصبوه لذلك من الأمراء والحكام ، وقد فوضوا النظر فيه إلى فقهاء شيعتهم مع الإمكان " [1] ، وهي التصور الأول لولاية الفقيه ، وإن شئت قلت الخرق الأول لولاية القائم .

ثم تطور الأمر للقول : بجواز أن يتلقى الفقيه الخمس ، وإقامة صلاة الجمعة حيث قرر المفيد : " إذا عدم السفراء بينه وبين رعيته ، وجب حملها إلى الفقهاء المأمونين من أهل ولايته ؛ لأن الفقيه أعرف بموضعها ممن لا فقه له في ديانته " [2].

المرحلة الثالثة : النيابة العامة كانت هذه النقلة على يد الكركي [3] ، والنراقي [4] ، اللذين استدلا بما روى عن الصادق – عليه السلام – : " أنظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ، ونظر في حلالنا وحرامنا ، وعرف أحكامنا ؛ فلترضوا به حكماً ؛ فإني قد جعلته عليكم حاكماً ، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه ؛ فإنما بحكم الله استخف ، وعلينا رد ، والراد علينا كالراد على الله تعالى ، وهو على حد الشرك بالله " [5] .

ومخالفة حكم المجتهدين هو والشرك في درجة واحدة ؛ ولذلك فإن كل من يخالف حكم خاتم المجتهدين ، ووارث علوم سيد المرسلين نائب الأئمة المعصومين ، فإنه لا محالة ملعون ، مردود ، وعن مهبط الملائكة مطرود " [6].

ولذلك يعد الكركي أول من نظر لولاية الفقيه قبل الخميني الذي طبق هذه العقيدة عملياً بعد الثورة الإيرانية ، أما النراقي فهو أول من أفردها بالتأليف في بحث مستقل ، فتعتبر محاولته خطوة

---

(١) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٨١٠– ٨١٢ بتصرف .

(٢) الشيخ المفيد : المقنعة صـ ٢٥٢.

(٣) الكركي : أبو جعفر علي بن الحسين بن عبد العال الكركي العاملي ، الملقب بالمحقق الثاني ، والصدوق ، من أعلام القرن العاشر الهجري ، ولد بجبل عامل بلبنان ٨٦٨ هـ ، مجتهد ، أصولي ، إمامي ، له عدة مؤلفات ، منها : شرح القواعد ،حاشية الشرايع ، جامع المقاصد توفي ٩٤٠ هـ . انظر لجنة تحقيق كتاب الصدوق : الهداية صـ ٢١٢. خالد التويجري : ولاية الفقيه صـ ١٩.

(٤) النراقي : أحمد بن محمد مهدي بن أبي ذر النراقي الكاشاني ، فقيه ، شيعي ، أصولي ، ولد في نراق من قرى كاشان ١١٨٥هـ ، ونشأ بها درس على يد بحر العلوم ، وجعفر كاشف الغطاء ، وكان مرجعاً بعد وفاة والده ، له مؤلفات منها مستند الشيعة ، وتنقيح الفصول ، توفي ١٢٤٥هـ . انظر مقدمة كتاب النراقي : مستند الشيعة جـ ١ صـ١٤– ١٧ . خالد التويجري : ولاية الفقيه صـ ١٩.

(٥) ابن إدريس الحلي : السرائر جـ ٣ صـ ٥٤٠. وانظر العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ ٥ صـ ٢٣٩.

(٦) المحقق الكركي : جامع المقاصد جـ١صـ٣٣.

متقدمة لتأسيس مشروع منهجي للبحث في نظام الدولة في الفقه الجعفري ، والذي بنى عليها الخميني دعوته لتسليم الفقيه المجتهد زمام السلطة الكلية للدولة نيابة عن الإمام الغائب [١] .

وحدد النراقي مهام الفقيه النائب عن الإمام الغائب بأمرين :

أحدهما : كل ما كان للنبي والإمام ، إلا ما أخرجه الدليل من إجماع ، أو نص ، أو غيرهما .

ثانيهما : كل فعل متعلق بأمور العباد في دينهم أو دنياهم ، ولابد من الإتيان به ، ولا مفر منه ، إما عقلاً أو عادة ، من جهة توقف أمور المعاد والمعاش لواحد أو جماعة عليه ، أو شرعاً ، من جهة ورود أمر به ، أو إجماع ، أو نفي ضرر ، أو إضرار، أو عسر ، أو حرج ، وكل أمر لغير معين ، ولم يعلم المأمور به ، ولا المأذون فيه فهو وظيفة الفقيه [٢].

ثم جاء الخميني ليضفي القداسة على الفقيه ؛ حتى يرفعه إلى درجة المعصوم ، بل إلى مقام الله تعالى[٣]، حيث أنه صاغ نظريته ضمن إطار فكري معين لا ينتهي إلى ادعاء النيابة العامة المطلقة عن الإمام الغائب فحسب ، ولا على ادعاء رتبته ومنصبه الإلهي أيضا ، بل إلى أنه الإمام المعصوم بعينه ؛ ولذلك رضي باللقب ، وأسبغه أتباعه عليه عن رضا وقناعة ، حتى إن بعض علماء الشيعة أفتى : بردة وكفر من لم يعتقد بعصمة الخميني ، وهدد بقتله [٤].

ويلخص الدستور الإيراني مهمة الفقيه :" تكون ولاية الأمر والأمة في غيبة الإمام المهدي – عجل الله تعالى فرجه – في جمهورية إيران الإسلامية للفقيه ، العادل ، المتقي ، البصير بأمور العصر ، الشجاع ، القادر على الإدارة والتدبير"[٥] ؛ عملا بحديث الإمام الصادق – عليه السلام – :" الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك " [٦] ، ويضعون شروطاً في الفقيه الذي يلي الولاية في عصر الغيبة الكبرى وهي : ١– العقل الوافي ٢– الإسلام والإيمان ٣– العدالة ٤– الفقاهة ٥– القوة وحسن الولاية ٦– ألا يكون من أهل البخل والحرص والطمع ٧– الذكورة ٨–

---

(١) د أحمد سيد أحمد علي : ولاية الفقيه عند الشيعة الاثنا عشرية وموقف الإسلام منها ، ط مكتبة الإمام البخاري – الإسماعيلية ، ط١، ١٤٢٨هـ صـ ١٣٩–١٤٠ بتصرف

(٢) المحقق النراقي : عوائد الأيام صـ ٥٣٦ بتصرف . الخميني : البيع ، ط مؤسسة العروج ، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني – طهران ، ١٤٢١هـ جـ ٢ صـ ٦٨٦.

(٣) خالد التويجري : ولاية الفقيه وتطورها صـ ٢٧.

(٤) د عرفان عبد الحميد فتاح : ولاية الفقيه دراسة وتحليل ونقد ، ط دار عمار – عُمَان ، ط١ ، ١٤٠٩هـ صـ ٥٩.

(٥) انظر دستور جمهورية إيران الإسلامية صـ ٢٠.

(٦) المحقق النراقي : عوائد الأيام صـ ٥٣٢.

طهارة المولد ٩- البلوغ ١٠- سلامة الأعضاء والحواس ١١- الحرية ١٢- القرشية ١٣- العصمة ١٤- كونه منصوصا عليه [١].

وقد حدد الدستور الإيراني في المادة " ١١٠ " وظائف ، وصلاحيات الفقيه في عدة أمور:

١- تعيين الأعضاء الفقهاء لمجلس صيانة الدستور .

٢- نصب أعلى مسئول قضائي في البلاد .

٣- تولي القيادة العامة للقوات المسلحة على النحو التالي :

- نصب ، وعزل رئيس أركان الجيش .
- نصب ، وعزل القائد العام لقوات حرس الثورة الإسلامية .
- تشكيل مجلس الدفاع الأعلى الوطني مؤلفا من سبعة أعضاء : وهم [رئيس الجمهورية ، رئيس الوزراء ، وزير الدفاع ، رئيس أركان الجيش ، القائد العام لقوات حرس الثورة الإسلامية ، عضوين مستشارين تعينهما القيادة].
- تعيين قادة القوات الثلاث باقتراح مجلس الدفاع الأعلى .
- إعلان الحرب ، والصلح ، والتعبئة العامة باقتراح مجلس الدفاع الأعلى .

٤- إقرار رئيس الجمهورية بعد انتخابه من قبل الشعب .

٥- عزل رئيس الجمهورية ، مع ملاحظة مصالح البلاد بعد صدور حكم المحكمة العليا ، أو مجلس الشورى بعدم كفاءته السياسية .

٦- العفو ، أو التخفيف من عقوبات المحكوم عليهم ، في إطار الموازين الإسلامية ، بعد اقتراح المحكمة العليا [٢][٣].

وبما أن من بيده الأمر في زمن الغيبة هو المجتهد الجامع للشرائط ، فله أن يتصدى للتشريع ؛ ذلك أن الحكومة الشرعية الإسلامية تمتد بامتداد الرسالة ، حيث أن ولاية الفقيه تعبير آخر عنها ، ومن المعلوم أنها ليست محدودة بأمد معين كعصر العصمة ، بل تمتد إلى يوم القيامة ، وعلى هذا فلابد في كل عصر من وجود شخص يقوم بتطبيق الرسالة إن أمكن ، وهو منحصر في

---

(١) الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية جـ ١ صـ ٣٩٦.

(٢) دستور جمهورية إيران الإسلامية صـ ٧٦ – ٧٧.

(٣) بالنظر لهذه المادة نجد : أنه لم يعد لرئيس الجمهورية إلا السمع والطاعة لأمر الفقيه ، وبالتالي يكون الشعب الذي اختاره لا قيمة له ، فإن الرئيس إذا خالف قول الفقيه يعزل ، مع الأخذ في الاعتبار أن عزل الرئيس يكون باقتراح رئيس المحكمة العليا الذي يعينه الفقيه .

عصر الغيبة بالمجتهد الجامع للشرائط ، فإذا أتيحت له فرصة التطبيق كلاً أو بعضاً وجب أن يقوم به [1].

ومع أن الفقهاء المجتهدين لا يشترط فيهم العصمة ، ومع ذلك يفترض طاعة الناس لولايتهم ، فلا ينحصر الإمام المفترض طاعته في الإمام المعصوم ؛ لأن الفقيه العادل بمقتضى عدالته يجبر التخلفات والاشتباهات بعد انكشافها ، كما يفعل الإمام المعصوم [2].

ولكن نلحظ أنه " بدأ التنافس بين السادة والمجتهدين للحصول على الخمس ، ولهذا بدأ كل منهم بتخفيض نسبة الخمس المأخوذة من الناس ، حتى يتوافد إليه الناس أكثر من غيره ، أما ما يسرقه الوكلاء دون علم السيد ، فحدث ولا حرج ! [3].

ولذلك بدأت الدعوات بالشك في إطلاق طاعة الإمام فإن " التوقيع وما يليه من الأخبار لا ينهض لإثبات الولاية الاستقلالية للفقيه كالإمام إلا فيما خرج بالدليل ، وبالجملة لا شك في قصور الأدلة على إثبات أولوية الفقيه بالناس من أنفسهم ، كما هي ثابتة لجميع الأئمة [4] ، ولا يوجد دليل على أن الفقيه أولى بمال الناس من أنفسهم [5] ؛ لأن ما استدل به على الولاية المطلقة في عصر الغيبة غير قابل للاعتماد عليه ، ومن هنا قلنا : بعدم ثبوت الولاية له إلا في موردين وهما الفتوى والقضاء ، أما غيرهما فلم تدلنا عليه رواية تامة الدلالة والسند [6] .

خامس المراحل : مقدمات الرجعة :

يعتقد الاثنا عشرية أن لرجعة الأئمة مقدمات لابد منها ، مثل ما روي عن أبي عبد الله – عليه السلام – :" لا يخرج القائم حتى يخرج اثنا عشر من بني هاشم ، كلهم يدعوا إلى نفسه "[7].

وعن الحسن بن علي – عليهما السلام – :" لا يكون هذا الأمر الذي تنتظرون حتى يبرأ بعضكم من بعض ، ويلعن بعضكم بعضاً ، ويتفل بعضكم في وجه بعض ، وحتى يشهد بعضكم بالكفر

---

(١) الشيخ محمد إسحاق الفياض : تعاليق مبسوطة على العروة الوثقى ، ط أمير ، نشر انتشارات محلاتي ، دت جـ ٥ صـ١٨٩.

(٢) الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية جـ ١صـ١٢٠.

(٣) د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ صـ ٦٥ – ٦٦ بتصرف .

(٤) محمد مهدي بحر العلوم : بلغة الفقيه ، ، تحقيق : السيد حسين ابن السيد محمد تقي آل بحر العلوم ، منشورات مكتبة الصادق – النجف ، ط٤ ، ١٩٨٤م / ١٣٦٢ش / ١٤٠٣هـ جـ ٣ صـ ٢٣٠.

(٥) الشيخ مرتضى الأنصاري : المكاسب ، تحقيق : لجنة تحقيق التراث بمجمع الفكر الإسلامي ، نشر مؤسسة الإمام الهادي – قم ، ط١، ١٤١٨هـ جـ ٣ صـ ٥٥٣.

(٦) السيد الخوئي : الاجتهاد والتقليد صـ ٤١٩ – ٤٢٠ بتصرف .

(٧) الشيخ المفيد : الإرشاد جـ ٢ صـ ٣٧٢ . الطوسي : الغيبة صـ ٤٣٧. السيد البراقي : تاريخ الكوفة ، تحقيق ماجد أحمد العطية ، ط مطبعة شريعت ، نشر المكتبة الحيدرية – قم ، ط١ ، ١٤٢٤هـ / ١٣٨٣ش صـ ١١٢ .

على بعض ، فقيل له : وما الخير في ذلك ، قال : الخير كله في ذلك ، عند ذلك يقوم قائمنا ؛ فيرفع ذلك كله [1] .

وعن الرضا – عليه السلام – :" لابد من فتنة صماء عند فقد الشيعة الثالث من ولدي ، يبكي عليه أهل السماء ، وأهل الأرض ، والكل أسفٌ عليه ، إذ ينادي مناد من السماء ، يكون رحمة للمؤمنين ، وعذاباً للكافرين ، ويظهر بدن في السماء ، يُرى في قرن الشمس ، يقول : هذا أمير المؤمنين قد كر في هلاك الظالمين [2] .

وعن عمار بن ياسر – رضي الله عنه – :" وحتى يخرب حائط مسجد دمشق " [3] .

وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" آيتان تكونان قبل القائم لم تكونا منذ هبط آدم – عليه السلام – إلى الأرض : تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان ، والقمر في آخره ، فقال رجل : يا بن رسول الله : تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف ؟ فقال أبو جعفر – عليه السلام – : إني لأعلم بما تقول ، ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم – عليه السلام – " [4] .

وعن أبي عبد الله – عليه السلام – قال :" ليس بين قيام القائم ، وبين قتل النفس الزكية إلا خمس عشرة ليلة [5] – يعني : سنة ١٤٠هـ – [6] ، وحتى تغير الحبشة البيت ، فيكسرونه ، ويؤخذ الحجر يعني : سنة ٣١٧هـ [7] ، فينصب في مسجد الكوفة [8] ، وحتى يجتمع المؤمنون بالكوفة [9] .

ولعل ما ورد في روايات أهل البيت – عليهم السلام – : أن تمام الرجعة ، أو جلها ومعظمها ؛ إنما تكون بعد ظهور دولة الحق بظهور المهدي المنتظر ، حيث يكون الجو صالحاً لأعمال الخير ، ودعائم الشيطان والطغيان منكسرة ، بعكس أيامنا هذه ؛ إنما هو لئلا يعذر معتذرهم يوم القيامة : أنه قد عاقه عن الخير ، والعمل الصالح ما كان مسلطاً على جوه مع الطغيان ،

---

(١) الطوسي : الغيبة صـ ٤٣٨ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٢١١.

(٢) الطوسي : الغيبة صـ ٤٣٩– ٤٤٠ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٢٨٩.

(٣) الطوسي : الغيبة صـ ٤٤١ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٢١٢.

(٤) الطوسي : الغيبة صـ ٤٤٤ –٤٤٥ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٢١٣.

(٥) الطوسي : الغيبة صـ ٤٤٥ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٢٠٣.

(٦) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق صـ ٧٢.

(٧) الإمام الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ١٤ صـ ٥٣٩.

(٨) الطوسي : الغيبة صـ ٤٤٩. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٢١٥.

(٩) الطوسي : الغيبة صـ ٤٥١ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٣٣٠.

ووساوس الشيطان ، أو يدعي مدعيهم : بأن ولادته في البيت الفلاني الغاشم الظالم ، أو مجتمع الشرك والضلال ، وبيئة الفحشاء والفساد ؛ هو الذي أخذ بناصيته إلى الكفر والعصيان [1] .

ومن هذه المقدمات أيضاً ما قاله الإمام علي – عليه السلام – :" إذا وقعت النار في حجازكم [2]، وجرى الماء في نجفكم ؛ فتوقعوا ظهور قائمكم " [3]. وخرجت النار من الحجاز سنة ٦٤٥هـ [4] .

وعن الإمام السجاد – عليه السلام – :" إذا علا نجفكم السيل والمطر ، وظهرت النار في الحجاز والمدن ، وملكت بغداد الترك ، فتوقعوا ظهور القائم المنتظر – عليه السلام – " [5] .

وعن أبي عبد الله – عليه السلام– :" عام الفتح : ينشق الفرات حتى يدخل أزقة الكوفة " [6] .

وفي رواية :" ينشق الفرات فينحسر عن جبل من ذهب [7]. وهذا من علامات الساعة[8] .

وعن الصادق – عليه السلام – :" بين يدي القائم موت أحمر ، وموت أبيض ، وجراد في غير حينه ، أحمر كلون الدم ؛ فأما الموت الأحمر : فالسيف ، وأما الموت الأبيض : فالطاعون " [9] .

عن أبي جعفر – عليه السلام – :" لا يقوم القائم إلا في خوف شديد ، وزلزال ، وفتنة ، وبلاء يصيب الناس ، وطاعون قبل ذلك ، وسيف قاطع بين العرب ، واختلاف شديد بين الناس ، وتشتيت في دينهم ، وتغير في حالهم ، حتى يتمنى المتمني الموت صباحاً ومساءً ، من عظم ما يرى من كلب الناس ، وأكل بعضهم بعضاً ، وخروجه عند الإياس ، والقنوط " [10].

---

(١) كلام عبد الرحيم الشيرازي محقق كتاب بحار الأنوار . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨٦ هامش صـ ٢٤٥.

(٢) هذا من أشراط الساعة قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى " . أخرجه الإمام البخاري : الصحيح جـ ٦ صـ ٢٦٠٥. الإمام مسلم : الصحيح جـ ٨ صـ ١٨٠.

(٣) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٧ صـ ٤٧. علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ٢ صـ ٢٥٨.

(٤) الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٢ صـ ٣٩٥.

(٥) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٧ صـ ٤٧. جعفر عباس الحائري : بلاغة الإمام علي بن الحسين ، نشر دار الحديث – قم ، ط١ ، ١٤٢٥هـ / ١٣٨٣ش صـ ٢٢٧.

(٦) السيد البراقي : تاريخ الكوفة صـ ١١٠. الشيخ الطبرسي : إعلام الورى بأعلام الهدى جـ ٢ صـ ٢٨٤.

(٧) السيد المرعشي : شرح إحقاق الحق جـ ٢٩ هامش صـ ٣٢٩. الامام أحمد : المسند جـ ٢ صـ ٤١٥.

(٨) الإمام البخاري : الصحيح جـ ٦ صـ ٢٦٠٥. الإمام مسلم : الصحيح جـ ٨ صـ ١٧٤. الإمام أحمد : المسند جـ ١٤ صـ ١١٩.

(٩) السيد البراقي : تاريخ الكوفة صـ ١١٣.الشيخ المفيد : الإرشاد جـ ٢ صـ ٣٧٢.

(١٠) السيد البراقي : تاريخ الكوفة صـ ١١٣. الشيخ على الكوراني العاملي : عصر الظهور ، نشر مكتب الإعلام الإسلامي – قم ، ط١ ، ١٤٠٨هـ صـ ٨٩ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٢٣١.

هل الرجعة هي التناسخ [1] ؟.

يؤمن الشيعة الاثنا عشرية بأن : القول بالتناسخ باطل ، ومن دان بالتناسخ فهو كافر ؛ لأن في التناسخ إبطال الجنة والنار [2] ، فالرجعة " التي يذهب إليها أهل التناسخ فاسدة [3].

ثم نجد الشيخ المفيد ينقل عن أحد الشعراء عقيدة التناسخ بعينها ، ولا يعقب عليها ، فيقول هذا الشاعر لرجل ناظره : إني لاعتقد أن الله – عز وجل – يرد هذا إلى الدنيا كلباً ، أو قرداً ، أو خنزيراً ، أو ذرة ؛ فإنه والله متجبر ، متكبر ، كافر [4] . أليس هذا هو عين التناسخ ؟ .

ويروون أن عبد الملك بن مروان[5] : لما مات ، مسخه الله وزغاً[6] ، ثم هرب هذا الوزغ ؛ فقالت الإمامية : الجسد ذهب إلى الجحيم ، ومسخت [7] الروح وزغاً ، كما مسخ كل من كان يسب أبناء الأنبياء في بني إسرائيل ؛ فلذلك كل عثماني في هذه الأمة يبغض علياً ؛ فإنه يمسخ وزغاً عند موته ، وأن من قتل وزغاً خرج من ذنوبه ، وعليه الغسل بعد قتله ، وأطلقوا على مروان بن عبد الملك لقب : الوزغ بن الوزغ ، وكذلك كل من يموت من بني أمية يمسخ وزغاً [8] .

---

(١) تناسخ الأرواح : انتقالها في الأشخاص الآدمية وغيرها ، من جسد إلى جسد ، وتنعيمها وتعذيبها بحسب زكاتها وخبثها ، فإذا كانت النفس شريرة أخرجت من قالبها التي هي فيه ، وألبست قالبا يناسب شرها من كلب ، أو خنزير ، ونحو ذلك ، فإن أخذت جزاء شرها ، بقيت في ذلك القالب تنتقل من فرد إلى فرد ، وإن لم تأخذ انقلبت إلى قالب أشر منه ، حتى تستوفي جزاء الشر ، وفي الخير تنتقل إلى أعلى ، حتى تستوفي خيرها . انظر الحطاب الرعيني : مواهب الجليل جـ ٨ صـ ٣٧٢. الشيخ المفيد : المسائل السرورية هامش صـ ٤٦.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٣٠. الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية صـ ٦٣.

(٣) الشيخ الطوسي : التبيان في تفسير القرآن جـ ٣ صـ ٤٧.

(٤) الشاعر : امرئ القيس الحميري ، وكان ينشد في حضرة المنصور العباسي ، وقال ذلك : لسوار من علماء الاثني عشرية . انظر المجلسي:بحار الأنوار جـ ٥٣صـ ١٣٢، جـ ١٠ صـ ٢٣٣. الأميني:الغدير جـ ٢ صـ ٢٥٨. الأحمدي الميانجي:مواقف الشيعة جـ ١صـ ٢٦٩.

(٥) عَبْدُ المِلِكِ بنُ مَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ بنِ أَبِي العَاصِ بنِ أُمَيَّةَ : الخَلِيْفَةُ ، الفَقِيْهُ ، أَبُو الوَلِيْدِ ، وُلِدَ ٢٦هـ ، مَلَّكَ بَعْدَ أَبِيْهِ الشَّامَ وَمِصْرَ،كانَ قَبْلَ الخِلاَفَةِ عَابِداً بِالمدِيْنَةِ ، تُوُفِّيَ ٨٦هـ ، عَنْ نَيِّفٍ وَسِتِّيْنَ سَنَةً . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٤ صـ ٢٧٥ – ٢٧٧.

(٦) الوزغ { للذكر } ، والوزغة { للذكر والأنثى } : جنسُ سحالٍ من فصيلة الوَزَغيَّات ، سامّ أبرص ، يسكن البيوت ، من أنواعه : أبو بريص ، وثُعْبَة : أخضر الرأس والحلْق ، جاحظ العينين ، لا تلقاه أبدًا إلا فاتحًا فاه ، ولا يكاد يبرأ لديغه ، والوحرة : تعيش في الصحراء . د أحمد مختار عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ١ صـ ٣١٦ ، جـ ٣ صـ ٢٤٣٢. المعجم الوسيط صـ ١٠١٧ ، ١٠٣٧.

(٧) المسخ : تحويل الخلق من صورة إلى صورة ، ويقال مسَخَه اللهُ : حوَّل صورتَه إلى أخرى أقبح منها ، وشوّه صورتَه ، وأفقده طبيعتَه الخاصّة . نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ٩ صـ ٦٣٠٠. د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٣ صـ ٢٠٩٦.

(٨) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ١٠ صـ ٢٩١ – ٢٩٢ بتصرف . المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٤ صـ ١٩٥. الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ صـ ٢٣٢.

وعند أهل السنة : أمر النبي – ﷺ – بقتل الوزغ [١] على وجه الاستحباب ، وسماه فويسقاً [٢] ، وله به صدقة [٣] ، ولكن السبب في ذلك : إِنَّهُ كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ – ﷺ – [٤] ؛ لذلك قال – ﷺ – : " مَنْ قَتَلَ وَزَغًا فِى أَوَّلِ ضَرْبَةٍ كُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَفِى الثَّانِيَةِ دُونَ ذَلِكَ " [٥].

وتؤمن أهل السنة بوجود المسخ في الأمم السابقة كما قال رسول الله – ﷺ – عن الضب : " إنَّ أُمَّةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُسِخَتْ، وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ " [٦] ، كما قال – ﷺ – :" الْحَيَّاتُ مِنْ مَسْخِ الْجَانِّ كَمَا مُسِخَتِ الْخَنَازِيرُ وَالْقِرَدَةُ " [٧] وفي رواية :" الْجَانُّ مَسْخُ الْجِنُّ كَمَا مُسِخَتِ الْقِرَدَةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ " [٨] .

وقد جاء القرآن به كما في قصة القرية التي كانت حاضرة البحر في سورة الأعراف قال الله تعالى :" فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ " [٩] ، ولكن هذا المسخ لم يكن منه ذرية فإنهم لمَّا مسخوا مكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا [١٠] .

حكم الإيمان بالرجعة عند الشيعة الاثني عشرية :

تعد الرجعة من خواص مذهب الشيعة وضرورات مذهبهم [١١]؛ لأنها : ثابتة بالتوقيف ، وليس للنظر فيه مجال [١٢] ؛ وأجمعت الشيعة عليها في جميع الأعصار ، واشتهرت بينهم كالشمس في رابعة النهار ، حتى نظموها في أشعارهم ، واحتجوا بها على المخالفين في جميع أمصارهم ، وكيف يشك مؤمن بحقية الأئمة الأطهار – عليهم السلام – فيما تواتر عنهم ، في قريب من

---

(١) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ١٧٥٧ . الإمام أبو داود : سنن أبي داود جـ ٤ صـ ٣٦٦.

(٢) الإمام أحمد : المسند جـ ٣ صـ ١٠٨ . الإمام أبو داود : سنن أبي داود جـ ٤ صـ ٣٦٦.

(٣) الإمام البيهقي : شعب الإيمان جـ ١٣ صـ ٥٢٤ . أبو عبد الله الفاكهي : أخبار مكة ، تحقيق : د عبد الملك عبد الله دهيش ، نشر دار خضر – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٤هـ جـ ٣ صـ ٣٩٧. الإمام ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١٢ صـ ٤٥٢.

(٤) أبو عبد الله الفاكهي : أخبار مكة جـ ٣ صـ ٣٩٧. الإمام أحمد : المسند جـ ٤١ صـ ٨٠.

(٥) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ صـ ١٧٥٨ .

(٦) ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١٢ صـ ٧٣. أبو داود : السنن جـ ٣ صـ ٣٥٣. مسلم : صحيح مسلم جـ ٥ صـ ١٥٤٥.

(٧) صححه الألباني . ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ١٢ صـ ٤٥٨.

(٨) البغوي : تفسير البغوي صـ ٤٩٧. القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ صـ ٢١٤.

(٩) سورة الأعراف : آيات رقم ١٦٣– ١٦٦.

(١٠) ابن أبي شيبة : المصنف جـ ٤ صـ ٢٦١.

(١١) الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث المهدي جـ ٤ صـ ٨٦.

(١٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٣٢.

مائتي حديث صريح ، رواها نيف وأربعون من الثقات العظام ، والعلماء الأعلام ، في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم ، وظني أن من يشك في أمثالها ؛ فهو شاك في أئمة الدين " (١) .

قال الحسين – عليه السلام – :" هذا علمٌ خاصٌ ، لا يسع الأمة جهله ، حتى صرت ما أنا بيوم القيامة أشد يقينا من بالرجعة " (٢) .

وقد اتفقت الإمامية على وجوب (٣) رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلاف (٤) ؛ لأنها أصل من أصول الإمامية (٥) ، ولا معنى لاختلافهم ؛ لأن الإجماع ، والضرورة قامتا على الرجعة بالمعنى المرتكز في أذهان المتشرعة ، وهو : رجوع أعيان الأموات (٦) ؛ وعليها من الشواهد القرآنية ، وأحاديث أهل البيت – عليهم السلام – ما هو أشهر أن يذكر ؛ ولذلك فليُعلم أن الرجعة من العقائد الثابتة الحقة عند الفرقة الناجية ، يعني : الإمامية الاثني عشرية (٧) .

وعن أمير المؤمنين – عليه السلام – :" من أنكر أن لي في الأرض كرة بعد كرة ، ودعوة بعد دعوة ، وعودة بعد رجعة ، حديثاً كما كنت قديماً؛ فقد رد علينا ، ومن رد علينا فقد رد على الله " (٨)، وعن رسول الله – ﷺ – :" من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني " (٩).

وهناك من يخالف فيقول : الرجعة ليست من أصول المذهب ، ولكنها ثابتة يقيناً ؛ لورود أخبار معتبرة فيها ، ولا يبعد تواترها إجمالاً (١٠) . بل :" ليست من ضروريات الإسلام عندنا " (١١) .

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ١٢٢ – ١٢٣ . الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ١٠٣.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٦٩ بتصرف . الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٤٠.

(٣) علق على هذا اللفظة المحقق إبراهيم الأنصاري فقال : لعل لفظ وجوب من زيادة النساخ ؛ إذ المراد : تصحيح القول بالرجعة لا إثبات وجوبها . انظر تعليقه على كلام الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ١٥٣بتصرف .

(٤) الحسن بن سليمان الحلي : المختصر هامش صـ ٣٢. الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٤٦ .

(٥) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي صـ ١٨٥.

(٦) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٢٩٢ .

(٧) الفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري : الإيضاح هامش صـ ٣٨١.

(٨) الحر العاملي : الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة ، تحقيق : مشتاق المظفر ، ط نكارش ، نشر دليل ما – قم ، ط١ ، ١٤٢٢هـ / ١٣٨٠ش صـ ٣٤٤ – ٣٤٥.

(٩) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٤١٢.

(١٠) أبو القاسم الخوئي : صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات ، جمع : موسى مفيد الدين العاملي ، ط أمين ، نشر المركز الثقافي – قم ، ط١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م جـ ٣ صـ ٤٢٠.

(١١) د الشيخ أحمد الوائلي : هوية التشيع صـ ١٠٢ .

وسُئل علي بن أبي طالب – عليه السلام – عن الرجعة فقال :" هذا علم خاص ، لا يسع الأمة جهله ، ورد علمه إلى الله تعالى " ؛ فلابد أن يتيقن المسلم بالرجعة ، كما يتيقن بيوم القيامة ، أو أشد من ذلك [١] .

ومنهم من يعدها شرط في صحة الإيمان أو كماله ؛ فعن الصادق – عليه السلام – : من أقر بسبعة أشياء : فهو مؤمن ، وذكر منها : الإيمان بالرجعة ، وعن الرضا – عليه السلام – : من أقر بتوحيد الله ، وأقر بالرجعة ، فهو مؤمن حقاً ، وهو من شيعتنا أهل البيت [٢] .

ويتبرؤون من منكرها فعن جعفر الصادق – عليه السلام – :" ليس منا من لم يقل بمتعتنا ، ويؤمن برجعتنا " [٣] ، وفي رواية :" ليس منا من لم يؤمن بكرتنا ، ويستحل متعتنا [٤] ، وعنه أيضا :" من لم يقل برجعتنا فليس منا " [٥].

ومن العقل : أن العترة – عليهم السلام – " لا يختلفون في إحياء الله – ﷻ – قوماً بعد مماتهم في الحياة الدنيا من هذه الأمة تصديقاً لما رواه المخالف عن صاحب النبوة – صلى الله عليه وآله – :" لتتبعن سنن من قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم ، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال : فمن ؟ وفي رواية :" حتى لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟ [٦].

مع ما ثبت ونطق به القرآن الكريم ، والأخبار المتواترة : أن خلقاً من الأمم الماضية ، واليهود قد رجعوا إلى الدنيا بعد موتهم ، وقد رأيت في أخبار المخالفين زيادة ما تقول الشيعة من الإشارة إلى أن مولانا علياً – عليه السلام – يعود إلى الدنيا ، بعد ضرب ابن ملجم [٧] ، وبعد وفاته ، كما رجع

---

(١) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ٤٠ بتصرف.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٢١ بتصرف .

(٣) الشيخ المفيد : المسائل السرورية صـ ٣٠.

(٤) الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث الإمام المهدي جـ ٤ صـ ٨٤ .

(٥) الشيخ المفيد : المسائل السرورية صـ ٣٢.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٤٠- ١٤١ بتصرف .

(٧) عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي الحميري : فاتك ثائر ، أدرك الجاهلية ، وهاجر في خلافة عمر ، وقرأ على معاذ بن جبل ، فكان من القراء ، وأهل الفقه ، والعبادة . ثم شهد فتح مصر وسكنها ، وكان من شيعة علي ، وشهد معه صفين ، ثم خرج عليه ، فاتفق مع (البرك) و (عمرو بن بكر) على قتل علي ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص ، في ليلة واحدة (١٧ رمضان) ، وتعهد البرك بقتل معاوية ، وعمرو بن بكر بقتل عمرو بن العاص ، وتعهد ابن ملجم بقتل علي ، فقصد الكوفة واستعان برجل يدعى شبيبا الأشجعي ، ثم كمنا خلف الباب الذي يخرج منه عليٌ لصلاة الفجر ، فلما خرج ضربه شبيب فأخطأه ، فضربه ابن ملجم فأصاب مقدم رأسه ، فنهض من في المسجد ، فحمل عليهم بسيفه ؛ فقبض عليه ، وفر شبيب ، وتوفي علي – رضي الله عنه – من أثر الجرح . وفي آخر اليوم الثالث لوفاته أحضر ابن ملجم بين يدي الحسن ، فقال له : والله لأضربنك ضربة تؤديك إلى النار ، فقال ابن ملجم : لو علمت أن هذا في يديك ما

ذو القرنين[1]، بل روى المخالفون عن جماعة من المسلمين : أنهم رجعوا بعد الممات قبل الدفن ، وبعد الدفن ، وتكلموا ، وتحدثوا ، ثم ماتوا [2] .

ولذلك يعتقد الشيعة أن ذا القرنين ليس بملك ، ولا نبي ، لكن كان عبداً صالحاً ، ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله ؛ فمات ، ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر ؛ فمات ؛ فبعثه الله وسُمّيّ ذو القرنين ، وأن في الأمة مثله يعني : علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – [3] .

بينما يقول بعض علماؤهم : الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة ؛ فيتطرق التأويلات عليها ؛ وإنما المعول في إثبات الرجعة على إجماع الإمامية على معناها ، فكيف يتطرق التأويل لما هو معلوم ، فالمعنى غير محتمل ، وإن كانت تعضده النصوص[4].

أما شذاذ الإمامية فيذهبون إلى : أن الرجعة هي رجوع دولتهم في أيام القائم ، من دون رجوع أجسامهم [5] .

وهذا مردود عليهم من الاثني عشرية ؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يفهموا النصوص ؛ فإنه لا يخالف في صحة رجعة الأموات إلا ملحد ، وخارج عن أقوال أهل التوحيد ؛ لأن الله قادرٌ على إيجاد الجواهر بعد إعدامها [6] . ولا يطلب من المكلف معرفة كيفية الرجعة تفصيلاً ، بل يكفي التصديق الإجمالي بها [7] ، وإن من يشك في أمثالها ، فهو شاك في أئمة الدين ، ولا يمكنه إظهار ذلك بين المؤمنين ؛ فيحتال في تخريب الملة القويمة [8] .

بينما يرد على نفسه فيقول : على أن جماعة من العلماء تأولوا ما ورد من الأخبار في الرجعة على رجوع الدولة والأمر والنهي ، دون رجوع الأشخاص ؛ لما ظنوا : أن الرجعة تنافي التكليف ،

اتخذت إلها غيرك ! ثم قطعوا يديه ورجليه ، وهو لا ينفك عن ذكر الله ، فلما عمدوا إلى لسانه شق ذلك عليه ، وقال : وددت أن لا يزال فمي بذكر الله رطباً ؛ فأجهزوا عليه وكان ذلك عام ٤٠هـ / ٦٦٠م . انظر الزركلي : الأعلام جـ ٣ صـ ٣٣٩ .

(١) ذو القرنين : اسمه اسكندر على الأشهر ، ولقب بذلك لأنه ملك فارس والروم ، وقيل : لأنه دخل النور والظلمة ، وقيل : لأنه كان برأسه شبه القرنين ، وقيل : كان له ذؤابتان،وقيل : رأى في النوم أنه أخذ بقرني الشمس . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٢صـ ٩٠.

(٢) السيد أبو القاسم بن طاووس : سعد السعود ، ط أمير ، نشر منشورات الرضى – قم ، ١٣٦٣ش صـ ٦٤ – ٦٦بتصرف .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٢ صـ ٢١٠. الشيخ الصدوق : معاني الأخبار صـ ٢٠٧.

(٤) الشيخ الطبرسي : تفسير مجمع البيان جـ ٧ صـ ٤٠٦. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٣٩ بتصرف . الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين ، تحقيق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، نشر مؤسسة إسماعيليان – قم ، ط٤ ، ١٤١٢هـ / ١٣٧٠ش جـ ٤صـ ١٠١.

(٥) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ١ صـ ١٢٥.

(٦) المصدر السابق جـ ٣ صـ ١٣٥.

(٧) تعليق أبو الحسن الشعراني على شرح أصول الكافي . انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٦ هامش صـ ٤٠١.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٢٣.

وليس كذلك ؛ لأنه ليس فيها ما يلجئ إلى فعل الواجب ، والامتناع عن القبيح ، والتكليف يصح معها ، كما يصح ظهور المعجزات الباهرة ؛ حيث ثبتت بإجماع الإمامية ، وهذا يكفي دليلاً [1].

ويأتي من يهدأ من روعنا ؛ فيقول بعد سرد أحاديث الرجعة وتواترها :" ملاحظة : الرجعة مرحلة من عمر الأرض والبشرية عليها بعد ظهور المهدي – عليه السلام – ، ولا إشكال عند علماء المسلمين أن الأمور المستقبلة أمور غيبية ، يتوقف الاعتقاد بها على ورود أحاديث شريفة ثابتة عن النبي – ﷺ – وأهل بيته – عليهم السلام – ، كما إن علمائنا لا يفتون بخروج من لم يعتقد الرجعة ؛ لعدم ثبوت أحاديثها عنده كما عند الشيعة ؛ فضلاً عن خروجه عن الإسلام ، وفي المقابل يجب أن يعذرنا أخواننا أتباع المذاهب الأخرى ، إذا اعتقدنا بمرحلة الرجعة قبل قيام القيامة ؛ لتواتر أحاديثها ، وثبوتها عندنا عن النبي – ﷺ – وآله – عليهم السلام – وغرابتها ، ووجود الغرائب في أحداثها ؛ لا يصح أن يكون مضعفاً لأحاديثها ؛ لأنا لم نؤت من العلم إلا قليلاً [2].

ولعل السبب في هذا التناقض أن :" من تتبع سيرة الأئمة – عليهم السلام – وأصحابهم في أمر الرجعة : يلاحظ أنها كانت تثير جدلاً من مخالفيهم ؛ فيسكتون عن القول بها ، ويأمرون بالسكوت ؛ لعدم المصلحة في إثارة الخلاف ، ثم يجهرون بها ، ويأمرون بالجهر بها عندما يسمح المجال لتثبيت واحدة من عقائد الإسلام التي يصرون عليها [3].

<u>الدليل على الرجعة من القرآن الكريم :</u>

الشيعة الاثنى عشرية دائماً حين تدلل على عقائدها تدخل الروايات والآراء لتفسر القرآن بما يؤيد معتقدها فتقول مثلاً : أخبر الله – عز وجل – عن حشرين : حشر أكبر يوم القيامة في قوله تعالى :" وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا" [4] ، وحشر الرجعة قبل القيامة :" وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ" [5] ، وقوله تعالى :" وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ" [6] .

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٢٧ بتصرف . الشيخ الطبرسي : تفسير مجمع البيان جـ ٧ صـ ٤٠٦ .

(٢) الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث الإمام المهدي جـ ٤ صـ ٨٥ .

(٣) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٨٦ .

(٤) سورة الكهف : آية رقم ٤٧.

(٥) سورة النمل : آية رقم ٨٣.

(٦) سورة القصص : آية رقم ٥.

وظاهر هذا الكلام يقتضي الاستقبال ، فلا يجوز أن يحمل على أن المراد به موسى – عليه السلام – وشيعته ، وإذا حملنا فرعون وهامان على أنهما الرجلان المعروفان اللذان كانا في عهد موسى – عليه السلام– ؛ فيجب أن يعادا ليريا ما منَّ الله تعالى به على ما ذكره من المستضعفين ، وهذا يوجب الرجعة لا محالة ؛ فيفهم منه جواز رجعة بعض المظلومين ؛ ليقتصوا من أعدائهم كما فعل بمن قبلهم [1].

قال تعالى :" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ" [2] ؛ هؤلاء سبعين ألفاً هرب أغنياؤهم من الطاعون ، وتركوا الفقراء ؛ فعاقبهم الله : بأن ماتوا جميعاً ، ثم مر بهم نبيٌ من أنبياء بني إسرائيل ، يقال له : أرميا[3] ، فدعا الله أن يحييهم ؛ فأحياهم الله ، وبعثهم معه . فهؤلاء ماتوا ورجعوا إلى الدنيا ، ثم ماتوا بآجالهم [4] .

وقال تعالى :" أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ " [5] ، فهذا مات مائة سنة ، ورجع إلى الدنيا ، ثم مات بأجله [6] .

وقال تعالى :" ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " [7] ؛ وذلك أنهم لما سمعوا كلام الله قالوا : لا نصدق به حتى نرى الله جهرة ؛ فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، فماتوا فقال موسى – عليه السلام – : يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم ؟ فأحياهم الله له ، فرجعوا إلى الدنيا فأكلوا ، وشربوا ، ونكحوا النساء ، وولد لهم الأولاد ، ثم ماتوا بآجالهم [8] ، وقال الله تعالى ممتناً على عيسى بن مريم – عليه السلام – :" وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي " [9] ، فجميع الموتى الذين أحياهم عيسى – عليه السلام – بإذن الله رجعوا إلى الدنيا ، وبقوا فيها ، ثم ماتوا بآجالهم[10] .

---

(١) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ٣ ص ١٣٦-١٣٧ بتصرف .

(٢) سورة البقرة : آية رقم ٢٤٣.

(٣) أرميا بن حلقيا : من سبط لاوى بن يعقوب وقصته معروفة . انظر الحافظ ابن كثير : قصص الأنبياء جـ ٢ ص ٣٢٦.

(٤) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ٦٠-٦١ بتصرف .

(٥) سورة البقرة : آية رقم ٢٥٩.

(٦) قال الصدوق : هو عزير ، أو أرميا – عليهما السلام – . الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ٦١.

(٧) سورة البقرة : آية رقم ٥٦.

(٨) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ٦١.

(٩) سورة المائدة : آية رقم ١١٠.

(١٠) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ٦١ – ٦٢.

وقال الله عن أصحاب الكهف " وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا "[1] ، ثم بعثهم الله فرجعوا إلى الدنيا ؛ ليتساءلوا بينهم – وقصتهم معروفة – ، وإذا صح أن الرجعة كانت في الأمم السالفة ، وقال النبي – ﷺ – :" يكون في هذه الأمة مثل ما يكون في الأمم السالفة ؛ فيجب على هذا الأصل أن تكون في هذه الأمة رجعة [2] .

قال تعالى :" وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا "[3] ، وقال تعالى :" وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ "[4] ، فاليوم الذي يُحشر في الجميع غير الذي يحشر فيه فوج [5].

وقال تعالى :" وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا " [6] ، يعني في الرجعة ؛ لأن الله يقول:" لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ "[7]، والتبيين في الدنيا ، لا في الآخرة [8].

قال تعالى:" وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا "[9]، يعني :" الرجعة " [10].

وقوله تعالى :" إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ " [11] قال أبو جعفر – عليه السلام – يعني الرجعة [12] .

وقوله تعالى :" وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ " [13] عن أبي عبد الله – عليه السلام – :" العذاب الأدنى الرجعة ، والعذاب الأكبر يوم القيامة " [14].

وقول من قال : إن الرجعة لا تجوز إلا في زمن النبي ؛ ليكون معجزاً له ، ودلالة على نبوته : باطل ؛ لأن عندنا بل عند أكثر الأمة يجوز إظهار المعجزات على أيدي الأئمة والأولياء [15] .

---

(١) سورة الكهف : آية رقم ٢٥.

(٢) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية صـ ٦٢.

(٣) سورة الكهف : آية رقم ٤٧.

(٤) سورة النمل : آية رقم ٨٣.

(٥) الشيخ الصدوق: الاعتقادات في دين الإمامية صـ ٦٢.

(٦) سورة النحل : آية رقم ٣٨.

(٧) سورة النحل : آية رقم ٣٩.

(٨) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية صـ ٦٣.

(٩) سورة الإسراء : آية رقم ٧٢.

(١٠) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ٢٠ .

(١١) سورة التوبة : آية رقم ١١١.

(١٢) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ٢١ .

(١٣) سورة السجدة : آية رقم ٢١.

(١٤) الحسين بن حمدان الخصيبي : الهداية الكبرى صـ ٤١٨.

(١٥) الشيخ الطبرسي : تفسير مجمع البيان جـ ١ صـ ٢٢٣.

الدليل على الرجعة من أقوال الأئمة – عليهم السلام – :

عن أبي جعفر – عليه السلام – :" أيام الله – عز وجل – ثلاثة : يوم يقوم القائم ، ويوم الكرة ، ويوم القيامة" [1] ، وعن الرضا – عليه السلام – حين سئل عن الرجعة قال :" إنها لحق قد كانت في الأمم السالفة ، ونطق بها القرآن" [2] . وهناك الكثير داخل الفصل .

هل يمكن أن نستدل على الرجعة من العقل :

يعترف الشيعة : أن الرجعة ليست من المدركات العقلية ؛ ليحتكم فيها إلى العقل ، أو لكي يسأل العقل عنها ؛ بل هي أمر غيبي لا يعرف إلا بالنقل ، أو الإجماع الكاشف عن إبلاغ المعصوم لهذا الأمر للناس ، وإجماع المجمعين قد كشف لنا عن معرفتهم بهذا الأمر التوقيفي الذي أخذوه عن المعصومين [3].

وقد تضافرت الأخبار ، وتواترت الآثار ، وأجمعت الشيعة الأبرار على الرجعة في الجملة ، وأن الأئمة جميعاً يرجعون إلى الدنيا في زمان المهدي ، مع جماعة من خُلَّص المؤمنين ، وأشقياء المخالفين [4] ، وقد ورد في ذلك ما يزيد على مائتي حديث عن ثقات علماء الشيعة [5].

ومع ذلك يرجع بعضهم إلى الاستدلال بالعقل مستنداً على إجماع الإمامية ؛ فيقول :

اعتقاد الرجعة داخل تحت مقدور الله تعالى غير مستحيل في نفسه ؛ فإذا ثبت دخولها تحت مقدور الله تعالى ، فالطريق إلى إثباتها إجماع الإمامية على وقوعها ، فإنهم لا يختلفون في ذلك وإجماعهم حجة ؛ وسببه هو دخول قول الإمام – عليه السلام – فيه ، وما يشتمل على قول المعصوم من الأقوال لابد فيه من كونه صواباً [6] . وقد نقل كثير من علماء الاثنى عشرية الإجماع على القول بالرجعة [7].

---

(١) قال الشيخ الصدوق : الكرة : الرجعة . الشيخ الصدوق : الخصال صـ ١٠٨.

(٢) الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ١ صـ ٢١٨.

(٣) السيد جعفر مرتضى : مأساة الزهراء ، شبهات وردود جـ ١ هامش صـ ١٠٣ .

(٤) عبد الله الشبر: الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة (شرح آل كاشف الغطاء) ، نشر مؤسسة الوفاء – بيروت ، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م شرح صـ ١٦١.

(٥) المصدر السابق شرح صـ ١٦٤ بتصرف .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٣٨–١٣٩ بتصرف.

(٧) قال حسن بن سليمان الحلي: نقل الإجماع من الشيعة على هذه المسألة الشيخ المفيد ، والسيد المرتضى . حسن بن سليمان الحلي : المختصر صـ ٣٢. الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث الإمام المهدي جـ ٤ صـ ٨٤ .

وكذلك فإن الوجه في رجعة الذين يرجعون أن الله – عز وجل – ؛ إنما خلق الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملاً ، وقد لا يتهيأ في نظام الخِلقة – وخصوصا في أدوار الفترة – بلاؤهم ، وفتنتهم ؛ بحيث يظهر سرائرهم ، وتتم الحجة عليهم ؛ فيقضي عليهم إما بالنار أو الجنة قضاء حتم ، أو يحول بين بلائهم الموت المقدر لهم من دون أن يكون ذلك نقمةً عليهم ، واستئصالاً لهم ؛ فلابد من رجوعهم إلى الحياة الدنيا ؛ ليتم بلاؤهم على ما ورد بذلك روايات أهل البيت .

أما إذا كان في عمل الإنسان الواحد ، أو القوم ، أوالمجتمع : ما يُسَّجِلُ عليه أو عليهم البوار والنار قضاء حتمٍ ، كالذي يستعجل بالشر ، ويباهل النبي[١] ، أو يقترح عليه أن يأتي بآية كذا وكذا ، فيؤتاها ، ولا يؤمن بها عناداً ، أو يقتل نفسه دفعا للبلاء الذي توجه إليه ، وغير ذلك من الموارد التي لا مجال للبحث عنها ، فحينئذ يتم بلاؤه ، ويظهر سريرته ، ويحتم عليه بالهلاك ، وإذا أهلكه الله بعذاب نازل إليه أو إليهم لا يبقى مجال لإقالتهم عن البلوى الأولى ، وإرجاعهم إلى دار الامتحان مجدداً [٢] .

مع ما روي : أن رجلا جاء للإمام الصادق – عليه السلام – فقال : يا مفضل : إن من شيعتكم من لا يقول برجعتكم ؟ فقال – عليه السلام– : " إنما سمعوا قول جدنا رسول الله – صلى الله عليه وآله – ونحن سائر الأئمة نقول :" وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ " [٣] ، فالعذاب الأدنى : عذاب الرجعة ، والعذاب الأكبر : عذاب يوم القيامة [٤].

فهل علينا أهل السنة من لوم إن اتبعنا هدي النبي – ﷺ – ولم نعلم بهدي أئمتهم ؛ فأهل العلم يقولون : رحم الله عبداً انتهى إلى ما علم وسمع ، وقد اتفقنا : لا تكليف إلا بعد علم .

ويقول أيضاً إن بعض الشيعة يقولون : معنى الرجعة أن يرد الله إلينا مُلك الدنيا ، وأن يجعله للمهدي ؛ فقال الصادق – عليه السلام – :" ويحهم ومتى سلبنا الملك حتى يرد علينا [٥] ، ثم يعترف أبو جعفر – عليه السلام بأنه :" لا يعتقد أهل العراق بالرجعة " [٦] .

---

(١) المباهلة : الملاعنة ؛ فإن المتَبَاهِلَيْن يدعو كل واحد منهما على صاحبه . نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ١ صـ ٦٤٢.

(٢) كلام عبد الرحيم الشيرازي محقق كتاب بحار الأنوار. انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٨٦ هامش صـ ٢٤٥.

(٣) سورة السجدة : آية رقم ٢١.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٢٤ بتصرف .

(٥) المصدر السابق جـ ٥٣ صـ ٢٦ بتصرف .

(٦) المصدر السابق جـ ٥٣ صـ ٤٠ .

ومن أهم الأدلة العقلية ما حكاه علماء الشيعة من روايات عن اجتماع النجوم في السماء سنوات طويلة ، تمهيداً للرجعة ، ثم يقولون :" ثم اعلم أن هذه الخيالات ، والروايات ، وإن لم تكن مبتنية على أصل متين ؛ لكنها مما يرفع استبعادات الأوهام عن الأخبار الواردة في الرجعة [1].

من الذي سيرجع من الأمم :

الرجعة عند الشيعة الاثني عشرية :" تختص بمن محَّض[2] الإيمان ، ومحَّض الكفر دون ما سوى هذين الفريقين" [3] ، فهي عامة لكل الأمم ؛ فعن الصادق – عليه السلام –:" إنما يرجع إلى الدنيا عند قيام القائم – عليه السلام – : من محض الإيمان محضاً ، أو محض الكفر محضاً ، فأما ما سوى هذين ، فلا رجوع لهم إلى يوم المآب"[4].

فإذا رجع من محض الكفر: أوهم الشيطان أعداء الله – عز وجل – إنما ردوا إلى الدنيا لطغيانهم على الله ؛ فيزدادوا عتواً ، فينتقم الله تعالى منهم بأوليائه المؤمنين ، ويجعل لهم الكرة عليهم ، فلا يبقى منهم أحد إلا وهو مغموم بالعذاب ، وتصفو الأرض من الطغاة ، ويكون الدين لله تعالى [5] .

ولكننا نجد علماء الاثني عشرية يفسرون كلام المعصوم على خصوص أمة محمد – ﷺ – دون غيرها ، فيقررون أن : الرجعة تكون لممحضي الإيمان من أهل الملة ، وممحضي النفاق منهم دون من سلف من الأمم الخالية [6] ؛ والعلة في رجعتهم وحدهم :" حتى لا يستبدل عليهم بهذه المنزلة غيرهم [7]. يعني ينفرد المؤمن بهذا الشرف ، والمنافق بهذا العار والذل ! .

ويقول الشيخ المفيد :" إن الراجعين إلى الدنيا فريقان : أحدهما: ما علت درجته في الإيمان ، وكثرت أعماله الصالحات ، وخرج من الدنيا على اجتناب الكبائر والموبقات ؛ فيريه الله – عز وجل – دولة الحق ، ويعزه بها ، ويعطيه من الدنيا ما كان يتمناه .

---

(١) قال عبد الرحيم الشيرازي :" لم نجد ترجمة رجال السند في شيء من تراجم العامة ، والخاصة " . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٤ صـ ٢٢٤ –٢٢٥.

(٢) من المعلوم : أَنَّ أَحَدًا غَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَمْحَضُ الطَّاعَةَ حَتَّى لَا يَشُوبَهَا بِمَعْصِيَةٍ مِنَ الصَّغَائِرِ ، وَلَا أَحَدَ يَمْحَضُ الْمَعْصِيَةَ حَتَّى لَا يَشُوبَهَا بِشَيْءٍ مِنَ الطَّاعَاتِ قَالَ تَعَالَى : " فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ". القارعة: ٦– ٩.
فهذا من التلبيس على القارئ كما ترى فمن هذا الذي سيمحض الإيمان حتى لا يقع منه معصية قط ! . انظر العلامة أبو الحسن الماوردى : الحاوى الكبير ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م جـ ١٦ صـ ١٥٠.

(٣) الشيخ المفيد : المسائل السرورية صـ ٦٢–٦٣ بتصرف.

(٤) الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث الإمام المهدي جـ ٤ صـ ٨٣ .

(٥) الشيخ المفيد : المسائل السرورية صـ ٣٥. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٣٨.

(٦) الشيخ المفيد : المسائل السرورية صـ ٦٢–٦٣ بتصرف.

(٧) القاضي ابن البرج الطرابلسي : جواهر الفقه صـ ٢٦٨.

والآخر: من بلغ الغاية في الفساد والعناد ، وانتهى في خلاف المحقين إلى أقصى الغايات ، وكثر ظلمه لأولياء الله ، واقترافه السيئات ؛ فينتصر الله تعالى لمن تعدى عليه قبل الممات ، ويشفي غيظهم منه بما يحله من النَّقمات ، ثم يصير الفريقان من بعد ذلك إلى الموت ، ومن بعده إلى النشور ، وما يستحقونه من دوام الثواب والعقاب "(١) .

لكنهم يرجعون فيقولون : الرجعة تشمل الأمم قبلنا وإذا سألت : أين الأدلة فاسمع إذن :

يؤيد رجعة بعض الأمم قبلنا : ما جاء عن جبريل – عليه السلام – أنه أخبر أن الله تعالى قال للنبي– ﷺ – :" قتلتُ بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً ، وإنّي أقتل بدم ابنك الحسين بن علي سبعين ألفاً ، وسبعين ألفاً "(٢) ، وسئل أبو عبد الله – عليه السلام – هل لأمير المؤمنين – عليه السلام – كرات ؟ قال : نعم إنها لكرات ، وكرات ، ما من إمام في قرن إلا ويكر البر والفاجر في دهره ، حتى يديل الله المؤمن من الكافر (٣) ، وعن الصادق – عليه السلام – :" والله لا تذهب الأيام والليالي حتى يحيي الله الموتى ، ويميت الأحياء ، ويرد الحق إلى أهله ، ويقيم دينه الذي ارتضاه لنفسه " (٤).

ماذا يفعل القائم – عليه السلام – حين يخرج :

ذكر علماء الاثنا عشرية أموراً لابد من تحققها عند ظهور القائم في آخر الزمان منها :

ينتظر المهدي إلى أن " يجتمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا من أقاصي الأرض ، فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص ، أظهر الله أمره ، فإذا كمل العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله – عز وجل – ، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله – عز وجل – " (٥) ، فإذا خرج المهدي حكم بحكم سليمان وداود ، ولا يسأل بينة (٦) ، وهو " أمر جديد ، وكتاب جديد ، وقضاء جديد " (٧)؛ فعن أبي جعفر – عليه السلام – :" يقوم بأمرٍ جديدٍ ،

---

(١) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٧٨ .

(٢) الشيخ عبد الله البحراني : العوالم ، الإمام الحسين ، ط أمير – قم ، تحقيق ونشر : مدرسة الإمام المهدي بالحوزة العلمية – قم ، ط١ ، ١٤٠٧هـ / ١٣٦٥ش صـ ٦٠٧ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٥ صـ ٢٣٣.

(٣) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ٢٧ . الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٩ صـ ٩٣.الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث المهدي جـ ٤ صـ ٩٣.

(٤) محمد الريشهري : ميزان الحكمة جـ ٢ صـ ١٠٣٦ .

(٥) الشيخ الصدوق : إكمال الدين وتمام النعمة صـ ٣٧٨. الميرزا النوري : خاتمة المستدرك جـ ٥ صـ ٢٤٠.

(٦) الكليني: أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٩٧.المفيد : الإرشاد صـ ٤١٣.الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١٧ صـ ٣٦٥.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ١٣٥.

وكتابٍ جديدٍ ، وسنةٍ جديدةٍ ، وقضاءٍ جديدٍ ، على العرب شديد ؛ ليس شأنه إلا القتل ، لا يستتيب أحد ، ولا تأخذه في الله لومة لائم " [١] ، مع أن الإسلام نسخ كل الشرائع السابقة ! ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" إذا قام القائم جاء بأمر غير الذي كان " [٢] .

فما معالم هذا الأمر الخفيّ الذي يفعله المهدي فيجعل الناس حيرى في أمره ؟ .

الجواب غير ما سبق : أنه يغير بعض أحكام الميراث والفرائض ؛ فعن الصادق – عليه السلام – :" فلو قد قام قائمنا أهل البيت ؛ أورث الأخ الذي آخى بينهما في الأظلة [٣] ، ولم يورث الأخ من الولادة " [٤] ، ويقتل الشيخ الزاني ، ويقتل مانع الزكاة [٥] ، ويفعل شيئا غريباً وهو :" أنه يقتل من بلغ العشرين ، ولم يتفقه في الدين " [٦] ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – إذا قام القائم :" ركب فرسا أدهم أبلق بين عينيه شمراخ [٧] ، ثم ينتفض به فرسه فلا يبقى أهل بلدة إلا وهم يظنون أنه معهم في بلادهم "[٨] ؛ الله أكبر : وكأنه بث مباشر !.

ثم يتوجه إلى قبر جده – ﷺ – فيكسر الحائط الذي على القبر ثم يخرجهما – يعني الشيخين – ، غضين رطبين فيلعنهما ، ويتبرأ منهما ، ويصلبهما ، ثم ينزلهما ويحرقهما ، ثم يذريهما في الريح ، ويكسر المسجد[٩] ، ثم يقوم بضرب أعناق خمسمائة من قريش ، ثم خمسمائة أخرى ثم أخرى ، حتى يفعل ذلك ست مرات [١٠] ، ثم يذبح العرب تنفيذا لوصية أبي عبد الله – عليه السلام – حيث قال : ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح [١١] ؛ لأن " رسول الله – ﷺ – سار في أمته باللين ، وكان يتألف الناس ، والقائم أُمر أن يسير في الناس بالقتل ، وألا يستتيب أحدا ، فالويل لمن ناوأه "[١٢].

---

(١) السيد البراقي : تاريخ الكوفة ص ١١٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ ص ٢٣١.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ ص ٣٣٢.

(٣) يقول الصدوق : إن الله آخى بين الأرواح في الأظلة ، قبل أن يخلق الأبدان بألفي عام . الشيخ الصدوق : الاعتقادات ص ٨٣.

(٤) الشيخ الصدوق : الهداية ص ٣٤٣. ونفس المؤلف : من لا يحضره الفقيه جـ ٤ ص ٣٥٢.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ ص ٣٥٩. الشيخ الصدوق : الخصال ص ١٦٩.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ ص ٣٨١. الشيخ الطبرسي : إعلام الورى بأعلام الهدى جـ ٢ ص ٣١٠.

(٧) الشمراخ : غرة الفرس .انظر الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٦٧٢.

(٨) السيد البراقي : تاريخ الكوفة ص ١١٧ – ١١٨. جعفر بن محمد بن قولويه : كامل الزيارات ص ٢٣٤.

(٩) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ ص ٣٨٦.

(١٠) المفيد : الإرشاد ص ٤١١. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ ص ٣٣٨.

(١١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ ص ٣٤٩.

(١٢) المصدر السابق جـ ٥٢ ص ٣٥٣.

وعن أبي عبد الله – عليه السلام – في تفسير قوله تعالى :" يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ "[1] ، قال :" لو قام قائمنا أعطاه الله السيماء ، فيأمر بالكافر فيؤخذ بنواصيهم وأقدامهم ، ثم يخبط بالسيف خبطاً "[2].

وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" أما لو قام قائمنا لقد ردت إليه الحميراء[3] ، حتى يجلدها الحد ، وحتى ينتقم لابنة محمد فاطمة – عليها السلام – منها ، فقيل له : ولم يجلدها الحد ؟ قال : لفريتها على أم إبراهيم ، قيل له : فكيف أخره الله للقائم ؟ فقال : لأن الله تبارك تعالى بعث محمداً – صلى الله عليه وآله – رحمة ، وبعث القائم نقمة ! " [4] .

وعن أمير المؤمنين – عليه السلام – أنه كان بالكوفة ، فضرب الأرض برجله فزلزلت وقال :" وأيم الله لو قام قائمنا لأخرج من هذا الموضع اثني عشر ألف درع ، واثني عشر ألف بيضة [5]لها وجهات ، ثم ألبسها اثني عشر ألفا من ولد العجم ، ثم يأمر بقتل كل من كان على خلاف ما هم عليه "[6].

وعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" لو قام قائمنا بعث الله إليه قوماً من شيعته من قبورهم ، سيوفهم على عواتقهم [7] ، ثم يجمع له جميع الشيعة من جميع البلدان ، حتى إن بعضهم ليركب السحاب إليه – عليه السلام – [8] ، كل هذا لقتل العرب ، فأين حقوق الإنسان ؟ وأين العدل ؟ ولما هذه الحرب ؟ .

---

(١) سورة الرحمن : آية رقم ٤١.

(٢) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٣٧٩. الشيخ المفيد : الاختصاص ص ٣٠٤.

(٣) الحمراء أو الحميراء : أي البيضاء ، المراد بها عائشة – رضي الله عنها – ، وهو لقب كان يناديها به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال أبو الحجاج المزي : كل حديث فيه ذكر الحميراء باطل إلا حديثاً في الصوم في سنن النسائي ، وحديث آخر في النسائي: دخل الحبشة المسجد . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ ص ٢٤٢. و جـ ٣١ ص ٦٤٠. الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢ هامش ص ١٦٧ – ١٦٨ بتصرف . ابن منظور : لسان العرب جـ ١٢ ص ٩٩٠ . أبو يعلى الموصلي : مسند أبي يعلى جـ ١ ص ٣٢٢. ابن حجر : فتح الباري جـ ٢ ص ٥١٠. السيد علي الشهرستاني : وضوء النبي جـ ١ ص ٢٢٣.

(٤) الشيخ الصدوق : علل الشرايع جـ ٢ص ٥٨٠ .

(٥) البيضة : الخوذة . انظر المعجم الوجيز ، مادة باضت ص ٦٩ .

(٦) الحسين بن حمدان الخصيبي : الهداية الكبرى ص ١٦٠ بتصرف .

(٧) السيد مرتضي الأبطحي : الشيعة في أحاديث الفريقين ص ٣٨٢ بتصرف.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥١ ص ٥٣ ، وص ٥٨.السيد بهاء الدين النجفي : منتخب الأنوار المضيئة ، ط اعتماد – قم ، تحقيق ونشر : مؤسسة الإمام الهادي – قم ، ط١ ، ١٤٢٠هـ / ١٣٧٨ش هامش ص ٣٢.

وعن أبي عبد الله – عليه السلام – قال :" لو قام قائمنا بدأ بكذابي شيعتنا فقتلهم [1] ، وعنه أيضاً قال :" ما أنزل الله سبحانه آية في المنافقين إلا وهي في من ينتحل التشيع " [2] .

قال الصادق – عليه السلام – مختصراً : يظهر في شبهة ؛ ليستبين ، فيعلو ذكره ، ويظهر أمره ، وينادى باسمه ، وكنيته ، ونسبه ، ويكثر ذلك على أفواه المحقين والمبطلين ، والموافقين والمخالفين ؛ لتلزمهم الحجة بمعرفتهم به ، ثم يظهره الله على الدين كله ، حتى يرفع الاختلاف بين الأديان ، فلا يبقى في الأرض إلا دين واحد [3].

ويحضر الناس ؛ فيقول لهم القائم – عليه السلام – : من أراد أن ينظر إلى آدم ، وشيث ، ونوح ، وسام [4] ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وموسى ، ويوشع ، وعيسى ، وشمعون[5] ، ومحمد ، وأمير المؤمنين ، والحسن ، والحسين ، والأئمة من ولد الحسين – عليهم السلام – ؛ فلينظر إليَّ ، ثم يقرأ الصحف التي نزلت على كل الأنبياء ؛ فإذا سمعت كل أمة كتاب نبيها ؛ أقرت له بأن هذا هو كتابها الذي قرأه لم يبدل منه حرف واحد ، ثم تظهر الدابة [6].

ويكون خروج الدابة بعد المهدي – عليه السلام – في الرجعة [7] ، والأخبار في شأن الدابة متعارضة من طرق الشيعة [8] ، ويهدم الكعبة ، ويبنيها على قواعد إبراهيم ؛ لأن الذي بناها ليس بنبي ، ولا وصي [9] ، ويقطع أيدي بني شيبة السُّراق ، ويعلّقها على الكعبة " [10] ، وفي رواية :

---

(١) علي أكبر غفاري : دراسات في علم الدراية تلخيص مقباس الهداية للمامقاني ، ط تابش – طهران ، نشر جامعة الإمام الصادق ، ط١ ، ١٣٦٩ ش صـ ١٥٥.الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث الإمام المهدي جـ ٣ صـ ٤٢٢.

(٢) علي أكبر غفاري : دراسات في علم الدراية تلخيص مقباس الهداية للمامقاني صـ ١٥٥.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٣ – ٤ بتصرف .

(٤) سام : سام بن نوح – عليه السلام – ، أبو العرب ، وفارس ، والروم . الحافظ ابن كثير : قصص الأنبياء جـ ١ صـ ١٠٩ .

(٥) شمعون : رسول من الثلاثة المرسلين إلى أنطاكية التي ذكرت قصتهم في يس : آيات ١٣ - ٣٢. وقيل : الذي ذكرت قصته في البقرة : آيات ٢٤٦- ٢٥٢، كان قبل داود ، وكان يسمى أيضا : شمويل . الحافظ ابن كثير : قصص الأنبياء جـ ٢ صـ ٢٧٥ ، جـ ١ صـ ٣٨١.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٩ – ١٠ بتصرف .

(٧) يوجد ارتباط بين رجعة علي وبين خروج الدابة ، بل تذكر بعض الروايات أن الدابة الموعودة في الآية هي علي – عليه السلام – ، وبعضها ينفي أن يكون عليا هو الدابة الموعودة ، وبعضها تقول : أن علياً – عليه السلام – هو صاحب الدابة " . انظر الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث الإمام المهدي – عليه السلام – جـ ٢ صـ ١٩٣ .

(٨) المصدر السابق جـ ٣ صـ ١٤١ .

(٩) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ١١ بتصرف .

(١٠) الميرزا النوري : مستدرك سفينة البحار جـ ١٨ صـ ١٥٢. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ٣٣٢.

المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ؛ حتى يردهما إلى أساسهما [١] ، ثم سار إلى الكوفة ؛ ليهدم بها أربعة مساجد ، ولم يبق مسجداً على وجه الأرض له شرف إلا هدمها ، وجعلها جماء[٢] " [٣] .

وينتج عن ذلك مذبحة مروعة لكن هذه المذبحة ليست للكفار والمنافقين فقط ، بل للموالين أيضاً حيث :" يقضي القائم بقضايا ينكرها بعض أصحابه ممن قد ضرب قُدَّامه بالسيف ، وهو قضاء آدم – عليه السلام – فيقدمهم ، فيضرب أعناقهم ، ثم يقضي الثانية ، فينكرها قوم آخرون ممن قد ضرب قُدَّامه بالسيف ، وهو قضاء داود – عليه السلام – فيقدمهم فيضرب أعناقهم ، ثم يقضي الثالثة ، فينكرها قوم آخرون ممن قد ضرب قُدَّامه بالسيف ، وهو قضاء إبراهيم – عليه السلام – فيقدمهم فيضرب أعناقهم ، ثم يقضي الرابعة وهو قضاء محمد – صلى الله عليه وآله – فلا ينكرها أحد عليه" [٤].

أما عن عدد سنين ملكه ؛ فقالوا :" إن القائم ليملك ثلاثمائة وتسع سنين ، كما لبث أصحاب الكهف ، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، كما مُلِئَتْ ظلماً وجوراً ، ويفتح الله عليه شرق الأرض ومغاربها ، ويقتل الناس حتى لا يرى إلا دين محمد – ﷺ – ، يسير سيرة سليمان بن داود – عليهما السلام – يدعوا الشمس والقمر فيجيبانه، وتطوى له الأرض، ويوحي الله إليه فيعمل بأمر الله " [٥].

وأما أول البلاد نزولاً : فعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" أول ما يبدأ القائم بأنطاكية[٦] ، فيستخرج منها التوراة ؛ من غار فيه عصا موسى ، وخاتم سليمان – عليهما السلام –" [٧] .

وفي رواية :" يستخرج التوراة ، وسائر كتب الأنبياء من غار أنطاكية ؛ فيحكم بين أهل التوراة بالتوراة ، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل ، وبين أهل الزبور بالزبور ، وبين أهل الفرقان بالفرقان" [١] .

---

(١) الشيخ الطوسي : الغيبة صـ ٤٧٢ بتصرف . علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ٢ صـ٢٥٤.

(٢) بنيان أَجَمُّ: ليس له شرفات ، وشاة جَمَّاءُ : لا قرن لها . نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ٢ صـ ٩٦١.

(٣) السيد البراقي : تاريخ الكوفة صـ ١١٦. المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ٧ صـ ٢٨١.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٣٨٩. الشيخ علي الكوراني : معجم أحاديث المهدي جـ ٣ صـ ٣٠٩.

(٥) الشيخ على الكوراني : معجم أحاديث المهدي جـ ٣ صـ ٣٠٧. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٣٩٠.

(٦) أنطاكية : بتخفيف الياء ، مدينة عظيمة من سوريا بالشام على ساحل البحر ، بناها بطليموس بن هيفلوس الثاني من ملوك اليونانيين ، وهي إحدى عجائب العالم ، والنصارى يدعونها مدينة الله ، ومدينة الملك ، وأم المدائن ؛ لأنها أول بلد أظهر فيه دين النصرانية ، وبها كرسي بطرس ، ويسمى شمعون وشمعان ، وهو خليفة إيشوع الناصري المرأس على تلامذته الاثني عشر والسبعين وغيرهم ، فتحها العباس بن الوليد ٩٣هـ ، وفي سنة ٣٥٨هـ تغلب العدو على أهل انطاكية ، وخيروا أهلها بين المقام على أداء الجزية ، أو الخروج إلى أرض الشام فرضي بالجزية خلق كثير ، ويقال إن انطاكية لا تمر عليها سحابة إلا مطرتها ؛ لبقية رضاض (فُتاتٌ مما تكسَّر) من ألواح موسى – عليه السلام – في غار في جبل من جبالها ، ورضاض من تابوت السكينة . محمد بن عبد المنعم الحِميري : الروض المعطار صـ ٣٨ – ٣٩ .

(٧) السيد البراقي : تاريخ الكوفة صـ ١١٧. محمد بن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة صـ ٤٦٦.

وتتوالى المفاجآت فالدور على قرابات النبي – ﷺ – فعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه ؛ مما يقتل من الناس ، أما إنه لا يبدأ إلا بقريش ، فلا يأخذ منها إلا السيف ، ولا يعطيها إلا السيف ، حتى يقول أكثر الناس : ما هذا من آل محمد ، ولو كان من آل محمد لرحم " [2] ، وفي رواية :" فيقتل ألفا وخمسمائة قرشياً ، ليس فيهم إلا فرخ زنية " [3] .

ويكون ذلك أكثر في بني أعمام الأئمة فعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" يكثر القتل في أهل بيت من قريش ، حتى يُدعى الرجل منهم إلى الخلافة ، فيأباها ؛ ثم قال للراوي : لا تقل : أني قد عنيت بني عمي هؤلاء [4] . فقال الراوي : بل عناهم [5] ؛ إشارة إلى بني عباس لا بني الحسن [6].

ويستمر القتل حتى :" يذهب ثلثا الناس " كما قال أبو عبد الله – عليه السلام –[7] ؛ وحتى :" يذهب تسعة أعشار الناس " كما قال أبو عبد الله – عليه السلام – أيضاً [8] .

وبعد هذه المذابح المروعة يتساءل سائل : لماذا سمي المهدي ، ولم يسم السفاح كما سمي الإمام علي فيجيب أبو عبد الله – عليه السلام – :" وإنما سمي المهدي ؛ لأنه يهدي إلى أمر خفي ، حتى إنه ليبعث إلى رجل لا يعلم الناس له ذنباً فيقتله ، حتى إن أحدكم يتكلم في بيته ، فيخاف أن يشهد عليه الجدار ! " [9].

حكم من يُبَايَع أو يُبَايِع قبل القائم :

يقول الصادق – عليه السلام – :" كل بيعة قبل ظهور القائم – عليه السلام – ؛ فبيعته كُفر ، ونفاق ، وخديعة ، لعن الله المبايع لها ، والمبايع له "[10].

---

(١) الشيخ الصدوق : علل الشرائع جـ ١ صـ ١٦١. القاضي النعماني المغربي : شرح الأخبار جـ ٣ صـ ٣٩٧.

(٢) السيد البراقي : تاريخ الكوفة صـ ١١٤. محمد إبراهيم النعماني : الغيبة صـ ٢٣٨.

(٣) السيد البراقي : تاريخ الكوفة صـ ١١٦. محمد بن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة صـ ٤٥٥.

(٤) يقول علي أكبر غفاري : أي بني الحسن ، أو بني العباس ، ويحمل كلامه على التقية ، ولكن ما ذكره – عليه السلام – من كثرة القتل كان في بني الحسن أظهر ، وإن كان وقع في بني العباس . انظر الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ هامش صـ ٢٩٥ بتصرف .

(٥) الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ صـ ٢٩٥.

(٦) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١٢ صـ ٤١١.

(٧) الشيخ الطوسي : الغيبة صـ ٣٤٥. السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ٢ صـ ٧٩.

(٨) محمد إبراهيم النعماني : الغيبة صـ ٢٨٣.المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٢٤٤.

(٩) السيد البراقي : تاريخ الكوفة صـ ١١٧. محمد بن إبراهيم النعماني : كتاب الغيبة صـ ٢٤٣.

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٨ .

وعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" كل راية ترفع قبل قيام القائم ؛ فصاحبها طاغوت[١] يُعْبَد من دون الله – عز وجل – "[٢].

وعنه : خمس علامات قبل قيام القائم : الصيحة ، و السفياني ، والخسف[٣] ، وقتل النفس الزكية ، واليماني ؛ فقيل له : إن خرج أحد من أهل بيتك قبل هذه العلامات ؛ أنخرج معه ؟ قال: لا [٤] .

وعن الباقر – عليه السلام – :" مثل من خرج من أهل البيت قبل قيام القائم : مثل فرخ طار ، ووقع من وكره ؛ فتلاعب به الصبيان " [٥] .

وعن محمد بن علي– عليهما السلام – :"إن لبني العباس راية ، ولغيرهم رايات ، فإياك إياك ، ثم إياك إياك – ثلاث مرات – حتى ترى رجلاً من ولد الحسين – عليه السلام – يبايع له بين الركن والمقام معه سلاح رسول الله – صلى الله عليه وآله – ، ومغفر [٦] رسول الله – صلى الله عليه وآله – ودرع رسول الله – صلى الله عليه وآله – وسيف رسول الله – صلى الله عليه وآله – ، ضع خدك على الأرض ، ولا تحرك رجليك ؛ حتى ينزل الروم الرملية[٧] ، والترك الجزيرة[٨] ، وينادِ منادٍ من دمشق "[٩] ، ومن تحاكم إلى أحد غير الأئمة ، فقد تحاكم إلى الطاغوت وما أخذه بناء على ذلك فهو سحت وإن كان حقا ثابتاً ؛ لأنه أخذ بحكم الطاغوت [١٠] . وإذا كان الأمر كذلك فلماذا خرج الإيرانيون لقتال العراقيين تحت راية الخميني ؟ ويلوحون الآن بقتال أمريكا وغيرها ؟.

شبه حول الرجعة : الشبهة الأولى : ألا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ؟

---

(١) الطاغوت : كل ما يعبد من دون الله ، أو يصدر عن سبيله : من شيطان ، أو رئيس ، أو صنم ، أو ظالم . انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١٢ صـ ٤١٢. د أحمد مختار عبد الحميد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٢ صـ ١٣٨١.

(٢) الكليني : الروضة من الكافي جـ ٨ صـ ٢٩٥. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٨.

(٣) الخسف : خسف المكان : ذهابه وغوره إلى قعر الأرض وجمعه الخسوف كما في بيان أشراط الساعة وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب . صحيح مسلم ٤/ ٢٢٢٥. الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٢ صـ ٥٧.

(٤) الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ١١ صـ ٣٧ بتصرف .

(٥) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١١ صـ ٣٧.

(٦) المغفر : زرد ينسج على شكل حلقة من الدروع ، على قدر الرأس ، يلبس تحت القلنسوه . المعجم الوسيط صـ ٦٥٦.

(٧) الرملية : مدينة عظيمة بفلسطين . انظر الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١١ هامش صـ ٣٩.

(٨) الجزيرة : عدة أماكن بالعراق منها : جزيرة أقور وهي بين دجلة والفرات ، تحت الموصل ، وجزيرة ابن عمر ، فوق الموصل ، ولعل المراد أحدهما . انظر الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ ١١ هامش صـ ٣٩.

(٩) المصدر السابق جـ ١١ صـ ٣٩.

(١٠) أبو الصلاح الحلبي : الكافي صـ ٤٢٤– ٤٢٥ بتصرف . العلامة الحلي : تحرير الأحكام جـ٥صـ ٢٣٩بتصرف.

قد يقال : كيف يعود كفار الملة من أعداء الله بعد الموت إلى طغيانهم ، وقد عاينوا عذاب الله تعالى في البرزخ ، وتيقنوا بذلك أنهم مبطلون ؟ ! ، بل ورد أن هؤلاء حين يرجعون يدعون الربوبية والإلهية من دون الله ، ويُنْظَرُون مُمَهّلُون إلى يوم الوقت المعلوم (١) ،. بل إنهم يفعلون أشد الكفر في حينها ؛ فقد سئل أمير المؤمنين – عليه السلام – : أحياةٌ قبل القيامة ، ثم موتٌ ؟ فقال : " نعم والله ؛ لكفرة من الكفر بعد الرجعة أشد من كفرات بعدها "(٢) .

الجواب : ليس بذلك أعجب من الكفار الذين يشاهدون في البرزخ ما يحل بهم من العذاب ، ويعلمونه ضرورة بعد المدافعة لهم ، والاحتجاج عليهم بضلالهم في الدنيا ، فيقولون حينئذ :" يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " (٣) ؛ فقال الله – عز وجل – :" بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ " (٤) فلا يبقى للمخالف شبهة (٥).

فإذا أراد الله الرجعة أوهم الشياطين أعداء الله – عز وجل – أنهم رُدُّوا إلى الدنيا ؛ لطغيانهم على الله ؛ فيزدادون عتواً ؛ فينتقم الله تعالى منهم بأوليائه المؤمنين (٦).

والجواب الآخر : أن الله سبحانه إذا رد الكافرين في الرجعة ؛ لينتقم منهم : لم يقبل لهم توبة ، وجَرُوا في ذلك مجرى فرعون لمَّا أدركه الغرق " قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ "(٧) قال الله سبحانه له :" آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ " (٨) ؛ فرد الله عليه إيمانه ، ولم ينفعه في تلك الحال ندمه وإقلاعه ؛ وكأهل الآخرة الذين لا يقبل الله لهم توبة ولا ينفعهم ندم ؛ لأنهم كالملجئين إلى الفعل ؛ ولأن الحكمة تمنع من قبول التوبة أبداً ، ويوجب اختصاص بعض الأوقات بقبولها دون بعض ، قال تعالى :" يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ" (٩) فهذه الآية هو القائم – عليه السلام – فإذا ظهر لم يقبل توبة المخالف (١٠) .

---

(١) الحسين بن سليمان الخصيبي : الهداية الكبرى صـ ٧٨.

(٢) الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث الإمام المهدي جـ ٣ صـ ١٤٠ .

(٣) سورة الأنعام : آية رقم ٢٧.

(٤) سورة الأنعام : آية رقم ٢٨.

(٥) الشيخ المفيد: المسائل السرورية صـ ٣٦. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٣٨.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٣٧–١٣٨.

(٧) سورة يونس : آية رقم ٩٠.

(٨) سورة يونس : آية رقم ٩١.

(٩) سورة الأنعام : آية رقم ١٥٨.

(١٠) أحمد الميانجي : مواقف الشيعة ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤١٦هـ جـ ١ صـ ٢٧١ .

ونقف مع سؤال مهم لماذا لا يكون هؤلاء الذين يرجعون أنبياء كما رجع السبعون الذين اختارهم موسى – عليه السلام – ؛ ليسمعوا كلام الله ، فلما سمعوا الكلام ؛ قالوا : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فبعث الله عليهم صاعقة فاحترقوا ، ثم أحياهم الله بعد ذلك ، وبعثهم أنبياء [١]. مع أن النبي – ﷺ – قال :" لم يكن في بني إسرائيل شيء ؛ إلا وفي أمتي مثله " [٢] ، فلماذا لا يكونون أنبياء كهؤلاء ويستمرون على كفرهم وضلالهم أم أن الحكم يختلف في أمتنا !.

والسؤال الأهم ألم يقل الله – عز وجل – :" لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ "[٣] ، فكيف نال هؤلاء العهد بالنبوة وهم ظالمون ؟ أظن أن الجواب : هناك فرق بين النبوة والإمامة ؛ فالنبوة قد ينالها الظالمون ، لكن الإمامة لا ينالها الظالمون ! ؛ لأن الأئمة أفضل من الأنبياء ! .

<u>من أين يخرج الذين يرجعون للدنيا ؟ وما أعمالهم ؟ .</u>

تقول الروايات أنهم يخرجون : من مسجد يسمى مسجد السهلة بالكوفة حيث صلى جميع الأنبياء " ومنها يظهر عدل الله ، وفيها يكون قائمه ، والقوام من بعده ، وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين " [٤] .

وهذا يدل على أن بعد وفاته – عليه السلام – يكون قوَّامٌ له في الأرض ؛ موافقاً للأخبار الدالة على الأئمة الذين يكرون في الرجعة يملكون الأرض بعده ، وهو مخالف للمشهور ويمكن أن يكون المراد قوامه في حياته بعد انتقاله من هذه البلد إلى سائر البلدان ، أو يكون المراد البعدية بحسب المرتبة [٥] .

ويؤكد هذا ما رواه أبو عبد الله – عليه السلام – أن رسول الله – صلى الله عليه وآله – بلغه عن بطنين من قريش كلام تكلموا به ، فقال : كيف أنتم يا معاشر قريش ، وقد كفرتم بعدي ، ثم رأيتموني في كتيبة من أصحابي أضرب وجوهكم ورقابكم بالسيف ، فنزل جبريل – عليه السلام – وقال : يا محمد قل : إن شاء الله ، أو يكون ذلك علي بن أبي طالب ؛ فقالها النبي – صلى الله عليه وآله – ، ويخرج علي من ظهر الكوفة [٦] .

---

(١) الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين جـ ١ صـ ٨١ .

(٢) المصدر السابق جـ ٢ صـ ٨١ .

(٣) سورة البقرة : آية رقم ١٢٤.

(٤) جعفر بن محمد بن قولويه : كامل الزيارات ، تحقيق : الشيخ جواد القيومي ، ط مؤسسة النشر الإسلامي ، نشر مؤسسة نشر الفقاهة – قم ، ط١ ، ١٤١٧هـ صـ ٧٦. الحر العاملي : وسائل الشيعة جـ ٥ صـ ٢٥٥. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٤٨.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٤٨.

(٦) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ١٩ – ٢٠ بتصرف .

وكيف يَبْلُغُه – ﷺ – كلامٌ عن أحد ؛ وقد نها الصحابة – رضي الله عنهم – فقال :" لَا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا ؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سُلَيْمُ الصَّدْرِ " [١] . ثم إن النبي – ﷺ – قال : كتيبة من أصحابه ؛ فكم عددها : هل ثلاثة ، أو أربعة ، أو شبعة ؛ بعدد الذين لم يرتدوا بعد موت النبي – ﷺ – ؟ أظن أن الكتيبة تفتح المجال لغيرهم .

ما هي أحداث بيعة المهدي ؟ ومتى يخرج – عليه السلام – ؟ :

ويبايع القائم عند الحجر الأسود ، وأول من يبايعه جبرائيل – عليه السلام – [٢] .

والغريب أن جبريل – عليه السلام – قد أخبر النبي – ﷺ – أنه لن ينزل إلى الأرض بعد موته ؛ فقال له حين حضرته الوفاة :" يا محمد الآن أصعد إلى السماء ، ولا أنزل إلى الأرض أبداً ، وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" هذا آخر هبوطي إلى الدنيا ؛ إنما كنت أنت حاجتي فيها " [٣] .

في الحين الذي ينقل فيه الشيعة الإمامية عن الإمامين الباقر والصادق – عليهما السلام – :" أنه بعد تأخير الظهور عن سنة مائة وأربعين لم يجعل الله بعد ذلك وقتا عند الله تعالى " [٤] .

ويكون خروجه كما قال أبو عبد الله – عليه السلام – : " إن القائم – صلوات الله عليه – ينادى باسمه ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان ، ويقوم يوم عاشوراء ؛ اليوم الذي قُتَل فيه الحسين بن علي – عليهما السلام – ، ويوافق يوم عاشوراء في هذا العام يوم السبت – ولا أدري لما السبت وليس الجمعة ! – ، فينزل جبرائيل – عليه السلام – من السماء ، ويقف بين الركن والمقام ، وينادي : البيعة لله ، ولابد أن تكون السنة وتراً كما قال أبو عبد الله – عليه السلام – :" لا يخرج القائم إلا في وتر من السنين : تسع ، وثلاث ، وخمس ، وأحدى " [٥] وأين الباقي ؟ .

ويقول الحسين – عليه السلام – :" فأكون أول من تنشق عنه الأرض ، فأخرج خرجة يوافق ذلك خروج أمير المؤمنين – عليه السلام – ، وقيام قائمنا ، وحياة رسول الله – صلى الله عليه وآله – ، ثم ينزل عليَّ وفد من السماء من عند الله ، لم ينزلوا إلى الأرض قط ، ولينزلن إلى جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وجنود من الملائكة ، ولينزلن محمد – ﷺ – وعلي ، وأنا ، وأخي ، وجميع من مَنَّ الله عليه [٦] .

---

(١) ضعيف وآخره صحيح .البيهقي:شعب الإيمان جـ ١٣ص ٤٤٦ . الترمذي: السنن جـ ٥ص ٧١٠. أبو داود: السنن جـ ٤ صـ ٢٦٥.

(٢) الصدوق : علل الشرايع جـ ٢ صـ ١١٤ بتصرف .المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٢٩٩. الكليني : أصول الكافي جـ ٤ صـ ١٨٤.

(٣) إحسان إلهي ظهير : الشيعة والتشيع صـ ٢٧٤ – ٢٧٥نقلا عن كتاب كشف الغمة للأردبيلي ، وكتاب تاريخ ما بعد الظهور .

(٤) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٧ صـ ٤٧ .

(٥) الطوسي : الغيبة صـ ٤٥٢– ٤٥٣ بتصرف .المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٢٩٠.

(٦) قطب الدين الراوندي : الخرائج والجرائح جـ ٢ صـ ٨٤٨–٨٤٩ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٣٩.

ولكن أهل السنة يعتقدون : أن أو من تنشق عنه الأرض يوم القيامة : هو رسول الله – ﷺ – كما أخبر نبيٌ كريمٌ فقال :" فَيَقُولُ عِيسَى – عليه السلام – لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي ، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ انْطَلِقُوا إِلَى مُحَمَّدٍ – ﷺ – " [(١)] .

ولو قلنا بقول الروافض لكان فضل الله على الحسين – رضي الله عنه – أعظم من فضل الله على محمد – ﷺ – ، أو نلتمس لهم العذر ؛ فنقول : أنه لا يؤمن بصحة أحاديث أهل السنة ؛ فنقول : ونحن مثلكم فلا تعيبون علينا .

<u>من آثار التقديس على عقيدة الرجعة : الاعتقاد أن سبب الرجعة الثأر لأهل البيت :</u>

من الأدعية التي علمها أبو عبد الله – عليه السلام – لشيعته حتى تقرأ في زيارة الحسين – عليه السلام – قوله :" وإنك ثأر الله في الأرض من الدم الذي لا يدرك ثأره من الأرض إلا بأوليائه " [(٢)] ؛ وذلك لأن : الأرض ضَمِنَتْ ، ومن عليها دم الحسين – عليه السلام – وثأره [(٣)] ؛ فالله تعالى أودع الأرض أجساد قاتليه ؛ فيأمر الأرض بتعذيبهم بالخسف وغيره ، أو يأمر الملائكة والجن بتعذيبهم ، أو يؤخر عذابهم حتى ينتقم له منهم في الرجعة ، وفي القيامة[(٤)].

قال تعالى :" إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ "[(٥)] ، قال أبو عبد الله – عليه السلام – :" ذلك والله في الرجعة ، أما علمت أن أنبياء الله كثيراً لم ينصروا في الدنيا وقُتِلوا ، وأئمة قد قُتِلوا ولم ينصروا ، فذلك في الرجعة [(٦)] .

وحينما يرجع أمير المؤمنين – عليه السلام – ، ويرجع أعداؤه ، فيسمهم بميسم [(٧)] معه كما توسم البهائم على الخراطيم – الأنف والشفتين – [(٨)] .

كما قال تعالى :" سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ " [(٩)] ؛ ليفرق بين المؤمن والكافر ؛ فيمتاز أحدهما عن الآخر ، وذلك في الرجعة [(١)].

---

(١) الإمام أحمد : المسند جـ ١ صـ ١٩٤. ورواه البخاري بدون قول عيسي : صحيح البخاري جـ ٢ صـ ٨٥٠.

(٢) ثأر الله : أي أهل ثأر الله ، والذي يطلب الله بدمه من أعدائه ، أو هو الطالب بدمه ، ودماء أهل بيته بأمر الله في الرجعة . انظر جعفر بن محمد بن قولويه : كامل الزيارات صـ ٣٥٨ .

(٣) ضمنت الأرض ثأره : المراد أن الله يأمر الأرض بتعذيبهم في القبر ، وفي الرجعة بخسفهم . المصدر السابق صـ٣٦١ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٩٨صـ ١٧٠. جعفر بن محمد بن قولويه : كامل الزيارات هامش صـ ٣٨٦ .

(٥) سورة غافر : آية رقم ٥١.

(٦) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ١٨ – ١٩ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٦٥.

(٧) وسمه : كواه بألة تسمى الميثم كالمكواة ؛ فأثر فيه بعلامة . المعجم الوسيط صـ ١٠٣٢.

(٨) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٤٦. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٠ صـ ١٦٦.

(٩) سورة القلم : آية رقم ١٦.

وعن أبي عبد الله – عليه السلام – قال الله لمحمد – ﷺ – :" لو قد بعث الله القائم – عليه السلام – ؛ فينتقم لي من الجبارين ، والطواغيت من قريش ، وبني أمية ، وسائر الناس" [٢].

وما هي الأسباب التي تجعل المهدي ينتقم منهم ؟ .

لأسباب عدة منها ما قاله الصادق – عليه السلام – : أخذ فدك من فاطمة ، وتمزيق الكتاب الذي كتبه لها رسول الله – ﷺ – على يد عمر في محضر المهاجرين والأنصار ؛ حتى بكت واستغاثت برسول الله – ﷺ – عند قبره [٣] ، وفي رواية : " أن عمر تفل في الصحيفة ومزقها " [٤] ، وضربُ عمر لسلمان ، وإشعال النار في باب أمير المؤمنين ، وفاطمة والحسن والحسين – عليهم السلام – لإحراقهم بها [٥] ، وضرب يد فاطمة – عليها السلام – بالسوط [٦] ، ورفس بطنها ، وإسقاط [٧]محسناً [٨] ، وضرب خدها [٩] ، ومحاولة قتل معاويةُ للإمام علي – عليه السلام – [١٠] ، وسِمّ الحسن ، وقتل الحسين ، وذبح أطفاله ، وبني عمه ، وأنصاره ، وسبي ذراري الرسول –

---

(١) محمد مسعود العياشي:تفسير العياشي،تحقيق:هاشم الرسولي المحلاتي ، ط العليمة الإسلامية – طهران ، دت جـ ١صـ ١٠٣ بتصرف.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣صـ ١٢٠. الشيخ علي الكوراني : معجم أحاديث المهدي جـ ٥ صـ ٤٨٧ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٧ – ١٨ بتصرف .

(٤) الأحمدي الميانجي : مكاتيب الرسول ، نشر دار الحديث الثقافية – طهران ، ط١ ، ١٤١٩هـ جـ ٢ صـ ٦٤ .

(٥) يقول المجلسي : كل ذلك لإرغامه على بيعة أبي بكر حتى هددوه بالقتل إن لم يفعل ، وبعدها قال عمر : لم يكن الله ليجمع لكم النبوة والخلافة . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٨ بتصرف .

(٦) يقول المجلسي : ضربها عمر بالسوط على عضدها حتى صار أسوداً . انظر المصدر السابق جـ ٥٣ صـ ١٩ بتصرف .

(٧) لكن محسناً ولد في حياة النبي – صلى الله عليه وسلم – بدليل أنه سأل : أروني ابني ما سميتموه ، فقال علي : سميته حرباً فقال – صلى الله عليه وسلم – بل هو محسن ، وهناك رواة تقول : إن محسناً فسد من زخم قنفذ – عمر – العدوي ، وزينب وأم كلثوم ، وفي رواية : أما محسن بن علي فهلك وهو صغير ، ويهدم هذا كله ما رواه ابن أبي الحديد شيخه فيقول : أروي عنك ما يرويه بعض الناس من أن فاطمة روعت فألقت محسناً ؟ فقال : لا تروه عني ، ولا تروي عني بطلانة . انظر الشيخ الأميني : الغدير جـ ٧صـ ١٢٥. أحمد الهمداني : الإمام علي بن أبي طالب صـ ٥٦٢. ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب جـ ٣صـ ١٣٣. بحار الأنوار جـ ٤٣ صـ ٢٣٣. وفيق سعد العاملي : أين الإنصاف ، نشر دار السيرة – بيروت ، ط١، ١٤٢٢هـ صـ٢٣. علي الحسيني الميلاني : محاضرات في الاعتقادات جـ ٢ صـ ٤٦٨. وله : مظلومية الزهراء صـ ٧٠. ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ١٤صـ ١٩٢.محمد بن سليمان الكوفي : مناقب الإمام أمير المؤمنين ، تحقيق : محمد باقر المحمودي ، ط النهضة ، نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية – قم ، ط١، ١٤١٢هـ جـ ٢ صـ ٢٢١. المولى حيدر الشيرواني : مناقب أهل البيت ، تحقيق : محمد الحسون ، نشر مطبعة المنشورات الإسلامية – قم ١٤١٤هـ صـ ٢٤٤.

(٨) قال المجلسي : سقط لستة أشهر . انظر المصدر السابق جـ ٥٣ صـ ١٩ بتصرف .

(٩) يقول المجلسي : ضربها عمر على خدها حتى بدا قرطاها تحت خمارها ، وهي تجهر بالبكاء . فرد علي وقال : لا تكشفي خمارك ، وإلا هلك كل من على الأرض ، أخرج يا عمر حتى لا أشهر سيفي فأهلك الأمة . انظر المصدر السابق جـ ٥٣ صـ ١٩ بتصرف .

(١٠) المصدر السابق جـ ٥٣ صـ ٢١ بتصرف .

ﷺ – ، وإراقة دماء آل محمد – ﷺ – ، وكلِ دمٍ سفك ، وكل فرج نُكح حراماً ، وكل رين ، وخبث ، وفاحشة ، وإثم ، وظلم ، وجور ، وغشم ، منذ وقت آدم حتى وقت قيام القائم .

كل ذلك يعده القائم على أبي بكر وعمر بعد رجعتهما ، وصلبهما ؛ فيقران به ، ثم يأمر بهما ، فيقتص منهما ، ثم يأمر نار فتخرج فتحرقهما ، ثم يأمر ريح فتنسفهما في اليم نسفاً [١].

فيستحقان بذلك ألقاب الكفار كلهم مثل ما قال الصادق – عليه السلام – هما : فرعون وهامان هذه الأمة [٢] .

وعن أبي جعفر – عليه السلام – : أنهما الجبت والطاغوت الملعونين [٣].

قال تعالى : " وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمْ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ" [٤] .

وبالطبع المقصود هنا أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – كما جاء عن الباقر – عليه السلام – :" إن فرعون وهامان هاهنا شخصان من جبابرة قريش ، يحييهما الله تعالى عند قيام القائم من آل محمد – عليه السلام – في آخر الزمان ؛ فينتقم منهما بما أسلفا " [٥] ، وقال أبو عبد الله – عليه السلام – :" وقد قتل الله الجبابرة على أفضل أحوالهم ، وآمن ما كانوا ، وأمات هامان ، وأهلك فرعون ، وقد قتل عثمان " [٦] ، والمعنى :" أمات هامان : عمر ، وأهلك فرعون : أبا بكر ، ويحتمل العكس ، ويدل على أن المراد هذان الأشقيان قوله – عليه السلام – :" وقد قتل عثمان " [٧].

وعن جعفر الصادق – عليه السلام – : أن النبي – ﷺ – رأى الأئمة ليلة الإسراء والمعراج ؛ فسأل ربه :" يا رب! ومن هؤلاء؟ قال : الأئمة ، وهذا القائم الذي يحل حلالي ، ويحرم حرامي ، وبه انتقم من أعدائي ، وهو راحة لأوليائي ، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين ، فيخرج اللات والعزى طريين فيحرقهما ، فلفتنة الناس يومئذ بهما أشد من

---

(١) المصدر السابق جـ ٥٣ ص ١١ – ١٤ بتصرف .

(٢) المصدر السابق جـ ٥٣ ص ١٧ .

(٣) المصدر السابق جـ ٥٣ ص ٣٩ .

(٤) سورة القصص : آية رقم ٥ – ٦ .

(٥) الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث المهدي جـ ٥ ص ٣٢٤ . .

(٦) الكليني : روضة الكافي جـ ٨ ص ٦٧. مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ١١ص ٤١٤.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٩ ص ٥٨٧ .

فتنة العجل والسامري "[1] . واللات والعزي هنا هما : ليسا صنما قريش ، اللذان كانا يعبدونهما من دون الله ، بل هما أبو بكر وعمر كما هو معلوم ، ولعلهم يقصدون أن أهل السنة يعبدونهما ! .

والغريب أن علي – عليه السلام – قد حذر عمر – رضي الله عنه – يوماً فقال له :" والله لكأني بك وبصاحبك – أبي بكر – قد أُخْرجتما طريين حتى تصلبا بالبيداء، إلى أن قال له عمر: يا أبا الحسن! إني لأعلم أنك ما تقول إلا حقاً ؛ فأسألك بالله : إن رسول الله – ﷺ – سماني ، وسمى صاحبي ؟ فقال : والله إن رسول الله – ﷺ – سماك ، وسمى صاحبك " [2] .

ولذلك يحكم المفيد بأن : " السمع الوارد عن أئمة الهدى – عليهم السلام – بالقطع عليهم بالخلود في النار والتدين بلعنهم ، والبراءة منهم إلى آخر الزمان ، منع من الشك في حالهم ، وأوجب القطع على سوء اختيارهم ، فجروا في هذا الباب مجرى فرعون ، وهامان ، وقارون ، ومجرى من قطع الله على خلوده في النار ، ودل القطع على أنهم لا يختارون أبداً الإيمان ، فهم شر الدواب عند الله ، ولو تابوا في الرجعة : لا يقبل لهم توبة [3] ولذلك لم يتب عمر – رضي الله عنه – .

ويقول الحسين – عليه السلام – لولده علياً – عليه السلام – :" والله لا يسكن دمي حتى يبعث الله المهدي ؛ فيقتل على دمي من المنافقين الكفرة الفسقة سبعين ألفاً "[4] .

ثم يخرج النبي – صلى الله عليه وآله – وفاطمة وعلي والحسن والحسين والأئمة من بعدهم – عليهم السلام – فيقتلوهما في كل يوم وليلة ألف قتلة [5].

من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : اعتقاد أن تطبيق الأحكام متوقف حتى يقوم القائم :

قال أبو عبد الله – عليه السلام – :" دمين في الإسلام لا يَقْضِي فيها أحدٌ بحكم الله حتى يقوم قائمنا : الزاني المحصن يرجمه ، ومانع الزكاة فيضرب عنقه " [6] .

بل كل الأحكام والقضايا متوقفة حتى يظهر القائم ؛ لأنهم يعتقدون أن علياً – رضي الله عنه – قد حاز العلوم كلها ، ثم انتقلت هذه العلوم إلى الحسن ، ثم الحسين ، حتى وصلت إلى الغائب ،

---

(١) الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ٢ صـ ٦١ .الحسن بن سليمان الحلي : المحتضر صـ ١٦٣.

(٢) محمد بن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة صـ ٤٨٠.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٣٢ – ١٣٣ بتصرف .

(٤) الشيخ عبد الله البحراني : العوالم صـ ٦٠٨ .المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٥ صـ ٢٩٨.

(٥) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ١٨٧ – ١٨٨ بتصرف .

(٦) القتال النيسابوري : روضة الواعظين صـ ٣٥٦ .

الذي اختفى بهذا العلم ، فعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" يعرف الذي بعد الإمام علم ما كان قبله في آخر دقيقة تبقى من روحه "[١].

يا له من توقيت دقيق ! في دقيقة واحدة يتعلم كل العلوم ، ونتساءل : هل قسمت الساعة على عهد أبي عبد الله إلى دقائق ؟ أم أنه هو ألو من قسمها إلى دقائق ؟ .

ولماذا لم يحفظ الشريعة في الأمة فتقيم هي الأحكام حتى لا يتضرر الناس من تعطيل الأحكام فيجيبون : بأن لا ؛ " لأن ما جاز على آحادها جاز على جميعها ، من حيث لم يكن إجماعها أكثر من انضمام آحادها بعضها إلى بعض ، وإذا كانت العصمة مرتفعة من كل واحد على الإنفراد ، فيجب أن تكون مرتفعة عن الكل [٢] . إذاً لا حكم إلا في وجود القائم .

من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : اعتقاد أن الدين لن يظهر إلا بقيام القائم :

قال تعالى :" هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [٣] أي : يظهره الله في الرجعة عن أبي عبد الله – عليه السلام – قال :" إذا خرج القائم لم يبق مشرك بالله العظيم ، ولا كافر إلا كره خروجه [٤].

وفي رواية :"حتى لو أن كافراً ، أو مشركاً كان في بطن صخرة ، لقالت : يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله [٥] ، " وهذا الوعد والاستيلاء إنما يتحقق في الرجعة ، عند ظهور القائم [٦].

وعن أبي عبد الله – عليه السلام –تعليقاً على هذه الآية :" والله ما نزل تأويلها بعد ، ولا تنزل تأويلها حتى يخرج القائم " [٧] ، وذلك عند خروج عيسى – عليه السلام – حين تصير الملل كلها ملة واحدة [٨] .

من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : اعتقاد أن النبي – ﷺ – سيرجع :

في تأويل قوله تعالى :" وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ "[١] .

---

(١) محمد الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٤٩٧. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٢٧٤.

(٢) د أبو الفتوح الأنور : شيعة إيران أصولها وموقف أهل السنة منها دراسة مقارنة صـ ١٣٠.

(٣) سورة التوبة : آية رقم ٣٣ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٣٤٦ .

(٥) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٦٧٠.

(٦) السيد عبد الله الشبر : الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة شرح صـ ١١١ .

(٧) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٧ صـ ٤٦. المجلسي : بحار الأنوار جـ٥٢صـ ٣٢٤.

(٨) ابن جرير الطبري : تفسير الطبري جـ ١٠ صـ ١٢٢ – ١٢٣ بتصرف .

عن أبي عبد الله – عليه السلام – قال :" هي الرجعة "[٢] . وعن أبي جعفر – عليه السلام – قال :" إن رسول الله – ﷺ – ، وعلي – عليه السلام – سيرجعان "[٣] .

وقوله تعالى :" يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ "[٤] ، يعني بذلك : محمداً – ﷺ – قيامه في الرجعة ينذر فيها ، وقوله تعالى " إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ "[٥] ، يعني : محمداً – ﷺ – نذيراً للبشر في الرجعة وقوله – ﷻ – :" هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ "[٦] قال : يظهره الله – عز وجل – في الرجعة[٧].

وعن أبي جعفر – عليه السلام – في قوله تعالى :" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ "[٨] ، قال :" في الرجعة "[٩] ؛ ولذلك يعتقد الشيعة أن النبي –ﷺ – ، وعلي – عليه السلام – لن ينصروا ، ولن يؤمنوا بهما إلا في الرجعة[١٠] .

من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : اعتقاد أن أول من يرجع الحسين– عليه السلام :

يعتقد الشيعة : أن الأئمة يسبقون الأنبياء في الرجعة إلى دار الدنيا ، ورجوع الأنبياء يكون لنصرة الإمام علي – عليه السلام – [١١] . وهذا من تفضيل الأئمة على الأنبياء .

يقول أبو جعفر – عليه السلام – : يقوم القائم في عالمه تسع عشرة سنة ، ثم يخرج المُنْتَصر[١٢] إلى الدنيا : وهو الحسين – عليه السلام – فيطلب بدمه ودم أصحابه ، فيقتل ويسبي ، حتى يخرج

---

(١) سورة ق : آية رقم ٤١-٤٢.

(٢) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ١٨ – ١٩ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٦٥ .

(٣) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ٢٤ .

(٤) سورة المدثر : آية رقم ١ – ٢ .

(٥) سورة المدثر : آية رقم ٣٥ – ٣٦ .

(٦) سورة التوبة : آية رقم ٣٣.

(٧) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ١٨ – ١٩ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٦٥ .

(٨) سورة سبأ : آية رقم ٢٨.

(٩) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ٢٦ .

(١٠) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٤ صـ٨١ – ٨٢ بتصرف .

(١١) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ١٧٥ بتصرف.

(١٢) يقول الشيخ علي الكوراني : " لعل المراد بالمنصور أيضا القائم بقرينة : أن بالقائم يتم السبع ، ويحتمل أن يكون المراد به الحسين – عليه السلام – فإنه منصور في الرجعة ، ويقرب إلى الذهن أن أسماء " السفاح ، والمنصور ، والمهدي لخلفاء العباسيين كانت من أجل هذه الألقاب ". انظر الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث الإمام المهدي جـ ١ صـ ٢٠٤.

السَّفّاح : وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام – [1] ، وفي رواية أخرى :" يرجع في خمسة وسبعين ألفا "[2] .

ولكن أبو جعفر– عليه السلام – يقول :" والله ليملكن رجل منَّا أهل البيت ثلاثمائة سنة وثلاث عشرة سنة ، ويزداد تسعاً – إشارة إلى الرجعة – بعد موت القائم – عليه السلام – بعدما يحكم تسع عشرة سنة ، من يوم قيامه إلى يوم موته [3] .

وقال أبو عبد الله – عليه السلام –:" أول من تنشق الأرض عنه ، ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي – عليهما السلام – ، وإن الرجعة ليست بعامة ، وهي خاصة لا يرجع إلا من محض الإيمان محضاً ، أو محض الشرك محضاً "[4].

عن أبي عبد الله – عليه السلام – قال :" أول من يكر في الرجعة الحسين بن علي – عليهما السلام – ، ويمكث في الأرض أربعين سنة ، حتى يسقط حاجبيه [5] على عينيه"[6] .

وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" ولسوف يرجع جاركم الحسين بن علي – عليهما السلام – ألفا ، فيملك حتى تقع حاجباه علي عينيه من الكبر "[7] .

وعن أبي عبد الله – عليه السلام – : ويكون خروجه على إثر خروج القائم – عليه السلام – ، ويخرج الناس بعده فوجاً بعد فوج ، ومن قتل معه ، ومعه سبعون نبياً ، فيدفع إليه القائم – عليه

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٢ صـ ٢٩٩ .الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٤٩ بتصرف .

(٢) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٤ صـ٨٩.

(٣) يقول محمد بن إبراهيم النعماني : يظهر من هذا الحديث أن الحسين يرجع بعد موت المهدي – عليه السلام – بفترة ، ويحكم عدد سنين أهل الكهف ، ثم يظهر بعده أمير المؤمنين ؛ ولكن يروون عن أبي جعفر : تسع عشرة سنة من يوم قيامه إلى موته ، فيكون بعد موته هرج خمسين سنة ، ثم يخرج المنصور { الحسين } ؛ فيطلب بدمه ودم أصحابه ؛ حتى يجتمع الناس لحربه ، حتى يحاصروه في حرم الله ، فيموت ؛ فيخرج السفاح { علي } ؛ غضباً للمنتصر ؛ فيقتل أعداءه ، ويصلح أمره ، فيحكم ثلاثمائة سنة ، ويزداد تسعاً . انظر محمد إبراهيم النعماني : الغيبة صـ ٣٥٤ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٤٦ – ١٤٧ بتصرف. فمن سيحكم الـ ٣٠٩ سنة ؟ ! .

(٤) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ٢٤ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٦ صـ ٢٥٣-٣٥٤. و جـ ٥٣ صـ ٣٩.

(٥) هذا خطأ لغوي يتنزه عنه مقام الإمام : فإن كلمة حاجبيه وقعت فاعلاً ؛ فكان الصحيح أن يقال : يسقط حاجباه بالرفع لأنه مثنى .

(٦) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ١٨ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٦٤.

(٧) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ٢٢ .

السلام – الخاتم ، فيكون الحسين – عليه السلام – هو الذي يلي غسله ، وكفنه ، وحنوطه [١]، ويواري به في حفرته ، ويكون من ذرية الحسين اثنا عشر مهدياً بعده [٢] .

ولكن يبدأ التناقض يظهر فمما سبق يتبين أن القائم يخرج قبل الحسين ، ويموت ، ويغسله الحسين لكن : يروون عن رسول الله – ﷺ – أنه قال : يخرج الحسين – عليه السلام – موافقاً لخروجي ، وخروج علي ، والحسن ، وقيام القائم – عليهم السلام– ، ثم لينزلن وفد من السماء من الملائكة ، ومعهم جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، ومن منَّ الله عليه ، معهم خيل بُلق[٣] من نور ، لم يركبها مخلوق ، ويخرج من مسجد الكوفة عين من دهن ، وأخرى من لبن ، وثالثة من ماء [٤] .

إذن فالكل يخرج في وقت واحد وليسوا مرتبين كما يظهر مما سبق .

بينما يؤكد المحققين :" أن الرجعة الاصطلاحية عند الشيعة التي يعرفها منه المسلمون وغيرهم ، وكذلك أعدائهم من العامة ، وغيرهم هي رجعة أمير المؤمنين ، وباقي الأئمة – عليهم السلام – ، وحكومتهم على وجه الأرض من دون معارض ، بعد وفاة صاحب الزمان – عليه السلام –[٥] .

إذاً الرجعة بعد موت المهدي ! .

وفي الإسراء والمعراج : كلم الله – ﷻ – نبيه – ﷺ – فقال له :" عليٌّ آخر من أقبض روحه من الأئمة "[٦] ، ونترك المجال للقارئ الكريم ليحكم هو على هذا الحديث لنعلم متى يرجع الأئمة ؟ .

وهذه الأخبار مخالفة للمشهور وطريق التأويل عند بعض علمائهم على أحد وجهين :

الأول : أن يكون المراد بالاثني عشر مهدياً : النبي – ﷺ – وسائر الأئمة ، سوى القائم – عليه السلام – ؛ بأن يكون ملكهم بعد القائم – عليه السلام – ، وقيل : برجعة القائم – عليه السلام – بعد موته ، وبه يمكن الجمع بين الأخبار .

الثاني : أن يكون هؤلاء المهديون من أوصياء القائم – عليه السلام – ، هادين للخلق في زمن سائر الأئمة ، الذين رجعوا لئلا يخلو الزمان من حجة ، وإن كان أوصياء الأنبياء والأئمة أيضاً حججاً ، والله تعالى يعلم [٧] .

---

(١) الحِنَاط أو الحنوط : كل ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى ، وأجسامهم خاصة . المعجم الوسيط صـ ٢٠٢.

(٢) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٤٩–٥١ بتصرف.

(٣) خيل بلق : ما كان فيه سواد وبياض ، وقيل : أختلاف الألوان ، وتنوعها . نشوان الحميري جـ ١ صـ ٢٤٣.

(٤) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٤٨–٤٩ بتصرف.

(٥) تعليق المحقق على كلام الشيخ المفيد . انظر الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٣٤٢ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٥ صـ ٦٨.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٤٨ – ١٤٩ بتصرف.

من آثار التقديس في عقيدة الرجعة :الاعتقاد برجعة الناصب ليستوفي عقابه في الدنيا :

في تفسير قول الله – ﷻ – :" فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا "[١] . قال أبو عبد الله – عليه السلام – هي والله للنُّصَّابِ ، وذاك في الرجعة ؛ يأكلون العذرة[٢] [٣] .

وقوله – ﷻ – :" حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ" [٤] ، هو علي بن أبي طالب – صلوات الله عليه – إذا رجع في الرجعة وقوله ﷻ: " رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ " [٥] ، وعن أمير المؤمنين – عليه السلام – هو أنا إذا خرجت أنا وشيعتي ، وخرج عثمان بن عفان وشيعته ، ونقتل بني أمية فعندها يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين [٦] .

النواصب هم : بنو أمية ، ومعاوية ، ومن شهد الحرب معه ضد أمير المؤمنين – عليه السلام – على رأسهم ، فيرجع الإمام علي ؛ حتى ينتقم منهم بصفين [٧].

من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : اعتقاد أن الذي يرجع لم يستوف رزقه وأجله :

سئل أمير المؤمنين – عليه السلام – عن ناس من الشيعة يزعمون : أنهم يردون إلى الحياة بعد الموت فقال – عليه السلام – : إن الله – عز وجل – ابتلى قوماً بما كان من ذنوبهم ، فأماتهم قبل آجالهم التي سميت لهم ، ثم ردهم إلى الدنيا ؛ ليستوفوا رزقهم وآجالهم ، ثم أماتهم بعد ذلك[٨].

وهذا قد وقع في من كان قبلنا قال الله تعالى :" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ " [٩] ، خرجوا فراراً من الطاعون ، أو من الجهاد ؛ فأماتهم الله عقوبة لهم قبل آجالهم ، ثم أحياهم بدعوة نبي من الأنبياء ؛ ليكملوا بقية آجالهم [١٠] .

---

(١) سورة طه : آية رقم ١٢٤.

(٢) العَذِرة : فناء الدار ، والتي تأكل العَذِرَة من الدواب : الجَلّالة ، والعذرة تسمى : الجُعْمُوس ، والجَعْس ، والدَّبُوقَاء ، والرَّجيع ، والرَّوْثُ ، والعُرَّة ، والقعموس ، وسميت العَذِرة عَذِرَةً لأنها كانت تلقى في الأفنية: كما سموا الغائط بالغائط، وهو المطمئن من الأرض، لأنهم كانوا إذا أرادوا قضاء الحاجة عمدوا إلى مكان مطمئن . نشوان الحميري : شمس العلوم جـ ٢ صـ ٩٣٩ ، جـ ٧ صـ ٤٤٣٠.

(٣) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ١٨ بتصرف .

(٤) سورة المؤمنون : آية رقم ٧٧.

(٥) سورة الحجر : آية رقم ٢.

(٦) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ١٧-١٨ بتصرف .

(٧) المصدر السابق صـ ٢٩ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٧٣. الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٢٢-٢٣ بتصرف .

(٩) سورة البقرة : آية رقم ٢٤٣.

(١٠) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ٢٧ .

والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، فأماته الله مئة عام ، ثم بعثه ، فبقي في الدنيا ، ثم مات بأجله ، والسبعين الذين أختارهم موسى للقاء ربه ، فقالوا : أرنا الله جهرة ؛ فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، فماتوا ، ثم أحياهم الله لموسى ، فرجعوا إلى الدنيا ، وأكلوا ، وشربوا ، ونكحوا النساء ، وولد لهم الأولاد ، ثم ماتوا بآجالهم ، وجميع الموتى الذين أحياهم الله لعيسى – عليه السلام – بإذن الله رجعوا إلى الدنيا ، وبقوا فيها ، ثم ماتوا بآجالهم ، وأصحاب الكهف لبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا ، ثم بعثهم الله فرجعوا إلى الدنيا بعد موتهم [١] .

لذلك يجب أن يعتقد الشيعي الاثنا عشري : أن للعبد الذي يرجع أجلان : أجل الموت ، وأجل القتل ، أو أجل الموت ، وأجل الرجعة ، ويستدلون على ذلك بما روي عن أبي جعفر – عليه السلام – في تفسير قوله الله تعالى :" كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ " [٢] ، قال : نزلت هذه الآية هكذا : " كل نفس ذائقة الموت ومنشورة " هكذا نزل بها جبريل – على محمد – صلى الله عليه وآله – [٣] ، ويستغرب القارئ حين يقرأ :" أن عليا – عليه السلام – يكون آخر من يقبض روحه من الأئمة – عليهم السلام – [٤] ؛ والسبب في ذلك أن الله يرده للدنيا ليذوق الموت بعد قتله ! .

لكن يزيل هذا العجب إجابة أبي جعفر – عليه السلام – حين سُئل : أخبرني عمَّن قُتل : مات ؟ قال : لا ، الموت موت ، والقتل قتل ، فقيل له : ما أحد يقتل إلا مات ، فقال : فرق الله بين القتل والموت ، فقال :" أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ "[٥] ، وقال تعالى :" وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ " [٦] ، فقيل له : ألم يقل الله تعالى :" كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ " [٧] ، أفرأيت من قتل ألم يذق الموت ؟ فقال : ليس من قتل بالسيف ، كمن مات على فراشه ، إن من قتل لابد أن يرجع إلى الدنيا حتى يذوق الموت [٨].

وعن الرضا – عليه السلام –:" من مات من المؤمنين قُتل ، ومن قُتل من المؤمنين مات " [٩].

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٢٨ – ١٢٩ بتصرف.

(٢) سورة آل عمران : آية رقم ١٨٥. وسورة الأنبياء : آية رقم ٣٥. وسورة العنكبوت : آية رقم ٥٧.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٦٤. الشيخ على النمازي : مستدرك سفينة البحار جـ٩ صـ ٤٥٧.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠٩ صـ ١٤٧. محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٥٣٥.

(٥) سورة آل عمران : آية رقم ١٤٤ .

(٦) سورة آل عمران : آية رقم ١٥٧ .

(٧) سورة الأنبياء : آية رقم ٣٥ .

(٨) المجلسي: بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٦٥-٦٦ بتصرف . الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين جـ ٣صـ ٤٢٩.

(٩) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٦٦ . الشيخ على الكوراني : معجم أحاديث المهدي جـ ٤ صـ ١٧٠.

وفي قوله تعالى :" وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ " [1] ، عن الباقر – عليه السلام – :" وليس أحد يؤمن بهذه الآية إلا له قِتلة وميتة ، وأنَّه مَنْ قُتل يُنشر حتى يموت ، ومن مات يُنشر حتى يُقتل " [2]، والظاهر أن المراد بالنشر : الرجعة ؛ لأنه لا موت بعد نشر القيامة [3].

عن أبي عبد الله – عليه السلام – قال :" ليس أحد من المؤمنين قتل إلا سيرجع حتى يموت ، ولا أحد من المؤمنين مات إلا سيرجع حتى يقتل " [4] ، وفي رواية عن الرضا – عليهما السلام – :" من قتل لابد أن يرجع إلى الدنيا حتى يذوق الموت " [5] .

ويشرح ذلك أبو جعفر – عليه السلام – فيقول في تفسير قول الله – عز وجل – :" وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ " [6] ، فيقول :" القتل في سبيل الله هو القتل في سبيل عليّ – عليه السلام – وذريته ؛ فمن قُتل في ولايته ؛ قتل في سبيل الله[7] .

ولا مانع عقلاً ولا شرعاً : " فإن من الجائز أن يستعد الإنسان لكمال موجود في زمن بعد زمان حياته الدنيوية الأولى ، فيموت ، ثم يحيى ؛ لحيازة الكمال المعد له في الزمان الثاني ، أو يستعد لكمال مشروط بتخلل حياةٍ ما في البرزخ ؛ فيعود إلى الدنيا بعد استيفاء الشرط " [8].

ما هذا الذي يقال : ألغاز ؟ أليس الله تعالى يقول :" لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ " [9] ، يريد الله تعالى ذكره : لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا [10].

وأما عقيدة أهل السنة : أن المقتول مات بأجله الذي أجله الله له ، الذي لا يتقدم موته عليه لحظة ، ولا يتأخر عنه لحظة ، فإنه – عز وجل – حكم بآجال العباد على علم من غير تردد ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ .

---

(١) سورة آل عمران : آية رقم ١٥٧ .

(٢) المجلسي: بحار الأنوار جـ ٣٥ صـ ٣٧١ بتصرف . الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٢٥.

(٣) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٤ صـ ٨٢ بتصرف .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٤٠. محمد الريشهري : ميزان الحكمة جـ ٢ صـ ١٠٣٨.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٠٩ صـ ١٤٧. الشيخ على الكوراني : معجم أحاديث المهدي جـ٥ صـ ٦٥.

(٦) سورة آل عمران : آية رقم ١٥٧.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٤صـ ١٢ . الشيخ الصدوق : معاني الأخبار صـ ١٦٧.

(٨) السيد الطباطبائي : تفسير الميزان ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم ، دت جـ ٢ صـ ١٠٧. محسن الخزازي : بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم ، ط٥ ،١٤١٨هـ جـ ٢ شرح صـ ١٧٤.

(٩) سورة الدخان : آية رقم ٥٦.

(١٠) أبو جعفر الطبري : تفسير الطبري جـ ٢٥ صـ ١٤٧.

وأما الأحاديث التي فيها أن بعض الطاعات تزيد في العمر ، مثل صلة الرحم ، ونحو ذلك مما جاء أنه يقصر العمر ، فهذا في الصحف التي يقع فيها المحو والإثبات ، وعلم الله – تعالى – لا يقع فيه تغيير ، ولا زيادة ، ولا نقصان ، والحق أن الأجل واحد ، فإن المقتول إن لم يقتل لعاش إلى أجله الذي هو الموت [1] .

ويقول رسول الله – ﷺ – :" إِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ قَدْ نَفَثَ فِي رَوْعِيَ[2] : أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا "[3] ، وفي رواية :" أن نفساً لن تخرج من الدنيا حتى تستكمل أجلها ، وتستوعب رزقها " [4] ، وكان السلف يقولون :" إِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا ، وَحَظَّهَا مِنْ عِزِّهَا ، وَرِيَاسَتِهَا ، وَرِزْقِهَا، وَلَوْ هَرَبَ الْعَبْدُ مِنْ رِزْقِهِ لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ ، كَمَا لَوْ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ "[5] . والموت من الرزق كما هو معلوم .

من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : تفضيلُ عليٍّ على النبي – ﷺ – في الرجعة :

روي عن النبي – صلى الله عليه وآله – أنه قال لجماعة من قريش :" كيف أنتم معاشر قريش وقد كفرتم بعدي ، ثم رأيتموني في كتيبة من أصحابي أضرب وجوهكم ورقابكم بالسيف . فنزل جبريل – عليه السلام – فقال : يا محمد قل : إن شاء الله ، أو يكون ذلك علي بن أبي طالب – عليه السلام – [6] ، فقال كما قال جبريل ، فقال جبريل– عليه السلام – : واحدة لك ، واثنتان لعلي بن أبي طالب – عليه السلام – وموعدكم الكوفة [7].

وعن أبي عبد الله – عليه السلام –: لقد سمى الله عليا اسماً ما سماه لأحد من العالمين وما جاء تأويله ، فقيل له : متى يجيء تأويله ؟ قال :" إذا جاء جمع الله أمامه النبيين ، والمؤمنين حتى ينصروه وهو قول الله :" وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ

---

(١) محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، نشر مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م جـ ١ صـ ٣٤٩.

(٢) الروع : خاطر، قَلْبٌ ، ونَفْسٌ ، وذِهْن ، ونفث : ألقى . د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٣ صـ ٢٢٤٦.

(٣) الإمام البيهقي : شعب الإيمان جـ ٢ صـ ٤٠٦. الإمام ابن ماجه : السنن جـ ٢ صـ ٧٢٥.

(٤) الإمام الطبراني : المعجم الكبير جـ ٨ صـ ١٦٦. الإمام الألباني : صحيح الجامع الصغير وزيادته جـ ١ صـ ٤١٩– ٤٢٠.

(٥) الإمام البيهقي : شعب الإيمان جـ ٢ صـ ٤٥٧.

(٦) أو ليس نسيان النبي – صلى الله عليه وسلم – حين قال : إن شاء الله قدح في عصمته ! .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ٦٦بتصرف . السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٣ صـ ٩٩.

فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ" [1] ، فيومئذ يدفع رسول الله – صلى الله عليه وآله – اللواء إلى علي بن أبي طالب – عليه السلام – فيكون أمير الخلائق كلهم أجمعين، يكون الخلائق كلهم تحت لواءه يكون هو أميرهم ، وهذا تأويله [2] .

من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : الاعتقاد بأن الرجعة تكون لإبليس أيضاً :

عن أبي عبد الله – عليه السلام – قال :" إن إبليس : " قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ "[3] ؛ فأبى الله ذلك عليه ، فقال : قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ " [4] ، فإذا كان يوم الوقت المعلوم : ظهر إبليس – لعنه الله – في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم ، وهي آخر كرة يكرها أمير المؤمنين – عليه السلام – [5].

وقد نال إبليس نعمة الإنظار كما قال أبو عبد الله – عليه السلام – :" بركعتين صلاهما لله في السماء في ألفي سنة ، أو أربعة آلاف سنة ، وقيل : عبد الله في السماء سبعة آلاف سنة ، في ركعتين ، فأعطاه الله ما أعطاه ، ثواباً له بعبادته [6] .

وتؤمن الشيعة الاثنا عشرية : " أن النبي – صلى الله عليه وآله – يقتل إبليس وحزبه في الرجعة ، وذلك بعد أن يرجع أمير المؤمنين – عليه السلام – في أصحابه ، وجاء إبليس في أصحابه ، ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات ، يقال لها : " الروحا " قريب من الكوفة ، فيقتتلون قتالاً لم يقتتل مثله منذ خلق الله – عز وجل – العالمين ، وإذا بأصحاب أمير المؤمنين قد رجعوا إلى خلفهم القهقرى مائة قدم ، حتى وقعت بعض أرجلهم في الفرات ، فعند ذلك يهبط الجبار – عز وجل – في ظل من الملائكة ، وقضي الأمر ، ورسول الله – ﷺ – بيده حربة من نور ، فإذا نظر إليه إبليس رجع القهقرى ناكصاً على عقبيه ؛ فيلحقه النبي – ﷺ – فيطعنه طعنة بين كتفيه ، فيكون هلاكه ، وهلاك جميع أشياعه ، فعند ذلك يعبد الله – عز وجل – ولا يشرك به شيئاً ، ويملك أمير المؤمنين – عليه السلام – أربعاً وأربعين ألف سنة ، حتى يلد الرجل من شيعة علي

---

(١) سورة آل عمران : آية رقم ٨١ .

(٢) السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٣ صـ ١٠٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٧٠. الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدركات علم رجال الحديث ، ط حيدري – طهران ، ط١ ، ١٤١٤هـ جـ ٤ صـ ١٠٠ – ١٠١ بتصرف .

(٣) سورة الأعراف : آية رقم ١٤.

(٤) سورة الحجر : آية رقم ٣٦ .

(٥) أبو جعفر الطبري : تفسير الطبري جـ ٢ صـ ٦٥٩ – ٦٦٥ بتصرف . أبو جعفر النحاس : معاني القرآن ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، نشر مركز إحياء التراث الإسلامي – مكة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م جـ ١ صـ ٢٤٥.

(٦) الشيخ الصدوق : علل الشرائع جـ ٢ صـ ٥٢٥ – ٥٢٦ بتصرف .

– عليه السلام – ألف ولد من صلبه ذكراً ، في كل سنة ذكراً ، وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة ، وما حوله بما شاء الله – ﷺ – " [١].

وفي رواية عن الصادق – عليه السلام – : "يجيء إبليس حتى يجثو بين يديه على ركبتيه ، فيقول : يا ويله من هذا اليوم ، فيأخذ بناصيته ، فيضرب عنقه ؛ فذلك يوم الوقت المعلوم " ، وفي رواية عنه :" يذبحه رسول الله – ﷺ – على الصخرة التي في بيت المقدس في الرجعة [٢].

وقد أنكر أبو عبد الله – عليه السلام – أن يكون يوم الوقت المعلوم يوم القيامة فقال :" أتحسب أنه يوم يبعث الله تعالى الناس ؟ لا ، ولكن الله – عز وجل – أنظره إلى يوم يبعث الله – عز وجل – قائمنا ، فإذا بعث الله قائمنا ؛ فيأخذ بناصيته ، ويضرب عنقه " [٣] ولا ندري من يقتله ؟ .

<u>من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : الاعتقاد بأن الرجعة رجعات وكرات :</u>

قال الإمام علي – عليه السلام – إن لي الكرة بعد الكرة ، والرجعة بعد الرجعة ، وأنا صاحب الرجعات ، والكرات ، وصاحب الصولات ، والنقمات ، والدولات العجيبات [٤] .

وسئل أبو عبد الله – عليه السلام – هل لأمير المؤمنين – عليه السلام – كرات ؟ قال : نعم إنها لكرات ، وكرات [٥] .

<u>من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : الاعتقاد أن حساب الخلق على الحسين– عليه السلام– :</u>

عن أبي عبد الله – عليه السلام – : إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة : الحسين بن علي – عليه السلام – فأمَّا يوم القيامة ؛ فإنما هو بعث إلى الجنة ، وبعث إلى النار [٦].

وعن أبي إبراهيم – عليه السلام – : لترجعن نفوس ذهبت ، وليقتص يوم يقوم ، من عذب يقتص بعذابه ، ومن أغيظ أغاظ بغيظه ، ومن قتل اقتص بقتله ، ويرد لهم أعدائهم معهم ؛ حتى يأخذوا بثأرهم ، ثم يعمرون بعدهم ثلاثين شهراً ، ثم يموتون في ليلة واحدة ، قد أدركوا ثأرهم ، وشفوا

---

(١) علي الكوراني : معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٤ ص ٩٣ – ٩٤ بتصرف . الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ٢٧.

(٢) الفيض الكاشاني : التفسير الصافي ج ٣ ص ١١٢.

(٣) محمد بن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة ص ٤٥٣.

(٤) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص٣٣ .المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٤٧.

(٥) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص٢٧ .الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٩ ص ٩٣.الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث المهدي ج ٤ ص ٩٣.

(٦) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ٢٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٤٣.

أنفسهم ، ويصير عدوهم إلى أشد النار عذاباً ، ثم يوقفون بين يدي الجبار – عز وجل – فيؤخذ لهم بحقوقهم ، وبعد ذلك تبقى الأرواح ساهرة لا تنام ، ولا تموت [١].

ونرد عليهم بقول الله – ﷻ – :" إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ "[٢]، وقوله جل شأنه :" ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ [٣] ، وقال سبحانه :" وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ " [٤].

من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : الاعتقاد بأن المهدي جاء لينتقم! :

روي أن صاحب الزمان – عليه السلام – لقيَّ رجلاً من شيعته فقال :" يُأذن لولي الله ؛ فأخرج بين الصفا والمروة في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً سواء ، فأجيء إلى الكوفة ، وأهدم مسجدها ، وأبنيه على بنائه الأول ، وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة ، وأحج بالناس حج الإسلام ، وأجيء إلى يثرب ، فأهدم الحجرة ، وأخرج من بها ، وهما طريان ، فأمر بهما تجاه البقيع ، وآمر بخشبتين يصلبان عليهما ، فتورق من تحتهما ، فيفتتن الناس بهما أشد من الفتنة الأولى ، فينادي مناد من السماء :" يا سماء أبيدي ، ويا أرض خذي ؛ فيومئذ لا يبقى على الأرض إلا مؤمن قد أخلص قلبه للإيمان ، ويكون بعد ذلك الكرة ، الكرة ، الرجعة ، الرجعة [٥] .

ويكفي شرفاً لعلي ما قاله الباقر – عليه السلام – :" كفى علياً أن يقاتل أهل الكرة ، وأن يزوج أهل الجنة "وأهل الكرة هم : الذين رجعوا بعد النبي – صلى الله عليه وآله – عن الإيمان [٦].

وفي قوله تعالى :" سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ"[٧] ، إذا رجع أمير المؤمنين – عليه السلام – ويرجع أعداؤه [٨] ، فيسمهم بميسم معه كما توسم البهائم على الخراطيم ، والأنف ، والشفتين ؛ لأنهما خفرا الذمة ، والعهد مع أمير المؤمنين – عليه السلام –[٩] .

ولذلك يعتقد الشيعة أن أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – حين يرجعان إلى الدنيا سيظهران الندامة على غصب الخلافة من أمير المؤمنين – عليه السلام – ، لكن بلا فائدة [١٠].

---

(١) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٢٨ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٤٤.

(٢) سورة الشعراء : آية رقم ١١٣.

(٣) سورة الغاشية : آية رقم ٢٦.

(٤) سورة الأنبياء : آية رقم ٤٧.

(٥) ابن جرير الطبري الشيعي:دلائل الإمامة صـ ٥٤٢بتصرف.هاشم البحراني:مدينة المعاجز جـ ٨صـ ١١٨. بحار الأنوار جـ ٥٣صـ ١٠٤.

(٦) الشيخ المفيد : الأمالي صـ ٩ بتصرف .

(٧) سورة القلم : آية رقم ١٠ .

(٨) المراد : عمر . انظر الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٣ صـ٥١– ٥٢.

(٩) قال المجلسي : أعداؤه هم : الخلفاء الثلاثة . انظر المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٠ صـ ١٦٦–١٦٧.

(١٠) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٧ صـ ٤٦ بتصرف.

وليس المهدي وحده الذي ينتقم منهم بل أبو جعفر – عليه السلام – يقول :" أما والله لأخرجنهما ثم ، لأحرقنهما ، ثم لأنسفنهما في اليم نسفاً " [1] .

وأول من يحكم فيهم وفي قاتله المحسن بن علي بن أبي طالب فيؤتي بأبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – فيضربان بسياط من نار ، لو وقع سوط منها على البحار لغلت من مشرقها إلى مغربها ، ولو وضعت على جبال الدنيا لذابت حتى تصير رماداً [2] .

وهذه عائشة – رضي الله عنها – أيضا لها ذنوباً مثل ذنوب إبيها المسكين – رضي الله عنهما –؛ عن أبي جعفر – عليه السلام – قال :" أما لو قام قائمنا لقد ردت إليه الحميراء حتى يجلدها الحد ، وحتى ينتقم لابنة محمد – ﷺ – فاطمة – عليها السلام – منها ، قيل له : جعلت فداك ، ولم يجلدها الحد ؟ قال : لفريتها على أم إبراهيم ، فقيل له : ولم أخره الله للقائم – عليه السلام – ؟ فقال : لأن الله – تعالى – بعث محمداً – ﷺ – رحمة ، وبعث القائم – عليه السلام– نقمة [3] .

وقيل بل لأنها : رفضت أن تدفن الإمام الحسن – عليه السلام – بجانب النبي – ﷺ – ، وأنها أدخلت الرجال بيتها بغير إذن رسول الله – ﷺ –[4] وحاشاها.

ولن يكتفي بذلك بل :" إن الله – عز وجل – سيحيي للمهدي الغائب في سردابه جميع حكام المسلمين السابقين ، مع الحكام المعاصرين لقيامه ، وعلى رأس الجميع الجبت والطاغوت " أبا بكر وعمر " ، فمن بعدهما ، فيحاكمون على اغتصابهم الحكم منه ، ومن آبائه الأحد عشر إماماً ، وبعد محاكمة هؤلاء الطواغيت المغتصبين ، يقتص منهم ، فيأمر بقتل وإعدام كل خمسمائة معاً ، حتى يستوفي قتل ثلاثة آلاف ؛ من رجال الحكم في جميع عصور الإسلام ، ويكون ذلك في الدنيا قبل البعث النهائي" [5] ، ولا يترك هاربا ليهرب ، ولا جريحا ليبرأ ؛ بل :" يقتل المولي ،

---

(١) السيد الحسيني القزويني : موسوعة الإمام الجواد ، تحقيق : أبو القاسم الخزعلي ، ط أمير ، نشر مؤسسة ولي العصر – قم ، ط١، ١٤١٩هـ جـ ١ صـ ٥٧٤ .

(٢) جعفر بن قولويه: كامل الزيارات صـ ٥٥١. الحر العاملي:الجواهر السنية، نشر النعمان – النجف ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م صـ ٢٩١.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٢ صـ ٢٤٢. أحمد بن خالد البرقي : المحاسن جـ ٢ صـ ٣٣٩.

(٤) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٠٢.

(٥) أبو حمزة الثمالي : تفسير أبو حمزة الثمالي ، تحقيق : عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين ، ط مطبعة الإمام المهدي ، نشر دفتر نشر الهادي – قم ، ط١ ، ١٤٢٠هـ / ١٣٧٨ش صـ ٢٣ .

ويجهز الجريح "[1] ، والأدهى " بينا رجل على رأس القائم يأمره وينهاه ، إذ قال : أديروه فيديروه إلى قدامه ، فيأمر بضرب عنقه ، فلا يبقى في الخافقين شيء إلا خافه " [2] .

أنظر إلى هذا العدل، قال رسول الله – ﷺ – : " اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ ؛ فَقَاتِلُوا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ، وَسَتَجِدُونَ فِيهِمْ رِجَالاً فِى الصَّوَامِعِ مُعْتَزِلِينَ مِنَ النَّاسِ ؛ فَلاَ تَعْرِضُوا لَهُمْ ، وَلاَ تَقْتُلُوا امْرَأَةً ، وَلاَ صَغِيرًا ضَرَعًا ، وَلاَ كَبِيرًا فَانِيًا ، وَلاَ تَقْطَعُنَّ شَجَرَةً ، وَلاَ تَعْقِرُنَّ نَخْلاً ، وَلاَ تَهْدِمُوا بَيْتًا "[3] .

<u>من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : اعتقاد أن الأئمة فيها سادة الخلائق وقوادهم :</u>

عن الرضا – عليه السلام – قال :" إن الله – تبارك وتعالى – أخذ الميثاق على أوليائنا على الصبر في دولة الباطل ، فاصبر لحكم ربك ، فلو قد قام سيد الخلق ؛ لقالوا :" يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ" [4] ، فسيد الخلق : هو المهدي المنتظر [5] .

عن أبي عبد الله – عليه السلام – قال :" لم يبعث الله نبياً ، ولا رسولاً ، إلا رد جميعهم إلى الدنيا ؛ حتى يقاتلوا بين يدي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين– صلوات الله عليه – [6] .

وعنه أيضا أنه قال : لقد سمى الله عليا اسماً ما سماه لأحد من العالمين وما جاء تأويله ، فقيل له : متى يجيء تأويله ؟ قال :" إذا جاء جمع الله أمامه النبيين ، والمؤمنين حتى ينصروه وهو قول الله :" وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ" [7] ، فيومئذ يدفع رسول الله – صلى الله عليه وآله – اللواء إلى علي بن أبي طالب – عليه السلام – فيكون أمير الخلائق كلهم أجمعين، يكون الخلائق كلهم تحت لواءه يكون هو أميرهم ، وهذا تأويله [8] .

---

(١) النعماني المغربي : الغيبة صـ ٢٣٢ .

(٢) المصدر السابق صـ ٢٣٩.

(٣) الإمام البيهقي : السنن الكبرى جـ ٩ صـ ١٥٥.

(٤) سورة يس : آية رقم ٥٢.

(٥) الشيخ هادي النجفي : ألف حديث في المؤمن ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤١٦هـ صـ ٣٢٢– ٣٢٣ بتصرف . مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١٢ صـ ٣٤١. الشيخ هادي النجفي : موسوعة أحاديث أهل البيت جـ ١١ صـ ١٨٨.

(٦) السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٣ صـ ١٠٠–١٠١. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٤١.

(٧) سورة آل عمران : آية رقم ٨١ .

(٨) السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٣ صـ ١٠٤. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٧٠. الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدركات علم رجال الحديث ، ط حيدري – طهران ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ جـ ٤ صـ ١٠٠ – ١٠١ بتصرف .

ويؤكد ذلك ما روي : من أن دانيال النبي[1] ، ويوشع بن نون – عليهما السلام – سيخرجان لعلي – عليه السلام – في الرجعة [2] ؛ ليكونا تابعين للمنتظر – عليه السلام – .

<u>من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : اعتقاد أن الله يعيد الحروب التي هزم فيها الأئمة لينتصروا فيها ويملكون الأرض</u> : يروي الشيعة عن ابن عباس – رضي الله عنه – عقيدة يعتقدها الاثنا عشرية وهي أن الأئمة :" يملكون الأرض في آخر الزمان" [3] ، ويبين أبو عبد الله – عليه السلام – كيف سيحدث هذا فيقول :" إن لعلي – عليه السلام – في الأرض كرة مع الحسين – عليه السلام – ابنه ، يقبل برايته حتى ينتقم له من بني أمية ، ومعاوية وآل ثقيف ، ومن شهد حربه ، ثم يبعث الله إليهم بأنصاره يومئذ من أهل الكوفة ثلاثين ألفاً ، ومن سائر الناس سبعين ألفاً ، فيقاتلهم بصفين مثل المرة الأولى ، حتى يقتلهم ، ولا يبقى منهم مخبراً ، ثم يبعثهم الله – عز وجل – فيدخلهم أشد عذابه مع فرعون وآل فرعون ، ثم كرة أخرى مع رسول الله – صلى الله عليه وآله – حتى يكون خليفة الله في الأرض ، ويكون الأئمة – عليهم السلام– عماله ، حتى يعبد الله علانية في الأرض ، كما عبد الله سراً في الأرض ، ثم يعطي الله نبيه – صلى الله عليه وآله – ملك جميع أهل الدنيا منذ يوم خلق الله الدنيا إلى يوم يفنيها [4] .

ويعاتبهم الله عز جل على ما فعلوه في أمير المؤمنين ؛ فيقول تعالى :" قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ" [5] هو أمير المؤمنين – عليه السلام – قال : ما أكفره ؟ أي : ماذا فعل وأذنب حتى قتلوه ، ثم قال

---

(١) دانيال – عليه السلام – : نبي من أنبياء بني إسرائيل ، حبسه بختنصر ملك الفرس في بابل ، في زمان أرميا – عليه السلام – قال أبو العالية : لما افتتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت ، عند رأسه مصحف ، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب ؛ فدعا له كعباً فنسخه بالعربية ، فأنا أول رجل من العرب قرأه ، فقيل لأبي العالية : ما كان فيه ؟ قال : سيركم ، وأموركم ، ولحون كلامكم ، وما هو كائن بعد ، قيل : فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة ، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس ؛ فلا ينبشونه ، قيل : فما يرجون منه ، قال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون ، قيل : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : رجل يقال له : دانيال ، قيل : منذ كم وجدتموه قد مات ؟ قال : منذ ثلاثمائة سنة ، ما تغير منه شئ إلا شعرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ، ولا تأكلها السباع . اه ، وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية ، وإن دانيال دعا ربه – عز وجل – : أن تدفنه أمة محمد ، فلما افتتح أبو موسى الأشعري تستر وجده في تابوت تضرب عروقه ووريده ، وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : من دل على دانيال فبشروه بالجنة . فكان الذي دل عليه رجل يقال له حرقوص . الحافظ ابن كثير : قصص الأنبياء جـ ٢ صـ ٣٣١ – ٣٣٣.

(٢) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٤ صـ ٨٦ بتصرف.

(٣) سورة آل عمران : آية رقم ١٥٧ .

(٤) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ٢٩. الحر العاملي : الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة صـ ٣٣٥.

(٥) سورة عبس : آية رقم ١٧.

تعالى :" كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ "[1] أي لم يقض أمير المؤمنين – عليه السلام – ما قد أمره الله ، وسيرجع حتى يقضي ما أمره [2] فيهم .

من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : تصادمها مع اعتقاد عدم وجود إمامين في عصر واحد :

سئل أبو عبد الله – عليه السلام – :" أيكون إمامان في وقت واحد [3]؟ قال : لا " [4] ، وفي رواية :" لا إلا إمام صامت لا يتكلم ، ويتكلم الذي قبله [5] .

واعلم أن قوماً من الجهال ظنوا أن تلك الأخبار منافية للأخبار الدالة على رجعة النبي والأئمة – صلوات الله عليهم – ، وبذلك اجترؤوا على رد الأخبار المستفيضة ، بل المتواترة المأثورة عن الأئمة الأطهار وهو فاسد من وجوه :

الأول : أنه ليس في أكثر أخبار الرجعة التصريح باجتماعهم في عصر واحد فلا تنافي ؛ بل ظاهر بعض الأخبار أن رجعة بعض الأئمة – عليهم السلام – بعد القائم – عليه السلام– أو في آخر زمانه ، وما روي أن بعد القائم – عليه السلام – تقوم الساعة بعد أربعين يوماً ، فهو خبر واحد لا يعارض الأخبار الكثيرة ، مع أنه قال بعض علمائنا في كتاب كتبه في الرجعة : إن للقائم – عليه السلام – أيضا رجعة بعد موته ، فيحتمل أن يكون مورد الخبر الموت بعد الرجعة .

الثاني : إن ظاهر تلك الأخبار عدم اجتماع إمامين في تلك الحياة المعروفة ، بل بعضها صريح في ذلك ، ولو صح نحمله على أن زمان الرجعة ليس زمان تكليف فقط ؛ بل هو واسطة بين الدنيا والآخرة ، بالنسبة إلى جماعة دار تكليف ، وبالنسبة إلى جماعة دار جزاء ؛ فكما يجوز اجتماعهم في القيامة لا يبعد اجتماعهم في ذلك الزمان.

الثالث : أن أخبار الرجعة أكثر وأقوى من تلك الأخبار ، فلا ينبغي ردها والأخذ بهذه [6].

من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : التناقض في عقيدة الإيمان بالحوض :

---

(١) سورة عبس : آية رقم ٢٣.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٦ صـ ١٧٤. الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين جـ ٥ صـ ٥١٠.

(٣) يقول الشيخ المنتظري : لا يكون إمامان في وقت واحد ؛ لأن الاثنين لا يتفقان في تدبيرهما ، ولا في فعلهما ، فإذا كان كلاهما مفترض الطاعة لم يكن أحدهما أولى بالطاعة من صاحبه ، فيكون التشاجر والفساد . انظر الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية جـ ١ صـ ٤١١. الشيخ الصدوق : علل الشرائع جـ ١ صـ ٢٥٤. ونقول : أليس هذا منافياً للعصمة .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١٠٧. الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٢٢٤.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١٠٨. محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ٥٠٦.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥ صـ ١٠٨-١٠٩.

سئل الحسين – عليه السلام – : عن حوض النبي–ﷺ – في الدنيا أم في الآخرة ؟ فقال : بل في الدنيا ، قيل له : فمن الذائد عنه ؟ قال : بيدي ؛ فليردنه أوليائي ، وليصرفن عنه أعدائي [١] .

وللصدوق رأي آخر يقول : اعتقادنا في الحوض أنه حق ، وأن الوالي عليه يوم القيامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام – يسقي منه أولياءه ، ويذود عنه أعداءه [٢].

قال رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – :" إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ[٣] مِنْ عَدَنٍ [٤] ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ ، وَلآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ ، وَإِنِّي لأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ ". قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ ، قَالَ : " نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ : تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ " [٥].

فلا ندري من الوالي ، ومتى تكون الولاية أهي يوم القيامة ، أم يوم الرجعة ، ولكنا نصدق النبي – ﷺ– وآل بيته – عليهم السلام – .

<u>من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : الاعتقاد بأن الحشر حشرين :</u>

نحن نعتقد أن الله – عز وجل – جعل للعباد حشر واحد يوم القيامة ، لكنَّا نجد عند الاثني عشرية رأي أخر ، فهم يعتقدون أن الله – ﷻ – أخبر عن حشرين : الحشر الأكبر يوم القيامة في قوله تعالى :" وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا "[٦] ، وحشر الرجعة قبل يوم القيامة :" وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ " [٧] .

فالحشر حشران : عام وخاص ، والدليل أنه سبحانه قال مخبراً عمن يحشر من الظالمين أنهم يقولون يوم الحشر الأكبر : " رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٦٩. الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ١٦٢.

(٢) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية صـ ٦٥.

(٣) أيلة : في طريق مكة من ناحية مصر ، وهي أول حد الحجاز ، جليلة القدر على ساحل البحر الملح بها يجتمع حاج مصر والمغرب ، وبها التجارة الكثيرة وأهلها أخلاط من الناس . وسميت بأيلة بنت مدين ، قالوا : وهي القرية التي كانت حاضرة البحر المذكورة في القرآن. انظر محمد بن عبد المنعم الحِميري : الروض المعطار في خبر الأقطار صـ ٧٠.

(٤) عدن: مدينة باليمن بينها وبين أبين اثنا عشر ميلاً ، وهي مدينة صغيرة ، وإنما اشتهر اسمها لأنها مرسى البحرين ، ومنها تسافر مراكب السند ، والهند ، والصين، وإليها يجلب متاع الصين ، وهي ساحل صنعاء ، وبها مرفأ مراكب الصين ، وسميت بعدن بن سبأ ، وكان أول من نزل بها، ومن علامات الساعة : نار تخرج منها . انظر محمد بن عبد المنعم الحِميري : الروض المعطار في خبر الأقطار صـ ٤٠٨.

(٥) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ١ صـ ٢١٦. ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ٣ صـ ٣٢١.

(٦) سورة الكهف : آية رقم ٤٧.

(٧) سورة النمل : آية رقم ٨٣.

سَبِيلٍ" (١)(٢) ، وللعامة في هذه الآية تأويل مردود: أنه خلقهم أمواتاً في أصلاب آبائهم ، ثم أماتهم بعد الحياة ، ثم بعثهم ، وهذا باطل لا يجري على لسان العرب ؛ لأن الفعل لا يدخل إلا على ما كان بغير الصفة التي انطوى اللفظ على معناها ، ومن خلقه الله أمواتاً لا يقال : أنه أماته ؛ وإنما يقال هذا : فيمن طرأ عليه الموت بعد الحياة ، ولا يقال : أحيا الله ميتاً ، إلا أن يكون قد كان قبل إحيائه ميتاً ، وهذا بين لمن تأمله ، فالمراد من حياتهم : حياة الرجعة التي تكون لتكليفهم ، والندم على تفريطهم ، فلا يفعلون ذلك ، فيندمون يوم العرض على ما فاتهم من ذلك (٣).

وبعض أهل السنة يقول : إن الحشر الجمع ، وهو على أربعة أوجه : حشرين في الدنيا ، و حشرين في الآخرة : أما الذين في الدنيا ، فقوله تعالى: " هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ" (٤) كانوا من سبط لم يصبهم جلاء ، وكان الله – عز وجل – قد كتب عليهم الجلاء ، فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا ، وكان أول حشر حشروا في الدنيا إلى الشام(٥) . قال ابن عباس : من شك أن المحشر في الشام ؛ فليقرأ هذه الآية : " هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ" (٦) ، وأن النبي – ﷺ – قال لهم : اخرجوا ، قالوا إلى أين ؟ قال: إلى أرض المحشر ؛ و هذا أول المحشر. وهم أول من حُشر من أهل الكتاب ، وأخرج من دياره ، وقيل : إنهم أخرجوا إلى خيبر(٧)، وأن معنى " لأول الحشر " إخراجهم من حصونهم إلى

---

(١) سورة غافر : آية رقم ١١.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٣٦. الأحمدي الميانجي : مواقف الشيعة جـ ١ صـ ٢٧٤.

(٣) الشيخ المفيد : المسائل السرورية صـ ٣٣-٣٤. الحر العاملي : الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة صـ ٧٩.

(٤) سورة الحشر آية رقم ٢.

(٥) الشام : بلاد كثيرة ، وكور عظيمة ، وممالك ، وقسمت الأوائل الشام خمسة أقسام : الأول : فلسطين وفيها غزة والرملة ، الثانية : الشام ومدنها العظمى : طبرية ، والغور ، واليرموك ، والثالثة : الغوطة ومدينتها العظمى دمشق ، والرابعة : أرض حمص ، وقنسرين ، ومدينتها العظمى حلب ، وساحلها أنطاكية ، وأول طول الشام من ملطية إلى رفح . انظر محمد الحِميري : الروض المعطار صـ ٣٣٥.

(٦) سورة الحشر : آية رقم ٢.

(٧) خيبر : على ثمانية برد من المدينة، وبها حصون كبيرة، وأول حد خيبر الدومة ، فتحها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عام ٧ هـ وكان بها اليهود حتى أجلاهم عمر – رضي الله عنه – . انظر محمد بن عبد المنعم الحِميري : الروض المعطار في خبر الأقطار صـ ٢٢٨.

خيبر ، وآخره : إخراج عمر – رضي الله عنه– إياهم من خيبر إلى نجد [1] ، وأذرعات [2] ، وقيل : تيماء[3] ، وأريحاء[4] ، وذلك بكفرهم ، ونقض عهدهم.

وأما الحشر الثاني: فحشرهم قرب القيامة ؛ تأتي نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، وتأكل منهم من تخلف [5] ، والله أعلم .

<u>من آثار التقديس عقيدة الرجعة : اعتقاد العصمة في المخالفين الذين يرجعون إلى الدنيا :</u>

في جواب عن سؤال: إذا كانت لا تقبل توبة المخالف عند ظهور القائم فهل هذا يعني أن الله أغرى عباده بالعصيان ، وأباح لهم الهرج والمرج والطغيان ؛ لأنهم إذ كانوا يقدرون على الكفر وأنواع الضلال ، وقد يئسوا من قبول التوبة ؛ فبالتالي لا يدعهم داع إلى الكف عن طباعهم ، ولم ينزجروا عن فعل القبيح ، وإذا قلنا بذلك فقد أعظمنا على الله الفرية ؛ حيث وصفنا الله بأنه يأمر بالفحشاء ؟ سبحانه ! [6] .

قال الشيخ المفيد : " ليس الأمر على ما ظننتموه ؛ وذلك أن الدواعي لهم إلى المعاصي ترتفع إذ ذاك ، ولا يحصل لهم داع إلى قبيح على وجه من الوجوه ، ولا سبب من الأسباب ؛ لأنهم يكونون قد علموا بما سلف لهم من العذاب وقت الرجعة على خلاف أئمتهم – عليهم السلام – ويعلمون أنهم في الحال معذبون على ما سبق لهم من العصيان ، وأنهم إن راموا فعل قبيح تزايد عليهم العقاب ، ولا يكون لهم عند ذلك طبع يدعوهم إلى ما يتزايد عليهم به العذاب ، بل يتوفر لهم دواعي الطباع والخواطر كلها إلى إظهار الطاعة والانتقال عن العصيان [7] .

<u>من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : اعتقاد أن المهدي ليس واحداً بل كثير :</u>

---

(١) نجد : ما بين الحجاز إلى الشام إلى العذيب ، فالطائف من نجد ، والمدينة من نجد ، وأرض اليمامة والبحرين إلى عمان إلى العروض . انظر محمد بن عبد المنعم الحِميري : الروض المعطار في خبر الأقطار صـ ٥٧٢.

(٢) أذرعات : من بلاد دمشق بالشام وتنسب لها الخمر الجيدة . انظر المرجع السابق صـ ١٩.

(٣) تيماء : من أمهات القرى ، على سبع ليال من المدينة المكرمة ، ولها سور على شاطئ البحر طوله فرسخ ، ويخرج من تيماء إلى الشام ، وبين تيماء وأول الشام ثلاثة أيام ، وبتيماء مياه ونخل ، ومنه تمتار البادية . انظر المرجع السابق الأقطار صـ ١٤٦.

(٤) أريحا : مدينة من أجل بلاد الغور بالشام ، وفي الخبر أن عمر رضي الله عنه أجلى اليهود إليها .انظر المرجع السابق صـ ٢٥.

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ٢ صـ ٣٠٢٣ بتصرف . البغوي : تفسير البغوي صـ ١٢٩١بتصرف.

(٦) الشريف المرتضى : الفصول المختارة صـ ١٥٥ بتصرف. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٣٤.

(٧) الأحمدي الميانجي : مواقف الشيعة جـ ١صـ ٢٧١. الشيخ عبد الله الحسن : مناظرات في العقائد والأحكام ، ط عترت ، نشر انتشارات دليل – قم ، ط ٢ ، ١٤٢١هـ جـ ١ صـ ٤٢٢.

عن الصادق – عليه السلام – :" يكون بعد القائم اثنا عشر مهديا "[1] ، وفي رواية :" من ولد الحسين – عليه السلام – " [2] ، وعن الحسين – عليه السلام – : منا اثنا عشر مهدياً : أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وآخرهم التاسع من ولدي وهو القائم بالحق "[3] ، ونفاجأ بأن آخرهم هو القائم ؛ فقد روي عن الله – عز وجل – أنه قال لنبيه – صلى الله عليه وآله – :" وأعطيتك أن أخرج من صلبه – يعني علي – أحد عشر مهدياً كلهم من ذريتك من البكر البتول ، وآخر رجل منهم يصلي خلفه عيسى بن مريم " [4] .

ويجمع بين الأقوال جعفر الصادق – عليه السلام – فيقول حين سُئل :" يا ابن رسول الله إني سمعت من أبيك – عليه السلام – أنه قال :" يكون بعد القائم اثنا عشر مهدياً " فقال : إنما قال : اثنا عشر مهدياً ، ولم يقل : اثنا عشر إماماً ، ولكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى موالاتنا ومعرفة حقنا " [5] .

ويقول رسول الله – صلى الله عليه وآله – :" يا علي إنه سيكون بعدي اثني عشر إماماً ، ومن بعدهم اثني عشر مهدياً ، فأنت يا علي أول الاثنا عشر إماماً ...فإذا حضرت الحسن الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد – صلى الله عليه وعليهم – فذلك اثني عشر إماماً ، ثم يكون من بعده اثني عشر مهدياً ، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المهديين له ثلاثة أسامي : اسم كاسمي ، واسم أبي ، وهو : عبد الله ، وأحمد ، والاسم الثالث : المهدي وهو أول المؤمنين " [6] !.

ويرجح بعضهم أن الاثنا عشر مهدياً هم من الأئمة من ذرية القائم – عليه السلام – [7] .

وهذه الأخبار مخالفة للمشهور ، وطريق التأويل عند الشيعة على أحد وجهين :

الأول : أن يكون المراد بالاثنا عشر مهدياً النبي – صلى الله عليه وآله – وسائر الأئمة سوى القائم – عليه السلام – ، بأن يكون ملكهم بعد القائم – عليه السلام – ، وقيل : برجعة القائم – عليه السلام – بعد موته ؛ وبه يمكن الجمع بين الأخبار .

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٤٥. عدة محدثين : الأصول الستة عشر صـ ٩١.

(٢) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٣٨.

(٣) الشيخ الصدوق : الإمامة والتبصرة صـ ٢. الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ٢ صـ ٩٦.

(٤) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٢٥١. الحسن بن سليمان الحلي : المحتضر صـ ٢٤٨.

(٥) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة صـ ٣٥٨.

(٦) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٣٩ – ٤٠ .

(٧) القاضي النعمان المغربي : شرح الأخبار جـ ٣ صـ ٤٠٠.

الثاني : أن يكون هؤلاء المهديون من أوصياء القائم – عليه السلام – هادين للخلق في زمن سائر الأئمة الذين رجعوا ؛ لئلا يخلو الزمان من حجة ، وإن كان أوصياء الأنبياء والأئمة أيضا حججا ؛ والله تعالى يعلم [١] .

<u>من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : اعتقاد أن الأبناء يحملون أوزار الآباء :</u>

عن أبي عبد الله – عليه السلام :" القائم والله يقتل ذراري قتلة الحسين – عليه السلام – بفعال آبائهم " ، وعنه أيضا في قوله تعالى :" فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ "[٢] ، قال :" أولاد قتلة الحسين – عليه السلام – " [٣] .

وعنه أيضا في قوله تعالى :" وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا " [٤] ، قال :" ذلك قائم آل محمد – ﷺ – يخرج ؛ فيقتل بدم الحسين بن علي – عليهما السلام – فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً " [٥] .

ويعترض معترض بقوله تعالى :" أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى " [٦] ؛ فيقول الرضا – عليه السلام – :" صدق الله في جميع أقواله ، ولكن ذراري قتلة الحسين – عليه السلام – يرضون بفعال آبائهم ، ويفتخرون بها ، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه"[٧] .

ومن قال أن أهل السنة يرضون بقتل الحسين – عليه السلام – بل يدعون على قتلة الحسين – رضي الله عنه ورحمه – بالويل والثبور أما سمعت قول القائل :" ويلك يا قاتل الحسين لقد ... نؤت بحمل ينوء بالحامل " [٨] ، ومنهم من يلعن قاتله ومن أعان على ذلك [٩] .

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ١٤٨ – ١٤٩ بتصرف.

(٢) سورة البقرة : آية رقم ١٩٣.

(٣) علق الشيخ عبد الله البحراني :" لعل المراد بالعدوان ما يسمى ظاهراً عدواناً ، وإن كان في الواقع موافقاً للعدل" . انظر الشيخ عبد الله البحراني : العوالم صـ ٦٠٩ . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٥ صـ ٢٩٦.

(٤) سورة الإسراء : آية رقم ٣٣.

(٥) الشيخ عبد الله البحراني : العوالم صـ ٦١٠ .المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٥ صـ ٢٩٨.

(٦) سورة النجم : آية رقم ٣٨.

(٧) الشيخ عبد الله البحراني : العوالم صـ ٦١١ .المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٥ صـ ٢٩٥.

(٨) ابن حجر : لسان الميزان جـ ٦ صـ٩٥ .

(٩) من قتلته الحسين – رضي الله عنه – : عبيد الله بن زياد ، وخُوَيْزَة ، وسنان الوهبيلي ، وشمر بن ذي الجوشن ، وسنان بن أنس النخعي ، وَعُمَرَ بنَ سَعْدٍ– لعنهم الله – . انظر ابن ماكولا : الإكمال جـ ٤ صـ ٤٤١ . ابن ناصر الدين شمس الدين القيسي الدمشقي : توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط ١، ١٩٩٣م جـ ٤صـ ٣٠. الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ ٥٤١، جـ ٨ صـ ٢٠٠.الزركلي : الأعلام جـ ٣ صـ ١٥٤، جـ ٧ صـ ٢٦٢.

قال أحد السلف :" لو كنت ممن قاتل الحسين ، ثم أدخلت الجنة ؛ لاستحييت أن أنظر إلى وجه النبي – ﷺ – " [1] ، وقال غيره :" والله لو كنت فيمن قاتل الحسين بن علي ؛ فأتتني المغفرة من ربي فأدخلني الجنة ؛ لاستحييت أن أمر على رسول الله – ﷺ – فينظر في وجهي " [2] ، وكانوا لا يقبلون الرواية عمن شارك في قتله [3] . فهل هذا يكفي للنجاة من عذاب القائم في الرجعة ؟ .

من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : اعتقاد أن الأئمة سيحكمون بحكم داود – عليه السلام – :

يعتقد الشيعة أن علي – عليه السلام – حكم بحكم كل الأنبياء قبله إلا داود – عليه السلام – لأن الصادق – عليه السلام – يقول :" إذا قام قائم آل محمد – عليه السلام – حكم بين الناس بحكم داود لا يحتاج إلى بينة ، يلهمه الله ؛ فيحكم بعلمه [4].

وبسبب هذا الحكم العادل : تتنزل البركة إلى الأرض ؛ فعن الحسين بن علي – عليهما السلام – في حديث طويل عن الرجعة قال :" ولتنزلن البركة من السماء والأرض ، حتى أن الشجرة لتصيف بما يريد الله فيها من الثمرة ، وليؤكل ثمرة الشتاء في الصيف ، وثمرة الصيف في الشتاء [5] ، وذلك قوله تعالى :" وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ "[6] [7] .

وفي رواية :" ثم إن الله ليهب إلى شيعتنا كرامة لا يخفى عليهم شيء في الأرض ، وما كان فيها حتى أن الرجل منهم يريد أن يعلم علم أهل بيته ؛ فيخبرهم بعلم ما يعلمون [8]، حتى إن الشجرة

---

(١) القائل هو إبراهيم النخعي – رحمه الله تعالى – .انظر أبو الحجاج المزي : تهذيب الكمال ، تحقيق : د بشار عواد معروف ، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م جـ ٦ صـ ٤٣٩ .

(٢) القائل الإمام أبو الحجاج المزي – رحمه الله تعالى – .أبو الحجاج المزي : تهذيب الكمال جـ ٢٥ صـ ١٥٣ .

(٣) المصدر السابق جـ ٢١ صـ ٣٥٧ .

(٤) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٣ صـ٣٧٩.

(٥) الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين جـ ٢ صـ ٥٢ .

(٦) سورة الأعراف : آية رقم ٩٦.

(٧) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٥١.

(٨) قطب الدين الراوندي : الخرائج والجرائح جـ ٢ صـ ٨٥٠. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٦٣.

تنكسر أغصانها ؛ لكثرة ما حملت من الثمر[1] ؛ وذلك باعتبار انتهاء الظلم والشر ، وظهور الخير والنور والكرامة والسعادة [2].

وأظن أن نزول القائم يوم السبت ، وحكمه بحكم آل داود له حكمة عند الشيعة الاثني عشرية ! .

من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : أنها اختيارية للشيعة إجبارية على غيرهم :

عن أبي عبد الله – عليه السلام – في إجابة لسؤال عن الذين ماتوا من الشيعة ينتظرون خروج القائم ، قال :" إذا قام أتى المؤمن في قبره ؛ فيقال له : يا هذا إنه قد ظهر صاحبك ؛ فإن تشأ أن تلحق به فالحق ، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقم [3] .

ومن لم يلحق فله الأجر ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" ومن عرف إمامه ، ثم مات قبل أن يرى هذا الأمر ، ثم خرج القائم – عليه السلام – كان له من الأجر كمن كان مع القائم في فسطاطه " [4].

ولا عجب : أن يكون من دعواتهم المروية عن أبي الحسن الثاني – عليه السلام – :" واجعلني ممن يقتص آثاركم ... ويكر في رجعتكم ، ويملك في دولتكم ، ويشرف في عافيتكم ، ويمكن في أيامكم ، وتقر عينه غداً برؤيتكم "[5] .

ويبدوا أن دعوة بعضهم استجيبت فقد أدى الاعتقاد بالرجعة إلى ادعاء بعض الناس رجعتهم كما حكوا عن راوٍ يدعى أحكم بن بشار المروزي الكلثومي[6] ، قالوا : عنه غال ، لاشيء ، وقالوا : " كان أحكم إذا ذكرت عنده الرجعة ، فأنكرها أحد ؛ فيقول : أنا أحد المكرورين [7].

ولذا كان القول بالرجعة جرح وطعن في الرواي من محدثي الشيعة ، حتى وإن لم يجدوا فيه مطعناً ، مع أنها لا توجب خروجاً عن الدين ، أو خدشا في عقيدة التوحيد[1] .

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٥ صـ ٨١.

(٢) السيد مصطفى الخميني : تفسير القرآن الكريم ، ط مؤسسة العروج ، نشر مؤسسة تنظيم و نشر آثار الإمام الخميني – طهران ، ط١ ، ١٤١٨هـ / ١٣٧٦ش جـ ٣ صـ ٢٨٠.

(٣) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ ٥ صـ ٩٠. الشيخ الطوسي : الغيبة صـ ٤٥٩.

(٤) الشيخ الطوسي : الغيبة صـ ٤٥٩.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٣ صـ ٩١.

(٦) أحكم بن بشار : المروزي الخراساني الكلثومي من أصحاب الجواد – عليه السلام – ، قيل عنه : غال لا شيء ، كان يتمتع في بغداد فذبحه أهلها ؛ فنجا من الذبح بفضل علاج الإمام الجواد له بعدما أشفى على الموت ، وبقي أثر الذبح في عنقه ، ولا نعلم له رواية عن الإمام الجواد . انظر التفرشي : نقد الرجال جـ ١ صـ ٩٩. السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ٢ صـ ٤٥٩ – ٤٦٠ . الحاج حسين الشاكري : موسوعة المصطفى والعترة " الإمام الجواد " ، ط ستارة ، نشر الهادي – قم ، ط١ ، ١٤١٩هـ جـ ١٣ صـ ٣٦٦.

(٧) الشيخ الطوسي : اختيار معرفة الرجال جـ ٣ صـ ٨٣٩ – ٨٤٠ بتصرف . السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة جـ ٢ صـ ٤٦٠.

وهناك فرق بين القول بالرجعة ، وادعاء أنه ممن يرجع إلى الدنيا بعد موته ، فهذا يحتاج لدليل من المعصومين الذين يسمون أشخاصاً بعينهم .

من آثار التقديس في عقيدة الرجعة : اعتقاد أن يوم الظهور أول القيامة :

عن أبي عبد الله – عليه السلام – قال :" أيام الله ثلاثة : يوم يقوم القائم – عليه السلام – ، ويوم الكرة ، ويوم القيامة " [٢].

وعلى هذا فيوم القيامة له ثلاث مراتب : أولها : يوم ظهور القائم ، وثانيها : يوم الرجعة وهي أيام بها من المعاصي ، والمخالفات ، بخلاف المرتبة الثالثة ، وهي : يوم القيامة ، وهذا المعنى أعني الاتحاد بحسب الحقيقة ، والاختلاف بحسب المراتب هو الموجب لما ورد في تفسيرهم – عليهم السلام – بعض الآيات بالقيامة تارة ، وبالرجعة تارة أخرى ، وبالظهور ثالثة [٣].

قال تعالى :" كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا { في عالم الذر } ، فَأَحْيَاكُمْ { في عالم الدنيا } ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ { عنه بنقلكم إلى عالم الرجعة } ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ { من عالم الرجعة إلى الدنيا } ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ "[٤] ، { فتنقلون إلى عالم القبر والبرزخ ثم إلى عالم القيامة الكبرى والعظمى }[٥].

الرد على عقيدة الرجعة موقف الأئمة – عليهم السلام – منها :

قال رسول الله – ﷺ – :" ما من نفس تموت ، فتدخل الجنة ؛ فتود أنها رجعت إليكم ولها الدنيا وما فيها إلا الشهيد ؛ فإنه ود أنه قتل كذا وكذا مرة ؛ لما رأى من الثواب " [٦].

وحديث النبي – ﷺ – حين استأذنه عمر – رضي الله عنه في قتل ابن صياد [٧] ، فقال له النبي – ﷺ – :" لَا إِنْ يَكُنِ الَّذِي تَخَافُ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ "[٨] ، قال ابن حجر – رحمه الله – :" وفيه الرد على من يدعي الرجعة إلى الدنيا لهذا الحديث ؛ لأنه لو جاز أن الميت يرجع إلى الدنيا لما

---

(١) د عبد العليم عبد العظيم البستوي : المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة ص ٧٧ .

(٢) الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث الإمام المهدي ج ٤ ص ٨٢ .

(٣) السيد الطباطبائي : تفسير الميزان ج ٢ ص ١٠٩ بتصرف.

(٤) سورة البقرة : آية رقم ٢٨.

(٥) السيد مصطفى الخميني : تفسير القرآن الكريم ج ٥ ص ١٩٤ – ١٩٥.

(٦) الإمام عبد الله بن بهرام الدارمي : سنن الدارمي ط المطبعة الحديثة – دمشق ، ١٣٤٩هـ ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٧) يوجد بعض الأحاديث التي تفيد أن النبي – صلى الله عليه وسلم – حذر أن يكون ابن صياد هو الدجال ، وهناك شك في إسلامه ، قتل يوم الحرة . انظر ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، نشر دار الفكر– بيروت ، ط١ ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ج ٧ ص ٣٦٧ .

(٨) مسلم : صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٢٤٠. ابن حبان : صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ١٨٥.

كان بين قتل عمر له حينئذ ، وكون عيسى بن مريم هو الذي يقتله بعد ذلك منافاة ، والله أعلم [١]
.

قلت وفيه دليل على أن الأجل واحد سواء كان موتاً أو قتلاً ؛ حيث نهاه النبي – ﷺ – عن قتله ، ولو كان القتل غير الموت لما نهاه عن قتله .

قال تعالى :" وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ "[٢] ، أي : كل قرية أهلكت تبقى في الهلاك حتى قيام الساعة ، أو تبقى في عدم الرجعة إلى الدنيا ، أو إلى التوبة حتى قيام الساعة"[٣].

وقوله تعالى :" أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ " [٤] ، وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير هذه الآية حين " قيل له : إن قوماً يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ؛ فقال : بئس القوم نحن إن نكحنا نساءه ، وقسمنا ميراثه [٥] .

قال تعالى " حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ[٦].

والمعنى : " كلا ردع عن طلب الرجعة ، وإنكار ، واستبعاد ، إنها كلمة هو قائلها " بلسانه لا حقيقة لها ، أو: قائلها وحده لا تسمع منه ، ومن ورائهم برزخ " ، والضمير للجماعة أي : أمامهم حائل ، وحاجز بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث من القبور [٧].

عن أبي جعفر – عليه السلام – قال :" لا تقولوا الجبت والطاغوت ، ولا تقولوا الرجعة ، فإن قالوا : إنكم كنتم تقولون ذلك ، فقولوا : أما اليوم فلا نقول ؛ فإن رسول الله – ﷺ – قد كان يتألف الناس بالمائة ألف درهم ؛ ليكفوا عنه ؛ فلا تتألفونهم بالكلام [٨] .

---

(١) ابن حجر: فتح الباري جـ ٦ صـ ١٩٥ .

(٢) سورة الأنبياء : آية رقم ٩٥.

(٣) عبد الله بن سليمان الغفيلي : أشراط الساعة ، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف – السعودية ، ١٤٢٢هـ صـ ١٧٦.

(٤) سورة يس : آية رقم ٣١.

(٥) الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – القاهرة ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م جـ ٣ شرح صـ ٣٢١.

(٦) سورة المؤمنون آية رقم ٩٩ – ١٠٠.

(٧) الشيخ الطبرسي : تفسير جوامع الجامع ، تحقيق وطبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤٢٠هـ جـ ٢ صـ ٥٩٨.

(٨) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ٢٤ .

ويقول أمير المؤمنين – عليه السلام – :" فبادروا العمل ، وخافوا بغتة الأجل ، فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق ، ما فات من الرزق يرجى غداً زيادته ، وما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعته " [١] .

وعنه أيضاً :" ما بينكم وبين الجنة والنار سوى الموت " [٢] . وعن الحسن بن علي – عليه السلام – لما قيل له هل يرجع الإمام علي إلى الدنيا ، فقال :" كذب أولئك الكذَّابون ؛ لو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه ، ولا قسمنا ميراثه " [٣] .

وهذا أبو عبد الله – عليه السلام – الذي رد على من يزعم رجعة محمد بن الحنفية ؛ فقال : حدثني أبي : أنه كان فيمن عاده في مرضه ، وفيمن أغمضه ، وفيمن أدخله حفرته . وتُزوّج نساؤه ، وقُسم ميراثه " [٤].

وهذا الرضا – عليه السلام – الذي رد على من قال بغيبة أبيه – موسى الكاظم – ورجعته بقوله : بلى والله لقد مات ، وقُسّمت أمواله ، ونُكحت جواريه"[٥].

ويوضح الإمام الصادق – عليه السلام – عقيدته ، فيقول حين يُسأل عمن مات في هذه الدار أين تكون روحه ؟ فقال – عليه السلام – : من مات وهو ماحض للإيمان محضاً أو ماحض للكفر محضاً نقلت روحه من هيكله إلى مثله في الصورة " النفس " وجوزي بأعماله إلى يوم القيامة ، فإذا بعث من في القبور أنشأ جسمه ، ورد روحه إلى جسده ، وحشر ليوفيه أعماله ، فالمؤمن تنتقل روحه من جسده إلى مثل جسده في الصورة ، فيجعل في جنة من جنان الله يتنعم فيها إلى يوم المآب ، والكافر تنتقل روحه من جسده إلى مثله بعينه ، فتجعل في نار ، فيعذب بها إلى يوم القيامة ، وشاهد ذلك قوله تعالى " قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين" [٦] . فأخبر سبحانه أن مؤمناً قال بعد موته ، وقد أُدخل الجنة : يَا لَيْتَ

---

(١) خطب الإمام علي : نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده جـ ١ ص ٢٢٦. الشيخ هادي النجفي : موسوعة أحاديث أهل البيت جـ ٤ ص ١١٨. الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين جـ ١ ص ٣٧٦.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٧٥ ص ٧٠. محمد الريشهري : ميزان الحكمة جـ ٤ ص ٣٥٨٨.

(٣) الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ٢ ص ١٠٤. السيد مرتضى العسكري : عبد الله بن سبأ جـ ٢ ص ١٩٠. الإمام أحمد : المسند جـ ١ ص ١٤٨. ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ٥ ص ٧.

(٤) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٦ . الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين جـ ١ ص ٧٧٩.

(٥) الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا جـ ٢ ص ٩٨. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤٨ ص ٢٥٥.

(٦) سورة يس : آية رقم ٢٦-٢٧.

قَوْمِي يَعْلَمُونَ" [١] ، وشاهد ما ذكرناه في الكافر قوله تعالى : " النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ " [٢] ، وأخبر أن كافراً يعذب بعد موته غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة يخلد في النار ، والضرب الآخر : من يلهى عنه وتعدم نفسه عند فساد جسمه فلا يشعر بشيء حتى يبعث ، وهو من لم يمحض الإيمان محضاً ولا الكفر محضاً ، وقد بين الله تعالى ذلك عند قوله تعالى :" إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما " [٣] ، فبين إن قوماً عند الحشر لا يعلمون مقدار لبثهم في القبور ، حتى يظن بعضهم أن ذلك كان عشراً ، ويظن بعضهم أن ذلك كان يوماً ، وليس يجوز أن يكون ذلك وصف من عذب إلى بعثه أو نعم إلى بعثه ؛ لأن من لم يزل منعماً أو معذباً لا يجهل عليه حاله فيما عومل به ، ولا يلتبس عليه الأمر في بقائه بعد وفاته [٤] .

وأما حكم غير الشيعة وهم عامة المسلمين : وإن أذعنوا بظهور المهدي ، ورووه بطرق متواترة عن النبي – ﷺ – لكنهم أنكروا الرجعة ، وعدوا القول بها من مختصات الشيعة ، وربما لحق بهم في هذه الأعصار بعض المنتسبين إلى الشيعة ، وعد ذلك من الدس الذي عمله اليهود ، وبعض المتظاهرين بالإسلام كعبد الله بن سبأ وأصحابه ، وبعضهم رام إبطال الرجعة بما زعمه من الدليل العقلي فقال ما حاصله : إن الموت بحسب العناية الإلهية لا يطرأ على حي حتى يستكمل كمال الحياة ويخرج من القوة إلى الفعل" خروج الروح من البدن خروجاً تاماً بموت قتل لا بموت طبيعي " في كل ما له من الكمال ، فرجوعه إلى الدنيا بعد موته رجوع إلى القوة ، وهو بالفعل هذا محال إلا إن يخبر به مخبر صادق وهو الله سبحانه ، أو خليفة من خلفائه كما أخبر به في قصص موسى وعيسى وإبراهيم – عليهم السلام – وغيرهم ، ولم يرد منه تعالى ولا منهم في أمر الرجعة شيء وما يتمسك به المثبتون غير تام [٥].

وقولهم في الرجعة كذبهم فيه قول الله تبارك وتعالى :" حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ "[٦] ، يخبر أن أهل القبور لا يبعثون إلى يوم النشور ، فمن خالف لحكم القرآن فقد كفر[١] .

---

(١) سورة غافر : آية رقم ٤٦.

(٢) سورة يس : آية رقم ٢٦.

(٣) سورة طه : آية رقم ١٠٤.

(٤) الشيخ المفيد : تصحيح اعتقادات الإمامية ص ٨٨ – ٩٠ بتصرف .

(٥) السيد الطباطبائي : تفسير الميزان جـ ٢ ص ١٠٦ – ١٠٧.

(٦) سورة المؤمنون : آية رقم ١٠٠ .

وهذه الآية قطعت كل أمل في الرجعة إلى الدنيا ، سواء أكانت للعمل الصالح أم لغيره ؛ وقد بين الرب تبارك وتعالى فيها استحالة الرجوع إلى الدنيا ، وعلل هذه الاستحالة بوجود برزخ لا يمكن لأحد أن يتجاوزه ، حجز بين الموت والبعث ، وبين الدنيا والآخرة ، فالمفلح من اغتنم حياته قبل أن يسأل الرجعة قبل الموت وهيهات .

قال تعالى :" وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا " (٢).

ولو أن الذين كانوا وراء فكرة الرجعة كانوا مخلصين لأئمة الشيعة لم يصوروهم بهذا المظهر الراغب في الحكم ، حتى أن الله سيعيدهم إلى هذه الدنيا الفانية مرةً أخرى ؛ ليحكموا فيها بعض الوقت ، وهم أئمة لهم جنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين ، والإمام " علي " يقول :" والله إن دنياكم هذه لأهون عندي من عفطة عنز " – أي : نثرها بأنفها كما ينثر الحمار (٣) ، والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية إربة ، ولكنكم دعوتموني إليها ، وحملتموني عليها " (٤) ، وفي رواية :" إن دنياكم هذه لأهون في عيني من عراق – أي : جلد – خنزير في يد مجزوم ، وأحقر من ورقة في فم جرادة ، ما لعليّ ونعيم يفنى ، ولذة لا تبقى " (٥) .

وفي ظني أن عقيدة الرجعة ما هي إلا أمل قالت به الشيعة لتظل الجماهير متبعة للأئمتها برغم موتهم ، وزوال ملكهم ، وهذا قاسم مشترك بين كل طوائفهم ، بل قاسم مشترك لكل من زال ملكه من الملل السابقة .

ولو كان غصب الخلافة أعظم جرماً من الكفر والشرك ، لكان إرجاع الكفرة ، والمشركين ، والذين ادعوا الألوهية مع الله – كفرعون ونمرود وغيرهما – أولى بالرجوع ، والشيعة الاثنى عشرية لم يقولوا بذلك ، فوجب أن يكون – حسب مقياسهم – : أن يكون غصب الخلافة ، أو التعدي على آل البيت أعظم جرماً من الشرك ، ومن ادعاء الألوهية ، وقتل الأنبياء بغير حق ، وهم لا يقولون بهذا ؛ فظهر بطلان قولهم بوجوب إعادة ورجعة أولئك الخلفاء ؛ لعقابهم في الدنيا بسبب غصبهم

---

(١) أبو الحسين محمد الملطي الشافعي : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، نشر المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٧م صـ ١٩ .

(٢) سورة المنافقون : آية رقم ٩.

(٣) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ٢ صـ ١١٣ .الخميني :كتاب البيع جـ ٢ صـ ٦٢٥.

(٤) الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية جـ ١ صـ ٨٠.

(٥) علي بن محمد الليثي الواسطي : تحقيق : الشيخ حسين الحسيني البيرجندي ، نشر دار الحديث – قم ، ط١ ، دت صـ ١٤٥.

الخلافة ، أو أخذ أبي بكر لفدك بغير حق كما يدعون ؛ لجهلهم بنص النبي – ﷺ – فيها حين قال : " نحن معاشر الأنبياء لاَ نُورَثُ ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ " [1] .

سَأَلَ رجلٌ جَابِرًا عَنْ قَوْلِهِ – عَزَّ وَجَلَّ – : " فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ "[2] ، فَقَالَ جَابِرٌ: لَمْ يَجِئْ تَأْوِيلُ هَذِهِ ، قَالَ سُفْيَانُ : وَكَذَبَ ، فقيل لِسُفْيَانَ : وَمَا أَرَادَ بِهَذَا ؟ فَقَالَ : إِنَّ الرَّافِضَةَ تَقُولُ : إِنَّ عَلِيًّا فِي السَّحَابِ ، فَلَا نَخْرُجُ مَعَ مَنْ خَرَجَ مِنْ وَلَدِهِ حَتَّى يُنَادِيَ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ – يُرِيدُ عَلِيًّا – أَنَّهُ يُنَادِي اخْرُجُوا مَعَ فُلَانٍ ، يَقُولُ جَابِرٌ: فَذَا تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ ، وَكَذَبَ ، كَانَتْ فِي إِخْوَةِ يُوسُفَ – ﷺ – [3] .

ثم إن قولهم : برجوع النبي – ﷺ – ، وعلي ، وسائر الأئمة ، وإخراجهم من قبورهم ؛ لحضور هذا العقاب في الرجعة ، فيه تعذيب لهم بالموت مرة أخرى ، والموت أشد آلام الدنيا ، فلماذا يؤلم الله – سبحانه وتعالى – أحبائه عبثاً ؟ إذ الموت لا بد أن يشمل كل كائن حيّ ، فإذا أحيا الله هؤلاء فلا بد من تجرعهم الموت مرة أخرى ، فكيف يعذب أولياءه بالموت مرتين في الدنيا وغيرهم مرّة واحدة ؟ ألا ترون أن هذا ليس من العدل ؟ [4].

وإذا كانت الرجعة للنبي – ﷺ – والأئمة : بعد ظهور " المهدي " الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، فما الفائدة من رجوعهم ؛ لأن القسط والعدل قد استتبا والأئمة أعلى شأناً وأجل قدراً من أن يطلبوا الحكم للحكم ، والإمام علي – رضي الله عنه – يقول :" إن دنياكم هذه أهون عندي من عفطة عنز ، إلا أن أقيم حقاً وأبطل باطلاً " فرجوعهم من العبث الذي يتنزه عنه الله تعالى[5] .

وهذه البدعة تختلف عن البدع الأخرى التي أضيفت إلى الأفكار الشيعية ، حيث لم يترتب عليها تنظيم سياسي عملي ، أو اجتماعي ، أو اقتصادي ، اللهم إلا شيء واحد قد يكون هو السبب في اختلاق فكرة الرجعة ، وهو استكمال العداء ، وتمزيق الصف الإسلامي بمثل هذه الخزعبلات التي دونت وقيلت في انتقام الأئمة من صحابة رسول الله – ﷺ – [6] .

---

(١) البخاري : صحيح البخاري جـ ٨ صـ ١٥٠. النسائي : السنن الكبرى جـ ٤ صـ ٣٣٣.

(٢) سورة يوسف: آية رقم ٨٠ .

(٣) مسلم : صحيح مسلم جـ ١ صـ ٢٠ .

(٤) انظر الألوسي : مختصر التحفة الاثني عشرية ص٢٠١ – ٢٠٣، صـ ٢٩٤. إحسان ظهير : الشيعة والتشيع صـ ٣٧٦.

(٥) موسى الموسوي : الشيعة والتصحيح صـ ٩٨ بتصرف .

(٦) موسى الموسوي : الشيعة والتصحيح صـ ١٤٢ – ١٤٣ بتصرف . مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب صـ ٢٠٣.

ولكن الذي يؤلم القلب هو : إقامة الحد على أبي بكر وعمر وعائشة – رضي الله عنهم – أمام حبيبيهم – ﷺ – أفضل من عفا وصفح ، وهو الذي لم يكن يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله – عز وجل – ولم يكن يعاقب على المختلف فيه من الأحكام ، وكان يعذر بالجهل .

فإذا تنزلنا أنهم أخطئوا : فلنعتبرهم مخطئين فهل الطلقاء والكفار الذين عفا عنهم رسول الله – ﷺ – أرفع شأناً من أحبائه من الصحابة – رضي الله عنهم – .

وإذا قلنا أنهم عملوا بجهل فالجاهل بالحكم لا يلام عليه كما هو معروف بين الفقهاء ، ولكن العرب لهم قول آخر : أن من أكل طعامك حفظ ذمامك [1] ، أفلا يحفظ النبي – ﷺ – ذمام الصحابة الذين أكل طعامهم ، وأكل طعامهم ، وهو خير من حفظ الجميل .

ونكتفي بهذا القدر ونسأل الله عز وجل أن يكفينا شر أنفسنا وشر الفتن ما ظهر منها وما بطن .

---

(١) ابن عجيبة : تفسير البحر المديد جـ ٧ صـ ٣٠٣ .

الفصل الخامس

التقديس

وأثره في

عقيدة البداء

الفصل الخامس
التقديس وأثره في عقيدة البداء

البداء : من الأوصاف التي ربما تتصف بها أفعالنا الاختيارية ، من حيث صدورها عنا بالعلم والاختيار ، فإنا لا نريد شيئا من أفعالنا الاختيارية إلا لمصلحة داعية إلى ذلك تعلَّق بها علمُنا ، وربما تعلق العلم بمصلحة فقصدنا الفعل ، ثم تعلق العلم بمصلحة أخرى توجب خلاف المصلحة الأولى ؛ فحينئذ نريد خلاف ما كنا نريده من قبل ، وهو الذي نقول : بدا لنا كذا ، أي : ظهر لنا بعد ما كان خفيا عنا كذا .

وعلى ذلك فالبداء عندنا هو : ظهور ما كان خفياً من الفعل ؛ لظهور ما كان خفياً من العلم بالمصلحة ، ثم توسع في الاستعمال ؛ فأطلقنا البداء على ظهور كل فعل كان الظاهر خلافه [١] .

وقد اتفقت الشيعة الإمامية على إطلاق البداء في وصف الله تعالى ، من جهة السمع دون القياس [٢] .

وهذه العقيدة – كما قال بعض أهل السنة – كانت من الأفكار التي روجها اليهود ، وعبد الله بن سبأ ، وقالوا أن الشيعة يعتقدون :" أن الله يحصل له البداء ، أي : النسيان والجهل– تعالى الله عن ذلك– "[٣] .

والسبب في صدق البداء على الله تعالى عند الاثني عشرية : أن وجود كل موجود من الموجودات الخارجية : له نسبة إلى مجموع علته التامة التي يستحيل معها عدم الشيء ، وعند ذلك يجب وجوده بالضرورة ، وله نسبة إلى مقتضيه من شرط ، وعدم مانع ، فإذا وجدت الشرائط ، وعدمت الموانع ، تمت العلة التامة ، ووجب وجود الشيء ، وإذا لم يوجد الشرط ، أو وجد مانع ؛ لم يؤثر المقتضى أثره ، وكان التأثير للمانع ، وحينئذ يصدق البداء [٤] .

ومن المعلوم أن علمه تعالى بالموجودات والحوادث مطابق لما في نفس الأمر ؛ من وجودها فله تعالى علم بالأشياء من جهة عللها التامة ، وهو العلم الذي لا بداء فيه أصلاً ، وله علم بالأشياء من جهة مقتضياتها موقوفة التأثير على وجود الشرائط ، وفقد الموانع ، وهذا العلم يمكن أن يظهر

---

(١) الكليني : أصول الكافي جـ ١ هامش صـ ١٤٦.

(٢) الشيخ المفيد : أوائل المقالات صـ ٤٦ .

(٣) إحسان إلهي ظهير : الشيعة والسنة صـ ٦٩.

(٤) محمد تقي فلسفي : الطفل بين الوراثة والتربية ، ط دار سبط النبي ، نشر الأوحد – قم ، ط٢ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م صـ ٤٦.

خلاف ما كان ظاهراً منه ، بفقد شرط ، أو وجود مانع ، وجملة ما سبق أن الله يمحو ما يشاء ويثبت "[1] .

ونظراً لوجود تداخل بين معنى النسخ ومعنى البداء من حيث الظاهر ؛ فمن الأفضل أن نعرف النسخ حتى نفرق بينه وبين البداء .

عرف بعض علماء الاثني عشرية النسخ شرعاً بأنه :" كل دليل شرعي دل على : أن مثل الحكم الثابت بالنص الأول زائل في المستقبل ، على وجه لولاه لكان ثابتاً بالنص الأول ، مع تراخيه عنه [2].

فظهور حال الشيء بعد خفائه على الله تعالى يلزم منه البداء ، والتالي باطل فالمقدم مثله " [3] .

لأنه لو نهاه عن الأمر بعد ما أمره به ، كان قبيحاً ، إما بأن يكون بداءً ، أو أن فيه وجهاً آخر من وجوه القبح ، وخصصنا أدلة الشرع بذلك ؛ لأن ما يزيل وجوب الفعل في المستقبل مع العجز ، أو فقد الآلة ، أو ما يجري مجرى ذلك : لا يوصف بأنه نسخ ، وإن كان مزيلاً لوجوب الفعل [4] .

وعلى ذلك فإن نسخ الشرائع غير البداء ؛ لأنه يخالفه حداً ، وشرطاً ، والفرق بينهما ظاهر [5].

<u>تعريف البداء في اللغة :</u>

البداء : بالمد ، وفتحتين ، مصدر بدا له : أي ظهر له رأي غير الأول منعه عنه "[6] ، ويقال : بدا الشيء بدوا : ظهر ، وأبديته : أظهرته ، ويقال : بدا لي بداءٌ : تغير رأيي على ما كان عليه ، والبداء : استصواب شيء عُلِمَ بعد أن لم يُعْلَم ؛ وذلك على الله غير جائز [7] .

<u>البداء في القرآن الكريم :</u>

ورد لفظ البداء في عدة مواضع من القرآن منها : قوله تعالى :" بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ "[1] ، وقال – ﷻ – :" ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ " [2] ، وقال – ﷻ – :" وَبَدَا

---

(١) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٦.

(٢) علي أصغر مرواريد : الينابيع الفقهية جـ ٦ صـ٢١٥. أبو الحسن بن أبي المجد الحلبي : إشارة السبق إلى معرفة الحق صـ ٤٤.

(٣) يقول مولى محمد صالح المازندراني :" ولا أظن أحداً من الإمامية يلتزم بالبداء من غير تأويل حتى أن العلامة المجلسي أوجب ظاهراً التلفظ به تأدباً لا الاعتقاد بمعناه تعبداً لأنه أوّله " . انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ هامش صـ ٢٣٦.

(٤) الشيخ الطوسي : الاقتصاد صـ ١٦٣.

(٥) أبو الصلاح الحلبي : الكافي صـ ٨١.

(٦) ابن عابدين : حاشية رد المحتار جـ ٦ صـ ٣٦٩.

(٧) ابن منظور : لسان العرب جـ ٤ صـ ٢٣٤ بتصرف .

لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ "(٣)، وقال – ﷻ –: " وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا " (٤) ، وقال – ﷻ – : " وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا "(٥) ، قال – ﷻ – :" وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ " (٦)، قال – ﷻ– :" وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ "(٧) ، وقال – ﷻ – :" إن تبدوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ " (٨) ، وقال – ﷻ – :" وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ " (٩)، وقال – ﷻ – :" إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ " (١٠) ، وقال – ﷻ – :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ " (١١) . وكل الآيات كما ترى تدور حول الظهور وما كان ضد الخفاء .

لفظ البداء في الحديث الشريف :

ورد ذكر البداء في بعض الأحاديث النبوية الشريفة مثل : حديث الأقرع ، والأبرص ، والأعمى حيث قال – ﷺ – فيه :" بدا لله – عز وجل أن يبتليهم "(١٢) ، أي قضى بذلك (١٣) ، وفي رواية : "فأراد الله أن يبتليهم " (١٤)، ولا شك عندي أن هذه الرواية أولى من الأخرى ؛ لأن نسبة "البداء" لله

---

(١) سورة الأنعام : آية رقم ٢٨ . ومعنى بدا : ظهر . تفسير الجلالين ص ٢٧٤. البغوي : تفسير البغوي ص ٤١٧.

(٢) سورة يوسف : آية رقم ٣٥ . ومعنى بدا : ظهر للعزيز بعد رؤية القميص . تفسير الجلالين ص ٤٩١. البغوي : تفسير البغوي ص ٦٤٥.

(٣) سورة الزمر : آية رقم ٤٧ . ومعنى بدا : ظنوها حسنات فبانت سيئات . تفسير الجلالين ص ٩٤٧. البغوي : تفسير البغوي ص ١١٢٩.

(٤) سورة الزمر : آية رقم ٤٨ . ومعنى بدا : ظهر لهم مساوئ أعمالهم . تفسير الجلالين ص ٩٤٨. البغوي : تفسير البغوي ص ١١٢٩.

(٥) سورة الجاثية : آية رقم ٣٣ . ومعنى بدا : ظهر لهم في الآخرة سيئات الدنيا .تفسير الجلالين ص ١٠٢٤. البغوي : تفسير البغوي ص ١١٨٣.

(٦) سورة الممتحنة : آية رقم ٤ . ومعنى بدا : هذا دأبنا معكم ما دمتم على كفركم . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ٢ ص ٣٠٤٨.

(٧) سورة البقرة : آية رقم ٣٣. ومعنى تبدون : ما تظهرون من قولكم : أتجعل فيها . تفسير الجلالين ص ٢٤. البغوي : تفسير البغوي ص ٢٦.

(٨) سورة البقرة : آية رقم ٢٧١ . ومعنى تبدوا : تظهروا . تفسير الجلالين ص ١٠٤. البغوي : تفسير البغوي ص ١٧٢.

(٩) سورة البقرة : آية رقم ٢٨٤ . ومعنى تبدوا : تظهروا . تفسير الجلالين ص ١١٠. البغوي : تفسير البغوي ص ١٨٣.

(١٠) سورة النساء : آية رقم ١٤٩ . ومعنى تبدوا : تظهروا حسنة فيُعمل بها . تفسير الجلالين ص ٢١٦. البغوي : تفسير البغوي ص ٣٤٧.

(١١) سورة المائدة : آية ١٠١. ومعنى تبد : تظهر لكم تسؤكم فتأمروا بالعمل بها . تفسير الجلالين ص ٢٦٠. البغوي : تفسير البغوي ص ١٨٣.

(١٢) المتقي الهندي : كنز العمال جـ ٣ ص ٧٣٩ . المهَلَّبُ بنُ أَبِي صُفْرَةَ : الْمُخْتَصَرُ النَّصِيحُ فِي تَهْذِيبِ الْكِتَابِ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ ، تحقيق : أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ السَّلوم ، نشر دار التوحيد ، دار أهل السنة – الرياض ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م جـ ٤ ص ٤٢ .

(١٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤ ص ١٢٤.

(١٤) ابن حبان : صحيح ابن حبان جـ ٢ ص ١٣ . الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٢٧٦.

– عز وجل – محال ، فلم يأت البداء إلا في التوراة حيث جاء فيها : أنه بدا لله خلق السماوات والأرض! ولذلك ؛ تَكلَّف الحافظ ابن حجر بتأويل هذه الجملة المستنكرة بقوله : " أي : سبق في علم الله ، فأراد إظهاره ، وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافياً ؛ لأن ذلك محال في حق الله تعالى ، فلعل التغيير فيه من الرواة ، مَعَ أَنَّ فِي الرِّوَايَة أَيْضًا نَظَرًا ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُرِيدًا ، وَالْمَعْنَى : أَظْهَر اللَّه ذَلِكَ فِيهِمْ ، وَقِيلَ : مَعْنَى أَرَادَ قَضَى ، وقيل : اِبْتَدَأَ الله أَنْ يَبْتَلِيهِمْ ، وَأَوْلَى مَا يُحْمَل عَلَيْهِ : أَنَّ الْمُرَاد قَضَى الله أَنْ يَبْتَلِيهِمْ ، وَأَمَّا الْبَدْء الَّذِي يُرَاد بِهِ تَغَيُّر الْأَمْر عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ فَلَا [(١)] .

وفي حديث علامات الساعة :" حَتَّى إِذَا بَدَا لِلَّهِ أَنْ تَطْلُعَ مِنْ مَغْرِبِهَا " [(٢)] ، وفي حديث الشفاعة :" يَجْمَعُ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – الْأُمَمَ فِي صَعِيدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِذَا بَدَا لِلَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – أَنْ يَصْدَعَ بَيْنَ خَلْقِهِ ؛ مَثَّلَ لِكُلِّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، فَيَتْبَعُونَهُمْ حَتَّى يُقْحِمُونَهُمْ النَّارَ " [(٣)] . وفي الحديث الشريف :" فَإِنَّه مَنْ يُبْدِ لَنَا صَفْحَتَهُ نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ" [(٤)] ، أي : من يظهر لنا فعله الذي كان يخفيه أقمنا عليه الحد [(٥)].

وفي الحديث :" فَصَالَحَ النَّبِيُّ – ﷺ – الْيَهُودَ عَلَى أَنَّكُمْ تَكْفُونَا الْعَمَلَ ، وَلَكُمْ شَطْرَ الثَّمَرِ، عَلَى أَنْ أُقِرَّكَمْ مَا بَدَا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ " [(٦)] . وقوله – ﷺ – : بدا لله : كأن المراد به أراد لا ظهر[(٧)] ، أي : سبق في علم الله فأراد إظهاره ، وليس المراد : أنه ظهر له بعد أن كان خافياً ؛ لأن ذلك محال في حق الله تعالى[(٨)] .

البداء في اصطلاح المتكلمين :

---

(١) ابن حجر : فتح الباري جـ ١٠ صـ ٢٦٥ بتصرف . شادي بن محمد آل نعمان : موسوعة ناصر الدين الألباني في العقيدة ، مركز النعمان – صنعاء ، ط ١، ١٤٣١هـ /٢٠١٠م جـ ٦ صـ ٢٦٤ – ٢٦٥ .

(٢) الإمام أحمد : المسند جـ ١١صـ ٤٦٩ . الهيثمي : مجمع الزوائد ، تحقيق : حسام الدين القدسي ، نشر مكتبة القدسي – القاهرة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م جـ ٨ صـ ٨ .

(٣) الإمام أحمد : المسند جـ ٣٢ صـ ٤٢٣ . المتقي الهندي :كنز العمال جـ ١٤ صـ ٤٥٠ .

(٤) ضعيف . انظر الإمام البيهقي : سنن البيهقي جـ ٨ صـ ٥٦٥. المتقي الهندي :كنز العمال جـ ٤ صـ ٢٠٨ .

(٥) د سعدي أبو حبيب : القاموس الفقهي ، باب حرف الباء صـ ٣٣.

(٦) عبد الرزاق الصنعاني : المصنف ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، نشر المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ جـ ٤ صـ١٢٥ .

(٧) محمد بن عبد الهادي السندي : حاشية السندى على صحيح البخارى ، دار الفكر – القاهرة ، دت جـ ٢ صـ ٢٦١ .

(٨) أبو الفرج الجوزي : كشف المشكل من حديث الصحيحين ، تحقيق : علي حسين البواب ، نشر دار الوطن – الرياض ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م جـ ١ صـ ٩٣٣ .

اصطلح متكلمي الشيعة على أنه : إذا أمر الله بالشيء في الوقت المخصوص ، على وجه معين ، بمكلف واحد ، ثم نهى عنه على هذه الوجوه كلها ؛ فهو بداء [١] ؛ فالبداء إذاً : تجدد العلم ، ومنه ما لا يجوز على الله تعالى "[٢] ، وقيل : البداء " ظهور الشيء بعد الخفاء ، وحصول العلم به بعد الجهل [٣] .

ومنهم من يحمل ذلك على حقيقته بأن يقول : بدا له تعالى بمعنى : أنه ظهر له من الأمر ما لم يكن ظاهراً له ، وبدا له من النهي ما لم يكن ظاهراً له ؛ لأنه قبل ورود الأمر والنهي لا يكونان ظاهرين مدركين ؛ وإنما يعلم أنه يأمر وينهي في المستقبل ، فأما كونه آمراً أو ناهياً ، فلا يصح له أن يعلمه إلا إذا وجد الأمر والنهي ، وجرى ذلك مجرى أحد الوجهين المذكورين في قوله تعالى :" وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ "[٤] ؛ بأن نحمله على أن المراد به : حتى نعلم جهادكم موجوداً ؛ لأن قبل وجود الجهاد لا يعلم الجهاد موجوداً ؛ وإنما يعلم كذلك بعد حصوله ، فكذلك "[٥] . نعوذ بالله تعالى من هذا القول قال تعالى :" وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " [٦] . !

<u>تغير معنى البداء باعتبار تغير متعلقاته :</u>

واعلم رحمك الله أن البداء له معان مختلفة تبعاً لتغير تعلقاته عند الاثني عشرية ومن أهمها :

<u>البداء في العلم</u> : أن يظهر له خلاف ما علم ، ولا أظن عاقلاً يظن هذا الاعتقاد [٧] .

<u>والبداء في الإرادة</u> : أن يظهر له صواب على خلاف ما أراده وحكمه ، ولا يقول به عاقل أيضاً [٨] .

<u>والبداء في الأمر</u> : أن يأمر بشيء ، ثم يأمر بخلافه ؛ وهو معنى البداء ، وهذا ما لا ينكره عاقل .[٩]

---

(١) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ١ صـ ١١٦.

(٢) محمد قلعجي : معجم لغة الفقهاء مادة ظهور – بدو صـ ١٠٤.

(٣) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي المقدمة جـ ١ صـ ١٦.

(٤) سورة محمد : آية رقم ٣١ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤ هامش صـ ١٢٥ .علي بن إبراهيم القمي : تفسير القمي جـ ١هامش صـ ٣٨.

(٦) سورة البقرة : آية رقم ٢٩ . سورة الأنعام : آية رقم ١٠١. سورة الحديد : آية رقم ٣.

(٧) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي صـ ١١٣.

(٨) الشهرستاني : الملل والنحل جـ ١ صـ ١٢٢.

(٩) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي صـ ١١٣ – ١١٤ بتصرف .

التعريف العرفي البداء :

يطلق البداء في العرف على معان كلها صحيح في حقه تعالى – كما تقول الشيعة الاثنا عشرية : –

منها : إبداء شيء ، وإحداثه ، والحكم بوجوده بتقدير حادث ، وتعلق ، وإرادة حادثة ، بحسب الشروط ، والمصالح ، ومن هذا القبيل إيجاد الحوادث اليومية [١] ، ومنه قوله – صلى الله عليه وسلم – : إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَبْرَصَ ، وَأَقْرَعَ ، وَأَعْمَى ، بَدَا لِلَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ " [٢] ، أي : قضى بذلك ، وهو معنى البداء هاهنا ؛ لأن القضاء سابق ، والبداء استصواب شيء عُلم بعد أن لم يعلم ، وذلك على الله محال غير جائز ... وليس البداء في كل شيء ، بل فيما يبدوا ثانياً ، ويتجدد أخيراً .

ومنها : ترجيح أحد المتقابلين ، والحكم بوجوده بعد تعلق الإرادة بهما تعلقاً غير حتمي [٣] ؛ لرجحان مصلحته ، وشروطه على مصلحة الآخر ، وشروطه ، ومن هذا القبيل إجابة الداعي ، وتحقيق مطالبه ، وتطويل العمر بصلة الرحم ، وإرادة إبقاء قوم لعلمه ؛ بأنه يخرج من أصلابهم المؤمنون ، بعد إرادة إهلاكهم ؛ لعلمه بأنهم لا يؤمنون ، فرجح بقاؤهم وحكم به ؛ تحقيقاً لمعنى الإيمان .

ومنها : محو ما ثبت وجوده في وقت محدود ، بشروط معلومة ، ومصلحة مخصوصة ، وقطع استمراره بعد انقضاء ذلك الوقت ، والشروط ، والمصالح ، سواء ثبت بدله ؛ لتحقق الشروط ، والمصالح في إثباته ، أو لا ، ومن هذا القبيل الإحياء ، والإماتة ، والقبض ، والبسط في الأمر التكويني ، ونسخ الأحكام بلا بدل ، أو معه في الأمر التكليفي ، والنسخ أيضاً داخل في البداء [٤] .

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤ هامش صـ ٩٢ . محمد الريشهري : ميزان الحكمة جـ ١ صـ ٢٤٠.

(٢) المتقي الهندي : كنز العمال جـ ٣ صـ ٧٣٩ .

(٣) علق أبو الحسن الشعراني على : " قوله تعلق غير حتمي " هذا من طغيان القلم ، أو سهو ، وذهول من القائل ، وليس أحدٌ معصوماً من الخطأ ، ولا يجوز على الله إلا الحتم ، والحكم ، ولا يقبل قضاؤه الترديد ، وكما أن الندامة عليه محال ، كذلك التردد ، بل كل ما تعلق علمه وإرادته به ؛ فهو كما هو في الأزل ، لم يحصل القطع بعد الترديد ". انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٣٨.

(٤) محمد الريشهري : ميزان الحكمة جـ ١ صـ ٢٤٠.

ومن الشيعة من خص البداء بالأمر التكويني ، وأخرج النسخ ، وليس لهذا التخصيص وجه يعتد به [١].

ومنها : الابتداء ، والإحداث من المكتوبات [٢] ، ومنها :" الإرادة ، والقدرة على اختيار أحد الطرفين لمرجح " [٣]. ومنها :" رفع نفس الحكم المتعبد به " [٤] . ومنها : أن يبدوا للآمر رأي يتبين الصواب فيه ، بعد أن لم يكن تبينه ؛ وهو محال على الله تعالى [٥] .

وإنما سميت هذه المعاني بداءً ؛ لأنها مستلزمة لظهور شيء على الخلق بعد ما كان مخفياً عنهم ، ومن ثم عرف البداء بعضهم بأنه : أن يصدر عنه تعالى أثر ؛ لم يعلم أحد من خلقه ، قبل صدوره عنه أنه يصدر عنه [٦].

ومنها : أن له تعالى أن يبدأ بشيء من خلقه ، فيخلقه قبل شيء ، ثم يعدم ذلك الشيء ، ويبدأ بخلق غيره ، أو يأمر بأمر ، ثم ينهى عن مثله ، أو ينهى عن شيء ، ثم يأمر بمثل ما نهى عنه ، وذلك مثل نسخ الشرايع ، وتحويل القبلة ، وعدة المتوفى عنها زوجها [٧].

ومن خلال هذه التعاريف يتبين أن هناك خلط بين البداء والنسخ ، ثم هناك خلط بين العلم الإلهي السابق ، وظهور أثر هذا العلم للخلق ! ولأن الشيعة لا يقولون بالفراغ من القدر ظهر هذا التناقض .

البداء المحال على الله تعالى ، ومحاولة التوفيق بين المتعارضين عند الشيعة :

من الملاحظ في العرض السابق : وجود نوع تعارض بين تعريفات البداء ؛ ولهذا حاول بعض الشيعة التوفيق بين المتناقضين ، فقال بعضهم : والبداء المحال على الله – تعالى – هو ظهور

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤ هامش صـ ٩٢ .

(٢) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٠.

(٣) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٢٦٠.

(٤) أبو الصلاح الحلبي : الكافي صـ ٨١.

(٥) بدر الدين العيني : عمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ ٤ صـ ٤٨ . الصالحي الشامي : سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م جـ ٣ صـ ١٥١.

(٦) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٣٦ – ٢٣٩ بتصرف . محمد الريشهري : ميزان الحكمة جـ ١ صـ ٢٤٠.

(٧) الشيخ الصدوق : التوحيد صـ ٣٣٥.

الشيء بعد الخفاء عليه [١] ، وأما البداء بمعنى إثبات كل شيء في وقته بإرادته ؛ لمصلحة تقتضيه ؛ فهو من أعظم أوصافه ، ومحامده "[٢].

وقيل :" إذا خلق زيداً وأماته ، ثم خلق عمراً فهذا بداء ، أي : خلق جديد ، وإذا شب زيد ، ثم شاخ فهذا بداء ، أي أمر جديد حدث " كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ" [٣] ، و" يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ "[٤] ، بمعنى : أنه يمحو زيداً من لوح الوجود ، ويثبت عمراً .

فإن قيل : ليس هذا معنى البداء المصطلح عند العلماء على ما صرحوا به في تعريف النسخ ، قلنا : لا ضير؛ لأن كثيراً من اصطلاحات العلماء لا توافق اصطلاح الأخبار ، مثلا : الاجتهاد[٥] عند العلماء معنى صحيح جائز ، وقد نهت عنه الأخبار ؛ لأن الاجتهاد فيها له معنى آخر غير اصطلاح العلماء ؛ فلا يبعد أن يكون البداء الوارد في الروايات بمعنى غير ما اصطلح عليه أرباب الأصول"[٦] ؛ لأن " البداء المحال على الله هو : ظهور الشيء بعد الخفاء عليه ، وأما البداء بمعنى إثبات كل شيء في وقته بإرادته ؛ لمصلحة تقتضيه ، فهو من أعظم أوصافه ومحامده " [٧].

وقيل : للبداء معنيان :

١- بداء ندامة أو بداء جهل : وهذا على الله تعالى محال ؛ لأن فيه ظهور حال الشيء بعد خفائه [٨] ؛ لقول الصادق- عليه السلام -:" من زعم أن الله بدا له في شيء بداء ندامة ، فهو عندنا كافر بالله العظيم" ، وقوله:" من زعم أن الله بدا له في شيء اليوم لم يعلمه أمس فابرءوا منه "[٩].

---

(١) السيد علي الموسوي القزويني : تعليقة على معالم الأصول ، تحقيق : السيد علي العلوي القزويني ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤٢١هـ جـ ٢ صـ ٢١٦ بتصرف .

(٢) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٢.

(٣) سورة الرحمن : آية رقم ٢٩.

(٤) سورة الرعد : آية رقم ٣٩.

(٥) الاجتهاد : بذل العالم المؤهل وسعه في استنباط الحكم الشرعي . انظر أيمن موسى : غاية المأمول صـ ٥٠٦.

(٦) تعليق الميرزا أبو الحسن الشعراني على كلام مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ هامش صـ ٢٣٧ بتصرف .

(٧) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٢ .

(٨) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ١ صـ ٤٩ .

(٩) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية صـ ٤١ .

٢- بداء خلق : ويعتبر بحسب المصالح ، وهذا من الله جايز وواقع ، وجاء الحث من الأئمة في أخبار جمة بالحث على اعتقاد البداء بهذا المعنى [١].

والبداء الذي تقول به الإمامية هو " ظهور أمر لله سبحانه لم يكن ظاهرا لغيره تعالى ، وإن كان قبله أيضا في علمه تعالى ، واللوح المحفوظ مثل ما ظهر بعد "[٢] ، أو بمعنى أخصر :" الإظهار بعد الخفاء " ، وقيل : البداء هو المراد من النسخ ، إلا أن إطلاقه على النسخ فيه نوع من التوسع ، والمجاز [٣] .

تعريف البداء في الاصطلاح :

لتوضيح حقيقة البداء نأتي بمقدمات لابد منها :

الأولى : اتفقت الشيعة على أنه سبحانه عالم بالحوادث كلها غابرها ، وحاضرها ، ومستقبلها ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

الثانية : أن الله تعالى لم يفرغ من أمر الخلق ، والإيجاد ، والتدبير ، والتربية فهو سبحانه كل يوم هو في شأن[٤] .

الثالثة : النظر في الروايات يُظهر أن مصير العباد يتغير بحسن أفعالهم ، وكذلك بسوء أعمالهم ، فليس للإنسان مصير واحد يصيبه على وجه القطع والبت ، بل المصير يتغير بحسب فعل العبد .

فإذا وقفت على هذه المقدمات الثلاث فاعلم أنه يقع الكلام في البداء في مقامين :

الأول : البداء في مقام الثبوت : أي تغير المصير بالأعمال الصالحة أو الطالحة .

الثاني: البداء في مقام الإثبات : أي الإخبار عن تحقق الشيء علماً بالمقتضى مع خفاء المانع [٥] ، وهو الأمر بالفعل الواحد بعد النهي عنه ، أو النهي عنه بعد الأمر به مع اتحاد الوقت والوجه ، والآمر ، والمأمور [٦] .

---

(١) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم جـ ١ صـ ٤٩ – ٥٠ بتصرف .

(٢) السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز باب علمه عليه السلام بما في النفس جـ ٧ هامش صـ ٥٢٢ .

(٣) مروان خليفات : وركبت السفينة ، نشر مركز الغدير للدراسات الإسلامية – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٨هـ صـ ٦١٨ .

(٤) ونرد بقوله تعالى :" إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ " . القمر : ٤٩. وقوله تعالى :" وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا " . سورة الأحزاب : آية رقم ٣٨.

(٥) الشريف المرتضى: رسائل المرتضى جـ ٢ صـ ٢٦٤.

(٦) جعفر السبحاني : أضواء على عقيدة الشيعة الإمامية ، نشر مؤسسة الإمام الصادق – قم ، ط١، ١٤٢١هـ صـ ٤٢٧ – ٤٣٩ بتصرف .

فالبداء هو :" النهي عن نفس ما وقع الأمر به ، أو الأمر بنفس ما حصل النهي عنه ، وإنما يكون كذلك بأن يكون ما تعلق به النهي والأمر واحداً ، والمأمور والمنهي واحداً ، والوقت واحداً ، والوجه واحداً ، كقول المكلف لشخص معين الق زيداً عند طلوع الشمس مكرماً له ، ولا يأكل العسل يوم كذا طاعة ؛ عن لقاء زيد مكرماً له قبل طلوع الشمس من غده ، ويأمره ، أو يبيحه أكل العسل قبل ذلك اليوم "[1].

ويعرفه آخر :" انبتات استمرار الأمر التكويني ، وانتهاء اتصال الإفاضة ، ومرجعه إلى : تحديد زمان الكون ، وتخصيص وقت الإفاضة ، لا لأنه ارتفاع المعلول الكائن عن وقت كونه ، وبطلانه في حد حصوله " [2] .

فائدة البداء عند الشيعة الاثني عشرية :

فائدة الاعتقاد بالبداء :" هي الاعتراف الصريح بأن العالم بأجمعه تحت سلطان الله ، وقدرته يمحو الله ما يشاء ، ويثبت وعنده أم الكتاب ، وتوجه العبد إلى الله ، وتضرعه إليه في قضاء حوائجه ومهماته ، وعدم يأسه من ذلك ، وهذا بخلاف القول بإنكار البداء ؛ فإنه يوجب يأس العبد ، ولا يرى فائدة من التضرع والدعاء ، وهذا هو السر في اهتمام الأئمة بالبداء في الروايات الكثيرة "[3].

وهذا أثر تربوي يبعث الرجاء في قلوب المؤمنين ، فالاعتقاد بالبداء يضاهي الاعتقاد بقبول التوبة ، والشفاعة ، وتكفير الصغائر باجتناب الكبائر [4] .

لذلك فإن الإنسان قادرٌ على تغيير مصيره بالأعمال الصالحة ، والطالحة ، وأن لله تقديراً مشترطاً موقوفاً ، وتقديراً مطلقاً ، والإنسان إنما يتمكن من التأثير في التقدير المشروط ، وهذا بعينه قدر إلهي ، والله تعالى عالم في الأزل [5] بكلا القسمين ، كما هو عالم بوقوع الشرط أعني : الأعمال الإنسانية المؤثرة في تغيير مصيره ، وعدم وقوعه [6] .

---

(١) أبو الصلاح الحلبي : الكافي ص ٨٠.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٧ .السيد نعمة الله الجزائري : نور البراهين ج ٢ شرح ص ٢٣١.

(٣) محمد إسحاق الفياض : محاضرات في أصول الفقه ، نشر مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ط١ ، ١٤١٩هـ ج ٥ ص ٣٤٤.

(٤) الشيخ جعفر السبحاني : الإلهيات نشر الدار الإسلامية للطباعة والنشر – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ص ٥٨١.

(٥) الأزل : عدم الأولية أو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي . الأحمدي نكري : دستور العلماء ج ١ ص ٥٧.

(٦) الشيخ جعفر السبحاني : محاضرات في الإلهيات ، نشر مؤسسة الإمام الصادق – قم ، دت ص ٢٢٩.

وفي حديث الإسراء والمعراج المشهور بين الخاصة ، والعامة : قال الصادق – عليه السلام – معلقاً على نسخ الخمسين صلاة بالخمس في اليوم والليلة :" جزى الله موسى بن عمران عنا خيراً " وهذا يدل على النسخ قبل وقت الفعل ، وأنه يلزم منه البداء .

وأجيب بأنه يمكن أن تكون الفائدة الشكر على التخفيف ، وسعي المكلفين فيما أمكنهم من الصلوات ، فإن الصلاة قربان كل تقي ، فلا يدل ذلك على البداء .

ويمكن أن يكون إشارة إلى مراده سبحانه في أول الأمر حيث أمر بخمسين ، وهذا أحد توجيهات البداء ، وهو أن يأمر المكلف بما يوهم خلاف المراد ، ثم يظهر المراد "[١].

وذهب بعض علماؤنا إلى أن الإيمان بالبداء يقتضي توجه العباد إلى الله بالدعاء ، وطلب التوفيق والمغفرة ؛ لأنهم إذا اعتقدوا أن القضاء لا يغير ، وأيسوا من الدعاء والإجابة ، لم يعبدوا الله تعالى ، ولم يطلبوا منه شيئا ، وطريقة الأنبياء دعوة الناس إلى الطلب من الله كما هو معلوم " [٢] .

<u>الشروط الواجب توافرها في البداء :</u>

البداء له شروط أربعة : <u>أحدها</u> : أن يكون المأمور به هو المنهي عنه بعينه ، بمعنى : أن يكون ما تعلق به الأمر ، والنهي شيء واحد . <u>وثانيها</u> : أن يكون الوجه واحداً . <u>وثالثها</u> : أن يكون الوقت واحداً . <u>ورابعها</u> : أن يكون المكلف واحداً ، بمعنى المأمور بالأمر نفس الشخص "[٣].

" وقلنا إن ما جمع هذه الشروط بداء ؛ لأنه لا وجه له إلا ظهور وجه الصلاح بعد خفائه ، وهو جائز من كل محدث ، وغير قبيح ؛ لكون جميعهم غير عالم بوجه الصلاح في المستقبل ؛ وإنما يثبتون تكاليفهم على الظنون التي يجوز أن تحقق ، وغير جائز على القديم سبحانه[٤] .

ومتى اختل شرط واحد خرج عن حد البداء ؛ لعلمنا بصحة أمره تعالى المكلف ونهيه عن غيره ، ونهي مكلف آخر عن نفس ما أمر به ، وتكليف شيئاً زماناً معيناً ، ونهيه عن مثله في زمان آخر ، والأمر بالفعل في وقت على وجه ، ونهيه عن إيقاع مثله على وجه آخر ؛ واتفاق العلماء على حسن ما له هذه الصفة ، وخروجه عن صفة البداء" [٥] .

والنسخ بخلاف ذلك ؛ لأن الفعل المأمور به غير المنهي عنه ؛ لأن إمساك السبت في زمان موسى – عليه السلام– هو غير ما تناوله النهي عن إمساكه في زمان نبينا – ﷺ – ، وإذا تغاير

---

(١) الشيخ الصدوق : من لا يحضره الفقيه جـ ١ صـ ١٩٩.

(٢) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ هامش صـ ٢٥٥.

(٣) الشيخ الطوسي : الاقتصاد صـ ١٦٤ – ١٦٥.

(٤) أبو الصلاح الحلبي : الكافي صـ ٨٠ – ٨١.

(٥) نفس المصدر والصفحات .

الفعلان لم تكتمل شروط البداء ، وكذلك إذا تغاير الوقتان ، ولو كان ذلك بداء ؛ لوجب أن يكون إماتة الله الخلق بعد إحيائهم ، وإغنائهم بعد فقرهم ، وصحتهم بعد مرضهم ؛ لكان هذا بداءً ، فإذا لم يكن كذلك لتغير المصلحة فيه فالنسخ مثله .

ويلزم عليه أيضا ألا تختلف شرائع الأنبياء ، وقد علمنا اختلافها ، ولم يكن ذلك بداء ؛ لأنه كان في شرع آدم جواز تزويج الأخت من الأخ ، وفي شرع إبراهيم إباحة تأخير الختان إلى وقت الكبر ، وفي شريعة إسرائيل جواز الجمع بين الأختين ، وكل ذلك مخالف لشرع موسى – عليه السلام – " [١].

الشروط التي يجب توافرها في النسخ :

١- كون الناسخ دليلاً ، لأن رفع التعبد الثابت بمطلق نصه سبحانه لا يجوز بغير دلالة .

٢- وكونه سمعاً ؛ لأن النسخ لا يتعلق بما ثبت عقلاً ، ولا يرتفع الأحكام الشرعية به .

٣- وكونه رافعاً ؛ لأن ما ليس برافع من الأدلة لتعبد ثابت لا يكون ناسخاً .

٤- أن يكون مثل الحكم ؛ لأن رفع نفس الحكم المتعبد به لا يكون إلا بداءً .

٥- والتراخي عنه ؛ لأن المقارن للحكم لا يكون ناسخاً ؛ وإنما هو بيان لمدة التكليف ، وبيان المدة لا يعد نسخاً [٢] .

٦- أن يكون بعد استقرار الفرض ؛ ليخرج عن البداء إلى الإعلام بالمدة [٣].

فمتى تكاملت هذه الشروط : وصف الدليل بأنه ناسخ ، والمرفوع منسوخ ، ومتى اختل شرط واحد ، فليس بناسخ ، ولا منسوخ [٤].

والدليل على صحة النسخ عقلاً : " كون الشرائع مبنية على المصالح التي تصح أن تختص بزمان دون زمان ، وبمثل دون مثل ، ومكلف دون مكلف ، وبوجه دون وجه ، ولولا ذلك لم يكن السبت أولى بالإمساك من الأحد ، ولا فعل الصلاة في وقت وعلى صفة أولى من وقت ، وصفة أخرى ، ولا تحريم الشحم المتميز ، أولى من المختلط [٥] .

من أول من قال بالبداء عند الشيعة الاثني عشرية :

---

(١) الشيخ الطوسي : الاقتصاد صـ ١٦٤ – ١٦٥.

(٢) أبو الصلاح الحلبي : الكافي صـ ٨١ .

(٣) تقي الدين ابن النجار : شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير ، تحقيق : محمد الزحيلي ، نزيه حماد ، ط مكتبة العبيكان – مكة المكرمة ، ط٢، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م جـ ٣ صـ ٥٣٠.

(٤) أبو الصلاح الحلبي : الكافي صـ ٨١.

(٥) المصدر السابق صـ ٨٢.

عن أبي عبد الله – عليه السلام – :" إن عبد المطلب أول من قال بالبداء " [١]. وفي ذلك قصة حكاها أبو عبد الله – عليه السلام – :" يبعث عبد المطلب أمة وحده ، عليه بهاء الملوك ، وسيماء الأنبياء ؛ وذلك أنه أول من قال بالبداء" ، أي : البداء في الفعل لا في العلم وهو دليل علة نسبة الاختيار إليه تعالى ، ومن لم يقل به فهو قائل بالجبر ، وهو في الحقيقة سلب القدرة عنه تعالى [٢] .

والقصة : أن عبد المطلب أرسل رسول الله – ﷺ – إلى رعاته في إبل ندت[٣] له ، فجمعها له ، وأبطأ عليه ، فأخذ بحلقة الكعبة ، وقال :" يا رب أتهلك آلك إن تفعل فأمر ما بدا لك " ، ثم رجع رسول الله – ﷺ – ، فقبله ، وقال : يا بني لا وجهتك بعد هذا في شيء ، فإني أخاف أن تغتال فتقتل [٤] .

فعبد المطلب هو أول من قال بالبداء بمعنى : أول من قال بهذا اللفظ ، أو أول من قال من أولاد إسماعيل ، أو أول من قال من غير الأنبياء ، والأوصياء [٥] ، أو تفطَّن لإمكان البداء [٦] .

حكم الاعتقاد بالبداء :

ترى تناقضاً بين ما تقرأ وما سترى من أقوالهم بعد ذلك وقبله فمن الشيعة الاثني عشرية من يقول : اتفقت الأمة على امتناع البداء على الله سبحانه إلا من لا يعتد به ، ومن افترى ذلك على الإمامية فقد افترى كذباً ؛ لأن قوام معنى البداء بتغير العزم ، فإذا عزم رجلٌ على فعل شيء ، ثم تبين له عدم المصلحة فيه ، وندم على عزمه ، وتغير قصده قيل بدا له ، أي : ندم وعلم أن عزمه السابق كان خطأً ، وهذا معنى محال على الله باتفاق الأمة ؛ لاستلزامه الجهل على الله تعالى ، وحدوث علمه بالمفسدة في فعل بدا له فيه مصلحة [٧] .

---

(١) يقول المازندراني :" ولا منافاة بين هذا الحديث والأحاديث التي تدل على أن البداء من أوصاف الله ؛ لأن المراد بالأولية الأولية الإضافية بالنسبة إلى غير الأنبياء ، أو المراد أنه أول من أطلق هذا اللفظ على غير معناه اللغوي " . انظر المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٢.

(٢) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي صـ ٢٦٠.

(٣) ندَّ البعيرُ: نفَر وذهب على وجهه شاردًا . د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة ، مادة ن د د جـ ٣ صـ ٢١٨٥.

(٤) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٤٤٧. الشيخ الصدوق : من لا يحضره الفقيه جـ ٣ هامش صـ ٨٩ . المجلسي: بحار الأنوار جـ ١٥صـ ١٥٧–١٥٨. الشيخ على الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار جـ١صـ٢٩٩. كلها بتصرف .

(٥) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٧ صـ ١٧٨.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ١٥ صـ ١٥٧ – ١٥٨.والمصدر نفسه جـ ١٠٨ صـ ٢٠٥.

(٧) انظر تعليق الميرزا أبو الحسن الشعراني على كلام مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٣٦.

ومما يؤيد ذلك أن الحسين – عليه السلام – سُئِل : أيكون البداء في علم الله ؟ قال : أما إني لا أقول لك إنه يفعل ، ولكن إن شاء فعل "[١] .

فقد دل العقل على تنزيه الله تعالى من وصمة الحدوث والتغير ، وأنه تقدست أسماؤه أعلى من أن يقع معرَّضاً للحوادث والتغييرات ؛ ومن أجل ذلك ذهبوا إلى امتناع البداء على الله – بمعنى الظهور بعد الخفاء ، والعلم بعد الجهل – ؛ لاستلزامه كون ذاته محلاً للتغير والتبدل المستلزم للتركيب والحدوث ، إلى غير ذلك مما يستحيل عليه تعالى [٢] .

ويقول الشيخ الطوسي [٣]:" والقديم[٤] سبحانه لا يجوز عليه البداء على حال " [٥] ؛ لأنه " لا يجوز عليه البداء بالرجوع عما أراده ، ولا المنع من مراده ، ولا يتعذر عليه شيء ، مع كثرته بإرادة من أفعاله" [٦] .

ثم يفجأنا ما قاله في كتابه الآخر مخاطبا ربه قائلا :" منك المشيئة ، وإليك البداء " [٧].

وعلى أشهر أقوال فقهاء الشيعة : أن البداء على ما حددناه لا يجوز على الله تعالى ؛ لأنه عالم بنفسه لا يجوز أن يتجدد كونه عالماً ولا أن يظهر له من المعلومات ما لم يكن ظاهراً ؛ ولهذا قالوا : إذا كان البداء لا يجوز عليه ؛ لم يجز أيضا عليه ما يدل على البداء ، أو يقتضيه من النهي عن نفس ما أمر به على وجهه في وقته ، والمأمور والمنهي واحد [٨] .

ويصرحون بأن :" اعتقادنا في البداء على الله تعالى أنه محال ؛ لأن البداء ندامة ، والندامة من الجهل ، صرح بذلك علماؤنا في التفسير والأصول... واعتقاد البداء باطل باتفاق [٩] .

---

(١) عدة محدثين : الأصول الستة صـ ١١١.

(٢) الشيخ جعفر السبحاني : أضواء على عقائد الشيعة الإمامية صـ ٤٣٠.

(٣) يقول أبو الحسن الشعراني :" وليس إنكار البداء خاصاً بالمحقق الطوسي بل كل من وجدنا له قولا ممن يعتبر قوله من العلماء واطلعنا على رأيه في الآراء وافق المحقق الطوسي في نفي البداء وتبرئة الإمامية عن القول به منهم السيد المرتضى في الذريعة ، وشيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في العدة والتبيان ، وحبر الأمة وأعلم علمائها بعد المعصومين الشيخ العلامة الحسن بن يوسف بن مطهر الحلي فإنه قال في نهاية الأصول : النسخ جائز على الله تعالى ؛ لأن حكمه تابع للمصالح ... والبداء لا يجوز عليه تعالى ... لأنه دل على الجهل أو على فعل القبيح وهما محالان في حقه . انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ هامش صـ ٢٣٦.

(٤) القديم : لم يرد من أسماء الله عز وجل لكن جاء ما هو خير منه وهو الأول .

(٥) الشيخ الطوسي : الاقتصاد صـ ٨١.

(٦) الشيخ الطوسي : التبيان جـ ٦ صـ ٧٠.

(٧) الشيخ الطوسي : مصباح المتهجد صـ ٧٣.

(٨) الشريف المرتضى: رسائل المرتضى جـ ١ صـ ١١٦ – ١١٧.

(٩) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١ صـ ١٣.

بل قالوا :" استحالة البداء من الحكيم " [1]. بل :" لا يعقل في حقه تعالى بوجه ؛ لأنه عالم بالغيب [2] ؛ وحتى لا يتوهم في حقه أنه جعل في زمان وبدا له الخطأ – العياذ بالله – فنسخه [3].

وقد وردت أخبار آحاد لا توجب علماً ، ولا تقتضي قطعاً بإضافة البداء إلى الله تعالى ، وحملوها محققي أصحابنا على أن المراد بلفظة البداء فيها النسخ للشرائع ، ولا خلاف على جواز النسخ للشرائع [4] .

والدليل عن الصادق – عليه السلام – : " من زعم أن الله بدا له في شيء بداء ندامة ؛ فهو عندنا كافر بالله العظيم " [5].

أهمية البداء داخل المعتقد الشيعي والخلاف في ذلك :

هناك خلاف بين علماء الشيعة الاثني عشرية في أهمية البداء ، فمنهم من يهون من قيمته ؛ فيقول ما معناه : البداء لا يستحق هذه العناية والتهويل الذي اهتم به المتأخرون ، واستوعروا مسلكه ، واستصعبوا حله ، ولست أرى فيه شيئا أوجب هذا الاستعضال ، وفهم وجه عنايتهم عندي أشكل من المسألة ، وما أدري سبب هذه العناية التامة العجيبة ؛ لأنه لا خلاف بين علمائنا في أن البداء محال على الله تعالى كما مر ، وأنه لا يجوز التغيير في علمه ، ولا يجوز عليه الكذب ، بأن يخبر الحجج بوقوع ما لا يقع أصلاً ، ولا أن يمكن أنبيائه ورسله من اعتقاد الأمر بالباطل ، وأيضا لا خلاف بينهم في أن ما ورد في الروايات من نسبة البداء إلى الله تعالى ؛ فهو مثل نسبة الرضا[6]، والغضب[7]، والكراهة[8]، والحب[9]، والحزن[10]، والأسف[11] ، يجب تأويله بوجه

---

(١) السيد علي الموسوي القزويني : ينابيع الأحكام في معرفة الحلال والحرام جـ ١ صـ ٢٩٩ . السيد محسن الخزازي : بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين – قم ، ١٣٦٦ش جـ ١ شرح صـ ١٩٢.

(٢) السيد الخوئي : مصباح الفقاهة جـ ٢ صـ ٧٧٨.

(٣) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٦٤.

(٤) الشريف المرتضى: رسائل المرتضى جـ ١ صـ ١١٧.

(٥) الصدوق : الاعتقادات صـ ٤١. محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٦ صـ ٨٩. المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤ هامش صـ ١٢٥.

(٦) قال تعالى : " لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ " . سورة الفتح : ١٨.

(٧) قال تعالى عن القاتل عمداً : " وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ " . سورة النساء : ٩٣.

(٨) قال تعالى عن المنافقين : " وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ" . سورة التوبة : ٤٦.

(٩) قال تعالى عن المؤمنين : " فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ " . سورة المائدة : ٥٤.

(١٠) لم أجد ما يدل على نسبة الحزن لله تعالى .

(١١) قال تعالى عن قوم فرعون : " فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ " . سورة الزخرف : ٥٥.

صحيح يمكن نسبته إلى الله تعالى ، وحينئذ فالخلاف في البداء لفظي ، نظير أن يختلفوا في أن الله تعالى يغضب أو لا ، فمن نفاه فمراده نفي حقيقته ، ومن أثبته لابد أن يؤوله .

فالصحيح : أن يقال لا بداء كما لا غضب ، ولا رضاء ، وليس له تعالى يد[1]، ولا رجل[2] ،ولا عين [3]، ولا أذن[4] ... وهكذا يوجب بعض علماؤنا التعبد بالتلفظ بالبداء ، وإن وافقوا غيرهم في نفي معناه [5] .

ولكن يروون عن الصادق – عليه السلام – :" ما عظم الله بمثل البداء "[6] أي :" ما عظم الله تعالى بشيء من أوصاف ، ومحامد مثل البداء ؛ لأن تعظيمه تعالى ووصفه بالبداء الذي هو فعل من أفعاله ، مستلزم لتعظيمه ووصفه بجميع الصفات الكمالية ، مثل العلم والقدرة والتدبير ، والإرادة ، والاختيار " [7].

البداء بين لوح المحو والإثبات :

ثم أعلم أن الآيات والأخبار تدل : على أن الله تعالى خلق لوحين أثبت فيهما ما يحدث من الكائنات ، أحدهما اللوح المحفوظ ، والذي لا تغير فيه أصلاً ، وهو مطابق لعلمه تعالى ، والآخر لوح المحو والإثبات ، فيثبت فيه شيئاً ، ثم يمحوه لحكم كثيرة لا تخفى على أولي الألباب .

مثلا : ما يكتب فيه أن عمر زيد خمسون سنة ، ومعناه أن مقتضى الحكمة : أن يكون عمره كذا إذا لم يفعل ما يقتضي طوله أو قصره ، فإذا وصل الرحم مثلا يمحى الخمسون ، ويكتب مكانه ستون ، وإذا قطعها يكتب مكانه أربعون ، وفي اللوح المحفوظ أنه يصل وعمره ستون .

ولوح المحو والإثبات هو الذي عبر عنه في موضع آخر بالصحف السماوية ؛ وأن البداء ليس في علم الله ، ولا في اللوح المحفوظ بل في بعض مخلوقاته ، وسماه لوح المحو والإثبات ، ويسميه آخر القوى المنطبعة[8] الفلكية ، واللوح والقلم ملكان من ملائكة الله ؛ فحمل البداء على تأثير

---

(١) قال تعالى : " إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ " . سورة آل عمران : ٧٣. وقال تعالى :" يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ " . سورة الفتح : ١٠.

(٢) قال صلى الله عليه وسلم :" فَأَمَّا النَّارُ، فَلا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ فِيهَا رِجْلَهُ، فَتَقُولُ: قطّ قطّ " . البغوي : شرح السنة جـ ١٥ صـ ٢٥٧.

(٣) قال تعالى : " تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ " . سورة القمر : ١٤. قال تعالى : " وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي " . سورة طه : ٣٩.

(٤) لم أجد ما يدل على نسبة الأذن لله تعالى .

(٥) قول الميرزا أبو الحسن الشعراني تعليقا على كلام مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ هامش صـ ٢٥٩.

(٦) الشيخ الأنصاري : كتاب المكاسب جـ ١ هامش صـ ٢٠٩. الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٦.

(٧) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤١.

(٨) المنطبعة : من الانطباع أي المجبولة والمخلوقة ، يقال للفلك : نفس منطبعة ، أي : مجبولة ومخلوقة عليها الفلك ، اعلم أن للفلك محركين قريب وبعيد . الأول : قوة مجردة عن المادة . والثاني : قوة جسمانية سارية في جرم الفلك كله . والمحرك الأول يحرك الفلك بلا

الدعاء والصدقات وصلة الرحم حسن جداً ، لكنه ليس من البداء المصطلح في شيء ؛ إذ لا حاجة إلى الالتزام بلوح المحو والإثبات فيه ، بل إذا اعتقد الإنسان أن القضاء لا يتغير ، وأن علمه تعالى تعلق بحصول الصحة من المرض ، وطول العمر ، والغنى بعد الفقر بعد حصول أسباب طبيعية كشرب الدواء ، والتجارة ، والسعي في طلب الرزق ، أو أسباب روحانية : كصلة الرحم ، والدعاء ، والتضرع كفى في السعي ، والطلب وفي الدعاء أيضا ، وبذلك يجمع بين القول بالقضاء والقدر ، وبين اختيار العبد وتكليفه بالسعي والعمل لتحصيل معاشه ومعاده ، من غير أن نلتزم بالبداء المصطلح عليه [١].

الفرق بين النسخ والبداء عند الشيعة الاثني عشرية :

فرق علماء الشيعة الاثني عشرية بين النسخ والبداء : باختلاف الوقتين في الناسخ والمنسوخ [٢] ؛ والبداء منزلته في التكوين منزلة النسخ في التشريع ، فما في الأمر التشريعي ، والأحكام التكليفية ، فهو في الأمر التكويني والمكونات الزمانية بداء ، فالنسخ كأنه بداء تشريعي ، والبداء كأنه نسخ تكويني ، ولا بداء في القضاء ، ولا بالنسبة لجناب القدس الحق ، والمفارقات المحضة من ملائكته المقدسة ، وفي متن الدهر الذي هو ظرف مطلق الحصول القار والثبات البات ووعاء عالم الوجود كله ، وإنما البداء في القدر ، وفي امتداد الزمان الذي هو أفق التقضي والتجدد ، وظرف التدرج والتعاقب [٣].

وحقيقة النسخ عند التحقيق : انتهاء الحكم التشريعي ، وانقطاع استمراره لا رفعه ، وارتفاعه من وعاء الواقع ، فكذا حقيقية البداء عند الفحص البالغ : إنبتات استمرار الأمر التكويني ، وانتهاء وقت اتصال الإفاضة ، ومرجعه إلى تحديد إلى تحديد زمان الكون ، وتخصيص وقت الإفاضة لا أنه ارتفاع المعلول الكائن عن وقت كونه ، وبطلانه في حد حصوله [٤] .

والمحققون من أهل السنة يقولون : الإرادة في كتاب الله نوعان : إرادة قدرية خَلْقِية ، وإرادة دينية شرعية،

مباشرة ؛لأنه يحركه بواسطة الثانية أعني القوة الجسمانية التي تسمى نفسا منطبعة فهي بمنزلة الآلة للقوة الأولى . الأحمدي نكري : دستور العلماء جـ ٣ ص ٢٤٢-٢٤٣.

(١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ هامش ص ٢٥٥.

(٢) الشريف المرتضى: رسائل المرتضى جـ ١ ص ١١٦.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤ ص ١٢٦. السيد نعمة الله الجزائري : نور البراهين جـ ٢ شرح ص ٢٣١.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤ ص ١٢٨.

فالإرادة الشرعية هي المتضمنة : المحبة والرضا ، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات[١] .

فالإرادة الشرعية كقوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر"[٢] ، وقوله تعالى : " ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم " [٣] ، وقوله تعالى : " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً "[٤].

فهذا النوع من الإرادة لا تستلزم وقوع المراد ، إلا إذا تعلق به النوع الثاني من الإرادة ، وهذه الإرادة تدل دلالة واضحة على أنه تعالى لا يحب الذنوب والمعاصي والضلال والكفر ، ولا يأمر بها ولا يرضاها ، وإن كان شاءَها خلقاً وإيجاداً ، وأنه يحب ما يتعلق بالأمور الدينية ، ويرضاها ، ويثبت عليها أصحابها ، ويدخلهم الجنة ، وينصرهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وينصر بها العباد من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين ، وهذه الإرادة تتناول جميع الطاعات حدثت أو لم تحدث[٥] .

والإرادة الكونية القدرية هي الإرادة الشاملة لجميع الموجودات ، التي يقال فيها : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهذه الإرادة مثل قوله تعالى : " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً " [٦] ، وقوله تعالى : " ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم " [٧]. وقوله : " ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد " [٨] .

فمشيئة الله تعالى متعلقة بكل شيء ، سواء أحبه الله أم لا ، ولا تناقض ؛ لأن المحبة غير المشيئة ، والأمر غير الخلق ، فالأمر نوعان : تكويني لا يتخلف ، وتشريعي قد يتخلف من العصاة [٩] .

والمخلوقات مع كل من الإرادتين أربعة أقسام :

---

(١) د علي الصلابي : عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين صـ ٦٨.

(٢) سورة البقرة : آية رقم ١٨٥ .

(٣) سورة المائدة: آية رقم ٦ .

(٤) سورة الأحزاب: آية رقم ٣٣ .

(٥) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ٨ صـ ١٨٨ .

(٦) سورة الأنعام : آية رقم ١٢٥ .

(٧) سورة هود : آية رقم ٣٤ .

(٨) سورة البقرة : آية رقم ٢٥٣ .

(٩) د أحمد فريد : عقيدة أهل السنة والجماعة صـ ٢١٧ – ٢١٨ بتصرف .

الأول : ما تعلقت به الإرادتان ، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة ، فإن الله أراده إرادة دين وشرع ، فأمره وأحبه ورضيه ، وأراده إرادة كون فوقع ، ولولا ذلك ما كان .

والثاني : ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط ، وهو ما أمر الله به من الأعمال الصالحة ، فعصى ذلك الكفار والفجار ، فتلك كلها إرادة دين ، وهو يحبها ويرضاها وقعت أم لم تقع .

والثالث : ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط ، وهو ما قدره الله وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها كالمباحات والمعاصي ، فإنه لم يأمر بها ، ولم يرضها ، ولم يحبها ، إذ هو يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ، ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لها لما كانت ، فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

والرابع : ما لم تتعلق به هاتان الإرادتان ، فهذا ما لم يقع ولم يوجد من أنواع المباحات والمعاصي[١] .

<u>هل تستعمل لفظة البداء في النسخ حقيقة أم استعارة ؟</u>

<u>الرأي الأول</u> : أنها حقيقة في النسخ ؛ لأن البداء يستعمل بمعنى الظهور في اللغة ، مع كون من ظهر له المعلومات ؛ فحكم بنفس ما نهى عنه قبل ذلك ، أو ينهى عن نفس ما أمر به ، وهنا يكون معنى البداء في الحكم التدريج إلى الإباحة بعد النهي والحظر ، فهنا يسمى من فعل ذلك بأنه بدا له وظهر له ما لم يكن ظاهراً ، وبدا له ما لم يكن بائناً ، وهنا لا يكون مانعاً من تسمية هذا التدريج بداء ؛ لأن فيه ظهور أمر لم يكن ظاهرا [٢] .

<u>الرأي الثاني :</u> إذا استعمل البداء على حقيقته لا يجوز في حق الله تعالى ، أما إذا استعمل في المجاز فيكون بمعنى النسخ "[٣] ؛ لأن البداء إذا كان في اللغة العربية اسما للظهور ، وإذا سمينا من ظهر له من المعلومات ما لم يكن ظاهراً حتى اقتضى ذلك أن يأمر بنفس ما نهى عنه ، أو ينهى عن نفس ما أمر به ، أنه قد بدا ؛ لم يمتنع أن يسمى الأمر بعد النهي ، والحظر بعد الإباحة على سبيل التدرج ؛ بأنه بداء له ؛ لأنه ظهر من الأمر ما لم يكن ظاهراً ، وبدا ما لم يكن بائنا بمعنى البداء الذي هو الظهور ، والبروز حاصل في الأمرين ؛ فما المانع على مقتضى الاشتقاق أن يسمى الأمرين بداءً ؛ لأن فيهما معا ظهور أمر لم يكن ظاهراً [٤] .

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ٨ صـ ١٨٩ بتصرف .

(٢) الشريف المرتضى: رسائل المرتضى جـ ٢ صـ ٢٦٤.

(٣) المولى علي الروزدري : تقريرات آية الله المجدد الشيرازي جـ ٣ صـ ٥٧ بتصرف .

(٤) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى جـ ١ صـ ١١٧.

وفي نظر الباحث : الخلاف لفظي فكلاهما يؤدي لنفس النتيجة كما يرى القارئ الكريم .

علاقة اليهود بعقيدة البداء :

واليهود بالنسبة لاعتقاد البداء فرق :

فرقة : تمنع من نبوة مدعي النسخ ؛ لظنها أن النسخ يؤدي إلى البداء .

وفرقة : تجيز النسخ عقلاً ، ويمنع منه لدعواها أنه لم يقم برهان بنبوة أحد ادعى نسخ شرع موسى – عليه السلام– [1] ، ومع ذلك يقول الإمام الرضا – عليه السلام – :" قَالَتِ الْيَهُودُ : يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ"[2] ، يعنون : إن الله تعالى قد فرغ من الأمر ، فليس يُحْدِثُ شيئاً ، فقال الله – عز وجل – :" غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا"[3] ، ولقد سمعت قوماً سألوا أبا موسى بن جعفر – عليه السلام – عن البداء فقال : وما ينكر الناس من البداء ، وأن يقف الله قوماً يرجيهم لأمره "[4].

وإثبات البداء رد على اليهود ؛ لأنهم قالوا : إن الله قد فرغ من الأمر ؛ فقلنا : كل يوم هو في شأن يحيي ، ويميت ، ويخلق ، ويرزق ، ويفعل ما يشاء ، والبداء ليس ندامة ، وإنما هو من ظهور أمر ؛ وقال تعالى :" وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون " [5] ، أي ظهر لهم ، ومتى ظهر لله تعالى ذكره من عبد صلة لرحمه زاد في عمره ، ومتى ظهر له منه قطيعة لرحمه نقص من عمره .

وربما تمحل بعض وقال : إنا لا نقول بالجهل والندامة بل الله تعالى قضى حكماً يعلم أنه يغيره بسبب حادث مثلاً ، ويحكم الله تعالى بقصر عمر زيد مع أنه يعلم أنه يتصدق ويصل الرحم فيستحق طول العمر ، ويغير الحكم الأول ويطيل عمره وهذا معنى لا يناسب سائر أقوال الشيعة ؛ لأن فيه تناقضاً واضحا مثل أن يقال عزم زيد على إقامة عشرة أيام في بلد مع أنه يعلم أنه لا يقيم به أكثر من ثلاثة أيام ، وكيف يحكم الله تعالى بقصر عمر رجل يعلم أنه يطيل عمره ؟ .

فإن قيل لا تناقض بين حكمين مختلفين موقوفين على شرطين مختلفين فيحكم بقصر عمره إن لم يصل الرحم ولم يتصدق ، ويطيله إن تصدق ووصله ، فيرفع التناقض باختلاف الشرط .

قلنا لا يطلق الإرادة والمشيئة والقضاء والقدر وأمثالها إلا على الطرف المثبت الذي حصل شرطه إلي حكم الشارع بوقوعه ، ولا يطلق على ما يعلم تعالى انه لا يقع قط . فلا يقال : قضى الله

---

(١) أبو الصلاح الحلبي : الكافي ص ٨٠.

(٢) سورة المائدة : آية رقم ٦٤.

(٣) سورة المائدة : آية رقم ٦٤.

(٤) الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا – عليه السلام – ج ٢ ص ١٦١.

(٥) سورة الزمر : آية رقم ٤٧.

تعالى بظلمة النهار وضياء الليل على فرض كون الشمس طالعة ليلا وآفلة نهاراً [١] ؛ لأنا نقول هذا من باب قوله – عز وجل – :" حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ" [٢] ، وأمثال ذلك ولا يدل شيء منها على نفي العلم سبحانه [٣].

البداء يكون في ليلة القدر من كل عام :

عن أبي عبد الله – عليه السلام – قال في ليلة القدر :" يجمع الله فيها ما أراد من تقديمه ، وتأخيره ، وإرادته ، وقضاءه [٤]... ويكون له فيه البداء ، فإذا كان ليلة ثلاث وعشرين أمضاه ، فيكون من المحتوم الذي لا يبدوا له فيه "[٥] .

ولا ريب أن ما تكتبه الملائكة في هذه الليلة وتنزل به إلى النبي – ﷺ – والقائم – عليه السلام – من أحوال تلك السنة ، وما يتجدد فيها ؛ إنما هو من المحتوم ، فكيف تدخل فيه المشيئة ، قال أبو عبد الله – عليه السلام –:" وأمر عنده موقوف له فيه المشيئة "[٦] ، ويؤيده ما ورد في الأخبار : من أن العلم المخزون [٧] عنده هو الذي يكون فيه البداء ، وله فيه المشيئة بالتقديم والتأخير ، والزيادة والنقصان ، ونحو ذلك ، وما أطَّلع عليه ملائكته ورسله ، فإنه محتوم فإنه لا يدخله البداء .

فإن الله في ليلة القدر يميز للإمام – عليه السلام – بين الأمور الحتمية ، والأمور التي تحتمل البداء ؛ ليخبر بالأمور الأولة حتماً ، وبالأمور الثانية على وجه إن ظهر خلافه لا ينسب إلى الكذب [٨].

---

(١) تعليق الميرزا أبو الحسن الشعراني : انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٣٦. السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي صـ ١١٢.

(٢) سورة محمد : آية رقم ٤٧.

(٣) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي صـ ١١٣.

(٤) يقول علي أكبر غفاري :" لعل المراد بالأمر ما لم يطلع الكتبة على تفصيله ؛ فيكتبونه على وجه الإجمال ، وتفصيله موكول إلى مشيئة الله تعالى ، ومعنى التقديم والتأخير أنه قد تراءى منه أنه يقدم ؛ وهو في علم الله تعالى الذي لم يطلع عليه أحد مؤخر ؛ فيؤخر أو بالعكس ، ولعل هذا هو معنى المحو والإثبات والإبداء " . انظر الشيخ الصدوق : من لا يحضره الفقيه جـ ٢ هامش صـ ١٥٩.

(٥) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٣ صـ ٤٤٢ بتصرف .

(٦) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٣ صـ ٤٥٠ بتصرف .

(٧) يقول الفاضل الشوشتري :" ولعله إنما يستقيم البداء فيه ، ويرتفع العبث ، ولا يتطرق شبهة التغير في علمه إذا قلنا : بإثبات مخزونه في موضع واطلع عليه أحد ، ولم يجز له إظهاره ، وأنه اطلع بعض الناس عليه ". انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٨.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٢٥صـ ٩٩ .

ويتبين من ذلك أن هناك أوقات وأحكام يدخل فيها البداء والمشيئة ، وهي : الإمضاء ، والإبرام الحقيقي وهي تكون في أفعاله تعالى مطلقاً ، ولا يكون فعل إلا بها ، وربما زيد عليها ؛ فالمراد بالإرادة الثبوت على الفعل ، ومعنى شاء : ابتدأ الفعل ، وأخرى لا يدخل فيها المشيئة [١].

والبداء في ليلة القدر معناه :" يقدم ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء من الآجال ، والأرزاق ، والبلايا ، والأعراض ، والأمراض ، ويزيد فيها ما يشاء ، وينقص ما يشاء ، ويلقيه رسول الله – ﷺ – إلى أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – ، ويلقيه أمير المؤمنين إلى الأئمة – عليهم السلام – حتى ينتهي ذلك إلى صاحب الزمان – صلوات الله عليه – ويشترط له في البداء ، والمشيئة ، والتقديم ، والتأخير [٢] .

<u>أدلة البداء كما تحكيها الشيعة الاثنا عشرية :</u>

عن أبي عبد الله – عليه السلام – :" ما بعث الله نبيا قط ؛ حتى يأخذ عليه ثلاثاً : الإقرار لله بالعبودية [٣] ، وخلع الأنداد [٤] ، وأن الله يمحو ما يشاء ، ويثبت ما يشاء "[٥] ، وفي رواية : " وأن الله يقدم ما يشاء ويؤخر من يشاء" [٦] ، وعنه أيضا :" ما تنبأ نبي قط حتى يقر بخمسة : بالبداء ، والمشيئة ، والسجود ، والعبودية ، والطاعة "[٧] ، . وعن الرضا – عليه السلام – :" ما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر ، وأن يقر لله بالبداء "[٨] .

وعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" ما عبد الله بشيء مثل البداء "[٩] ، أي : القول بالبداء[١]، والتصديق بثبوته له تعالى ؛ لأن فيه إذعاناً بأنه تعالى قادرٌ على الحوادث اليومية ، واعترافاً بأنه

---

(١) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة جـ ١٣ صـ ٤٥١– ٤٥٢ بتصرف .

(٢) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي صـ ١٧٢.

(٣) أي " إقرار النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنه عبد له تعالى يستحق العبادة منه ، وأخذه على أمته الإقرار بذلك . انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٢.

(٤) خلع الأنداد : خلع الأضداد بوحدانيته في الذات ، والصفات ، باستحقاق العبادة . انظر المصدر السابق جـ ٤ صـ٢٤٢.

(٥) أحمد بن محمد بن خالد البرقي : المحاسن جـ ١ صـ ٢٣٣.

(٦) الله يقدم ما يشاء ويؤخر من يشاء : أي " على وفق ما يقتضيه الحكمة ، والمصلحة ، ونظام الكل ؛ لأن الحكيم العليم إذا علم حسن شيء في وقت ، وقبحه في وقت آخر يضعه في موضعه " . انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٢.

(٧) أحمد بن محمد بن خالد البرقي : المحاسن جـ ١ صـ ٢٣٤.

(٨) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٧.

(٩) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٦.

مختار يفعل بإرادته ما يشاء ، ويتصرف في ملكه كيف يشاء ، ولا يبلغ شيء من العبادة هذه المرتبة ؛ لأن العبادة إنما هي عبادة ، وكمال ، بعد معرفته بما ينبغي له ، ومن أنكر البداء له تعالى ؛ فقد نسب العجز إليه ، وأخرجه عن سلطانه ، وعبد إلهاً آخر ، ودان بدين اليهود [٢] .

وعنه أيضا قال :" ما عظم الله بشيء بمثل البداء "[٣] ، وعنه قال :" وهل يمحو إلا ما كان ثابتاً ؟ وهل يثبت إلا ما لم يكن ؟ "[٤] ، وعن أبي جعفر – عليه السلام – أنه سئل عن قوله تعالى :" قضى أجلاً وأجلٌ مسمىً عنده " قال : " هما أجلان : أجل محتوم ، وأجل موقوف "[٥] .

ولكن " هذا الحديث لا يدل على البداء بالمعنى المصطلح أعني تغيير المقدرات والأجل قد يكون محتوما وقد يكون موقوفا نظير أن الأمر قد يكون مطلقاً ، وقد يكون مشروطاً ، ولا يكون شيئاً واحداً مأموراً به مطلقاً ومشروطاً معاً ؛ مثلا الحج واجب مشروط بالاستطاعة ، وليس له وجوب آخر غير مشروط ، وكذلك عُمْرُ من يصل رحمه ويتصدق طويل ؛ بسبب صلة الرحم والصدقة ، وليس له أجل آخر قريب غير مشروط ، وإنما يكون البداء : إذا كان لشيء واحد بعينه أجلان ، لا أن يكون لشيء أجل محتوم ولشيء آخر أجل موقوف " [٦] .

أي : هما أجلان للموت ، أو أجلان متغايران بقرينة المقام : أحدهما محتوم أي : مبرم ، محكم ، لا يتغير ، ولا يتبدل ؛ لتعلق القضاء بالإمضاء به ، فلا يجري فيه البداء ؛ لأنه لا بداء بعد القضاء ، وآخر: موقوف لم يتعلق القضاء به بعد ؛ لتوقف تعلقه به على حصول مصالح ، وشرائط وأمور خارجة عن ذات الأجل عند حضوره ، فإن حصلت تلك الأمور يتعلق به القضاء ، فيصير مبرماً ، وإلا فلا ، وتعلق العلم الأزلي بحصولها مثلاً عند حضور ذلك الأجل لا يقتضي تقدم القضاء عليه [٧] .

---

(١) والبداء في هذا الحديث ليس بالمعنى المصطلح مثل أن يقدر الله تعالى موت زيد ، ثم يبطل هذا التقدير ويقضي بحياته ؛ بل المراد : أنه تعالى يميت زيدا ، ويحيي عمرا ، ويسقم هذا ، ويشفي هذا ، وكل يوم هو في شأن ، فالتغير بفعله بالعالم ، لا التغير في حكمه وإرادته بالنسبة إلى شيء واحد . انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٠.

(٢) مولى محمد صالح المازندراني :شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٠.

(٣) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٦. الشيخ الصدوق : التوحيد صـ ٣٣٣.

(٤) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٧. الشيخ الطوسي : الغيبة صـ ٤٣١.

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٧.المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤ صـ ١١٦.

(٦) انظر تعليق أبو الحسن الشعراني على كلام مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٣.

(٧) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤١– ٢٤٣ بتصرف.

و هذا القضاء المحتوم يشمل ما كان ، وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وقد أخبر الله نبيه محمد – صلى الله عليه وآله – :" بما هو محتوم ، واستثنى غير ذلك ، فلم يعلمه به "[1] ؛ لما جاء عن أبي عبد الله – عليه السلام –: " إن الله عز وجل أخبر محمداً – صلى الله عليه وآله – بما كان منذ كانت الدنيا ، وبما يكون إلى انقضاء الدنيا ، وأخبره بالمحتوم من ذلك ، واستثنى عليه فيما سواه" [2] .

وكل شيء يتوهم وقوع البداء فيه ليس مما قضى به الله تعالى على البت ، ولا أخبر أنبيائه ورسله كذلك ، بل أخبرهم على الاحتمال ، وإمكان وقوع الخلاف ، وباصطلاح فقهائنا أخبرهم بالاقتضاء ، لا العلية التامة ، وعلى هذا فلا بداء بالمعنى المتبادر المصطلح عليه " [3].

يقول الشيخ الصدوق البداء " ليس تغيير حكم وقضاء راجع إلى شخص بعينه ، بل إثبات حكم بعد زوال حكم آخر ، وهو النسخ ، أو إيجاد شيء بعد إفناء شيء آخر"[4].

وقيل البداء :" تغيير حال شخص بعينه في التكوين ، مثل إماتة زيد بعد مضي أجله ، وشفائه بعد انقضاء مدة مرضه ، وإغنائه بعد اقتضاء المصلحة فقره ، فهو نظير النسخ ، فإنه تغيير الحكم الشرعي بعد انقضاء مدته ؛ لأن المصطلح منه هو تغيير قضاء بالنسبة إلى شخص واحد في زمن واحد .

وجملة القول في البداء : أن الأمور كلها عامها ، وخاصها ، ومطلقها ، ومقيدها ، وناسخها ، ومنسوخها ، ومفرداتها ، ومركباتها ، وإخباراتها ، وإنشاءاتها ، بحيث لا يشذ عنها شيء منتقشة في لوح ، والفائض منه على الملائكة ، والنفوس العلوية ، والنفوس السفلية ، قد يكون الأمر العام المطلق ، أو المنسوخ حسب ما تقتضيه الحكمة الكاملة من الفيضان في ذلك الوقت ، ويتأخر المبين إلى وقت تقتضي الحكمة فيضانه فيه ، وهذه النفوس العلوية ، وما يشبهها يعبر عنها بكتاب المحو والإثبات ، والبداء عبارة عن التغيير في ذلك الكتاب "[5].

وفي الحديث :" إن الآجال الاستقبالية كلها موقوفة محل نظر ؛ لجواز أن يكون بعضها مما حتمه الله تعالى ، وقضى به في الأزل ، فلا يجري فيه البداء ، ولا يقع فيه المحو "[6] .

---

(١) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٨. الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة جـ ١ صـ ٢٢٦.

(٢) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٥٣.

(٣) المصدر السابق جـ ٤ هامش صـ ٢٥٤.

(٤) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ هامش صـ ٢٥٤.

(٥) نفس المصدر والصفحة بتصرف .

(٦) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٢٤٣.

وعن أبي جعفر – عليه السلام – :" من الأمور أمور موقوفة عند الله يقدم منها ما يشاء ، ويؤخر منها ما يشاء "(١) ، فالأمور قسمان :

القسم الأول : أمور محتومة حتمها الله تعالى قبل أوان وجودها ، وهو يوجدها في أوقاتها لا محالة ، ولا يمحوها ، ومن هذا القبيل ما علمه ملائكته ورسله ، فإنه سيكون (٢) .

والقسم الثاني : أمر غير محتوم حتمها موقوف على مشيئة وإرادة حادثة في أوقاتها يقدم منها ما يشاء ، ويؤخر منها ما يشاء ؛ فعلم من ذلك تجدد إرادته تعالى في القسم الثاني ، وهو معنى البداء ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" المشيئة محدثة "(٣) .

وقيل : المراد بالأمور المحتومة الأمور الماضية ، وبالأمور الموقوفة الأمور الآتية ، ولا بداء في الأولى ؛ إذ الماضي لا قدرة عليه بخلاف الآتي ، وفيه أن الأمور الآتية قد تكون محتومة (٤) .

وعن أبي عبد الله – عليه السلام –:" ما بدا لله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدوا له "(٥) ، أي ما نشأ منه سبحانه حكم وإرادة في شيء بالمحو والإثبات على حسب المصالح ، إلا كان ذلك الشيء ومحوه ، وإثباته ، ومصالحهما في علمه قبل أن يبدو له ، فهو سبحانه كان في الأزل عالماً بأنه يمحو ذلك الشيء الثابت في وقت معين ؛ لمصلحة معينة عند انقطاع ذلك الوقت ، وانقضاء تلك المصلحة ، ويثبت هذا الشيء في وقته عند تجدد مصالحه ، ومن زعم خلاف ذلك ،

---

(١) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٧.

(٢) يقول أبو الحسن الشعراني :" قوله الأمور قسمان الأول أمور محتومة " إن كان مراد الشارح تقسيم الأمور بالنسبة إلى علم الباري تعالى وإرادته ؛ فإنا لا نسلم بهذا التقسيم ؛ بل الأمور قسم واحد وهو المحتوم ، فإنه تعالى يعلم ما يقع ، ولا يتردد في شيء ، فكل شيء موقوف على شرط يعلم أنه شرطه يحصل أو لا يحصل ؛ فإن علم أنه يحصل الشرط يعلم أنه يحصل المشروط به أيضا ، وإن علم أنه لا يحصل الشرط علم أنه لا يحصل المشروط ، وليس له تعالى تجدد علم بعد الجهل ، ولا تجدد عزم بعد الترديد ، فليس التغيير في علمه تعالى وإرادته ؛ بل إن كل شيء من ذلك في علم بعض النفوس الذين ليس لهم إحاطة بجميع الشروط والأسباب ، وما يمكن أن يقع من الموانع أو الجوائح ، ولا مناص عن التأويل في هذه العويصة " . انظر تعليقه على كلام مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ هامش صـ ٢٤٨.

(٣) أحمد بن محمد بن خالد البرقي : المحاسن جـ ١ صـ ٢٤٥.

(٤) قوله قد تكون محتومة تدل على جزئية الحكم والحق أن القضية كلية والأمور مطلقا تكون محتومة في علم الباري تعالى وإنما يكون الترديد عند النفوس الناقصة " انظر تعليق الميرزا أبو الحسن الشعراني على كلام مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٨- ٢٤٩.

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٨.

واعتقد أنه بدا له في شيء اليوم مثلاً ، ولم يعلم به قبله ؛ فهو كافر بالله العظيم ، ونحن منه براء [1] ، فعنه أيضا :" إن الله لم يبد له من جهل "[2] .

الآيات الدالة على وقوع البداء :

عن الرضا – عليه السلام – قال :" لما أنكرت البداء ؛ والله – عز وجل – يقول :" أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا "[3]، ويقول الله – عز وجل – :" وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ "[4] ،

ويقول :" بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ "[5] ، ويقول – عز وجل – :" يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ"[6] ، ويقول – ﷻ – :" وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ" [7]، ويقول – عز وجل – :" وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ "[8] ، ويقول – عز وجل – :" مَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ "[9]، ويقول الله – عز وجل – لنبيه – صلى الله عليه وآله – :" فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ [10]" ؛ أراد هلاكهم ثم بدا لله تعالى فقال :" وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ " [11][12] .

ثم قال الرضا – عليه السلام :" لقد أخبرني أبي عن آبائه – عليهم السلام – عن رسول الله – صلى الله عليه وآله – قال :" إن الله – عز وجل – أوحى إلى نبي من أنبيائه : أن أخبر فلانًا الملك أنّي متوفيك إلى كذا وكذا ، فأتاه فأخبره ؛ فدعا الملك الله – عز وجل – وهو على سريره حتى سقط من السرير ، وقال : يا رب أجلّني حتى يشب طفلي ، وأقضى أمري ، فأوحى الله – عز وجل – إلى ذلك النبي : أن ائت فلاناً الملك ، فاعلم أني قد أنسيت في أجله ، وزدت في عمره إلى خمس عشرة سنة ؛ فقال ذلك النبي – عليه السلام – : يا رب إنك تعلم أني لم أكذب

---

(١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٥٠- ٢٥١.

(٢) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٨ بتصرف .

(٣) سورة مريم آية رقم ١٦٧.

(٤) سورة الروم آية رقم ٢٧.

(٥) سورة البقرة آية رقم ١١٧.

(٦) سورة فاطر آية رقم ١.

(٧) سورة السجدة آية رقم ٧.

(٨) سورة التوبة آية رقم ١٠٦.

(٩) سورة فاطر آية رقم ١١.

(١٠) سورة الذاريات آية رقم ٥٤.

(١١) سورة الذاريات آية رقم ٥٥.

(١٢) الشيخ الصدوق : التوحيد صـ ٤٤٣.

قط ، فأوحى الله – عز وجل – إليه : إنما أنت عبدٌ مأمور ، فأبلغه ذلك ، والله لا يسأل عما يفعل "[1] .

البداء ليس ندامة :

تقول الشيعة الاثني عشرية : ليس البداء كما يظنه جهال الناس بأنه ندامة ؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ولكن يجب علينا أن نقر لله تعالى بالبداء ، ومعناه : أن له أن يبدأ بشيء من خلقه ، فيخلقه قبل شيء ، ثم يعدم ذلك الشيء ، ويبدأ بخلق غيره ، أو يأمر بأمر ، ثم ينهى عن مثله ، أو ينهى عن شيء ، ثم يأمر بمثل ما نهى عنه ، وذلك مثل نسخ الشرائع ، وتحويل القبلة ، وعدة المتوفى عنها زوجها ، ولا يأمر الله عباده بأمر في وقت ما إلا وهو يعلم أن الصلاح لهم في ذلك الوقت ، في أن يأمرهم في ذلك الوقت ، ويعلم في وقت آخر الصلاح لهم في أن ينهاهم عن مثل ما أمرهم به ، فإذا كان في ذلك الوقت أمرهم بما يصلحهم ، فمن أقر لله – عز وجل – بأن له أن يفعل ما يشاء ، ويعدم ما يشاء ، ويخلق مكانه ما يشاء ، ويقدم ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء ، ويأمر بما شاء كيف شاء ، فقد أقر بالبداء ، وما عظم الله – عز وجل – بشيء أفضل من الإقرار بأن له الخلق ، والأمر ، والتقديم والتأخير ، وإثبات ما لم يكن ، ومحو ما قد كان ، وإثبات البداء [2].

البداء لا يتناقض مع العلم وما هي أول واقعة بداء في سلسلة الإمامة :

عن الصادق – عليه السلام – قال : " من زعم أن الله بدا له في شيء اليوم ما لم يعلمه أمس ؛ فابرؤوا منه "[3] ، ويعلق الصدوق فيقول :" إنما البداء الذي ينسب إلى الإمامية القول به هو : ظهور أمره ؛ تقول العرب : بدا لي شخص ، أي : ظهر لي لا بداء ندامة – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً – ، وكيف ينص الصادق – عليه السلام – على إسماعيل بالإمامة ، مع قوله فيه :" إنه عاص لا يشبهني ولا يشبه أحدا من آبائي "[4] ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – قال

---

(١) الصدوق:عيون أخبار الرضا جـ٢صـ١٦٠–١٦١بتصرف. المجلسي: بحار الأنوار جـ ٤صـ ٩٥. نعمة الله الجزائري : نور البراهين جـ ٢صـ ٤٨٨.

(٢) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي صـ ١١٢.

(٣) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية صـ ٤١.

(٤) ومما جاء من أخبار إسماعيل بن جعفر : أن الوليد بن صبيح قال جاءني رجل فقال ألا أريك ابن الرجل ، قال : فذهبت معه ؛ فجاء بي إلى قوم يشربون الخمر فيهم إسماعيل بن جعفر ، قال : فخرجت مغموماً ، فجئت إلى الحجر ، فرأيت إسماعيل متعلقاً بأستار الكعبة يبكي قد بل أستار الكعبة بدموعه ؛ فسألت أبا عبد الله – عليه السلام ؛ فقال : ابتلي ابني بشيطان يتمثل في صورته ، وقد روي : إن

": إن شيطانا قد ولع بابني إسماعيل يتصور في صورته ؛ ليفتن به الناس ، وإنه لا يتصور في صورة نبي ، ولا وصي نبي ، فمن قال لك من الناس : إن إسماعيل ابني حي لم يمت ، فإنما ذلك الشيطان تمثل له في صورة إسماعيل ، ما زلت ابتهل إلى الله – عز وجل – في إسماعيل ابني أن يحييه لي ، ويكون القيم من بعدي ، فأبى ربي ذلك ، وإن هذا شيء ليس إلى رجل منَّا يضعه حيث يشاء ؛ وإنما ذلك عهد من الله – عز وجل – يعهده إلى من يشاء ، فشاء الله أن يكون موسى ابني ، وأبى أن يكون إسماعيل ، ولو جهد الشيطان أن يتمثل بابني موسى ، ما قدر على ذلك أبداً ، والحمد لله " [1] .

من الشبه التي تقال عن عقيدة البداء :

أن أئمة الرفض قد وضعوا لشيعتهم مقالة البداء ، فإذا أظهروا مقالاً أنه سيكون لهم قوة ، وشوكة ، وظهور ، ثم لم يكن الأمر على ما أظهروا ؛ قالوا : بدا لله في ذلك .

وأنت تعلم بعد إحاطتك بما تقدم : أن هذا ليس إلا للعداوة ، والتشنيع ، وإلا فلا عاقل ينسب إلى الله – سبحانه – العلم بما لم يعلمه قبل [2] .

كيفية تأويل البداء في حق الله تعالى :

كلامنا في إطلاق هذا اللفظ على الله – تعالى – نظير كلامنا في إطلاق الغضب ، والرضا ، والأسف كما قال : " فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ "[3] ، والنسيان في قوله : " نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ "[4] ، وقوله : " وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى"[5] ، وأمثال ذلك يجب تأويله بما يوافق المذهب ، والعقل.

والجامع لجميع ذلك : أنه تعالى يعامل معاملة الراضي ، والغاضب ، والناسي ، والمحزون ، والنادم على ما فعل ، لا أنه تعالى متصف بهذه الصفات واقعاً ... ومرجع بعض كلام العلماء في نسبة البداء إلى بعض مخلوقاته – تعالى – من الملائكة ، والنفوس الكلية وهو غير بعيد ، قال الصادق – عليه السلام – : " إن الله تعالى لا يأسف كأسفنا ، ولكنه خلق أولياء ؛ لنفسه ، مخلقون ، مربوبون ، فجعل رضاهم رضا نفسه ، وسخطهم سخط نفسه ... هكذا الرضا ، والغضب ،

الشيطان لا يتمثل في صورة نبي ، ولا وصي نبي ، فكيف يجوز أن ينص عليه في الإمامة مع صحة هذا القول منه فيه " . الصدوق : إكمال الدين وتمام النعمة صـ ٧٠.

(١) عدة محدثين : الأصول الستة عشر صـ ٤٩.

(٢) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي صـ ١١٣.

(٣) سورة الزخرف : آية رقم ٥٥.

(٤) سورة التوبة : آية رقم ٦٧.

(٥) سورة طه : آية رقم ١٢٦.

وغيرهما مما يشاكل ذلك " ؛ والعقول القادسة يعلمون بتعليم الله ما سيقع على ما هو عليه ، وبعضهم كالنفوس يعلمون الأسباب المؤدية إلى شيء ، من غير أن يطّلعوا على ما يتفق مما نعته لها ؛ فيظهر ما يقع على خلاف ما علموا ، كمن يعلم أن الزرع بعد نموه وبدو صلاحه يحصل منه مقدار من الطعام ، ولا يعلم السيل ، أو النار ، أو الدابة ، أو الجند يفسدون الزرع ، ويؤيده حديث :" إن الله أعظم ، وأجل ، وأعز ، وأمنع من أن يُظْلَمَ ، ولكن خلطنا بنفسه ، فجعل ظلمنا ظلمه " [1].

فإن قيل : فما معنى إجابة الدعاء ، وتطويل العمر بصلة الأرحام ، وأمثال ذلك ؟ .

قلنا : الأمر فيه كالأمر في سائر الأسباب ، فكما تعلقت إرادته بإرسال السحاب ، ونزول المطر بسببه ، كذلك تعلق علمه وإرادته بصلة الرحم من فلان ، وطول عمره بالصلة ، وأنه لو لم يصل رحمه لم يطل عمره ، كما أنه لو لم يرسل السحاب لم ينزل المطر ، فقصر العمر إنما هو على فرض عدم صلة الرحم ، وطوله على فرض الصلة ، والثاني هو الواقع ، وتعلق علمه بالثاني [2] .

وتأمل ما صح عن النبي – صلى الله عليه وآله – حين قال :" إن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة " ، أما قوله :" كل يوم هو في شأن " فإنها شؤون يبديها [3] ، ولا يبتديها [4] .

وما دام القلم قد جف بما هو كائن فكيف يقسم الأمر إلى محتوم وغير محتوم ؟ مع أن لفظ كائن نكرة .

ما الذي يدخل فيه البداء :

عن العالم [5] قال :" فلله – تبارك وتعالى – البداء فيما علم متى شاء ، وفيما أراد لتقدير الأشياء ، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء "[6] ؛ فلله – تبارك وتعالى – فيه البداء ممّا لا عين له ، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء " [7] .

---

(١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٣٦.

(٢) تعليق الميرزا أبو الحسن الشعراني على كلام مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ هامش صـ ٢٣٩.

(٣) شئون يبديها : أي يظهرها في الوجود الخارجي بعد أن كان معلوما عند الباري لا أنه تعالى يبتديها من غير أن يكون له علم بها في الأزل . انظر تعليق أبو الحسن الشعراني على كلام مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ هامش صـ ٢٣٩.

(٤) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٢٣٩ بتصرف .

(٥) يقول الميرزا أبو الحسن الشعراني :" لا نعلم الإمام الذي عناه بقوله سئل العالم ... لكنه سمع الحديث بواسطة والقول بأن الحديث مرسل ظهر. انظر المصدر السابق جـ ٤ هامش صـ ٢٥٦.

(٦) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٩.الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ١٤٢.

(٧) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٥٦.

فإن قيل : إذا كان لشيء واحد أجل موقوف على شرط ، فلابد أن يكون له أجل آخر غير موقوف على فرض عدم الشرط .

قلنا :" لا نسلم ذلك ؛ بل الأجل المسمى الذي تعلق علم الواجب تعالى بوقوعه هو : الأجل الموقوف على الشرط الذي علم تعالى بوجوده وحصوله ، وليس غيره أجلاً مقدراً في علمه تعالى . مثلا : أبو لهب قضى الله تعالى أنه سيصلى ناراً ذات لهب بسبب كفره ، وليس له قضاء آخر بأنه يدخل الجنة ، ولا أنه يدخل النار ، ولو بغير سبب كفره حتى يلزم الجبر ، وغاية ما يمكن أن يتوهم هنا قضية منطقية غير بتية لم تثبت في قضائه تعالى ، ولم يتعلق بها مشيئة وهو : أن زيداً لو لم يصل رحمه كان عمره قصيراً ، لكنَّه يصل رحمه في علم الله ، فلا يكون عمره قصيراً .

وإن بنينا على تسمية هذه القضايا قضاء ، وقدراً ، ومشيئةً ، وإرادةً ؛ يكون كل ممتنع بالغير مقضياً مقدراً ؛ مثلا اليوم مظلم إن لم تطلع الشمس قضاء إلهي ، فيكون طلوعها ، وإضاءة النهار بداء ؛ لأنه تغيير القضاء ، وبالجلمة : فلابد لإثبات البداء من التماس دليل آخر غير هذا [1].

وفي ترجمة أحد الرواة ويدعى : ميسر بن عبد العزيز ، وكان كوفياً ثقة ، قال له أبو جعفر – عليه السلام – :" يا ميسر أما إنه قد حضر أجلك غير مرة ، ولا مرتين ، كل ذلك يؤخرك الله تعالى بصلتك لرحمك " ، وقيل عنه :" أنه ممَّن يجاهر في الرجعة [2] " ، أي : يرجع بعد موته حياً مع القائم – عليه السلام – ويجاهد معه [3] ، فكيف يحضر أجل موته مرتين ، ومن أهم عقائدهم أن للعبد أجلين فقط . وقيل : البداء والمشيئة يدخلان في الوعيد ، ولا يدخلون في الوعد [4].

بل يدخل في كل قدر للإنسان عن أبي جعفر – عليه السلام – قال : إن الله – عز وجل – إذا أراد أن يخلق النطفة التي مما أخذ عليها الميثاق في صلب آدم – أي بشراً تاماً – أو ما يبدو له فيه – أي سقطاً – حرك الرجل للجماع ، ثم يبعث الله ملكين خلاَّقين في الأرحام ما يشاء ، فيقتحمان بطن المرأة من فم المرأة ، فيصلان إلى رحم المرأة ، وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال ، وأرحام النساء ، فينفخان فيها روح الحياة والبقاء ، ثم يوحي الله إلى الملكين :

---

(١) تعليق الميرزا أبو الحسن الشعراني على كلام مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ هامش ص ٢٤٣.

(٢) العلامة الحلي : خلاصة الأقوال في معرفة الرجال ، تحقيق : الشيخ جواد القيومي ، ط مؤسسة النشر الإسلامي ، نشر مؤسسة الفقاهة – قم ، ط١ ، ١٤١٧هـ ص ٢٧٨ – ٢٧٩ بتصرف .

(٣) مصطفى التفرشي : نقد الرجال جـ ٤ ص ٤٤٧ .

(٤) الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة جـ ١ ص ٢٢٦.

اكتبا عليه قضائي ، وقدري ، ونافذ أمري ، واشترطا لي البداء فيما تكتبان ...فربما عتى ؛ فانقلب ، ولا يكون ذلك إلا في كل عات ، أو مارد "[١] .

بل إن " نسخ الشرايع ، والأحكام بشريعة نبينا محمد – صلى الله عليه وآله – من البداء ، ونسخ الكتب بالقرآن من ذلك " [٢] ؛ فعن أبي عبد الله – عليه السلام – أنه سئل عن قوله تعالى :" كان الناس أمة واحدة "[٣] ، فقال :" كان الناس قبل نوح أمة ضلال ، فبدا لله ؛ فبعث المرسلين ، وليس كما يقولون : لم يزل ، وكذبوا "[٤] ، فإرسال الرسل – عليهم السلام – " ونسخ الشرائع ، والأحكام بشريعة نبينا محمد – ﷺ – من ذلك ، ونسخ الكتب بالقرآن من ذلك "[٥] .

عن أبي عبد الله – عليه السلام – كانت الأرض ، وليس فيها رسول ، ولا نبي ، ولا حجة ، وذلك بين آدم ، ونوح في الفترة . ولو سألت هؤلاء عن هذا ؛ لقالوا : لن تخلو الأرض من حجة ، وكذبوا ؛ إنما ذلك شيء بدا الله – عز وجل– فيه ، فبعث الله النبيين مبشرين ، ومنذرين ، وقد كان بين عيسى ، ومحمد – عليهما السلام – فترة من الزمان ، ولم يكن في الأرض نبي ، ولا رسول ، ولا عالم ، فبعث الله محمداً – ﷺ – بشيراً ، ونذيراً ، وداعيا إلى الله [٦]. مع أنهم يقولون : لا تخلو الأرض من حجة ! .

بل لله تعالى " البداء في كل مرتبة من مراتب تلك الأسباب ؛ إذ له أن يشاء ، وأن لا يشاء بقدرته ، واختياره على ما يقتضيه الحكمة ، والمصلحة ، وأن يريد ، وأن لا يريد ، وأن يقدر ، وأن لا يقدر ، وهذا معنى البداء في حقه تعالى ، وإذا لوحظت تلك المسببات من آخرها ، وهو القضاء بالإمضاء لا بداء له في شيء من مراتبها ؛ لأن تحقق القضاء دليل على وقوع جميع أسبابها ، ووقوع ما وقع في خارج عن متعلق القدرة والإرادة ؛ إذ لا يقدر أحد على وقوع ما وقع ، ولا يمكن له إرادته ؛ لأن القدرة ، والإرادة إنما يتعلقان بالشيء قبل وقوعه ، لا بعده بالاتفاق "[٧].

(١) الكليني : أصول الكافي جـ ٦ صـ ١٤–١٥ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٧ صـ ٣٤٤– ٣٤٥.

(٢) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية صـ ٤١.

(٣) سورة البقرة : آية رقم ٢١٣.

(٤) ليس كما يقولون :" إن الله تعالى قدر الأمر في الأزل وقد فرغ منها فلا يتغير تقديراته تعالى " بل بدا لله فيما كتب في لوح المحو والإثبات " ا هـ. انظر تعليق علي أكبر غفاري على كلام الكليني : أصول الكافي جـ ٨ صـ ٨٢.

(٥) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية صـ ٤٠.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤ هامش صـ ١٢٥.

(٧) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٥٨ – ٢٥٩.

بل توسعوا فقالوا : إن خلق الإنس والجن من البداء ، فقد سأل رجلٌ أبا عبد الله – عليه السلام – : إن الناس يزعمون أن الدنيا عمرها سبعة آلاف سنة ، فقال : ليس كما يقولون . إن الله خلق لها خمسين ألف عام ، فتركها قاعاً ، قفراً ، خاوية عشرة آلاف عام ، ثم بدا لله بداءً ؛ فخلق فيها خلقاً ليس من الجن ، ولا من الملائكة ، ولا من الإنس ، وقدر لهم عشرة آلاف عام ، فلما قربت آجالهم أفسدوا فيها ، فدمَّر الله عليهم تدميراً ، ثم تركها قاعاً ، قفراً ، خاويةً عشرة آلاف عام ، ثم خلق فيها الجن ، وقدر لهم عشرة آلاف عام فيها ، فلما قربت آجالهم أفسدوا فيها ، وسفكوا الدماء ، وهو قول الملائكة : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، كما سفكت بنو الجان ؛ فأهلكهم الله ، ثم بدا لله ؛ فخلق آدم ، وقرر له عشرة آلاف عام ، وقد مضى من ذلك سبعة آلاف ، ومائتان ، وأنتم في آخر الزمان [1].

<u>**من آثار التقديس في عقيدة البداء : اعتقاد تأثير القوى الفلكية في الحوادث الكونية :**</u>

إذا قيل : كيف يصح نسبة البداء إلى الله – تعالى – مع إحاطة علمه بكل شيء أزلاً ، وأبداً ، على ما هو عليه في نفس الأمر ، وتقدسه عما يوجب التغيير ، والسنوح[2] ، ونحوهما ؟ .

فاعلم : أن القوى المنطبعة الفلكية[3] لم تحط بتفاصيل ما سيقع من الأمور دفعةً واحدةً ؛ لعدم تناهي تلك الأمور ، إنما ينتقش فيها الحوادث شيئاً فشيئاً ، وجملة فجملة ، مع أسبابها ، على نهج

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٥٤ صـ ٨٦ – ٨٧ .

(٢) سَنَح الشَّيءُ له : عرَض وظهَر، سهُل، تيسَّر وأُتيح ، سنح لي رأي: خطر . د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ٢ صـ ١١١٦.

(٣) القوى المنطبعة الفلكية : الطبيعة في عرف علماء الرسوم قوة من قوى النفس الكلية ، سارية في الأجسام الطبيعية السفلية ، والأجرام فاعلة لصورها المنطبعة في موادها الهيولانية. وفي مشرب الكشف والتّحقيق حقيقة إلهية فعّالة للصّور كلّها ، وهذه الحقيقة تفعل الصور الأسمائية بباطنها في المادة العمائية ، فإنّ النّشأة واحدة جامعة بحقيقتها للصور الحقّانية الوجوبية ، والصّور الخلقية الكونية روحانية كانت أو مثالية أو جسمانية بسيطة أو مركبة . والصور في طور الحقيق الكشفي علوية وسفلية ، والعلوية حقيقية ، وهي صور الأسماء الربوبية ، والحقائق الوجوبية ، ومادة هذه الصور وهيولاها العماء ، والحقيقة الفعالة لها أحد جمع ذات الألوهية ، وإضافية ، وهي حقائق الأرواح العقلية المهيمنية والنفسية ، ومادة هذه الصور الروحانية هي النور. وأمّا الصور السفلية فهي صور الحقائق الإمكانية ، وهي أيضا منقسمة إلى علوية وسفلية. فمن العلوية ما سبق من الصور الروحانية ، ومنها صور عالم المثال المطلق والمقيّد. وأمّا السفلية فمنها صور عالم الأجسام الغير العنصرية كالعرش والكرسي ، ومادتها الجسم الكلّ. ومنها صور العناصر والعنصريات ، ومن العنصريات الصور الهوائية والنارية والمارجيّة ، ومادة هذه الصور الهواء والنار وما اختلط معهما من الثقلين الباقيين من الأركان المغلوبين في الخفيفين ، ومنها الصور السفلية الحقيقية ، وهي ما غلب في نشئه الثقيلان ، وهما الأرض والماء على الخفيفين وهما النار والهواء ، وهي ثلاث صور : صور معدنية ، وصور نباتية ، وصور حيوانية ، وكلّ من هذه العوالم يشتمل على صور شخصية لا تتناهى ولا يحصيها إلّا الله سبحانه . والحقيقة الفعّالة الإلهية فاعلة بباطنها من الصور الأسمائية ، وبظاهرها الذي هو الطبيعة الكلّية التي هي مظهرها أصل صور العوالم كلها . ومنها القوة المدبّرة لبدن الإنسان من غير إرادة ولا شعور ، وهي مبدأ كلّ حركة وسكون بالذات ، ومنها المزاج الخاص بالبدن ، ومنها الهيئة التركيبية ، ومنها حركة

مستمر ، ونظام مستقر ، فإن ما يحدث في عالم الكون والفساد ؛ إنما هو من لوازم حركات الأفلاك ، ونتائج بركاتها ، فهي تعلم أنه كلما كان كذا ؛ كان كذا ، فمهما حصل لها العلم بأسباب حدوث أمر ممَّا في هذا العالم حكمت بوقوعه فيه ، فينتقش فيها ذلك الحكم ، وربما تأخر بعض الأسباب الموجب لوقوع الحادث على خلاف ما يوجبه بقية الأسباب لولا ذلك السبب ، ولم يحصل لها العلم بذلك بعد ؛ لعدم إطلاعها على سبب ذلك السبب ، ثم لما جاء أوانه ، واطلعت عليه حكمت بخلاف الحكم الأول ، فيمحى عنها نقش الحكم السابق ، ويثبت الحكم الآخر ، وأما نسبة ذلك كله إلى الله تعالى ؛ فلأن كل ما يجري في هذا العالم الملكوتي ؛ إنما يجري بإرادة الله تعالى ، بل فعلهم بعينه فعل الله سبحانه ؛ حيث إنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، إذ لا داعي لهم على الفعل إلا إرادة الله ؛ لاستهلاك إرادتهم في إرادة الله تعالى "[1].

<u>من آثار التقديس في عقيدة البداء تقسيم العلم لقسمين للأئمة منه النصف :</u>

عن أبي عبد الله – عليه السلام – :" إن لله علمين : علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو ، من ذلك يكون البداء [2]، وعلم علمه ملائكته ، ورسله ، وأنبيائه ، ونحن نعلمه "[3]، أي إيجاد فعل

النفس ، والنفس الفلكية كمال أول لجسم طبيعي ذي إدراك وحركة دائمين يتبعان تعقلا كلّيا حاصلا بالفعل ، وهي قوة جسمانية أخرى فائضة عن المحرّكات العاقلة المجرّدة على أجرام الأفلاك وتسمّى تلك القوة الفائضة نفسا منطبعة ونسبتها إلى الفلك كنسبة الخيال إلينا في أنّ كلا منهما محلّ ارتسام الصورة الجزئية، إلّا أنّ الخيال مختصّ بالدماغ والنفس المنطبعة سارية في الفلك كلّه لبساطته وعدم رجحان بعض أجزائه على بعض في المحلية. فالمباشر لتحريك الفلك قوة جسمانية هي صورته المنطبعة في مادته . انظر محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق: د علي دحروج ، ترجمة من الفارسية : د عبد الله الخالدي مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م جـ ٢ صـ ١١٢٨ بتصرف .

(١) الشيخ المنتظري : دراسات في المكاسب المحرمة ط هاشميون نشر سرايي – قم الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ جـ ٣ شرح صـ ٦٤ . السيد محمد صادق الروحاني : منهاج الفقاهة ط عليمة – قم ، ط٤ ، ١٤١٨ هـ ١٣٦٧ش جـ ١ صـ ٣٢٦.ثم علق فقال هذا خلاف المشهور .

(٢) به يضعف صحة ما روي في بعض الأخبار من أن بعض الأنبياء أو الأئمة – عليهم السلام – أخبروا بشيء على البت ؛ فلم يقع كما أخبروا للبداء ؛ لأنه يرتفع الاعتماد على أخبار الحجج – عليهم السلام – " ولكن العلامة المجلسي تمسك بصحة ذلك ، وأن الأئمة – عليهم السلام – لم يطلعوا على لوح المحو والإثبات ، وأخبروا بشيء لم يقع على ما أخبروا . انظر تعليق الميرزا أبو الحسن الشعراني على كلام مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٨– ٢٤٩.

(٣) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات صـ ١٢٩.

بالتقدير ، والتدبير ، والإرادة الحادثة ؛ لحكمٍ ومصالحٍ لا يعلمها إلا هو ، وعلم علمه ملائكته ، ورسله ، وأنبيائه ، ونحن نعلمه بتعليم نبوي ، وإلهام إلهي ، وهكذا ينبغي أن يكون أوصياء الأنبياء ، وخلفائهم في أرض الله تعالى ، وعباده ، ولا بداء فيه (١).

ومن المعلوم أن علمه تعالى بالموجودات والحوادث مطابق لما في نفس الأمر من وجودها ، فله تعالى علم بالأشياء من جهة عللها التامة ، وهو العلم الذي لا بداء فيه أصلاً (٢).

وعن أبي جعفر – عليه السلام – قال :" العلم علمان ، فعلم عند الله مخزون (٣) لم يطلع عليه أحد من خلقه ، وعلم علمه ملائكته ورسله (٤) ، فما علمه ملائكته ، ورسله ، فإنه سيكون لا يكذب نفسه ، ولا ملائكته ، ولا رسله ، وعلم عنده مخزون يقدم منه ما يشاء ، ويؤخر منه ما يشاء ، ويثبت ما يشاء (٥) ، باختياره ، وإرادته إن كان لكل واحد من التقديم ، والتأخير ، والإثبات مصلحة تقتضيه ، وهذا هو المراد بالبداء هنا .

وتوضيح ذلك : أن الله عالم في الأزل بالأشياء ، ومنافعها ، ومصالحها ، فإذا كان لشيء مصلحة في وقت من وجه ، وفي وقت من وجه آخر إن شاء قدمه ، وإن شاء أخره (٦) .

وكذلك إن كان لشيء مصلحة في وقت دون وقت آخر ، بينه في ذلك الوقت بإرادته ، وعلمه في الأزل ، بإثباته في ذلك الوقت ، وتقديمه ، وتأخيره على حسب الاختيار (٧).

عن أبي عبد الله – عليه السلام – أنه جاءه سائل فقال أبو عبد الله – عليه السلام – :" إن الله تبارك وتعالى قال لنبيه : فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ"(٨) ، أراد الله أن يعذب أهل الأرض ، ثم بدا لله

---

(١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي ج ٤ ص ٢٤٨- ٢٤٩.

(٢) الكليني : أصول الكافي ج ١ هامش ص ١٤٦.

(٣) العلم المخزون : العلم بسر القضاء والقدر ونحوه ، وقيل : المقرر في اللوح المحفوظ وفيه نظر ؛ لأن كل ما في اللوح المحفوظ من المعلوم لا يجب أن يكون مختصاً بالله سبحانه لا يطلع عليه أحد من خلقه ؛ بل لنا أن نقول : كل ما فيه فهو حاصل لبعض خلقه ، إما الملك ، أو الروح المقدس لأمير المؤمنين كما قال في بعض خطبه :" أنا اللوح المحفوظ " . انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي ج ٤ ص ٢٤٥.

(٤) علم علمه ملائكته ورسله تعليماً لا يحتمل متعلقه نقيضه ، وذلك بألا يكون معلقا بشرط . انظر المصدر السابق ج ٤ ص ٢٤٥.

(٥) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٤٥.

(٦) لكن علمه في الأزل تعلق بأحدهما من غير ترديد بحيث لا يتصور فيه تغيير أصلاً ، وحاصل تفسير الشارح : أن هذا الكلام دفع لوهم من يزعم أنه تعالى فاعل موجب ، ويقول : إن الله تعالى يفعل ما يشاء ... على حسب ما يراه من المصالح وهذا تأويل للبداء " . انظر تعليق الميرزا أبو الحسن الشعراني على المصدر السابق ج ٤ هامش ص ٢٤٧.

(٧) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٤٧.

(٨) سورة الذاريات : آية رقم ٥٤.

؛ فنزلت الرحمة ، فقال :" وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ"[1] ، فقال السائل : بدا الله ما لم يكن في علمه ، فقال أبو عبد الله – عليه السلام – : " إن لله علمين : علم عنده لم يطلع عليه أحد من خلقه ، وعلم نبذه إلى ملائكته ، ورسله ، فما نبذه إلى ملائكته ورسله فقد انتهى إلينا "[2].

فإن قلت هذا ينافي حديث الرضا – عليه السلام – الذي أخبر فيه : عن رسول الله – ﷺ – أن نبياً أخبره الله بموت ملك ، ثم دعا الملك ، فاستجاب الله دعاءه فطال عمره !.

قلنا :" المراد بالتعليم : المقرون بما يفيد القطع بوقوع متعلقه ، فإنه لابد من وقوعه ، وأما التعليم المجرد عن ذلك ، فيجوز أن لا يقع متعلقه ؛ لجواز أن يكون وقوع متعلقه مقيداً بشرط في علم الله تعالى ، كما في حديث وفاة الملك ، فإنه كان مقيداً في علم الله تعالى بترك الدعاء والتضرع ، فلمَّا وُجد لم يقع الوفاة ؛ لانتفاء الشرط ، وإخبار النبي ذلك الملك من الله بأنه متوفيه لم يكن كذباً في نفس الأمر ، فإن قوله : " متوفيه " من كلامه تعالى ، وهو مقيد في علمه بما ذكر ، وعدم علم النبي بذلك القيد لا ينافي ذلك الكلام المقيد في نفس الأمر ، ولا يكون الإخبار به كذباً ؛ وإنما يكون كذباً لو لم يؤمر بالإخبار [3].

ولا يقال : لو كان البداء عبارة عن الإيجاد بالاختيار والإرادة ، كان في القسم الأول أيضاً بداء ؛ لضرورة أن ما وقع فيه التعليم أيضاً يوجده بالاختيار والإرادة ؛ لأنا نقول المعتبر في البداء أن يوجده بالاختيار والإرادة الحادثة عند وقت الإيجاد ، فإن كان علمه بالمصلحة فهو قديم ، وإن كان نفس علمه فلا يتصور كون الإرادة في بعض الأمور سابقة على الفعل ، وفي بعضها حاصلة عنده .

والحق أنه تعالى كان عالماً من الأزل بما يفعل في كل زمان ، وتعلق مشيئته به ، ولا تغير في مشيئته ، ولا يؤخر ما أراد تقديمه من الأزل ، ولا يقدم ما أراد تأخره من الأزل .

وحدوث المصلحة في زمان الإيجاد لا ينافي كون علمه تعالى بالمصلحة قديماً ، وأما على تأويل أن التقديم والتأخير ليس فيما تعلق علم الله تعالى والعقول القادسة به ، بل في علم النفوس الغير عالمة بتفاصيل ما سيأتي من الأزل ؛ فيحكمون بشيء على ظاهر الأمر والعادة ، وربما يتفق شيء يخرج من مجرى العادة ، ولا يعلم به تلك النفوس ، وينسب التغير الحاصل في علم تلك

---

(١) سورة الذاريات : آية رقم ٥٥.

(٢) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ١٣٠.

(٣) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٤٥ – ٢٤٦.

النفوس إلى الله تعالى ، ويسمى بالبداء كما ينسب حزن الأولياء إلى الله تعالى في قوله " فلما آسفونا انتقمنا منهم " [1] ، وألا يكون للخلق علم بصدوره عنه قبل صدوره عنه [2].

يقول الصدوق في توحيده :" إن علمه – عليه السلام – دون البداء ، ولكن الآيات والأخبار تدل على أنه شامل له ، فلابد من صرفه عن ظاهره بل الظهور ممنوع "[3].

ويأتي من يتناقض فيقول " إن ما علمه الله أنبيائه ، وحججه فلا بداء فيه إلا نادراً " [4]. فمن نصدق .

<u>من آثار التقديس في عقيدة البداء اعتقاد أنه سبب للرحمة والأجر:</u>

عن أبي عبد الله – عليه السلام – :" لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ؛ ما فتروا عن الكلام فيه "[5] ؛ لأن السعي في الشيء على قدر عظمته ، وزيادة أجره ، وفي الإبهام دلالة على عظم الأجر في هذا القول .

كيف لا ؟ وفيه اعتراف بتقديره تعالى ، وتدبيره ، وقدرته على إيجاد الحوادث ، واختياره في إفاضة الوجود على ما تقتضيه الحكمة ، والمصلحة ، واقتداره على ما أراد عدمه ، وإبقاء ما أراد إبقاؤه ، وفيه أيضاً خروج عن قول اليهود القائلين : بإنه تعالى قد فرغ من الأمر فراغاً لا يريد ، ولا يقدر ، ولا يدبر بعده شيئاً ، وعن قول الحكماء القائلين : بإنه واحد لا يصدر عنه إلا الواحد ، وينسبون ما زاد إلى العقل ، وعن قول بعض المعتزلة القائلين : بإنه خلق الأشياء كلها دفعة واحدة ، ثم يظهر وجوداتها متعاقبة بحسب تعاقب الأزمنة ، وعن قول الدهرية القائلين : بإن الجالب للحوادث هو الدهر ، وعن قول الملاحدة القائلين : بإن المؤثر هو الطبائع [6].

<u>من آثار التقديس في عقيدة البداء : اعتقاد البداء في الإمامة :</u>

كان للإمام جعفر الصادق – عليه السلام – ولدان هما : موسى الملقب بأبي الحسن ، وإسماعيل [7] الملقب بأبي محمد – عليهما السلام – ، وكان " المرجَّى بعد أبي جعفر – عليه السلام – أبا محمد

---

(١) انظر تعليق الميرزا أبو الحسن الشعراني على المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٤٧.

(٢) المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٤٧–٢٤٨.

(٣) الشيخ الصدوق : التوحيد هامش ص ٣٠٥.

(٤) الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة جـ ١ ص ٩١ .

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١ ص ١٤٨.

(٦) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ ص ٢٥٠.

(٧) يقول الشيخ عباد الله الطهراني الميانجي :" جملة بدا لله غير موافق لقواعد الإمامية والمتواترة من أخبارهم لاشتماله على بداء لا يجوزونه ". انظر السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز جـ ٧ هامش ص ٥٢٢ .

، فقال أبو جعفر – عليه السلام – :" بدا لله [1] في أبي محمد بعد أبي جعفر ما لم يكن يعرف له ، كما بدا له في موسى بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله "[2] ، ثم قال :" وأبو محمد ابني الخلف من بعدي عنده علم ما يحتاج إليه ، ومعه آلة الإمامة "[3] .

وأما قول الصادق – عليه السلام – :" ما بدا لله في شيء كما بدا له في ابني إسماعيل ؛ إذ اخترمه قبلي ؛ ليعلم أنه ليس بإمام بعدي [4] ، وفي رواية عن أبي عبد الله – عليه السلام – :" ما بدا لله بداء أعظم من بداء بدا له في إسماعيل ابني " [5] ، ويقول : ما ظهر لله أمر كما ظهر له في إسماعيل ابني " [6] ، وعنه أيضاً :" إني ناجيت الله ونازلته في إسماعيل ابني أن يكون من بعدي ، فأبى ربي إلا أن يكون موسى ابني"[7] ، ومن أدعيتهم حين زيارة الإمام محمد بن علي – عليه السلام – " السلام عليك يا من بدا لله في شأنه "[8] ، وفي ذلك شيء غريب وهو: أنه روي عن الصادق – عليه السلام – أنه قال :" ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل ؛ إذ أمر أباه بذبحه[9] ، ثم فداه بذبح عظيم [10].

---

(١) إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر الهاشمي القرشي : جد الخلفاء الفاطميين ، وإليه نسبة (الإسماعيلية) ، وهي من فرق الشيعة في الأصل ، وتميزت عن الاثني عشرية بأن قالت بإمامته بعد أبيه ، والاثنا عشرية تقول : بإمامة أخيه موسى الكاظم ، توفي في حياة والده ، وفي الإسماعيلية من يرى أن أباه أظهر موته تقية حتى لا يقصده العباسيون بالقتل ، وكان أبو جعفر المنصور طلبه ؛ فشهد له عامل المدينة بأنه مات ، توفي ١٤٣هـ . انظر الزركلي : الأعلام جـ ١ صـ ٣١١ – ٣١٢.

(٢) المراد به القضاء والحكم ؛ فالمعنى : قضى الله في أبي محمد بعد موت أبي جعفر بما لم يكن معروفاً لأبي محمد عند الخلق ، وهو الإمامة ، والخلافة . انظر انظر تعليق علي أكبر غفاري على كلام الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٢٧. الشيخ المفيد : الإرشاد جـ ٢ صـ ٣١٩.

(٣) الكتب والسلاح وغير ذلك مما يختص بالإمام .انظر تعليق علي أكبر غفاري على كلام الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٢٧.

(٤) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية صـ ٤١.

(٥) عدة محدثين : الأصول الستة عشر صـ ٤٩.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤ صـ ١٠٩.

(٧) عدة محدثين : الأصول الستة عشر صـ ٤٩.

(٨) أسقط المؤلف هذه الجملة من بعض النسخ ؛ لأنه لا يعتقد الخبر الذي نقل عن الصادق أنه قال :" ما بدا الله بداء كما بدا له في إسماعيل ابني ، ثم قال الصدوق ، وفي الحديث عندي نظر إلا أني أوردته لمعنى لفظ البداء ". انظر تعليق علي أكبر غفاري على كلام الشيخ الصدوق : من لا يحضره الفقيه جـ ٢ هامش صـ ٦٠١.

(٩) قصة أمر إبراهيم بذبح ولده أنه لو كان أمرا حقيقية لزم منه البداء ، وهو باطل بالاتفاق ، ومن أقر به لفظاً ؛ فقد أوله معنى بحيث أخرجه عن حقيقته ... كما أولوا الغضب ، والرضا ، والأسف ، والترجي ؛ فإن جميع هذا محال على الله بمعناه الحقيقي . انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ١ صـ ١٣.

(١٠) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي صـ ١١٢.

وحمل الإرادتين على أمره سبحانه بالذبح من لوح المحو والإثبات ، وعدم مشيئته من اللوح المحفوظ بعيد جداً لا يطابق عبارة الحديث إلا بتكلف؛ولكن علماؤنا أبطلوا البداء صريحاً خصوصاً في هذه القصة [١].

من آثار التقديس في عقيدة البداء : اعتقاد استئناف المشيئة والتقدير :

تزعم الاثنا عشرية : أن اليهود قالوا : " إن الله قد فرغ من الأمر؛ لأنه تعالى عالم في الأزل بمقتضيات الأشياء ، فقدر كل شيء على وفق علمه .

يقول الشيخ الصدوق : بل هو تعالى كل يوم هو في شأن ، لا يشغله شأن عن شأن ، يحيي ، ويميت ، ويخلق ، ويرزق ، ويفعل ما يشاء ، وقلنا : يمحو الله ما يشاء " محوه وإعدامه ، ويثبت ما يشاء إثباته وإيجاده " [٢] ، وعنده أم الكتاب ، وإنه لا يمحو إلا ما كان " ثابتا في اللوح المحفوظ [٣] ، أو في الأعيان " ، ولا يثبت إلا ما لم يكن " ثابتا فيهما " [٤]، وهذا ليس ببداء كما قالت اليهود ، وأتباعهم ، فنسبتنا اليهود في ذلك إلى القول بالبداء ، وتابعهم على ذلك من خالفنا من أهل الأهواء المختلفة "[٥] .

يقول بعضهم : إن المحو يتعلق بالموجودات ، والإثبات يتعلق بالمعدوم ، وكل ذلك لعلمه تعالى بالمصالح العامة ، والخاصة ، والشرائط ، فيزيل وجود ما أوجده ، ويفيض وجود ما أراد إيجاده ؛ لانقضاء مصالح الوجود ، وشرائط حسنه في الأول ، وتحققها للثاني ، وتلك المصالح ، والشرائط مما يختلف باختلاف الأوقات ، والأزمان ، ودلالته على البداء بمعنى تجدد التقدير ، والمشيئة ، والإرادة في كل وقت بحسب المصالح ظاهره [٦] . نعوذ بالله ! .

ولأن الأئمة يعلمون جميع العلوم حتى علم الغيب " فإذا بدا لله أي قضى الله وحتم ما كان قد قدر في علمه المكنون مما له فيه البداء ، أعلمنا ذلك فلا بداء حينئذ فإنه كائن لا محالة " [٧] ، " ويتجدد له تعالى تقديرات ، وإرادات حادثة كل يوم بحسب المصالح المنظورة له تعالى "[١].

---

(١) المصدر السابق جـ ٤ هامش صـ ٢٧٤.

(٢) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٢٤١ بتصرف .

(٣) يقول الفاضل الأسترآبادي :" وعلم عنده مخزون أي مقدر في اللوح المحفوظ أولا على وجه ثم يغير ذلك إلى وجه آخر لمصلحة حادثة وهذا هو البداء في حقه تعالى " . انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٨.

(٤) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٢٤١ بتصرف .

(٥) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية صـ ٤١.

(٦) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤١.

(٧) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي صـ ١٧٦.

سئل أبو عبد الله – عليه السلام – عن قوله تعالى :" أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ(٢) مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ولم يك شيئا " فقال :" لا مقدراً ، ولا مكوناً " (٣) ، وعن قوله تعالى :" هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (٤) " (٥) فقال :" كان مقدراً غير مذكور(٦) ، فالمقصود الأصلي هنا : نفي التقدير ، ونفي التكوين ، وفي هذين الحديثين دلالة على تجدد إرادته تعالى ، وتجدد تقديره ، وتدبيره في خلق الإنسان ، وهذا هو المراد بالبداء في حقه تعالى (٧).

بل البداء ليس واحداً ، بل هو صفة متعددة الأفراد كما جاء عن أمير المؤمنين – عليه السلام – :" فإن له بداءات ، وإرادات ، وغايات ، ونهايات " (٨). نعوذ بالله ! هذا يستلزم الجهل عليه تعالى ! .

ومن هذا البداء ما جاء عن أبي عبد الله – عليه السلام – حين دخل عليه رجل ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقام قائماً ، وقال :" مه إن هذا الاسم لا يصلح لأحد إلا لأمير المؤمنين – عليه السلام – ، ولم يسم به أحد فرضي به إلا كان مأبوناً(٩) ، وإن لم يكن فيه أبلي به " (١٠).

وعن جعفر بن محمد – عليه السلام – :" ما من مولود يولد إلا إبليس من الأبالسة بحضرته ، فإن علم الله أنه من شيعتنا ؛ حجبه عن ذلك الشيطان ، وإن لم يكن من شيعتنا ؛ أثبت الشيطان إصبعه السبابة في دبره ؛ فكان مأبوناً ، فإن كانت امرأة أثبت في فرجها ؛ فكانت فاجرةً ، فعند

---

(١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤١.

(٢) خلقنا " قدرناه بالإرادة والمشيئة من زمان وجوده ، أو من قبل أن يكون إنسانا ، أو من قبل أن يكون له صورة ومثال في عالم الإمكان ، وهذا انسب ؛ لأن دلالته على الإبداع أظهر . انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٤.

(٣) قال الميرزا أبو الحسن الشعراني :" ليس المراد من المقدر ما تعلق علم الله تعالى بوجوده وقدره ، إذ علمه متعلق بكل شيء من الأزل ؛ فكيف لا يكون شيئا مقدرا ، فلابد أن يكون المراد بالتقدير بعض مراحل الاستعداد قبل الوجود ، بأن يكون الشيء بعد حصول جميع الأسباب مكونا وبعد حصول بعضها مقدرا ، مثلا : الإنسان عند انعقاد النطفة يكون مقدرا وعند تمام خلقة الجنين مكونا " . انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٣.

(٤) كان مقدر الوجود ذلك الحين عندكون نطفة أو علقة ، غير مذكور بين أهل الأرض وأهل السماء من الملائكة وغيرهم بالإنسانية ؛ إذ ما لم تكتمل صورته وما لم تتم أعضاؤه وجوارحه ولم يتعلق به الروح الإنسانية لا يسمى إنسانا " . انظر المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٤.

(٥) سورة الإنسان : آية رقم ١ .

(٦) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٣ – ٢٤٤.

(٧) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٢٤٥.

(٨) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٣٣٨.

(٩) شخص مَأْبون : مَنْ تُفْعل فيه الفاحشةُ ، ومثله ابن خاقان : اللوطي . د أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة جـ ١ صـ ٥٥.

(١٠) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل جـ١٠صـ٤٠٠. السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة جـ١٢صـ٣٥٢.

ذلك يبكي الصبي بكاءً شديداً ؛ إذا هو خرج من بطن أمه ، والله بعد ذلك يمحو ما يشاء ، ويثبت وعنده أم الكتاب " [١].

ونسأل الشيعة الاثني عشرية : هل يبكي صبيانكم حين يولدون أم أنهم منزهون عن ذلك ؟ .

من آثار التقديس في عقيدة البداء : أنه يدخل في خلق الطالحين ، ولا يدخل في خلق الصالحين :

يبين ذلك ما روي عن أبي جعفر – عليه السلام – في قصة خلق آدم – عليه السلام – قال :" فاغترف الله تبارك وتعالى غرفة من الماء العذب الفرات ، فصلصلها ، فجمدت ، ثم قال : منك أخلق النبيين ، والمرسلين ، وعبادي الصالحين ، والأئمة المهتدين الدعاة إلى الجنة ، وأتباعهم إلى يوم القيامة ، ثم اغترف غرفة من الماء المالح الأجاج ، فصلصلها ، فجمدت ، ثم قال لها : منك أخلق الجبارين ، والفراعنة ، والعتاة ، وأخوان الشياطين ، والدعاة إلى النار إلى يوم القيامة ، وأتباعهم ، قال وشرط في ذلك البداء ، ولم يشترط في أصحاب اليمين البداء ، ثم خلط المائين "[٢].

من آثار التقديس في عقيدة البداء : اعتقاد إخبار الأنبياء بقدر ثم لا يقع هذا القدر :

ومن ذلك ما روي قبل ذلك في قصة الملك الذي أخبره أحد الأنبياء بموعد موته ، فدعا الملكُ الله ؛ فأطال عمره خمسة عشر عاماً ، ومنه أيضا ما جاء عن أبي عبد الله – عليه السلام – :" مر يهودي بالنبي – ﷺ – فقال : السام عليك ، فقال رسول الله – ﷺ – : عليك ، فقال أصحابه : إنما سلم عليك بالموت ، فقال : الموت عليك ، فقال رسول الله – ﷺ – ، وكذلك رددت ، ثم قال النبي – ﷺ – : إن هذا اليهودي يعضه أسود في قفاه ؛ فيقتله. قال : فذهب اليهودي ، فاحتطب حطباً كثيراً ، فاحتمله ، ثم لم يلبث أن انصرف ، فقال رسول الله – ﷺ – : ضعه فوضع الحطب ، فإذا أسود في جوف الحطب عاض على عود ، فقال : يا يهودي أي شيء عملت اليوم ؟ فقال : ما عملت شيئا إلا حطبي احتملته ، فجئت به ، وكان معي كعكتان ، فأكلت واحدة ، وتصدقت بواحدة على مسكين ، فقال رسول الله – ﷺ – : بها دفع الله عنك ، وقال : إن الصدقة تدفع ميتة السوء عن الإنسان " [٣].

---

(١) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤ صـ ١٢١. السيد نعمة الله الجزائري : نور البراهين جـ ٢ شرح صـ ٢٢٠.

(٢) الشيخ الصدوق : علل الشرايع جـ ١ صـ ١٠٦.

(٣) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ صـ ٢٤٦.

وهذا الكلام كان في علم الله تعالى مقيداً بشرط ، وهو عدم التصدق ، والنبي – ﷺ – مع هذا القيد صادق كصدق الشرطية ، والمخبر به من الله صادق أيضاً ؛ لأنه مأمور بتبليغه ، وعدم وقوع متعلقه ، لأن انتفاء الشرط لا ينافي صدقه . نعم فيه دلالة على أن الأنبياء لا يعلمون جميع أسرار القدر ، ولا يبعد أن يكون الغرض من أمرهم بتبليغ أمثال ذلك [1] أن يظهر للخلق أن الله تعالى علوماً لا يعلمها إلا هو ، والله أعلم [2]. أقول : ألا يبطل ذلك علمه بالغيب ؟ .

وسئل أبو عبد الله – عليه السلام – : هل يكون اليوم شيء من فعله وفعل عباده لم يكن في علم الله بالأمس ؟ قال :" لا من قال هذا ؛ فأخزاه الله ، قيل له : أرأيت ما كان ، وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله ؟ قال : بلى قبل أن يخلق الخلق ، قال الشارح : لاستحالة الجهل عليه ، وتجدد العلم له ؛ وفيه دلالة على ثبوت البداء له تعالى ، وعلى أن بدائه ليس من جهل [3].

وعن الصادق – عليه السلام –:" إن القتل قد كتب على إسماعيل مرتين ، فسألت الله في دفعه عنه ، فدفعه فالبداء المراد هنا : ما ظهر من الله تعالى فيه من دفاع القتل عنه ، وقد كان مخوفاً عليه من ذلك ، مظنوناً به ، فلطف به في دفعه عنه [4].

<u>من آثار التقديس في عقيدة البداء : اعتقاد أن بين الوجود والعلم وسائط لابد منها :</u>

تدعي الاثنا عشرية : أن هناك " ستة أمورٍ لابد منها في خلق كل شخص من أشخاص الموجودات ، وإيجاد كل فرد من أفراد المخلوقات ، وبين تلك الأمور ترتب ، وتناسب في لحاظ العقل [5].

سئل العالم – عليه السلام – كيف علم الله ؟ قال : علم في الأزل بأنه سيوجد الأشياء ، وهذا العلم بعينه هو العلم بها بعد وجودها ؛ لأن العلم بالأشياء قبل وجودها وبعده واحد ، وأن العلم نفس ذاته ، ولا معلوم سواه ، فلما أحدث المعلومات ، وقع العلم منه عليها ، وشاء ما يكون في وجوده مصلحة ، ويكون وجوده خيراً محضاً ، أو خيراً غالباً [6] ، وأراد إرادة عزم فهي آكد من المشيئة وأخص منها ؛ وقد يعبر عنها بأنها : العزيمة والثبوت على ما يشاء ، يعني الجد فيه ، وقدر ،

---

(١) علق الميرزا أبو الحسن الشعراني :" لعل النبي أخبر بذلك مقيدا ولم ينقل ولعل كلام الشارح يخالف نفس الحديث الذي هو في شرحه " انظر تعليقه على كلام مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ هامش صـ ٢٤٧.

(٢) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٢٤٧ بتصرف .

(٣) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٢٥١ بتصرف .

(٤) عدة محدثين : الأصول الستة عشر صـ ٥٠.

(٥) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٢٥٧.

(٦) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٢٥٦.

وقضى ، وأمضى ، أي نفذ حكمه ، وأتمه ، فجاءت الأشياء كما أرادها ، وقدرها ، وقضاها مع أسبابها ، وشرائطها ، وتميزاتها ، وتشخصاتها في أماكنها ، ومساكنها طوعاً ، وانقياداً لقدرته القاهرة [1] .

فقضى ما أمضى ، وأمضى ما قدر ، وقدر ما أراد ، فبعلمه كانت المشيئة ، وبمشيئته كانت الإرادة ، وبإرادته كان التقدير ، وبتقديره كان القضاء ، وبقضائه كان الإمضاء .

والعلم متقدم على المشيئة [2] ، والمشيئة ثانية ، والإرادة ثالثة ، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء ، فلله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء ، وفيما أراد لتقدير الأشياء ، فإذا وقع القضاء بالإمضاء ، فلا بداء فالعلم في المعلوم قبل كونه ، والمشيئة في المنشأ قبل عينه ، والإرادة في المراد قبل قيامه ، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ، ووقتاً ، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ذوي لون ، وريح ، ووزن ، وكيل ، وما دب ، ودرج من أنس ، وجن ، وطير ، وسباع ، وغير ذلك مما يدرك بالحواس "[3].

فبالعلم علم الأشياء قبل كونها ، وبالمشيئة عرف صفاتها ، وحدودها ، وأنشأها قبل إظهارها ، وبالإرادة ميز أنفسها في ألوانها ، وصفاتها ، وبالتقدير قدر أقواتها ، وعرف أولها وآخرها ، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ، ودلهم عليها ، وبالإمضاء شرح عللها ، وأبان أمرها ، وذلك تقدير العزيز العليم [4].

وقد اختلف العلماء في هذا الحديث فإن " الظاهر أنه تأكيد لثبوت البداء له تعالى ، ويحتمل أن يكون بياناً ، وتعليلاً لعدم ثبوت البداء له في المفعولات العينية المدركة بالحواس ؛ لأن المراد بالبداء هنا هو : أن يفعل ما يشاء فعله وإيجاده ، وهذا المعنى لا يمكن تحققه في شيء بعدما فعله وأوجده ، نعم يمكن له أن يعدمه ، ويزيل وجوده ؛ لحكمة ومصلحة ، كما في النسخ وغيره ، وهذا أيضا من البداء ، ولكن المراد بالبداء المنفي هو البداء في إيجاد الموجود [5].

<u>من آثار التقديس في عقيدة البداء : تشبيه الله – عز وجل – بخلقه :</u>

---

(١) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٢٥٧.

(٢) يقول الميرزا أبو الحسن الشعراني : "المراد به التقدم بالعلية ، وبذلك ثبت أن العلية لا تقتضي التقدم الزماني ، بل العلية نفسها مناط التقدم " . انظر مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ هامش صـ ٢٥٨.

(٣) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٨ – ١٤٩.

(٤) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٤ هامش صـ ٢٥٥-٢٥٦.

(٥) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٢٦١.

تقول الاثنا عشرية : إن نظير القول بالبداء أن الصانع منا لشيء لابد أن يتصور ذلك الشيء أولاً ، وأن تتعلق مشيئته ، وميله إلى صنعه ثانياً ، وأن يتأكد العزم عليه ثالثاً ، وأن يقدر طوله ، وعرضه ، وحدوده ، وصفاته رابعاً ، وأن يشتغل بصنعه ، وإيجاده خامساً ، وأن يمضي صنعه سادساً ، حتى يجيء على وفق ما قدره ، إلا أن هذه الأمور في صنع الخلق لا تحصل إلا بحيلةٍ ، وهمةٍ ، وفكرٍ ، وشوقٍ ، ونحوها بخلاف صنع الحق ؛ فإنه لا يحتاج إلى شيء من ذلك [١] .

الرد على عقيدة البداء :

حينما يعد أبو جعفر صفات الله – عز وجل – التي هي سبب في وجود المخلوقات ، لا يعد منها البداء؛ فعن أبي جعفر – عليه السلام – :" لا يكون شيء في الأرض ، ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبعة : بمشيئة ، وإرادة ، وقدر ، وقضاء ، وإذن ، وكتاب ، وأجل ، فمن زعم : أنه يقدر على نقص واحدة منهن فقد كفر "[٢] ، وعن أبي عبد الله – عليه السلام – قال :" القضاء ، والقدر خلقان من خلق الله ، والله يزيد في الخلق ما يشاء "[٣] .

يقول المحقق الطوسي : إن الإمامية " لا تقول بالبداء ، وإنما القول به ما كان إلا في رواية رووها عن جعفر الصادق – عليه السلام – أنه جعل إسماعيل القائم مقامه بعده ، فظهر من إسماعيل ما لم يرتضه منه ، فجعل القائم مقامه موسى – عليه السلام – فسئل عن ذلك ؛ فقال : بدا لله في إسماعيل ، وهذه رواية وعندهم – يعني أهل السنة – أن خبر الواحد لا يوجب علماً ، ولا عملاً " [٤] .

وعن أبي عبد الله – عليه السلام – :" إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم " [٥] ؛ فكيف يعلم الإمام ، ولا يعلم الله سبحانه ، وعنه أيضا أنه سُئل :" هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس ؟ قال : لا ، من قال هذا فأخزاه الله ، قيل له : أرأيت ما كان ، وما هو كائن إلى يوم القيامة ، أليس في علم الله ، قال : بلى ، قبل أن يخلق الخلق " [٦].

حكم البداء عند أهل السنة :

---

(١) المصدر السابق جـ ٤ صـ ٢٥٧.

(٢) أحمد بن محمد بن خالد البرقي : المحاسن جـ ١ صـ ٢٤٤.

(٣) المصدر السابق جـ ١ صـ ٢٤٥.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤ صـ ١٢٣ .

(٥) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ٢٥٨. الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات صـ ٣٨.

(٦) الكليني : أصول الكافي جـ ١ صـ ١٤٨. الحر العاملي : الفصول المهمة جـ ١ صـ ٢٢٦.

يعتقد أهل السنة أن البداء مستحيل على الله تعالى [1] ، الذي هُوَ تَجَدُّدُ الْعِلْمِ ، أو أَنْ يُرِيدَ الشَّيْءَ دَائِمًا ، ثُمَّ يَنْتَقِلَ عَنْ الدَّوَامِ لأَمْرٍ حَادِثٍ لا بِعِلْمٍ سَابِقٍ ، أَوْ يَكُونَ سَبَبُهُ دَالاً عَلَى إفْسَادِ الْمُوجِبِ لِصِحَّةِ الأَمْرِ الأَوَّلِ ، بِأَنْ يَأْمُرَهُ لِمَصْلَحَةٍ لَمْ تَحْصُلْ ، فَيَبْدُو لَهُ مَا يُوجِبُ رُجُوعَهُ عَنْهُ ، أو أن البداء أن يظهر له ما كان خفياً ، ونحن لا نقول فيما ينسخ أنه ظهر له ما كان خافياً عليه ، بل نقول : إنه أمر به ، وهو عالم أنه يرفعه في وقت النسخ ، وإن لم يطلعنا عليه ، فلا يكون ذلك بداءً ؛ وَهُوَ كُفْرٌ بِإِجْمَاعِ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ[2]- رَحِمَهُ اللَّهُ - : مَنْ قَالَ إنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ عَالِمًا حَتَّى خَلَقَ لِنَفْسِهِ عِلْمًا فَعَلِمَ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ[3] .

وزعم بعضهم : أنه يجوز على الله تعالى البداء فيما لم يطلع عليه عباده ، وهذا خطأ ؛ لأنهم إن أرادوا بالبداء أن يظهر له ما كان خفياً عنه ، فهذا كفر ، وإن كانوا أرادوا به تبديل العبادات ، والفروض فهذا لا ننكره ، إلا أنه لا يسمى بداءً ؛ لأن حقيقة البداء ما بينا ، ولم يكن لهذا القول وجه .

أما نسخ الفعل قبل دخول وقته فيجوز ، وليس ذلك ببداء ، والدليل على جواز ذلك : أن الله تعالى أمر إبراهيم - عليه السلام- بذبح ابنه ، ثم نسخه قبل وقت الفعل ، فدل على جوازه [4].

والبداء مستحيل على الله ؛ إذْ هُوَ الْعَالِمُ بِالْعَوَاقِبِ ، فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَبْدُوَ لَهُ عِلْمُ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ عَلِمَهُ فِي الْأَوَّلِ [5] .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :" يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ " [6] ؛ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ نَسْخِ الْأَخْبَارِ - وهو معنى البداء - إذَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى نَسْخَهَا .

---

(١) فخر الدين الرازي : المحصول في علم الأصول ، تحقيق : طه جابر فياض العلواني ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض ، ط١ ، ١٤٠٠ هـ جـ ٣ صـ ٤٧٤.

(٢) أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلِ بنِ هِلاَلِ بنِ أَسَدِ بنِ إِدْرِيْسَ : الذُّهْلِيُّ ، الشَّيْبَانِيُّ ، المَرْوَزِيُّ ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ ، أَحَدُ الأَئِمَّةِ الأَعْلاَمِ ، ولد ١٦٤هـ. صلى عليه يوم مات أَلفَ أَلفٍ وَثَلاَثَمائَةِ أَلْفٍ. توفى : ٢٤١هـ ، وله ٧٨ سنة . الذهبي : سير أعلام النبلاء جـ ٢١ صـ ٢١٢ – ٤٢٣.

(٣) ابن النجار : شرح الكوكب المنير جـ ٣ صـ ٥٣٦ – ٥٣٧ بتصرف .

(٤) أبو إسحاق الشيرازي : اللمع في أصول الفقه ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م صـ ٢٩ – ٣٠ بتصرف .

(٥) الجصاص : الفصول في الأصول جـ ٢ صـ ١٩٧ – ١٩٨.

(٦) سورة الرعد : آية رقم ٣٩.

قِيلَ: لَهُ لَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى مَا ذَكَرْت ؛ لِأَنَّهُ تعالى لَمْ يَقُلْ : يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَعَانِي الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ مِنْ جِهَتِهِ ، فَإِنْ تَعَلَّقْت بِعُمُومِهِ فَجَعَلْته عَلَى الْخَبَرِ وَغَيْرِهِ ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْك أَوَّلًا أَنْ تُثْبِتَ أَنَّ نَسْخَ مَعَانِي الْأَخْبَارِ مِمَّا يَجُوزُ أَنْ يَشَاءَهُ اللَّهُ ، وهَذَا سَفَهٌ وَقُبْحٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَشَاءَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ ابْنَ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ : إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبْدِلُهُ مَا يَشَاءُ مِنْ الْقُرْآنِ ، فَيَنْسَخُهُ ، وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ فَلَا يُبْدِلُهُ ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَاب ، يَعْنِي جُمْلَةَ ذَلِكَ عِنْدَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ [١] .

ومن أسباب استحالة البداء على الله أنه يلزم منه أن يكون المقتضى للمنسوخ غير المقتضى للناسخ [٢] ، ولأنه لو جاز أن يتصف به لكان الشيء مأموراً به ، ومنهياً عنه ، فيكون حسناً ، وقبيحاً ، وهذا يؤدي إلى الجهل بالعواقب ، وهو محال عليه تعالى [٣]؛ ولأَنَّهُ لَوْ جَازَ أَلَّا يَكُونَ مُرِيدًا لِمَا أَمَرَ بِهِ ، لَجَازَ أَنْ يَكُونَ مُرِيدًا بِضِدِّهِ ، وَلَوْ جَازَ ذَلِكَ لَمَا كَانَ الْمَأْمُورُ مُطِيعًا بِفِعْلِ مَا أُمِرَ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ إنَّمَا يَكُونُ مُطِيعًا لَهُ بِفِعْلِ مَا أَرَادَهُ مِنْهُ ، وَكَانَ لَا يَكُونُ عَاصِيًا بِفِعْلِ مَا نَهَاهُ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ قَدْ أَرَادَهُ مِنْهُ ، فَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُرْتَكِبُ النَّهْيِ مُطِيعًا لِلَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّهُ فَعَلَ مَا أَرَادَهُ مِنْهُ ، وَهَذَا يُوجِبُ سُقُوطَ مَعْنَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَيَجْعَلُ وُرُودَهُمَا عَبَثًا وَسَفَهًا ، فَإِذَا صَحَّ هَذَا ، ثُمَّ وَرَدَ الْأَمْرُ مُقْتَضِيًا لِإِرَادَةِ الْفِعْلِ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكْرَهَهُ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ مِنْهُ وَفِي النَّهْيِ عَنْهُ بَعْدَ الْأَمْرِ بِهِ ؛ كَرَاهَةٌ لِذَلِكَ الْفِعْلِ بِعَيْنِهِ مِنْ الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ ، وَهَذَا هُوَ الْبَدَاءُ الَّذِي هُوَ مَنْفِيٌّ عَنْ اللهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكْرَهُهُ بَعْدَ إرَادَتِهِ لَهُ إلَّا وَقَدْ اسْتَحْدَثَ عِلْمًا لَمْ يَكُنْ عَلِمَهُ وَقْتَ إرَادَتِهِ ، أَوْ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ عَبَثًا وَسَفَهًا فِي الِابْتِدَاءِ ، وَالْوَجْهَانِ جَمِيعًا مَنْفِيَّانِ عَنْ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ – وَلَيْسَ يَمْتَنِعُ أَنْ يُرَادَ الْفِعْلُ مِنْ وَجْهٍ وَيُكْرَهُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ ؛ فَتَتَعَلَّقُ الْإِرَادَةُ وَالْكَرَاهَةُ بِهِ مِنْ وَجْهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ ، فَأَمَّا مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ فَلَا[٤] .

وقد التبس أمر النسخ مع البداء عند اليهود فأنكروه من أصله ؛ مما ترتب عليهم إنكار تطور الشرائع وتبدلها ، كما التبس أمر النسخ أيضاً على الشيعة ، وإن أقروا بوقوعه ، لكنهم لم يفرقوا بينه وبين البداء، وظنوا أنه هو معنى قوله تعالى " يمحو الله ما يشاء ويثبت " ، فلزمهم نسبة

---

(١) الجصاص : الفصول في الأصول جـ ٢ ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) عبد القادر بدران : المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : محمد أمين ضناوي ، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م جـ ١ص ١٠٨.

(٣) سعد الدين التفتازاني : شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه ، تحقيق : زكريا عميرات ، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م جـ ٢ ص ٦٩ بتصرف .

(٤) الجصاص : الفصول في الأصول جـ ٢ ص ٢٣٢-٢٣٣.

الجهل إلى الله تعالى ، وهذا يوجب الكفر غير أني أستبعد عنهم هذه النسبة ، وإن خلطوا بين النسخ والبداء كما تفيده كتابات الأصوليين [1].

فإن قال قائل ما الفرق بين البداء والنسخ

قيل له وبالله تعالى التوفيق الفرق بينهما لائح وهو :

١- أن البداء هو أن يأمر بالأمر والأمر لا يدري ما يؤول إليه الحال ، والنسخ هو أن يأمر بالأمر والآمر يدري أنه سيحيله في وقت كذا ، وقد سبق ذلك في عمله وحتمه من قضائه فلما كان هذان الوجهان معنيين متغايرين مختلفين وجب ضرورة أن يعلق على كل واحد منها اسم يعبر به عنه غير اسم الآخر ليقع التفاهم .

٢- البداء ليس من صفات الباري تعالى بمعنى : أن يأمر بالأمر لا يدري ما عاقبته ، فهذا مبعد من الله - عز وجل - سواء سموه نسخاً أو بداء أو ما أحبوا ، وأما النسخ فمن صفات الله تعالى من جهة أفعاله كلها ، وهو القضاء بالأمر قد علم أنه سيحيله بعد مدة معلومة كما سبق في علمه تعالى ، سواء سموه نسخاً ، أو بداء أو ما أحبوا من الأسماء [2].

٣- في حالة النسخ يعلم الله تعالى من الأزل أن ما أمر به من الأفعال محقق للمصلحة في وقت من الأوقات ، ونسخه محقق للمصلحة في وقت آخر، مثل إباحته الأكل في ليالي رمضان وتحريمه في نهاره ، كما قيل : إنها شؤون يُبْدِيها لا شؤون يَبْتَدِيها أي : يبديها لعباده بحسب ما يرى من المصالح عند حلول وقته ولا يبتدئها في تقديرها أي : مقدرة في علمه منذ الأزل [3].

٤- النسخ تحويل العبادة من شيء إلى شيء قد كان حلالا فيحرم ، أو كان حراما فيحلل ؛ وأما البداء فهو ترك ما عزم عليه ، فيبدو له العدول عن القول الأول، وهو يلحق البشر لنقصانهم [4].

---

(١) د وهبة الزحيلي : أصول الفقه الإسلامي ، نشر دار الفكر - دمشق ، ط ١٤ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م جـ ٢ ص ٢٣٥-٢٣٦ بتصرف.

(٢) ابن حزم : الإحكام في أصول الأحكام ، نشر دار الحديث – القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٤هـ جـ ٤ ص ٤٧١ - ٤٧٢ .

(٣) د وهبة الزحيلي : أصول الفقه الإسلامي جـ ٢ ص ٢٣٦-٢٣٧ بتصرف.

(٤) القرطبي : تفسير القرطبي جـ ١ ص ٢٥٥ - ٢٥٦.انظر د وهبة بن مصطفى الزحيلي : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، نشر دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة الثانية ، ١٤١٨ هـ جـ ١ ص ٢٦٨.

٥- البداء: أن يستصوب المرء رأياً ، ثم ينشأ له رأي جديد ، لم يكن معلوماً له ؛ فيستلزم تغييراً في علم الله تعالى ، أما النسخ فهو تغيير الحكم الشرعي بآخر بعده في التوقيت ، وقد علم الله الحكمين قبل التكليف به فلا يستلزم تغييراً في علم الله تعالى (١) .

٦- البداء يكون في أحوال ثلاث : الأولى : إذا كان الفعل مستلزماً لمصلحة ، فالأمر به بعد النهي عنه إنما يكون لظهور ما كان خافياً من المصلحة ، الثانية : إذا كان الفعل مستلزماً لمفسدة ، فالأمر بهد بعد النهي عنه إنما يكون لظهور ما كان خفيٌ من المفسدة ، الثالثة : الإخبار بنقيض ما أخبر به سابقاً ؛ وذلك لظهور علم لم يكن موجوداً ، فالنسخ رحمة من الله ، وتدرج في التشريع ، ولا يوجب لهم إفساد المصلحة من الحكمين ، بل هو تدرج ، بينما البداء يوجب فساد المصلحة التي كان مقضياً من أجلها (٢) .

٧- النسخ تبديل في المعلوم لا في العلم ، وتغير في المخلوق لا في الخالق ، وكشف لنا ، وبيان عن بعض ما سبق به علم الله القديم المحيط بكل شيء ، والبداء عكسه (٣).

ما الذي يدخل فيه البداء :

هناك صور لا يقع فيها النسخ ولا البداء وهي : التوحيد ، أصول العبادات ، أصول المعالات ، مكارم الأخلاق ، كالصدق ، والعفاف ، والخبر الصريح كالوعد ، والوعيد (٤) ، وهناك صور لا يصح إطلاق النسخ عليها ، مثل " تخلف الحكم ؛ لوجود مانع ، كتخلف وجوب الصلاة ؛ لوجود مانع الحيض ، ورفع الحكم بموت ، أو جنون ، وتخلف الحكم ؛ لفوات شرطه ، كتخلف وجوب الزكاة ؛ لنقص النصاب (٥) .

ويجوز نسخ الحكم الذي أتى بصورة الخبر كقوله تعالى :" إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين "(٦) ، نسخت بقوله تعالى :" الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم

---

(١) قتادة بن دعامة السدوسي : الناسخ والمنسوخ ، تحقيق : حاتم صالح الضامن، نشر مؤسسة الرسالة – بغداد، ط٣، ١٤٠٩هـ صـ ٧ بتصرف.

(٢) د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد ، هامش صـ ١٧٤.

(٣) د محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة ، ط٣ ، طبعة مخصصة لطلاب كلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة – جامعة الأزهر ، دت جـ ٢ صـ ١٨٣ بتصرف .

(٤) مصطفى سلامة : التأسيس في أصول الفقه ، نشر المكتبة الإسلامية – القاهرة ، ط٥ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م صـ ٣٣١.

(٥) المصدر السابق صـ ٣٣٢.

(٦) سورة الأنفال آية رقم ٦٥.

عشرون صابرون يغلبوا مائتين " [١] ، والسر في عدم دخول النسخ في الصور السابقة هو أن لازم ذلك الطعن في المخبر ؛ إما بتكذيب ، وإما بالنسيان ، وإما بالخطأ ، وإما بعدم العلم ، وكل هذا ممتنع [٢] .

ويجوز نسخ الحكم الشرعي قبل العمل به ، وقد وقع شرعاً ، وعليه فهو جائز عقلاً ، مثل نسخ الصلوات ، فقد فرضت خمسين ، ولم يعمل بهن ، ونسخت إلى خمس ، وقصة ذبح إسماعيل ، والحكمة من نسخ الحكم قبل التمكن من العمل به هو الابتلاء ؛ ليرى منهم الامتثال لأمره [٣] .

السبب الذي من أجلها اعتقدت الشيعة بالبداء:

والعلة في اعتقاد البداء :" أن الأئمة الرافضة وضعوا القول بالبداء لشيعتهم ، فإذا قالوا : إنه سيكون لهم أمر ، وشوكة ، ثم لا يكون الأمر على ما أخبروه ، قالوا : بدا لله تعالى فيه "[٤].

ويقال لهم : أليس الله تعالى قد ملك قوماً من الكفار العصاة الظلمة ، ومكنهم ، وأذل قوماً من الكفار العصاة الظلمة ، وملك غيرهم رقابهم ، وملك قوماً صالحين فضلاء مؤمنين ، ومكنهم ، وبسط أيديهم ، وأذل قوماً صالحين فضلاء مؤمنين ، وملك غيرهم رقابهم ، ومد أعمار قوم كفار طغاة ، واخترم آخرين منهم قبل بلوغ الاكتهال ، وفعل مثل ذلك بقوم مؤمنين أفاضل ، ومكن قوماً عصاة مردة من البيان والكلام في العلوم حتى أضلوا أمما من الخلق ، وجعل آخرين منهم بلداء أغبياء ، وفعل مثل ذلك أيضاً بالمؤمنين سواء بسواء ، فما الذي جعل هذا حكمه دون عكس كل ذلك ، وما الفرق بين هذا من أفعاله تعالى ، وبين أن يأمر اليوم بأمر ، ثم ينهى عن مثله غداً ، وما يفرق بين كل ما ذكر إلا عديم عقل ، أو وقح سخيف .

فإن قالوا : إن هذا هو البداء لزمهم مثل ذلك في كل ما ذكرنا آنفا ، وفي إحيائه من يحيي ، ثم إماتته ، وفي إغنائه من يغني ، ثم إفقاره ، وفي تصحيحه جسم من يرزقه العافية ، ثم يمرضه ، وفي الهرم بعد الفتوة لزم الروافض على ذلك وصف الباري تعالى بالجهل مع النصوص القطعية ، والأدلة العقلية الدالة على استحالة ذلك في حقه ، وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ، ولا في السماء .

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٦٦.

(٢) مصطفى سلامة : المساعد في أصول التفسير ، نشر مكتبة الهدف – القاهرة ، ط ١، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م صـ ٣٤٥ بتصرف .

(٣) الشيخ مصطفى سلامة : التأسيس في أصول الفقه على ضوء الكتاب والسنة صـ٣٣١- ٣٣٢.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٤ صـ ١٢٣.

وإن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين : لم يظهروا معهما من أئمتهم على كذب أبداً ، وهما : القول بالبداء ، وإجازة التقية ، فأما البداء فإن أئمتهم لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتها في العلم فيما كان ، ويكون من الأخبار ، وما يكون في غد ، وقالوا لشيعتهم أنه سيكون في غد ، وفي غابر الأيام كذا وكذا ، فإن جاء ذلك الشيء على ما قالوه ، قالوا لهم ألم نعلمكم أن هذا يكون ؛ فنحن نعلم من قبل الله ما علمته الأنبياء ، وبيننا وبين الله مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء بها عن الله ما علمت ، وإن لم يكن ذلك الشيء الذي قالوا إنه يكون على ما قالوه ، قالوا بدا الله في ذلك فلم يكونه ... فمتى يعرف الحق من الباطل ؟ ، والصدق من الكذب ؟ " [1].

عن أبي جعفر – عليه السلام – :" فإذا حدثناكم الحديث ، فجاء على ما حدثناكم به ، فقولوا : صدق الله ، وإذا حدثناكم الحديث ، فجاء على خلاف ما حدثناكم به ، فقولوا : صدق الله ، تؤجروا مرتين" [2].

أما النصوص الكتابية فكقوله تعالى :" وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " [3] ، وقوله تعالى: "عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ " [4] ، وقوله تعالى: " وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ " [5] ، وقوله تعالى : " مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ[6].

والعلة في جعل البداء من عقائدهم أن الذي يريد أن يكذب على أهل البيت فإنه كان يدعي العصمة لنفسه ، ويخبر بأشياء ، فإذا ظهر كذبه فيها ، قال : إن الله وعدني بذلك غير أنه بدا له منه ، وأسند ذلك إلى أهل البيت مبالغة في ترويج أكاذيبه .

وأما قوله تعالى " يمحو الله ما يشاء " فالمراد بها إنما هو محو المنسوخ ، وإثبات الناسخ ، ومحو السيئات بالحسنات كما قال تعالى :" إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ " [7] ، ومحو الحسنات بالردة

---

(١) الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ٧٨ – ٧٩ .

(٢) قال علي أكبر غفاري : " مرة للتصديق وأخرى للقول بالبداء " . انظر الكليني : أصول الكافي جـ ١ ص ٣٦٨– ٣٦٩. مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي جـ ٦ ص ٣٣٤.

(٣) سورة الحديد : آية رقم ٣ .

(٤) سورة الرعد : آية رقم ٩ .

(٥) سورة الأنعام : آية رقم ٥٩ .

(٦) سورة الحديد : آية رقم .

(٧) سورة هود : آية رقم ١١٤ .

على ما قال تعالى : " وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " [١] ، أو محو المباحات ، وإثبات الطاعات على ما قاله أهل التفسير ، أو محو ما يشاء من الآجال ، أو الأرزاق ، وإثبات غيرها ويجب الحمل على ذلك جمعا بينه وبين الأدلة القاطعة الدالة على امتناع الجهل في حق الله تعالى [٢].

إذ النسخ ليس في الحقيقة إلا بيان مدة الحكم التي هي غيب عن العباد ، فلا يكون هذا من البداء في شيء ؛ لأن النسخ توقيت بالنسبة إلى الماضي ، وإعدام بالنسبة إلى المستقبل ؛ لأن شرعية الأحكام لمنافع تعود إلى العباد ؛ إذ الشارع منزه عن نفع وضرر يعود إليه ، وقد يتبدل المنفعة بتبدل الأزمان ، والأحوال ، ولا يعلم بذلك إلا العليم ، فكان تبديل الحكم بناء على تبديل الأحوال من باب الحكمة لا من باب البداء[٣] ؛ لأن علم الله قديم أزلي، وهو من لوازم ذاته المخصوصة، وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالا.

وقوله تعالى : وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ يعني أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل ، وسمي اللوح المحفوظ أم الكتاب ؛ لأن جميع الأشياء مثبتة فيه ، ومنه تنسخ الكتب المنزلة ، وقيل : إن العلوم كلها تنسب إليه ، وتتولد منه ، قال ابن عباس : هما كتابان كتاب يمحو الله منه ما يشاء ، ويثبت ما يشاء ، وأم الكتاب الذي لا يغير شيء منها ، و قال أيضاً : إن لله لوحاً محفوظاً مسيرة خمسمائة عام ، من درة بيضاء له دفتان من ياقوتة ، لله فيه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يمحو الله ما يشاء ، ويثبت ، وعنده أم الكتاب، وسأل ابن عباس كعب بن مالك عن أم الكتاب فقال : علم الله ما هو خالق ، وما خلقه ، وما هم عاملون [٤].

البداء عند اليهود :

---

(١) سورة البقرة : آية رقم ٢١٧ .

(٢) الآمدي : الإحكام في أصول الأحكام تحقيق : د. سيد الجميلي نشر دار الكتاب العربي – بيروت ، ١٤٠٤هـ جـ ٣ صـ ١٢١ – ١٢٢ بتصرف . أبو المعالي الجويني : البرهان في أصول الفقه تحقيق : د عبد العظيم محمود الديب ، نشر مكتبة الوفاء – المنصورة ، ط٤ ، ١٤١٨هـ جـ ٢ صـ ٨٤٧ بتصرف . ابن اللحام : المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : د محمد مظهر بقا ، نشر جامعة الملك عبد العزيز – مكة ، د ت صـ ١٣٧. أبو الحسين البصري : المعتمد في أصول الفقه ، تحقيق : خليل الميس ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ ، ١٤٠٣هـ جـ ١ صـ ٣٦٨ – ٣٦٩.

(٣) عبد العزيز بن علاء الدين البخاري : كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي ، تحقيق : عبد الله محمود محمد عمر ، نشر دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م جـ ١ صـ ٢٣٩ – ٢٤٠.

(٤) سورة الرعد : آية رقم ٣٩.

تقر اليهود بوقوع البداء من الله ، كما ثبت ذلك في توراتهم ، ففي سفر التكوين :" ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض . وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم . فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض . وتأسف في قلبه . فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات الأرض وطيور السماء . لأني حزنت أني عملتهم " [1].

وفي سفر الخروج يخاطب موسى – عليه السلام- ربه فيقول " لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض . ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك . أذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد . فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه " [2] ، وفي سفر القضاة :" لأن الرب ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقهم وزاحميهم" [3].

وفي سفر صموئيل الثاني : " وبسط الملاك يده على أورشليم ؛ ليهلكها ؛ فندم الرب عن الشر ، وقال للملاك المهلك الشعب كفى الآن رد يدك " [4].

وبهذه النصوص يظهر جلياً عقيدة البداء والندم عند اليهود تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

---

(١) الكتاب المقدس : العهد القديم ، سفر التكوين ، الإصحاح السادس آية رقم ٥ – ٨ ص ١٠-١١.

(٢) الكتاب المقدس : العهد القديم ، سفر الخروج ، الإصحاح ٣٢ آية رقم ١٢ – ١٤ ص ١٤٠-١٤١.

(٣) الكتاب المقدس : العهد القديم ، سفر القضاة ، الإصحاح الثاني آية رقم ١٨ ص ٣٨٢.

(٤) الكتاب المقدس : العهد القديم ، سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح الرابع والعشرون آية رقم ١٦ ص ٥٢٦.

الخـــاتـمة

إن ما كتبته في طيات هذا البحث ما هي إلا نصوص من داخل كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، وكتب أهل السنة والجماعة – على اختلاف مشاربهم – .

وقد حاولت – قدر المستطاع – ألَّا أتحيز لمذهب بعينه – وإن كنت مقتنعاً به – ، ولم أتحيز – قدر طاقتي – لهوىً شخصيٍ ، ولا لعصبيةٍ عمياءٍ ، فإن الهدف الأسمى الذي أطمع في الوصول إليه : هو الحق – ما استطعت لذلك سبيلاً – .

لكن الكمال شيءٌ لا يُنال ، وغايةٌ لا تُدرك ، ولكنني حاولت التوسط في العرض ، والمقاربة في الرأي ، والدفاع إن استطعت ، وقد وجدت كثيراً من العقائد التي كنَّا نسمع عنها قديماً في كتب المتحدثين عن الشيعة هي في الحقيقة محضُ افتراءٍ ، فلم أجد من يعتقد تأليه الإمام عليٍ – رضي الله تعالى عنه – صراحةً في كتب الاثني عشرية ، ولم أجد من يصرح بنبوته – وإن كان يُفهم من كلامهم ذلك – ، وهذا من الموضوعية في النقل ، ولقد عزمت – متوكلاً على ربي – أن يكون بحثي القادم – إن شاء الله تعالى – عن العقائد المنسوبة للفرق الإسلامية – وخاصة الشيعة الاثني عشرية – وهي منها براءٌ ؛ عسى أن يكون سبباً في التقارب .

وفي الختام : بعد هذا الطريق الذي سلكته في بحثي حول قضية التقديس داخل العقيدة الشيعية – المتمثلة في فرقة من أهم وأكبر فرقهم وهي : الاثني عشرية – توصلت إلى عدة نتائج من أهمها :

١- أن التقديس قد تخلل في معظم عقائد الشيعة الاثني عشرية ، وأثَّر تأثيراً واضحاً في كل نواحي المذهب – إيجاباً و سلباً – .

٢- قدست الشيعة الاثنا عشرية أئمتهم تقديساً قريباً من تقديس رب العالمين ؛ فعبَّدوا الأسماء لهم ، ومنحوهم أسماء الله الحسنى ، وصفاته العلا عن طيب نفس ، وسماحة خاطر ، وسلبوها عن رب العالمين ، بل وتفهم من بعض عباراتهم أنهم يقولون بالاتحاد والحلول كمثل قولهم : خلطنا الله بنفسه ؛ فجعل ظلمنا ظلمه ، بل جعلوا الأئمة يتصرفون في الكون خلقاً وإعداماً.

٣- صرفت الشيعة الاثنا عشرية – بناءً على تقديس أئمتهم – مخ العبادة للأئمتهم ؛ فدعوهم من دون الله تعالى ، وقدسوهم أكثر من تقديس القبلة ؛ فتوجهوا إليهم بدلاً منها ، وقدسوا

قبورهم ، وبلادهم أكثر من تقديس المسجد الحرام ، والمسجد النبوي الشريف ، وجعلوا زيارتهم أعظم أجراً من الحج والعمرة .

٤- كانت بدعة الشيعة أشد من بدعة الخوارج ، فإن الخوارج كفروا بعض الصحابة ولم تكفر الجميع ، لكن الشيعة كفرت الصحابة إلا قليلاً ، بل كفرت من أجمعوا على فضله كأبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – وكذبوا على النبي – ﷺ – ما لم يكذبه غيرهم ، كما كانت أكثر من النصارى الذين لم يختلفوا في تفضيل حواري عيسى – عليه السلام – .

٥- قدست الشيعة الاثنا عشرية مذهبهم وفقهاءهم حتى جعلوا كل من عاداهم من أولاد الزنا ، ومن خالفهم – ولو في فرعٍ من فروع المذهب – كافراً ، بل خلدوهم في النار وبعضهم سماهم مسلم الدنيا ، كافر الآخرة .

٦- قدست الشيعة الاثنا عشرية أئمتهم أكثر من القرآن الكريم ؛ فهم والقرآن قرينان لا يفترقان في التشريع ، بل لا يفسره غيرهم – وإن كان على خلاف العقل والنقل – ، وهم الكتاب الناطق الذي يعصم من الفتن ، والقرآن الكتاب الصامت الذي لا يعصم إلا بهم ، بل لمَّا لم يجدوا في القرآن ما يؤيد عقائدهم قال بعضهم : بتحريفه ، وقال بعضهم : بأن الأئمة زادوا تفسيراً له لم تؤمن به غيرهم من الفرق ، وفسروا كثيراً من ألفاظ القرآن بالأئمة وما يتعلق بولايتهم ، بل ادعوا نزول كتب غير القرآن على فاطمة والأئمة – عليهم السلام – ، وأن القرآن الصحيح لا يوجد إلا مع غائبهم المختلفين على ولادته ، واسم امه ، وصحة تسميته باسمه ، ويوم خروجه ، ومكان وجوده بل اختلفت الشيعةُ قاطبةً على شخص الإمام المهدي – الذي تعطلت كثيرٌ من العبادات بسبب غيبته – فهو أقدس من العبادة عندهم .

٧- قدست الشيعة الاثنا عشرية أئمتهم أكثر من تقديس الأنبياء ؛ ففضلوهم عليهم إلا نبينا محمد – ﷺ – ، وجعوا الانبياء مطالبين بالإيمان بإمامتهم ، بل ساووا بينه – ﷺ – وبين أئمتهم في كل شيء إلا في الوحي الجلي ، أما أئمتهم فلهم وحيٌ أيضاً لكن ليس جلياً ، وجعلوا سنتهم مساوية لسنته في التشريع ، بل لو تعارضت سنته – ﷺ – مع أقوالهم قدمت سنتهم ؛ لأن أقوالهم تنسخ ، أو تخصص ، أو تقيد ، أو تبين القصد من كلام النبي – ﷺ – فكان ذلك خرقاً لعقيدة ختم النبوة ، بل فضلوا الإمام الغائب على النبي – ﷺ – فالنبي ميت مقبور غائب ، والإمام حيٌ حاضرٌ يظهر لأتباعه ، وينجيهم من الشدائد والمحن ، ويحل لهم إشكلات كتبهم .

٨- لم تسلم عقيدة اليوم الآخر من التقديس ؛ فقد جعلت الشيعة الاثنا عشرية اليوم الآخر - من أول موت الشيعي وغيره ، إلى إسكان المؤمنين في منازلهم في الجنة ، وإدخال الكافرين إلى دركاتهم في النار - ملكاً خالصاً لأئمتهم .

٩- قدست الشيعة الاثنا عشرية أئمتهم أكثر من تقديس الملائكة ؛ فجعلوهم خدماً لهم ، وجعلوهم أعلم من الروح القدس - عليه السلام - ومن جميع الملائكة ، بل اتهموهم بعدم العصمة ، وأنهم يختلفون وهم قضاتهم .

١٠- أثر تقديس الأئمة على عقيدة الإيمان بوجود الجن فجعلوا الجن خدماً للأئمة ، ودعوهم من دون الله في الشدائد بناء على نصوص نسبوها إلى أئمتهم ، واستخدموهم في خداع المؤمنين .

١١- قدست الشيعة الاثنا عشرية الأئمة حتى اعتقدوا فيهم العصمة التي لا تنبغي إلا لرب العالمين التي يمكن أن نطلق عليها : العصمة اللاهوتية ؛ فقالوا أن الأئمة لا يرتكبون صغيرةً ، ولا كبيرةً ، ولا يسهون ، ولا ينسون ، ولا يتركون واجباً ، ولا مندوباً ، ولم يفتهم شيء من علوم الدنيا والآخرة ، حتى الغيب علموه ، مع كون القرآن والروايات التي رووها عن أئمتهم لم تقل بهذه العصمة المطلقة لا للنبي - ﷺ - أولاً ، ولا لأحد من أئمتهم ؛ فهناك ما يخرق العصمة من رواياتهم المعتمدة في كتبهم .

١٢- قدست الشيعة الاثنا عشرية الكذب ؛ فأطلقوا عليه اسم التقية ، وتعبدوا لله به ، وجعلوه تسعة أعشار الدين ، وحكموا على من لم يتق بالكفر ، وأحلوا الحلف كذباً ، والصلاة خلف المخالف من باب التقية ، واستباحوا دماء ، وأموال ، وأعراض مخالفيهم إن لم تدعهم إلى ذلك التقية ، كما قدسوا مخالفة أهل السنة في كل شيء حتى لعنوهم ، وأنكروا ما هو ثابت مثل بنات النبي - ﷺ - غير فاطمة - رضي الله عنها - .

١٣- قدست الشيعة الاثنا عشرية أرواح وأجساد الأئمة والشيعة من أتباعهم ؛ فقالوا بخلودهم منذ عالم الأظلة والذر - وإن غابوا عن الأبصار سنوات تزيد على الألف ؛ فهم أحياء يرزقون - حتى يخلدون في الجنة ، وذلك باعتقاد رجعتهم بعد موتهم ، ورجعة مخالفيهم ؛ لينتقموا منهم ؛ وليعيدوا مجدهم المأمول .

١٤- قدست الشيعة الاثنا عشرية علوم أئمتهم ؛ فلم يختلفوا في سعة علمهم بما كان ، وما يكون ، وما هو كائن إلى يوم القيامة ، بينما تناقضوا في اعتقاد البداء على الله - عز وجل - بين قائل به ، وبين منكرٍ له ، وبين مؤل لنصوصه .

١٥- أثرت هذه العقائد في تمزيق الصف الإسلامي ، فحينما نسمع بهذه الفروقات الكبرى بين عقائد أهل السنة ، وعقائد الشيعة الاثنى عشرية ؛ يعترينا الأمل في جمع الشمل حول مظلة القرآن والسنة حتى وإن كان في آخر الزمان على الأقل ؛ لكننا نجدهم يعتقدون رجعة الأئمة ؛ لقتل الصحابة ومن تبعهم .

١٦- إن الاختلاف مع الشيعة الاثني عشرية هو اختلافٌ أصوليٌ ، وليس فرعياً ؛ وذلك لأنهم جاءوا بأصول جديدة يريدون أن يلزموا بها المسلمين كالإمامة ، والعصمة ، والتقية ، والرجعة ، والبداء ، أو أنكروا أصولاً ثابتة من أصول الدين ، مثل : التوحيد الخالص ، وختم النبوة ، وحفظ القرآن من التحريف التي هي أسس جمع الشمل ! .

١٧- براءة الصحابة – رضي الله عنهم – من حب الرياسة والزعامة ، وخروج قداسة الدنيا من قلوبهم ؛ فلم يعبدوا إلا الله تعالى ، ولم يتبعوا غير القرآن والسنة ، والدليل على ذلك : أن أبا بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم – ماتوا فقراء ولم يتول واحد من أولادهم الخلافة بعدهم ولم يوص واحد منهم لولده بالخلافة .

١٨- أن حب الصحابة لآل البيت – عليهم السلام – وواضح وجلي ؛ فهو ليس بالجفاء كفعل النواصب ، ولا بالتقديس المذموم كفعل الروافض ، بل جعلوهم في محلهم من الإحترام والتقدير ، وعلو القدر دون إفراط ولا تفريط .

١٩- أن الروافض حينما منحوا صفات الله – عز وجل – للأئمة لم يكن ذلك تقديساً لهم وحسب ، بل كان ثلماً في تقديس الله – سبحانه وتعالى – بتشبيهه بخلقه ؛ فإن خالد بن الوليد – رضي الله عنه – حين سماه رسول الله – ﷺ – : سيف الله ، قضي رب العالمين أن يموت خالد على فراشه ؛ حتى لا يقول قاتله : كسرت سيف الله ، فما بال الشيعة الاثني عشرية حين يقولون عن الإمام على – رضي الله عنه – : يد الله ، وجنب الله ، ووجه الله ، فماذا يقول قاتله حينها ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون .

٢٠- في النهاية : يوصي الباحث أهل السنة جميعاً – علماء وغيرهم– أن يترفقوا بعوام الشيعة الاثني عشرية ؛ فهم لا يحدوهم إلى طاعة فقهاؤهم الذين قدسوا أنفسهم تقديس الأئمة والأنبياء من بني إسرائيل – عليهم السلام – إلا حب الله – ﷻ – ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وأوصيهم أن يدعوا لهم بالهداية .

٢١- كما أوصي إخواني الشيعة الاثني عشرية – فقهاء وغيرهم – أن يتجردوا لله تعالى من العصبية المذهبية ، وأن ينظروا إلى ما هو أهم من خلافاتنا الداخلية ، ألا وهو : وحدة

الأمة الإسلامية ، التي لن يعود لها عزها ، ومجدها التليد إلا بأن نكون كما وصفنا الله – عز وجل – في كتابه العزيز فقال سبحانه وتعالى :" وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون " هذا : وصلى اللهم على محمد والحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير إلى عفو مولاه

خالد إبراهيم محمد إبراهيم